

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء العاشر

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

الطبعة الرابعة

١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع

٩٩/١٥/٨٩

الترقيم الدولى .I.S.B.N

977 - 5046 - 60 - 2

المنطقة الصناعية الثانية – قطعة ١٣٩ – شارع ٣٩ – مدينة ٦ أكتوبر

ت : ٣٣٨٢٤٠ – ٣٣٨٢٤١ – ٠١١/٣٣٨٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد الثمانمائة [1] :

٨٠١ (قُتِلنا ونالَ القتلُ مِنّا وربَّما يَكونُ على القومِ الكرامِ لنا الظَّفَرْ)

على أنَّ الرَّبَعى زعم أنَّ المضارع بعد ربَّما بمعنى الماضى ، وإنَّما أوّلَه بكان لأنَّ المعنى عليها ؛ إذ مرادُ الشّاعر : إنْ فشا فينا القتلُ فكثيرًا ما قتَلْنا قوماً كراما قبلُ ، فإنّ الحربَ سجالٌ: يومٌ لنا ويومُ علينا . وبهذا يحسُن الاعتذار والتمدُّح ، لا بأنَّه سيحصُل لهم الظَّفر .

وقد تقع (كان) فى موضع يكون ، كما قال الشاعر :

فأدركتُ من قد كان قبلى ولم أدَعْ لمن كان بعدى فى القصائد مَصْعدَا [2]

أرادَ : لمَنْ يكون بعدى .

و (قُتلنا) بالبناء للمفعول ، و (نال منه) بمعنى أوهنَه وفَتَّ فى عضُده . ويقال نال من عدوِّه ينال ، من باب تعب ، نيلاً ، إذا بلغ منه مقصودَه . وهو فى الأصل فعلٌ متعدٍّ .

* * *

---

(١) لم أعثر له على مرجع آخر .

(٢) أمالى المرتضى ٢ : ١٩٩ .

١٩٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد الثمانمائة :

٨٠٢ (ولقد يكون أخا دمٍ وذبائح [1])

على أنَّ المضارع مؤوّلٌ بالماضى ، أى ولقد كان .

وإنمَّا أوّلَه بالماضى لأنَّه فى مرثيَة ميّت ، وهو إخبارٌ عن شيء وقعَ ومضَى ، لا إخبارٌ عما سيقع ، لأنّه غير ممكن .

قال ابن الشجَرِىّ (فى أماليه) : قال أبو الفتح عثمانُ بن جِنّى : قال لى أبو علىّ : سألت يوماً أبا بكر بنَ السَّرّاج ، عن الأفعال يقع بعضُها موقعَ بعض فقال : كان ينبغى للأفعال كلِّها أن تكونَ مثالاً واحدا ؛ لأنّها لمعنىً واحد ، ولكن خُولف بين صِيغَها لاختلاف أحوال الزمان ، فإذا اقترن بالفعل ما يدلُّ عليه من لفظٍ أو حالٍ جاز وقوعُ بعضها فى موقع بعض . قال أبو الفتح : وهذا الكلام من أبى بكر عالٍ سديد . انتهى .

صاحب الشاهد — وهذا المصراع من قصيدةٍ طويلة عدَّتُها خمسون بيتاً ، لزيادٍ الأعجم ، رثَى بها المغيرة بن المهلَّب بن أبى صُفرة ، أوردها القالى (فى ذيل الأمالى) ، وأورد أكثرها ابن خَلِّكان (فى ترجمة والده المهلَّب) وهذه أبياتٌ أربعة من أولها :

أبيات الشاهد

(قُلْ للقوافل والغُزاةِ إذا غزَوْا ... والباكِرينَ وللمُجِدِّ الرائحِ

إنَّ الشجاعةَ والسَّماحة ضُمِّنا ... قبرًا بمَرْوَ على الطَّريق الواضحِ

فإذا مررتَ بقبرِه فاعقِرْ به ... كُومَ الجِلاد وكلَّ طِرْفٍ سابحِ

وأنْضَحْ جوانبَ قبرِه بدمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ)

---

(١) الشعراء ٤٣٠ والأغانى ١٤ : ٩٩ وأمالى القالى ٣ : ٨ والمرتضى ٢ : ١٩٩ ، ٢٠١ وابن الشجرى ١ : ٤٥ وابن خلكان فى ترجمة المهلب .

ورَوَيْتُ هذه القصيدةَ للصَّلتان . فقال : هى لزيادٍ الأعجم [١] . انتهى .

والقوافلُ : جمع قافلة ، وهى الرُّفقة الراجعةُ من سفرها إلى وطنها . والغُزاة جمع غازٍ . وبكر بكورا من باب قعد : أسرعَ فى الذَّهاب من أوَّل النَّهار . وأجَدَّ فى الأمر : اجتهد . والرائح : الراجع .

وقوله : « إنّ الشَّجاعة والسَّماحة » إلخ هذا مقول القول . وروى أيضاً : « إنّ السَّماحة والمروءة » . والسَّماحةُ : الجُود والعَطاء . والمروءة : آدابٌ نفسانية تحمل مراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . يقالَ مَرُؤَ الإنسان ، وهو مَرِئٌ ، كقرُب فهو قريب ، أى ذو مروءة . قال الجوهرىّ : وقد تشدَّد فيقال مُرُوّة . و « ضُمِّنا » بالبناء للمفعول متعدٍّ لمفعولين ، أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير التثنية ، والثانى قبراً . وهو مقلوب لأنَّه يقال ضمَّنت الشيء كذا ، أى جعلتُه محتوياً عليه.وفى القلب هنا نكتةٌ ، كأنَّهما لكثرتهما لا يسعهما القَبر ، فهما اشْتملا على القبر وأحاطا بجوانبه . ومَروٌ ، هنا ، هى مَرْوُ الشَّاهِجَان لا مَرْوُ الرُّوذْ ، وكلاهما فى إقليم خراسان .

قال ابن خلكان : ومن سَرَاة أولادِ المهلَّب أبو فراس المغيرة ، وكان أبوه يقدِّمه فى قتال الخوارج ، وله معهم وقائعُ مشهورة ، أبانَ فيها عن نجدةٍ وصرامة ، وكان مع أبيه فى خراسان ، واستنابه بمروِ الشَّاهجان ، وتوفى فى حياة أبيه سنة اثنتين وثمانين فى رجب . انتهى .

ورأيت فى هامش (كتاب الشعراء لابن قتيبة) قال الشريف : هذا الذى رثاه

---

(١) الذى فى أمالى القالى : « وقرأت قصيدة زياد الأعجم على أبى بكر بن دريد فقال : زياد الأعجم كنيته أبو أمامة . وكان فى كتابى للصلتان ، فقال هو : هى لزياد الأعجم » . فهذا تصحيح من ابن دريد لنسبة الشعر ، واجه به ابن دريد القالى الذى روى أمامه القصيدة زاعما أنها للصلتان .

زياد هو المغيرة بن أبي صفرة [١] ، أخو المهلب بن أبي صفرة . انتهى . والله أعلم .

وهذا البيت استشهد به النحويُّون على أنّه أعاد الضمير إلى المؤنَّثَيْنِ بضمير المذكَّرين . وكان القياس أن يقول : ضمَّنتا . ١٩٣

وعدَّه ابن عُصفور من قبيل الضرورة .

وقد وجَّهَه الفراء كما نقله السيد المرتضى (فى أماليه) قال : ذهب إلى أنَّ الشجاعةَ والسَّماحة مصدرانِ ، والعرب تقول : قِصَارةُ الثَّوب [٢] يعجبنى ، لأنّ تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل ، وهو مذكر . انتهى .

وقوله : « فإذا مررتَ بقبره » إلخ عقرَ البعيرَ بالسَّيف عقراً ، من باب ضرب ، إذا ضرب قوائمه به ، لا يُطلق العقرُ فى غير القوائم . وربَّما قيل عقرهُ ، إذا نحره . كذا (فى المصباح) . والكُوم بالضم : جمع كوماء ، بالفتح والمدّ ، وهى الناقة السَّمينة . والجلاد ، بكسر الجيم : جمع جَلْدة بفتحها وسكون اللام ، وهى أدسم الإبل لبنا . والطِّرف ، بالكسر : الأصيل من الخيل . والسَّابح بالموحدة ، من سبحَ الفرسُ ، إذا جرى . يقال فرسٌ سابح ، إذا جرى بقوّة .

وقوله : (انضَحْ جوانب) إلخ النّضح بالحاء المهملة : الرشُّ القليل ، وبالخاء المعجمة : البَلّ : يقال نضخ ثوبَه ، إذا بلَّه ، فهو أبلغُ من الأوّل . قال ابن السيد (فيما كتبه على كامل المبرد) : اختُلف فى سببِ عقرهم الإبلَ على القبور ، فقال قوم : إنمَّا كانوا يفعلون ذلك مكافأةً للميِّت على ما كان يعَقِر من الإبل فى حياته ، وينحره للأضياف [٣] . واحتجوا بقول الشاعر :

---

(١) ما بعده إلى نهاية النص ساقط من ش .

(٢) فى اللسان : « وقصرَ الثوبَ قِصارة عن سيبويه وقصَّره ، كلاهما حوّره ودقّه . وحرفته القصارة بالكسر أيضا .

(٣) ش : « ونحره للأضياف » .

وانضَحْ جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائحِ

وقد قال قوم : إنّما كانوا يفعلون ذلك إعظاما للميّت ، كما كانوا يذبحون للأصنام . وقيل : إنّما كانوا يفعلونه لأنَّ الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت ، فكأنّهم يثأرون لهم فيها . وقيل : إنَّ الإبل أنفَسُ أموالِهم ، فكانوا يريدون بذلك أنَّها قد هانت عليهم لعظم المصيبة . انتهى .

زياد الأعجم

وزيادُ الأعجم هو من شعراء الدولة الأموية ، أبو أُمامة زياد بن سَلمى مولى عبد القيس ، أحد بنى عامر . كان ينزل إصطخر ، وكانت فيه لكنة ، فلذلك قيل له الأعجم . قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) . وقيل : كانت فى لسانه عُجمة ، ولأجْلها قيل له الأعجم . وقيل لأنَّ مولدَه ومنشأه كان بفارس . وكان جَزل الشِّعر ، وحسنَ الألفاظ ، على لكنتهِ فى لسانه[1].

رُوِىَ أنّه دعا غلاماً له ليرسله فى حاجة ، فابطأ عليه ، فلما جاءهُ قال له : مُنْذُ دَأَوتُك إلى أن قلت لَبَّىْ ما كنت تَصْنأ ؟ يريد : منذ دعوتك إلى أن قلت لبَّيك ما كنت تصنع ؟

قال ابن قتيبة : همَّ الفرزدقُ بهجاء عبد القيس ، فبعثَ إليه زياد : لا تعَجلْ حتَّى أُهدِىَ لك هدَّية . فانتظرَها زماناً ثم بعثَ إليه :

فما ترك الهاجُونَ لى إن هجوته مَصَحًّا أراهُ فى أديم الفرزدق[2]
وما تركوا عظماً يُرى تحتَ لحمهِ لكاسرهِ أبقَوه للمتعـرِّق[3]
سأكسر ما أبقَوه لى من عظامِه وانكُتُ مخَّ الساقِ منْه وأَنتقى[4]

---

(١) فى لسانه ، ساقطة من ش .

(٢) الشعراء ٤٣١ . والمصح : مصدر ميمى ، أراد به الموضع الصحيح .

(٣) ش والأغانى ١٤ : ١٠٤ : « ألقوه » . والمتعرق : الذى يأخذ اللحم عن العظم بأسنانه نهشا .

(٤) انتقى العظم انتقاء : استخرج نقيه ، بالكسر ، أى مخه .

وإنّا وما تُهدى لنا إن هجوتنا لكالبحر مَهما يُلقَ فى البحر يَغرَقِ

فلما بلغه الشعر قال : ليس إلى هجاء هؤلاء مِن سبيل ما عاش هذا العبد . انتهى .

وفى الأغانى : كان المهلّب بن أبى صفرة بخراسان ، فخرج إليه زيادٌ ومدَحه فأمر له بجائزة ، وأقام أياما ، فبينما هو يشربُ مع حبيب بن المهلَّب فى دارٍ له فيها دالِيَةٌ (١) عليها حمامة ، إذ سجعت الحمامة ، فقال :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذممى وعَهدِى وذمّةِ والدي مِنْ أن تُضارى (٢)
فإنّك كلّما غنَّيتِ صوتاً ذكرتُ أحبَّتى وذكرتُ دارى
وإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأراً يُباءُ به لأنّك فى جوارى (٣)

١٩٤

فقال حبيب : يا غلام هاتِ القوس . فقال زياد : وما تصنع بها ؟ قال : ارمى جارتَك هذه . قال : والله لئن رميتَها لأستعدينَّ الأمير عليك ! فأُتى بالقوس ، فنزع لها (٤) سهماً فقتلها ، فدخل زيادٌ على المهلَّب فحدَّثه الحديثَ فقال المهلَّب:علَّى به . فأُتِىَ بحبيبٍ فقال : أعط أبا أمامةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال الله بقاءَ الأمير ، إنَّما كنت ألعب . فقال : أعطِه كما أمرتُك . فأعطاه وشربَ معه مرّةً ثانية ، فعربد عليه حبيبٌ وقد كان مضطغناً عليه ، فشقَّ قَباء ديباج كان عليه ، فقال :

---

(١) الدالية : المنجنون ، والناعورة يديرها الماء .

(٢) الأغانى ١٤ : ١٠٠ : « إن لم تطارى » . وبين هذا البيت وتاليه فى الأغانى :

وبيتك فاصلحيه ولا تخافى على صُغر مزغّبة صغار

(٣) فى الأغانى : « طلبت ثأرا له نبأ » . ويقال باء فلان بفلان وأباء فلانا بفلان : إذا قتل به وصار دمه بدمه سواء .

(٤) ط فقط : « له » صوابه فى ش والأغانى . أى للحمامة .

لعمرىَ ما الدِّيباجَ خرَّقتَ وحدَه   ولكنَّما خرَّقت جِلد المهلَّبِ [١]

فأحضر المهلب حَبيباً وقال : صدَق زيادٌ ما خرَقْتَ إلاّ جلدى ، تَبعثُ علىَّ هذا فيهجُوَنى . وأمر لزياد بمال وصَرَفه .

وفى تاريخ الذهبى : أنّ زياداً شهد فتح إصطخر مَع أبى موسى الأشعرىّ ، وطال عمره ، وحدَّث عن أبى موسى ، وعبد الله بن عُمر ، وحدَّث عنه طاوسُ وغيره . وله وِفادةٌ على هشام بن عبد الملك . وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

* * *

وأنشد بعده

(ربمّا تكرهُ النّفوسُ)

هو قطعةٌ من بيت من قصيدةٍ لأميَّةَ بن أبى الصَّلت ، وهو :

(ربَّما تكره النّفوسُ من الأمْـ   ـرِ له فَرْجةٌ كحلِّ العِقالِ)

وتقدَّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السابع والثلاثين بعد الأربعمائة [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثمانمائة [٣] :

٨٠٣ (فذلِك إنْ يلقَ المنيَّة يلقهَا   حميدًا وإنْ يستغنِ يومًا فرُبَّما)

على أنّه قد يُحذَفُ بحذف الفعل بعد ربَّما ، والتقدير : ربَّما يُتوقَّع ذلك .

---

(١) رسم البيت منثورا فى النسختين ، وقد جاء على وجهه فى الأغانى ١٤ : ١٠ وأوله : « لعمرك » . وقد زيد فى ش « لعمرك » بعد البيت إقحاما .

(٢) الخزانة ٦ : ١٠٨ — ١١٩ . وفى ط : « إنما تكره » صوابه فى ش وفيما سبق .

(٣) الهمع ٢ : ٨٨ . وانظر الأغانى ٦ : ٧٧ ، ٨٠ .

وقدَّره بعضهم : ربَّما أعانك ، أو هو معين لك .

والبيت من أبياتٍ أوردها صاحب (الأغانى) فى ترجمة ابن جامع ، وهى :

أبيات الشاهد

(لحا الله صُعلوكًا مناهُ وهَمُّه ... من الدَّهر أن يلقَى لُبوسًا ومَطعَما

ينامُ الضُّحى حتَّى إذا اللَّيلُ جنَّهُ ... تبيَّتَ مسلوبَ الفؤاد مورَّما

ولكنَّ صعلوكًا يُساوِر همَّه ... ويَمضِى على الهيجاء لَيثاً مصمِّما[1]

فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقهَا ... حميدًا وإنْ يستغن يومًا فربَّما[2])

صاحب الشاهد

قال صاحب الأغانى : هذا الشعر يقال إنّه لعروة بن الورد ، ويقال هو لحاتم الطائى ، وهو الصحيح[3] .

أقول : أبيات عروة رائية ، وليست هذه له . ولحاتم قصيدةٌ على هذا الروىِّ وليس فيها هذه الأبيات[4] ، وفيها ما يشبهها وهو :

وليلٍ بهيم قد تسربلتُ هَوْلَه ... إذا الليل بالنِّكس الضَّعيف تجهَّما

ولن يكسِبَ الصُّعلوك مالاً ولا غنى ... إذا هو لم يركَبْ من الأمر مُعْظَما

١٩٥ يَرى الخُمصَ تعذيباً وإن يلقَ شُبعةً ... يبتْ قلبُه من قلّة الهمِّ مُبْهَما[5]

ولكنَّ صُعلوكاً يُساوِرُ همَّه ... ويَمضى على الأيام والدَّهرِ مُقدِما[6]

(١) فى الأغانى ٦ : ٧٧ والديوان : « ويمضى على الأحداث والدهر مقدما » ، وفى الموضع الثانى من الأغانى كما هنا .

(٢) الأغانى فى الموضعين : « يلقها كريما » .

(٣) ط : « وهو صحيح » ، صوابه فى ش والأغانى .

(٤) الحق أن الأبيات وردت فى ديوانه ٢٣٩ – ٢٤٠ من صنعة يحيى بن مدرك الطائى ، وكذلك وردت فى ديوانه ١٠٩ من مجموع خمسة دواوين من رواية يحيى عن ابن الكلبى أيضا .

(٥) يقال عنده شبعة من طعام ، بالضم ، أى قدر ما يشبع به مرة .

(٦) انظر ما سبق من تعليق على هذا البيت .

يرى رمحَــه ونَبْلَــه ومِجنَّــه وذا شُطَب لَيْنَ المَهزَّة مِخْذمـا[١]

وأحنــاءَ سرجٍ قاتــرٍ ولجامَــه مُعِدًّا لدى الهيجاءِ طِرفا مسوَّما[٢]

فذلك إنْ يهلكْ فحُسْنَى ثنـاؤه وإن يحىَ لا يقعدْ ضعيفاً ملوَّما[٣]

ورأيت (فى ذيل أمالى القالى) أبياتاً على هذا النَّمط غير معزُوةٍ لقائلها ، وهى :

لحا الله صُعلوكاً اذا نال مَذقـةً توسّد إحـدى ساعدَيـه فَهوَّمـا[٤]

مُقيما بدار الـذّلِّ غيـرَ مناكـرٍ إذا ضِيمَ أغضَى جَفْنَهُ ثم بَرْشَما

يلـــوذُ بأذرَاءِ المشاريب طامعــاً يَرى المنعَ والتعبيسَ من حيثُ يمما[٥]

يضنُّ بنفسٍ كَدَّرَ البؤسُ عَيْشَها وجُودٌ بها لو صانها كان أحزَما[٦]

فذاك الذى إن عاشَ عاشَ بذلّة وإن مات لم يَشْهَد له النّاسُ مأتما

بأرضِك فَاعرُكْ جلد جَنبكَ إنَّنى رأيتُ غريبَ القوم لحماً موضَّما

والله أعلم بقائل أبيات الشاهِد .

---

(١) فى نسختى الديوان : « ترى رمحه » ، وفى ط : « بين المهذة » ، صوابه فى ش . وفى الديوان : « عضب الضريبة » .

(٢) فى نسختى الديوان : « عتاد فتى هيجا وطرفا مسوما » .

(٣) هذا البيت الأخير ساقط من الديوانين .

(٤) للأبيات قصة فى ذيل الأمالى ٣ : ١٧٩ عن الكلبى قال : قتل الشيظم بن الحارث الغسانى رجلا من قومه ، وكان المقتول ذا أسرة ، فخافهم فلحق بالعراق – أو قال : بالحيرة – متنكرا ، وكان من أهل بيت الملك ، فكان يتكفف الناس نهاره ويأوى إلى خربة من خراب الحيرة ، فبينما هو ذات يوم فى تطوافه إذ سمع قائلا يقول ... » . وأنشد الأبيات التالية .

(٥) الأذراء : جمع ذرى كفتى ، وهو ما يكنك من حائط أو شجر أو نحوه . وفى ط : « بأرزاء » ، صوابه فى ش والأمالى . وفى الأمالى أيضا : « المثاريب » موضع « المشاريب » . والمشاريب : جمع مشرب ، بزيادة الياء فى الجمع .

(٦) ط : « لو هانها » ، صوابه فى الأمالى وفى ش أيضا ، لكن مع أثر تصحيح .

وقوله : « لحا الله صُعلوكا » أى قبَحَه الله وشوَّهه . والصُّعلوك بالضم : مَن لا يملك شيئاً . واللَّبوس : اللِّباس .

وجَنّه الليلُ : ستره . وموَرَّماً : متنفِخاً من الغَم . يعنى قَبح الله الصُّعلوك الذى يكسَل عن اكتساب ما يَكفيه .

ويُساور : يُواثب . والهَمّ : أوّل العزم ، وهو إرادة الشيء بدون فعِله . والهَمُّ : الحزنُ أيضاً . واللَّيث : الأسد . والمصمِّم : الماضى فى عزمه لا يثنيه شيء .

وقوله : « فذلك » ، أى ذلك الصعلوك الذى يساور همَّه ، ولا يثنيه شيءٌ عن الغَزْو للغنائم ، إن أدركتْهُ المنيّةُ قبل بلوغ الأمنيَّة لقيَها محمودًا ، إذْ كان قد فعل ما وجبَ عليه ، وأقام عذره فى مطلوبه باستفراغ الوُسع فى السَّعى له . وإن نال الغنى يوماً فكثيرا ما يُحمد أمره . فالمحذوف بعد ربَّ هو ما ذكرناهُ بعدَ كثيراً . وهو المناسب للمعنى ، لا ما تقدَّم .

وخبر قوله : « ولكِنَّ صعلوكا » محذوف ، يقدَّر بعد تمام البيت ، أى وهو المدعوُّ له بالخير والممدوح عند النَّاس ، بدليل ما قبله ، وهو « لحا الله صُعلوكا » إلخ ، فإنّه ضدٌّ له ، وتكون الجملتان يُساور ، ويمضى ، صفتين لصعلوك ، ويكون قوله : « فذلك إن يلقَ » إلخ تفصيلاً [١] لجهة الدُّعاء والمدح . فذلك مبتدأ ، والجملة الشرطية خبره .

وقال شراح الحماسة (منهم المرزوقى) : قوله : إن يلق المنية خبرُ قوله ولكنَّ صعلوكاً ، كما لو انفرد عن قوله فذلك ، لكنّه لما تراخى الخبَرُ عن المخبر عنه وتباعد المقتضَى عن المقتضِى له أتى بقوله فذلك ، مشيراً به إلى الصعلوك ، فصار إنْ يلق خبراً عنه . وساغ ذلك لأنَّ المراد بالأوَّلِ والثانى شيءٌ واحد . هذا كلامه .

---

(١) ش : « تفصيل » ، صوابه فى ط .

وقد وقع هذا البيت فى شعر عروة بن الورد بقافية رائيَّة كذا :

* وإن يستغن يوماً فأجدرِ *

أى إن نال الغنى يوماً فما أحقَّه بذلك وما أَلْيَقَه به . وقد استشهد به شُرّاح الألفية وغيرُهم على أنَّ أجْدِرْ صيغة تعجُّب ، حذف منه المتعجَّب منه حذفاً غير قياسىّ ، إذ لا يجوز ذلك فى أفعِلْ به ، إلاّ إذا كان معطوفاً على آخر مذكور معه المتعجَّب منه ، كقوله تعالى : ﴿ أسمِعْ بهم وأبصر [1] ﴾ أى وأبصر بهم . وكذلك التقدير فى البيت . وأجدِرْ به أى بالاستغناء . وقال العينى : به أى بِكونه حميدا . فتأمَّلْ .　١٩٦

صاحب الشاهد　وهذا البيت آخر قصيدةٍ لعروة بنِ الوَرْد ، اختار منها أبو تمام ثمانية أبيات أوردها (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

لحا الله صُعلوكاً إذا جَنَّ ليلُه　مُصافِى المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزَرِ[2]
يَعُدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلة　أصابَ قراها من صديقٍ ميسِّرِ
ينام عِشاءً ثم يصبحُ ناعِساً　يحتُّ الحصا عن جَنْبِه المتعفِّر
يُعين نساءَ الحىّ ما يَستعنَّه　ويُمسِى طليحاً كالبَعير المحسَّرِ[3]
ولكنّ صعلوكا صفيحةُ وجهه　كضوء شِهاب القابس المتنوِّرِ
مُطِلاًّ على أعدائه يزجُرونه　بِساحَتِهمْ زَجْرَ المنيح المشَهَّرِ
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابَه　تَشوُّفَ أهلِ الغائب المتنظَّرِ　١٩٩
فذلك إنْ يلق المنية يَلْقَها　حَميداً ، وإن يستغنِ يوماً فأجدرِ

(١) الآية ٣٨ من سورة مريم .

(٢) وكذا فى الحماسة ٤٢١ بشرح المرزوقى . وفى ش : « مضى فى المشاش » . وهذه هى رواية الديوان ٩٣ .

(٣) فى النسختين : « ما يشبعنه » ، صوابه فى الديوان .

وقوله : « لحا الله صُعلوكاً » إلخ قال المرزوقى : لحا الله : كلمة تُستعمل فى السبّ ، وأصله اللَّوم والقَشْر . يقول : زاد الله فقراً لكلِّ فقير يرضَى من عَيشه بأن يطوفَ فى المجازر إذا أظلم الليل ، ويلتقطَ المُشاشَ منها ، كأنّه يُصافيها ويلازمها حُبًّا . وإنَّما قال هذا على وجه الإنكار ، أى لِمَ يَقنعُ بذلك ، ومالَهُ يُسِفُّ لمثل هذه المطامع الخسيسة ، ولا يطلُب معالىَ الأمور . والمشَاش : كلُّ عظمٍ هشٍّ دسِم . ومُصافِى المشاش صفة لصعلوك ، والإضافة لفظية وسكن الياء من مصافى ضرورة . والمَجزَر بفتح الزاء وكسرها : الموضع الذى ينحَر فيه الإبل [١] .

وقوله : « يَعدُّ الغنى » الخ يقول : لفرحه بما يناله من كسْبِه الدنىء يعُدُّ إذا أصاب القِرى لدى صديق وُلدتْ له شِياهٌ فاتَّسع اللبن عنده ، الغنىَ حاصلاً عنده . والميسِّر : ضدُّ المجنِّب ، يقال يسّرَ الرّجُل ويَسَّرت غَنمُه ؛ وجَنّب الرجلُ ، إذا قَلّت الحَلُوبَةُ فى إبله وغنمه . وأضافَ القرى إلى ضمير الليلة مجازًا ، والمرادُ قِراهُ فيها .

وقولهُ : « ينام عِشاء » ، إلخ يقول : ينام هذا الصعلوك لدناءة همّته واستيلاء الكسل عليه ومكسبِه قُبُلَ الليل [٢] ؛ لأنّ هِمَّته [٣] فى راحته وحرصِه على ما يسدُّ جوعَه به [٤] ثم يأتى الصَّباحُ عليه وهو ناعس بعدُ ، غير قاضٍ حاجتَه من الرُّقاد ، ولا ضَجرٍ فى مُضْطجَعِه [٥] بالتساقط ، ينفى عن جنبه ما لَصِق به من الحصا والتراب ، لأنَّه نام بلا وِطاء . وقوله : « يَحُتُّ الحصا » أى يُسقِطه ، فهو قريبٌ من يَحُطّ . والعَفَر : التراب .

---

(١) ط : « ينحر فيه الإبل » .

(٢) قبل الليل : أوله . وعند المرزوقى : « على نفسه ومكسبه قبل الليل » .

(٣) فى النسختين : « نهمته » ، صوابه فى المرزوقى .

(٤) فى المرزوقى : « جوعته به » .

(٥) ط : « فى مضغه » ، صوابه فى ش . وعند المرزوقى : « فى مضجعه » .

وقوله : « ولكن صُعلوكا » إلخ صفحة الرجل وصفيحته : عُرض وجهه ، أى ضوء صفحة وجهه . يقول : ولكنّ فقيراً مشرق الوجه [١] صافىَ اللون لا يتخَشَّع لفقره ، فكأنَّ ضوءَ وجهه ضَوءُ القابس ، أى ذى القبس أى النار . والمتنوِّر : المستضىء بضوء النار .

وقولُه : « مِطلاًّ على أعدائه » إلخ أطَلَّ على كذا:أوفَى عليه . والمنيح : قِدحٌ لا نَصيبَ له . يقول : ولكن الفقير المضىء الوجه ، الذى يسعى فى غِناهُ فيشرف على أعدائه غازياً ، وهمْ يزجرونه وقتاً بعد وقت ، كما يُزجَر هذا القِدْحُ فى خروجه ، ومع ذلك يُرَدّ . قال التّبريزى : كان الأيسار يَقِفون عند المُفِيض فيتكلَّم كلُّ واحدٍ منهم كأنّه يخاطب قِدحه فيأمُرُهُ بالفوز ، ويزجره من أن يخِيب ، فذلك زَجْرُهُ . ١٩٧

وقولُه : « إذا بعُدوا » إلخ يقول : لا يأمنونه وإنْ بعدُوا ، بل يتشوّفونه تشوُّف الغائب المنتظَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٨٠٤ (وبلــدةٍ ليسَ بها أنــيسُ إلاّ اليَعافيـرُ وإلاّ العِيسُ)

على أنّ الواو فى (وبلدة) واو ربَّ ، وبلدةٍ مجرورة بربَّ المحذوفة .

(١) ش فقط : « شرق الوجه » .

(٢) فى كتابه ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٧٩ والأشناندانى ٣٣ والمقتضب ٢ : ٣١٩ ، ٣٤٧ / ٤ : ٤١٤ ومجالس ثعلب ٣١٦ ، ٣٥٢ والإنصاف ٢٧١ ، ٣٧٧ وابن يعيش ٢ : ٨٠ ، ١١٧ / ٧ : ٢١ / ٨ : ٥٢ والشذور ٢٦٥ والعينى ٣ : ١٠٧ والتصريح ١ : ٣٥٣ والهمع ١ : ٢٢٥/ ٢ : ٤٤ والأشمونى ٢ : ١٤٧ وديوان جران العود ٥٣ .

وكذا أنشدهُ سيبويه (فى باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف) على أنّ بلدةٍ جُرّ بإضمار رُبّ . وجعَل هذا تقويةً لإضمار الفعل مع قوّته ، إذْ جاز إضمار حرف الجر مع ضعفه . والواو عنده حرف عطف ، غير عوضٍ من رُبَّ ، إلاَّ أنّها دالّة عليها ، وأُضمِرت لذلك وهى عنده غير عوض من رُبّ . وقد أوضحَه ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) وبيَّنه بدلائل : أنّ ربَّ محذوفة وأنَّ الجرَّ بها ، وأنّ الواو للعطف لا لأنَّها عوضٌ عنها . وحقّق أن ربَّ حرفٌ لا اسمٌ ، خلافاً للكوفيِّين فى المسألتين .

وأنشده سيبويه ثانياً (فى باب ما يختار فيه النصب لأنَّ الآخِر ليس من نوع الأوّل ، من أبواب الاستثناء) قال : النصب لغة الحجاز ، وذلك ما فيها أحدٌ إلا حماراً ، جاءُوا به على معنى ولكنَّ حمِارا ، وكرِهوا أن يُبدِلوا الآخِر من الأول فيصيرَ كأنّه من نوعه . وأمّا بنو تميم فيقولون:لا أحد فيها إلا حمِارٌ ، أرادوا : ليس فيها إلاَّ حمارٌ ، ولكنَّه ذكر أحدٌ توكيدًا ، ليُعلم أنْ ليس بها آدمىٌّ ثم أبدلَ ، فكأنه قيل : ليس فيها إلاَّ حمِارٌ ، وإنْ شئتَ جَعلتَه إنسانها كقولك : مالى عتابٌ إلاَّ السَّيف . ومثل ذلك :

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلاَّ اليَعافيرُ ... البيت

فاليعافير بدلٌ من أنيس .

وكذا أورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ إلاَّ قوَم يونسَ [1] ﴾ شاهداً للإبدال فى الاستثناء المنقطع ، على لغة تميم .

وكذا أوردَهُ صاحب (الكشاف) عند تفسير قوله تعالى ﴿ قل لا يَعْلَمُ مَنْ فى السمواتِ والأرض الغيبَ إلاَّ الله [2] ﴾ .

---

(١) من الآية ٩٨ فى سورة يونس .

(٢) الآية ٦٥ من النمل .

والبَلْدة : القطعة من الأرض ، ومطلقُ الأرض . و (الأنيس) : مَن يؤنَسُ به من النّاس . و (اليعافير) جمع يَعفورٍ ، وهو ولد الظَّبية ، وولدُ البقَرة الوحشيَّة أيضا . وقال بعضهم : اليعفور تَيس الظِّباء . والعيس : إبلٌ بيضٌ يخالط بياضَها شُقرة ، جمع أعيس ، والأنثى عيساء .

صاحب الشاهد

والبيتان من رجزٍ لجِران العَوْد ، وأوّلُه :

أشطار الشاهد

(قد ندَعُ المنزلَ ياَلميسُ   يَعتسُّ فيه السَّبُعُ الجَرُوسُ
الذِّئبُ أو ذُو لِبَدٍ هَموسُ   وبلدةٍ ليس بها أنيسُ
إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العِيسُ   وبقَرٌ مُلمَّعٌ كُنُوسُ
كأنّما هنّ الجوارى الميسُ)

هذا ما رأيته فى ديوانه . وقال شارحه محمد بن أبى القاسم بن عُروة [١] الأزدى : لمَيس : اسم امرأةٍ . ويَعتَسُّ : يطلُب باللَّيل ما يأكلُه . والجَروس ، بالجيم : فَعُول من الجَرْس ، وهو الصَّوت الخفىّ . والذِّئبُ بدلٌ من السَّبُع . وذو لبِدٍ : الأسد . ولِبَدَ ، بكسر ففتح : جمع لِبدة بكسر فسكون ، وهو ما بين كتفيه من الوبر المتلبِّد . والهموس : الخفيف الوطء . ويروى :

* بسابساً ليس بها أنيس *

١٩٨

بدل قوله : « وبلدة ليس بها أنيس » ، فلا شاهد فيه ، وهو جمع بَسْبَس ، وهو القفر . والملمَّع : الذى فيه لُمَعٌ جمع لمُعة ، وهى بياضٌ وسواد . والكُنوس : المتّخذة كِناسا . والكِناس : مأوَى الظباءِ وبقر الوحش . والجوارى : جمع جارية . والمِيس : جمع مَيْساءَ ، من المَيْس ، وهو التبختُر فى المشْى .

ورأيت (فى أمالى ثعلب) هذا الرجزَ هكذا غير معزوٍّ لأحد :

دارٌ لليلى خَلقٌ لبيسُ   ليس بها من أهلها أنيسُ
إلاّ اليعافيرُ وإلاّ العِيسُ   وبقرٌ مُلَمَّعٌ كنوسُ

(١) ط : « عذرة » ، وأثبت ما فى ش ، وهو الوجه .

والخَلَق : الدآثر الدّارس . واللَّبِيس : المتَلبِّس [١] على من كان يعرفه فلا يتحقَّقه .

ورأيته أيضا (فى كتاب أبيات المعانى) بخط أبى الفتح بن جنّى ، وعليه إجازةٌ بخط أبى على الفارسى ، كتبها لابن جنىّ لمَّا قرأهُ عليه ، وهو تأليف أبى عثمانَ الأُشناندانىِّ سعيد بن هارون ، من رواية ابن دريد كذا :

يا ليتنى وأنتِ يالميسُ   فى بلدٍ ليس به أنيسُ

إلا اليعافير وإلاَّ العيس

وعلى هاتين الروايتين لا شاهدَ فيه .

جران العود

وجران العوذ لقب شاعرٍ من بنى ضِنَّةَ بن نمير بن عامر بن صعصعة . والجران ، بكسر الجيم . والعَوْد بفتح العين المهملة وسكون الواو وآخره دال مهملة ، هو المسنُّ من الإبل .

كتب ياقوتُ بن عبد الله الحموىّ (فى حاشية مختصرِ جمهرة ابن الكَلبىّ) : ومن بنى ضِنَّة بن نمير : جران العَودِ الشاعر ، واسمه عامر بن الحارث بن كُلْفة ، وقيل كَلَدة . وإنّما سمِّى جرانَ العَود لقوله يخاطب امرأتيه :

عَمَدتُ لعَودٍ فالتحيتُ جرانَه   ولَلكَيسُ أمضى فى الأمور وأنْجَحُ
خُذَا حذراً يا ضَرَّتَىَّ فإنَّنى   رأيتُ جران العَود قد كادَ يصلحُ [٢]

والجِران : باطن العنق الذى يَضعُه البعير على الأرض إذا مدَّ عُنُقَه لينام ، وكان يُعَمل منه الأسواط . فهو يهدِّدهما . انتهى .

---

(١) المتلبس : المختلط ، وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « الملتبس » .

(٢) ط : « قد كان » .

وكتب أيضا فى الهامش الداخل : ومن بنى ضِنّة بن نُمير جرانُ العَود ، صاحبُ الضَّرَّتين اللتين ضربَتاهُ ، وخنَقتاه ، فعمَد إلى جَمَلٍ فنحره وسَلَخَ جرانه ، وهو جِلدُ ما بين اللَّبّة إلى اللَّحيين من باطنٍ ، ثم مرَّنه وجعل منه سوطا ، وهو يقول :

عَمَدت لعود فالتحيتُ جرانه ... البيتين .

فسمِّى جرانَ العود ، وذهبَ اسمُه فلا يعرف . انتهى .

وضِنّة بكسر المعجمة وتشديد النون .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) كان جران العود والرحّالُ خِدْنين [١] ، فتزوَّج كلُّ واحدٍ منهما امرأتين ، فلقيا منهما مكروهاً ، فقال جران العَود قصيدةً يذمّهما ويشكو منهُما ، تقدَّم منها بيتان . ومنها :

ألاَ لا تغُرَّنَّ امــرأً نوفليَّــةٌ ... على الرأس بَعدى أو ترائبُ وضَّح [٢]
ولا فاحمٌ يُسقَى الدِّهانَ كأنّه ... أساوِدُ يُزهِيها لعيَنِكَ أبطحُ
وأذنابُ خَيلٍ عُلِّقت فى عقيصةٍ ... ترى قُرطَها من تحتها يتطوَّحُ

وفيها يقول :

جرت يومَ جئنا بالرِّكاب نزُفُّها ... عُقابٌ وتَشحاجٌ من الطير مِتْيَحُ
فأمّا العُقاب فهى مِنّا عُقوبةٌ ... وأمّا الغرابُ فالغريب المطوَّحُ
هى الغولُ والسِّعلاةُ حَلقِىَ منهما ... مكدَّحُ ما بين التّراقى مجرَّحُ
خُذا نِصفَ مالى واتركا لىَ نصفَه ... وبِينَا بذّمٍ فالتعـــزُّبُ أروَحُ

١٩٩

(١) الخدن ، بكسر الخاء ، وكأمير أيضا : الصاحب . وفى ش : « حدثين » ، تحريف .
(٢) انظر الحيوان ٤ : ٢٤٦ .

وقال الرحَّال :

فلا باركَ الرحمن فى عَود أهلِها ... عَشِيَّةَ زفُّوها ولا فيكَ من بَكْرِ
ولا الزَّعفرانِ حينَ مسَّحنهَا به ... ولا الحلي منها حين نِيطَ إلى النَّحرِ[(١)]
ولا فُرش ظُوهِرْن من كلِّ جانبٍ ... كأنِّى أُطوَى فوقهنَّ من الجَمرِ
فياليتَ أنَّ الذئبَ خلَّل دِرعَها ... وأَن كان ذا نابٍ حديدٍ وذا ظُفرِ
وجاءوُا بها قبلَ المَحاقِ بليلةٍ ... وكان مَحاقاً كلُّه ذلك الشّهرُ
لقد أصبح الرحّالُ عنهنَّ صادفاً ... إلى يوم يلقى الله فى آخر العُمرِ

وقوله : « وكان محاقا كله ذلك الشهر » فيه إقواء ، وروى :

* وكان محاقاً كلُّه آخرُ الشَّهرِ *

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الثمانمائة [(٢)] :

٨٠٥ (رسمِ دارٍ وَقفتُ فى طَلَلِهْ ... كِدتُ أقضِى الحياةَ من جَلَلِهْ)

على أن رسماً مجرورٌ بربّ المحذوفة ، وهو شاذٌّ فى الشعر كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

صاحب الشاهد

وهو مطلع قصيدةٍ لجميل بن مَعْمرٍ العُذْرىّ . وبعده :

(مُوحِشاً ما تَرى به أحدًا ... تَنسِج الرِّيح تُرْبَ مُعتدِلِه)

---

(١) ط : « مسحتها » ، صوابه فى ش .

(٢) أمالى القالى ١ : ٢٤٦ والسمط ٥٥٧ والخصائص ١ : ٢٨٥ / ٣ : ١٥٠ وسر الصناعة ١ : ١٤٩ والإنصاف ٣٧٨ وابن يعيش ٣ : ٢٨ ، ٧٩ / ٨ : ٥٢ ورصف المبانى ١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ والمغنى ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٨٢ والعينى ٣ : ٣٣٩ والتصريح ٢ : ٢٣ والهمع ١ : ٢٥٥ / ٢ : ٣٧ ، ٧٢ وديوان جميل ١٨٧ .

إلى أن قال :

أبيات الشاهد

(يا خليلــيَّ إنَّ أمَّ جُبَير حينَ يدنو الضَّجيعُ من غَلَله[١]
روضةٌ ذات حَنْوةٍ وخُزامَى جاد فيها الرَّبيعُ من سَبَلِه
بينما نحنُ بالأراكِ معــاً إذْ بدا راكبٌ على جَمَلِه
فتأطَّــرتُ ثم قلتُ لها أكرِمِيه حُيِّيتِ فى نُزُلِه
فظَلِلْنا بنَعْمةٍ واتَّكأْنا وشَرِبنا الحلالَ من قُلَله
قَد أصونُ الحديث دونَ أخٍ لا أخاف الأذاةَ من قِبَلِه
وخليلٍ صافيتُ مرتضياً وخليلاً فارقتُ من مَلِله
غيرَ بغضٍ له ولا مَلَقٍ غير أنِّى أشَحْتُ من وَجَلِه[٢])

وقوله : (رسْمِ دار) إلخ الرسم : ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار ، كالرَّماد ونحوه . و (الطَّلَل) : ما شخَص من آثارها كالوتِد والأثافىّ ، وإضافته إلى ضمير الرسم بتقدير مضاف ، أى طلل دارِه ، وقيل ينبغى أنْ يراد بالرَّسم هنا الأثر أو بقيَّته لإضافة الطلل إلى ضميره إن لم تُجعَل الإضافةُ لأدنى ملابسة . وجملة (وَقفتُ) فى محل الصِّفة لرسم . و (كدت) جواب رُبَّ . وكاد من أفعال المقاربة . و (أقضى الحياة) خبر كاد ، من قضيت الشىء إذا أدّيته . وروى : « كدت أقضى الغداة » مِنْ قضَى فلانٌ ، إذا مات . والغَداةَ : ظرفٌ بمعنى الضَّحوة . وقال الدماميني : الغداة ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . وقوله : (من جَلله) بفتح الجيم ، فيه تفسيران قال القالى (فى أماليه) : قرأت على أبى

٢٠٠

(١) ط : « أم جسير » وكذا فى الديوان . وأثبت ما فى ش والسمط ٥٥٧ . وفى الأغانى ٧ : ٧٤ : « أم حسين » .

(٢) الملق : عدم الصدق فى الود . وفى الأغانى والديوان : « ولا لاجتناب » .

بكر بن دريد (فى كتاب الأبواب للأصمعى) فعلت ذلك من جلل كذا ، أى من عِظَمه فى صدرى . وقال أبو نصر : فعلت ذلك لجلَلِكَ وجَلالِك ، أى لعظمتك فى صدرى . وأنشد الأصمعىُّ لجميل :

* رسمِ دارٍ وقفتُ فى طلله * .... البيت

ورَويتُ من غير هذا الوجه تفسيرَ من جَلِله : من أجْله . ويُقال : فعلت ذلك من أجْلك وجَلَلك وجَلالك . وأنشد الأصمعىُّ فى جَلالك :

وغيدٍ نَشاوَى من كرًى فوق شُزَّبٍ   من اللَّيل قد نبهتُهمْ من جَلالِكِ[1]

أى من أجلك . انتهى .

وقال ابن السكيت (فى كتاب الأضداد) : يقال فعلته من أجلك أى من أجل عظَمتك عندى . قال جميل :

* كدت أقضى الغداةَ من جلله *

أى من عظَمته فى صدرى .

وبهذا المعنيين ذكره ابن هشام (فى جلل ، من المغنى) .

وبما نقلنا يضمحلُّ كلام الدمامينى ليس بمعنى العِظَم حتَّى يفسَّر به ، وإنّما هو بمعنى العظيم . فلو قيل أراد من عِظَم أمره فى عينى لكان مناسباً . انتهى .

وأىّ فرق بينَ مِنْ عظَمِهِ ومن عِظَمِ أمره ، وهل هما إلاَّ سواء .

وأعجب من هذا قول ابن المُلاّ : وقعَ فى الصِّحاح تفسير الجَلل فى البيت بالعِظَم لكن لا على أنّه اسمٌ جامد ممَّا الكلام فيه ، بل على أنّه من الجليل بمعنى العظيم . انتهى .

---

(١) فى الأمالى : « من جلالكا » .

ولا يخفى أنّ كليهما جامد ، والمادة متّحدة ، ومعناهما متقارب ، والجلَلُ يأتى بمعنى الجليل والعظيم ، كما قال الشاعر[1] فى قتل قومِه أخاه :

فلئـن عفـوتُ لأعفُـوَنْ جَلَـلاً ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عظمِى

ويأتى بمعنى الحقير كقول امرئِ القيس فى قتل أبيه :

* ألا كلُّ شيءٍ سواهُ جلَلْ [2] *

قال القالى (فى أماليه) هناك : الجلل : اليسير . وقال أبو نصر : والجلل : العظيم أيضاً . وكان الأصمعىُّ يقول : الجلل : الصغير اليسير ، ولا يقول الجللَ للعظيم [3] . والجُلَّى : الأمر العظيم . وجُلُّ كلِّ شئ : العظيم منه . انتهى .

وأراد باليسير الحقير فإنّه الغالب . وقوله : مُوحشاً حال ، وجملة « ما ترى به أحدا » صِفة كاشفة له . وقوله : « تنسج الرِّيح » إلخ نَسْج الريح [4] : هبوبُها من جهاتٍ شتّى ، فتثير التُّرابَ فتغطِّى المعالم فلا تُعرَف . والتُّرب بالضم : لغة فى التراب ، وفيه حذف مضاف أى تُرب مكانه المعتدِل . وروى : « تمسح الريح » ، يقال مسحته الريح إذا غيَّرتْه .

وأم جُبَير [5] بضم الجيم . والغَلَل ، بفتح الغين المعجمة واللام : داء . وقال العينى : هو الماء بين الأشجار . وروضة خبر لإنّ . والحنوة [6] بفتح المهملة

---

(١) هو الحارث بن وعلة ، كما فى الحماسة ٢٠٤ بشرح المرزوقى واللسان (جلل) .

(٢) صدرُه كما فى ديوان امرئ القيس ٢٦١ واللسان (جلل) :

* لقتل بنى أسد ربها *

(٣) فى الأمالى : « الجلل العظيم » .

(٤) ش : « تنسج الريح » .

(٥) ط : « أم جسير » بالسين . وانظر ما سبق فى الحواشى .

(٦) ط : « الحنوة » باسقاط الواو .

وسكون النون : نبتٌ طيِّب الريح . والخُزامى بضم المعجمة والقصْر هو خِيرِيُّ البَرّ . والسَّبَل بفتحتين : المطر .

وقوله : « بينما نحنُ بالأراك » قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) :
٢٠١ هو موضع بعرفة . روى مالك بن علقمة بن أبى علقمة عن أمِّه ، أنَّ عائشة أمّ المؤمنين كانت تنزل بعرفة بنَمِرَة ، ثم تحوَّلت إلى الأراك فالأراكُ من مواقف عرفة من ناحية الشام ، ونَمِرة من مواقف عرفة من ناحية اليمن . انتهى .

وزعم العينى ، وتبعه السُيوطى ، أنَّ الأراك هنا هو الشجر المعروف .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى بحث ما الكافّة ، من المغنى) .

وقوله : « فتأطَّرتُ » أى ملت نحوه ، من تأطَّر الرُّمح ، إذا تثَنَّى . والنُّزُل ، بضمتين : طعام النَّزيل الذى يُهيَّأ له .

وقوله [1] : « فظللنا بنعمةٍ » إلخ واتَّكأنا مهموز ، قال ابن قتيبة : معناه طَعِمنا وأكلنا ، من قوله تعالى : ﴿ وأعتَدَتْ لهنّ متَّكأ [2] ﴾ أى طعاما . وقال البيضاوىّ وقيل متَّكأ طعاماً أو مجلسَ طعام ، فإنَّهم كانوا يتَّكئون للطَّعام والشراب تترّفاً ، ولذلك نُهِىَ عنه . قال جميل :

* فظَلِلنا بنَعمةٍ واتكأنا * البيت

وقيل المتكأ : طعام يُحَزُّ حزًّا . كان القاطع يتّكىءُ عليه بالسكين . انتهى .

والحلال على لفظ ضدِّ الحرام . قال العلامة الشيرازىّ : هو النبيذ ، وسماه حلالاً على وجه الخلاعة .

---

(١) وقوله ، ساقطة من ش .

(٢) الآية ٣١ من سورة يوسف .

ولا يخفى (١) أنَّ حمله على ظاهره أنسَبُ ، لأنَّ قائله مؤمن ، وكان فى عرفةَ فى موسم الحجّ . ويبعُد أن يكون على ما قاله الشيرازى .

وأغرب من هذا ما قاله الخَضر المَوصلىّ : ويجوز أن يكون تسميتُه بالحلال على رأىِ من يراه حلالا كالحنَفِيَّة مثلاً . هذا كلامه ، ولا يخفى قُبحه .

والقلل : جمع قُلَة ، وهو إناءٌ للعرب كالجَرَّة .

وقوله : « غير أنِّى أشحت من وَجَلة » أشاح بالشين المعجمة والحاء المهملة بمعنى حَذِر وخاف .

وترجمة جَميل العُذرىّ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والستين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

* وقاتِمِ الأعماقِ خاوى المخترَقْ *

على أنَّ (ربَّ) المحذوفة بعد الواو تَجُرُّ فى الشعر ، وقاتم مجرورٌ بها .

قال الأصمعى : القُتْمةُ : الغبْرة . وأسود قاتم . أى ربَّ بلدٍ مُغْبَرٍّ و (الأعماق) : جمع عمقٍ بفتح العين وضمها ، وهو ما بعُد من أطراف المفاوز . و (الخاوى) : الخالى . و (المخترق) بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخَرْق وهو الشَّق ، استُعمل فى قَطع المفازة . تقول : خرقت الأرض ، إذا قطعتَها . ومُخْترَق الرياح ونحوها : ممرُّها .

---

(١) الكلام من هنا إلى « لا يخفى » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ١ : ٣٩٧ – ٣٩٨ .

وهذا البيت من أُرجوزةٍ لرؤبة تقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الخامس من أول الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثمانمائة (٢) :

٨٠٦ (فإنْ أَهلِكْ فذى حَنَقٍ لظاهُ علىَّ تَكـاد تلتهبُ الِتهابـا)

على أنّ (ربَّ) المحذوفة بعد الفاء ، تعمل الجرَّ فى الشعر . و « ذى حنقٍ » مجرور بها .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : ذى مجرورة بربّ ، أى فربَّ ذى حنَق . وحَذَفها للعلم بموضعها ، كقول الآخر :

ورسمِ دارٍ وقفتُ فى طَلَلِهْ كدتُ أقضى الغداةَ من جَلَلِه (٣)

أى وربَّ رسم دار . وهَذا يدفع قول أبِي العباس إنّ الواو فى نحو قوله :

* وبلدٍ تَحسَبه مكسوحا (٤) *

هى التى جَرّت بلدًا لمَّا خَلفَتْ ربّ فكانت عوضاً . ألا ترىٰ أنَّه قال : « فِذى حَنَق » أى فربّ ذى حنق . ولا يقول أحد إنّ الفاءَ عوضٌ من ربّ . وقولَ الآخر (٥) :

---

(١) الخزانة ١ : ٧٨ – ٨٩ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٤٣ والمغنى ١٦٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٤٤

(٣) وكذا جاء البيت بالخزم فى إعراب الحماسة ، بزيادة الواو فى أوله .

(٤) البيت من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٥ و ٣ : ١٢٨ من نسختنى . وفى ط : « يحسبه مكسوما » ، وفى ش : « تحسبه مكوما » ، صوابهما ما أثبت من سيبويه وإعراب الحماسة . والمكسوح : المكنوس .

(٥) هو رؤبة . ديوانه ١٥٠ . وانظر معجم الشواهد .

* بل بلدٍ ملءُ الفجاجِ قَتَمه *

ولا يدّعى أحد أنّ بل عوضٌ من ربّ . فإذا صحَّ هذا وثبت فى الفاء وبل ، كانت الواو محمولة على حكمه . انتهى .

ورواية بيت جميل بالخزم ، وهو زيادة الواو فى أوله هنا ، روايةٌ غير مشهورة ، وبها يخرج البيت عن الوزن . ٢٠٢

و (لَظَاهُ) مبتدأ والهاء ضمير ذى حنق . وجملة (تكاد تلتهب) خبره ، وكلٌّ منهما مسند إلى ضمير مؤنث يعود إلى اللَّظَى ، فهما بالمثناة الفوقيّة . وجوز الشمُنّى بالمثناة التحتية مسندَين إلى ضمير مذكر يعود إلى اللَّظى ، لاكتسابه التذكير من الضمير المضاف إليه . و (علىّ) متعلق بتلتهب ، وقيل متعلق بلظاه ، لما فيه من معنى الاشتداد والتوقُّد . وفيه نظر ، لأنَّ المعنى ليس عليه . واللَّظى : النار ، استعيرَتْ للحَنَق بفتح المهملة والنون ، وهو الغيظ ، وقيل شِدّته . وهلك جاء من بابى ضرب وعلمَ.و (ذو) بمعنى صاحب ، والفاء معها للربط للجواب بالشرط ، فإنّها تجب مع كلِّ جواب لا يصحُّ وقوعه شرطا ، والجواب هنا فى الحقيقة هو جواب ربّ ، وهو « مخضت » أوَّل البيت الآتى . وإنّما قدِّمت ربّ عليه لأنَّ لها الصَّدر ، وربَّ تحذف بعد الفاء مطلقاً سواء كانت فاء الجواب كما هنا ، أو عاطفة كما فى قول امرىء القيس :

فمثلِكِ حُبلَى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهَيْتُها عن ذى تمائِمَ مْحوِلِ

قال ابن هشام (فى بحث الفاء من المغنى) : السادسة ، أى من المسائل التى تكون فيها الفاء رابطةً للجواب حيث لا يصحُّ أن يقع شرطا : أن يقترن بحرف له الصَّدر ، كقوله :

* فإن أهلِك فذى حنقٍ * .... البيت

لما عرفت من أنّ ربّ مقدّرة ، وأنّها لها الصَّدْر . انتهى .

وقوله : « لها الصدر » جواب سؤال مقدّر ، وهو أنّ جواب الشرط فى مثل هذا إنّما هو جواب ربّ ، وهو فعل ماض يجب معه ترك الفاء ، فكيف وجبت الفاء ؟ أجاب بأنّ ربَّ لمَّا وجب تقديمُها على جوابها لصَدارتها كانت فى الظَّاهر هى الواقعة جوابَ الشرط ، وهى لا تصحُّ أن تقع شرطاً ، فوجب أن تقترن بالفاء وَفاءً بمقتضى الضابط .

ولم أر أحدًا من شُرّاح المغنى بيَّنَ معنى قوله : « وأنها لها الصدر » .

وقال الإمام المرزوقى (فى شرح الحماسة) ، وتبعه جميع شُرّاحها : فإنْ قيل : إنّ الفاء فى جواب الجزاء إنّما تجيء إذا خالفَ الجملةُ التى تكون جزاءً الجملةَ التى تكون شرطاً ، بأن تكون مبتدأً وخبرا ، فكيف يكون تقديرهما بعد الفاء هنا ؟ قلت : يكون التقدير : إن أهلِك [1] فالأمر والشأن ربَّ ذى حنق بهذه الصفة فعلتُ به كذا . فقوله ربّ ذى حنق خبر المبتدأ الذى أظهرناه . انتهى .

وفيه نظر من وجهين :

الأول : لا ينحصر وجوبُ اقتران الفاء بالجملة الاسمية الواقعة جوابا لشرط ، بل الحصر فى ستّ صور ، كما بيَّنها صاحب المغنى .

الثانى : أنَّ ربَّ لها الصَّدر ، لا تقع خبر مبتدأ أبدا ، إذ العامل فى الخبر هو المبتدأ ، ولم يسمع تقدُّم عاملٍ لها عليها . على أنّ قوله هذا لا يصحُّ مع قوله : إنّ مخَضْتُ فى البيت الآتى جوابُ ربَّ . فتأمّل .

---

(١) ش : « إن هلك » ، صوابه فى ط وشرح الحماسة التى يطابقها النص هنا تمام المطابقة .

والعجبُ من السيوطى حيث تبعه (فى شرح أبيات المغنى) فقال : قوله فذى حنق إلخ جواب الجزاء ، والتقدير : إن أُهلك فالأمر والشأن ربَّ ذى حنق .

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ من أبياتٍ ثمانيةٍ لربيعةَ بن مقرومٍ الضبى ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) ، وهى :

أبيات الشاهد

أخوك أخوكَ مَنْ يدنو وترجو مَوَّدتَهُ وإنْ دُعِىَ استجابا
إذا حاربتَ حاربَ مَن تُعادِى وزاد سلاحُـه منكَ اقترابا
وكـنتُ إذا قرينـى جاذَبَتْـهُ حِبَالِى مات أو تَبِع الجذابا
فإن أهلِكْ فذى حنق ... . البيت
مَخضتُ بدلوه حتَّى تحسَّى ذَنُوبَ الشَّرِّ ملأى أو قُرَابا
بمثلىَ فاشهَدِ النّجوَى وعالِنْ بىَ الأعداءَ والقومَ الغِضابا [1]
فإنّ المُوعِدِىَّ يرَوْنَ دونى أسودَ خَفِيَّةَ الغُلْبَ الرِّقابا
كأنَّ على سواعدهنَّ وَرْسًا علا لونَ الأشاجعِ أو خِضابا)

٢٠٣

قوله : « أخوك أخوك من تدنو » إلخ قال المرزوق : أخوك مبتدأ ، وكرِّر تأكيدًا ، ومن يدنو خبره . والمعنى : مُخالِصك فى الأُخوَّةِ والوّد مَنْ يقرُب مكانُه منك ، وتحسُن شفقته منك ، وإن استغثت به لملمَّةٍ أغاثك . ويجوز أن يكون مَنْ يدنو ، أرادَ به قُربَ النُّصح والشَّفقة ، لا تَقارُبَ الدارِ .

وقال ابن جنى : لك فى أخوك الثانى أن تجعله بدلاً ، وأن تجعله خبر الأوّل ، إنَّما يستحق أن تدعوَ الرجلَ أخاك إذا كان أخاك فى الحقيقة ، كقولك : فعلتُه إذ الناسُ ناسٌ ، ثم أبدل منه مَنْ يدنو . انتهى .

---

(١) هذا البيت وتالياه انفرد بروايتهما التبريزى ، ولم يروها المرزوق . وسينبه على ذلك البغدادى فى أواخر الشرح .

وقال التبريزى : ويجوز أن يجعل أخوك الثانىَ خبراً للأوّل ، كقوله :

فقلت له تجنَّبَ كلَّ شيءٍ يُعابُ عليكَ إنَّ الحُرَّ حرُّ

وأما قول الآخَر :

سلامٌ ، هى الدُّنيا قروضٌ ، وإنَّما أخوك أخوك المرتَجَى فى الشدائدِ

فهو مثل الأوّل . وإن شئت جعلتَ أخوك الثانى توكيدًا وجعلت المرتجى خبراً . وإن شئت جعلت أخوك خبرًا والمرتجى نعتاً له ، ويكون قوله من يدنو مِنَ البيانِ الداخلِ فى صفتهِ ، بدلاً من قوله أخوك الثانى . فهذا المعنى يحتمل أن يكون حثًّا على إكرام الغريب إذا نصَحَ ، كما قال الأعشى :

فإنَّ القريب من يقرِّبُ نفسَه لَعمرُ أبيك الخيرِ لا مَنْ تنسَّبا [1]

ويجوز أن يكون وَصاةً بالأخ المناسب ، وإخباراً أنّ المؤاخىَ بغير النسب لا يُنتفَع بإخائه . هذا كلامه .

وقوله : « إذا حاربتَ » إلخ قال المرزوقى : يجوز أن يكونَ هذا متَّصلا بما قبله ، والضمير فى حاربَ لأخوك ، ومَن تعادى مفعول حاربت . والمعنى إذا حاربتَ منْ تُعادِى حاربَ هذا المؤاخى معك ، وزاد نُصرتَه وعُدَّته منك قربًا ، مادمت محاربا . ويجوز أن يكون منقطعا مما قبله ، ويكون مثلاً مضروبا ، فيقول : إذا كاشفت عدوّك [2] بعثَهُ ذلك على مكاشفتك ، وازداد عُدّته من الكيدِ وغيرِهِ منك دنوًّا . وإذا جاملته وداجيته [3] بقىَ على ما ينطوى عليه مساتراً لا مجاهرًا .

---

(١) ديوان الأعشى : ٨٨ .

(٢) عند المرزوقى : « إذا كاشفت عدوك ، وأبديت صفحة ما تضمره من السوء له » .

(٣) المداجاة : المساترة بالعداوة . ط : « وراجيته » ، صوابه فى ش والمرزوقى .

وزاد التبريزى : أراد أنّك إذا حاربت قُربَ منك ومعه سلاُحه ، ليعينك . فذكر قُرب السلاّح ليدلّ على أنّه أراد إعانته على عدوّه . ولو ذكر أنّه بقرّب نفسه منه لم يدلَّ على ذلك ، لأنّه يجوز أن يقرب منه ولا يُعينه .

وقوله : « وكنت إذا قربني » إلخ يقول : إذا جاذبنى قرين لى حَبلاً بينى وبينه ، فإمَّا أن ينقطع دون شأوِى إلى الجذاب فيهلك ، وإمّا أن يتبع صاغرا فينقاد .

وقوله : (فإنْ أهِلك) إلخ هذا الكلام تسلٍّ عن العيش بعد قضاء حاجته وإدراك ثأره ؛ ولولا ما تسَهَّلَ له من ذلك لكان لا يسهل عليه انقطاع العمر ، ولو مات لمات بغُصَّة . فيقول : إن أمت فربّ رجل ذى غيظ وغضَب ، تكاد نار عداوته تتوقّد توقداً ، أنا فعلت به كذا .

٢٠٤

وقوله : « مخضت بدلِوه » إلخ هذا جوابُ ربّ . يقول : ربَّ إنسان هكذا أنا حرَّكت [(١)] بدلوه التى أدلاها فى الأمر الذى خُضنا فيه حتّى ملأتها . وجعل الدلو كنايةً عن السبب الذى جاذَبَهُ فيه ، والطَّمعِ الذى جرّأه عليه . قال : فتحسَّى دلو الشر مملوءةً أو قريبة من الامتلاء . وقُرَاب المَلءِ : أن يقارب الامتلاء . ويقال قُِراب ، بكسر القاف وضمها . والمعنى . جعلت شِرْبه من الشرّ شِرْباً مرُوِياً . فكأنَّ المراد أنَّ هذا المعادِىَ الممتلِئَ غَيظًا لمَّا ألقى دلوَه يستقى بها الماءَ من بئرى ، ملأتُها شرّا ، وجعلتُه سُقياهُ . والمخض ، بالخاء : تحريك الدلو فى البئر ليمتلئ . والذَّنوب : الدلو التى يكون لها ذَنَب ، وهى هنا مثل . يقول : جنيتُ عليه الشرّ حتى مَلّه .

وقوله : « بمثلي » هذا البيت وما بعده لم يقع فى أصل المرزوقى حتّى يشرَحَه أى جاهرْ بمثلى الأعداءَ وكاشفهم ليكفُّوا عنك ، فمِثْلِي يصلح لدفع المكاره .

---

(١) ش : « إذا حركت » ، صوابه فى ط والمرزوق .

وقوله : « فإن الموعدىَّ » قال التبريزى : يريد الغُلْب رقابا ، وانتصابه على التشبيه بالضارب الرجل .

وقوله : « كأن على سواعدهنّ » ، أى كأنَّ على سواعِدِ هذ الأسوِدِ الورسَ أو الخضاب ، من كثرة [ما افترست [1]] الفرائس . والأشاجع : عُروق ظاهر الكفّ ، والواحد أشجع .

وربيعة بن مقروم : شاعرٌ مخضرم ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الستمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثمانمائة [3] :

٨٠٧ (بل بلَدٍ ذى صُعُدٍ وأصبابْ)

على أنّ ربَّ المحذوفةِ بعد بَلْ ، تعمل الجرَّ فى الشعر .

و (البَلَد) : القَفْر . و (الصُّعُد) بضمتين . جمع صَعود بفتح أوّله ، وهو المرتفع من الأرض ، خلاف الهَبُوط . و (الأصباب) بفتح الهمزة : جمع صَبَب بفتحتين ، وهو ما انحدَر من الأرض .

صاحب الشاهد

والبيت من أرجوزةٍ طويلةٍ لرؤبة بن العّجاج ، ذكر فى أوّلها أنّ امرأتَه لامَتْه على كبره وعجزه ، لكثرة أسفاره ، ومدح نفسه بأشياء : منها أنّه لا يَسَفهُ على النّاس ، ولا يَحقِد عليهم . إلى أن قال :

---

(١) التكملة من ش وشرح التبريزى ٢ : ١١٩ .

(٢) الخزانة ٨ : ٤٣٨ – ٤٣٩ .

(٣) المغنى ١٣٨ والأشمونى ٢ : ٣٣٢ وأراجيز البكرى ١٦١ واللسان (صبب ٦) وديوان رؤبة ٦ .

أبيات الشاهد

(سَيعرِفون الحقَّ عند المِيجابْ دَعهْم سيَلقَوْنَ أَعَدَّ الحُسَّابْ
والأمر يقضَى فى الشَّقا للخُيَّابْ بل بلدٍ ذى صُعُدٍ وأَصبابْ
قطعتُ أخْشَاه بعَسْفٍ جوّابْ [١] بكلِّ وجناءَ وناجٍ هِرجابْ)

والمِيجاب بالجيم : الميعاد الذى وَجَب لهم . وأعدّ : أفعل تفضيل . والحُسَّاب : جمع حاسِب . والشَّقاء : خلاف السعادة . والخُيّاب ، بالضم : جمع خائب ، وهو الخاسر .

وقوله : (بل بلدٍ) الخ بل هنا للإضراب والانتقال ، وهذا يشبه الاقتضاب ، وهو انتقالٌ من كلامٍ إلى آخر من غير مناسبة ، وليست بل هنا عاطفةً كما زعم الشّارح .

ثم وصف البلدَ بصعوبة المسالك ، وكثرة المهاوِى والمهالك ، فى تسعة أبيات إلى أن قال : « قطعت أَخشاهُ » إلخ مِن قطعَ الطّريقَ بمعنى سلكه وتجاوزَ [٢]. وهو جواب ربّ.وأخشاه : أهولُه وأخوفه ، وهو أفعل تفضيل ، والضمير راجعٌ للبلد ، والباء فى قوله بعَسْفٍ متعلّقة بقطعت ، وهو مضاف إلى جوّاب . والعسف : سلوكُ الأرض على غير الجادَّة . والجَوَّاب : مبالغة جائب ، من جاب الأرض يجُوبها جَوبا ، إذا قطعها ، أراديه البعير .

٢٠٥

وقوله : « بكلِّ وجناء » الخ بدل من قوله بعسفٍ جوّاب.والوَجْناء : الناقة الشَّديدة . وناج : اسم فاعل من نجا ينجو نَجاءً ، إذا أسرعَ . والناجيةِ : الناقة السَّريعة تنجو بمن ركبها ، والبعير ناجٍ . والهِرجاب بالكسر والجيم : البعير الطويل الضّخم ، وكذلك النّاقة .

(١) ش : « قطعت أحشاه » بالحاء المهملة ، هنا وفى الشرح التالى ، وصواب الرواية هنا بالخاء المعجمة كما هو مقيد فى شرح البغدادى .
(٢) كذا فى النسختين ، بدون هاء الضمير .

وترجمة رؤبة تقدّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثمانمائة [٢] :

٨٠٨ (وليلةِ نحسٍ يَصْطَلِى القوسَ ربُّها وأقطُعَهُ اللاَّتى بها يَتَنَبَّلُ)

على أنّ واو ربّ إن كانت فى أثناء القصيدة فهى للعطف على سابقٍ كهذا البيت ، فإنَّه من أواخر قصيدة لاميّة للشَّنفرَى ، والواو فيه للعطف ، والمعطوف عليه متقدِّم عليه بثلاثة وثلاثين بيتا .

وينبغى أوّلاً أنْ نُبيّن المعطوفَ قبل المعطوف عليه ، فنقول : إنّ ليلةٍ مجرورة بربَّ المحذوفةِ ، وهى حَرفٌ زائدٌ صناعةً عند الجمهور ، لا يتعلّق بشىء ، وجوابُها أوّل البيت بعدها ، وهو :

أبيات الشاهد

(دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وصحبتى سُعارٌ وإرزيزٌ ووَجْرٌ وأفكَلُ
فأيَّمتُ نسواناً وأيْتمْتُ إلدةً وعُدْتُ كما أبدأتُ والليلُ ألْيَلُ)

فدَعَسْتُ هو جواب ربّ . قال الخطيب التِّبريزى فى شرحه : دعَسْت : دفعت دفعاً بإسراع وعجلة . يقول : سرَيْت على هذه الحال ، فَليلةٍ مجرورةٌ لفظاً منصوبة محلاًّ على الظرفية لدعَسْت ، أى سريت ليالىَ كثيرة من مثل هذه الليلة . ولا يجوز أن يكون مفعولاً به لدعست ، لأنّه فعل لازم .

وهذه الصورةُ خارجةٌ عن قول ابن هشام (فى المغنى) إنّ مجرور ربَّ فى نحو : ربّ رجلٍ صالح عندى ، رفعٌ على الابتداء ، وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

(٢) الشاهد من لامية العرب المشهورة .

لقيت ، نصبٌ على المفعوليّة ، وفى نحو : ربَّ رجلٍ صالح لقيته رفع أو نصب كما فى : هذا القيته . انتهى .

فليلةِ ظرفٌ لدعست ، وقُدِّمت عليه لأنَّها جُرّت برب الواجبة التصدُّر . فالمعطوفُ [١] بالواوِ هو دعستُ لا ليلة ، لِمَا بيَّنَّا . وجملة دعستُ إحدَى[٢] الجمل المعطوفات ، والمعطوف عليه بعد عشرين بيتاً من أوّل القصيدة ، وهو :

(أُدِيمُ مِطالَ الجُوع حتَّى أُمِيتَه وأَضرِبُ عنه الذِّكرَ صفحاً فأُذهَلُ)

وأُديم هو المعطوف عليه عدّة جملٍ من أحوال افتخَرَ بها الشاعرُ ، ساقها مسَاق المباهاة بها والتمدُّح .

أولها : افتخاره بصبره على الجوع ، وهو خمسة أبيات .

ثانيها : افتخارِه بما يسدُّ الرمق من القُوت ، وهو عشرة أبيات أولها : « وأغدو على القُوت الزَّهيد » .

ثالثها : افتخاره بسبقِه القطَا إلى المنهَل ، وأنَّها لا تشرب إلاّ سُؤْره ، وهو ستّة أبياتٍ أولها : « وتشرب أسارى القطا » .

رابعها : افتخاره بأنه إذا نام لا فراشَ له إلاَّ الأرضُ ، ولا وسادةَ له إلاَّ ذراعُه ، مع استطراد شيءٍ آخر ، وهو تسعة أبيات أوَّلها :

* وآلَفُ وجهَ الأرض عند افتراشها *

خامسها : افتخاره بأنّه لا يجزع من فَقْرٍ ، ولا يَبطَر من غِنًى ، وهو ثلاثة أبيات ، وهى : ٢٠٦

(١) ش : « كالمعطوف » ، صوابه فى ط .

(٢) فى النسختين : « أحد » .

(وأُعدِمُ أحيانًا وأغْنَى وإنّما يَنالُ الغِنى ذو البُعْدَةِ المتبذِّلُ
فلا جَزِعٌ من خُلَّةٍ متكشِّفٌ ولا مَرِحٌ تحت الغِنَى أتخيَّلُ
ولا تَزدِهى الأجهالُ حلِمِى ولا أُرى سَؤُولاً بأعقاب الأقاويل أُنمِلُ)

* وليلةِ نحسٍ يصطلى القوسَ رُبُّها *

فإن قلت : لم عطفتَ على الأبعد ولم تعطفْه على الأقرب ؟ قلت : الأصل فى المعطوفات أن تُعطف على الأوّل ما لم يكن مانعٌ ، كأنْ يكون العاطف حرفا مُرتِّبا كالفاء وثُمَّ ، وحينئذ يكون العطف على الأقرب .

فإن قلت : إنّ جملة أديم استئنافيَّة لا محلّ لها من الإعراب ، فأىُّ تشريك للعاطف بالعطف عليها ، إذ التابع كلُّ ثانٍ أعرِبَ بإعرابِ سابقِه من جهةٍ واحدة ؟ قلتُ : هذا فيما إذا كان للمعطوف عليه إعراب ، وأمّا إذا لم يكن له إعراب فهو ما قاله السيِّد (فى شرح المفتاح) : فائدة العطفِ بالواو فيما لا محلَّ له من الإعراب هى التشريكُ والجمعُ بين مضمونَى الجملتين فى التحقُّق بحسب نَفْس الأمر .

فإن قلتَ : اجتماعُهما واشتراكهما فى ذلك التحقُّق معلومٌ بدون الواو ، لدلالة الجملتين على تحقُّق مضمونهما فى الواقع ، فيجتمعان فيه قطعاً . قلت : ما ذكرتَه إنّما هو بدلالة عقلّيةٍ ربَّما لم تكن مقصودةً ، فبالعطفِ يتعيَّن القصد إلى بيان الاجتماع ، وتتقوَّى الدلالة العقليَّة بالوضعيَّة ، ويندفع أيضاً توهُّم الاضراب عن الجملة الأُولى إلى الثانية . انتهى .

وقال فى الهامش أيضًا ما نصُّه : يعنى أنّك إذا قلت : زيدٌ قائم وعمروٌ قاعد [1] فقد دلَّ الجملتان على تحقُّق مدلوليهما فى الواقع ، فيُفهم اجتماعُهما فيه

---

(١) ش : « قائم وقاعد » ، صوابه فى ط .

بلا حاجةٍ إلى الواو . فأجاب بأنَّ هذه دلالةٌ عقليّة يجوز أن تكون مقصودة وأن لا تكون ، فإذا أُتى بالواو تعيَّن القصد وتأيَّدت الدَّلالة ، فاندفع توهُّم الإضراب فيما يحتمله ، فكأنّه قيل : اجتمع قيامُ زيد وقعود عمرو فى الواقع . ومنهم من جَعَلَ دفْعَ توهُّمِ الإضراب هو المقصُود الأصلىُّ من العطف فى هذا الباب . وليس بذاك . فإذا قيل : اكسُ زيدًا وأطعِمْه ، كان المعنى : اجمَعْ بينهما . فتأمَّلْ . انتهى .

وقد خلا (المغنى) وشروحه عن هذه الفائدة ، ومحلُّها هى الجملة التابعة لجملةٍ لا محلَّ لها من الإعراب .

وجوَّز الزمخشرىُّ وغيره (فى شرح هذه القصيدة) أن يكون جملة أديم خبر مبتدأ محذوف ، أى أنا أديم.وعليه فلا إشكال .

وقد شرحنا ثمانية أبياتٍ من أوَّل هذه القصيدة فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) وقد شُرِح أربعة أبيات أُخَرَ بعدها فى الشاهد السادس والعشرين بعد السبعمائة (٢) . وقد شُرِح البيت المعطوف عليه مع خمسة أبياتٍ فى الشاهد الخامس والعشرين بعد السبعمائة .

وبيت « وتشرب أسآرى القَطا » . قد شُرِح مع خمسة أبياتٍ فى الشاهد السابع والخمسين بعد الخمسمائة (٣) .

ولنشرحْ هنا هذه الأبياتَ الستة فنقول :

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٤١ – ٣٤٣ .
(٢) الخزانة ٩ : ١٩٧ – ٢٠٠ .
(٣) الخزانة ٧ : ٤٤٧ – ٤٥١ .

قوله : « وأُعدِم أحياناً » إلخ أعدَم الرّجُل يُعدِمُ إعداماً ، إذا افتقرَ ، فهو مُعدِم وعديم . وأَغْنَى مِن غنِيَ من المال غِنىً ، من باب رضى . قال الزّمخشرى : أعدم الرجلُ بالألف ، إذا صار ذا عُدْم ، كأجرب الرجل صار ذا إبل جَرْبَى . وعَدِم متعدّ ، وهذا عكسُ القاعدة . وفيه نظر . والبُعْدة ، قال الزمخشرى : بضم الباء وكسرها : اسمٌ للبُعد ، يقال بيننا بعدةٌ من الأرضِ والقرابة . والمتبذِّل : الذى لا يصون نفسه . ٢٠٧

وقوله : « فلا جزِعٌ » إلخ هذا تفريعٌ ممّا قبله ، وجَزِعٌ خبر مبتدأ ، أى أنا جزع . والخَلّة بفتح المعجمة : اختلال الحال بالفَقْر . والمتكشِّف : الذى يَظهَرُ فقرُه . والمَرِح ، بكسر الراء : الشديد الفرح . والتخيُّل : التكبُّر . وتحت ظرفٌ لمرح ، ويجوز أن يكون لأتخيَّل .

وقوله : « ولا تزدهِى الأجهال » إلخ الازدهاء : الاستخفاف . والأجهال : جمع جَهِل ، وهو قليل ، والكثير جَهُول . والحِلم ، بالكسر : الأناة والوقار . ولا أُرَى بالبناء للمفعول ، من رؤية العين . وسَؤُولاً : حالٌ ، أى ذو سؤال ، وجملة أُنْمِلُ صفة لسئوول ، والباء متعلقة بأُنْمِل.يقال : أنمَلَ الرّجلُ إنمالاً إذا نَمَّ ونَقَلَ الكلامَ على وجه الإفساد . والنُّمْلَة ، بالضم : النَّميمة .

وقوله : (وليلة نحسٍ) إلخ النحس : ضدُّ السَّعد . قال الخطيب التّبريزى والزّمخشرى : أراد به البَرْد . وجملة يصطلى القوسَ ربُّها فى موضع الصفة لليلة ، وربُّها أى صاحبها فاعلٌ مؤخَّر . والقوسَ منصوبٌ بنزع الخافض ، لأنّه يقال اصطليت بالنار ، فهو على حذف مضافٍ أيضا ، أى يَصطلى بنار القوس . والقوس مؤنّثٌ سماعىّ ، ولذا أعاد ضميرَها مؤنّثا . والاصطلاء هو التدفُّؤ بالنار ، وهو أن يجلس البَردانُ (١) قريباً منها لتصلَ حرارتُها إليه . و (أقطُعَه) بالنصب

(١) لم أجد من نص على هذه الصفة من أصحاب المعاجم المتداولة .

عطفاً على القوس ، وهو جمع قِطْع بكسر القاف وسكون الطاء ، وهو سهمٌ يكون نصلُه قصيراً عريضا . و (يتنبَّل) : يرمى بها . وإذا اصطلى الأعرابىُّ بقوسه وسِهامه لشدّة البرد فليس وراءَ ذلك فى الشِّدّة شيء .

وقوله : « دعستُ على غَطْش » إلخ الغَطْش ، بفتح المعجمة وسكون المهملة هو الظُّلمة ، من قوله تعالى : ﴿ وأغطَش لَيْلها [1] ﴾ أى أظلمه . والبَغْش بفتح الموحدة وسكون المعجمة : المطر الخفيف . وجملة « وصحبتى سُعار » إلخ حال من التاء فى دَعست . والصُّحبة بالضم : مصدر صَحِبه يصحَبُه ، وأراد به الصاحب . والسُّعار بضم السين المهملة بعدها عين مهملة ، وهو حرٌّ يجده الإنسان فى جَوْفه من شدة الجوع والبرد . والإرزيزُ بكسر الهمزة وسكون المهملة ، قال صاحب الصحاح : هى الرِّعدة . وقال التبريزى : إرزيز إفعيل ، يكون من شيئين من الارتزاز أى الثبوت ، يريد أنّه يجمد فى مكانه من شدة البرد ، ومن الرِزّ ، وهو صوت أحشائه من الشدَّة . والوَجْرْ ، بفتح وسكون الجيم بعدها راء مهملة ، قال التبريزى : هو الخَوْف ، ومنه يقال أنا أوجَرُ منه ، أى أخْوَف منه . ووجِرْتُ منه بالكسر ، أى خِفت . والأفكل : أفَعل . قال صاحب الصحاح : هى الرِّعدة ، ولا يبنى منه فعل ، يقال أخذه أفكلٌ ، إذا ارتعد من بَرد أو خوف ، وهو منصرف ، فإن سمَّيت به رجلا لم تصرفه فى المعرفة للتعريف ووزن الفعل وصرَفته فى النكرة . وعلَى هذا فمعنى الإرزيز ما ذكره التبريزى . قال الزمخشرى : وموضع « ليلة نحس » نصب بدعست أى دَعست فى ليلة نحس . ويجوز أن يكون دعست صفةً لليلة والعائد محذوف ، أى دعست فيها ، ويكون جواب ربَّ محذوفا وهو تعمَّدت أو قَصدت . و « على غَطْش » موضعه حال ، أى داخلاً فى ظلمة ومطر .

---

(١) الآية ٢٩ من النازعات .

وقوله : « فأيَّمتُ نِسواناً » هو معطوف على دَعست ، أى جعلت النساء أيامَى ، جمع أيِّم كسيّد ، وهى التى لا زوجَ لها . و « أيتمت إلدة » أى جعلت الأولاد أيتاما . يريد أنّه قتل أزواج النساء وآباءَ الأولاد . وإلدة ، بكسر الهمزة أصله ٢٠٨ وِلدة ، جمع وليدٍ ، وهو الصبىّ . قاله صاحب الصحاح .

قال التبريزى : يقال وِلْدةٌ وإلدة ، إذا كانت الواو مكسورة قلبتها همزة مكسورةً إن شئت وكذلك إذا كانت الواو مضمومةً قلبتها همزة مضمومة ، كما قالوا فى وُجوه أُجوه. فهذا مطَّرد فيها . انتهى .

وقال المُعْرب [١] : إبدال الواو المكسورة همزةً قليلٌ غير مطّرد ، بخلاف المضمومة .

وقوله: « وعُدْتُ كما أبدأت » قال التبريزى : أبدأت : ابتدأت ، يقال من أين أبدأ الرّكبُ ، أى من أين ابتدأ وطلَع . وأليَلُ : ثابت الظُّلمة جدًّا مستحكِم . يقال نهار أنهَرُ ، وشهرٌ أشهَرُ ، ودهرٌ أدْهَرُ إذا كمل . انتهى . وقال صاحب الصِّحاح : وليلٌ أليَلُ ، أى شديد الظلمة . قال المعرِب : الكاف فى كما نعتٌ لمصدر محذوف ، وما مصدرية أى عدت عوداً كإبدائى . وجملة والليل أليل حالٌ من التاء فى عُدت .

والشَّنفرَى : شاعرٌ جاهلى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين [٢]

* * *

(١) أى معرب لامية العرب ، ولم يصرح باسمه كما سبق فى ٩ : ١٩٢ ، ٢٠٠ ، ولعله العكبرى فإن له شرحا على اللامية ومنه مخطوطتان بدار الكتب المصرية .

(٢) الخزانة ٣ : ٣٤٣ — ٣٤٥ .

وأنشد بعده :

(أشارت كُليبٍ بالأكُفِّ الأصابعُ)

على أنّ كليبا مجرور بإلى محذوفةٍ ، وهو شاذ . وهذا عجزٌ وصدرُه :

* إذا قيل أيُّ الناسِ شرٌّ قبيلةً *

وتقدّم شرحه مفصّلا فى الشاهد السادس بعد السبعمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(تبيَّنَنْ ها لَعَمْرُ اللهِ ذا قسماً)

على أنَّه إذا جيء بها التنبيهِ [٢] بدلاً من حرف القسم فلابدَّ من مجيء « ذا » بعد المُقْسَمِ به ، سواء كانت لفظة الجلالة مفردةً مجرورة بالحرف المقدّر ، نحو : لاها اللهِ ذا ، وإى ها اللهِ ذا ، أى واللهِ فيهما ، أو كانت مجرورة بإضافة لَعَمْر إليها نحو :

* تبيَّنَنْ ها لعمرُ اللهِ ذا قسماً *

قال سيبويه (فى باب ما يكون [ما [٣]] قبل المحلوف به عوضاً من اللفظ بالواو):قولك : إى ها الله ذا ، تثبت ألف ها ؛ لأنَّ الذى بعدها مدغَم ، ومن العرب من يقول : إى هالله ذا ، فيحذف الألف التى بعد الهاء ، ولا يكون فى المقسَم به إلاّ الجّر ؛ لأنَّ قولهم : ها صار عوضاً من اللفظ بالواو ، فحذفت

(١) الخزانة ٩ : ١١٣ - ١١٨ .

(٢) ش : « بهاء التنبيه » ، صوابه فى ط .

(٣) التكملة من ش وسيبويه ٢ : ١٤٥ .

تخفيفا على اللسان . ألا ترى أنَّ الواو لا تظهر ههنا كما تظهر فى قولك : واللهِ . فتركُهُم الواوَ البتّةَ يدلُّكَ أنَّها ذهبَتْ من هذا تخفيفا على اللسان ، وعوضت منها ها [(١)] . ولو كانت تذهب من هنا كما تذهب من قولهم : اللهِ لأفعلنَّ ، إذاً لأدخلتَ الواو . وأمّا قولهم ذا فزعم الخليل أنّه المحلوف عليه ، كأنه قال : إى واللهِ للأمرُ هذا ، فحُذف الأمر لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم ، وقدم ها كما قدَّم قوم ها هو ذا ، وها أناذا . وهذا قول الخليل . وقال زُهَير :

تعلَّمَنْ ها لعَمْرُ اللهِ ذا قسماً فاقصِد بذَرْعِك وانظُرْ أين تنسلِكُ

ومن ذلك قولهم : آللهِ لتفعلّن ، صارت الألف ههنا بمنزلة ها ثَمَّ . ألا ترى أنّك لا تقول أَوَ اللهِ، كما لا يقولون : ها واللهِ ، فصارت الألف ههنا وها يعاقبان الواو ، لا يثبتان جميعا [(٢)] . وقد تُعاقِب ألفُ اللام حرفَ القسم ، كما عاقبته ألف الاستفهام وها ، فتظهر فى ذلك الموضع الذى يسقط فى جميع ما هو مثله للمعاقبة ، وذلك قولك : أفأللهِ لتفعلّن . ألا ترى لو قلت [(٣)] أفوَ اللهِ ، لم تثبت [(٤)] ؟ وتقول : نَعَم اللهِ لتفعلّن وإى اللهَ لتفعلّن ، لأنهما ليسا ببدل . ألا ترى أنّك تقول : إى واللهِ ونَعَمْ واللهِ . ٢٠٩

انتهى كلامُ سيبويه ، وإنّما نقلناه برُمّته لتعرف ما فى كلام الشارح من الخلل .

قال الأعلم : الشاهد فيه تقديم « ها » التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما بقوله « لَعَمْرُ اللهِ » ، والمعنى : تعلّمَنْ لعمر الله هذا ما أُقسِمُ به . ونصب قسماً

---

(١) ش : « هاء » .

(٢) فى سيبويه : « ولا يثبتان جميعا » .

(٣) سيبويه : « ألا ترى أنك إن قلت » .

(٤) فى النسختين : « لم يثبت » ، وأثبت ما فى سيبويه .

على المصدر المؤكِّدِ ما قبله ، لأنَّ معناه أقسم ، فكأنَّه قال : أُقسم لعمر الله قسماً . ومعنى تعلَّمنْ اعلْم ، ولا يستعمل إلاّ فى الأمر . وقوله : فاقصِدْ بذرعك ، أى اقصِدْ فى أمرك ولا تتعدّ طَوَرك [١] . ومعنى تنسلك : تندخل . يقول هذا للحارث بن وَرْقاء الصَّيدَاوىّ ، وكان قد أغار على قومه وأخذ إبلاً وعُبُداً ، فتوعَّده بالهجاء إنْ لم يردَّ عليه ما أخذ منه .

وقد تقدَّم شرح هذا مفصَّلا فى الشاهد الثانى عشر بعد الأربعِمائة [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٨٠٩ . (فقلتُ يَمِينَ اللهِ)

هو قطعة من بيت وهو :

(فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسى لَدَيكِ وأوصالى)

على أنّ (يمين الله) روى مرفوعا ومنصوبا بالوجهين . أما الرفع فعلى الابتداء والخبرُ محذوف ، أى لازمى ونحوُه . وأمَّا النصب فعلى أنّ أصله : أحلف بيمين الله ، فلمّا حُذف الباء وصلَ فعلُ القسم إليه بنفسه ، ثم حُذف فعل القسم وبقىَ منصوباً به .

---

(١) ش : « تبعد طورك » ، صوابه فى ط .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٥١ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٤٧ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٢٦ وأصول ابن السراج ١ : ٥٢٩ والجمل ٨٥ والخصائص ٢ : ٢٨٤ وابن الشجرى ١ : ٣٦٩ وابن يعيش ٧ : ١١٠ / ٨ : ٣٧ / ٩ : ١٠٤ والمغنى ٦٣٧ والعينى ٢ : ١٣ والتصريح ١ : ١٨٥ والهمع ٢ : ٣٨ والأشمونى ١ : ٢٢٨ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

وأجاز ابنا خروف وعُصفورٍ أنْ ينتصبَ بفعل مقدَّر يصلُ إليه بنفسه ، تقديره أُلزمُ نفسى يمينَ الله . ورُدَّ بأنّ أُلزِمُ ليس بفعل قسم ، وتضمين الفعل معنى القسم ليس بقياس .

وجوَّز النحاس خفضَه أيضاً بالباء المحذوفة . ولم يذكر ابن مالك (فى تسهيلِهِ) فى نحو هذا إلاّ النصب ، قال : وإن حُذِفا معاً نصب المقسَم به . يعنى إنْ حُذِف فعلُ القسم وحرفُ الجر نُصب المقسَم به . وهو أعمُّ من أن يكون المقسَم به لفظ الجلالة أو غيرها .

قال الأعلم : النصب فى مثل هذا على إضمار فعلٍ ، أكثَرُ فى كلامِهم من الرَّفع على الابتداء . وأنشدُه سيبويه بالرفع وقال : هكذا سمعناهُ من فصحاء العرب .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، مطلعها :

* ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطّللُ البالى *

وقد شرحنا من أوَّلها فى الشاهد الثالث من أول الكتاب [1] عشرين بيتا إلى قوله :

أبيات الشاهد

(سموتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها ... سُموَّ حَبابِ الماء حالاً على حالِ
فقالت : سَباكَ اللهُ إنّك فاضِحِى ... ألسْتَ تَرى السُّمَّارَ والنّاسَ أحوالِي
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... . البيت)

والسموّ : العلو ، وأراد به النهوض . يقول : جئتُ إليها ليلاً بعد ما نام أهلُها . والحَبابَ ، بالفتح : النُّفّاخات التى تعلُو الماء ، وقيل الطرائق التى فى الماء كأنّها الوشْى . وسَبَاكَ : أبعدَك وأذهبَك إلى غُربة . وقيل : لعنَك الله . وقال

---

(١) الخزانة ١ : ٥٦ — ٦٩ .

أبو حاتم : معناهُ سَلَّط الله عليك مَن يَسْبيكَ . والسُّمَّار : المتحدِّثون بالليل فى ضَوء القمر ، جمع سامر . وأحوالى : فى أطرافى .

وقوله : (أبرح قاعدًا) أى لا أبرح قاعدًا . فلا محذوفة من جواب القسم باطِّراد ، كما يأتى فى الشرح . وروى أيضاً :

* فقلت يمينَ الله ما أنا بارحٌ *

فلا حذف . وروى أيضا :

* فقلت لها تالله أبرحُ قاعدًا *

٢١٠

فلا شاهد فيه هُنا وإن كان فيه شاهدٌ من جهة حذف لا . وبه أورده ابن هشام (فى المغنى) و (شرح الألفية) .

وأبرح فعل ناقص ، وقاعدًا خبره . والأوصال : المفاصل ، وقيل مجتمع العظام . وجمعُ وِصْل بكسر الواو وضمها : كلُّ عظم لا ينكسر ولا يختلط بغيره . كذا فى القاموس .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(كِلاَ مَركبيها تحتَ رِجلَيكَ شاجِرُ)

أورده مثَلاً لاستبعاد أن يكون همزة أيمن فِي الأصل مكسورة ، ثم فتحت تخفيفا ، إذ هو مشكل ، سواء قدّرتَها زائدةً أم أصليَّةً . فإنْ قدَّرتَها زائدة لزم أن

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

يكون وزن إيمن إفعُلاً بكسر الهمزة وضم العين ، وهذا الوزن غير موجود ، لا فى الأسماء ولا فى الأفعال . وإن قدَّرتها أصلية لزم أن يكون وزنه فِعْلُلاً بكسر الفاء وضم اللام الأولى ، وهذا الوزن أيضا غير موجود كذلك . فهو مشكلٌ على كلِّ اعتبار ، فلا يصح فرضُ كونها مكسورةَ فى الأصل .

ويجب أن تكون همزةَ وصل أصلها السكون ، كما هو أصل كلّ همزة وصل ، فإذا احتيج إلى تحريكها بأن يبتدأ بها فى النُّطق حرِّكت بالكسر لدفع أصل التخلص من التقاء الساكنين . وكذلك همزة أيمن وضعت ابتداءً ساكنة فى الدَّرج ، ولمَّا ابتدىءَ بها حركت بالكسر ، ثم عرض لها كثرة الاستعمال ففتحت تخفيفا .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدرُه :

(فأصبحتَ أنَّى تأتِها تبتئسْ بها)

وهو من شعرٍ للبيد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث عشر بعد الخمسمائة [(١)]. يقول : من أىِّ جانبٍ أتيتَ هذه الناقة ، وجدت كِلا مركبَيْها شاجراً ، دافِعاً لك . و (تبتئس) يصبك منها بؤس ، أى كيفما ركبتَ منها التبس عليك الأمر . و (شاجر):ملتبس . ومَركباها : ناحيتاها اللتان تُرام منهما . يريد أنّها شموسُ إذا ركبها الراكبُ رمَته عن ظهرها . يخاطب رجلاً بأنّك ركبتَ أمراً لا خلاصَ لك منه ، فأنت بمنزلة من ركب ناقةً صعبة ، لا يقدِرُ على النُّزول عنها سالماً ، لأنَّ رجليه قد اشتبكا برِكابَيْها ، وكلا مركبيها لا يستقرُّ عليه ، إن ركبَ على مَركبها المقدَّم وهو الرَّحْل وجدَه مَركباً صعبا ، وإن ركب على مَركبها المؤخَّر وهو الكَفَلُ مال به وصرعَه .

* * *

(١) الخزانة ٧ : ٩١ – ٩٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثمانمائة [١] :

٨١٠ (بِدينِكَ هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى)

على أنّ جوابَ قسم السؤال يكون استفهاماً . فإنَّ قوله (هل ضممت) إلخ جوابُ القسم الذى هو قوله (بدينك) ، وهو قسم سؤال ، ويقال له القسم الاستعطافى ، يُستعطف به المخاطب [٢] .

وفى جَعله هذا قَسَماً تابعٌ لابن مالك . قال أبو حيّان : لا نعلم أحداً ذهب إلى تسمية هذا قسَما إلاّ ابنَ مالك . وفى بعض شروح الكتاب ، وقد ذكر عَمرَّتك وعَمرَك وقِعْدَك وقَعِيدك ما نصُّه : وزعم بعض النحويِّين أنّ هذه أقسام . فابنُ مالك وافق مَنْ قال بذلك . وأمَّا أصحابنا فالجملة القسَمية لا تكون إلاّ خبرّيةً عندهم . انتهى .

ويؤيّده أنّ ابن جنى قال : القسم جملة إنشائية يؤكَّد بها [٣] جملةٌ أخرى . فإنْ كانت خبرية فهو القسَم لغير الاستعطاف ، وإن كانت طلبية فهو الاستعطاف . انتهى .

٢١١

وأغرب ابنُ عصفور فى قوله (فى شرح الجمل الصغير) : والقسم كلّ جملة أُكِّد بها جملةٌ أخرى ، كلتاهما خبرية .

والصواب أنّ جملة القسم إنشائية لا خبريّة [٤] كما قال ابن جنّى وغيره . واعتُذِر عنه بأنَّ مراده أنّ الجملتين إذا اجتمعتا كان منهما كلامٌ محتملٌ للصدق والكذب .

---

(١) ديوان المجنون ٢٨٦ والأغانى ١ : ١٦٩ والمنصف ٣ : ٢١ وابن يعيش ٩ : ١٠٢ والمغنى ٥٨٤ .

(٢) ش : « تستعطف به المخاطب » .

(٣) فى ط : « يؤكدها » ، صوابه فى ش . وسيأتى قوله : « قد أكد بها جملة أخرى » .

(٤) ط : « لا جوابية » ، صوابه فى ش .

ثم قال ابن عصفور بعد تعريفه : فإذا جاء ما صورتُه كصورة القسم وهو غير محتمل للصّدق والكذب حُمِل على أنّه ليس بقسَم ، نحو قول الشاعر (١) :

بالله ربِّكَ إنْ دخلتَ فقل له هذا ابنُ هَرْمة واقفاً بالبابِ

وقول الآخر :

بدينكَ هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلى وهَلْ قَبَّلتَ قبلَ الصُّبح فاها

قال : فلا يكونُ مثلُ هذا قسماً ، لأنَّ القسم لا يُتصوَّر إلا حيثُ يتصوَّر الصِّدق والحِنْث .

وقال (فى شرح الإيضاح) : وأما هذان البيتان فليسا بقَسَمين ، لأن الجملتين غير محتملتين للصِّدق والكذب ، وإنّما المراد بهما استعطافُ المخاطَب ، والتقدير : أسألك بدينك ، وأسألك بالله . إلاّ أنَّهم أضمروا الفعلَ لدَلالةِ المعنى عليه . وقد يحذفون الباء وينصبون فى الضَّرورة ، نحو قوله :

أقُول لبوّابٍ على باب دارِها أمِيرَكَ بلِّغهــا السّلاَم وأبشرِ

قال : ويدلُّك على أن قولك : باِلله هل قامَ زيد ، وبالله إن قام زيد فأكرمْه ، وأشباهه ليسَ بقسم ، ثلاثةُ أشياء :

أحدها : أنّه لم يجئْ فى كلام العرب وقوعُ الحرف الخاصّ بالقسم نحو التاء والواو موقع الباء ، فلم يقولوا : تا لله هل قام ، ولا : والله إن قام زيد فأكرمْه .

ثانيها : إنّهم إذا أظهروا الفعل الذى يتعلق به الباء لم يكن من أفعال القسم ، لا يقال : أقسم بالله هل قام زيد .

---

(١) هو ابن هرمة ، كما يفهم من نص الشعر . انظر ديوان ابن هرمة ٦٧ والصناعتين ٦٨ وابن يعيش ٩ : ١٠١ وشروح سقط الزند ٤٢٤ ورصف المبانى للمالقى ١٤٦ .

ثالثهَا : أن القَسم لا يخلو من حِنث أو بِرّ ، ولا يصحُّ ذلك إلّا فيما يصح اتصافه بالصِّـدق والكذب . انتهى .

وقوله : « إنَّ مثل هذا استعطاف وليس بقسم » هو الظاهر ، ولا شكَّ أنَّ كونه قسماً غير مذُوق ، لكن كلام ابن هشامٍ ظاهرهُ يعطى أنّه سمَّاهُ قسماً استِعطافيا ، وذلكَ أنّه لما ذ كر قول أبى على « القسم جملة يؤكَّد بها الخبر » قال : ليس كلُّ قسمٍ يؤكِّد الخبر ، وقد تقدَّم أنَّ الباء يُقسَمُ بها على جهة الاستعطاف ، نحو : باللهِ أحسنْ إلىَّ . قال : ومنه أقسمت عليك لتفعلنَّ كذا ، وأقسمت عليك إلَّا فعلت ، وأقسمتُ عليك لمَّا فعلتَ . قال سيبويه : وسألت الخليل عن قولهم : أقسمت عليك لمَّا فعلت ، وإلاَّ فعلت ، لم جاز هذا فى هذا الموضع ، وإنَّما أقسمت هنا كقولك واللهِ ؟ فقال : وجه الكلام لتفعلنَّ ، ولكنَّهم أجازوا هذا لأنّهم شبهوه بنَشدْتك الله ، إذ كان فيه معنى الطلب . يريد أنَّ العرب تقول : نَشَدْتك الله إلاّ فعلت ، ومعناه سألتك بالله ، وقالوا : إلاَّ فعلَت بمعنى إلاّ أن تفعل ، وتحقيق المعنى : لا أطلب منك إلاّ أنْ تفعل ، فدخلها معنى النفى ، فصلحت (إلاّ) لذلك . وتقول فى الاستفهام : آللهِ لَتقومَنَّ . قال : فكلُّ هذا ليس بتأكيد ، ولذلك تستفهم بعد اليمين فتقول : باللهِ أقام زيد ؟ لأنَّ المعنى هنا أخبرنى . قال : وقد مَنَع من هذا أبو على فقال : لا يجوز فى القسم الذى هو استعطافٌ فى الحقيقة : تاللهِ هل قمتَ ، لأنّه ليس بمقسم . انتهى كلامه . ٢١٢

ومقتضاه إن القسَم قَسَمان قسم يُقَصد به التوكيد ، وقسم يُقصَد به الاستعطافُ والسؤال . وفى تسمية ما يقصد به الاستعطاف قسماً نظر ، وكيف يتصور قسمٌ دون جوابٍ لا ملفوظ به ولا مقدَّر . ولهذا سأل سيبويه بأنّ أقسمت يقتضى جوابا ، ولمَّا فعلتَ ليس بجواب ، فكيف جاز ؟ وأجابه الخليل بأنَّهم شبهوه بنشدتك الله ، إذ كان فيه معنى الطلب . فأفاد أنَّ القسم ليس بمراد فى المشبَّه كما أنَّ ذلك غير مرادٍ فى المشبَّه به .

فما ذكره ابن عصفور أقرب ، وهو كلام أبى علىّ كما ظهر من نقل ابن هشام .

واعلمْ أنّه يقال نشدتك بالله ونشدتك اللهَ على نزع الخافض والنصب ، ومعناه سألتك بالله وطلبت منك به ، لأنّهم يقولون : نشد الرجل الدابّةَ إذا طلبها ، فهو فعلٌ لازم .

وقال ابن مالك (فى شرح التسهيل) : معنى قول القائل نشدتك الله : سألتك مذكّراً الله . ومعنى عمَّرتك الله : سأَلتُ الله تعميرك [١] ، ثم ضمّنا معنى القسم الطلبى .

قال أبو حيان (فى شرحه) : إنْ عنى المصنفّ أنّه تفسير معنىً لا إعرابٍ فممكن ، وإنْ عنىَ أنّه تفسير إعرابٍ فليس كذلك ، بل نشدتك الله انتصابُ الجلالة فيه على إسقاط الخافض ، فنصبه ليس بمذكِّر [٢] . وأمّا عمرتك الله فلفظ الجلالة فيه منصوب بإسقاط الخافض أيضا ، والتقدير : عمَّرتك بالله ، أى ذكّرْتُكَ تذكيراً يَعمُر القلب ولا يخلُو منه . انتهى .

ولا يخفى أنّه أراد تفسيرهما لغة قبل أن يضمَّنا ما ذكره . وقوله : « ثم ضمِّنا » ، يدفع أن يكون أراد تفسير الإعراب .

وعمَّرتك الله بتشديد الميم . واستعملوا عَمْرَك اللهَ بدلاً من اللفظ بعمَّرتُكَ الله . قال الشاعر :

عَمركِ اللهَ يا سعادُ عِدِينى بعضَ ما أَبتغى ولا تؤيسينى [٣]

---

(١) ط : « سألتك الله تعميرك » ، صوابه فى ش .

(٢) أى سألتك مذكرا الله ، كما مر .

(٣) ش : « تؤسينى » .

وقال آخر :

يا عمركِ اللهَ ألاَّ قلتِ صادقةً أصادقاً وصَفَ المجنونُ أم كَذَبا (١)

وقال الأخفش (فى كتابه الأوسط) : أصله أسألك بتعميرك الله ، وحذف زوائد المصدر والفعل والباء ، فانتصب ما كان مجروراً بها . قالوا : ويدلُّ على صحة قول الأخفش إدخال باء الجر عليه . قال ابن أبى ربيعة :

بعمـرِكَ هل رأيْتَ لها سمِّيـا فشاقَكَ أم لقِيتَ لها خَدِينا (٢)

قال ناظر الجيش : ويدلّ له أيضا قولهم : لعمرك إنَّ زيدا قائم ، وقال تعالى : ﴿ لعمْرُكَ إنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهم يَعْمَهون (٣) ﴾ التقدير : لعمرك قَسمى ، فكان العَمْر نفسه هو المقْسم به ، فليكن هو المقسَمَ به فى نحو عمرك الله ، ويكون الأصل : بتعميرك الله . ويمكن أن يقال إنَّ من نصب عمرَك الله على المصدر ، وقال عَمَّرك الله تعميراً ، لم يجعله قسَمًا ، وإنَّما يكون قسماً على قول الأخفش ، وهو قَسمٌ طلبىٌّ على رأى من لا يُثْبته ، ومسئولٌ به على رأى من لا يثبته .

وأجاز المبرد والسيرافى أنْ ينتصب على تقدير القسم ، كأنه قيل : أُقسم عليك بعَمرِك الله ، والأصل بتعميرك الله ، أى بإقرارك له بِالدّوام والبقاء ، ويكون محذوفَ الجواب ، فتكون الكاف فى موضع رفع . والظاهر من كلام سيبويه أنّه مصدر موضوعٌ موضعَ الفعل على أنّه مفعول به .

٢١٣

قال أبو حيان : والاسم المعظَّم فى عمرك الله ينصَب ويرفَع . أمَّا النصب فقد قال صاحب (اللباب) : فى إعرابه وجهان :

---

(١) البيت ينطق أنه للمجنون . وهو فى ديوانه ٨٣ والأغانى ٢ : ٣ والهمع ٢ : ٤٥ وتزيين الأسواق ٥٧ . وفى الأغانى : « ويروى نشدتك الله » . وروى أيضا : « أصدقت صفة المجنون أم كذبا » .

(٢) فى ديوان عمر ٣٩٥ : « بربك هل أتاك لها رسول » .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الحجر .

أحدهما : أنّ التقدير : أسألك تعميرك الله ، أى باعتقادك بقاء الله ، فتعميرك مفعول ثان ، واسم الله منصوب بالمصدر .

والثانى : أنْ يكونا مفعولين ، أى أسال الله تعميرك .

وأما الرفع فقد ذكر ابن مالك عن أبى علىّ أنَّ المراد عمرَّك الله تعميرا ، فأضيف المصدر إلى المفعول ورفع به الفاعل .

وكذا تقدَّم عن الأخفش ، فقد اتَّفق قولاهما على أنّ اسم الله تعالى مرفوعٌ بالمصدر على الفاعليَّة ، ولكنْ أبو علىٍّ يرى أنّ نصب عمرك على المصدر ، والأخفش يرى أنّه منصوب على نزع الخافض ، ولهذا كان الفعل الذى يقدِّره أبو على : عمَّرتك ، والفعل الذى يقدِّره الأخفش : أسالك . وأمَّا قِعدك الله بكسر القاف وفتحها ، ويقال قَعيدَك الله أيضاً ، فهما منصوبان بتقدير : أقسم ، بعد إسقاط الباء ، وهما مصدران بمعنى المراقبة كالحِسّ والحسيس ، وقيل وصفان كخِلّ وخليل ، بمعنى الرقيب الحفيظ ، فالمعنىُّ بهما هو الله تعالى ، والله بدلٌ منهما ، وعلى الأوّل منصوب بهما . وهو الجيِّد إذْ لم يسمع أنَّهما من أسماء الله تعالى .

وبقى على الشارح المحقق ذكر عزَمْتُ وأقسمت ؛ فإنَّهما يستعملان فى قَسَم الطلب . وأمَّا استعمال لعمركَ فى قسم السُّؤال فلم أره . وقوله :

* بدينِكَ هل ضممتَ إليكَ ليلى *

هذه الباء عند من لم يثبت قَسم السؤال اسمها باءُ الطَّلَب ، ويجوز ذكر متعلقها كنشدتك بالله ، وأسالك بالله . وحذفه أكثر ، ومنه هذا البيت .

قال ابن مالك (فى التسهيل) : ويُضمر الفعل فى الطلب كثيراً ، استغناءً بالمقسم به مجروراً بالباء ، ويختصُّ الطلب بها . انتهى .

ولو كانت للقسم لجاز أن يقال : أحلف بالله قمْ ونحوه . وقد تحذف الباءُ مع المتعلَّق فى الشعر كما تقدَّم .

و (ضممتَ إليك) أى عانقتَها وحَضنتها . وقوله :

* قُبيل الصبح أو قبَّلتَ فاها *

روى بدله :

* وهل قبَّلتَ بعد النَّوم فاها *

يريد : هل قبّلته [1] وشمِمتَ طِيب رائحته ، فى وقتِ تغيُّرِ الأفواه . وخصَّ ما بعد النوم لأنَّ الأفواه تتغير حينئذ . والمراد تحقيق طِيب نكهتها . وبعده :

(وهل مالَتْ عليك ذُؤابتاها   كمثِل الأُقْحوَانِ على ندَاها)

وروى بدله :

(وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلَى   رَفيفَ الأُقْحُوان على نَداها)

رَفّت ، بفتح الراء المهملة ، من رفّ لونه يَرِف بالكسر رفيفاً ورَفًّا ، إذا بَرَق وتلألأ . أراد شدَّة سواد شَعرها . والرَّفيف يُوصف به خُضرة النباتِ والأشجار ، قال الشاعر :

* فى ظلِّ أحوى الظِّلّ رفّافِ الورَقْ *

وصحَّفه ابنَ المُلاَّ (فى شرح المغنى) بجعل المهملة معجمةً فقال : الزَّفيف إهداء العروس إلى بعلها . وغفَل عن قوله رفَيف الأقحوانة ، وهى البابونَج . وقيَّدها بكونها فى نداها لأنَّها لا أعطرَ مَنها فى تلك الحالة . والقُرون : الذوائب ، جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء .

---

(١) ط : « قبلت » ، وأثبت ما فى ش .

صاحب الشاهد
والبيتان أوردهما الأصفهانى [١] (فى الأغانى) ونسبهما إلى المجنون بن الملَّوح من بنى عامر ، وقال :

٢١٤
مرَّ المجنون ذاتَ يومٍ بزوجِ ليلى وهو جالسٌ يصطلى فى يومِ شاتٍ ، وقد أتى ابنُ عَمٍّ له فى حيِّ المجنونِ لحاجةٍ ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول :

بربِّكَ هل ضممت إليكَ ليلى ‏‏‏ قُبيلَ الصُّبْحِ أو قبَّلت فَاها[٢]
وهل رفَّت عليك قرونُ ليلى ‏‏‏ رفيفَ الأقحوانةِ فى نداها

فقال : اللهمَّ إذْ حلَّفتنى فنَعْم . قال : فقَبض المجنونُ بكلتا يديه من الجمر قَبضتين ، فما فارقهما حتَّى سقط مغشيًّا عليه ، وسقط الجمر مع لحم راحتيه [٣] فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله متعجّبا منه . انتهى .

وزاد ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) بيتاً بعدهما ، وهو :

كأنّ قرَنفُلاً وسحيقَ مِسكٍ ‏‏‏ وصَوبَ الغادياتِ شَمِلْنَ فاها [٤]

وتقدَّمت ترجمة مجنون بنى عامر فى الشاهد التسعين بعد المائتين [٥] .

* * *

وأنشد بعده :

(قعيدكِ أن لا تُسمِعينى مَلاَمَةً)

---

(١) ش : « الأصبهانى » ، يقال أصفهان وأصبهان .
(٢) فى المنصف : « إليك سعدى » وكذا : « قرون سعدى » فى البيت التالى ، ولم ينسب الشعر .
(٣) ط :« راحته » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١ : ١٦٩ .
(٤) شمله يشمله : عمه وغشيه .
(٥) الخزانة ٤ : ٢٢٩ – ٢٣٣ .

هو صدر ، وعجزه :

(ولا تَنكئى قَرْحَ الفؤاد فيِيجعا)

على أنّ أنْ فيه زائدة ، والجواب إنّما هو النهى . وهذا جوابُ سؤالٍ مقدَّر ، وتقديره : أنك ذكرتَ أنَّ جواب قسم السؤال أن يكون أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو مصدَّرا بإلاَّ أو لمَّا ، وهذا ليس أحد تلك الخمسة . فأجاب بأنّ أنْ زائدة ، والجواب هو النهى . وهذا وإن أمكنَ هنا فلا يتأتّى فى نحو:نشدتك بالله أن تقوم .

وقد اعتبره غيرهُ ، قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) : إنَّ الجواب يكون بأحد ستة أشياء ، وهى الاستفهام ، والأمر ، والنهى ، وإلاّ ، ولمَّا ، وأنْ . ومثَّل له بما ذكرنا .

ولم يذكرا تصدُّر الجواب بإن الشرطية نحو :

* بالله ربِّكَ إن دخلتَ فقُلْ له * البيت [1]

والظاهر أنَّ إنْ إذا حلَّت هذا المحلَّ يجب أن يكون جوابُها فعلاً طلبيًّا كما فى البيت ، لأنَّ الطلب هو المقصود من هذا الكلام ، وجملة الشرط ليس فيها طلب ، فتعيَّن أن يشتمل [2] جُملة الجزاء عليه . وليس المراد بالطَّلب هنا أن يكون بصيغته ، بل المراد به أن يكون الجواب مطلوبا للمتكّلم ، سواء كان الطلب بالصِّيغة أم بغيرها مما يفيده سِياقُ الكلام ، ولذلك جَعلوا من صُورَ المسألة نشدتك إلاّ فعلّت أو لمّا فَعلت ، وقالوا : المعنى فيه : ما أسألك إلاّ أن تفعل ، أو ما أطلب منك إلاّ أن تفعل .

---

(١) البيت لابن هرمة ، كما سبق فى ص ٤٢ ، وعجزه :

* هذا ابن هرمة واقفا بالباب *

(٢) كذا بالياء فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية .

وزاد الشارح المحقق على أبى حيّان وقوع اللام فى الجواب ، نحو : بالله لتفعَلّن . وقد أورده الشارح هنا مكرّراً مرَّتين مع قرب ما بينهما .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةِ متمم بن نويرة الصحابى ، رثَى بها أخاه مالكَ بن نُويرة . وقد تقَدَّم الكلام عليه وعلى عَمّرتك وعَمْرَك وقِعدَك وأمثالها ، فى المفعول المطلق فى الشاهد الخامس والثمانين وما بعده [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد الثمانمائة [٢] :

٨١١ (لأُورِثَ بَعدِى سُنّةً يُقتدَى بها وأجْلُو عَمَى ذِى شُبْهةٍ إنْ توهَّما)

على أن اللام فيه لام الابتداء ، دخلت على المضارع للتوكيد ، وليست فى جواب قسم .

قال ابن هشام (فى المغنى) : اختُلف فى هذه اللام الداخلة على المضارع ، فأجازه ابن مالك والمالقى وغيرهما . زاد المالَقىُّ الماضىَ الجامد ، نحو : ﴿ لبئسَ ما كانوا يَعْمَلون [٣] ﴾ . وبعضُهم المتصرِّفَ المقرونَ بقد ، نحو : ﴿ ولَقَدْ كانوا عاهَدُوا الله مِن قبْل [٤] ﴾ ، ﴿ لقَدْ كانَ فى يُوسُفَ وإخوتِه آياتٌ [٥] ﴾ والمشهور أنَّ هذه لام القسم . ٢١٥

وقال أبو حيان فى : (ولقد علمتم) : هى لام الابتداء ، مفيدةٌ لمعنى التأكيد ، ويجوز أن يكون قبلها قسَم مقدر وأن لا يكون . انتهى .

---

(١) الخزانة ٢ : ١٣ — ٥٥ .

(٢) الأصمعيات ٢٤٦ ومختارات ابن الشجرى ٣٣ وديوان المتلمس ٣٩ نسخة الصيرفى .

(٣) الآية ٦٢ من سورة المائدة .

(٤) الآية ١٥ من سورة الأحزاب .

(٥) الآية ٧ من سورة يوسف .

ونصَّ جماعةٌ على منع ذلك كلِّه . قال ابن الخباز (فى شرح الإيضاح) : لا تدخل لام الابتداء على الجمل الفعلية إلاّ فى باب إنّ . انتهى .

وهو مقتضى كلام ابن الحاجب ، وهو أيضاً قول الزمخشرى ، قال فى تفسير : ﴿ ولسوف يُعْطِيكَ رَبّك [١] ﴾ : لام الابتداء لا تدخل إلاّ على المبتدأ والخبر . وقال فى ﴿ لأقسِمُ [٢] ﴾ : هى لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف ، ولم يقدِّرْها لامَ القسم ، لأنَّها عنده ملازمة للنون . وكذا زعم فى : ﴿ ولسَوْفَ يُعطِيكَ ربُّك ﴾ .

وقال ابن الحاجب : اللام فى ذلك لام التوكيد ، وأمّا قول بعضهم إنّها لام الابتداء وإنَّ المبتدأ مقدَّر بعدها ففاسد من جهات : إحداها [٣] : أنَّ اللام مع الابتداء كقَدْ مع الفعل وإنّ مع الاسم ، فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما ، كذلك اللامُ بعد حذف الاسم . والثانية : أنّه إذا قدر المبتدأ فى نحو : لسوف يقوم زيد ، يصير التقدير : لزيد سوف يقوم . ولا يخفى ما فيه من الضّعف . والثالثة : أنّه يلزم إضمارٌ لا يحتاج إليه الكلام . انتهى .

وقول الشاعِر (لأُورِثَ) مضارع مبنى للفاعل ، وهو ضمير المتكلم متعدّ إلى مفعولين ، تقول : ورث زيدٌ المال ، فتعديه بالهمزة إلى اثنين ، وتقول أورثته المال ، أى أكسْبته إيّاه ، والمفعول الأوّل هنا محذوف ، والتقدير : لأُورِثَ النّاسَ ، وسُنّةً المفعول الثانى . و (السُّنّة) : السيرة حميدةً كانت أو ذميمة ، وهى

(١) الآية ٥ من سورة الضحى .

(٢) الآية الأولى من سورة البلد . وهى قراءة البزى من طريق أبى ربيعة وقنبل . إتحاف فضلاء البشر ٤٢٨ .

(٣) ش : « أحدهما » ، تحريف .

الطريقة . وجملة (يُقتدَى بها) بالبناء للمفعول صفة لسنّة . و (أجلُوَ) معطوفٌ على أورثَ ، من جلَوت السيف ونحَوه ، إذا كشفتَ صدأه جِلاءً بالكسر والمد . و (العَمَى) هنا : عمى القلب ، مستعارٌ للضلالة ، والعلاقة عدمُ الاهتداء . و (الشُّبهة) : الظن المشتبِه بالعلم ، ذكره أبو البقاء [(١)] . وقال بعضُهم : الشُّبهة : مشابهة الحق للباطل والباطل للحقّ من وجهٍ إذا حقّق النظرُ فيه ذهب . و (انْ توهَّمَ) الألف للإطلاق ، ويجوز فى أنْ الكسرُ والفتح ، وفاعل توهَّم ضمير ذى شبهة ، ومفعوله محذوفٌ للتعميم . والتوهُّم : الخطأ فى درك الشىء . ويقال توهَّمت ، أى ظننت .

صاحب الشاهد — وهذا البيت للمتلمِّس ، وهو شاعرٌ جاهلى تقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والستين بعد الأربعمائة [(٢)] .

والبيت من قصيدةٍ عدّتها تسعةَ عشر بيتاً ، أوّلُها :

أبيات الشاهد

(يعيِّرُنى أُمِّى رجالٌ ولا أرى — أخَا كرمٍ إلاَّ بأنْ يتكرَّما
ومَن كان ذا عِرضٍ كريمٍ فلم يصُنْ — له حسباً كان اللئيمَ المذَمَّما
أَحارِثُ لو أنَّا تُساطُ دماؤنا — تزيَّلْنَ حتَّى ما يمسَّ دمٌ دما [(٣)]
أمنتفِلاً من آل بُهثة خِلتَنى — ألا إنَّنى منهمْ وإن كنت أَينما [(٤)]
ألاَ إنّنى منهمْ وعِروضَى عِرضُهمْ — كذى الأنفِ يحمى أنفَه أن يُهشَّما

---

(١) فى كليات أبى البقاء ٢٥٤ : « والشبهة هو أن لا يتميَّز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه » . فلعل النص من كتاب له آخر .

(٢) الخزانة ٦ : ٣٤٥ — ٣٥٢ .

(٣) ويروى : « إنّا لو تُساط » ، و « تزايلن » .

(٤) ط : « أمنتقلا » بالقاف ، وهى رواية الحماسة البصرية ١ : ٤١ ومختارات ابن الشجرى ٣١ . وأثبت ما فى ش مع أثر تغيير ، لأنه المطابق لما سيأتى من شرح . وفى شرح المختارات : « ويروى : أمنتفلا . يقال انتفل من ذلك الأمر وانتفى منه . ويقال للرجل يرمى بشىء : انفُل ذلك عن نفسك » .

ولو غيُر أخوالى أرادُوا نقصتى　　جَعلتُ لهم فوقَ العرانينِ مِيسمِا
وهل لىَ أمٌّ غيرُها إنْ تركتها　　أبى الله إلاّ أن أكونَ لها أبنَما
وما كنتُ إلاّ مثلَ قاطِعِ كفِّهِ　　بكفٍّ له أخرى فأصبحَ أجذْما
فلما استقادَ الكفَّ بالكفِّ لم يجْدْ　　له دَرَكاً فى أن تبينا فأحجَما
يداهُ أصابت هذه حَتْفَ هذه　　فلم تجِدِ الأخرى عليها مقدَّما[1]
فأطرقَ إطراقَ الشُّجاع ولو يرى　　مَساغاً لنابيه الشُّجاعُ لَصمَّما[2]
وقد كنتَ ترجو أنْ أكونَ لعَقْبكم　　زَنيماً فما أُجْرِرْتُ أن أتكلَّما[3]
لأورثَ بعدى سنّة ....　　.................... البيت)

٢١٦

قال جامع ديوانه أبو الحسن الأثرم : قال أبو عبيدة : كان سبب هذه القصيدة أنَّ المتلمس كان فى أخواله بنى يشكر ، يقال إنّه وُلِد فمكثَ فيهم ، حتَّى كادوا يَغلبون على نسبَه ، فسأل عمروُ بنُ هندٍ ملكُ الحيرة يوماً الحارثَ بنَ التّوأم اليشكريَّ عن نسب المتلمس ، فقال : يَزعم أنَّه من بنى ضُبيعِة أضجَم . فقال عمرو : ما هو إلاَّ كالساقط بين الفِراشَين . فبلغ ذلك المتلمسَ فقال هذه القصيدة .

والمتلمس اسمُه جرير بن عبد المسيح ، أخو بنى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار .

وقوله : (أحارث) منادى . وتُساط : تُخلَط . وتزيّلن : افترقن . والمنتفل [4]

---

(١) ط : « فلم يجد » ، صوابه فى الديوان و ش مع أثر تصحيح فيها .

(٢) هذا البيت من الشواهد النحوية . انظر ابن يعيش ٣ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ٧٩ .

(٣) يخاطب الحارث بن التوءم اليشكرى . وفى الديوان والأصمعيات : « وقد كنت أرجو أن أكون لعقبهم » . وفى الأصمعيات بعده : « زعيما » أى سيِّدا .

(٤) ط : « والمتنفل » بالقاف ، وأثبت ما فى ش . وانظر ما سبق فى الحواشى .

والمنتفى والمتبرى سواء . وبُهثة [١] هو ابن حَرب بن وهب بن جُلَىّ بن أحمس بن ضُبيعة بن نزار . و « إن كنت أينَما » أى حيثُ ما كنت .

وقوله : « جعلتُ لهم فوقَ العرانين » ، يقول : هجوتهم هجاءً يَلزمُهم لزومَ المِيسم للأنف . والأجذم : المقطوع إحدى يديه يقول : لو هجوتُ قومى كنت كمن قطع بيده يدَه الأخرى . والزَّنيم : الملصَق بالقوم وليس منهم . والإجرار : أن يُشقَّ لسانُ الفصيل لئلاّ يرضع أمَّه . انتهى .

وبقى أبياتٌ من القصيدة لا حاجَة لنا بها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى عشر بعد الثمانمائة [٢] :

٨١٢ (وقَتيلُ مُرّة أثأرنَّ فإنّه فِرغٌ وإنّ أخاهُم لم يُقْصَدِ)

على أنّه قد يخلو المضارع عن اللام استغناءً بالنون كما هنا ، والأكثر لأثأرنَّ ، بهما جميعا .

وهذا كقول ابن مالك (فى التسهيل) : وإن كان أوّلُ الجملة مضارعاً مثبَتاً مستقبَلا غيرَ مقارِنٍ حرفَ تنفيسٍ ولا مقدَّمٍ معموله ، لم تغْنِه اللامُ غالبا عن نون التوكيد . وقد يُستغنَى بها عن اللام . انتهى

ومثله لأبى علىّ (فى التذكرة) قال : جاء بالنون وحذف اللام ، لأنَّ النون تدلُّ عليه .

---

(١) فى الاشتقاق ٣٠٧ أن اشتقاق بهثة من قولهم : تبهَّث فى وجهه ، إذا أظهر له بشرا .

(٢) الضرائر ١٥٧ والهمع ٢ : ٤٢ والحماسة بشرح المرزوق ٥٥٨ وديوان عامر بن الطفيل ١٤٥ .

وذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى أنَّ حذف اللام ضرورة . وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : حذف لام لأفعلنّ يختص بالضَّرورة . وأنشد البيت .

وهذا مذهب البصريِّين ، والأوّل مذهب الكوفيِّين كما بيَّنه الشارح المحقِّق .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعامر بن الطُّفيل العامرىّ ، تقدم شرحُ أبياتٍ من أوّلها فى الشاهد الثامن والستين بعد المائة [1] . وقبل هذا البيت :

(ولأثـــأرنَّ بمالكٍ وبمالك وأخرى المَرْوْراة الذى لم يُسنَدِ)

وقوله:« ولأثارنَّ » اللام فى جواب قسم مقدّر ، أى والله لأثأرنّ ، أى لآخذنّ بثأرهم وأقتُلنَّ بهم من بنى مُرّة بن عوفٍ الذُّبيانى . والثَّأر بالهمزة ويخفّف : الذحْل ، يقال : ثأرت القتيلَ وثأرت به ، من باب نفع ، إذا قتلتَ قاتله . والمَرْوْراة ، بفتح الميم والراءين المهملتين وسكون الواو بينهما : أجبُلٌ لأشجعَ بن رَيْث بن غَطَفان . وأراد بأخى المروراة الحكم بنَ الطُّفيل العامرىّ ، وهو أخو عامر بن الطفيل ، خنق نفسَه تحت شجرةٍ بالمروراة خوفاً من الأسر ، كما يأتى بيانه . وقوله : « الذى لَمْ يُسْنَد » أى لم يدفن ، بل أكَلتْه السِّباع والطيور .

٢١٧

وقوله : (وقتيل مُرّة أثأرَنَّ) إلخ قال ابن الأنبارى (فى شرح المفضليات) : رواه الضبّى بخفض قتيل ، ورواه الحرمازى بنصبه ، ورواه الأثرم برفعه .

أمّا الأوّل فعلى أنَّ الواو للقسم ، وقتيل مُقسَم به ، وأراد به أخاه الحكم بنَ الطُّفيل ، وأعاده مبْهَماً تفخيما له . ومُرَّة : أبو قبيلة ، وهو مُرّة بن عوف بن

(١) الخزانة ٣ : ٧٤ - ٨٠ .

سَعْد [١] بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان ابن مُضر . وقول ابن المُلاّ (فى شرح المغنى) : مرّة : قبيلة من قريش ، كلامُ مَنْ لم يصل إلى العُنقود . وأثأرنَّ جواب القسَم ، ومفعول أثأرنّ محذوف ، والتّقدير : أثأرنّه أوْ أثأرنَّ به [٢] . وعلى هذا يكون الاستشهاد . وإن كانت الواو للعطف على مالك ، فأثأرنَّ تأكيد لقوله : لأثأرنّ .

وأمّا النّصب فعلى العطف على محلِّ ، مالك ، وأثأرنّ تأكيد لذلك ، وقيل مفعول بفعلٍ يفسره أثأرنّ . ولا يجوز أن يكون مفعولاً له لأنَّ المؤكّد لا يتقدَّم علَيْهِ معمولُه [٣] .

وأما الرفع فعلى الابتداء ، وجملة أثأرنَّ خبره والعائد محذوف ، أى أثأرنّ به أو أثأرنّه . والتأكيد على هذا شاذٌّ . والضمير فى فإنّه راجع لِقَتيل .

و (فِرْغ) بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بعدها معجمة : الهَدَر ، يقال ذهَب دمُ فلانٍ فِرغا وهَدَرا ، إذا لم يُقتَل قاتله .

وقال ابن الأنباريّ : روى « فَرْغٌ » أيضًا أى بفتح الفاء والعين المهملة ، وهو الرأس العالى فى الشّرَف . قال صاحب الصحاح : يقال هو فرعُ قومِهِ للشّريف منهم . وضمير الجمع فى (أخاهم) لمرّة باعتبار كونه حيًّا ، وأراد بأخيهم سِنانَ بنَ أبى حارثة المرى ، أو الحارثَ بنَ عوف ، فإنّ أحدَهما كان رئيس بنى مُرة .

قال ابن الأنباريّ : وقوله (لم يُقصَد) : لم يقتل ، يقال أقصدت الرجلَ ، إذا قتلته .

---

(١) فى النسختين : « سعيد » ، صوابه من الاشتقاق ٢٨١ والجمهرة ٤٨١ والمعارف ٤٠ ونهاية الأرب للقلقشندى ٢٨٨ .

(٢) ط : « وأثأرن به » .

(٣) ط : « على معموله » ، صوابه فى ش .

وروى بدله (فى مغنى اللبيب وغيره) : « لم يثأرِ » ؛ وهو خطأ معنًى وقافية .

يوم الرقم

وهذا الشعر قاله عامر بن الطفيل بعد يوم الرَّقَم بفتح الراء والقاف [١] ، وهو ماءٌ لبنى مُرّة ، وهو يومٌ [٢] كان لغَطَفانَ على بنى عامر [٣] . قال ابن الأنبارىّ : أغار بنو عامر على غَطفان بالرَّقَم ، فلَقُوا غِلمة من أشجع بن رَيْث بن غطفان فقتلُوهم ، ثم استبطن عامرُ بنُ الطُّفيل بنى عامر فى الوادى ، فأغاروا على بنى فزارة بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، فأصاب بنى سفيان بن غُراب ابن ظالم بن فزارة ، وأتى الصَّريخُ بنى فَزارة ، فركبوا هم وبنو مُرّة بن عوف ، وعلى بنى فزارة عُيَينة بنُ حِصْنٍ ، وعلى بنى مُرّة سِنان بن أبى حارثة ، ويقال الحارث بن عوف ، فانهزمت بنو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، وأقبل عامر بن الطُّفيل منهزماً حتّى دخل بيتَ أسماء بنتِ قُدامة الفزارى ، وهى حديثةُ عهدٍ بعُرْس ، وزوجُها شَبَث بن حَوْطٍ الفزارىّ ، ومضت بنو جعفر فدخلوا فى شعابٍ لا يَدرُون ما هى ، فلما انتَهْوا إلى أقصى الوادى لم يجدوا مَنفَذًا ، وأقبلت غطفانُ حتَّى وقفوا على فم الوادى ، فقال لهم عيينة : قِفوا فإنّ القومِ منصرفون إليكُم . فلمَّا لم يجدوا منفذًا انصرفوا ، فقال بعضهم لبعض : إنّه لن يُنجيَكم اليوَم إلاَّ الصِّدق ، فارموهم بنواصى الخيل . ففَعلوا فقُتل يومئذ من بنى جعفر : كنانةُ والحارثُ ابنَا عُبَيدة بن مالك بن جعفر ، وقيسُ بن الطُّفيل بن مالك . فلمَّا خرجت بنو جعفرٍ من الشِّعب خرج عامرٌ من بيت أسماء ، فرجع زوجُها فقال ، أصَنَعَ بكِ عامرٌ شيئا ؟ قالت : إى والله لقد فعل ، ولو كنتَ أنت لنكَحَكَ عامر ! فمرَّ جبّار بن

---

(١) قال ياقوت : « وربما روى بسكون القاف » .

(٢) ط : « ماء » ، صوابه فى ش .

(٣) ما بعده إلى : « ريث بن غطفان » ساقط من ش .

٢١٨ سُلمَى [(١)] بن مالك بن جعفر بعامر فارتَدفَه على فرسه ، وأمَّا الحكم بن الطفيل أخو عامر فإنّه انهزَم فى نفرٍ من بنى عامرٍ ، وفيهم رجلان من غَنىّ ، فنظرو إلى بنى جعفر منهزِمِين فحسِبُوهم بنى ذبيان ، فقال الحكم : واللهِ لا تأسرُنى بنو ذبيانَ اليومَ فيتلعَّبون بى ! فَمَضوا حتَّى انتهوْا إلى موضعٍ يقال له المروراة ، وقد كاد العطش يُهلكهم ، فاختنق الحكمُ تحت شجرةٍ مخافة المُثْلةِ فمات ، وأخذت بنو عمار فرساً لهم يقال له « عَزْلاء » ، فجعلوا يُمرُّون ذكَرَه حتَّى بال ، فشربُوا بولَه من آخر النهار وقتلهم العطش ، وبقى الغَنوِيَّان ، فسألهما عامرٌ عن الحَكَم ، فأخبراه أنَّه خنَقَ نفسَه . فزعموا أنّ عامرًا كان يرفع يديه ويقول : اللهم أدرِكْ لى بيومِ الرَّقَمِ ثمّ اقتُلنى إذا شئت . فسمَّت غطفانُ ذلك اليومَ يوم المَرْوْراة ، ويوم التَّخانق .

وزعمت غطفان أنَّهم أصابوا يومئذ من بنى عامر أربعة وثمانين رجلا ، فدفعوهم إلى أهل بيتٍ من أشجعَ كانت بنو عامر قد أصابُوا فيهم ، فجعل رجلٌ منهم يقال له عُقبة بن حُلَيس يقول : من أتانى بأسيرٍ فله فداؤه . فجعلت غطفانُ يأتونه بالأسرى ، فجعل يذبحهم حتَّى أتى على آخرهم ، فسمِّى مذبِّحا ، وبنوه إلى اليوم يقال لهم بنو مذبِّح . قال عُروة بنُ الوَرْد العبسىُّ فى بنى جعفر :

عجبتُ لقومٍ يَختُقون نفوسَهم ومَقتَلُهم تحتَ الوغى كان أعذَرا [(٢)]
يشُدُّ الحليمُ منهم عَقد حبلِهِ ألاَ إنَّما يأتى الذى كان حذَرا

انتهى باختصار .

* * *

(١) سلمى هذا بفتح السين وضمها أيضا ، كما نص ابن حجر فى الإصابة ١٠٥١ .

(٢) ديوان عروة بن الورد ٩٧ والحيوان ٢ : ٢٧٣ والعقد ٥ : ١٦٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد الثمانمائة [١] :

٨١٣ (تألَّى ابنُ أوسٍ حَلفةً لَيرُدُّنى إلى نسوةٍ كأنَّهنَّ مقَائدُ)

على أنّه استغنى بلام التوكيد عن النون . وهذا ظاهر .

وروى أيضا بكسر اللام وفتح الدال ، على نصب الفعل بأنْ مضمرة على أنّها لامُ كَىْ . قال الإمام المرزوقى : يروى بفتح الدال وضم الدال على أن يكون اللام لام اليمين .

وذكر سيبيويه أنَّ لام القسم يلزمها إحدى النونين .

وقال أيضاً : وقد تحذف النون فى الشعر . وقد جاء أعجبُ من هذا وأبعدُ فى الاستعمال ، وهو حذف اللام وإثبات النون . قال :

وقتيل مرة أثأرنَّ .. البيت .

فأمَّا من روى بكسر اللام فالمعنى : حَلَفَ لهذا الأمر . وجواب القسم يكون محذوفا مقدّرا ، ويُستدلُّ عليه بما ذكره . وقال بعض المتقدِّمين : تقول : حَلف ليفعلنّ ، فإذا حذفت النون كسرت اللام وأعملْتَها إعمالَ لام كى ، والموضعُ موضعُ القسمِ والمعنى معناه . وقيل : مِثل تألَّى ليردَّنى : أراد ليفعل كذا ، كأنَّ الفعلَ دلّ على المصدر . واللام مع الاسم المجرور به فى موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه قال : إرادتى كذا [٢] . انتهى .

وسيأتى إن شاء الله تعالى بقيةُ الكلام على هذا فى نون التوكيد .

---

(١) المقرب ١ : ٢٦ والضرائر ١٥٧ والهمع ٢ : ٤٢ والحماسة بشرح المرزوقى ٥٥٧ وبشرح التبريزى ٢ : ١٢٨ .

(٢) ما بعد كلمة « المبتدأ » ساقط من ش . وعند المرزوقى : « كأنه : إرادتى كذا » .

صاحب الشاهد وهذا البيت أولُ أبياتٍ أربعةٍ لزيد الفوارس بن حُصين بن ضِرارٍ الضبى ، أوردها أبو تمام (فى الحماسة) . وبعده :

أبيات الشاهد

(قصَرتُ له من صَدرِ شَوْلَة إنّما ... ينجّى من الموت الكريمُ المُناجدُ
دعانى ابنُ مرهوبٍ على شَنْءٍ بيننا ... فقلت له إنّ الرماح مَصايدُ
٢١٩ وقلتُ له كنْ عَنْ شِمالى فإنّنى ... سأكفيك إن ذاد المنيةَ ذائدُ)

قال المرزوقى : آلى الرجل ، وتألّى بمعنًى . وهذه الأبنية من الألْية وهى اليمين. وحَلْفةً انتصب على أنّه مصدر من غير لفظه . و (المفائد) جمع المِفأد ، بكسر الميم وفتح الهمزة ، وهى المِسْعَر والسَّفّود . والفَأْد فى اللغة : التحريك ، وقيل إنّ الفؤاد منه اشتُقّ لأنه ينبض . ومعنى البيت : حَلفَ هذا الرجلُ حلفةً ليَأسِرنَّنى ثم يمتنّ علىّ [(١)] فيردّنى على نسوة كأنّهنّ مساعيرُ لاحتراقهنّ وجدًا بى وغمًّا علّى ، ففعلتُ أنا بهِ مثل ما همَّ به فىَّ .

وقوله : « دعانى ابن مرهوب » إلى آخره حَوّلَ كلامَه إلى قصَّة أخرى ، فقال : استغاث بى هذا الرجلُ على ما بيننا من عَداوة وبغضاء ، فأجبتُه بعد أنْ هوَّنت عليه ما خوّفه ، وبيَّنت أنّ الرماح حبائلُ الرجال الكرامِ فى الحرب ومصايِدهُم [(٢)] ، فلا تُبالِ بالموت إذا كان على وجهه لا يتعقبُّه عار . وقوله : « على شنء بيننا » فى موضع الحال ، يقال شَنِئته [(٣)] شَنْئاً ومَشْنأة .

وقوله : « وقلت له كن » إلخ وإنّما قال له كن عن شمالى لأنَّ الضرب والطَّعن والرمى فى العِطْفِ وماشا كل ذلك من الجانب الأيسر أمكنُ من الأيمن .

---

(١) فى شرح الحماسة : « ثم يمن على » .

(٢) ش : « مصائدهم » بالهمز خلافا لما فى ط والمرزوقى . والياء الأصلية فى المفرد لا تنقلب فى الجمع همزة نحو معايش ومكايل ومبايع . وفى اللسان : « مصايد بلا همز مثل معايش جمع معيشة » .

(٣) ش فقط : « شنأته » . وفى اللسان : « قال أبو الهيثم : يقال شنئت الرجل أى أبغضته . قال : ولغة رديئة : شنأت بالفتح » .

ووجه آخر ، وهو أنَّ العِطْف فى الجانب الأيسر ، فقال له : كن فى الجانب الذى أنا معنىٌّ به . وقيل إنّما قال كن عن شمالى لأنّه موضع المُعَانِ المنصور ، واليمنى موضع الناصر ، يقال : أنا على يمينك وعن يمينك ، أى ناصرك . كأنّه أمره أن يكون على مَيسَرة الجيش ويكون على الميمنة ، لأنّهم يجعلون على ميمنة العسكر كلَّ موثوق به . وهذا أحسن وجه .

وقال الخطيب التبريزى : قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنّ زيدَ الفوارسِ أقبل هو وعَلقمة بن مرهوب ، ورجلٌ من بنى هاجَر ، ورجل من بنى صُبيحٍ ، وحسَّان بن المنذر بن ضرار ، حتَّى نزلوا ببنى جديلة من طيِّىء ، وكان بنو جديلة قد ولَدُوا جَبّار بن صخر بن ضرار ، فأبى زيدٌ وعلقمة أن ينزلا مع حسَّان ، وركبا وجوهَهما ، فقال أوس بن حارثة بن لَأْمٍ لحسّان : من هذانِ معك ؟ قال : زيد الفوارس وعَلقمة بن مرهوب . فقال لابنه قيس بن أوس : اركبْ فارددهما علىَّ . فركب فقال : إنّ أبى يُقسم عليكما لترجعانِّ . فأبَيا فأغلظ لهما ، فرجع إليه زيدٌ فقتله ، فلمّا رأى ذلك ابنُ مرهوب وكان مصُارمًا لزيد قال : يا زيد أُذكِّرُكَ الله أن تتركنى . فربَعَ عليه ، فلما أبطأ على أوسٍ [1] ابنه تحذَّر حسّانُ الذى كان عنده [2] ، فركب هو وصاحباهُ ، فلما انتَهوْا إلى زيدٍ ورأَوْا ما صنع قال لبُريمة ، وهو أُهَونُ مَنْ معَه : ارجعْ إلى دِرعى نَسيتُها عند أوسٍ فأتِنى بها ، فإنْ قال لك من أنت فقل : أنا ابن ضرار . فرجع بُريمة إليه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ابن ضِرار . فقتله وقال : كريم بكريم . وقيل إنّ قيس بن أوسٍ لمّا لحق زيداً ناداه : يا زيدُ ارجِعْ ! فقال زيد : إلامَ أرجِع ؟ فقال قيسٌ : واللات والعُزّى لأردَّنّك أسيراً إلى نسوةٍ تركتَهُنَّ . فقتله زيدٌ وقال : تألَّى ابن أوسٍ حَلفةً ..... الأبيات . انتهى .

---

(١) ط : « على زيد » صوابه فى ش وشرح التبريزى .

(٢) ش فقط : « للذى كان عنده » .

وزيد الفوارس شاعر جاهليّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والثمانين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابعَ عَشَر بعد الثمانمائة [٢] :

٨١٤ (لئن تَكُ قد ضاقتْ عليكمْ بيوتُكمْ لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بيتِىَ واسعُ) ٢٢٠

على أنَّ المضارع الواقع جواباً لقسم إن كان للحال وجب الاكتفاء باللام كما هنا ، فإنَّ المعنى ليعلم الآنَ ربِّى .

قال ابن الناظم : ولو كان المضارع بمعنى الحال أُكِّد باللام دون النون لأنَّها مختصة بالمستقبل ، وذلك قولك : والله ليفعلُ زيدٌ الآنَ . ومنع البصريون هذا الاستعمالَ استغناءً عنه بالجملة المصدَّرة بالمؤكِّد ، كقوله : والله إنّ زيدا ليفعل الآنَ . وأجازه الكوفيُّون ، ويشهد لهم قراءة ابن كثِير : ﴿ لأقْسِمُ بيومِ القيامة [٣] ﴾ ، وقول الشاعر : أنشده الفراء :

* لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم * البيت . انتهى .

أقول : أورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ ولقد عَلِمُوا لمَنِ اشتَراهُ [٤] ﴾ من سورة البقرة ، على أنَّ لام لقد ولام لئن هى المُؤذنة بالقسم ، لا لِكونِ [٥] يعلم حالاً تجَرد من النُّون فى وقوعه جواباً للقسم .

---

(١) الخزانة ٣ : ١٧٧ .

(٢) التصريح ٢ : ٢٥٤ والأشمونى ٣ : ٤/٢١٥ : ٣٠ والعينى ٤ : ٣٢٧ ومعانى الفراء ١ : ٦٦/٢ : ١٣١ .

(٣) الآية الأولى من سورة القيامة .

(٤) الآية ١٠٢ من البقرة .

(٥) ش : « لا تكون » .

وقد نسب العينيّ إلى ابن الناظم شيئا لم يقله ، قال : الاستشهاد فيه فى قوله لَيعلم ، إذْ أصله ليعلمَنَّ بنون التوكيد فحذفَها .

هذا كلامُه ، ولا أدرى كيف تقوَّله عليه ؟

وقال فى البيت : اللام فى لئنْ للتأكيد . ولا يخفى أنّ هذه اللام يقال لها اللام الموطئة لقسَمٍ مقدّر . ويقال لها أيضا « اللام المؤْذنة » ، ولا يقال لها لام التأكيد .

وقال أيضا : وتَكُ هذه زائدة ، لأنَّ المعنى يتم بدونه . فإذا كان [١] كان زائدة لا تعمل شيئاً . أو تكون تامّة ، والمعنى : لئن يكن الشّأنُ [٢] قد ضاقت إلخ .

وفيه أمران : أحدهما : المعهود زيادتُهَا بلفظ الماضى ، ولا تزاد إلاّ بين شيئين متلازمين كالمبتدأ وخبره ، والفعل ومرفوعه ، والموصول وصلته ، والموصوف وصفته ، وهنا ليست كذلك . ولا تُزاد بلفظ المضارع إلاّ بنُدورٍ مع نزاعٍ فيهِ تقدَّم الكلام عليه .

ثانيهما : يلزم من زيادتها بلفظ المضارع أن يقال : لئن قد ضاقت ، وإن لا تدخل على قد .

وقوله : « أو تكون تامّة والمعنى » إلخ الرواية إنَّما هى « تَكُ » بالمثناة الفوقية ، فالواجب أن يقول لئن تكن القصّة ، وعليه يكون جملة قد ضاقت مفسِّرة لضمير الشأن والقصَّة . ولا ينبغى الحملُ على هذا مع إمكان غيرِه . ولا مانع هنا من كونها ناقصة ، ويكون اسمها ضميراً مستترا فيها أى هى ، ويفسِّره

---

(١) فى العينى : « فإذا كانت » .

(٢) فى النسختين : « لئن يك الشأن » ، صوابه فى العينى ، إذ لا تحذف نون « يكون » عند الجزم ، إلا إذا وليها متحرك ، نحو « وإن تك حسنة » و « لم أك بغيا » إلا فى قول يونس والكوفية .

فاعل ضاقت وهو بيوتكم ، وجملة قد ضاقت إلخ خبرها ، وتكون المسألة من باب التنازع بإعمال الثانى على مذهب البصريِّين . ويجوز عندهم أن يكون بيوتُكم اسم تك ، وفى ضاقت ضميرها ، وعليكم متعلق بضاقت .

وقال العينى : قوله « عليكم » فى محل النصب على المفعوليّة . وقوله « ليَعلم ربِّى » هو جواب القسم المقدَّر ، وجواب الشرط محذوف يفسِّره جواب القسم .

والبيت أنشده الفراء (فى أوائل البقرة) وما عزاه لأحدٍ . وأنشده ثانيا (فى آخر سورة الإسراء) عند قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ ﴾ الآية ، قال : أنشدنى الكسائىُّ للكُميت بن معروف :

صاحب الشاهد

* لئن تك قد ضاقت عليكمْ بيوتكم * البيت .

وهذا الكميت شاعر إسلامىٌّ ، وتقدَّم ذكره فى ترجمة جده الكميت بن ثعلبة فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة[1] .

هذا . ولابن عصفور كلام فى المسألة بيَّنَ به مذهب البصريِّين فلا بأس بإيراده ، قال : وان كان المضارع حالاً فمن الناس من قال : إنّه لا يجوز أن يُقسم عليه ، لأنَّ مشاهدته أغنت عن أن يُقسم عليه . وهذا باطل ، لأنه قد يعوق عن المشاهدة عائقٌ فيُحتاج إذ ذاك إلى القَسم ، والصحيح أنّه يجوز أن يقسَمَ عليه إلاّ أنّه لا يخلو من أن يكون موجَبا أو منفيّا . فإن كان منفِيًّا نفيتَ بما خاصَّةً ، نحو قولك : والله ما يقوم زيد ، ولا يجوز حذفها . وإن كان موجبًا ، فإنَّك تبنى من الفعل اسم فاعل وتصيِّره خبر المبتدأ ، ثم تقسم على الجملة الاسمية فتقول : واللهِ إنَّ زيدا لقائم ، ووالله إنَّ زيدا قائم ، ووالله لزيدٌ قائم . وإنّما لَمْ يجز أن تُبقىَ الفعلَ على لفظه وتُدخل اللام لأنّك لو قلت : والله ليقوم زيد لأدَّى ذلك إلى الإلباس فى

٢٢١

---

(١) الخزانة ٧ : ٥٢٣ .

بعض المواضع . وذلك إذا قلت : إنَّ زيدا والله ليقومن ؛ لأنَّ النون تخلِّص للاستقبال . وقد تدخل عليه اللام وحدَها ولا يُلتَفت إلى اللَّبْس ، إلاّ أنَّ ذلك قليلٌ جدًّا ، بابُه الشعر ، نحو قوله :

* تألَّى ابنُ أوسٍ حلفةً ليردُّنى * البيت . انتهى .

* * *

وأنشد بعدهُ (١) :

* يميناً لنعم السيِّدَانِ وُجِدتما *

على أنَّ نِعْمَ إذا وقعت جوابَ قسم لا يربطها بالقسم إلاّ اللام وحدها كما هنا .

وقد تقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الحادى (٢) والستين بعد السبعمائة (٣) وفى الشاهد السادس والخمسين بعد المائة (٤)

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثمانمائة (٥) :

٨١٥ (حَلَفت لها بالله حَلْفَة فاجرٍ   لَنامُوا فما إنْ مِنْ حديثٍ ولا صالِي)

---

(١) بعده ، ساقطة من ش .

(٢) ش : « الواحد » .

(٣) الخزانة ٩ : ٣٨٧ – ٣٨٨ .

(٤) الخزانة ٣ : ٧ .

(٥) الأصول لابن السراج ١ : ٢٩٣ والأزهية ٤١ وابن يعيش ٩ : ٢٠ ، ٢١ ، ٩٧ والمقرب ١ : ٢٠٥ والتسهيل ١٦٨ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٦٨ ورصف المبانى ١١٠ والمغنى ١٧٣ ، ٦٣٦ والهمع ١ : ٢/١٢٤ : ٤٢ وديوان امرئ القيس ٣٢ .

على أنّ قوله (لنَامُوا) جوابُ القسم ، وجاز الرَّبط باللام من غير قَدْ لضرورة الشعر ، ويجب تقدير (قد) بعد اللام ، لأنَّ لام الابتداء لا تدخل على الماضى المجرَّد .

وفيه أمور :

(أحدها) : كيف يصحُّ دَعوى الضَّرورة مع قوله قَبْل : فإنْ كان الفعل الماضِى مثبتاً فالأَولى الجمعُ بين اللام وقَدْ . وهَلْ فيهِ إلاَّ تركُ الأَولى ؟ ولم يقل أحدٌ إنَّه ضرورة . على أنّه قد جاء فى أفصح الكلام ، قال تعالى : ﴿ ولئن أرسَلْنا ريحًا فرأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظلُّوا مِن بَعدِه يَكفُرون [١] ﴾ وقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده لَوَدِدتُ أن أقاتِل فى سبيل الله فأقتلَ ثم أحيا ، ثم أُقتلَ ثم أحيا ، ثم أقتل » ، أخرجه البخارى [٢] . وفى الحديث عن امرأةٍ من غِفار أنّها قالت : « واللهِ لَنزلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبح فأناخ [٣] » . وفى حديث سعيد بن زيد « أشهدُ لَسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مَنْ أخذ شِبراً من الأَرض ظُلماً [٤] » الحديث .

---

(١) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٢) من حديث أبى هريرة فى كتاب الجهاد : باب (تمنى الشهادة) . البخارى ٤ : ١٧ قال أبو هريرة : « سمعت النبى ﷺ يقول : والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده ... » إلى نهاية الحديث .

(٣) الحديث فى سنن أبى داود برقم ٣١٣ عن أمية بنت أبى الصلت عن امرأة من بنى غفار قال : « أردفنى رسول الله ﷺ على حقيبة رحله . قالت : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ، فأناخ ونزلت عن حقيبة رحله ... » .

(٤) استشهد به ابن مالك فى شواهد التوضيح والتصحيح ص ١٦٨ . وسعيد هذا هو سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل . والحديث أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق فى باب (ما جاء فى سبع أرضين) ٤ : ١٠٧ كما أخرجه فى المظالم والبيوع . ذخائر المواريث ١ : ٢٣٩ .

وإنَّما فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنَّها أحد الجائزين ، ذِكرُها أكثرىٌّ ، وحَذْفُها كثير ، وذهب إليه الزمخشرى وغيره . قال فى المفصل : « ولام جواب القسم فى نحو:والله لأفعلنَّ ، وتدخل على الماضى كقولك : واللهِ لَكذبَ . وقال امرؤ القيس : « حَلَفْتُ لها بالله » البيت . والأكثر أنْ تدخل عليه قد ، كقولك : والله لقد خرج . انتهى .

وقال ابن مالك (فى شرح التسهيل) : إن كان الفعل متصرّفاً فالأكثر أن يقترن باللام مع قد ، كقوله تعالى : ﴿ تالله لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ علَينا [١] ﴾.وقد يستغنى باللام فى النثر والنظم . ثم أورد الآية والأحاديث والشعر . ٢٢٢

(ثانيها) أنَّها لابدَّ منها إمّا لفظاً وإمّا تقديرا ، كالماضى الواقع حالاً . قال ابن جنى (فى سر الصناعة) . لام القسم تدخل على فِعلين أحدُهما الماضى ، كقوله تعالى:﴿ تالله لقد آثَرَكَ اللهُ علينا [٢] ﴾ وربَّما حذفت اللام ، قال تعالى: ﴿ قد أفلَحَ مَنْ زَكَّاها [٣] ﴾ أى لقد أفلح . وقد حذفت قد ، كقوله :

* حلفت بالله حَلفة فاجر * البيت

أى لقد ناموا . وكذلك قال ابن هشام (فى المغنى) : قال الجميعُ : حقُّ الماضى المثبَت المجاب به القسمُ أن يُقرنَ باللام . وقد قِيلَ فى : ﴿ قُتِل أصحابُ الأُخدُود [٣] ﴾ : إنّه جواب القَسم على إضمار اللام وقد جميعاً للطُّول . وقال :

حلفت لها بالله حَلفة .... البيت

---

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٩ من سورة الشمس .

(٣) الآية ٤ من سورة البروج .

أى لقد ناموا . فأضْمر قد . قال ابن جنى : وأمَّا قوله تعالى : ﴿ ولئن أرْسَلْنَا رِيحاً (١) ﴾ الآية فقال الخليل : معناها ليظَلُّنَّ ، فأوقع الماضىَ موقعَ المستقبل . وقال ابن هشام : زعم قومٌ أنَّ قد هنا مضمرة ، وهو سهو ، لأنَّ ظَلُّوا مُستقبل (٢) لأنَّه مرتَّب على الشرط وسادٌّ مسدَّ جوابه ، فلا سبيل فيه إلى قد ، إذ المعنى ليظلُّنَّ . ولكنَّ النون لا تدخل فى الماضى (٣) .

(ثالثها) : إنْ كان الماضى قريباً من زمن الحال أُدخلت عليه اللامُ وقد ، نحو : ﴿ تاللهِ لقد آثرك اللهُ عَلَينا ﴾ . وإن كان بعيداً من زمن الحال أُدخلت عليه اللام وحدها كهذا البيت . وهذا مذهب ابن عصفورٍ ومَن تبعه . قال ابن هشام : والظاهر فى الآية والبيتِ عكسُ ما قال ، إذ المراد فى الآية : لقد فضَّلك الله علينا بالصبر وسِيرة المحسنين،وذلك محكوم [به (٤)] فى الأزَل ، وهو متَّصفٌ به مُذْعقَل . والمراد فى البيت أنَّهم نامُوا قبل مجيئه .

أقول : ما أورده إنّما هو بحسب نفسِ الأمر فيهما ، وأمَّا بحسب الوقوع والظهور فزمان الإيثار حالىٌّ قطعا . ومراد الشاعر أنَّهم استغرقوا فى النوم لا أنَّهم فى أوّل النَّوم . وهذه الإرادة كاذبةٌ فى نفس الأمر ، وإنّما قالها للمرأة لتأمن انتباهَهم فتطاوعَه . ويدلُّ على ما قلنا قوله :

* حلفت لها بالله حَلفة فاجر *

ولو كان مراده أنَّهم فى أوائل نَومهم لنفَّرها عن المطاوعة . فتأمَّل .

---

(١) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٢) مستقبل ، ساقطة من ش ثابتة فى ط والمغنى ٦٣٧ .

(٣) فى المغنى : « على الماضى » .

(٤) التكملة من المغنى ١٧٣ .

(الأمرُ الثانى) : أنه ذكر جواز الاقتصار على أحدِهما فى طول الكلام ، فأفْهَمَ أنَّه لا يجوز حذف أحدهما دون الطُّول وحذفُهما مع الطول .

أمَّا الأوّل فقد قال أبو حيان (فى شرح التسهيل) : لا حاجة إلى قيد الطُّول فقد جاء فى كلام الفصحاءِ حذفُ اللام وابقاء قدْ . قال زهير :

تاللهِ قد علمت نفسٌ إذا قَذفت ... رِيحُ الشَّتاء بيوتَ الحىِّ بالعُنَنِ [(١)]

وقال أيضا :

تاللهِ قد عَلمت سَراةُ بنى ... ذُبيانَ عامَ الحَبْس والأَصرِ [(٢)]

وأما الثانى فجائز حذفُهما ، كقوله تعالى : ﴿ قُتِل أصحابُ الأُخدودِ [(٣)] ﴾ وهو جوَاب قوله : ﴿ والسَّماءِ ذاتِ البروجِ ﴾ .

(الأمر الثالث) : لم يعادل اللام مع ربَّما أو بما كما عادَلَها مع قد ، وقد عادلها ابن مالك بهما أيضاً . قال (فى التسهيل) : ولا يخلو دون استطالةِ الماضى المثبتُ المجابُ به من اللام ، مقرونةً بقد ، أو ربَّما أو بِمَا مُرادِفتها ، إن كان متصرّفا [(٤)] ، وإلاّ فغير مقرونة . وقد يَلى [(٥)] لقد أو لِبما [(٦)] المضارع الماضى معنى . ٢٢٣

ومثَّل فى شرحه للاَّم المقرونةِ بربَّما فى الماضى بقول الشاعر :

---

(١) ديوان زهير ١٢١ والهمع ٢ : ٤٢ . والعنن : جمع عنة ، وهى حظيرة من شجر تعمل حول البيت لترد الريح عنهم ، فإذا اشتدت الريح قلعتها فرمت بها على البيت .

(٢) ديوان زهير ٨٨ . والأصر : الحبس . يعنى أنهم حبسوا مالهم أن يخرج إلى الرعى خشية أن يغار عليه .

(٣) الآية ٤ من سورة البروج .

(٤) ش : « منصرفا » صوابه فى ط والتسهيل ١٥٣ .

(٥) ش : « وقد تلى » ، وأثبت ما فى ط والتسهيل .

(٦) فى النسختين : « أولهما » ، صوابه من التسهيل ١٥٣ . وانظر الشاهد الثانى مما سيأتى .

لئن نزحَتْ دارٌ للبنَى لربَّما غَنِينا بخيرٍ والدِّيار جميعٌ [١]

وبقول عمر بن أبى رَبيعة :

فلئـــن بانَ أهلُـــه لَبِما كان يُؤهَلُ [٢]

ومثّل فى المضارع بلَقدْ قول الشاعر :

لئن أمسَتْ ربوعهُـم يَبابـاً لقد تَدعُو الوفودُ لها وفودا [٣]

وبلَبِما قولَ الآخر :

فلِئن تغيَّر ما عهدتُ وأصبحَتْ صَدقَتْ فلا بدلٌ ولا ميسورُ [٤]
لَبِما يُساعف فى اللِّقاء وليها فرحٌ بقُـرب مزارهـــا مسرورُ

وقال أبو حيّان فى لبما : إن الباء سببيَّة وما مصدرية ، ويقدَّر بعد اللام فعلٌ ، أى لَبانَ بما كان يؤهل .

(الأمر الرابع) : لم يذكر حكم اللام مع معمول الماضى إذا تقدَّم عليه ، هل يكتفى بها أو يجوز ضمُّ قد إليها . وكأنّه سكت عنه ليُعلم حكمُه بالقياس إلى معمول المضارع إذا تقدَّم ، فإنه يجب الاكتفاء باللام . قال ابن مالك (فى التسهيل) : ويجب الاستغناء باللام الداخلةِ على ما تقدَّم من معمول الماضى ، كما استُغنى بالدَّاخلة على ما تقدَّم من معمول المضارع . ومثَّل له (فى شرحه) بقول أم حاتم :

---

(١) البيت للمجنون فى ديوانه ١٩٢ وتزيين الأسواق ٦٨ .

(٢) ديوان عمر ٣٣٢ . وانظر الهمع ٢ : ٤٢ .

(٣) الهمع ٢ : ٤٢ .

(٤) الهمع ٢ : ٤٢ . ولعل وجهه : « صدقَت فلا بذل » أى أعرضَتْ عنّا فلم تبذُل لنا من ودِّنا .

لعمرى لَقِدْمًا عَضّنى الجُوعُ عَضّةً فآليتُ أن لا أمنعَ الدّهرَ جائعا

قال : وقد اجتمع شذوذان فى قول عامر بن قدامة :

فلَبَعْـدَهُ لا أخلُـدنَّ ومالَـهُ بدَلٌ إذا انقطع الإخاءُ فودَّعا

أحدهما : عدم الاستغناء بتقدُّم اللام عن النون . والثانى : دخولها على جوابٍ منفى ، فلو كان مثبتاً لكان دخولها عليه مع تقدم اللام أسهل .

(الأمر الخامس) : قوله إنّ هذه اللام لامُ الابتداء لا تدخل على الماضى المجرَّد ، فلا بدَّ من تقدير قد ، مخالفٌ لكلام ابن السرَّاج ، قال (فى الأصول ، فى باب إنّ وأخواتها) : وإذا كان خبر إنّ فعلاً ماضيا لم يجز أن تدخل عليه اللام التى تدخل على خبرها إذا كان اسما ، فلا تقول : إنّ زيداً لقام ، وأنت تريد هذه اللام ، لأنَّ هذه اللام لام الابتداء . إلى أن قال : فإن قال قائلٌ : أُرانى أقول : لأقومنَّ ولينطلقنَّ ، فأبدأ باللام وأُدخِلها على الفعل ؟ قيل له : ليست هذه اللام تلك اللام . هذه تلحقها النون وتلزمها ، وليست الأَسماء داخلةً فى هذا الضرب ، وإنما سمعت والله لقام زيد . فهذه اللام هى التى إذا دخلت على المستقبل كان معها النون ، كما قال امرؤ القيس :

* لناموا فما إن من حديثٍ ولا صالى (١) *

فهذه اللام التى تكون معها النُّون غير مقدَّر فيها الابتداء . تقول : قد علمت أنَّ زيدا ليقومَّن ، وأنَّ زيدا لقام ، فلا تكسر إنَّ كما كنت تكسرها فى قولك : أشهد إنَّ محمداً لرسولُ الله . انتهى .

---

(١) صدره فى ديوانه ٣٢ :

* حلفت لها بالله حلفة فاجر *

٢٢٤ وقال ابن عصفور : ومن الناس من زعمَ أنّه لابدَّ من قد ظاهرةً أو مقدّرةً ؛ فإنّه قاس ذلك على اللام الداخلة على خبر إنّ فكما لا تدخل تلك اللام على الماضى ، فكذلك هذه اللام عنده . وذلك باطل ، لأنَّ لام إنّ إنما لم يجز دخولُها على الماضى لأنّ قياسها أن لا تدخل على الخبر إلاَّ إذا كان المبتدأ فى المعنى ، نحو إنّ زيدا ليقوم ، فيقومُ يشبه قائما ، لأنَّ هذه اللام هى لام الابتداء ، فلمّا تعذّر دخولها على المبتدأ دخلت فى الخبر الذى هو المبتدأ فى المعنى ، أو ما أشبه ما هو المبتدأ فى المعنى . وليس كذلك اللام التى فى جواب القسم . وأيضاً فإنّ قد تقرِّب من الحال ، فإذا أردنا القسم على الماضى البعيد من زمنِ الحال لم يجز الإتْيانُ بها . انتهى .

وكلام ابن السرَّاج نصٌّ مدلَّل [١] لا دافعَ له ، وهو إمام البصريِّين كسيبويه . وليس وراء عَبّادانَ [٢] قرية .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ طويلة لامرىء القيس ، مطلعُها :

* ألا عِمْ صباحاً أيُّها الطللُ البالى *

وقد شرحنا فى مواضع متعدِّدة خمسة وعشرين بيتا من أوّلها إلى هنا .

وبعده :

(فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها عليه القَتامُ كاسفَ الحالِ والبالِ)

وقوله : (فما إنْ من حديثٍ) إلخ إن زائدة مؤكِّدة للنفى ، وكذلك مِنْ . و (حديث) يحتمل أن يكون بمعنى الكلام فيقدَّر مضاف ، أى ذى حديث ، ويحتمل أن يكون صفة بمعنى محادِث ، كالعشير بمعنى المعاشر . و (صالى) من

---

(١) أى مدعوم بالدليل .

(٢) عبادان ، بالتشديد : جزيرة فى دجلة قرب مصبها ، منسوبة إلى عبّاد بن الحصين .

صَلِىَ بالنّار ، إذا قرُب منها ودَفع بحرارتها ألَمَ البرد . وحديث مرفوعٌ تقديراً على أنه مبتدأ ، وسوّغ الابتداء به تقدُّم النفى ، وخبرُه محذوف ، أى مستيقظ .

والبعل : الزَّوْج . وأراد بالقتامِ سَواد العِرْض . والكاسف : المتغير .

ذكر ابن الحباب السَّعدى (فى كتاب مَساوِى الخمر) أنّ امرأ القيس لمَّا كان منادماً لِقَيصرَ رأته ابنتُه فعَشِقتْه ، وراسَلَها فصار إليها ، وفيها قال :

* حلفت لها بالله حلفة فاجر *

البيت مع أبيات أخر ، ولم يزل يصير إليها إلى أن أخبر بذلك أصحابَه ، وفيهم الطمَّاح بن قيس الأسدى ، فقال له : ائتنا بأمارة . فأتاه بقارورة من طِيب الملك ، وذلك بفضل سُكره . وكان أبو امرئ القيس قد قتل قيساً أبا الطماح ، فتحيَّلَ الطمّاح حتَّى أخذها فأنفذ بها إلى قيصر ، وأخبره بالحديث فعرفه ، وعلم صِحَّته . ثمّ إنَّ امرأ القيس ندم على إفشاء سِرّه إلى الطمَّاح ، ففى ذلك يقول :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانَهُ فليس على شىء سِواهُ بخزَّانِ

فلمَّا ذهب امرؤ القيس بالجيش الذى أمدَّه به قيصرُ أتى الطَّماحُ إلى قيصر ، وقد تغيَّر على امرئ القيس ، فقال : أيُّها الملك ، أهلكتَ جيشاً بعثتَه مع المطرود الذى قُتل أبوه وأهلُ بيته ، وما تُريد إلى نصره ؟ وكلَّما قتل بعضُ العرب بعضًا كان خيراً لك . قال : فما الرأى ؟ قال : أن تُدارِك جيشَك وتردَّه ، وتبعثَ إلى امرئ القيس بحُلَّة مسمومة . ففعل ، فدخل امرؤ القيسِ الحمَّامَ فاطَّلى ولبِسَها وقد رقّ جِلدُه لقروحٍ كانت به ، فتساقط لحمُه . وردَّ قيصرُ جيشه ، وقدِم امرؤ القيس أنقِرَة ، فأقام بها يُعالج قروحَه إلى أنْ هلك بها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثمانمائة ، [وهو من شواهد س [(١)]]

٨١٦ (وأقسم أنْ لو التقَينا وأنتمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مُظلمُ)

٢٢٥ على أنّ (أنْ) عند سيبويه موطّئة كاللام فى لئن جئتنى لأكرمنَّك . فاللام فى لكان إذَنْ جواب القسم لا جواب لو .

وهذا نصُّ سيبويه : وسألته ، يعنى الخليل عن قوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذ اللّٰه مِيثاقَ النبيِّينَ لما آتيْتُكمْ من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لمَا معكم لتُؤمِنُنَّ به ولتَنصرُنَّه [(٢)] ﴾ فقال : ما ههنا بمنزلة الذى ، ودخلْتها اللام كما دخلت على إنْ حين قلت : واللّٰه لئن فعلت لأفعلنَّ ، فاللام التى فى ما كهذه التى فى إن ، واللام التى فى الفعل كهذه التى فى الفعل . ومثلُ هذه اللام الأولى أنْ إذا قلتَ : واللّٰه أنْ لو فعلَت لفعلتُ . وقال :

فأقسم أنْ لو التقينـــا .... البيت

فأنْ فى لو بمنزلة اللام فى ما ، فأوقعت هنا لامين : لامٌ للأوّل ولامٌ للجواب . ولام الجواب التى يعتمد عليها القسم [(٣)] . فكذلك اللامان فى قول اللّٰه : ﴿ لَمَا آتيتُكُم ﴾ الآية لامٌ للأوَّل ، وأخرى للجواب . ومثل ذلك ﴿ لَمْن تبعَكَ مِنْهُمْ لأمْلأنّ جَهَنَّمَ مِنّكم [(٤)] ﴾ ، إنّما دخلتِ اللام على نية اليمين . انتهى كلامه .

---

(١) التكملة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٣٥٥ وابن يعيش ٩ : ٩٤ وضرائر ابن عصفور ١٨١ والمغنى ٣٣ والتصريح ٢ : ٢٣٣ والأشمونى ١ : ٢٨٦ .

(٢) الآية ٨١ من آل عمران .

(٣) سيبويه : « ولام الجواب هى التى يعتمد عليها القسم » .

(٤) الآية ١٨ من الأعراف . وينتهى الاستشهاد عند سيبويه إلى « لأملأن » .

قال النحاس ، وتبعه الأعلم : أنْ ههنا توكيد كاللام فى لَئِن . ألا تَرى أنَّ اللام لا تدخُل ههنا ، لو قلت : أقسم لأنْ لو فعلت ، لم يجز ، لأنَّ اللام إنَّما تدخل فى القسَم أو فيما كان من سببيِّهِ نحو : والله لئن دخلت لأقومنّ ، فدخلت فى لأقومنَّ لأنّه المقسَم عليه . ودخلت فى لئن لأنّها من سببِهِ ، فأدخلت أنْ مع لو تأكيداً ، مثل اللام [1] . انتهى .

وكذا يكون الجواب للقسم لو عُدمت ، نحو : والله لو قمتَ لأكرمتُك . وعليه خرّج الشارح المحقق البيت الآتى ، كما أنَّ اللام الموطئة سواء ذكرت أم لم تذكر يكون الجواب بعدها للقسَم لا للشرط ، نحو : والله لئن تأتنى ، أو والله إن تأتنى أُكرمُك .

وقد تبع ابن عصفور سيبويه (فى شرح الإيضاح) فقال : وإذا توسَّطت لو أو لولا بين القسم والفعل الواقع جواباً له ، لزم أن يكون الفعل الواقعُ جواباً ماضيا ، لأنّه مغنٍ عن جواب لو ولولا المحذوف ، ودالٌّ عليه . وجواب لو ولولا لا يكون إلاّ ماضياً ، فوجب أن يكون الدالّ عليه كذلك . وقد يدخلون أنْ على لو توطئةً لجعل الفعل الواقع بعدها جواباً للقَسم ، كما يدخلون اللام على إن الشرطية . انتهى .

وبما نقلنا عن سيبويه يُعلم أنَّ قول ابن هشام (فى المغنى) : إنَّ أنْ بين القسم ولو زائدةٌ عند سيبويه ، خلافُ الواقع . وهذا كلامه : « الثانى ، أى من المواضع الأربعة التى تُزاد أنْ فيها ، أنْ تقع بين لو وفِعْلِ القسَم ، مذكوراً ، كقوله :

فأقسم أن لو التقينا ... البيت .

أو متروكاً كقوله :

---

(١) ط : « من اللام » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير .

أَما واللهِ أَنْ لو كُنتَ حُرًّا وما بالحرِّ أنتَ ولا العتيقِ (١)

وهذا قول سيبويه وغيره . انتهى .

وذهب ابن عصفور (فى شرح الجمل) إلى خلاف قول سيبويه ، فإنّه لما أنهَى الكلام على روابط الجملة الواقعة جوابَ قسم قال : إلاّ أن يكون جوابُ القسم لو وجوابَها ، فإنّ الحرف الذى يربط المقسَم به بالمقسَم عليه إذ ذاك إنّما هو أنّ ، نحو : واللهِ أنْ لو قام زيد لقَامَ عمرو . ولا يجوز الإتيان باللام كراهَة الجمع بين لامين ، فلا يجوز : واللهِ لَلَو قام زيد قام عمرو . انتهى .

وأورد عليه ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) ، وتبعه ابن هشام (فى المغنى) أنّ أنْ لو كانت للربط لوجب ذكرها ، ولا شبهة فى جواز قولنا : واللهِ لو قام زيدٌ لقام عمرو . وترك أنْ فى مثله أكثر من ذكرها . ٢٢٦

ونقضه الدَّمامينى (فى شرح المغنى المزْج) باللام الداخلة على جواب لو المنفِىّ ، كقوله :

ولو نُعطَى الخيارَ لمَا افترقنا ولكن لا خيارَ مع اللَّيالى (٢)

قال : فإنَّها حرفٌ رابط ، والأكثر تركُها ، نحو : ﴿ ولو شاء ربُّك ما فعلوهُ (٣) ﴾ . انتهى .

أقول : دخول اللام على حرف النفى فى الجواب شاذّ ، وهى إنّما تدخلُ على الجواب المثبت ، وبالشاذّ لا يردُ النقْض . وذهب ابنُ مالك إلى عكس

(١) الإنصاف ٢٠٠ والمقرب ١ : ٢٠٥ والتصريح ٢ : ٢٣٣ .

(٢) فى النسختين : « ولو يعطى » ، والوجه ما أثبت من التصريح ٢ : ٢٦ والهمع ٢ : ٦٦ والأشمونى ٤ : ٤٣ .

(٣) الآية ١١٢ من سورة الأنعام .

مذهب سيبويه ، فجعل الجواب للَوْ ، سواءٌ اقترَنت بأنْ أمْ لا ، وجَعل جوابَ القسم محذوفاً مدلولا [عليه [١]] بجواب لو . والصحيح مذهبُ سيبويه عملاً بقاعدة اجتماع القسم والشرط .

وقوله : (وأقسم أن لو التقينا وأنتم) أنْ بفتح الهمزة ، وروى : « وأقسم لو أنَّا التقينا » فلا شاهد فيه . وعلى الأوَّل همزة التقينا بالوصل ، نُقل كسرتها إلى واو لوْ ، فبقى الجزء مفاعلن بلا ياء . وفيه ضرورةٌ ، وهى العطف على ضمير الرفع المتّصل من غير تأكيدٍ بضمير رفع منفصل ، أو [أن [٢]] يكون فى الكلام طولٌ يقوم مقام التأكيد . قال ابن عصفور (فى الضرائر) : كان الوجه أن يقال التقينا نحن وأنتم ، إلاّ أنَّ ضرورة الوزن أوجبَتْ حذفَ الضمير المؤكّد . انتهى .

ومعنى البيت : لو التقينا متحاربَين لأظلَم نهارُكم فصرتم منه فى مثل اللَّيل . وكان تامّة أو ناقصة ، ولكم خبرها .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للمسيّب بن علس ، يخاطب بها بنى عامر بن ذُهل بن ثَعلبة ، وعامرٌ هو أخو شيبان بن ذهل ، فى شيءٍ صنعوهُ بحلفائهم . وقبله :

أبيات الشاهد

(لَعمِرى لئن جدَّتْ عداوةُ بيننا ... لَينتحيَنْ منِّى على الوَخْم مِيسَمُ)

وبعده :

(رأَوْا نَعماً سُودًا فهمُّوا بأخْذِه ... إذا التفَّ من دون الجميع المزنَّمُ

ومِن دونه طعنٌ كأنَّ رشاشَهُ ... عَزالَى مَزادٍ والأسِنّــــة تُرذِمُ

ألاَ تتَّقـون اللهَ يا آل عامـرٍ ... وهل يتّقى الله الأبَلُّ المصمَّمُ)

---

(١) التكملة من ش مع أثر تعديل فيها .

(٢) تكملة يفتقر إليها القول .

وقوله : « لينتحين » أى يميل عليه ويتعمَّدهُ ، من انتحى عليه بالمهملة ، إذا تعمَّده . وميِسم فاعله . يعنى أنّه يهجوه هجواً يَسِمُه به ، لا يفارقه عارُه . وأراد بالوخم عامَر بنَ ذهل [١] .

والنَّعم : الإبل الراعية . قال الفراء : هو مذكر لا يؤنّث ، يقال هذا نعمٌ واردٌ . والمزنَّم من الناس : المستلْحَقُ فى قوم ليس منهم ، ومن الإبل : الذى يُقطَع شىءٌ من أُذنه ويترك معلَّقا . وإنما يُفعَل ذلك بالكرام منها .

والعزَالِى : جمع عزلاء كصحارِى جمع صحراء . والعزلاء بالعين المهملة والزاى المعجمة ، فم المزادة الأسفل . والمزادة : دلوُ البئر الكبيرُ يُجرُّ بالثَّور . وتُرذِم ، بالذال المعجمة : تسيل وتَقطُر .

والأبَلُّ ، بالموحدة وتشديد اللام ، قال صاحب العباب : هو الحَلاَّفُ الظَّلوم . وذكر أبو عبيدة أنّه الفاجر . وأنشد البيت . وقال الكسائى : هو الذى لا يُدَرك ما عنده من اللُّؤم . والمصمَّمُ مِن أصمَّه الله فصَمّ . ويقال أصممته ، أى وجدته أصمّ .

وترجمة المسيِّب بن علس تقدَّمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين [٢] .

* * *

٢٢٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابعَ عشَرَ بعد الثمانمائة [٣] :

٨١٧ (فأُقسِمُ لو شىءٌ أتانا رَسولُه سِواكَ ولكنْ لم نَجِدْ لك مَدفَعا)

---

(١) نعته بالوخم ، والوخم بالفتح ، وبفتح فكسر ، والوخيم أيضا : الثقيل من الرجال .
(٢) الخزانة ٣ : ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٣) ديوان امرئ القيس ٢٤٢ وتأويل مشكل القرآن ١٦٦ وابن يعيش ٩ : ٧ ، ٩٤ .

على أن الجواب فيه محذوف ، وهو جواب القسم لا جواب لو ، عملاً بمقتضى الضابط فى اجتماع قسم وشرط .

والشارح المحقق استنبط هذا الحكمَ من كلام سيبويه ، فإنَّه لما ذكر أنّ الواقعة بعد القسم موطِّئة كاللام ، وكان الجواب للقسَم لا للشرط ، جعل هذا الحكم مستمرًّا بعد حذفها أيضا . وتقدير الجواب كما ذكره الفراءُ وغيره : لو أتانا رسولٌ سواك لدفعناهُ ، بدليل قوله « مَدْفعا » .

وفيه أنَّ الجواب مذكورٌ فى البيت الذى بعده ، وهو :

(إذن لردَدْناهُ ولو طال مُكثُه   لَدينا ولكِنّا بحبِّك وُلَّعا)

وعلى هذا يكون قوله (ولكن لم نجد لك مدفعا) جملة اعتراضيَّة . وعذرهم فى تقدير الجواب أنّ هذا البيت ساقط فى أكثر الرِّوايات ، وقد ذكره الزجّاجى (فى أماليه الصغرى والكبرى) فى جملة أبياتٍ ثمانية رواها عن المبرد [1] ، من قصيدةٍ لامرئ القيس ، ورأينا أن نقتصر عليها ، وهى :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

(بعثتُ إليها والنُّجومُ خواضعٌ   حِذاراً عليها أن تقومَ فتُسْمَعا
فجاءت قَطُوفَ المشيِ هائبةَ السُّرى   يُدافعُ رُكناها كواعبَ أربعا
يُزجِّينَها مَشْىَ النَّزيِفِ وقد جرى   صُباب الكرى فى مُخِّها فتقطَّعا
تقول وقد جَرَّدْتُها من ثيابها   كما رُعْتَ مكحولَ المدامع أتلعا
وجَدِّكَ لو شىءٌ أتانا رسولُه   سِواك ، ولكن لم نَجِدْ لك مدفعا
إذن لردَناهُ ولو طال مُكثُهُ   لدينا ، ولكنّا بحبِّك ولَّعا
فبِتنا نصدُّ الوحشَ عنَّا كأنّنا   قتيلانِ لم يعلم لنا النّاسُ مَصرعا
إذا أخذتها هِزّة الرَّوع أمسَكتْ   بمَنْكِبِ مِقدامٍ على الهول أروعا)

(١) فى النسختين : « من المبرد » . وانظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق كاتبه ٢٢٤ .

قوله : « بعثتُ إليها » إلخ قال شارح ديوانه : خواضع : مائلة للمَغيب من آخر الليل . حِذاراً عليها أن تقوم فيَسمع ولدُها صوتَها .

وقوله : « فجاءت قطوفَ » إلخ هذا البيت ساقطٌ من رواية ديوانه [١] ، وفاعل جاءت ضمير المرأة ، وقطوفَ بالنصب حالٌ منه . والقَطْف : ضِيقُ المشْى ، كمشى المقيَّد ، والفعل من باب ضرب . وكذلك « هائبةَ السُّرى » حال . ورُكناها : جانباها . والكواعب : جمع الكاعب ، وهى الجارية حين يبدو ثديُها للنُّهود .

وقوله : « يزجِّينَها » إلخ هذا البيتُ أيضاً ساقط من رواية ديوانه [١] . ويزجِّينَها : يدفَعْنها ويَسُقْنها . يقال زجَّيته تزجيه ، إذا [٢] دفعتَه برفقٍ للمشى . وهو بالزاى المعجمة والجيم . والنون ضميرُ الكواعب ، أى يمشِّينها كمشى النزيف أى السَّكْرانِ ، وهو بالنون والزاى المعجمة . والصُّبابة : البقيَّة . والكَرى : النوم ، يعنى كأنَّ فيها فتورَ النَّوم .

وقوله : « تقول وقد جرَّدتُها » إلخ راعَه يَرُوعه رَوعا ، إذا أفزعَه . والمدامع : الأجفان . والأتلع بالمثناة الفوقية : الطَّويلُ العنق . يقول : كأنَّها ظَبىٌ مكحول الأجفان ، أى أكحَلُ .

٢٢٨ وقوله : « وجدِّك لو شىءٌ » إلخ هذا البيتُ وما بعده مقولُ قولها . والواوُ للقسَم وجدِّك مقسم به . والجَدّ بالفتح : العظمة ، والحظّ والغنى ، والاجتهاد فى الشىء ، وأبو الاب . وكلٌّ من هذه الخمسة مُناسب . والمشهور : « وأقسم لو شىء » فالمقسَم به محذوف أى وأقْسم بما يُقَسم به ، كما نبه عليه الشارح المحقِّق فى آخر الفصل .

---

(١) أقول : هو ثابت فى رواية الطوسى ص ٢٤١ .

(٢) ط : « أى » ، وأثبت ما فى ش .

قال شارح ديوانه : « شيء » بمعنى أحد ، قال تعالى : ﴿ وإنْ فاتَكُم شيءٌ من أزوَاجكم إلى الكُفَّار [١] ﴾ ، أى أحدٌ من أزواجكم . تريد : لو أنَّ إنساناً أتانا رسولُه سواك ما أتيته ، ولكن لم نجد لك مدفعا ندفعك به عَنَّا . انتهى .

وجملة (أتانا رسوله) صفة شيء ، و (سواك) إمّا ظرف متعلّق بمحذوف ، وإمّا اسمٌ خارج عن الظرفية صفة ثانية لشيء ، ويجوز أن يكون حالا من الهاء فى رسوله .

وقوله : « إذَنْ لردَدْناه » هذا يدلُّ على أنّه جواب لو،لا جواب القسم ، فإنَّ إذن فى الغالب تكون جواباً للَوْ ، أو لإن الشرطيَّتين ، ظاهرتين أو مقدّرتين ، ولم يُسمع وقوعُها فى جواب القسم . وهذا البيت ساقط من رواية الديوان .

وقوله : « فبِتنا نصُدُّ الوحشَ عَنَّا » إلخ قال شارح ديوانه : لأنَّ الوحش لا تقرَب القتلى ولا النِّيام ولا غير ذلك من الناس . وإنما قال قتيلان لأنَّهما نائمان فى الفلاة .

وفى رواية الديوان بيتٌ بعد هذا ، وهو :

(تَجَافَى عن المأثور بينى وبينَها وتُدنى عليها السابرىَّ المضلَّعا)

تَجافَى : مضارعٌ أصله تتجافى ، أى ترتفع عنه . قال شارحه : المأثور : السَّيف الذى به أثْرأى جوهر . والسَّابرى : ضربٌ من الثياب . والمضلَّع : الذى فيه طرائق . يقول : ترتفع عنه لئلاّ يؤذيَها يُبْسه . يصف أنّه متقلِّدٌ سيفاً وتُدني عليها السابرىَّ ليقيَها من يُبْس السَّيف .

وقوله : « إذا أخذَتْها هِزّة » إلخ الهَزّة ، بالفتح مصدر هززت الشيء هزًّا فاهتزّ ، أى حرّكته فتحرّك . والهِزَّة بالكسر : نوعٌ منه . والرَّوع : الفزَع . قال

(١) الآية ١١ من سورة الممتحنة .

شارح ديوانه : أى أخذتها رِعْدة الفزع ، إذا فزِعت من شيْءٍ تراهُ أو من خوف أن يشعرُوا بنا . ويقال : يعتريها رِعدة الجماع ، ويقال : تخاف من الافتضاض فتُمسكُ بمنكِبِى تضُمنى إليها ، لتسكنَ من شدَّة الفزع ، لأنَّها لم تخرج من خِدْرها ولم تُباشر الرجال ، فهى فزعةٌ مذعورةٌ لما يراد منها .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين [١] .

وقد رويت هذه القصيدة لغيره . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(حَسْبُ المحبِّين فى الدُّنيا عذابُهمُ والله لاعذَّبتْهُمْ بعدَها سَقَرُ)

على أنّ الفعل الماضى إذا نُفِىَ بلا فى جواب القسم انقلب معناه إلى الاستقبال كما هنا ، فيكون ماضياً لفظا مستقبلا معنى ، لأنَّه حلف على نفى تعذيب النار ، وذلك متوقَّع ، بدليل تعلُّق الظرف به وهو بَعْدَها ، أى بعدَ الدنيا . فعلى هذا يجوز أن يقال : والله لا قام زيد . نصَّ عليه ابن السراج .

وقد تقدَّم الكلامُ على هذا البيت مفصَّلا فى الشاهد التاسع والعشرين بعد الستمائة [٢] .

وقوله:(فى الدنيا) متعلّق بعذابهم ، وهو جائز فى مثله على الصَّحيح لا بحَسْبُ ؛ لأنَّ المقابلة فى آخر البيت تقتضيه .

* * *

---

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .
(٢) الخزانة ٨ : ٣٣٢ – ٣٣٨ . وانظر الأغانى ١٩ : ١٥٠ والمغنى ٢٤٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثمانمائة [١] :

٨١٨ (وأىُّ فِعلٍ سَيِّئٍ لا فَعَلَهْ)

على أنَّ عدم تكرُّر لا فى الماضى خاصٌّ بالشّعر ، بدليل أنَّه لا يجوز فى غير الدعاء والقَسم : لا قام زيد . وأما قوله تعالى : ﴿ فلا اقتحَمَ العَقبة [٢] ﴾ فقد أُجاب عنه الشارح المحقِّق بما ذكره . والاقتحام : الدُّخول فى الأمر الشديد . وذِكر العَقَبة هنا مثلٌ ضربَه الله لمُجاهدة النَّفسِ والهوى والشيطانِ فى أعمال البر ، فجعله كالذى يتكلَّف صُعود العقبة . يقول : لم يحمل على نفسه المَشقّة بعتق الرقَبةِ والإطعام . ٢٢٩

وذهب ابن يعيش إلى أنَّ نفى الماضى بلا قليلٌ ، وهى معه بمعْنَى لم ، سواء تكرَّرت أم لا . ومثَّل بالآيتين والبيت ثم قال : حملوا لا فى ذلك على لم ، إلاّ أنَّهم لم يغيِّروا لفظ الفعل بعد لا كما غيرُوهُ بعد لم ، لأنَّ لا غير عاملة ولم عاملة ، فلذلك غيَّروا لفظ الفعل إلى المضارع ليظهر فيه أثر العمل .

هذا كلامه ، وكذلك قال ابن الشجرى (فى أماليه) ، ولم يقيِّده بقلّة ، إلا أنّه قال : وأجود ما يجىء ذلك مكرّرًا .

وهذا ليس بشئ ، لاقتضائه جوازه قياسًا . والجيّد قول ابن هشام (فى المغنى) : إنَّ ترك التكرار شاذّ .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ خمسةٍ من رجزٍ لشِهاب بن العَيِّف ، وهى :

أبيات الشاهد

(لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بنَ جبَلَهْ زنَّا على أبيـه ثم قَتَلـهْ
ورَكِبَ الشادخة المحَجَّلـه وكان فى جاراته لا عَهْدَ له

---

(١) إصلاح المنطق ١٥٣ والإنصاف ٧٧ وابن يعيش ١ : ١٠٩/٨ : ١٠٨ والمغنى ٢٤٣ .
(٢) الآية ١١ من سورة البلد .

* فأىّ أمرٍ سيِّيء لا فعَلَه *)

قوله:« لاهُمَّ » إلخ يريد اللهمَّ ، أى يا الله ، فحذف أل لضرورة الشعر . والحارث بن جبَلة بفتح الجِيم والموحَّدة ، وهو ملكٌ من ملوك غسان بالشَّام فى الجاهليَّة ، ويقال لهم أولاد جَفْنة . والحارث بن جبَلة أمُّه ماريَة ذاتُ القُرِطين ، يضرب بهما المثل ، يقال : « خذْهُ ولو بقرطَىْ ماريَة » . وهو جدُّ جَبَلة بن الأيهَمِ ابن جَبَلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . فالحارثُ أبوه جبلة ، وابنه جبلة ، وابن ابنه جبلة .

وقوله : « زَنَّا على أبيه » قال ابن السكيت (فى باب ما يهمز فيكون له معنىً وإذا لم يهمز كان له معنىً آخر ، من إصلاح المنطق) : يقال قد زنَّأ عليه بالتثقيل والهمز ، إذا ضيَّق عليه . والزَّناءُ الضِّيق . وأنشد هذا الشعر ثم قال : وكان أصله زَنَّأ على أبيه بالهمز ، فتركه للضرورة . انتهى .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : يُروى بتخفيف النون وتشديدها . فمَنْ رواه مخَّففا فمعناه زنَى بامرأته ، ومن رواه مشدَّدا فأصله زَنَّأ مهموز ، ومعناه ضيَّـق عليه . وهذا القول أوجَهُ ، وهى رواية ابن السكيت . انتهى .

وقد خلط ابن هشام (فى المغنى) فنسب المخفَّف إلى يعقوب بن السكيت وقال : أصله الهمز ، وفسَّره بضيَّق ، فأخطأ فى ثلاثة مواضع . ثم قال : وروى بتشديد النون ، والأصل زَنَى بامرأة أبيه ، فحذف المضاف وأناب على عن الباء. فجعله غير مهموز ، وفسَّره بمعنى المخفَّف. فهذان خطآن .

وقوله:« وركِب الشَّادخةَ » إلخ . قال ابن السكيت : أى ركب فَعلةً قبيحة مشهورة . يقال شدَخت الغُرّة ، إذا اتَّسعت فى الوجه . ومنه أخَذ (شارح أبياته ابن السيرافى) فقال : الشادخة : الفَعْلة القبيحة التى تَشدَخ فاعلَها ، والشّادخة أيضا من الغُرَر . يريد أنّه ركب أمراً واضحاً فى القُبح . والمحجَّلة :

المشهورة التى لا خفاءَ بها . وكذا قال التِّبريزى (فى تهذيب الإصلاح) : الشادخة : الغُرّة التى يُكنى بها عن الأمر الشهير ، وكذا المحجَّلة من التحجيل ، وهو بياضُ القوائم . وهم يقولون فى الشىء المشهور : هو أغرُّ محجَّل . ٢٣٠

وقوله : « وكان فى جاراتهِ » إلخ هى النساءُ اللاتى يجاوِرْنه . والعَهْد : الذِّمام والحُرمة .

وقوله : (وأىُّ أمر سَيِّيءٍ) إلخ يروى بالواو وبالفاء . والسَّيِّيءُ كسيِّد ، من السُّوء وهو الفعل المتّصف به . وصفَه بالغدر وقِلَّة المعروف ، وأنه ضيَّق على أبيه فقتلهُ وركِب الخُطَّة الشَّنْعاءَ الشَّهيرة ، ولم يَرْعَ ذِمامَ جاراته ، بل انتهك حُرمتهنَّ ، وما ترك أمرًا ذميماً إلاّ ارتكبه . وروى أنّه كان إذا أعجبته امرأةٌ مِن قيس أرسلَ إليها فاغتصبها ، حتَّى قال بعضُ الكلابيِّين :

يأيُّها الملكُ المَخُوفُ أمَا تَرى ... ليلاً وصبحًا كيف يَعتقبانِ
هل تستطيعُ الشَّمسَ أن تأتى بها ... ليلاً ، وهل لك بالمليكِ يَدانِ
اعلمْ وأيقِنْ أنَّ ملكَكَ زائلٌ ... واعلمْ بأنَّ كما تدِين تُدَانُ

وفى البيت الأخير إقواء .

وكان منشأ تلك الأبياتِ ما رواه أبو محمد الأعرابى (فى ضالَّة الأديب) قال : كان من قصَّة الشعر أنَّ المنذر بنَ ماء السماء ، وهو ذو القَرنين ملكُ الحيرة اللَّخْمىُّ ، دعا ذاتَ يومٍ الناسَ فقال : من يهجو الحارثَ بنَ جبلةَ الغَسّانىَّ ؟ فقالوا : حَرملة بن عَسَلة المرّىّ . فقال : يا حرملَة ، اهْجُه ولكَ مائةٌ من الإبل . فقال : أبيتَ اللَّعنَ ، إنَّهم أخوالى ، وإنّه لا ينبغى لى أن أهجوَهُم . فتوعَّده ، فقال حَرملة بن حكيم بن عُفير بن طارق بن قيس بن مُرّة بن همَّام ، وأمُّه عَسَلة بنتُ عامر بن شَراكة قاتلِ الجُوع الغَسَّانىّ :

ألم تر أنِّى بلغتُ المشيبا وفى دارِ قَومىَ عَفًّا كَسُوبا
وأنَّ الإلـه تنصفتُـه بأنْ لا أعُقَّ وأنْ لا أحُوبا
وأن لا أكافرَ ذا نِعمةٍ وأن لا أخيِّبه مُستثيبا[(١)]
وغَسّانُ قومٌ همُ والدِى فهل يُنسِيَنَّهُمُ أنْ أغِيبا
فأوزِعْ بها بعضَ من يَعتريكَ فإنَّ لها من معدٍّ كليبا
وإنّ لخالىَ مندوحةً وإنَّ علىَّ بغيبٍ رقيبا

فانبرى شِهاب بن العَيّف أخو بنى سُليمة من عبد القيس فقال :

* لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بنَ جبله * الأبيات .

فأسَرَهما الحارثُ بن جَبَلة فى هزيمة المنذر ، فقال : يا حرملة ، اخترْ ما شئتَ فى مُلكى . فسأله جاريتين ضَرَّابتين ، فأعطاهما إيَّاه ، فنزل فى النَّمِرِ فقعد يشرب هو ورجلٌ من النَّمِر يقال له كعب ، فلما أخذ الشَّرابُ فى النمرى قال : يا حرملة ، من هذه المرأة الحمراء ؟ مُرْها فلتَسْقِنِى . فَغضب حَرمَلةُ ، ثم أعادَها فضربه حَرملةُ بالسَّيف فقتله ، وقال فى ذلك:

يا كعبُ إنّك لو قَصرت على حُسْنِ النّدامِ وأنتَ ذو حِلْمِ
وسَماعِ مُسْمعةٍ تُعلِّلنا حتَى نؤوبَ تَناومَ العجم[(٢)]
لوَجَدت فينا ما تُحاوِلِ مِن صافى الشراب ولذَّة الطَّعم[(٣)]

مع أبيات خمسة أخرى ، وقال لابن العَيِّف : اختر منى ثلاثَ خلال : إمَّا أن أطرحك على أسدَينِ ضاريَين فى بئر ، وإمَّا أن أُلقيَك من سُور دِمَشق ، وإمَّا أن يقوم

---

(١) هنا ينتهى النص الذى ورد فى أسماء المغتالين ٢ : ١٤٢ – ١٤٣ من نوادر المخطوطات . وقد رُويت الأبيات ما عدا الأخير منها فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء لابن حبيب فى النوادر ١ : ٩٥ .

(٢) فى النسختين : « يؤوب » ، صوابه من المفضليات ٢٧٩ حيث وردت القصيدة منسوبة إلى عبد المسيح بن عسلة ، وهو أخو حرملة بن عسلة الذى نُسب الشعر إليه هنا .

(٣) هذا البيت لم يرد فى المفضليات .

٢٣١ الدُّلامص – سيَّافٌ كان له – فيضربك بعصاه هذه ضربةً . فاختار ضَربة الدُّلامص . فضربه زعموا على رأسِه فانكسرت فخِذُه ، فاحتمله راهبٌ وداواه حتَّى برأ وهو يخْمَعُ منها ، فكان هذا والحارثُ يومئذٍ بقِنَّسرين . انتهى .

وكذا أورد هذه الحكاية محمد بن حبيب (فى كتاب المقتولين غيلة) .

شهاب بن العيِّف — وشِهاب بن العيِّف العبدىُّ شاعرٌ جاهلىٌّ . والعَيِّف ، بفتح المهملة وكسر المثناة التحتية المشدّدة . والعَبْدىّ : نسبةٌ إلى عبد القيس ، لأنَّه أحد بنى سُلَيمة مِن عبد القيس [١] ، بضم السين وفتح اللام ، وهما فى بنى شيبان .

وقد نسَبَ هذا الشعرَ إلى شهاب بن العيِّف محمدُ بن حبيب ، والآمدىُّ أيضا (فى كتاب أشعار بنى شيبان) ، ووقع (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمَّهاتهم [٢]) أنَّ هذا الشعْرَ لعامر بن العيِّف [٣] ، أخى شهاب بن العيِّف . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعداً)

على أنَّه يجوز حذفُ حرف النفى من المضارع الواقع جوابَ القسم كما هُنا ، وأصلُه : لا أبرح ، فحذف لا . وأمَّا حذفُ النافى من الماضى ومن الجملة الاسميَّة فغير جائز اطّرادًا ، وقَلّ الحذف منهما . أمَّا الأول فنحو قول أميَّة بن أبى عائذٍ الهذلى :

---

(١) ط : « بن عبد القيس » ، صوابه فى ش والاشتقاق ٣٦ ونوادر المخطوطات ١ : ٩٥ .

(٢) هو كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ، فى النوادر ١ : ٩٥ .

(٣) الذى فى نسخة من نسب إلى أمه من الشعراء : « عمارة بن العيف » .

فإن شئتِ آليتُ بينَ المَقا م والرّكْنِ والحجر الأسودِ[١]
نسيتُكِ ما دامَ عقلى معى أُمدُّ به أَمَدَ السَّرمدِ

أى لا نَسِيتُك . قال ابن مالك : ويكثر ذلك إن تقدَّم نفىٌ على القَسم ، كقوله :

* فلا والله نادى الحىَّ ضيفي [٢] *

أى لا نادى .

وأما الثانى فكقول عبد الله بن رَوَاحة :

فوالله ما نِلتم ولا نِيل منكُمُ بمعتدِل وَفْقٍ ولا مُتقاربِ [٣]

أراد : ما [ما [٤]] نلتم ، فحذف النافية وأبقى الموصولة . ولا يجوز العكس ، لأنّه لا يجوز حَذفُ الموصول وإبقاءُ صلته عند البصريِّين .

والمصراع صدرٌ ، وعجزه :

(ولو قطعوا رأسِي لدَيكِ وأوصالى)

والبيت تقدم شرحه قريبًا قبل هذا بعشرة أبيات [٥]

* * *

(١) شرح ديوان الهذليين ٤٩٣ . وليس فى ديوان الهذليين لأن القسم الذى فيه شعر أمية من رواية الأصمعى مفقود .

(٢) للمتنخل الهذلى فى ديوان الهذليين ٢ : ٢١ والهمع ٢ : ٤٤ . وعجزه :

* هدوا بالمساءة والعلاط *

(٣) المغنى ٦٣٨ والهمع ١ : ٢/٨٨ : ٤٢ .

(٤) التكملة من ش .

(٥) الخزانة ١٠ : ٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسعَ عشرَ بعد الثمانمائة [١] :

٨١٩ (تاللهِ يَبْقَى على الأيَّامِ ذو حَيِدٍ   بمشمخرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ)

على أنّه حذف من يبقى (لا) ، والتقدير : تالله لا يبقى . وأنشده سيبويه بلفظ :

« للهِ يبقىَ على الأيّام » . البيت .

على أنَّ اللام فيه حرف قسم وتعجّب ، وهذا نصُّه : وقد تقول : تالله ، وفيها معنى التعجُّب . وبعضُ العرب يقول فى هذا المعنى : لله ، فيجىء باللام ، ولا يجىء إلاَّ أن يكون فيه معنى التعجب . وأنشد البيت .

وهو من قصيدةٍ أوّلُها :

أبيات الشاهد

(يا مَىّ إن تَفقِدِى قوماً ولدتِهِمُ   أو تُخْلَسيهِمْ فإنَّ الدَّهر خلّاسُ [٢]
عمروٌ وعبدُ منافٍ والذى عَهِدتْ   ببطن عَرعَرَ آبى الضَّيمِ عَبّاسُ
يا مىّ إنّ سباع الأرض هالكةٌ   والعُفْرُ والأُدم والآرامُ والنّاسُ
تالله لا يُعجِز الأيّامَ مبتركٌ   فى حوَمة الموتِ رزّامٌ وفرّاسُ
يَحمِي الصَّرِيمَةَ ، أُحدانُ الرِّجال له   صَيدٌ ، ومستمعٌ بالليل هجّاسُ)   ٢٣٢

ثم وصَف الأسدَ بثلاثة أبيات فقال :

(يا مىّ لا يُعجز الأيّام ذو حِيَدٍ   بمشمَخِرّ به الظَّيّانُ والآسُ)

---

(١) لم ينص هنا كعادته أنه من شواهد سيبويه ، وإن كان قد نبه على ذلك فيما سيأتى . والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ١٤٤ والمقتضب ٢ : ٢٣٤ وأصول ابن السراج ١ : ٥٢٤ وابن الشجرى ١ : ٣٦٩ وابن يعيش ٩ : ٩٨ ، ٩٩ والمغنى ٢١٤ والهمع ٢ : ٣٢ ، ٣٩ والأشمونى ٢ : ١١٦

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ١ — ٥ وشرح السكرى ٤٣٩ — ٤٤٣ .

ثم وصف الوَعِل إلى آخر القصيدة ، فى سبعة أبيات ، والبيتان الأوَّلان من شواهد سيبويه [١] .

قال الأعلم : الشاهد فى قطع عمرٍو وما بعده ممّا قبله وحملُه على الابتداء . ولو نصب على البدل من القوم لجاز . ومعنى تُخلَسيهم بالبناء للمفعول : تُسلَبيهم . والخَلْس : أخذ الشىء بسُرعةٍ . أى إنْ أفقدك الدهر إيّاهُم فذلك شأنُه . وأراد بعمرٍو عَمرو بنَ عبدِ مناف بن قُصّى ، وهو هاشم بن عبد مناف . وأراد بالعبّاس العباسَ بنَ عبد المطّلب . وإنَّما ذكَرهم وقال ولدتِهم لأنّهم كلُّهم من ولد مدركة بن الياس بن مُضَرَ .

وعَرعر : موضع . وروى بدله : « ببطن مكة » . وآبِى ، من الإباء ، وهو الامتناع . والضَّيم : الظُّلم .

وقد تقدَّم شرحُهما فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة [٢] .

وقوله : « والعُفْر والأُدم » إلخ العُفر بضم المهملة : الظباء . والأُدم : السُّمر منها ، والآرام : البِيض منها .

وقوله : « تاللّه لا يُعجز الأيَّام » مع البيت بعده ، هما من شواهد سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيهما جرى الصِّفات على ما قبلها ، مع ما فيها من معنى التعظيم . ولو نصب لجاز .

قال السكرى : الأيّام هنا : الموت . والمبترك : المعتمِد [٣] وهو الأسَد . وحَومَة الموت : الموضع الذى يدُور فيه الموتُ لا يبرحُ منه . والرَّزّام : المصوِّت .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٢٥ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٧٤ – ١٧٩ .

(٣) فى النسختين : « المتعمد » ، صوابه من شرح السكرى ٤٤٢ . والرواية فى ديوان الهذليين :

* يا مى لا يعجز الأيام مجترئٌ *

يقال رزم الأسد يَرزِم . وإذا برك الأسد على فريسةٍ رَزَم . وفَرّاس : يدقُّ ما يصيبُه . والصَّريمة : موضع . وأُحدان الرِّجال : الذين يقول أحدهم : أنا الذى لا نظيرَ له فى الشَّجاعة والبأْس . يقول : هذا الأسد يصيد هؤلاء الذين يُدِلُّون بالشجاعة وهو مع ذلك لا ينجو من الموت .

وقوله :

* يا ميّ لا يُعجز الأيامَ ذو حِيَدٍ *

هكذا وقع فى جميع الروايات ، ولكن سيبويه ثقة ، والقول ما قالت حَذام .
وقوله : (ذو حيد) رواه المبرد بفتح الحاء المهملة والمثناة التحتية ، وجعله مصدراً بمنزلة العَوَج والأَوَد ، وهو اعوجاجٌ يكون فى قَرن الوعِل . ورواه ثعلب بكسر المهملة ، وكذا السكّرىّ ، وفسَّره بجمع حَيْدة ، مثل حِيَض جمع حَيْضة . والحَيدة : العُقدة فى قرن الوعل . ومنهم من جعله جمع حَيْد ، وهو كل نتوءٍ فى القرن والجبَل وغيرهما . وقال بعضهم : هو مصدر حاد يحيد حَيْدا بالسكون ، فحرّكه للضرورة ، ومعناه الرَّوَغان . وروى :« ذو جَيَد » بالجيم ، وهو جَناح مائلٌ من الجَبل . وقيل يعنى به الظّبىَ . والوعِلُ : التَّيسُ الجبلى . وروى الحُلوانى بدله : « ذو خَدَمٍ » بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة . وقال : الخدَم : البياض المستدير فى قوائم الثَّور ، واحدها خدَمة . المُشْمَخِرُّ : الجبل الشامخ العالى . والباء بمعنى فى ، متعلِّقة بمحذوفٍ هو صفة لذى حيد . وجملة (به الظَّيَّان) صفة لمشمخرّ . والظَّيّان بالظاء المعجمة وتشديد المثناة التحتية : ياسَمين البرّ . والآس : الريحان . وإنّما ذكرهما إشارةً إلى أنَّ الوعل فى خِصب ، فلا يحتاج إلى الإسهال فيصاد . وقال الحلوانى : الآس : نُقَط من العَسل تَقع [١] من النحل على الحجارة ، فيستدلّون به أحيانا .

---

(١) ط : « يقع » ، وأثبت ما فى ش . وانظر الخزانة ٥ : ١٧٨ .

وهذا البيت تقدَّم الكلامُ عليه أيضاً فى الشاهد الخامس والستين بعد الثلثمائة (١) .

٢٣٣ صاحب الشاهد

وهذه القصيدة نسبها السكّرىُّ إلى أبى ذؤيب الهذلى ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السابع والستين (٢) . وعزاها الحُلوانى إلى مالك بن خالد الخناعى . وخُناعة ، بضم المعجمة وتخفيف النون ، هو خناعة بن سعد بن هُذيل . ونسبها غيرُهما إلى أمَّية بن أبى عائذ الهذلى كما تقدَّم هناك . وقد تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والخمسين بعد المائة (٣) .

وقد وقع المصراع الأوَّل كما رواه الشارح المحقِّق فى قصيدةٍ لساعدة بن جؤيَّة الهذلى ميمية هكذا :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد   أدفَى صَلودٌ من الأوعال ذو خَدَمِ

قال السكرى : يريد : والله لا يبقى . وقوله : « ذو حِيد » يعنى الوعل . والحيَد : كعوب فى القَرن . والأدفَى : الذى يذهب قرنه إلى ناحية ذنبه (٤) . والصَّلود : الذى يقرع الجبل بظِلْفه . والخَدَم : خطوط فى قوائمه .

وهذه قصيدة طويلة رثَى بها جماعةً ، وغالب ألفاظها ومعانيها على النمط الأوَّل . وترجمة ساعدة بن جؤية تقدَّمت فى الشاهد التاسع والستين بعد المائة (٥) .

* * *

(١) الخزانة ٥ : ١٧٤ — ١٧٩ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٢٢ — ٤٢٣ .

(٣) الخزانة ٢ : ٤٣٥ — ٤٣٦ .

(٤) ط : « إلى نحو ذنبه » ، وأثبت ما فى ش . وعند السكرى ١١٢٤ : « الذى ينحنى قرناه إلى ظهره » .

(٥) الخزانة ٣ : ٨٦ — ٨٧ .

وأنشد بعده :

(تنفَكُّ تسمَعُ ما حيِيـ ـتَ بهالكٍ حتّى تكُونَه [١])

على أنّه يجوز حذف (لا) من أخوات زالَ كما هنا ، فإنّ التقدير : لا تنفك تسمع . وفى غيرها لا يجوز .

وهذا وإن كان فى غير جواب القسم ، خاصٌّ بزال وأخواتها . وسمِع فى الشعر حذف (لا) فى غيرها . قال النمر بن تولب :

وقَوْلى إذا ما أطلَقُوا عن بعيرهم تُلاقونه حتى يَؤُوبَ المنخَّلُ [٢]

وخرَّجه ابن مالك على تقدير قسَم مقدَّر ، أى والله لا تلاقونه .

قال الدماميني : والظاهر أنَّ رأيه أولى ، ليكون من قبيل ما حُذف بقياس .

وقوله : « وقَوْلِى » معطوفٌ على أبدالى فى بيتٍ قبله ، وهو قوله :

لعَمِرى لقد أنكرتُ نفسى ورابنى مع الشَّيب أبدالى التى أتبدَّلُ

وأبداله : هى الشَّيب بعد الشباب ، والضَّعف بعد القوّة ، والهُزال بعد السِّمَن ، والسَّقَم بعد الصحَّة . والمقول هو « لا تلاقونه » إلخ . أى لا تلاقون البعيرَ بعد إطلاقكم إيَّاه حتى يؤوب المنخل . وهذا القول فى نفس الأمر ممَّا يُريب ، كأنَّه يدل على ذُهولِ عقلٍ وخَوف [٣] ، فإنَّ البعير إذا أُطلق ليس فى مَسْكه جَهْد عظيم [٤] .

---

(١) الإنصاف ٨٢٤ والسمط ٦٣١ وابن يعيش ٧ : ١٠٩ والعينى ٢ : ٧٥ والهمع ١ : ١١٦ .

(٢) ديوان النمر ٨٥ برواية « إذا ما غاب يوما بعيرهم » .

(٣) ط : « وخوف » صوابه فى ش . وفى جمهرة العسكرى ١ : ٣٦١ : « يريد أنه قد كبر وعجز عن طلب الأشياء » .

(٤) يقال مسك بالشىء وأمسك به وتمسك .

المنخَّل

والمنخَّل ، بفتح الخاء المعجمة المشددة : اسم شاعرٍ كان النُّعمان بنُ المنذر اتَّهمه مع امرأته ، فدفنه حيًّا ، فلم يُعرَفْ خبرُه إلى الآن . والعرب تضرب المثلَ به لغائب لا طمَعَ فى رجوعه . وبعده :

فيَضحَى قريباً غير ذاهب غَربةٍ وأُرسل أيمانى فلا أتحلَّـــلُ [(١)]

الغَرْبة بِفتح الغين المعجمة والموحدة : البُعد ، أى يصير البعير الذى أطلقوه قريباً منهم ولا يذهب ذَهابَ بُعد ، ومع ذلك أنا أُذهَل وأقول لهم ذلك القول ، فأرسل أيمانى ولا أقيِّدها باستثناء ، ولا أتحلل بقولٍ إن شاء الله .

وهذا البيت من أبيات المغنى [(٢)] ، ولم يشرحه شُرَّاحه ، ولهذا شرحتُه إجمالا .

والنمر بن تولب صحابىٌّ عاش دهرًا طويلا . وقد ترجمناه فيما مضى [(٣)] .

٢٣٤

وأما قوله :

تنفكّ تسمع ما حَيِيت ... البيت

فقد تقدّم شرحُه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد السبعمائة [(٤)] .

* * *

وأنشد بعده :

(فلا وأبى دَهْماءَ زالتْ عزيزةً)

---

(١) يضحى : يعطش . ورواية جمهرة القرشى ١١٠ : « وأضحى » ، وفسره بقوله : « أضحى : أعطش » . وفى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٥ : « فيضحى ، أى البعير » .

(٢) يعنى بيت النمر بن تولب فى أول الأبيات . انظر المغنى ٦٢٧ فى حذف لا النافية . على أن السيوطى قد شرحه عرضا فى أثناء وروده عرضا فى شواهد (لا) .

(٣) ترجمته فى الخزانة ١ : ٣٢١ — ٣٢٢ .

(٤) الخزانة ٩ : ٢٤٢ — ٢٤٥ .

على أنَّ أصله : فو أبى دهماء لا زالت عزيزة ، ففصل بين لا النافية وبين زالت بالجملة القسميّة ، أعنى قوله وأبى دهماء . أقسم الشّاعرُ بوالدِ هذه المرأة . وليسِ فيه حذف (لا) خلافا للفراء فى زعمه ذلك ، ولا (ما) خلافاً لابن عصفور فى دعواه .

وقد تقدَّم الكلام على هذا فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد السبعمائة [١] .

وهذا صدر ، وعجزه :

(على قومها ما فتَّل الزَّندَ قادحُ) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٢٠ (هذا ثنائى بما أوليتَ مِن حَسَنٍ   لا زلتَ عَوْضُ قريرَ العينِ محسودَا)

على أن (عَوْضُ) قد لا يستعمل فى القسم كما هنا ، وهو هنا ظرف بمعنى أبداً ، متعلِّق بلا زلت . وتقدَّم شرحُه مفصَّلا فى الشاهد العشرين بعد الخمسمائة [٣] .

صاحب الشاهد

والبيت آخر قصيدةٍ عدّتها أربعةَ عشَرَ بيتًا لربيعة بن مقروم الضبى ، أربعٌ منها فى النسيب [٤] ، وأربعٌ فى ذكر ناقته ، وستٌّ فى مدح مسعود بن سالم بن أبى سُلمِيّ ، بضم السين وشد الياء ابن ربيعة بن ذبيان [٥] بن عامر بن ثعلبة بن ذُؤيب بن السِّيد .

---

(١) الخزانة ٩ : ٢٣٧ — ٢٤١ .
(٢) المفضليات ٢١٤ والأغانى ١٩ : ٩٢ .
(٣) الخزانة ٧ : ١٢٩ — ١٣٠ .
(٤) ش : « فى التشبيب » .
(٥) كذا فى ش والأغانى ١٩ : ٩١ . وفى ط : « ديان » وفى المفضليات : « زبان » .

روى صاحبُ الأغانى عن أبى عَمرٍو : أنّ ربيعة بن مقروم أُسِر واستيقَ مالُه ، فتخلَّصَه مسعودٌ المذكور ، فمدحه ربيعةُ المذكور بهذه القصيدة .

وهذه سبعةُ أبياتٍ منها يخاطب ناقتَه :

أبيات الشاهد

(لمَّا تشكَّتْ إلىَّ الأَينَ قلتُ لها لا تستريحِينَ ما لم ألقَ مسعودا
ما لم أُلاقِ امرأً جزلاً مواهِبُه سَهلَ الفِناء رحيبَ الباع مَحمودا
وقد سمعتُ بقومٍ يُحمَدُون فلم أسمَعْ بمثلك لا حِلمًا ولا جُودا
ولا عفافاً ، ولا صبراً لنائبة وما أخبِّر عنكَ الباطِلَ السِّيدا
لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا يُلفَى عطاؤك فى الأقوام مَنكودا
وقد سَبقت بِغايات الجياد وقد أشبهتَ آباءَكَ الصِّيدَ الصَّناديدا
هذا ثنائى بما أولـيت .... إلخ)

وقوله : لمَّا تشكتَّ إلخ الأين : التَّعب . والسِّيد : قبيلُ الممدوح من آل ضبّة . قاله صاحب الأغانى .

وقال ابن الأنبارىّ (فى شرح المفضليات) : قال أبو جعفر : السِّيد : قومُ ربيعة بنِ مقروم . يقول : لا أخبِّرهم عنك باطلاً وإنّما أمدَحك بالحق .

وقوله : « لا حلمك الحلم » إلخ قال ابن الانبارى : أى لم يَطِشْ حلمك فيُوجَدَ عليه . والصِّيد : جمع أصيَد ، وهو الذى لا يكاد يلتفت من التكبُّر . والصَّناديد : الكرام .

وقوله : « هذا ثنائى » إلخ قال ابن الأنبارى : أراد بعوضُ الدّهرَ ، وهو مبنىٌّ على الضم . يقول : لا زلتَ محسودًا ذا نِعمة تُحسَد عليها . كقول الآخر :

محسَّدون على ما كان من نعَمٍ لا يُذهب الله عنهم ما له حُسِدوا

٢٣٥ ومثله قول الآخر [1] :

---

(١) هو بشار بن برد . ديوانه ٣ : ٩٧ .

إن يحسُدونى فإنِّى غير لائمهم قَبلى من النّاسِ أهلِ الفَضْلِ قدْ حُسِدوا

أى من كانت له نعمة حُسِد عليها . أى فلا زلت محسودا . وحكى أبو عثمان عن أبى زيد أنَّ العرب لا تقول : حُسِد حاسدك ، أى بالبناء للمفعول ، لأنَّه إذا قال له ذلك دعا له بأن يكون [له [1]] ما يُحسَد عليه ، ولكنهم يقولون : حَسَدٌ لحاسدك . انتهى .

وترجمة ربيعة بن مقروم تقدَّمت فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الستمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد الثمانمائة [3] :

٨٢١ (وقُلْنَ على الفِردوسِ أوّلُ مَشربٍ أجَلْ جَيرِ إن كانت أُبيحت دعاثِرُهْ)

على أنّ (جَيْر) قد تستعمل فى غير القَسم كما هنا ، فإنَّها حرف تصديق بمعنى نعم بدون قسم .

وصنيع الجوهرى يُوهم أنَّها مع القسم ، لأنّه قال : قولهم جيرِ لا آتيك ، بكسر الراء : يمينٌ للعرب ، ومعناها حقًّا . وأنشد هذا البيت بعينه .

والبيت أورده أبو محمد بن أحمد بن الخشاب [4] مع بيتٍ قبله ، وهو :

(تحمَّلَ من ذات التَّنانير أهلُها وقَلَّصَ عن نِهْى الدَّفينةِ حاضرُه)

---

(١) التكملة من ش مع أثر إقحام . وفى هامش المطبوعة : « قوله بأن يكون إلخ كذا بالأصل ولتتأمل » .

(٢) الخزانة ٨ : ١٣٤ — ١٣٥ .

(٣) مجالس العلماء ٢٢ ومعجم ياقوت (فردوس) وابن يعيش ٨ : ١٢٢ ، ١٢٤ والمغنى ١٢٠ والعينى ٤ : ٩٨ والهمع ٢ : ١٢٥ وديوان طفيل ١٠ كرنكو .

(٤) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب ، المتوفى سنة ٥٦٧ .

صاحب الشاهد

وهما من قصيدة لمضرِّسٍ الأسديّ ، أوردها الأصمعيُّ فى (الأصمعيات [١]) ، وهى قصائد اختارها لهارونَ الرَّشيد ، فاشتهرت بالأصمعيَّات .

وأورد منها ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل ستة عشر بيتا . وقوله :

* تحمّلَ من ذات التنانير أهلُها *

ذات التنانير غير موجود فى المعجم للبكرى [٢] ، قال ابن المستوفى : هو موضع . وقال العينى : هى عقبة بحذاء زُبالة . قال البكرى : زبالة بضم أوله بعده . مُوَحّدة ، قال محمد بن سهل : هى بلدٌ من أعمال المدينة [٣] سمِّيت بزبالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت فيه فسمِّي بها . أى ارتحل أهلِ هذا البلد منه .

وقَلّصَ ، أى ارتفع . والنِّهْيُ ، بفتح النون وكسرها وسكون الهاء فيهما ، هو الغدير . والدفينة ، قال العينى : هو موضعٌ . وقال ابن المستوفى ؛ هو فعيلة من

---

(١) هذا نص نادر يثبت نقص الأصمعيات المطبوعة . وانظر ما أثبتنا فى مقدمة المفضليات ٢٢ – ٢٣ .

(٢) الحق أن البكرى أورده فى معجمه وأفرد له رسما خاصا فى التاء والنون ص ٣٢٠ ، قال : « ذات التنانير على لفظ جمع تنور ، وهى أرض بين الكوفة وبلاد غطفان ، قاله يعقوب ، وأنشد لمزرد :

فما نمت حتى صاح بينى وبينهم ... بذات التنانير الصدى والعوازف

وقال الشماخ :

وكادت على ذات التنانير ترتمى ... بها القُور من حاد حدا ثم بربرا

وقال الراعى :

تحملن من ذات التنانير بعدما ... مضى بين أيديها السوام المسرح » .

(٣) بعده فى معجم البكرى ٦٩٤ : « سميت بضبطها الماء وأخذها منه كثيرا ، من قولهم : إن فلاناً شديد الزبل للقِرَب » .

قولهم : دفنت الشيء ، فهو مدفون ودفين ، وركِيَّة دفين ، إذا اندفنَ بعضُها . وهذه الكلمة غير موجودةٍ أيضا (فى معجم البكرى) ، وإنمّا فيه (الدَّفين) بلا هاء ، قال : وهو واد قريبٌ من مكة .

والحاضر : الحىُّ العظيم ، قاله ابن المستوفى . وقال السيوطى : هو المقيم . وفى الصحاح : الحاضر : الحىُّ العظيم ، وهو جمع كما يقال سامر للسمَّار . وفلانٌ حاضرٌ بموضع كذا ، أى مقيم . ويقال : على الماء حاضرٌ وقوم حُضّار ، إذا حضَرُوا المِياه ، ومَحاضر ، وحَضَرَة ، مثل كافر وكفرة .

وقوله : (وقلن) يعنى النساء ، يعنى أنهنَّ قُلنَ : إن ارتحلنا عن هذا الماء فإنّ أوَّل مشربٍ نَرِده الفردوسُ .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) قال أبو عُبيدٍ السَّكونى : الفردوس ماءٌ لبنى تميم عن يمين الحاجّ من الكوفة . وفردوس بلا لام : روضة دون اليمامة . وفردوس الإياد [(١)] فى بلاد بنى يربوع .

والهاء فى (دعاثره) يجوز أن تعود على لفظ الفردوس ، ويجوز أن تعود على مَشرب . وأوّل مشربٍ مبتدأ ، وعلى الفردوس خبره . ثم أخبَرَ بأجَلْ جَيرِ ، أى نعمْ إن كانت دعاثره مُبَاحةً غير ممنوعة . وهذا من تسمية الشيء بما يؤُول إليه . وجواب الشرط محذوف ، أى إن كانت أبيحت دعائره فانزلْن به .

٢٣٦

وقال العينى : على الفردوس حال ، والخبر محذوف . أى قلن حال كونها [(٢)] نازلاتٍ على الفردوس : لنا أول مشرب .

---

(١) فى النسختين : « الايادى » ، صوابه فى معجم البكرى ١١٩٦ وياقوت (فردوس) وأنشدا لمالك ابن نويرة :

حلول بفردوس الإياد وأقبلت ... سراة بنى البرشاء لما تأبدوا

وفى معجم ياقوت أيضا أن الإياد بالكسر : موضع بالحزن لبنى يربوع .

(٢) كذا فى النسختين .

قال ابن المستوفى : وجَدْته يُروَى : « أن كانت » بفتح الهمزة ، وتكون فى موضع المفعول به . وكسر إنْ أولَى ، أى إنَّ أوَّلَ مشرب على الفردوس كما ذكرتن مالم تُمنَع دعاثره . ودعاثره مع إنْ الشرطيَّة غير مباحة ، لأنَّ الشرط قد يقع وقد لا يقع ، ومع أن المصدرية مُباحة . والأوّل أولَى بالمعنى .

وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) : رُوى أَنْ بفتح الهمزة وكسرها ، والكسر هو رواية المفصَّل ، ولكليهما وجه : أمّا وجه الفتح فهو أنَّ ذلك قد تحقَّق لأجل إباحة حياضه . وأمَّا وجه الكسر فهو أنّ ذلك متحقق إن كان قد حصل الإباحةُ لدعاثره . فظهر أنّ الفتح فى المعنى المرادِ أقوى [1] ، وإن لم يبعد مع الثانية . انتهى .

وهو جمع دُعْثور بالضم . فى الصحاح : والدُّعثور : الحوض المتثلّم . وأنشد هذا البيت . وقياسه دعاثير ، إلاّ أنّه حذف الياء ضرورةً . والمَشْرب : موضع الشُّرب . وقال بعضهم : مصدر ميمى ، أى على الفردوس أوّل شُرب نشربُه .

وقوله : (إن كانت أبيحت دعاثره) من باب التنازع ، فإنْ رفعتَ دعاثره بأُبيحتْ فاسمُ كان ضمير الدعاثر ، أى هى . وإن رفعته بكانت ففى أبيحت ضميرها . وجملة أبيحت على الوجهين خبر كانت . و (أجَلْ) : حرف تصديق ، وجَيرِ توكيدٌ له .

وهذا البيت كذا فى المفصَّل وغيره ، ولم أره كذا فى شعر مُضرِّسٍ على ما رواه الأصمعىّ ، وإنَّما الرواية كذا :

وقُلن ألاَ الفِردوسُ أوّلُ مَحضَرٍ ... مِن الحىِّ إن كانت أُبيرت دعاثِرُهْ

---

(١) ورد بعد هذه الكلمتين فى النسختين الرمز « ا هـ » ، وأرى أنها مقحمة هنا لأنها سترد قريبا .

صاحب الشاهد

وهذا ليس فيه « أجَلْ جير » . والذى فيه الشاهد إنَّما هو شعر طُفيلٍ الغنوى ، وهو :

أبيات الشاهد

(فلمَّا بدا دَمْخٌ وأعرضَ دونَه غواربُ من رملٍ تلوحُ شواكلُه[١]
وقلنَ ألاَ البردىّ أوّل مشربٍ أجَلْ جير إنْ كانت رِواءً أسافلُه[٢]
تَحاثثن واستَعجَلْنَ كلَّ مُواشكٍ بلؤمته لم يَعْدُ أنْ شَقَّ بازلُه)

ولهذا قال الصغانى عند الكلام على جَيْرِ ، وإنشادِ البيتين الأخيرين من شعر طُفيلٍ المذكور شاهداً ما نصُّه : وقد غيَّر النحاةُ هذا الشاهدَ وجعلوهُ خنثَى ، وأنشدوا :

وقلن على الفردوس أوّلُ مشربٍ أجَلْ جير إن كانت أُبيحت دعاثُره

وهو مغيَّر من شعر مضرِّس بن رِبْعِىّ ، وهو :

وقُلن ألاَ الفردوسُ أوّلُ محضَرٍ من الحىِّ ان كانت أُبيرت دعاثره

وقوله : « فلمَّا بدا دَمْخ » هو بفتح الدال وسكون الميم بعدها خاء معجمة : جبلٌ من جبال ضَرِيَّة ، طوله فى السماء ميل . قال ابن السكِّيت (فى شرح ديوان طفيل) : غواربه : أعالِيه [٣]. وشواكله : نواحيه وجُنوبه .

وقوله : « وقلن » معطوف على بدا بمعنى ظهر ، والنون ضمير الظعائن ، فى بيتٍ قبله ، وهو :

(تبصَّرْ خليلى هَل تَرى مِن ظعائنٍ تحمَّلْنَ أمثالَ النِّعاجِ عقائلُهُ)

---

(١) ديوان طفيل ٤٩ .

(٢) أنشده البكرى فى رسم (البردِى) ، ومما يذكر أن ياقوت لم يخصص رسما للبردى .

(٣) ش : « عالية » ، صوابه فى ط .

٢٣٧ النعاجُ : جمع نعجة ، شَبَّهَ النساء بها . وعقيلة كلِّ شئ : أفضله .

(ظعائنَ أبرقْنَ الخريفَ وشِمنَهُ وخِفن الهُمامَ أن تُقَادَ قنابلُه)

أبرقن : رأين برق الخريف ، ولا يُرَى بَرقُ الخريف إلاَّ والثريا طالعةٌ فى أوّل الليل . وخِفن الهُمام [1] ، يقول : دخلَتْ أشهر الحُرُمِ فخفنَ أن يغير عليهنّ ، فتنَكَّبْنَ ناحيته وتباعدنَ عنه . والشَّيم : النظر إلى مَوقع الغيث . والقنابل : جمع قُنبلة كقنفذة ، وهى طائفة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه .

(على إثر حَيٍّ لا يرى النَّجمَ طالعاً من الليل إلاّ وهو بادٍ منازلُه)

النجم : الثريا . يقول : هذا الحيُّ لا يرى النجم طالعاً بظُلمةٍ إلاّ رحلَ إلى مكان آخر يبتغى النُّجعة ، فكأنَّه [2] أبدًا فى قفر لا يقيمون للمياه ، هم أبداً سيّارة .

(شربنَ بعُكَّاشِ الهَبابيدِ شَربةً وكان لها الأحْفَى خليطًا تزايلُه)

فلما بدا دَمْخ ..... البيت .

عُكّاش الهَبابيد : ماء ، وهو جمع هَبُّود ، جمعَه بما حوله . والأحفَى : بلد ، أى زايلَتْه كما تزايل الخليطَ .

وقوله : « ألاَ البردى » ألاَ للتنبيه ، فتدلُّ على تحقُّق ما بعدها من جهة تركُّبها من همزة الاستفهام ولا ؛ فإنّ الاستفهام إذا دخل على النفى أفاد

---

(١) الهمام : لقبٌ للنعمان بن المنذر ، وجاء فى قول النابغة (ديوانه ٧٤) :

ألم أقسم عليك لتخبرنى أمحمول على النعش الهمام

وفى شرح ابن السكيت لديوان النابغة ٢٣٢ : « يقال سمى الملك الهمام لبعد همته » .

(٢) كذا فى النسختين ، والضمير هنا للحى باعتبار لفظه ، وإن كان قد عبر فيما بعد بالجمع اعتبارا لمعناه .

التحقيق [١] . قال ابن السكيت : يعنى بالبَرَدىّ غديراً يُنبت البَردى . وقال [٢] البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو غديرٌ لبنى كلاب . وأنشد هذا البيت . والبَردىُّ مبتدأ ، وأوّل مشرب خبره ، والجملة مقول قلن . وقوله : (أجل جير) إلخ مقولٌ لقول محذوف ، أى فقيل لهنّ أجَلْ جير إلخ . ورواء بالكسر والمدّ : جمع ريّان كعَطاش جمع عَطشان . وأسافل : جمع أسفل ، وهو المكان المنخفِض . يريد : إن اجتمعَ الماءُ فى أراضيه المنخفضة حتّى صار غديراً فالبَردىُّ أوّل مشرب ، وإلاّ فلا . فجواب الشرط محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبله .

وقد استشهد ابن هشام (فى المغنى) بهذا المصراع فقط . وفى بعض نسخِهِ تمامُ البيت من شعر طفيل كما شرَحْنا . ولله درُّه فى صنيعه .

وقوله : « تحاثَثْنَ » الخ هذا جواب لمَّا ، والنون ضمير الظعائن . والحثُّ : الإسراع . وحَثَّ الفرسَ على العَدْو : صاح به ، أو وكزه برِجلٍ أو ضربٍ . وتحاثثن : تسارَعْن . واستعجلتُ زيداً : طلبتُ عَجَلته . فهو متعدّ ، وكلَّ مفعوله . ومُواشك : اسم فاعلٍ واشَكَ أى سارَع . ومُواشك صفة محذوفٍ ، أى كلَّ بعيرٍ مُواشك . واللُّؤْمة بضم اللام وسكون الهمزة ، قال ابن السكيت : هى متاع الإبل وما يُلقَى عليها من رَحْل ومَفارش . وجملة لم يَعْدُ إلخ صفة لمواشك ، وأنْ مصدريَّة ، أى لم يتجاوز شقّ نابه . يريد أنّه كامل الفُتوّة . وشَقَّ بفتح الشين المعجمة . والبازل : الناب . قال ابن السكيت : يقال شقّ نابُه ، وشقا نابُه ، ونَجمَ نابه ، وفطَرَ نابه ، وبزَل نابُه . وأصله الاشتقاق ، يقال تبزَّل ما بينهم . انتهى .

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « التحقق » .

(٢) ط : « قال » بدون الواو .

قال صاحب العباب : بزل البعير بُزولاً : فطر نابه ، أيٍ انشقَّ ، فهو بازل وبَزُول ، ذكرا كان أو أنثى . وقال ابن دريد : رجلٌ بازل ، إذا احتنك ، تشبيهاً بالبعير البازل . وفى حديث على رضى الله عنه :

* بازلُ عامين حَديثٌ سنِّى[١] *

أى أنا فى استكمال القوة كهذا البعير مع حداثة السِّن . والبازل أيضا : السن التى طَلعت . انتهى .

٢٣٨ وإنّما قيد بقوله « لم يَعْدُ أنّ شَقّ » إلخ لأنَّه إذا تجاوزه يكون ضعيفَ القُوَى لهَرَمه . وبُزولُه إنّما يكون بدخوله فى السنة التاسعة ، وبعدها يشرع فى الهَرَم .

وقد رأيت البيت الشاهد فى قصيدةٍ قافيَّة ، من شعر كعب بن زهير الصحابى ، وهو :

وقلـــنَ ألاَ البردىُّ أوّلَ مشربِ أجَلْ جير إن كانت سَقته بَوارقُه[٢]

قال شارح ديوانه أبو العباس الأحول : البَرْدىُّ : موضع . والبوارق . جمع بارقة ، يريد سحابة برقَتْ وسكبت ماءها . ويروى : « نعم جير » .

وعدة أبياتها خمسة عشر بيتا . وكعب قد أخذه من طُفيل الغَنَوىّ ، لأنّ طَفيلاً جاهلىٌّ مُتقدمُ زمانه . وقد مرّت تراجمهم .

أمَّا مضرس ففى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الثلثمائة[٣] وأمَّا طفيل ففى

(١) الرجز منسوب إلى أبى جهل فى السيرة ٤٥٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٧٦ واللسان (بزل ، عون) ، ونسب فى (نقم) إلى على بن أبى طالب كما هنا .

(٢) ط : « بوارق » ، صوابه فى ديوانه ١٩٧ ومعجم البكرى ٢٤١ .

(٣) الخزانة ٥ : ٢٢ – ٢٣ .

الشاهد التسعين بعد الستمائة [١] ، وهما جاهليان . وأمَّا كعب ففى الشاهد الرابعَ عشر بعد السبعمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٢٢ (وقائلةٍ أسِيتَ فقلتُ جَيْرٍ أسِىٌّ إننى مِنْ ذاكِ إنّه)

على أنَّه استدلَّ من ذهب إلى اسميّة (جير) بالتنوين اللاحق له كما هنا .

وقال الشارح المحقق : هى حرف ، والتنوين لضرورة الشعر .

وهذا أحد أجوبةٍ ثلاثة عنه .

ثانيها : أنّه يحتمل أن يكون من تنوين الترنُّم تشبيهاً لآخِر النِّصف بآخِر البيت . ذكره الشَّلوبين . وتنوين الترنُّم غير مختصٍّ بالاسم . والوصلُ بِنِيَّةِ الوقف [٤] . وهو وتنوين الغالى كهاء السَّكت ، إنمَّا يلحقان الكلمة وقفاً لا وصلاً .

ثالثها : يحتمل أن يكون أراد توكيد جَير بإنّ التى بمعنى نعم [٥] فحذف همزتها وخفّفت بحذف النون الثانية . وهو بعيد .

وقد ذكر ابن مالك (فى شرح كافيته) هذه الأوجهَ الثَّلاثةَ وقال : الصّحيح أنّها حرفٌ بمعنى نعم ، لأنَّ كلَّ موضعٍ وقعت فيه جَيرِ يصلح أن تقع

---

(١) الخزانة ٩ : ٤٦ .

(٢) الخزانة ٩ : ١٥٣ .

(٣) المغنى ١٢٠ والهمع ٢ : ٤٤ ، ٧٢ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢٠ .

(٤) ط : « نيثه الوقف » .

(٥) الكلام بعده إلى كلمة « نعم » التالية ساقط من ش .

فيه نعم ، وليس كلّ موضع وقعت فيه يصلح أن يقع حَقًّا . فإلحاقها بنعم أولَى .
وقيل : إنّ جَير ظرف بمعنى أبداً ، بنِيَ لقلّة تمكُّنِه . وقيل اسمُ فعلٍ . فهذه أربعة
أقوال ، ذكرها ابن أبى الرَّبيع (فى الملخص) . والقائل بأنّها اسمُ فعل هو أبو على ،
وقد نقله ياقوت الحموى (فى معجم الأدباء ، فى ترجمة أبى على ، فى ضمن حكايةٍ
رأينا إيرادها هُنا مناسبا) قال ياقوت : وقال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد
ابن سَهْلويه (١) (فى كتابه الذى سماه أجناس الجواهر) : كنتُ بمدينة السَّلام
أختِلف (٢) إلى أبى على الفارسى ، وكان السلطانُ رَسمَ له أن ينتصب لى كلَّ
أسبوعٍ يومين لتصحيح كتاب التذكرة ، لخزانة كافى الكفاة ، فكنَّا إذا قرأنا أوراقاً
منه تجارَيْنا فى فنون الآداب، واجتنينا من فوائد ثمار الألباب ، ورتعنا فى رياضِ
ألفاظه ومعانيه ، والتقطنا الدرَّ المنثورَ من فيه ؛ فأجرَى يوماً بعضُ الحاضرين ذكر
الأصمعىِّ وأسرف فى الثناء عليه ، وفَضَّله على أعيان العلماء فى أيّامه . فرأيتُه
كالمنكر مما كان يُورده (٣) . وكان مَمَّا ذكر فى محاسنه (٤) أنّ قال : من ذا الذى
يجسُر أن يخطِّىءَ الفحولَ من الشعراء غيره ؟ فقال أبو على : وما الذى رَدَّ عليهم ؟
فقالَ الرجل : قد أنكر على ذى الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها ، وفضْلِ
معرفته بأغراضها ومراميها ، وأنه سلَكَ نهجَ الأوائل فى وصف المفاوز إذا (٥) لعب
السرابُ فيها ، ورقصَ الآل فى نواحيها . ونعتَ الحِرباء ، وقد شبَحَ على جِذْله (٦) ،

٢٣٩

(١) ش : « سلهويه » ، والذى فى معجم الأدباء ٧ : ٢٤٢ : « مهرويه » .
(٢) ط : « واختلف » ، صوابه فى ش ومعجم الأدباء .
(٣) ط : « مما كان يورده » ، وأثبت ما فى ش ومعجم الأدباء .
(٤) فى معجم الأدباء : « وكان فيما ذكر من محاسنه » .
(٥) ط فقط : « إذ » .
(٦) شبَخ : مد يديه ، ويقال أيضا تشبح الحرباء على العود . وهو يشير إلى قول ذى الرمة فى ديوانه :

إذا جعل الحرباء يبيض لونه ... ويخضر من لفح الهجير غباغبه
ويشبح بالكفين شبحا كأنه ... أخو فجرة عالى به الجذع صالبه

والظليمَ وكيف يَنفِرُ من ظلِّه ، وذكر الرَّكْبَ وقد مالت طُلاهم من غَلَبة المنام ، حتَّى كأنَّهم صرعتهم كؤُوس المُدام ، فطبَّقَ مَفصِلَ الإصابة فى كلِّ باب ، وساوى الصَّدر الأوّل من أرباب الفصاحة ، وجارىَ القُروم البُزْل من أصحاب البلاغة .

فقال له الشيخ أبو على : وما الذى أنكر على ذى الرمة ؟ فقال : قوله :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أمِّ سالمٍ *

لأنَّه كان يجب أن ينوّنه . فقال : أمَّا هذا فالأصمعىُّ مُخطىءٌ فيه ، وذو الرمة مصيب . والعَجب أنّ يعقوب بن السكيت قد وقع عليه هذا السَّهْوُ فى بعض ما أنشده . فقلتُ : إنْ رأى الشيخُ أن يصدَع لنا بجليَّة هذا الخطأ تفضَّل به . فأملى علينا : أنشد ابنُ السكّيت :

أبيات الشاهد

(وقائلةٍ أسيتَ فقلت جيرِ ... أسِىٌّ إنَّنى من ذاكِ إنَّه

أصابهم الحِمَا وهمُ عُوافٍ ... وكنّ عليهمُ تعساً لهُنّه[1]

فجئتُ قبورَهم بَدءاً ولمّا ... فناديت القبورَ فلم يُجبنَه

وكيف تُجيب أصداءٌ وهامٌ ... وأبدانٌ بُدرن وما نَخِرْنَه[2]

قال يعقوب : قوله : جَير أى حقًّا ، وهى مخفوضة غير منوَّنة ، فاحتاج إلى التنوين .

= وقوله أيضا :

لظى تلفح الحرباء حتى كأنه ... أخو جَرَمات برّ ثوبيه شابح

وفى النسختين : « سنح على جذله » ، وفى معجم الأدباء : « سبح على جدله » ، كلاهما محرف . والجذل ، بالكسر : العود من الشجرة :

(١) ياقوت والصاحبى ١٢١ : « نحسا لعنه » ، من اللعن .

(٢) ياقوت : « وكيف يجيب » .

قال أبو على : هذا سهوٌ منه ، لأنَّ هذا يجرى مجرى الأصوات ، وباب الأصوات كُلُّها والمبنيّاتُ بأسرها إلاّ ما خُصّ منها بعلَّةٍ ، الفُرقانُ فيها من نكرتها ومعرفتها التنوين [١] ، فما كان منها معرفةً جاء بغير تنوين ، فإذا نكّرته نوّنته . من ذلك أنّك تقول فى الأمر صَهْ ومَهْ تريد السكوتَ يا فتى ، فإذا نكّرت قلت صهٍ ومهٍ تريد سكوتا . وكذلك قول الغراب : غاق ، أى الصوت المعروف من صوته ، وقول الغرابِ غاقٍ [٢] أى صوتا . وكذلك إيهِ يارجلُ تريد الحديث . وإيهٍ تريد حديثا .

وزعم الأصمعىُّ أنَّ ذا الرمة أخطأ فى قوله :

* وقفنا فقلنا إيهِ عن أُمِّ سالمٍ *

وكان يجب أن ينوِّنه . وهذا من أوابد الأصمعى التى يُقدم عليها من غير علم . فقوله جيرِ بغير تنوين ، فى موضع قوله : فقلت الحقَّ [٣] . وتجعله نكرةً فى موضع آخر فتنوِّنه فيكون معناه قلتُ حقًّا . ولا مدخل للضرورة فى ذلك ، إنمَّا التنوين للمعنى المذكور ، وبالله التوفيق . وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير .

قال يعقوب : قوله أصابهم الحِمَا ، يريد : الحِمام . وقوله : بُدِرْنَ ، أى طُعِنَّ فى بوادرهم بالموت . والبادرة : النَّحر .

وقوله : « فجئت قبورهم بدءاً » أى سيِّداً . وبَدْءُ القوم : سيِّدهم . وبَدء الجزور : خير أنصبائها . وقوله : « ولمَّا » أى ولم أكن سيِّداً حينَ ماتوا [٤] ، فإنِّى

---

(١) الفرقان ، بالضم : الفرق والفارق . والفرقان من أسماء القرآن الكريم لأنه فارق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام : وكلمة « الفرقان » ساقطة من ، ياقوت ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٢) فى النسختين : « وقال الغراب غاق » صوابه فى معجم الأدباء ، إلا إذا أريد بالقال مزاوج القيل فى عبارة « القيل والقال » .

(٣) عند ياقوت : « فى موضع قوله الحق » .

(٤) فى ياقوت : « إلا حين ماتوا » ، والمعنى متجه بكلتا العبارتين .

سدت بعدهم .

هذا ما أورده ياقوتٌ بحُروفِهِ . وأورد ابن فارس (فى كتاب فقه اللغة) هذه الأبياتَ عن المفضَّل ، وزاد فى أوّلهنَّ بيتا ، وهو :

(ألا يا طالَ بالغُرُبات لَيِلى وما يلقى بنو أسدٍ بهنَّه [(١)])

ويا حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أى يا قوم ونحوه . والغُرُبات ، بضم الغين المعجمة والراء المهملة بعدها موحَّدة : جمع غُرْبة بضمتين ، وهى الامرأة الغريبة . وبدون هاء : الرجل الغريب . يريد التزوّج بالغريبات . وليلِى فاعل طال . وقال ابن المُلاَّ (فى شرح المغنى) : الغُرُبات : موضع . ويردُّه الضمير فى بهنَّ . والباء سَبَبيَّة ، والهاء للسكت .

٢٤٠

وقوله : « وقائلة » الواو واو ربّ ، وقائلة صفة مجرور ربَّ المحذوف ، أى ربَّ امرأة قائلة . وأسيتَ بالخطاب جواب ربّ . والأسى : الحزن . يقال أسِىَ يأسَى أسًى كرضىَ يرضى رضاً ، إذا حَزن . وأسىٌّ : حزين وزنًا ومعنى ، وهو خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أنا أسِىٌّ ، وخبر إنّنى محذوفٌ مدلولٌ عليه بما قبله ، ومن متعلِّقة بالمحذوف تعليلية . أى إنّنى أسىٌّ من أجل ما لَقِىَ بنو أسدٍ بسبب التزوُّج بالغريبات من المصائب . فاسم الاشارة راجعٌ إلى ما لَقِىَ بنو أسد بسببهنّ . وإنَّهْ بمعنى نَعَمْ ، والهاء للسَّكت . وقال ابن المُلّا : الإشارة للحزن ، أىْ إنّنى مخلوقٌ من الحزن ، قصداً للمبالغة . وإنَّ الثانية تأكيدٌ للأولى . هذا كلامه .

وقوله : « أصابَهم الحِما » ، بكسر الحاء أصله الحِمام ، وهو الموت ، حذف منه الميم للضَّرورة ، وهى ما وقع فى الشعر وإن كان عنه مندوحة . وهذا هو الصحيح فى تفسير الضَّرورة ، فلا يَرِدُ قول ابن المُلّا : ولك أن تقول : أين الضرورةُ وهو متمكنٌ من أن يقول :

---

(١) ط : « بنوا أسد » صوابه فى ش والصاحبى ١٢٠ عند الكلام على جير .

* أصابهم الحمامُ فهمْ عَوافٍ *

بسكون الميم من غير وصل على الأصل . وعواف : جمع عاف شذوذًا ، أو جمع عافية بمعنى جماعة عافية ، من عفا القوم بمعنى كثُروا . وفى التنزيل : ﴿ حتّى عَفَوا [١] ﴾ . قال صاحب المصباح : أى كثُروا . وعَفَا النَّبتُ والشَّعر وغيره يعفُو فهو عافٍ : كثُر وطال . وفى حديث مُصعبِ بن عُميرٍ : « إنَّه غلامٌ عافٍ » أى وافِى اللَّحمِ [٢] كثيرهُ . وجملة « وهمُ عوافٍ » حاليَّة . ولم يتنبه ابنُ الملا لهذا المعنى ، وظَنّ أنه من عفا المنزل بمعنى دَرَس ، ففسَّره بالرم البالية ، وشطب الواو بقلمه ، ونزَّل فاء [٣] على هُم ، وجعلها فهمُ عواف . وهذا غير جائزٍ فى تفسير الرواية على حَسَب المراد . وضمير جمع المذكّر فى جميع المواضع لبنى أسد ، والنون فى كنّ ضمير النساء الغَربيات . وقوله : « تَعساً لهنَّ » دعاءٌ عليهن ، ومعناه أتعسَهنَّ الله . قال صاحب المصباح : التَّعْسُ : مصدر تَعَس تَعْسا ، من باب نفع : أكبَّ على وجهه ، فهو تاعس . وتَعِس تَعَساً من باب تَعِب لغةٌ ، فهو تَعِسٌ مثل تعبٍ . وتتعدَّى هذه بالحركة وبالهمزة ، فيقال تَعَسه الله بالفتح وأتعسه . وفى الدعاء . تَعْسًا له ، وتَعِسَ وانتكس [٤] . فالتَّعْس : أن يخِرّ لوجهه . والنّكس : أن لا يستقلّ بعد سَقطته حتّى يسقط ثانية ، وهى أشدُّ من الأُولى . واللام فى لهنّ مبنية للمفعول ، مثل سقياً لزيد ، والهاء للسكت . وروى أيضا :

* وكنّ عليهمُ نحساً لُعِنّه *

---

(١) الآية ٩٥ من سورة الأعراف .

(٢) كذا فى النسختين وجاء فى اللسان (عفا ٣٠٨) : « أى وافى اللحم » ، وهما بمعنى ، ففى اللسان (وفى ٢٧٨ : « ووفى الشىء وفيا ، على فعول ، أى تم وكثر . والوفىّ : الوافى » .

(٣) ش : « وترك فاء » ووجهه فى ط .

(٤) هذا دعاء . وفى ش : « وتعس : انتكس » على أنه تفسير وليس كذلك . وانظر المصباح .

فنحساً خبر كُنّ ، وهو ضدّ السَّعد . ولُعِنَّ بالبناء للمجهول ، من اللَّعن ، والهاء للسكت ، والجملة دعاءٌ عليهنّ .

وقوله : « فجئت قبورهُم بَدْءاً » إلخ البَدْء بفتح الموحدة وسكون الدال بعدها همزة : السَّيِّدُ ، والشَّابُّ العاقل . ومجزوم لمّا محذوف . قال ابن هشام (فى المغنى) : الخامس ، أى من الأمور التى تفارق لَمّا فيها لم : أنّ منفىَّ لمّا جائزُ الحذْفِ لدليلٍ ، كقوله :

* فجئت قبورهُم بدءاً ولمّا *

أى ولمّا أكن بدءاً قبل ذلك ، أى سيّدا . ولا يجوز وصلتُ إلى بغداد ولم ؛ تريد : ولم أدخلها . انتهى .

وقوله : « وكيف تجيب أصداءٌ » إلخ هذا استبعادٌ لإجابة القبور له . وصحَّف ابن الملا هاتين الكلمتين فكتب بخطِّه : « وكنت » بدل « كيف » « وبحيث » بدل « تجيب » . وينبغى أن يُسأل منه ما هذه الحيثية ؟ والأصداء : جمع صدًى بالقصر ، وهو ذكر البُومِ يسكنُ القبور . وكذلك الهام ، وهو جمعُ هامةٍ ، وهو من طيْر اللَّيل .

٢٤١

وقوله : « وأبدانٍ بُدِرن » روى أيضا : « وأجسامٍ بُدِرن » بضم الباء وكسر الدال ، أى طُعِنَّ فى بوادرهم بالموت . والبادرة : النحر . وقوله : « وما نَخِرنَهْ » من نخِر العظم نخَرًا ، من باب تعب ، إذا بلىَ وتفتَّت . والنون : ضمير الأبدان أو الأجسامِ ، على اختلاف الرواية . والهاء للسكت .

* * *

وأنشد بعده :

(فأُقسِمُ لو شىءٌ أتانا رسولُه)

تقدَّم شرحه قريبا[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٢٣ (وَرِثَ السِّيادَة كابراً عن كابرٍ)

على أنَّ تقديرهُ : كابراً متجازوا فى الفضل كابرا عن [كابرٍ [٣]] آخر .
وقال بعضهم : أى بعد كابر .

والأوْلَى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن . وذكر « متجاوزاً » للإشارة إلى أنَّ عن متعلّقة بمحذوف ، لا بكابرٍ لما يأتى . وأشار بذكر « الفضل » إلى أنّ تجاوُزَ أحدِهما عن الآخر إنَّما هو بالفضل ، فأحدهما أفضلُ من الآخر ، وهم متشاركون فى الفضل . ولا يخفى أنَّه ليس المعنى على التَّفضيل ، وإنَّما المعنى تساويهم فى الفضائل ، وتناسُقُهم فيها واحِداً بعد واحد ، كقول البحترى :

شرف تتابع كابـرا عن كابـرٍ كالرُّمح أنبوباً على أنبـوبِ [٤]

ويدلُّ لما قلنا مجىءُ بعد بدل [٥] عن . أنشد أبو حنيفة (فى كتاب النبات) لرجلٍ من أبناء ملوك اليمن :

وأُمّاتُنـا أكـرِمْ بهنَّ عجائـزاً وَرِثْنَ العُلا عن كابر بعد كابرِ

---

(١) هو الشاهد ٨١٧ من هذا الجزء من الخزانة .

(٢) ديوان كعب بن زهير ٣٢ والسيرة ٨٩٣ . وقد أورده الرضى فى شرحه مسبوقا بلفظ : « وكذا قولهم » وظاهره أنه لم يعده شاهدا الشعر ، بل عدّه قولا منثورا .

(٣) التكملة من ش وشرح الرضى ٢ : ٣١٨ .

(٤) ديوان البحترى ١ : ٥٧ .

(٥) كلمة « بدل » ساقطة من ش . وقد كتب الشنقيطى بقلمه فى الهامش كلمة « مكان » تكملة للعبارة » .

وأنشد أبو تمام (فى الحماسة) :

بقّيةُ قِدْرٍ من قُدورٍ تُوورِثَتْ لآل الجُلاح كابراً بعد كابرٍ [(١)]

وكذا قول حسان بن ثابت :

ورثتُ الفَعالَ ، وبذْلَ التِّلا دِ ، والمجدَ عن كابرٍ كابرِ [(٢)]

والمعنى عن كابر بعد كابر ، كقولهم : تعلمت الحساب باباً بابا ، ومعناه : باباً بعد باب .

وإلى ما قلنا ذهب ابن جنى (فى إعراب الحماسة) قال عند بيت الحماسة : هذا البيتُ يستفاد منه أنّ (عن) فى قول الأعشى :

سادَ وألفَى قومَـه سادةً وكابراً سادُوك عن كابرِ [(٣)]

ليست متعلِّقة بنفس كابر على حدِّ قولك : كبرت عنه ، أى ارتفعت عنه ، وإنّما هى بمعنى كابر بعد كابر [(٤)] . ألاَ تراه قد ظهر فى بيت النابغة كابراً بعد كابر . فعَنْ فى قول الأعشى كعن فى قوله تعالى : ﴿ لتركَبُنَّ طبَقاً عَنْ طَبَقٍ [(٥)] ﴾ أى بعد طبق . وهو كقول الكافّة فى مخاطباتهم : فعلت ذلك عودًا عن بدء ، أى بعد بدء . ولو كانت عَن متعلّقة بنفس كابر لكان فى ذلك تشنُّع على القوم لا تمدُّح لهم ، وذلك إذا كبُر بعضَهم عن بعض ، فكان ذلك غضًّا من

---

(١) للنابغة الذبيانى فى الحماسة ١٠٧١ وديوانه ١٧٣ نسخة شكرى فيصل .

(٢) ديوان حسان ١٩٦ .

(٣) ديوان الأعشى ١٠٥ .

(٤) فى إعراب الحماسة الورقة ٢٣٠ : « كابرا بعد كابر » .

(٥) الآية ١٩ من سورة الانشقاق .

٢٤٢ المَفْضول[١] . وإنّما ينبغى أن يقال : إنّهم متتابِعُو الشّرف ، متشابِهُو الفَضْل . وهذا كقول الآخر [٢] :

مَن تلقَ منهم تقل لاقيتُ سيِّدهم مثل النُّجوم التى يَسرِى بها السارِى

انتهى كلامه .

ولا فرق بين أن تعلّقَ عن بكابر أو بمتجاوز ، باقية على أصلها ، فإنَّه يلزم التفضيل فى كلّ منهما .

و (كابر) اختلف فى معناه على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّه بمعنى كبير ، قاله صاحب الصحاح وابن الشجرى وغيرهما ، وهو المشهور .

ثانيهما : أنّه اسم جمع . قال ابن جنى ، ومثله للمرزوقى : قال أبو على : كابر هنا ليس باسم الفاعل كقائم وقاعد ، لكنَّه من أسماء الجمع ، بمنزلة الجامل والباقر والسامر ، فكأنه قال : وكبراءُ سادُوكِ بعد كبراء . فعن متعلِّقة بمحذوفٍ هو فى الأصل صفة لكبراء ، مثلُهما فى قوله :

* لآل الجلاح كابراً بعد كابر *

أى لآلِ الجُلاح متتابعين فى الفَضْل ، متشابهين فى السُّودد . انتهى .

ثالثهَا : أنّه للمغالبة . قال الزمخشرى (فى الأساس) : إنّه مِنْ كابرته فكبرَته ، أى غلبتُه فى الكِبَر ، فأنا كابر . انتهى .

---

(١) ش : « غض من المفضول » وكذلك فى إعراب الحماسة . وفى ط : « فكان ذلك غضا من الفضول » ، وأثبت الصواب من مقابلة النصين .

(٢) هو العرندس الكلابى . الحماسة بشرح المرزوقى ١٥٩٥ والتبريزى ٤ : ١٢٨ .

وكابر منصوب بنزع الخافض،والتقدير : من كابر ، لأنّ ورث يتعدّى إلى مفعول واحد ، وهو الموروث منه ، وتأتى بالموروثِ بعده بدلَ اشتمال ، تقول : ورثت أبى مالَه ، ومالاً منه . فإنْ عدَّيته إلى الموروث جئت بالموروث منه مجروراً بمن أو عن ، تقول : ورثت المال من أبى ، ومالاً عن أبى [١] . قال صاحب الصحاح : ورثت أبى ، وورثت الشىء من أبى .

ومثال عَنْ ما أنشده أبو حنيفة :

* ورِثْنَ العُلا عن كابر بعد كابرِ *

وقولُ حسّان المتقدّم .

وكذلك مِن محذوفة مِن قوله :

* لآل الجُلاح كابراً بعد كابرِ *

وكذا تقدَّر مِنْ فى قوله :

* شرفٌ تتابع كابراً عن كابرِ *

وتتابعَ غيرُ متعدّ ، والمعنى على مِنْ . وكذا الحال فى بيت الأعشى .

وبما قرَّرنا يضمحلُّ ما تكلفه جماعة من أنّه منصوب على الحال ، ثم اختلفوا فمنهم من قال : كابرا عن كابر جملةٌ حاليّة نُصِب صدُرها ، كما فى قولهم : كلمته فاه إلى فىَّ ، وأورَدَ قولَ الشاعر :

فتذاكروها آخراً عن أوّلٍ ... وتَوارثُوها كابراً عن كابرِ

ومنهم من قال : كابراً مفردٌ وقع حالا ، أى ورثوه كابرين أو صاغرين ، وأفرد لكونه بمعنى جمعاً كابرا .

---

(١) فى النسختين : « من أبى » ، وإنما المراد التمثيل لكل من منْ وعَنْ .

قال السيّد (فى حاشية الكشّاف) : وفيه أنَّ هذه العبارة كما لا تختلف جمعاً وإفراداً لا تختلف تأنيثاً وتثنية . انتهى .

ولا يخفى إنّ الحالية لا تتمشَّى فى كلّ موضع ، وليس فى هذه الأبيات ما هو حالٌ . ومنشأ هذا التكلُّف ظَنُّ أنّ كابراً الأوّل هو الوارث والثانى هو الموروث منه . وليس كذلك ، وإنَّما الأول هو الموروث منه .

صاحب الشاهد

وهذا المصراعُ من شعر كعب بن زهير ، إلا أنّه بضمير جمع . والشارح المحقق أورده لا على أنَّه شعر ، ولذا قال : « وكذا قولهم » .

وقد ورد فى شعر الفرزدق ما مَثَّل به ، إلاّ أنَّ فيه (المكارم) بدل (السيادة) ، وهو :

كم من أبٍ لى يا جريرُ كأنّه قَمرُ المَجرَّة أو سراجُ نهارِ[(١)]
ورث المكارمَ كابراً عن كابرٍ ضَخمِ الدَّسيعة كلَّ يومِ فِخارِ[(٢)]

٢٤٣

وأمّا شِعر كعب بن زُهير فهو من قصيدة مدح بها الأنصارَ رضى الله عنهم ، وهى ثلاثون بيتاً ، مدحهم فى ثمانيةَ عشرَ بيتاً منها .

وسببها : أنّ كعباً لمَّا مدح النبىَّ ﷺ بقصيدةٍ (بانَتْ سعاد) أطرى فيها بمدح المهاجرين رضى الله عنهم ، وعرَّض فى آخرها بذكر الأنصار بأنَّهم سُودٌ صِغارُ القامات ، لا يثبُتون فى الحروب ، فغضب الأنصارُ فمَدَحَهم بها .

قال ابن هشام (فى السيرة) : ويقال إنَّ النبى ﷺ قال له بعد إنشاد القصيدة : « لولا ذكرت الأنصارَ بخيرٍ ، فإنَّ الأنصار لذلك أهل[(٣)] » .

---

(١) ط : « وكم من أب » بزيادة الواو ، على الخزم ، والوجه ما أثبت من ش وديوان جرير ٤٥٠ .
(٢) فى الديوان : « يوم كل فخار » ، والوجه ما أثبت من النسختين .
(٣) السيرة ٨٩٣ .

أبيات الشاهد

وهذه أبياتٌ من أوّلها على رواية شارح ديوانه :

مَن سرّه كرَمُ الحياة فلا يَزَلْ	فى مِقنبٍ من صالحِى الأنصارِ
ورِثُوا السِّيادةَ كابراً عن كابر	إنَّ الخيارَ هُمُ بنو الأخيار[١]
المُكرِهين السَّمهرىَّ بأذرُع	كسوافلِ الهندىِّ غير قِصارِ[٢]
والنَّاظِريـنَ بأعيُـنٍ مُحمَّـرةٍ	كالجمر غيرِ كليلة الإبصارِ
والذائدين الناسَ عن أديانهم	بالمشرفىِّ وبالقنا الخَطَّارِ[٣]
والبـاذلين نفوسَهـم لنـبِّيهمْ	يوم الهِيـاج وقُبّـةِ الجبّـارِ[٤]
يتطهَّـرون كأنّـه نسكٌ لهمْ	بدماءِ مَن عَلِقوا من الكفّارِ[٥]

والمِقنب بكسر الميم : ما بين الثلاثين إلى الأربعين . قال شارح ديوانه : السِّيادة : مصدر ساد يسود سَوْدًا [٦] وسيادة . والمشهور فى مصدره السِّيادة . والسُّودُ [٧] مصدر غريب . وأما السُّودَد بدالين فقد قال صاحب المصباح : ساد يسود سِيادةً ، والاسم السُّودَد ، وهو المجد والشرف .

وقال أيضا : ورثوا المجد كابراً عن كابر ، أى كبيرا شريفا عن كبير شريف . وقال المرزوق (فى شرح الحماسة) : لم يوجد كابر بمعنى كبير إلاّ فى

---

(١) وكذا فى السيرة . وفى الديوان ٣٢ : « إن الكرام هم بنو الأخيار » .

(٢) فى الديوان ٢٦ : « كصواقل الهندى » وفسرها بالسيوف ، وقال : « ويروى كسوافل الهندى . وسافلة القناة : أغلظها وأقصرها كعوبا » . وفى السيرة : « كسوالف الهندى » .

(٣) أى يذودون أعداء الدين أن يمسوا دينهم بسوء .

(٤) فى السيرة :

والبائـعين نفوسهـم لنــبيهم للمـوت يوم تعانـق وكــرار

(٥) فى السيرة : « يتطهرون يرونه نسكاً لهم » .

(٦) السود ، بالضم ، كما فى اللسان والقاموس ، وكذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « سودة » تحريف ، وبدله فى الشرح ٣٢ : « سوددا وسيادة » .

(٧) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط : « والسودة » ، تحريف .

هذا المكان . وقال : أبو على يقول (١) : كابر ليس باسم فاعل إنما هو صيغة للجمع (٢) كالباقر . والمراد كبراء بعد كبراء .

والسَّمهرىّ : الرمح ، قال شارح ديوانه : الهِياج : الحرب ، وأصله الحركة فى الشرّ . وقوله : « وقبة الجبَّار » أراد بيت الله الحرام . وقال أبو عمرو : الواو للقسَم .

والمشهور فى هذا المصراع :

البـاذلين نفوسَهُـمْ لنبيِّهـم   يوم اللِّقـا بتعانُـقٍ وكِـرارِ

وهى رواية ابن هشام .

وترجمة كعب بن زهير تقدَّمت فى الشاهد الرابعَ عشر بعد السبعمائة(٣)

* * *

(وأنشد بعده) :

(لاه ابنُ عمِّك لا أَفضَلْتَ فى حسبٍ   عَنِّى ولا أنْتَ دَيَّانى فتَخزُونى)

على أنّ (أفضلت) ضمِّن معنى تجاوزت فى الفضل ، فلهذا تعدَّى بعن ، ولولا التضمين لقال أفضلت علىَّ ، من قولهم : أفضلت على الرجل ، إذا أوليته فضْلا . وأفضَلَ هذه تتعدّى بعلى ، لأنّها بمعنى الإنعام ، أو أنّه من قولهم : أعطى

---

(١) الذى فى شرح المرزوقى ٢ : ١٧ : « وكان أبو على رحمه الله يقول » . ثم إن المكان الذى يعنيه المرزوقى هو ما سبق من بيت النابغة :

بقية قدر من قدور تورّثت   لآل الجلاح كابرا بعد كابر

(٢) النص فى المرزوقى : « ليس باسم الفاعل كالقاعد والقائم والجالس ، وإنما هو اسم صِيغَ للجمع » . وفى ش : « إنما هو صيغ للجمع » .

(٣) الخزانة ٩ : ١٥٣ .

وأفضل ، إذا زاد على الواجب . وأفضل هذه أيضاً تتعدّى بعلى ، يقال أفضل على كذا ، أى زاد عليه فضلةً .

٢٤٤ ومراده من ذكر التضمين أنّ عن ليست بمعنى على ، خِلافاً لابن السكيت ولابن قتيبة ومن تبعهما ، فإنّهم قالوا : عن نائبةٌ عن على .

والأولَى أن يكون أفضلُ من قولهم : أفضل الرجل ، إذا صار ذا فضل فى نفسه ، فيكون معناه : ليس لك فضلٌ تنفرد به عنىّ وتحُوزُه دونى . فيكون لتضمُّنه معنى الانفراد تعدَّى بعن . فتأمَّل .

و (الدَّيَّان) : القيِّم بالأمر المجازِى به . و (تخزونى) : تسوسنى سياسةً . يقول : لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسَب ، وماثَلَك فى الشَّرف ، فليس لك فضلٌ تنفرد به عنه ، ولا أنت مالِكُ أمره فتتصرَّف به على حكمك . ومرادُه بابن العَمِّ نفسَه ، فلذلك رَدّ الإخبار بلفظ المتكِّلم . وقد تقدَّم شرحُه بمالا مزيد عليه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الخمسمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٢٤ (تَصُدُّ وتُبْدِى عن أسيلٍ)

تمامه :

(................... وتتقى بناظرةٍ من وحِش وَجرةَ مُطفِلِ)

على أنّ تبدى ضُمِّن معنى تَكشِف ، فى تعديته إلى المفعول الثانى بعن ، وأما المفعول الأوَّل فهو محذوف كما أشار إليه الشارح المحقق .

---

(١) الخزانة ٧ : ١٧٣ – ١٩١ .

(٢) أدب الكاتب ٣٩٩ والاقتضاب ٤٣٥ والأزهية ٢٨٩ ورصف المبانى ٣٦٩ .

وإنما احتاجَ إلى التضمين لأنّ تُبدِى فعلٌ متعدّ بنفسه إلى مفعولٍ واحد ، تقول أبداهُ إبداءً ، أى أظهره إظهارا . فلولا التضمين لكانت (عن) إمّا زائدةً بالنسبة إلى تُبدِى ، وإمّا بمعنى الباء بالنسبة إلى تصدُّ ، فإنّه يقال صدَّ عنه بكذا ، وكلاهما خلافُ الأصل . وتَكشِف أيضاً متعدٍّ بنفسه إلى مفعول واحد ، تقول : كشفتُه أى أظهرته وأوضحته . وحقيقة الكَشْف رفع السَّاتر والحِجاب . ويتعدَّى إلى المفعول الثانى بعن .

وهذا البيتُ من باب التنازع . وأعمل ابن قُتيبة الأوّلَ على مذهبه فعلَّق عن أسيل بتصدُّ ، وجَعل عن نائبةً عن الباء ، لأنَّ صدَّ إنما يتعدَّى بالباء ، تقول : صدَّ بوجهه عنّى . ويردُ عليه أنّه يلزمه أن يقال تصدُّ وتُبدى عنه عن أسيل ، لأنّه إذا أعمل الأوّلَ فى المفعول أضمر للثانى ، على المختار باتّفاقٍ من البصريِّين والكوفيين . فحذْفُ معمول الثانى خلاف المختار . فعلى قوله فيه إنابة حرفٍ مكان حرفٍ وحذفٌ على غير المختار .

والشارح المحقِّقُ لمَّا رأى ورود هذين الأمرين عدل إلى إعمال الثانى على مذهب البصريِّين بتضمينه معنى ما ذكر ، ففيه مخالفةٌ للأصل من وجهٍ واحد ، وهو أسهل من مخالفته من وجهين . والجيِّد أن يكون أبدَى هنا لازماً يتعدَّى بعن ، كما قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) إنّ أبدى يُعدَّى بعن ، قال : لأنَّك تقول : أبديت عن الشئ ، كما قال سُحيم يصف ثورًا يحفِر فى أصل شجرةٍ كِناساً له :

يُثير ويُبدِى عن عروقٍ كأنَّها أعنَّة خرَّازٍ جديداً وباليا [١]

وحينئذ لا تضمين ، فيكون عن على بابه . ويؤيِّده ما فى أفعال ابن القطَّاع ، قال : بدا الشئ بدوًّا ، وأبدى : ظهر . انتهى .

---

(١) فى ط : « حديدا وباليا » ، صوابه فى ش وديوان سحيم ٢٩ .

فيكون أبدى جاء متعدِّياً ولازما .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس ، وبعده :

٢٤٥

أبيات الشاهد

(وجيدٍ كجيد الرِّيم ليس بفاحشٍ إذا هى نَضَتْهُ ولا بمعطَّلِ[1]
وفرعٍ يزين المتنَ أسودَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنْو النَّخلة المتعثكِلِ
غدائره مستشِزراتٌ إلى العلا يضلُّ العقاصُ فى مثنًّى ومُرسَلِ
وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مخصَّرٍ وساقٍ كأنبوب السقى المذلَّلِ)

قوله : (تصدُّ وتبدِى) إلخ الصَّدّ : الإعراض . والأسيل : الخد المتطامن المستوِى . والأَسَالةُ : امتدادٌ وطول فى الخدّ . وقد أسَل أسالةً فهو أسيل . وروى أيضاً : « عن شتيت » . قال شُراح المعلَّقات : الشَّتيت : المتفرّق ، وتقديره عن ثغر شتيت . ولم يفصحوا عن المراد ، والمعنى عن ثغر مفلَّجٍ ، وهو أن تكون الأسنان متباعدةً غيرَ متلاصقة . يريد : تظهر أسنانُها بالتبسُّم بعد أن تُعرِض عنَّا استحياءً . والاتِّقاء : الحجز بين الشيئين ، يقال اتّقيته بتُرسٍ ، أى صيَّرت التُّرس حاجزًا بينى وبينه . قال ابن السِّيد : والناظرة فيها قولان : قيل أراد العين ، وقيل أراد بقرة ناظرة ، وفيه مضاف محذوف ، أى بعين بقرة ناظرة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامَه ثم حذفه وأقام صفته مقامه . ويجوز أن يريد : وتتقى من نفسها ببقرة ناظرة ، فيكون كقولك : لقيت بزيدٍ الأسد ، أى لقيته فكأنِّى لقيت الأسد ، ففى هذا الوَجه حذف موصوف لا غير ، وفى الأوَّل حذف موصوف ومضاف .

و (الوحش) واحده وحشىٌّ ، مثل زَنجٍ وزَنجىّ . و (وَجْرَة) بفتح الواو وسكون الجيم ، قال أبو عبيد (فى معجم ما استعجم) : قال الأصمعىّ : هو

(١) كذا وردت فى النسختين : « نضته » بالضاد المعجمة ، وهى إحدى روايتين كما سيأتى فى الشرح .

موضع بين مكَّةَ والبصرةِ على ثلاث مراحلَ من مكّة ، طولها أربعون ميلا ليس فيها منزل ، فهى مأوَى الوحوش . وقال الطُّوسى : وَجْرة فى طرف السِّىِّ ، وهى فلاةٌ بين مَرّانَ وذاتِ عِرْق ، وهى ثلاثونَ ميلاً يجتمع فيها الوحش ، لا ماء فيها . وقال عُمارة بن عَقيل : السِّىّ : ما بين ذات عِرق إلى وَجْرة ، على ثلاث مراحل من مكّة إلى البصرة . وزعَم عُمارة أنَّ وجرة ماءٌ لبنى سُليم على ثلاث مراحلَ من مكة . وقال ابن حبيب ، وجرة من سائر ، وسائر قريبٌ من عين مَلَل . وقال غيره : وجرة بإزاء غَمرة ، عليها طريق حُجّاج الكوفة والبصرة . انتهى باختصار .

وقال ابن السِّيد : وجرة:فلاة تألفُها الوحوش ، وخصَّها بالذكر لأنّها قليلةُ الماء ، فوحْشُها يجتزئ بالنبات الأخضر عن شُرب الماء ، فتَضمُر بطونُها ويشتدُّ عدْوها .

و (مُطفِل) : ذات طِفل ، وخصَّ المطفل لأنّها تحنُو على ولدها وتَخشى عليه القُنّاصَ والسِّباع ، فتُكْثِرُ التلفُّت والتشوُّف ؛ فذلك أحسَنُ لها فى المنظر ، وأصحُّ فى تشبيه المرأة بها ، لأنّه أراد أنَّها حَذِرةٌ من الرُّقباء ، فهى متشوِّفة كتشوُّف هذه البقرة . ومَن جعل الناظرة البقرةَ كان مطفل صفةً لها . ومن جعل الناظرة العينَ جعل مطفلا بدلا من ناظرة على تقدير مضاف ، أى وتتّقى بناظرةِ ناظرةِ مُطفلٍ . وهو بدلُ كلٍّ من كلّ . وذهب ابن كيسان إلى أنّه أراد بناظرةِ مطفلٍ بالإضافة ، فلما فصل بين المضاف والمضاف إليه ردَّ التنوين الذى كان سقط للإضافة كقوله :

رَحِمَ الله أعظماً دفَنوها بسَجِسْتانَ طلحةِ الطَّلَحاتِ (١)

وهذا القول خطأ لا يُلتفَت إليه ، لأنَّ العرب إذا فَصَلت بينهما لم تنوِّن .

(١) لابن قيس الرقيات ، وهو الشاهد ٥٨٠ فى الخزانة ٨ : ١٠ .

وقوله : (من وحشٍ وجرة) صفة لناظرة . فإن كانت بمعنى البقرة ففيه حذف موصوف ، أى ببقرة ناظرة كائنة من وحش وجرة . وإن كانت بمعنى العين ففيه مضاف محذوف ، أى من نواظرِ وحشٍ وجرة . ومُطفل جاء على النسب . وقال الفراء : لم يقل مُطفِلةً لأنَّ هذا لا يكون إلاّ للنساء ، فهو مثل حائض . والدليل على صحَّة قول سيبويه أنّه يقال مُطفلة إذا أردْتَ أنْ تأتىَ به على أطفلتْ فهى مطفلة . ولو كان ما يقع للمؤنث لا يشركه فيه المذكّر لا يُحتاج فيه إلى الهاء ما جاز مطفلة . قال تعالى : ﴿ تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عمّا أرضَعَتْ [١] ﴾ . وقال الإمام الباقِلاّنى (فى إعجاز القرآن) عند معايب هذه المعلَّقة : قوله تصدُّ وتبدى عن أسيلٍ ، إنَّما يريد خدًّا ليسَ بكزّ . وهذا متفاوت لأنّ الكشف عن الوجه مع الوصل ، دونَ الصَّدّ . وقوله : « تتقى بناظرة » لفظة مليحة ، يقال اتَّقاه بحقِّه [٢] . أى جعله بينه وبينه . وقد أوحشَها بقوله « من وحش وجرة [٣] » وكان سبيله أن يضيف إلى عيون الظباء والمها ، دون إطلاق الوحشِ ، ففيه ما يُستنكَر عيونه [٤] . انتهى .

وحاصل المعنى أنّها تعرض عنّا فتُظهر فى إعراضها خدًّا أسيلا ، وتستقبلنا بعينٍ مثل عيون ظباء وَجْرة أو مَهاها ، التى لها أطفَال . وخصَّهنَّ لنظرهنَّ إلى أولادِهنَّ بالعطفِ والشفقة . وهنَّ أحسن عيوناً فى تلك الحال منهنَّ فى سائر الأحوال .

وقوله : « وجيد كجيد الرِّيم » معطوف على أسيل . والجِيد : العُنق . والرِّيم : الظَّبى الأبيض . ونَصَّتْهُ : رفعتْه ونصَبته . وقال العسكرىّ (فى

(١) الآية ٢ من سورة الحج .
(٢) فى ط : « بحقه » ، صوابه فى ش وإعجاز القرآن ٢٧١ .
(٣) عبارة : « وقد أوحشها » الخ لم ترد فى النسخة المطبوعة من الإعجاز .
(٤) فى الإعجاز : « ففيهن ما تستنكر عيونها » .

التَّصحيف) : رواه الأصمعيُّ : نصَّته ، بالصاد المهملة مشدَّدة ، أى رفعته ، وبه سمِّى المِنصَّة (١) . ورواية غيره : « نضَتْه » بالضاد المعجمة مخفَّفة ، ومعناه أبرزتْه وكشفَتْه . وفى بيته الآخَر :

فجئتُ وقد نَضَتْ لنومٍ ثيابَها لدى السِّترِ إلاَّ لبسةَ المتفضِّلِ

نَضَت : خلعَتْ ونزعَتْ . ونضا سيفَه ، إذا سلَّه من غِمده . ونضا خِضابُه ينضُو . انتهى .

وقوله : « ولا بمعطَّل » أى من الحَلْى . يقال جيدٌ عطُلٌ بضمتين ومُعطَّل ، أى خالٍ من الحلى . وإذا ظرفٌ لفاحش ، أى ليس بكريه المنظر . قال الباقلاّنى : ليس بفاحشٍ ، فى مدح الأعناقِ ، كلامٌ فاحش موضوع (٢) ، وإذا نظرتَ فى أشعار العرب رأيتَ فى وصف الأعناق ما يُشبِه السِّحر .

يقول : وتبدى عن عنق كعنق الظَّبى غير متجاوزٍ قدرَه المحمود إذا رفعَتْ عنقَها وهو غير معطَّل عن الحلى . فشبَّه عنقَها بعنق الظبيةِ فى حال رفعها عنقَها ، وذكر أنَّه لا يشبه عنقِ الظبية فى التعطُّل عن الحلى .

وقوله : « وفرعٍ يزين المتن » إلخ هذا معطوفٌ أيضا على أسيلٍ . والفرع : الشَّعر التام . والمتن والمتْنةُ : ما عن يمين الصُّلب وشِماله من العَصَبِ واللَّحم . والفاحم : الشَّديد السواد ، كأنَّه لون الفحم . والأثيث : الكثير النَّبت . والقِنْو ، بكسر القاف وضمها ، وهو العِذْق بالكسر . والمتعثكل : الذى قد دخَل بعضُه فى بعضٍ لكثرته ، من العِثكال والعُثكول ، وهو الشِّمْراخ . وقيل المتعثكل : المتدلِّى .

يقول : وتبدى عن شعر طويل تامّ يَزِين ظهرَها إذا أرسلته عليه .

---

(١) فى التصحيف ٢٢١ : « وبه سميت المنصَّة » .

(٢) فى الإعجاز : « موضوع منه » .

وقوله : « غدائره مستشزِراتٌ إلى العُلا » الغدائر : الذوائب ، جمع غديرة . والضمير راجعٌ للفرع . قال الزّوزنى : الاستشزار : الرفع والارتفاع ، فيكون الفعل منه تارةً لازما ، وتارة متعدِّيا . فمن رَوى بكسر الزاى جعله من اللازم ، ومن روَى بفتحها جعلَه من المتعدِّى . وجملة غدائرُه مستشزرات صفةٌ أخرى لفرعٍ . قال التبريزى : وأصل الشَّزْر الفتلُ على غير جهةٍ . وقوله : « إلى العُلا » ، يريد به شدَّها على الرأس بخيوطٍ . والعِقاص : جمع عقيصة ، وهو ما جمع من الشعر ففُتِل تحتَ الذوائب ، وهى مِشْطةٌ معروفة ، يرسلون فيها بعضَ الشَّعر ويَثنون بعضَه . فالذى فُتِل بعضُه على بعض هو المثنَّى . والمرسَل : المسَرَّح غير مفتول ، فذلك قوله فى مثنًّى ومُرَسل . ويروى : « يضل العِقاص » بالياء التحتية على أنَّ العقاص واحد . قال ابن كَيسان :-هو المِدرَى ، فكأنّه يستتر فى الشَّعر لكثرته . ويروى : « تضلُّ المدارى » أى من كثافة شَعرها . والمدرى مثل الشَّوكة يُصلَح بها شعرُ المرأة .

٢٤٧

وهذا البيت استشهد به صاحب (تلخيص المعانى) على أنّ فى مستشزرات تنافراً لثقَلِها على اللسانِ وعُسْرِ النُّطق بها .

وقوله : « وكشحٍ لطيفٍ » الخ هذا أيضا معطوفٌ على أسيل . والكَشْح : الخَصْر ، وأراد باللَّطيف الصغيرَ الحسَنَ . والعربُ إذا وصفت الشئ بالحُسْن جعلته لطيفا . والجديل : زِمامٌ يتَّخذ من السُّيور فيجئ حسَناً ليِّنا يتثنَّى ، وهو مشتقٌّ من الجدْل ، وهو شدةُ الخَلْق . والمخصَّر : الدقيق . و « ساقٍ » أيضاً معطوف على أسيل . والأنبوب : البرديّ . والسَّقِيّ : النخل المسقىّ . والمذلَّل فيه أقوال : أحدها أنَّه قد سُقِى وذلِّل بالماء حتَّى يطاوِعَ كلَّ من مدَّ يده إليه . وقيل : هو الذى يفيِّئه أدنى الرِّياح لنعومته . وقيل الذى قد عُطف ثمرُه ليُجتنَى . وقيل :

الماء الذى قد خاضَه الناس . شَبَّه ساقَها ببرديٍّ قد نَبتَ تحت نخل [١] فالنَّخلُ يُظلُّه من الشمس ، وذلك أحسَنُ ما يكون منه .

قال الزوزنى : وتبدى عن كشحٍ ضامر يَحكِى فى دقّته زِماماً من الأَدَم ، وعن ساقٍ يحكى صفاءَ لونِ أنابيب برديٍّ بينَ نخلٍ قد ذُلِّلت بكثرة الحمل . شبَّه ضُمْر بطنها بالزِّمام ، وشبَّه صفاءَ لون ساقها ببرديٍّ بين نخيل يظلُّه أغصانها ، ليكون أصفى لوناً ، وأنقى رونقا . ومنهم من يجعل السقىّ نعتاً للبردىّ أيضا ، والمعنى كأنبوب البردىّ المسقىّ المذلَّل بالإرواء .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامسُ والعشرون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٢٥ (إذا رضِيَتْ علىَّ بنو قُشيرٍ)

على أنَّه إنّما تعدَّى رضِىَ بعلى ، مع أنّه يتعدى بعَن ، لحملِه على ضدّه وهو سَخِط ، فإنَّه يقال سخط عليه . وهم قد يحملون الضِّدَّ على الضدِّ ، كما يحملون النَّظير على النظير .

---

(١) ط : « نخلة » ، وأثبت ما ورد فى ش مع أثر تصحيح ، وهوالوارد أيضا فى شرح القصائد العشر للتبريزى ٤٥ ، وهو مظنة نقل البغدادى .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ .

(٣) نوادر أبى زيد ١٧٦ والمقتضب ٢ : ٣٢٠ والخصائص ٢ : ٣١١ ، ٣٨٩ ، والمحتسب ١ : ٥٢ ، ٣٤٨ والأزهية ٢٨٧ وابن الشجرى ٢ : ٢٦٩ والإنصاف ٦٣٠ وابن يعيش ١ : ١٢٠ وضرائر ابن عصفور ٢٣٣ والمغنى ١٤٣ ، ٦٧٧ والعينى ٣ : ٢٨٢ والتصريح ٢ : ١٤ والهمع ٢ : ٢٨ والأشباه والنظائر ٣ : ٢١٩ والأشمونى ٢ : ٢٢٠ واللسان (رضى ٣٩) .

وهذا التوجيه للكسائى . قال ابن جنّى (فى الخصائص) : وممَّا جاء من الحروف فى موضع غيرِه على نحوٍ مما ذكرنا قولُه :

إذا رضيت علىَّ بنو قُشيرٍ   لَعمْر الله أعجبَنى رِضاها

أراد : عنِّى . ووجه ذلك ، أنّها إذا رضيت عنه أحبَّتْهُ وأقبلَتْ عليه ، ولذلك استعمل (على) بمعنى (عن) . وكان أبو علىٍّ يستحسن قولَ الكسائى فى هذا ، لأنَّه لمَّا كانَ رضِيت ضدَّ سَخِطت عدَّى رضيت بعلى ، حملا للشىء على نقيضه ، كما يُحمَل على نظيره . وقد سلك سيبويه هذه الطريق [١] فى المصادر كثيراً فقال : قالوا كذا كما قالوا كذا ، وأحدُهما ضدُّ الآخَر . ونحو منه قولُ الآخر [٢] :

٢٤٨

إذا ما امرؤٌ ولَّى علىَّ بودِّه   وأدبَر لم يصدُرْ بإدباره وُدِّى

أى عنِّى ، ووجهُه أنّه إذا ولَّى عنه بودِّه فقد ضنَّ عليه به وبخل ، فأجرَى التولِّىَ بالودّ مجرى الضَّنانة والبخل ، أو مجرى السُّخط ، لأنَّ تولِّيَه عنه بودِّه لا يكون إلاّ عن سخطٍ عليه . وأمَّا قولُ الآخَر [٣] :

شَدُّوا المطىَّ على دليلٍ دائبٍ   من أهل كاظمةٍ بسِيف الأبحُرِ

فقالوا : معناه : بدليل . وهو عندى أنا على حذف المضاف ، أى شدُّوا المطىَّ على دلالةِ دليل ، فحذف المضاف ، وقوِىَ حذفُه هنا شيئاً لأنَّ لفظ الدليل يدلُّ على الدَّلالة ، وهو كقولك : سِرْ على اسم الله . و (على) هذه عندى حالٌ

---

(١) فى المصباح : « والطريق يذكر فى لغة نجد ، وبه جاء القرآن فى قوله تعالى : فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا . ويؤنث فى لغة الحجاز » . وفى بعض نسخ الخصائص : « هذا الطريق » .

(٢) هو دوسر بن غسان السليطى اليربوعى ، كما فى شرح الجواليقى لأدب الكاتب ٣٥٥ والاقتضاب ٤٣٣ .

(٣) هو عوف بن عطية بن الخرع ، كما فى الاقتضاب ٤٤٩ . وانظر اللسان (دلل ٢٦٤) .

من الضمير فى سِرْ وشَذُّوا ، وليست بواصلةٍ [1] لهذين الفعلين ، ولكنَّها معلَّقة بمحذوف ، حتّى كأنّه قال : سر معتمداً على اسم الله . ففى الظرف إذن ضميرٌ لتعلُّقه بالمحذوف . انتهى .

وقد نقل ابن الأنبارى أيضا (فى مسائل الخلاف) هذا التَّوجيه عن الكسائى . وكذا ابن هشامٍ نقلَه عنه (فى المغنى [2]) وقال : ويحتمل أن يكون ضمَّن رضِىَ معنى عطف .

وقد عَدَّ هذا ابنُ عصفورٍ من الضرائر الشعرية فقال : ومنه إنابة حرفٍ مكانَ حرف . وأورد هذا البيت وغيرَه . ولم أره لغيره [3] . كيفَ وقد ورد فى القرآن والحديث وغيرهما . وغاية ما قيل أنّه لا يطَّردُ فى كل موضع .

وقد أفرد له ابن جنى بابا (فى الخصائص) فلا بأس بإيراد شىء منه . قال فى باب استعمال الحروف بعضِها مكانَ بعض : هذا بابٌ يتلقَّاه الناس مغسولا [4] وما أَبعَدَ الصَّوابَ عنه [5] ، وذلك أنَّهم يقولون : إنّ إلى تكون بمعنى مع ، ويحتجُّون بقوله تعالى : ﴿ مَنْ أنصارِى إلى الله [6] ﴾ ويقولون : فى تكون بمعنى

---

(١) ط : « مواصلة » ، صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٣١٢ .

(٢) المغنى ١٤٣ .

(٣) الحق أن ابن عصفور قد ذكر خلافا للنحويين فى هذا وقال : « فأهل الكوفة يحملونها على ما يعطيه الظاهر من وضع الحرف موضع غيره . وأهل البصرة يبقون الحرف على معناه الذى عهد فيه ، إما بتأويل يقبله اللفظ ، أو بأن يجعلوا العامل مضمنا معنى ما يعمل فى ذلك الحرف إن أمكن ، ويرون أن التصرف فى الأفعال بالتضمين أولى من التصرف فى الحروف بجعل بعضها موضع بعض ، لأن الحروف بابها ألا يتصرَّف فيها » .

(٤) مغسولا ، أى كأنه غسل من الدقة والسلامة ، أو حقه أن يغسل ويطمس . انظر أساس البلاغة (غسل) .

(٥) فى الخصائص ٢ : ٣٦٠ : « مغسولا ساذجا من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه » .

(٦) الآية ١٤ من سورة الصف .

على ، كقوله تعالى : ﴿ ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فى جُذوعِ النخلِ [١] ﴾ . وغير ذلك . ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكنَّا نقول : إنه يكون بمعناه فى موضعٍ دون موضع ، على حَسَبِ الحال الداعية إليه . فأمَّا فى كلِّ موضع فلا . ألا ترى أنَّك إذا أخذتَ بظاهر هذا القول [٢] لزمَك أن تقول عليه : سرت إلى زيد وأنت تريد معه ، وأن تقول : زيد فى الفرس وأنت تريد عليه ، وزيد فى عمرو وأنت تريد عليه فى العَداوة ، وأن تقول : رويت الحديث بزيدٍ وأنت تريد عنه ، ونحو ذلك مما يَطُول [٣] ويتفاحش ، ولكنْ نضع فى ذلك رسما يعمل عَليه [٤] : اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعلٍ آخر وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتَّسع فتُوقِع أحدَ الحرفين موقعَ صاحبه ، إيذاناً بأنَّ هذا الفعل فى معنى ذلك الآخر ، فلذلك جئ معه بالحرف المعتاد مع ما هو فى معناه ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ أحلَّ لكم ليلةَ الصِّيام الرَّفَثُ إلى نسائكم [٥] ﴾ . وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنَّما تقول . رفثت بها أو معها ، لكنَّه لما كان الرَفَثُ هنا فى معنى الإفضاء ، وكنتَ تعدِّى أفضيت بإلى جئت بإلى مع الرفث ، إيذانا بأنَّه بمعناه ، كما صحَّحوا عَوِر وحَوِل لمَّا كان فى معنى اعورَّ واحولّ ، وكما جاءوا بالمصدر فأجرَوْه على غير فعله لمَّا كان فى معناه ، نحو قوله :

٢٤٩

* وإنْ شئتم تعاوَدْنا عِوَادا [٦] *

---

(١) الآية ٧١ من سورة طه .

(٢) فى الخصائص : « بظاهر هذا القول غفلا هكذا ، لا مقيدا » .

(٣) هذا ما فى الخصائص . وفى النسختين : « يهون » وذكر فى هامش ش أنها كذلك بخط المؤلف ، والصواب « يطول » ، كما فى الخصائص .

(٤) ط :« فيه » ، وأثبت ما فى ش والخصائص .

(٥) الآية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٦) لشقيق بن جزء كما فى فرحة الأديب بحاشية شرح أبيات الكتاب للسيرافى ١ : ١٩٩ . وانظر الخصائص ٢ : ٣٠٩ / ٣ : ٣١ والمحتسب ١ : ١٨٢ والاقتضاب ١٧٧ . وصدره :

* بما لم تشكروا المعروف عندى *

لمَّا كان التَّعاودُ أنْ يُعاوِد [١] بعضُهم بعضاً . وكذلك قوله تعالى : ﴿ مَنْ أنصارِى إلى الله [٢] ﴾ أى مع الله . وأنت لا تقول : سرت إلى زيد ، أىْ معَه . لكنَّه إنّما جاء لمَّا كان معناه : مَن ينضاف فى نصرتى إلى الله ؟

إلى أنْ قال : ووجدتُ فى اللغة من هذا الفنِّ شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به ، ولعلَّه لو جُمع أكثرُهُ ، لجاء كتابا ضخما . وقد عرفتَ طريقَه ، فإذا مرَّ بك شيءٌ منه فتقبَّلْه وأْنَسْ به ، فإنّه فصلٌ من العربية لطيف حسن ، يدعو إلى الأنس بها والفَقاهة فيها . وفيه أيضاً موضعٌ يشهَدُ على من أنكر أن يكون فى اللغة لفظان بمعنىً واحد ، حتَّى تكلّف لِذلك [٣] أن يوجِد فرقاً بين قعد وجلس ، وذراع وساعد . ألاَ ترى أنَّه لما كان رفَثَ بالمرأة بمعنى أفضَى إليها جاز أن يُتبع الرفثَ الحرفَ الذى بابُه الإفضاء ، وهو إلى . وكذلك لمَّا كان : هل لك فى كذا ، بمعنى أدعُوك إليه ، جاز أن يقال : ﴿ هل لك إلى أن تزَكَّى [٤] ﴾ كما يقال : أدعوك إلى أن تَزَكَّى . انتهى كلامه .

وقال ابن السِّيد البطليوسى (فى شرح أدب الكاتب [٥]) عند باب دخول بعض الصفات مكان بعض :

هذا البابُ أجازه أكثر الكوفيِّين ، ومنَعَ منه أكثر البَصريِّين . وفى القولين جميعاً نظر ؛ لأنّ من أجازَهُ دونَ شرطٍ لزمه أن يُجيز : سرت إلى زيد ، وهو يريد : مع زيد .

---

(١) ط : « أن يعاد » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) من الآية ٥٢ فى آل عمران و ١٤ فى الصف .

(٣) ط : « ذلك » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٤) الآية ١٨ من سورة النازعات .

(٥) انظر الاقتضاب ٢٣٩ – ٢٦٦ .

ثم مثَّل بنحو ما مثَّل به ابن جنى وقال :

وهذه المسائل لا يُجيزها من يجيز إبدالَ الحروف . ومَن منع من ذلك على الإطلاق لزمه أن يتعَسَّف فى التأويل لكثيرٍ ممَّا ورد فى هذا الباب ، لأنَّ فى هذا الباب أشياءَ كثيرةً يتعذَّر تأويلُها على غير وجه البدل ، ولا يمكن المُنكِرِينَ لهذا أن يقولوا إنّ هذا من ضرورة الشعر ، لأنّ هذا النوع قد كثُر وشاع ، ولم يَخصَّ الشِّعرَ دون الكلام . فإذا لم يصحَّ إنكارُهم له ، وكانَ المجيزون له لا يجيزونه فى كلِّ موضع ، ثبت بهذا أنَّه موقوف على السّماع ، غير جائزٍ القياسُ عليه ، ووجب أن يُطلبَ له وجهٌ من التأويل يُزيل الشَّناعةَ عنه ، ويعرِّف كيف المأخذُ فيما يرِدُ منه . ولم أر فيه للبصريِّين تأويلاً أحسن من قولٍ ذكره ابن جنى (فى كتاب الخصائص) وأنا أورده فى هذا الموضع ، وأعضِدُه بما يشاكله من الاحتجاج .

ثم نقل كلامَ ابن جنىّ وزاد عليه أمثلةً وشرحَها ، وأطال الكلام فيها وأطاب .

وكان ينبغى لنا أن نذكر هذا الفصلَ عند أوَّل شاهدٍ من حروف الجر ، لكنّنا ما تذكّرناه إلاّ هنا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للقُحَيف العُقَيلّى ، يمدح بها حكيم بن المسيّب القُشيرىّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(ولا تنبو سيوفُ بنى قشيرٍ ولا تمضى الأسنَّةُ فى صَفاها)

واقتصر عليهما أبو زيد (فى نوادره) . ومنها :

(تنضَّيت القِلاصَ إلى حكيمٍ خوارجَ من تَبالة أو مِناها

فما رجعَتْ بخائبةٍ ركابٌ حَكيم بن المسيَّب مُنتهاها)

وأوردهما ابن الأعرابى (فى نوادره) .

وقوله : (إذا رضيَتْ) إلخ إذا شرطية ، وجوابها أعجبنى رضاها ، واللام فى لعمر الله لام الابتداء ، وعمر الله مبتدأ وخبره محذوف أى قسمى ، وجواب القسم محذوف مدلولٌ عليه بجواب إذا ، كما تقدَّم فى الشرط ، من الضابط فى اجتماع الشرط والقسم .

٢٥٠

و (قشَير) بالتصغير ، هو قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . يقول : إذا رضيت عنّى بنو قشير سرَّنى رضاها . وضمير (رضاها) عائدٌ إلى بنو قشير [1] ، وأنّثه باعتبار القبيلة .

وقوله : « ولا تنبو سيوفُ » إلخ نبا السَّيف عن الضَّريبة ، إذا كلَّ ولم يقطع . ولا تمضى : لا تنفُذ . والأسِنّة : جمع سِنان ، وهو حديدة الرُّمح التى يُطعن عليها . والصَّفا واحدُه صفاةٌ ، وهى الصخرة الملْساء الصَّمَّاء لا يؤثِّر فيها الحديد . يريد أنَّ سيوفهم تؤثِّر فى غيرِهم وأسنّةِ غيرهم .

وقوله : « تنضَّيت القِلاَصَ » إلخ أى جعلتها أنْضاءً : جمع نِضوة بالكسر ، أى المهزولة من شدة الأسفار . يقال أنضيتُ البعير وتنضَّيته ، أى أهزلته . والقِلاص ، بالكسر : جمع قَلوص بالفتح ، وهى الناقة الشَّابَّة . وحكيم هو ابن المسيَّب . وخوارج : جمع خارجة . وتبالة ، بفتح المثنّاة الفوقيَّة بَعْدَها موحَّدة : بلدة صغيرة من اليمن . ومِنىً بكسر الميم ، قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : ومنىً موضع آخرَ من بلاد بنى عامر ، ليس مِنى مكّة ، وهو محدَّد فى رسم ضَرِيَّة ، قرب المدينة المنوَّرة .

وقوله : « فما رجعَتْ بخائبةٍ » الخ أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنّ الباء تزاد فى الحال المنفىِّ عاملُها . أى فما رجعت خائبة . وخرَّجه أبو حيّان على أنّ

---

(١) ش : « بنى قشير » .

التقدير : بحاجةٍ خائبة ، فالجارّ والمجرور هو الحال ، وركاب فاعل رجعَتْ ، وهى الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، ولا واحدَ لها من لفظها . والخَيبة : حِرمان المطلوب . يعنى أنّ الإبلَ التى انتهى سيرُها إلى هذا الممدوح لم ترجع خائبة ، بل رجعَتْ بنيل المطلوب . وحَكيم مبتدأ ، ومنتهاها خبره ، أى منتهى سيرها ، والجملة صفة ركاب . قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : والمسيَّب هذا بالفتح لا غير ، وكذا كلُّ مسيَّب إلاّ والد سعيد بن المسيّب فإن فيه وجهين : الفتح والكسر .

وهذا البيت لم يعزُه أحدٌ من شراح المغنى إلى أحد ، مع أنّ البيتَ الشاهد نسبه السُّيوطى إلى القُحيف ولم يقف على أنّ هذا البيت من تلك القصيدة .

القُحيف العُقيلىّ

والقُحيف العُقَيلىُّ شاعر إسلامىّ ، ذكَره الجمحى فى الطبقة العاشرة من شعراء الإسلام . وهو شاعر مقلٌّ ، شبَّب بخرقاءَ محبوبةِ ذى الرمة .

وهذا نسبُه : القحيف بن خُمير بن سُليم النّدَى بن عبد الله بن عَوف بن حَزن بن مُعاوية بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كذا فى الجمهرة والعباب للصاغانى .

والقحيف بضم القاف وفتح المهملة . وخُمير بضم المعجمة وفتح الميم . وسُلَيم بضم السين وفتح اللام . وأضيف إلى الندى لاشتهاره بالكرم . وقال الصّاغانى : رأيت بخط محمد بن حبيب فى أول ديوان شعر القُحيف « البَدِىّ » بالباء الموحدة وتشديد الياء .

وعُقَيْل بالتصغير هو أخو قشيرٍ ، المنسوب إليه حَكيم بن المسيَّب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثمانمائة [١] :

٨٢٦ (رَعته أشهُراً وخلاَ علَيها)

تمامه :

(فطار النَّىُّ فيها واستغارا)

٢٥١ على أنّ (على) فيه ليست بمعنى اللام كما قاله الكوفيون وابن قتيبة (فى أدب الكاتب) ، لأنّه يقال خلاَ له الشيءُ بمعنى تفرَّغ له .

قال ابن السِّيد : كان الوجه أن يقال : وخلاَ لها ، ولكن قوله وخلا عليها يفيد ما يفيده قوله إنّه وقَفَ عليها . فخلا ضمِّن معنى وقف وحبس عليها .

وقول الشارح فى الجواب عنه : « أى على مذاقها ، كأنّه مَلك مذاقها ، وتسلَّط عليه » ، فإنه تحريفٌ منه لكلمة خلا المعجمة الخاء ، بحَلا المهملة ، بجعلِهِ من الحلاوة ، فأجاب بتقدير مضاف بعد على ، وتضمين الفعل . وليست الرِّواية كما توهَّمه .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ للراعى مدح بها سَعِيد بن عبد الرحمن [٢] بن عَتّاب ابن أسِيد ، عدَّتها سبعة وخمسون بيتا . وقبله :

أبيات الشاهد
(وذات أثَارةٍ أَكَلتْ عليها ... نباتاً فى أَكمَّتـه قِفَـارا
جُماديًّا تَحِـنُّ المُـزْنُ فيـه ... كما فجَّرْت فى الحَرْثِ الدِّبارا
رعتـه أشهـراً وخـلا عليها ... ... البيت)

---

(١) الجواليقى ٣٥٩ والاقتضاب ٤٣٨ والضرائر ٢٣٣ وديوان الراعى ٧٩ .

(٢) ط : « سعد بن عبد الرحمن » ، صوابه فى جمهرة ابن حزم ١١٣ ، وكذلك فى ش مع أثر تصحيح . قال ابن حزم : « فولد عبد الرحمن محمد ، وسعيد . وكان سعيد سيدا ممدّحا ، تزوج الحجاج ابنته ، وتزوج هو بنت عَبد الله بن زياد فولدت له عتاب بن سعيد » .

قوله : « وذات أثارة » الخ قال الجواليقي (فى شرح أدب الكاتب) : الواو واوُ رُبّ ، أى ربَّ ناقة ذاتِ سِمَنٍ . والأثارة بفتح الهمزة والمثلثة : شحمٌ متَّصل بشحم آخر ، ويقال هى بقيَّة من الشحم العتيق . يقال سمنت الناقة على أثارةٍ ، أى على بقيّةِ شحم . وقوله : « أكلَت عليها نباتا » أى على هذهِ الأثارة . وفى أكمَّتِه ، أى فى غُلفه ، جمع كِمام ، وهو جمع كِمّ بكسر الكاف وتشديد الميم . والكِمّ : غطاء النَّور وغِلافُه ، فأكمّة جمع الجمع . وقوله : « قِفَارا » ، أى خاليا من الناس ، فرعَتْه وحدَها . وقِفَار وصف نبات . قال صاحب المصباح : القفر : الخلاء ، والمفازة . ويقولون : أرضٌ قِفار على توهُّم جمع المواضع لسَعتها . ودارٌ قَفْرٌ وقِفارٌ كذلك [١] . والمعنى خالية من الناس .

وقوله: « جُماديا » وصف آخر لنبات ، منسوب إلى جُمَادَى بعد حذف ألفه الخامسة ، أى نَبتَ فى جمادى . وجملة « تحنُّ » إلخ صفة لجمادِىّ ، أى تعطف عليه . والمُزن : جمع مُزنةٍ ، وهى السَّحابة . وقوله : « كما فجَّرت » فى موضع المفعول المطلق ، أى وفجّرت المزنُ الأرضَ تفجيراً كما فجَّرْت . والتفجير : التشقيق ، يقال فَجَرَ الماءَ بالتخفيف ، أى شقَّ الأرضَ ففتح لهُ طريقا . والتشديد للمبالغة . والحرث : مصدر حَرَثَ الأرض ، إذا أثارها للزراعة بالمحراث . والدِّبار ، بكسر الدال ، قال صاحب الصحاح : الدَّبْرة بالفتح والدِّبارة بالكسر : المَشَارة [٢] فى المزرعة ، والجمع دَبْرٌ ودبار .

وقوله : « رعتهُ » أى رعت الناقة ذلك النبات أشهراً . وتخلَّت به : لم يرعَه

---

(١) ط : « لذلك » ، صوابه فى ش والمصباح .

(٢) ط : « المثارة » صوابه بالشين كما فى ش . والمشارة ، كسحابة : الكردة . قال ابن دريد : وليس بالعربى الصحيح . أما الكردة التى فسرت بها فهى بضم الكاف : واحدة الكرد ، وهى الأنهار الصغار التى تتفجر فى أرض الزرع ، أو البقعة من الأرض تزرع .

غيرُها . وطار النَّى ، أى ارتفع الشحم . واستغار [١] أى هبط فيها . والنَّىُّ : مصدر نَوِيت الناقة ، أى سمنت ، تَنوَى نواية ونَيًّا فهى ناوية ، وجمَلٌ ناوٍ وجِمالٌ نِواء ، مثل جائع وجياع . وقال ابن السِّيد فى شرحه : وصف ناقةً فقال : رعت هذا الموضع أشهر الرَّبيع وخلا لها ، فلم يكن لها فيهُ منازع ، فسمنت . والنّىُّ : الشَّحم . ومعنى طار : أسرع ظهورُه .

وقال ابن قُتيبة (فى كتاب المعانى [٢]) : استغار وغار واحدٌ ، كأنّه قال : ظهر النّىُّ واستتر . ورواه الباهلىّ : « فسار » وقال : معنى سار : ارتفع . واستغار : انهبط ، مِن قولك : غار يغُور . وقال الحربىُّ : يقال استغار الجُرح ، إذا تورَّم . وأنشد :

* فطار النَّىّ فيها واستغارا *

٢٥٢ وذكر أنّه يروى « استعار » بالعين غير معجمة ، أى ذهب يمينا وشِمالا ، من قولهم عار الفرس [٣] ، إذا أفَلَتَ .

وترجمة الراعى تقدّمت فى الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة [٤] .

* * *

(١) ط : « واستغفارا » .

(٢) النقل لابن السيد أيضا فى الاقتضاب ٤٣٨ . ولم أعثر على هذا النص فى المعانى الكبير ، وهذا يلقى ظلا على الريبة فى أن يكون لابن قتيبة كتابين فى المعانى ، ومن المجزوم به أيضا أن أصل النسخة التى طبعت منها المعانى نسخة مبتورة كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن اليمانى فى أواخر تقديمه للكتاب فى صفحة (لب) .

(٣) الذى فى الاقتضاب : « عار الحمار » .

(٤) الخزانة ٣ : ١٥٠ — ١٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثمانمائة ، [وهو من شواهدس [(١)]] :

٨٢٧ (إنَّ الكريمَ وأبيكَ يَعتملْ إن لم يجد يوماً على مَنْ يتَّكلْ)

على أنّ (على) ليست زائدة ، وإنّما هى مقدَّمة من تأخير ، والأصل : إن لم يجد يوماً من يتكَّل عليه ، فقدّمت (على) على (مَن) فانتصب الضمير بالفعل ثم حُذف .

وهذا تخريج ابن الشجرى (فى أماليه) ، أورده نظيراً لقوله تعالى : ﴿ يدعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أقربُ مِنْ نفعه [(٢)] ﴾ ، قال : إنَّ الأصل يدعو من لَضَرُّهُ أقربُ ، فقدِّمت لامُ التوكيد كما قدّمت (على) فى قول هذا الراجز ، مع أنّها عاملة ، وأراد : من يتّكل عليه . وهذا تقديمٌ قبيح سوَّغته الضرُّورة . انتهى .

وهذا تعسُّف ، إذ لم يُعهَد تقديم الجارّ على غير المجرور ، كما لم يعهد تقديم الجازم على غير المجزوم ، وإنَّما المعهود تقديمهُما معاً . ومراد الشارح الردّ على جميع تخاريجه ، وهى سبعة :

(الأول) لسيبويه : أن يكون الأصل : على من يتكَّل عليه ، فحذف العائد مع الجارّ . و (على) الأُولى غير زائدة . وهذا نصُّه : وقد يجوز أن تقول : بمن تمرر أمرر ، وعلى من تنزل أنزل ، إذا أردت معنى عليه وبه . وليس بحدِّ الكلام ، وفيه

---

(١) التكملة من ش . وانظر سيبويه ١ : ٤٤٣ والعقد ٥ : ٣٩٢ ومجالس العلماء : ٨٢ وأمالى الزجاجى ٢٣٤ ، ٢٣٥ والخصائص ٢ : ٣٠٥ والمحتسب ١ : ٢٨١ وابن الشجرى ٢ : ١٦٨ والمغنى ١٤٤ والتصريح ٢ : ١٥ والأشمونى ٢ : ٢٢ .

(٢) الآية ١٣ من سورة الحج .

ضعف . ومثلُ ذلك قولُ بعض الأعراب : « إنَّ الكريم وأبيك » البيتين . يريد يتَّكل عليه . ولكنّه حذف . وهذا قول الخليل . انتهى .

قال الزجاجى (فى أماليه الوسطى) : زعم بعضُ النّاس أنّ سيبويه غلط فيه ، وتقديره عند سيبويه أن يكون يَجِد متعدّياً إلى مَنْ بعلى ، وليس وجَدتُ ممّا يتعدَّى بحرف خفض ، فلهذا خالفوه . قال المازنىّ : تقديره صحيح جيّد ، لأنّ الفعل المتعدّىَ قد يجوز أن لا يعدَّى ، فكأنّه قصد ذلك ثم بدا له فعدّاه بعلى ، كما قال الله تعالى : ﴿ عسَى أن يكون رَدِف لكم [١] ﴾ وإنمّا جاز أن يحذف عليه لذكرها فى أوّل الكلام . انتهى .

(الثانى) لابن جنى ، قال : أراد إن لم يجد يوماً من يتكل عليه ، فحذف عليه وزاد على قبل مَنْ عوضاً . وجوِّز فى عن أيضاً كذلك ، كقوله :

أتجزعُ أن نفسٌ أتاها حِمامُها فهلاَّ التى عن بينِ جَنْبيكَ تدفعُ[٢]

قال : أراد : فهلاً عن التى بين جنبيك تدفع ، فحذف عَنْ وزادها بعد التى عوضا . وتبعه ابن مالكٍ فى هذا وقال : قد تزاد الباء كذلك . وأنشد :

ولا يُواتيك فيما نابَ من حدثٍ إلاّ أخو ثقةٍ فانظُرْ بمن تثقُ [٣]

قال : أراد من تثق به ، وزاد الباء قبل مَنْ عوضا . قال أبو حيان (فى الارتشاف) : نصّ سيبويه على أن عن وعلى لا يزادان ، وتقدّم قول ابن مالك فى عن : إنّها تزاد عوضا ، وقال : تزاد على . وأنشد :

أبَى الله إلاَّ أنَّ سرحةَ مالكٍ على كُلِّ أفنانِ العضاهِ تَروقُ[٤]

(١) الآية ٧٢ من سورة النمل .
(٢) لزيد بن رزين المحاربى ، كما فى معجم الشواهد .
(٣) لسالم بن وابصة ، أو العرجى ، كما فى معجم الشواهد ونوادر أبى زيد ١٨١ والبيان ١ : ١٦٥
(٤) لحميد بن ثور ، كما فى معجم الشواهد .

قال : زاد على لأنّ راق متعدِّية . وما استدلُّوا به على أنّ الباء وعن وعلى تزاد عوضاً لم يقم عليه دليل . ولم يَكْفِ ابنَ مالكٍ أن استدلّ بشيءٍ محتَمل مخالِفٍ لنصّ سيبويه حتى قال : ويجوز عندى أنْ يعامل بهذه المعاملةِ من ، واللام ، وإلى ، وفى ، قياساً على عن وعلى والباء ، فيقال : عرفت ممن عجبت ، ولمن قلت ، وإلى مَن أويت ، وفيمن رغبتَ ، والأصل : عرفت مَن عجبتَ منه ، ومن قلتَ له ، ومن أويت إليه ، ومن رغبت فيه ، فحُذِف ما بعد مِنْ [١] وزيد قبلها عوضاً [٢] . وما أجازه ليس بصحيح ، ولو استدلَّ بشيء لا يحتمل التأويل لكان من القلَّة بحيث لا يقاس عليه . انتهى .

٢٥٣

وأجاب ابن عصفور عن قوله : « فهلاَّ التى عن بينِ جنبيك » بأنّه ضرورة ، لأنّ تقديم المجرور على حرف الجر من القلّة بحيثُ لا يُلتفَت إليه .

وأجاب أبو حيان فى (شرح التسهيل) عن قوله « فانظر بمن تثق » بأنَّ الكلام تمَّ عند قوله فانظر ، أى فى نفسك . ثم استفهم على سبيل الإنكار فقال : بمن تثق ؟ وأجاب أيضاً عن قوله :

* على كلِّ أفنان العضاهِ تَرُوق *

بأنّ تروق مضمَّن معنى تعلو وترتفع .

قال ابن هشام : ما قاله ابن مالكٍ فيه نظر ، لأنّ راقه الشيءُ بمعنى أعجبه ، ولا معنىَ له ههنا .

(الثالث) ليونس شيخ سيبويه ، وهو أن يكون التقدير : إنْ لم يجد يوماً شيئاً ، ثم يبتدئ فيقولُ مستفهماً : على مَنْ يتّكل أعلى هذا أم على هذا ؟ ويكون

---

(١) يريد (من) ونظائرها ، وهى اللام ، وإلى ، وفى .

(٢) ش : « وزيد ما قبلها عوضا » .

يتكّل فى موضع رفع ، ولكنّه سكّنه للقافية . ويعتمل بمعنى يكتَسب . وكان المبّردُ يذهب إليه قديما ، وذكره (فى كتاب الردّ على سيبويه) ثم رجع عنه .

(الرابع) للفراء قال : معنى لم يجد لم يدْرِ ، كأنّه قال : إن لم يدرِ على من يتّكل . قال : وقيل لامرأةٍ من العرب : أنزلى قِدرَك من النار ، فَقالت : لا أجِدُ بِمَ أُنزِلُها ، أى لا أدرى بأىّ شىء أنزلها .

(الخامس) للمازنى قال : معنى لم يجد لم يعلم ، كأنه قال : إنّ الكريم يعتمل إن لم يعلم على من يتكّل . وهذا مختار المبّرد أخيرا .

(السادس) أن يكون لم يَجد فى معنى لم يكتسب ، كأنّه قال : إن لم يكتسب على من يتكل . نقل هذه الأقوال الأربعة الأخيرة مع قول سيبويه الزجاجىُّ فى كتابه المذكور .

(السابع) للأعلم فى شرح أبيات سيبويه قال : يجوز أن يكون التقدير: يعتمل على مَن يتكل عليه من عياله ، أى يسعى لهم وإن لم يكن ذا جِدَة . ومعنى يعتمل : يحترف لإقامة العيش . انتهى .

وقوله : (إنّ الكريم) خبره جملة يعتمل ، وقوله وأبيك جملة قسميَّة حُذف جوابُها ، معترضة بين اسم إنّ وخبرها .

قال صاحب الصحاح : يعتمل : يضطرب فى العمل . وأنشد البيت .

وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف قائلُها .

وأورد السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) بيتين قبلهما ، وهما :

(إنّى لساقيها وإنّى لكَسِلْ وشاربٌ من مائها ومُغتسِلْ)

ولا أعرف حقيقتهما . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهدس [١] :

٨٢٨ (غَدَت من عليهِ بَعْدَ ما تَمّ ظِمْؤُها تَصِلُّ وعن قَيْضٍ بِزِيزاءَ مَجهلِ)

على أن (على) يتعيَّن أن يكون اسماً إذا دخل عليها حرفُ جرّ كما هنا . وانقلاب ألفها مع الضمير ياء كانقلاب ألف لدى معه .

٢٥٤

وقد ذكر سيبويه معناها حقيقةً ومجازا ثم قال : فقد يتَّسِعُ هذا فى الكلام ويجىء كالمثل . وهو اسم ، ولا يكون إلاّ ظرفا . ويدلُّك على أنّه اسمٌ قول بعضِ العرب : نهض مِنْ عليه . وقال الشاعر : « غدت مِنْ عليه » البيت .

قال الأعلم : الشاهد فيه دخولُ مِنْ على (على) لأنّها اسمٌ فى تأويل فوق ، كأنه قال : غدت من فوقه . وقال الخفّاف (فى شرح الجمل) : وقال أبو عبيدة : المعنى غدت من عندِه ، لأنَّها بعد خروج الفَرخ من البيضة انتقلت الفوقيّة إلى العنديّة فصارت عنده لا عليه . قال الاستاذ ابن خَروف : بل الفوقيّة ثابتة ما دام صفةَ الفرخ وإن لم يكن تحت [٢] . والفوقيَّة بجناحها . انتهى .

وصريح كلام سيبويه أنَّ اسميَّتها إذا دخلت عليها مِنْ غَير مُختصّ بالضرورة . وهو ظاهر كلام غيره أيضا ، خلافاً لابن عصفور ، فإنّه زعم أنّ على فى هذا البيت وفى أبيات أخر أوردَها ، استُعمِلت اسماً للضَّرورة ، إجراءًا لها مجرى ما هى فى معناه ، وهو فوق . ولم أر من قال إنَّه ضرورة غيره .

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣١٠ . وانظر نوادر أبى زيد ١٦٣ والمقتضب ٣ : ٥٣ والكامل ٤٨٨ وأصول ابن السراج ٢ : ٢٥٦ والجمل ٧٣ والاقتضاب ٤٢٨ وابن يعيش ٨ : ٣٧ ، ٣٨ والمقرب ١ : ١٩٦ والضرائر ٢٠٥ والمغنى ١٤٦ ، ٥٣٢ والعينى ٣ : ٣٠١ والتصريح ٢ : ١٩ والهمع ٢ : ٣٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ش : « وإن لم تكن تجب » .

ومذهب سيبويه يردُّ قولين :

أحدها للفرّاء ومَن تبعه من الكوفيين ، وهو أنَّ عن وعلى إذا دخل عليهما مِنْ باقيانِ على حرفيَّتهما لم ينتقلا إلى الاسميَّة . وزعموا أنّ مِنْ تدخل على حروف الجر كلِّها سوى مُذْ ، واللام ، والباء ، وفى .

وثانيهما لجماعة من البصريين ، وهم ابن الطَّراوة ، وابنُ طاهر ، وابن خروف ، وأبو على الرَّندى ، وأبو الحجاج بن معزوز ، والأستاذ أبو على فى أحد قوليه . زعموا أنّ على اسمٌ دائما ، ولا تكون حرفا [١] . وزاد الأخفش على سيبويهِ موضعاً آخر من اسميَّتها ، وذلك إذا كان مجرورها وفاعل متعلَّقها ضميرين لمسمىً واحد ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أمسِكْ عَليكَ زَوجَك [٢] ﴾ ، وقول الشاعر [٣] :

هَوِّنْ علــيكَ فإنَّ الأُمورَ ... بِكـفِّ الإلــهِ مقاديرُهـــا

لأنَّه لا يتعدَّى فعل الضمير المتصل إلى ضميره المتّصل فى غير باب ظن ، وفقد ، وعَدِم .

قال أبو حيّان : ولا يدلُّ على اسميتها ما ذكره الأخفش ؛ فقد جاء : ﴿ وهُزِّى إليك [٤] ﴾ ﴿ واضمُمْ إليكَ جناحَك [٥] ﴾ ولا نعلم أحداً ذَهبَ إلى أنّ إلى اسمٌ .

وقال ابن هشام : وفيما قاله الأخفش نظر ، لأنّها لو كانت اسماً فى هذه المَواضع لصحّ حلول فوقَ محلَّها ، ولأنّها لو لزمت اسميَّتها لِمَا ذُكر ، لزم الحكمُ

---

(١) ط : « ولا يكون حرفا » .
(٢) الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .
(٣) هو الأعور الشنى ، أو عمر بن الخطاب ، أو محمد بن حازم . كما فى معجم الشواهد .
(٤) الآية ٢٥ من سورة مريم .
(٥) الآية ٣٢ من سورة القصص .

باسمية إلى فى نحو : ﴿ فصُرْهُنَّ إليك [١] ﴾ وهذا كُلّه يتخرَّج إمّا على التعليق بمحذوف كما قيل فى سَقياً لك ، وإمّا على حذف مضاف ، أى هوّن على نفسك واضمم إلى نفسك . ولا يحسُن تخريج هذا على ظاهره ، لأنّ بابَهُ الشّعرُ ، ولا على قول ابن الأنبارى إنّ إلى تَرِدُ اسماً ، يقال انصرفت مِن إليك ، كما تقول : غدوت من عليك ، لأنّه إن كان ثابتاً ففى غاية الشُّذوذ . ولا على قول ابن عصفور : إن إليك إغراءٌ ، والمعنى خذ جَناحك أى عَصاك ، لأنّ إلى لا تكون بمعنى خُذْ عند البصرِّيين ، ولأنَّ الجناح ليس بمعنى العصا إلاّ عند الفراء وشذوذٍ [٢] من المفسِّرين . انتهى .

قال أبو حيان : ومن قال إنّ على لا تكون إلاّ اسما يقول إنّها معْرَبةً ، ومن جوَّز أن تنتقل إلى الاسمية بدخول مِن عليها أو على مذهب الأخفش ، اختلفوا : فقال بعضُ أشياخنا : هى معربةٌ إذ ذاك . وقال أبو القاسم بن القاسم : هى مبنيّة ، وألفها كألف هذا ، فهى كعنْ وكاف التشبيه ومذ ومنذ ، إذ كُنّ أسماءً . انتهى .

وقد ذهب صاحب الكشاف ، وتبعه الشارح المحقق إلى أنَّهما مبنيان ، قال فى تفسير ﴿ حَاشَا للهِ [٣] ﴾ من سورة يوسف : فإنْ قلتَ : فلم جاز فى حاشا لله أن لا ينوّن بعد إجرائه مجُرى براءةً لله ؟ قلتُ : مراعاةً لأصله الذى هو الحرفيّة . ألا ترى إلى قولهم : جلست مَن عَن يمينه . تركوا (عن) غير معربٍ ، على أصله ، و (على) فى قوله : غدت من عليه . انتهى .

٢٥٥

---

(١) فى المغنى ١٤٦ : « أن إلى قد ترد اسما » .

(٢) وكذا فى المغنى ، وهو من الوصف بالمصدر .

(٣) الآية ٣١ ، ٥١ من سورة يوسف .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لمُزاحم العُقَيلىّ عدَّتها أربعة وثمانون بيتاً ، مذكورة (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) . وقبله :

أبيات الشاهد

(قطعتُ بشَوشاةٍ كأنَّ قُتُودَها على خاضبٍ يعلو الأماعزَ مُجفِلِ
أذلك أم كُدريَّةٌ ظَلَّ فرخُها لَقىً بشَرَوْرَى كاليتيم المعيَّلِ
غَدتْ مِن عليه بعدما تم ظِمؤها تصلُّ وعن قَيضٍ بزيزاءَ مَجهَلِ
غُدوًّا طوى يومين عنه انطلاقُها كَمِيلين من سَير القطا غير مؤتلي)

الشوشاة بفتح الشين المعجمة : الناقة الخفيفة . والقُتود بضم القاف والمثناة الفوقية : جمع قَتَد بفتحتين ، وهو خشب الرَّحْل ، ويجمع على أَقتادٍ أيضا . والخاضب ، بمعجمتين ، هو ذكَر النَّعام الذى أكل الرَّبيعَ فاحمرّ ساقاه . والأماعز : جمع أمعَز بالعين المهملة والزاء المعجمة [١] ، وهى الكثيرة الحصباء . ومُجفِل : اسم فاعل من أجفل بمعنى نفر .

وقوله : « أذلك أم كدرية » الإشارة إلى الخاضب . والكدرية بالضم : القطاة . قال صاحب الصحاح : الكدرىّ ضربٌ من القطا ، وهو ثلاثة أضرب : كُدرىٌّ ، وجُونىٌّ بضم الجيم ، وغَطَاط بفتح المعجمة بعدها مهملتان . فالكدرىُّ : الغُبر الألوان الرُّقشُ الظهورِ والبطونِ ، الصُّفر الحلوق ، وهو ألطف من الجُونىّ ، كأنّه نُسِب إلى مُعظَم القطا وهو كُدر . وذلك خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير أتلك الشَّوشاة ذلك الخاضبُ أم كدريَّةٌ . وهو تشبيهٌ بليغ بحذف أداة التشبيه . شبَّه ناقته فى الخفة والسُّرعة بأحدهما على طريق الاستفهام التجاهُلىّ .

ولا وجهَ لقول الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : يُريدُ : أذلك الظَّليم أحبُّ إليكَ أم قطاة كدْرية .

---

(١) ش : « والزاى المعجمة » .

وقال ابن يعيش : يريد : أذلك الخاضب يشبه ناقتى فى سُرعتها أم كدرية ؟ يعنى قطاةً هذه صفتها .

وجملة « ظَلَّ فرخُها لَقًى » إلخ صفة لكدريَّة . واللَّقَى بفتح اللام والقاف : المُلقَى والمطروح الذى لا يُلتفَت إليه . وشَرَوْرَى ، بفتح الشين المعجمة والراءين المهملتين وسكون الواو بينهما وآخره ألف مقصورة ، قال أبو عبيد البكرى (فى معجمه) : هو جبلٌ بطريق مكة إلى الكوفة ، بين بنى أسد وبنى عامر . ومُعيَّل بفتح المثناة التحتية المشدّدة : الفقير ، وقيل المُهَمل . قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : شبَّه فرخها فى انفراده وسوء حالهِ باليتيم . قال الأصمعى : وإنّما قال لقىً بشَرورى لأنَّ القطاة لا تبيض إلاّ بالأرض فى مَفاحِصَ ونُقَر ، ولا تعشِّش فى الشجر .

وقوله : (غدَتْ من عليه) إلخ قال الفالى [1] (فى شرح اللباب) غدا بمعنى صار ، يقال : غدا زيدٌ أميراً ، أى صار ، وأنشد البيت . وقال : أى انصرفت القطاة من فوقِه . فهو غير مخصوص بوقتٍ دون وقت ، بخلاف ما إذا استُعمل فى غير معنى صار ، فإنّه يختصُّ بوقت الغداة ، تقول : غدا زيد قائماً [2] ، أى ذهب بالغداة . فمعنى غدت صارت ، إذ لا يريد انصرفت وانفلتت فى وقت الغَداة فقط . انتهى .

ويؤيّد ما رواه ابن السيد وغيره عن أبى حاتم ، أنّه قال للأصمعىّ : كيف قال غدت من عليهِ والقطاةُ إنّما تذهب إلى الماء ليلاً لا غُدوة ؟ فقال : لم يُردِ الغدوّ ، وإنما هذا مثَلٌ للتعجيل . والعربُ تقول : بكر إلىَّ العشيّةَ ، ولا بُكورَ هناك . وأنشد أبو زيد :

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وإنما هذا بالفاء كما سبق تحقيقه فى حواشى ١ : ٣٣٨ .
(٢) الوجه « ذاهبا » ليستقيم مع التفسير بعده .

* بكَرَت تلومك بعد وَهْنٍ فى النَّدَى [١] *

وإنَّما الوَهْنُ فى الليل . انتهى .

وبما ذكرنا يزيَّف قولُ بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : يقول : غدت القطاة وطارت غدوة إلى الماء من فوق فرخها . انتهى .

واسم غدت الضمير المستتر فيها العائد إلى كدريَّة . وقوله (من عليه) متعلّق بمحذوف على أنَّه خبرها ، وبعدَ ظرف لغدت ، وما مصدرية ، وظمؤها فاعل تَمَّ . يريد أنَّها أقامت مع فرخها حتّى احتاجت إلى ورود الماء وعَطِشت ، فطارت تطلب الماء عند تمام ظِمْئها . وأراد بذِكر الفرخ سُرعةَ طيرانها ، لتعُودَ إليه مسرعة لأنَّها كانت تحضنه . و(الظِّمء) ، بالكسر وسكون الميم مهموز الآخر : مدّة صبرِها عن الماء [٢] وهو ما بين الشّرب إلى الشرب . قال ابن السكيت (فى كتاب المعانى) : قوله بعد ما تم ظمؤها ، أى إنّها كانت تشرب فى كل ثلاثة أيام أو أربعةٍ مرّة ، فلما جاء ذلك الوقت طارت .

وروى المبرد (فى الكامل) : « بعد ما تم خِمْسُها » بكسر الخاء . وقال : الخمس : ظمءٌ من أظمائها ، وهى أن ترد ثم تَغِبّ ثلاثا ثم تَرِد ، فيعتدّ بيومَىْ وردها مع ظِمئها فيقال خِمْسٌ .

هذا كلامُه . وظاهره أنّ الخمس من أظماء القطا ، وليس كذلك إنّما هو

---

(١) الندى يائى المادة ، سواء أكان بمعنى الكرم ، أم كان بمعنى البلل وما يسقط بالليل . فى ط : « الندا » صوابه فى ش واللسان (بسل ٥٧) . ونسب فيه إلى ضَمرة النَّهشَلىّ .

وعجزه :

* بَسْلٌ عليكِ مَلامتى وعِتابى *

(٢) فى أساس البلاغة : « صبرت على ما أكره ، وصبرت عما أحب » . وفى ط : « صبرها على الماء » وتصح بتكلف تقدير مضاف ، أى على فقد الماء . وقد حورها الشنقيطى بقلمه إلى « عن » .

للإبل . قال ابن السِّيد : الخِمس : ورود الماء فى كلّ خمسة أيام . ولم يرد أنَّها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنَّما هذا للإبل لا للطَّير ، ولكنّه ضربه مثلاً . هذا قول أبى حاتم ، ولأجل ذلك كانت رواية من روى « ظمؤها » أحسنَ وأصحَّ معنىً . وظاهر هذا أيضاً أنّ الظِّمء لا يختصُّ بالإبل . ويؤيِّده قول صاحب القاموس : والظِّمء بالكسر : ما بين الشُّربين والورْدين ، وهو من الظَّمأ كالعطش ، وزناً ومعنى ، أو أشَدُّ العطش [١] وأهونُه وأخفُّه . قاله أبو زيد . لكنّ صاحب الصحاح خصَّه بالإبل ، قال : الظِّمء ما بين الوردين ، وهو حَبْس الإبل عن الماء إلى غاية الوِرد .

وقوله : (تَصِلّ) أى تصوِّت ، جملة حالية ، وإنَّما يُصوِّت حشاها من يُبس العطش ، فنقل الفعل إليها ، لأنّه إذا صوَّت حشاها فقد صوَّتت . وإنّما يقال لصوت جَناحها الحفيف . قال أبو حاتم : ومعنى تصلّ تصوِّت أحشاؤُها من اليُبس [والعطش [٢]] . والصليل : صوت الشيء اليابس ، يقال جاءت الإبل تصلّ عطشاً . وقال غيره : أراد أنّها تصوِّت فى طيرانها .

وقوله : (وعن قَيضٍ) إنْ كان معطوفا على عليه ففيه شاهدٌ آخر وهو اسميّة عن ، وإن كان معطوفا على مِنْ عليه فعَنْ حرفٌ . واقتصر اللخميُّ على الأوّل . والقَيض بفتح القاف : قِشر البيضة الأعلى ، وإنّما أراد قشر البيضة التى خرج منها فرخُها أو قشَر البيضة التى فَسدت فلم يخرج منها فرخ . وقولُ السِّيرافى : وغدت عن قيض يعنى وعن فراخ ، لا معنى له هنا ، لأنّه إنّما أراد أنَّها غدت عن فرخ وعن قِشر بيضٍ خرج منه هذا الفرخ ، أو قشرِ بيَض فسَدَ فلم يخرجْ منه فرخ . والأوَّل هو الظاهر . ويقال للقيض الخِرشاء أيضا ، بكسر المعجمة وسكون المهملة بعدها شين معجمة فألف ممدودة . والقشر الرَّقيق الذى تحته

---

(١) ط : « وأشد العطش » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) التكملة من ش .

يقال له الغِرقِئ بكسر المعجمة وسكون المهملة بعدها قاف مكسورة فهمزة . والمُحّ بضم الميم وتشديد المهملة : صُفرة البيض . قال اللَّخْمى : والآح : بياضُ البيض (١) .

٢٥٧ وقوله : (بزيزاء مَجْهل) الجار والمجرور متعلّق بمحذوف على أنّه صفةٌ لقيض . والزِّيزاء بزاءَين معجمتين يروى بكسر الأولى وفتحها ، واقتصر المبرد على الكسر فقال : الزِّيزاء : ما ارتفع من الأرض ، وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة إذا كان لمُذكّر ، كالعِلباء والحرباء . انتهى .

يريد أنَّ الألفَ الممدودة فيه ليست للتأنيث ، إنما هى للإلحاق بحملاق ، كالعِلباء ، فوزنه فعلال .

وكذلك اقتصر عليه الجوهرى فقال : الزيزاء بالمد : ما غلُظ من الأرض . والزِّيزاء أخصُّ منه ، وهى الأكمة ، والهمزة فيه مبدلة من الياء ، يدلُّ على ذلك قولهم فى الجمع : الزَّيازى . ومن قال الزَّوازى جعل الياء الأولى مبدلةً من الواو ، مثل القواق فى جمع قِيقاءة . انتهى . وقال فى تفسير القِيقاءةِ : إنّها الأرض الغليظة ، والهمزة مبدلة من الياء ، والياء الأولى مبدلة من الواو .

وقصَّر صاحب القاموس فى قوله : الزِّيزاء بالكسر ، والزَّيزاء ، والزِّيزَى ، والزَّازِيَة : ما غلُظ من الأرض ، والأكمةُ الصغيرة ، كالزِّيزاءة والزِّيزاة . انتهى .

وقال ابن يعيش : الزِّيزاء : الأرض الغليظة المستوية التى لا شجرَ فيها ، واحدتها زِيزاءة . وقيل هى المفازة التى لا أعلامَ فيها . وهمزَتُه للإلحاق بنحو حملاق ، وهى فى الحقيقة منقلبة عن ألف منقلبة عن ياء ، يدلُّ على ذلك ظهورُها

---

(١) ط : « وألاح بياض البياض » ، صوابه فى ش . وفى اللسان (أيح) : « أبو عمرو : يقال لبياض البيضة التى تؤكل : الآح ، ولصفرتها : الماح » .

فى دِرحاية (١) لمَّا بنيت على التأنيث عادت إلى الأصل . ولغة هذيل زَيْزاء بفتح الزاء ، كالقَلقال ، فالهمزة على هذا منقلبة عن ياء ، ووزنه فَعلال ، والأول فِعلال . انتهى .

فالهمزة فى كلٍّ من المكسور الزاى ومفتوحِها أصلها ياء زائدة للإلحاق بما ذُكر ، وليست الألفُ الممدودة فيهما للتأنيث . أمَّا الأوّل فلأنَّ فِعلاء المكسور الفاء وكذا المضموم الفاءِ عند البصريين لا يكونان إلاّ للإلحاق .

وأجاز الكوفيُّون ترك صرف فِعلاء بالكسر على أن يكون ألفُها للتأنيث ، واحتجُّوا بقوله تعالى : ﴿ تخرُجُ من طُورِ سِيناءَ (٢) ﴾ فى قراءة الكسر . وأجاب البَصريُّون بأنَّ امتناعه من الصَّرف ليس من أجل أنّ الهمزة للتأنيث ، وإنّما هو لمعنى البقعة أو الأرض ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث .

وأمَّا الثانى فللإلحاق أيضا .

فإنْ قلت : فَعلاء بالفتح خاصٌّ بالمؤنّث . قلت : نعم ، ولكن فى غير المكرَّر .

فإن قلتَ فَعلال بالفتح نادر ولا يُلحقَ بالنادر .

قلت : قال الرضى (فى شرح الشافية) إنَّ فَعلالاً إذَا كان فاؤه ولامُه الأولى من جنسٍ واحد ، نحو زَلزالٍ وخَلخالٍ غير نادرٍ اتِّفاقاً ، فيجوز الإلحاق به .

فإنْ قلت : قال الخَفّاف (فى شرح الجمل) : وبعضهم يرويه زَيزاءَ بفتح الزاى والهمزة ، غير مصروف للتأنيث اللازم كبيداء . انتهى . فهذا يدلُّ على أنَّ الهمزة للتأنيث لا للإلحاق .

---

(١) فى اللسان : « رجل درحايَة : كثير اللحم قصير سمين ضخم البطن لئيم الخلقة ، وهو فعلاية ملحق بجعظارة » .

(٢) الآية ٢٠ من سورة المؤمنون .

قلت : يُحمل حينئذٍ على زيادة الألف المنقلبَة همزةً للتأنيث . وعلى هذه الرواية يكون (مجهل) صفة لزيزاء .

فإن قلت : ما تصنع بالوجهين الأوّلين ، وهما كسر الزاى وفتحها مع كسر الهمزة فيهما .

قلت : قال الجواليقى وابن يعيش : من روى بزيزاءِ أضافه إلى مجهل وقدَّر حذفَ الموصوف ، أى مكانٍ مجهل . وبهذا يضمحلُّ قول ابن المُلاّ (فى شرح المغنى) : والعجب أنَّ السيوطىَّ حكى فى الزاء الكسر والفتح ، مع أنّ وجه الكسر لا يستقيم فى البيت ، لأنّ الاسم معه منصرف . انتهى .

ووجه توَقُّفه أنّ مجهلا صفة لزيزاء ، والوصف إنمَّا يتم على الفتح للزاى والهمزة . وإمّا إنْ كسرت الأوَّل فهو منصرف يقتضى الإضافة إلى الصفة . ٢٥٨

وجوابه : أنَّ المضاف إليه محذوفٌ نابت صفتُه عنه كما قلنا .

وروى : (ببيداءَ مجهلِ) بَدَلَ قوله : بزيزاء مجهل . قال ابن السِّيد وغيره : البيداء : القفر الذى يبيد من يَسلكه ، أى يُهلكه . والمجهل : الذى ليس له أعلامٌ يُهتدَى بها . فمن روى « ببيداء » جعل المجهل صفة لها ، ومن روى « بزيزاء » أضافها إلى المجهل . وهذه رواية البصريِّين . انتهى .

وفى القاموس : وأرضٌ مجهلٌ كمقعد : لا يُهتدى فيها ، لا يثنَّى ولا يجمع .

وزعم العينى أنّ زيزاء هنا علم بُقعة ، فإنَّه بعد أن نقل عن الثعلبى أنَّها الأرض الغليظة [1] قال : قلت الزيزاء : منهلٌ معيَّنٌ من مناهل الحجّ من أرض

---

(١) كلمة « أنها » ساقطة من ش .

الشام ، يُنزَل منها إلى أرض مَعان من بلاد الشَّوْبَك (١) . ويروى بفتح همزتها وكسرها ، ففتحها على أنّه ممنوع من الصرف . فعند البصريِّين مُنع للعلمية والتأنيث لأنّه بقعة ، وعند الكوفيين لأنَّ ألفَه للتأنيث . فعلى هذا يكون قوله مجهل صفة لزيزاء . وأمَّا كسرها فعلى الإضافة إلى مجهل .

هذا كلامُه ، وفيه خطأ من وجوه :

أوّلها : لا يصحّ أن يكون زيزاء فى البيت المنهَل المذكور ، لأنَّه لو كان كما نعمَ لم تفارق القطاة فرخَها لطلبِ الماء ، ولم يكن لها ظِمء ، ولم يكن موضع فرخها مَجهَلا .

ثانيها : أنّ ذلك المنهل إنّما هو زيزاء بدون لام التعريف ، قال ياقوت (فى معجم البلدان) : زيزاء من قرى البَلقاء ، كبيرةٌ يطؤها الحاجّ ، ويقال : لهم بها سوقٌ فيها بِركة عظيمة . وأصله فى اللغة المكان المرتفع ، وكذلك هى . انتهى .

وقال صاحب القاموس : زِيزَى كضِيزَى : موضع بالشام . فرواه بالقَصْر . ولا يُعرَف هَلَ هو مَا ذكره ياقوت أم غيره .

ثالثها : لم يقل أحدٌ من البصريين إنَّ زِيزاء المكسور الأول ممنوع من الصرف ، وموضع الخلاف عندهما إنّما هو فى زِيزاء بالكسر ، نكرة ، فالبصريون يوجبون صَرفه لأن ألف فعلاء بكسر الفاء ليست للتأنيث . والفراء ومَن تبعه يجوِّز منَع الصرف على أنَّ الألف للتأنيث ، ويستدلّ بقراءة (مِن طُورِ سِيناء) بالكسر . وأجاب البصريُّون بأنَّ منع صرفه إنَّما هو للعلمية والتأنيث ، لأنّه علم

---

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة ، وقال : « قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم » .

بقعة ، لا لأنّ ألفه للتأنيث كما تقدم . فهذا خَبْطٌ منه وتخليط فى تقرير المسألة عند الفريقين .

رابعها : لا يصحّ وصف المعرفة بالنكرة .

خامسها : لا وجْهَ لإضافة المعرفة إلى النكرة .

ومن هذا البيت إلى آخر القصيدة خمسة وعشرون بيتا كلُّها فى وصف القطا .

ومزاحم العُقَيلى شاعرٌ إسلاميّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والستين بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثمانمائة ، [وهو من شواهد س (٢)] :

٨٢٩ (ولَقد أَرانى للرِّماحِ دريّةً   من عَن يمينى مرّةً وأمامى)

على أنّ (عن) اسم بمعنى جانب ، لدخول حرف الجرِّ عليها .

واستُشِكل هذا بأنَّ الكلمة إنَّما تعدّ حرفا واسماً إذا اتحد أصلُ معنييهما ، والجانب ليس بمعنى المجاوزة .

---

(١) الخزانة ٥ : ٢٧٣ — ٢٧٥ .

(٢) ليست فى النسختين ، وقد أثبتُّها جريا على عادة البغدادى . وانظر سيبويه ٢ : ٢٢٩ ، ٢٥٤ وابن يعيش ٨ : ٤٠ والمغنى ١٤٩ ، ١٥٢ والعينى ٣ : ٥٠٠ والتصريح ٢ : ١٩ والهمع ١ : ١٥٦/٢ : ٣٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٦ وشرح المرزوقى للحماسة ١٣٨ .

وأجيب بأنّ الزمخشرى بيّن (فى مفصَّلهِ) أنَّ معنى جلس عن يمينه أنّه جلس متراخياً عن بدنه فى المكان الذى بحيالِ يمينه . فمعنَى جلست عن يمينه : جلست من جانب يمينِهِ وموضعٍ متجاوزٍ عن بدنهِ ، فى المكان الذى بحيال يمينه . فيكون المراد بالجانب الجهةَ المجاوِزةَ لبدنه ، لا مطلق الجهة ، فيتحد أصل معنى عن .

٢٥٩

قال ابن هشام (فى المغنى) :اسميّةُ عَنْ متعيِّنة فى ثلاثة مواضع :

أحدها : أن تدخل عليها مِن ، وهو كثير . ومن الداخلةُ على عن زائدة [١] عند ابن مالك ، ولا بتداءِ الغاية عند غيره . قالوا : فإذا قيل : قعدت عن يمينه فالمعنى فى جانب يمينه ، وذلك محتملٌ للملاصَقة ولخلافها . فإن جئت بمِنْ تعيَّن كونُ القعود ملاصقا لِأوَّلِ الناحية .

والثانى : أنْ تدخل عليها على ، وذلك نادر ، والمحفوظ منه بيتٌ واحد ، وهو قوله :

على عَنْ يمينى مَرّت الطَّير سُنَّحا وكيف سنوحٌ واليمين قطيعُ [٢]

والثالث : أن يكون مجرورُها وفاعل متعلَّقها ضميرَين لمسمًّى واحد ، قاله الأخفش ، كقول امرىء القيس :

دَعْ عنك نهباً صِيحَ فى حَجَراتِه ولكنْ حديثاً ما حديثَ الرَّواحِلِ [٣]

---

(١) ش : « ومن معها زائدة » ، وما أثبت من ط يوافق ما فى المغنى ١٤٩ .

(٢) انظر الهمع ٢ : ٣٦ .

(٣) ديوان امرىء القيس ٩٤ والمقرب ١ : ١٩٥ والعينى ٣ : ٣٠٧ والهمع ٢ : ٢٩ والأشباه والنظائر ١ : ٣٢٣

وذلك لئلاً يؤدّى إلى تعدّى فعل المضمر المتّصل إلى ضميره المتصل . وتقدَّم الجوابُ عنه [١] . وممَّا يدلُّ على أنّها ليست هنا اسماً أنّها لا يصحُّ حلول الجانبِ محلَّها . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ أربعةٍ أوردها أبو تمام (فى الحماسة) لقَطَرِىٍّ بن الفُجاءة ، وهى :

أبيات الشاهد

(لا يركَنَنْ أحدٌ إلى الإحجامِ ... يومَ الوغى متخوِّفًا لحِمامِ
فلقد أُرانى للرِّماح دريّةً ... . البيت
حَتَّى خَضبتُ بما تحدَّر من دمى ... أكنافَ سَرجى أو عِنانَ لجامى
ثمّ انصرفتُ وقد أُصَبتُ ولم أُصَبْ ... جَذَع البصيرةِ قارحَ الإقدام)

قوله : « لا يركَنَنْ أحدٌ » إلخ لا ناهية ، وركن إلى الشىء : مالَ إليه . والإحجام بتقديم المهملة : التأخُّر والنُّكوص . والمتخوّف : الخائف شيئا بعد شئ . والحِمام بكسر المهملة : الموت .

وهذا البيت أورده شُرّاح الألفية شاهدًا لمجىء الحال من النكرة لوقوعها بعد النهى [٢] .

و (أُرَانى) أعلَمُنِى ؛ ولكونه من أفعال القلوب صحَّ أن يقع فاعُله ومفعوله لمسمًّى واحد . و (دريّة) مفعولَه الثانى . ويجوز أن يكون حالاً والرُّؤية بصرّية ، والمضاف إلى الياء محذوف ، أى أرى نفسى .

قال ثعلب (فى أماليه) : الدريئة بالهمز : الحَلْقة يرمِى فيها المتعلِّم [٣]

---

(١) انظر ما سبق فى ١٤٨ س ٨ - ١٢ .
(٢) انظر العينى ٣ : ١٥٠ والتصريح ١ : ٣٧٧ والهمع ١ : ٢٤٠ والأشمونى ٢ : ١٧٥ .
(٣) ط : « المعلم » ، صوابه فى ش ومجالس ثعلب ٢٠٥ .

ويطعن . والدريَّة بلا همز : الناقة تُرسَل مع الوحش لتأنس بها ، ثم يُستَتَر بها ويُرمَى الوحش . انتهى .

وقال القالى (فى أماليه) بعد إنشاد هذه الأبيات الأربعة : الدَّريئة مهموزٌ : الحلقة التى يُتعلَّم عليها الطَّعنُ ، وهى فعيلة بمعنى مفعولة . درأتُ أى دفعْت . والدريَّة غير المهموز : دابةٌ أو جمَل يستتِر به الصائد فيرمى الصيد . وهو من دَرَيت أى خَتَلت . قال الشاعر :

فإن كنت لا أدرِى الظِّباءَ فإنّنى   أدُسُّ لها تحتَ التُّرابِ الدَّواهيا[1]

وبنَوه على وزن خَدِيعة إذْ كان فى معناها : انتهى .

قال شارحها أبو عُبيدٍ البكْرىّ : هذا البيت لعبد الله بن محمد بن عَبَّاد الخَوْلانى ، قاله الهَمْدانى (فى كتاب الإكليل) . وكنَى بالظباء عن النساء . والصَّيَّادون يدفنون للوحش فى طُرقها إلى الماء حدائدَ أشباهَ الكلاليب ، فإذا جازت عليها قطعت قوائمَها . انتهى .

٢٦٠ قال شُرَّاح الحماسة : ويمكن حمل البيت عليهما . فالمراد على الأوّل أنَّ الطَّعن يقع فيه كما يقع فى تلك الحلْقة ، وعلى الثانى أنَّه يصير سُترةً لغيره من الطَّعن ، كما تكون تلك الدابة سُترةً للصائد ، وعلى هذا يكون للرِّماح : من أجل الرماح . وإنَّما اقتصر على اليمين والأمام ، أى القُدّام ، لأنَّه يعلم أنَّ اليسار فى ذلك كاليمين . وأمَّا الظَّهر فإنّ الفارس لايُمكن منه أحداً . و (مِن) على قول ابن مالك زائدة ، ومتعلقة بمحذوف على قول غيره . أىْ تأتينى من هذه الجهات .

وقوله : « حتّى خضبت » إلخ أكناف السرج : جوانبه ، جمع كنَف بفتحتين . وعِنان اللجام : سيره الذى تُمسَك به الدابة . وأوْ للتقسيم ، وقال

(١) إصلاح المنطق ١٥٤ ، ٢٥٠ ومجالس ثعلب ٢٠٥ وأمالى القالى ٢ : ١٩٠ . وستأتى نسبة البيت .

القالى (فى أماليه) : أراد وعنان لجامى . والمعنى انتصبت للرِّماح حتّى خضبتُ بما سال من دمى جوانبَ السرج وعِنانَ فرسى ، وذلك على حسب مواقع الطَّعن [١] فالعِنان لما سال من أعاليه ، وجوانب السرج لما سال من أسافله . وقيل إنّما أراد دمَ من قتله فأضافه إلى نفسه لأنّه أراقه . وقوله : « وقد أصَبْتُ ولم أُصَبْ » الأوّل بالبناء للفاعل والثانى للمفعول ، وجذعَ وقارحَ حالان . والجَذَع بفتح الجيم والذال المعجمة : الشابُّ الحدَث . والقارح : المنتهِى فى السّنّ . قال الخطيب : هما مثَلان ، وأصلهما فى الخيل وذوات الحافر . وذلك أنّ المُهْر يركب بعد حَول سياسةً ورياضة ، فإذا بلغ حَولين فهو جَذع ، فحينئذ يَستغنى عن الرياضة . فيقول : أنا جذع البصيرة لا أحتاج إلى تهذيب ، كما لا يحتاج الجذَع إلى الرِّياضة ، وإقدامى قارحٌ أى قد بلغ النهاية ، كما أنَّ القروح نهايةُ سنِّ الفرس . وهذا ما ذكره الشُّرَّاح . ومعناه (كما ذكره أبو العلاء المعرى) أنّه يريد أنه لم يزل شجاعاً ، فإقدامُه [٢] قارحٌ لأنّه قديم . ويعنى بجذَع البصيرة أنّه كان فيما سلف لا يَرى رأى الخوارج ثم تبصَّرَ فى آخر أمره ، فعلم أنَّهم على الحقّ ، فبصيرته جَذَعة أى مُحْدَثة . وذلك أنّه كان خارجيا سُلِّم عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة . انتهى .

وقال القالى : أى وأنا على بصيرتى الأولى . وقارح الإقدام أى متناه فى الإقدام . وقال أبو عبيد البكرى (فى شرحها [٣]) قال النَّمَرىّ : يريد ثم انصرفتُ وقد قَتلتُ ولم أُقتَلْ بعد أن خضبتُ سَرجى ولجامى . يريد أنَّ الأجلَ حِرزٌ فلا يركنن أحدٌ إلى الجبن خوفَ الموت . وقوله : « جذع البصيرة » يريد استبصاره الذى كان عليه فى أوَّل الأمر لم ينتقل عنه لما نالهُ من الجراحات ، ولم يضعف فيه ،

(١) ط : « ما وقع الطعن » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « قدامه » ، صوابه فى ش .

(٣) سمط اللآلى ٨٠٦ .

« قارح الإقدام » أى قد بلغ إقدامُه النهاية . وقال قوم : إنمَّا يريد بقوله « ولم أُصَبْ » لم أُلفَ على هذه الحال ، ولكنِّى قارح البصيرة جذع الإقدام ، أى رأيه رأى شيخ ، وإقدامه إقدامُ غلام . ويكون البصيرة على هذا الرأى والتدبير كالاستبصار فى الأمر ؛ وهو الأعرف فى كلام العرب ، فإنَّ البصيرة للقلب ، كالبصر للعين . والحجة لهذا المذهب : قوله ولم أصب ، وهو قد قال قبل هذا : حتى خضبت بما تحدَّر من دمى ، والإصابة قد تكون فيما دون النفس ، وهو الأكثر . انتهى .

وبعد هذه الأربعة بيتان لم يوردهما أبو تمام ، وهما :

(متعرِّضا للموت أضرِبُ مُعْلِماً بُهَمَ الحروب مشهَّرَ الإعـلام
أدعُو الكماة إلى النِّزال ولا أَرى نحر الكريم على القَنا بحرام [1])

قطَرىّ بن الفُجاءة

وقطرى هو رَأْسُ الخوارج ، كان أحد الأبطال المذكورين ، خرج فى مدَّة ابن الزُّبير وبقى يقاتل ويستظهر بضعَ عشرةَ سنة ، وسُلِّم عليه بإمرة المؤمنين . وجهَّز عليه الحجاجُ جيشاً بعد جيش ، وهو يَستظهر عليهم ويَكسرهم . وتغلَّبَ على نواحى فارسَ وغيرها . ووقائعُه مشهورة .

٢٦١

وقد ذكر المبرِّد كثيراً من أخباره (فى الكامل) . وكان مع شجاعته من البُلغاء ، وله شعر جيِّد .

وكان آخرُ أمره أنَّ الحجاج نَدب له سُفيانَ بن الأبردِ فى جيشٍ كثيف ، واجتمع معه إسحاقُ بن محمَّد بن الأشعث ، فى جيشٍ لأهل الكوفة ، فأقبلا فى طلب قَطَرىٍّ فأدركوه فى شِعبٍ من شعاب طَبَرِستان ، فقاتلوه فتفرَّق عنه أصحابُه ، وسقط عن دابَّته فتدهْدَهَ إلى أسفل الشِّعب ، وأتاه عِلجٌ من أهل البلد

(١) ط : « أدع الكماة » ، صوابه فى ش .

فحدَر عليه حجرا من فوقِه فأصاب وركَهُ فأوهَنه ، وصاحَ بالناس فاقبلوا نحَوه ، وجاء نفرٌ من أهل الكوفة فقتلوه وأرسلوا رأسَه إلى الحَّجاج ، فسيَّره إلى عبد الملك ، وذلك فى سنة سبع وسبعين بتقديم السين على الموحدة فيهما . كذا فى تاريخ النويرى .

وقطريٌّ بفتح القاف والطاء وتشديد الياء ، قال الجوهرىّ : وقَطرىّ بن فُجاءة المازنىُّ زعم بعضهُم أنّ أصل الاسم مأخوذٌ من قطرىٍّ النعال . قال الصلاح الصفدى (فى حاشيته على الصحاح) قلت : بل هو منسوبٌ إلى قَطر ، بالسِّيف ، على ما ذكره بعضُهم . انتهى .

أقول : السيف بكسر السين : ساحل البحر ، قال أبو عُبيد البكرىّ (فى معجم ما استعجم) : قَطَر بفتح أوله وثانيه بعده راء مهملة : موضع بين البحرين وعُمان تُنسَب إليه الإبل الجياد ، وهى أكثر بلاد البحرين حُمُراً .

و (الفجاءة) بضم الفاء والمدّ ، قال صاحب الصحاح : فاجأه الأمرُ مفاجأة وفَجْئاً ، وكذلك فجِئه الأمر وفَجأه الأمر ، بالكسر والنصب [(١)] فجاءة بالضم والمدّ . ومنه قطرىّ بن فجاءة المازنى . قال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : اختُلف فى اسم الفجاءة فقيل اسمه جَعْونة ، وقيل مازن ، بن يزيد بن زياد ابن حَنْتر [(٢)] بن كابية بن حُرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وسمِّىَ الفجاءةَ لأنّه غاب دهرا باليمن ثم جاءهم فُجاءة . انتهى .

وجزم صاحب الجمهرة أنّ اسمه جَعْونة بن مازن ، فجعل مازنا والد جعونة لا والد قطرىّ . وهو بفتح الجيم وسكون العين وبعد الواو نون . وحَنتر ، المشهور

---

(١) بالكسر والنصب ، ساقط من ش ، ثابت فى ط والصحاح .

(٢) فى سمط اللآلى ٥٩٠ : « بن حنتر ، أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم » بدون ذكر لكابية وحرقوص .

أنه حَبْتر بفتح المهملة وسكون الموحدة بعدها مثناة فوقيّة . قال الأمير الحافظ أبو نصر على بن ماكُولا (فى إكماله) : وقال ابن الكلبى : قطرَىٌّ بن الفجاءة ، ورفع فى نسبه إلى حنثر بن كابية بفتح المهملَة وسكون النون بعدها ثاء معجمة بثلاث . ويروى حَبْتر ، والصواب بالنون والمثلثة . والله أعلم .

وكابية بموحَّدة بعدها مثناة تحتية . وحُرْقوص بضم الحاء المهملة والقاف .

* * *

وأنشد بعده :

(باتَتْ تَنُوش الحَوضَ نوشاً مِن علا نَوْشاً بهِ تَقطعُ أجوازَ الفلا)

على أنَّ (علا) الاسمية لا تلزم الإضافة كما هنا ، بخلاف عن فإنَّها تلزمها .

قال أبو على (فى تذكرته) : يجوز أن يكون علا مبنيًّا معرفةً ، ويجوز أن يكون معرباً نكرة . فإن كان مبنيا كانت الألف منقلبة عن الواو لتحرُّكها بالضمة . وإن كان معرباً كانت منقلبة عن الواو لتحركها بالجر . فإن قيل : لا يكون إلاّ مبنيًّا لأنّه معرفة لتقدُّم الحوض ، والمعنى من علا الحوض . قيل : قد قال الله تعالى : ﴿ لله الأمرُ مِن قَبلٍ ومِن بعدٍ [1] ﴾ فهما نكرتان وإن كان ذكر الغلَبة قد تقدَّم وكان معلوماً ، إذ معنى الكلام من قَبلِ الغلبة ومن بعِدها . انتهى .

٢٦٢

وعلَى هذا يُقرأُ قول الشارح المحَقِّق أى من فَوْقٍ بضم القاف ، وكسرها منونة .

وقد أخلّ ابن جنى (فى شرح تصريف المازنى) فى النقل عن أبى على ؛ فإنّه قال : قد كان أبو على يقول فى علا من هذا الرجز أنَّ الألف فى علا منقلبة

(١) الآية ٤ من سورة الروم . وهى قراءة أبى السمّاك ، والجحدرى ، وعون العقيلى .

عن الواو ، لأنّه من علوت ، وأنَّ الكلمةَ فى موضع مبنيّ نحو قبل وبعد [١] ؛ لأنّه يريد نوشاً من عَلاه ، فلما اقتطع المضافُ من المضاف إليه وجب بناءُ الكلمة على الضم ، نحو قبل وبعد ، فلمَّا وقعت الواو مضمومةً وقبلها فتحة قلبت ألفا . وهذا مذهبٌ حسن . انتهى .

فلِلّه درُّ الشارح المحقق حيث لم يقيِّد . لكن أنشده الشارح فى أوّل حروف الجر على أنّ علا فيه مبنيٌّ على الضم لحذفِ المضافِ إليه وإرادةِ معناه .

وأورده ثعلبٌ (فى أماليه) على أنّه يقال من عَلْوٍ بسكون اللام وكسر الواو مع التّنوين ، وعُلوٍ بضم الواو ، وعَلوٍ بفتحها ، ومن عُلونا بضم العين وكسر الواو ، ومن علٍ ومن عالٍ ومن علاً . وأنشد البيتين وقال : من قال مِنْ عَلاً جعله مثل قفاً ، وعال مثل فاعلٍ ، وعلٍ مثل عمٍ ، ومن مُعالٍ مثل مفاعل بضم الميم ، ومن عَلْوُ مثل قبلُ وبعد ، ومن عَلْوَ مثل ليت . انتهى .

وتقدَّم شرحُه بأبسط ممَّا هنا فى الشاهد الثالث والسبعين بعد السبعمائة [٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٣٠ (يَضْحَكْنَ عن كالبَرَدِ المنهَمِّ)

على أن الكاف يتعيَّن اسميتها إذا انجرَّت كما هنا . فالكاف اسمٌ بمعنى مثل ،

---

(١) ما بعد هذا إلى كلمة « بعد » التالية ساقط من ش .

(٢) الخزانة ٩ : ٤٣٧ – ٤٣٩ .

(٣) المخصص ٩ : ١١٩ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ، ٤٤ والمغنى ١٨٠ والعينى ٣ : ٢٩٤ والتصريح ٢ : ١٨ والهمع ٢ : ٣١ والأشمونى ٢ : ١٢٥ وملحقات ديوان العجاج ٨٣ .

صفةُ موصوفٍ محذوف ، أى عن ثغر مثل البَرَد .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : واختلفوا هل تكون اسماً فى الكلام ، أو يختصّ ذلك بضرورة الشعر ؟ فذهب الأخفش والفارسىُّ فى ظاهر قوله ، وتبعهما ابن مالك ، أنَّها تكون اسماً فى الكلام ، وقد كثر جرُّها بالباء ، وعلى ، وعن ، وأضيف إليها وأسند ، فاعلةً ومبتدأةً ومفعولة . لكن كلُّ هذا فى الشعر . وذهب سيبويه إلى أنّ استعمالها اسما إنمّا يجوز فى ضرورة الشعر . انتهى .

ومثال جرّهَا بالباء قول امرئ القيس يصف فرسا :

ورُحنا بِكابنِ الماءِ يُجنَبُ وَسْطَنا تَصَوَّبُ فيه العينُ طوراً وترتقى

وابن الماء : طائر يقال له الغِرنيق ، شبَّه الفرس به فى سرعته وسهولة مشيه . ويجنَب : يُقاد . وتَصوَّبُ : تنحدر . وترتقى : ترتفع . يريد أنَّ عين الناظر إليه تصعِّد فيه النَّظَرَ وتصوّبه إعجاباً به . ومثال جرِّها بعلى قولُ ذى الرمة :

أبيتُ على ميّ كئيباً وبعلُها على كالنَّقَا من عالج يتبطَّحُ (١)

ومثال وقوعها فاعلةً البيت الآتى . ومثال وقوعها مبتدأةً قولُ الكميت :

علينا كالنِّهاءِ مضاعفاتٌ من الماذىّ لم تَؤُدِ المُتُونا (٢)

أى علينا مثل النِّهاء . ومثال وقوعها مفعولةً قولُ النابغة :

(١) الخصائص ٢ : ٣٦٩ وسر الصناعة ١ : ٢٨٧ والضرائر ٣٠٢ وديوان ذى الرمة ٨٥ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٧٩ والمعانى الكبير ١٠٣١ والضرائر ٣٠٥ وديوان الكميت ٣ : ١١٠ . وفى النسختين : « لم تؤذ » ووجهه ما أثبت من مجاز القرآن والضرائر . وأبو عبيدة أول من استشهد للبيت عند تفسير قوله تعالى : « ولا يؤوده حفظهما » . وكذلك تفسير ابن قتيبه له بقوله : « لم تؤذ : لم تثقل » وصوابه « لم تؤد » يقتضى هذا التصحيح . والمتن : الظهر . وفى النسختين : « المنونا » ، تحريف .

لا يَبْرَمونَ إذا ما الأفقُ جلَّله برْدُ الشتاء من الإمحال كالأَدمِ[١]

فالكاف مفعول جلَّله . ومثال وقوعها مضافاً إليها قولهُ :

تيَّمَ القلبَ حُبُّ كالبدرِ ، لا بَلْ فاق حسناً من تَيَّمَ القلبَ حُبّا[٢]

والبيت الآتى ، وهو :

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ *

وبقى عليه جرُّها بالكاف ، وسيأتى .

ومثال جرِّها بعن البيتُ الشاهد . وقبله :

أشطار الرجز

(ولا تلمنى اليومَ يا ابنَ عمىِّ عند أبى الصَّهباءِ أقصَى همِّى
بِيضٌ ثلاثٌ كنعـاجٍ جُمِّ يَضحَكْنَ عن كالبَرَدِ المنهمِّ
تحتَ عرانينٍ أُنوفٍ شُمِّ [٣])

أبو الصهباء : كنية رجل . والهَمّ بالفتح والهِمّة بالكسر : أول العَزْم ، وهو الإرادة ، وقد يطلق على العزم القوىِّ ، فيقال له همّة عالية . قال ابن فارس : الهمُّ : ما هممتَ به ، إذا أردته ولم تفعله .

وبيضٌ بالرفع إمّا بدل من أقصى همِّى ، وإمّا خبرٌ لمبتدأ محذوف ، أى هو ، والجملة جواب سؤال مقدَّر . وقيل بيضٍ بالجر بدل من همِّى . ولا وجهَ له . وقيل بيضٌ ثلاث : مبتدأ ، ويضحكن خبره ، وقيل خبر مبتدأ محذوف ، أى هنّ بيض ؛ وقيل مبتدأ خبره محذوف ، أى منهنّ بيض . ذكر هذه الأوجهَ الثلاثةَ الأخيرةَ

---

(١) ط : « لا يرمون » صوابه فى ش والديوان ٧٤ والهمع ٢ : ٣١ . لا يبرمون : لا يكونون أبراما ، جمع برم ، وهو من لا يدخل مع القوم فى الميسر ، أو معناه لا يضجرون .

(٢) من شواهد الهمع ٢ : ٣١ .

(٣) هو الشاهد ٨٣٢ فيما سيأتى .

العينىُّ تبعا لصاحب (التخمير) . والبيض : الحسان ، جمع بَيضاء ، وهى الحسناء .

والنعاج : جمع نعجة . فى المصباح : النعجة الأنثى من الضأن . والعرب تكنى عن المرأة بالنَّعجة . انتهى . ونقل عن أبى عُبيد أنَّه لا يقال لغير بقر الوحش نِعاج . وتشبَّه النساءُ بها فى العيون والأعناق . والجُمّ بضم الجيم : جمع جمَّاء ، وهى التى لا قرنَ لها . يقال جَمَّتِ الشاةُ جَمَمًا ، من باب تعب ، إذا لم يكن لها قرن ، فالذكر أجمُّ والأنثى جمّاء ، وجمعُهُما جُمّ بالضم . وفائدة الوصف بجمّ نفىُ ما يُكسبهنَّ سماجة .

و (البَرَد) : حبُّ الغمام ، وهو شىءٌ ينزل من السحاب يشبه الحصَى ، ويسمَّى حبَّ المزن أيضا . و (المنهمُّ) : الذائب . قال الجوهرى : انهمَّ البرَد والشّحم : ذاب . وهَمَّه : أذابه . شبَّه ثغر النساء بالبَرَد الذائب فى اللَّطافة والجلاء . والثَّغر أصله المَبْسِم ، ويطلق على الثَّنايا .

وقوله : « تحت عَرانين » [١] متعلّق بمحذوفٍ على أنه صفة ثانية للبرَد . والعرانين : جمع عِرنين ، وهو ما تحت مجتمع الحاجبين من الأنف . والشُّمّ : جمع أشمَّ وشمّاء . والشَّمَم : ارتفاع قصبةِ الأنف مع استواءِ أعلاه . فإن كان احديدابٌ فهو القَناَ . والأنفُ والرجلُ أقنَى ، والأُنثى قَنْواء .

صاحب الرجز

وهذا الرجز للعجّاج . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

(١) فى النسختين : « تحت العرافين » ، صوابه ما أثبت .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٠ .

وأنشد بعده :

(أتنَتهون ولن يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ كالطّعنِ يَهلِكُ فيهِ الزَّيتُ والفُتُلُ)

على أنّه يتعين فيه اسمَّيتُها أيضاً إذا طلبها عاملُ رفعٍ كما هنا ، فإنَّها اسمٌ بمعنى مثل ، وقعت عاملة لينهى .

وقوله : « إذا ارتفعت » ، معطوف على قوله : « إذا انجرَّت » .

٢٦٤ وتقدَّم كلام ابن السراج فى تعيّن اسمّية الكاف عند الكلام على هذا البيت فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة [١] .

وقد بسط عليها الكلام ابنُ جنى (فى سرّ الصناعة [٢]) وجوَّز اسميتها فى الاختيار دون الضَّرورة ، بخلاف ابن عصفور (فى كتاب الضرائر [٣]) . ولا بأس بإيراد كلامهما . ولْنقدِّمِ الثانىَ فإنّه أخصرُ وأجمل ، قال : ومنه استعمال الحرف اسماً للضَّرورة ، كقول الأعشى : « أتنتهون » البيت ، فجعل الكاف فاعلةً لينهَى . وقول امرئ القيس :

وإنّك لم يفخَرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغلبْكَ مِثلُ مغلَّبِ

فجعل الكاف فاعلة بيفخر . والدليل على أنَّها فاعلة فى البيتين أنّه لابدَّ للفعل من فاعل ، فلا يجوز أن يكون الفاعل محذوفاً ، ويكون تقديره فى البيت الأول ناهٍ كالطَّعن ، وفى البيت الثانى فاخرٌ كفاخرٍ . لأنّه لا يخلو بعد الحذف أن يقام المجرور مُقامه أو لا يقام . فإن لم يُقَمْ مُقامَه لم يجزْ ذلك ، لأنَّ الفاعل لا يحذف من غير أن يُقام شيءٌ مقامه . وإنْ قدِّر لزم أن يكون المجرور فاعلاً ، والمجرور الذى

---

(١) الخزانة ٩ : ٤٥٤ .

(٢) سر الصناعة ١ : ٢٨٣

(٣) الضرائر ٣٠١ .

حرف الجر فيه غير زائد لا يكون فاعلاً . فلمَّا تعذّر حذف الفاعل على التقديرين لم يبق إلاّ أن تكون الكاف هى الفاعلة ، عوملت معاملة مِثل ، لأنّ معناها كمعناه . وحُكم لها بحكمه بدلاً من حكمها للضَّرورة . وممَّا استُعملت أيضا الكاف فيه اسماً قولُ ذى الرمة : « وبعلها على كالنقا [1] » ، وقول امرىء القيس : « ورحنا بكابنِ الماء [2] » . والدَّليل على أن الكاف فيهما ليست بحرفِ جر ، أنَّ حرف الجرّ لا يدخل على حرف الجرّ إلا أن يكونا فى معنىً واحد ، فيكون أحدُهما تأكيداً للآخَر . فإنْ قيل : لعلَّ الكاف حرف جر ويكون المجرور بعلى والباءِ محذوفا ، والتقدير : على كَفَل كالنقا ، وبفرسٍ كابن الماء ، فالجواب : أنَّ ذلك لا يسوغ ، لأنّك إن لم تقدِّر المجرور قائما مقام المحذوف لزم من ذلك أن يكون الحرف الذى هو الكاف مع الاسم المجرور به فى موضع خفض بعلى والباء ، وذلك لا يجوز ، لأنّ حروف الجر إنمّا تجرّ الأسماء وحدَها [3] ، فلما تعذَّر أن تكون الكاف حرفا على التقديرين لم يبق إلاّ أن تكون قد جُعِلت اسماً [4] . انتهى .

وقال ابن جنى : إنْ قال قائل : هل يجوز أن تكون الكاف فى كالطعن حرفَ جر ، وتكون صفةً قامت مقام الموصوف [5] ، والتقدير : ولن ينهى ذوى شطط شيء كالطعن ، فيكون الفاعل المحذوف الموصوف حُذف جائزاً [6] كما حُذف الموصوف فى قوله : ﴿ ودانيةً عليهمْ ظِلالها [7] ﴾ ، أى جنّةً دانية ، وكقول الآخر :

---

(١) البيت بتمامه فى ص ١٤٨ .

(٢) البيت بتمامه فى ص ١٤٧ .

(٣) ط : « لأن حرف الجر إنما يجر الأسماء وحدها » ، وأثبت ما فى ش والضرائر ٣٠٤ .

(٤) فى الضرائر : « قد جعلت اسما بالحمل على ما هى فى معناه » .

(٥) ش : « قائمة مقام الموصوف » ، وأثبت ما فى ط وسر الصناعة ١ : ٢٨٤ .

(٦) سر الصناعة : « ويكون حذف الموصوف هنا جائزا » .

(٧) الآية ١٤ من سورة الإنسان .

* كأنّك من جمالِ بنى أُقَيْشٍ (١) *

أى جملٌ من جمال بنى أُقيش ؟ فالجواب : أنَّ حذف الموصوف وإقامةَ الوصف مقامه قبيح (٢) ، وفى بعض الأماكن أقبح . فأمّا دانية فالوجه أن يكون حالاً معطوفة على متكئين ، فهذا لا ضرورةَ فيه . وأمَّا قولُه « كأنَّك من جمالٍ » فإنَّما جاز فى ضرورة الشعر . ولو جاز لنا أن نجد مِنْ فى بعض المواضع قد جُعلت اسماً لجعلناها هنا اسما ولم نَحمل الكلامَ على إقامة الصِّفة . فأمَّا قوله « ولن ينهى ذوى شَطَط كالطعن » فلو حملتَه على إقامة الصِّفة مقام الموصوف لكان أقبح من تأوُّل قوله تعالى : (ودانيةً) على حذف الموصوف ، لأنّ الكاف فى بيت الأعشى هى الفاعلة فى المعنى ، ودانية إنمّا هى مفعول ، والمفعول قد يكون غير اسم صريح ، نحو ظننت زيداً يقوم ، والفاعل لا يكون إلاّ اسماً صريحاً مَحْضا . ٢٦٥

فإن قلت : ألست تعلم أن خبر كأنَّ يجرى مجرى الفاعل ، وقد قالوا :

* كأنّكَ من جمال بنى أُقيش *

وأرادوا : جملٌ من جمال بنى أُقيش ، فهلاَّ أجزت حذف الفاعل وإقامةَ الصفة مقامه فى قول الأعشَى ؟ فالجواب : أن بينهما فرقا من وجهين :

أحدهما : أنَّ خبر كأنَّ وإنْ شبِّه بالفاعل فى ارتفاعه فليس فى الحقيقة فاعلاً ، وجعلُهم خبرها فعلاً يدلُّ على أنه لا يبلغ قوّة الفاعل .

والآخَر : أنّ قوله :

* كأنّك من جمال بنى أقيش *

---

(١) هو الشاهد ٣٤٦ فى الخزانة ٥ : ٦٧ - ٧١ .

(٢) فى سر الصناعة : « مقامه على كل حال قبيح » .

اضطُرِرنا فيه إلى إقامة الصفة مقامَ الموصوف ، وبيت الأعشى لَمْ نُضطرَّ فيه إلى ذلك (١) لأنَّه قد قامت الدَّلالة البيِّنة عندنا على استعمالهم الكافَ اسماً فى نحو قوله : « وبعلها على كالنقا (٢) » فهذا ونحوه يشهدُ بكونِ الكافِ اسماً ، وبيتُ الأعشى أيضاً يشهد بما قلنا . ولسنا نخالف الشائعَ المطرّد إلى ضرورة واستقباحٍ (٣) إلاّ بأمرٍ يدعو إلى ذلك ، ولا ضرورةَ هنا . فنحنُ على ما يجب من لزوم الظاهر ، ومخالِفُنا معتقدٌ لما لا قياس يَعضُده . فقد صحَّ بما قدَّمنا أنّ كاف الجر تكون مرةً اسما ومرّة حرفا . فإذا رأيتهَا فى موضعٍ تصلح فيه أن تكون اسماً وأن تكون حرفاً فجوِّز فيها الأمرين ، وذلك كقولك : زيد كعمرٍو ، فقد تصلح أن تكون الكاف هنا اسماً كقولك : زيد مثل عمرو ، ويجوز أن تكون حرفاً كقولك : زيد من الكرام . فكما أنَّ مِن حرفُ جرّ وقع خبراً عن المبتدأ كذلك الكاف تصلح أن تكون حرف جرّ . فإذا قلت : أنت كزيد ، وجعلت الكاف اسما فلا ضمير فيها ، كما أنّك إذا قلت : أنت مثل زيد فلا ضمير فى مِثل ، كما لا ضمير فى الأخ ولا الابنِ إذا قلت : أنت أخو زيد وأنت ابن زيد . هذا قولُ أصحابنا ، وإن كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون فى هذا النحو الذى هو غير مشتقّ من الفعل ضميرٌ ، كما يكون فى المشتقّ . فإذا جعلت الكاف فى : أنت كزيد ، حرفاً ففيها ضمير كما تتضمَّن حروفُ الجر الضّميرَ إذا نابت عن الأفعال فى نحو : زيد من الكرام .

واعلم أنّه كما جاز أن تُجعل هذه الكافُ فاعلةً فى بيت الأعشى وغيرِه فكذلك يجوز أن تُجعل مبتدأةً ، فتقول على هذا : كزيدٍ جاءنى ، وأنت تريد : مثل زيد جاءنى . فإنْ أدخلتَ إنّ على هذا قلت : إنَّ كبكرٍ غلامٌ لمحمد ، فرفعت

(١) ش فقط : « لم يضطر فيه إلى ذلك » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٥١ .

(٣) هذا ما فى سر الصناعة . وفى النسختين : « ضرورة استقباح » بالإضافة .

الغلام لأنّه خبر إنّ ، والكاف فى موضع نصبٍ لأنّها اسمُ إنّ . وتقول إذا جعلت الكاف حرفاً وخبرا مقدماً : إنَّ كَبَكرٍ أخاك .

واعلم أنَّ أقيسَ الوجهين فى أنت كزيد أن تكون الكاف حرفاً جارًّا بمنزلة الباء واللام ، لأنّها مبنيّةٌ مثلهُما ، ولأنَّها أيضا على حرفٍ واحد ، ولا أصل لها فى الثلاثة ، فهى بالحروف أشبه . ولأنّ استعمالها حرفاً أكثر من استعمالها اسماً .

هذا كلام ابن جنّى ، وهو صريحٌ فى جواز اسميَّتها فى الاختيار ، خلافَ ما نُقل عن سيبيويه . وإليه ذهب صاحب الكشاف أيضاً قال فى : ﴿ فأَنفخُ فيه [1] ﴾ : إنَّ الضمير للكاف من (كهيئة الطير) أى فأنفخ فى ذلك الشيء المماثِل فيصير كسائر الطُّيور . انتهى .

وجميعهم امتنعوا فيما ذكرناه من جعل الكاف حرفاً تكون مع مجرورِهَا صفة لمحذوف ، لأنَّ شرط جوازه أن يكون بعضاً من مجرور بمِنْ أو فى ، نحو : منّا ظَعَنَ ومنَّا أقام .

٢٦٦ ولم يلتفت أبو على (فى البغداديات) إلى هذا الشرط ، وخرَّجه على حذف الفاعل الموصوف فقال : ولو قال قائل إنّ الكاف بمعنى الحرف الجار لم يكن مخطئا ، ويكون التقدير : ولن ينهى ذوى شطط شيءٌ كالطَّعن ، فحذف الموصوفَ وأقام الصفة مُقامه . ونظيره من التنزيل : ﴿ ومن آياته يُريكمُ البَرق [2] ﴾ تقديره : ومن آياته أنّه يريكم فيها البرق ، فنصب الظرف على الاتساع نصبَ المفعول به ، كأنّه يريكموها البرق . مثل « ويوما شهدناه [3] » ، ثم حذف الضمير . ونظير ذلك :

---

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢٤ من سورة الروم .

(٣) قطعة من بيت سبق فى ٧ : ٢٨١ . وهو بتمامه :

ويوما شهدناه سليما وعامرا   قليل سوى الطعن النهال نوافله

ومـا الدهـر إلاّ تارتـانِ فمنهُمـا أموتُ وأخرى أبتغِى العَيشَ أكدَحُ[١]

أى منهما تارةٌ أموت فيها ، وأخرى أبتغى العيش .

ومن هذا الباب قول أبى الحسن : قولُه تعالى [٢] : ﴿ أو جاءُوكم حَصِرتْ صدُورُهم [٣] ﴾ أى جاءُوكم قوماً حصرت صدورُهم . فكذلك قوله : (ولن ينهَى ذوى شَطَطٍ) يحتمل أن يكون على هذا الذى وصفنا من حذف الموصوف ، ولكن يدلُّ على كونها اسماً فى الشعر قولُ القائل :

* فصُيِّرُوا مِثْلَ كعصفٍ مأكولْ[٤] *

لأنَّ الاسم لا يضاف إلى الحرف . وكذلك :

* وصاليـاتٍ ككمـا يؤثفَيْـنْ *

تدلّ الكاف الأُولى على أنّ الثانية اسم ، إذ لا يدخل حرف خفض على مثله . انتهى كلامه .

وقد رجع عنه (فى المسائل البصريات) ، وهذا نصُّه : لا تخلو الكاف من أن تكون اسماً أو حرفا . لا يجوز أن تكون حرفاً لأنّك إن جعلتَها حرفا لزم أن تجعلها صفة لمحذوف ، كأنك قلت : شىء كالطعن ، والفاعل لا يحذف . ألا ترى إلى أن قول [٥] من قال : ضربنى وضربت زيدا ، إنَّ الفاعل منه محذوف، خطأ عندنا . وكذلك إن جعلت الكاف حرفا كان وصفاً ، وإذا صار وصفاً فالموصوف محذوف

(١) لتميم بن مقبل فى ديوانه ٢٤. وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٧٦ .
(٢) ش : « فى قوله تعالى » على أثر تغيير وإضافة .
(٣) الآية ٩٠ من سورة النساء .
(٤) الرجز لحميد الأرقط ، وهو الشاهد ٨٣٢ فيما سيأتى .
(٥) ش : « ألا ترى قول » .

وإذا جعلته وصفَ محذوفٍ بقىَ الفعلُ بلا فاعل ، وذلك غير جائز عندَنا . فإذا كان كذلك جعلت الكاف نفسها فاعلة وموضعها رفع ، كما أنَّ موضعها جَرٌّ فى قوله : « ككما يؤثقين » ، وكما أنّ موضعها جرٌّ فى قوله :

* على كالقطا الجُونىِّ(١) *

فإن قلت : فهلا حذفتَ المجرور فى قوله « على كالقَطا الجُونى » لأنّه ليس بفاعل ؟ قُلنا : يفسُد كما يفسد حذف الفاعل ، فإنّك إذا حذفته قدَّرت الكاف وصفاً له ، وإذا كانت وصفاً له كانت حرفا ، وإذا كانت حرفاً أدخلتَ حرفَ جرٍّ على حرف جر . وإذا كان كذلك لم يجز ، فمن ثَمَّ لزمك أن تحكم بأنَّ الكاف فى قوله : « على كالقطا » اسمٌ فى موضع جرّ بعلى ، كما أنَّها اسمٌ فى موضع رفع بأنّها فاعلة فى بيت الأعشى . انتهى كلامه .

وعلى هذا مشى (فى التذكرة القصرية ، وفى كتاب الشعر) .

ومن جميعِه تعلم أنَّ اسميَّتها عنده خاصَّة بالشعر خلافاً لما نُقل عنه .
ومعنى البيت : لا يمنع الجائرِينَ عن الجور مثلُ طعن نافِذ إلى الجوف ، يغيب فيه الزَّيت مع فتيلة الجراحة .

وتقدَّم الكلام عليه مفصّلا فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة (٢) .

* * *

(١) قطعة من بيت للأخطل فى ديوانه ١٩٦ والمخصص ١٤ : ٤٩ وسر الصناعة ١ : ٢٨٧ ، ٣٠٠ ورصف المبانى للمالقى ١٩٨ . وهو بتمامه :

قليلا غرار العين حتى تقلصوا على كالقطا الجونى أفزعه القطر

(٢) الخزانة ٩ : ٤٥٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد الثانمائة [١] :

٨٣١ (لواحقُ الأقرابِ فيها كالمقَقْ)

على أنّ الكاف فيه زائدة .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) المَقَقُ : الطُّول ، ولا يقال فى الشىء كالطُّولِ ، إنّما يقال : فيه طول ، فكأنّه قال : فيها مققٌ ، أى طول . انتهى .

٢٦٧ صاحب الشاهد

والبيت لرؤبة بن العجّاج . قال الأصمعى فى شرحه : هو مثل قولهم : هو كذى الهيئة ، أى هو ذو هيئة .

وكذا قال ابن السرّاج (فى الأصول) ، وأبو على (فى البغداديات) قال : وأما مجىء الكاف حرفاً زائداً لغير معنىَ التشبيه فكقولهم فيما حُدِّثناه عن أبى العباس : فلانٌ كذى الهيئة ، يريدون فلان ذو الهيئة [٢] ، فموضعُ المجرور رفعٌ . ومنه :

* لواحق الأقرابِ فيها كالمَققْ *

أى فيها مقق ، لأنّه يصف الأضلاع بأنَّ فيها طولا ، وليس يريد أن شيئاً مثلَ الطول نفسه . ومنه : ﴿ ليس كمثْلِهِ شىء [٣] ﴾ . ومنه أيضا : ﴿ أو كالذى مَرّ على قريةٍ [٤] ﴾ تقديره : أرأيت الذى حاجَّ إبراهيمَ فى ربِّه ، والذى مرَّ على قرية . انتهى .

---

(١) ديوان رؤبة ١٠٦ والمقتضب ٤ : ٢١٨ وأصول ابن السراج ١ : ٣٥٩ وسر الصناعة ١ : ٢٩٢ ، والإنصاف ٢٩٩ والضرائر ٦٦ والأشمونى ٢ : ٢٢٥ .

(٢) يريدون فلان ذو الهيئة ، ساقط من ش .

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٤) الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

قال أبو حيان : وحكى الفراء أنّه قيل لبعض العرب : كيف تصنعون الأقط ؟ قال : « كهيِّن » يريد هيّناً . ومن زيادتها قولُ بعضهم : كمُذْ أخذتَ فى حديثك ، جوابا لمن قال له : مذْ كم لم تَر فلانا ؟ يُريد : مذ أخذتَ . انتهى .

ومنه يُعلم أنّه لا وجه لتخصيص زيادتها بالضَّرائرِ الشعرية كما زعم ابن عصفور .

و (اللواحق) : جمع لاحقة ، اسم فاعل من لحِق كسمع لُحوقا : ضَمر وهُزِلَ . و(الأقراب):جمع قُرب بضمة فسكون ، وبضمتين : الخاصرة ، وقيل من الشّاكلة إلى مَرَاقّ البطن . يريد أنّها خِماص البطون . وضمير فيها للأقراب . و (المقق) بفتح الميم والقاف : الطُّول ؛ وقال الليث : الطُّول الفاحش فى دِقّة . فقوله « كالمقق » مرفوع الموضع على الابتداء ، وخبره الظرف قبله ، والجملة حال من الأقراب .

والبيت من قصيدةٍ طويلة تزيد على مائتى بيتٍ شرحنا قطعةً كبيرة منها فى الشاهد الخامس من أول الكتاب ، وهو من جملة أبياتٍ كثيرة فى وصف أُتُنِ حمار الوحش التى شبَّه ناقته بها فى الجَلادة والعَدْو السَّريع ، لا فى وصف الخيل كما زعم العينىُّ وتبعه غيره . فينبغى أن نشرح أبياتاً قبله ، حتّى يتّضح ما قلنا .

وقد وصف حمارَ الوحش بأبياتٍ إلى أن قال :

(أحقَب كالمِحْلج من طُول القَلقِ[1] كأنَّه إذْ راحَ مَسلوسُ الشَّمَقْ)

فى الصحاح : الأحقب : حمار الوحش ، سمىٍّ بذلك لبياضٍ فى حَقويه ، والأنثى حقباء . والمِحلج قال صاحب المصباح : حَلجت القطن حَلجاً ، من باب ضرب . والمِحلج بكسر الميم : خشبة يحلج بها حتّى يخلُصَ الحبُّ من

(١) ش : « كالمجلح » بتقديم الجيم فى متن البيت وتفسيره ، صوابه فى ط والديوان ١٠٥ .

القطن . قال الأصمعىّ : شبَّهَه بالمِحلج لصلابته . وينبغى أن يقال : ولكثرة حركته واضطرابه . ومن طول القَلق ، هو وجه الشَّبه [١] ، وهو كنايةٌ عن عدم سكونه . والقلق : الاضطراب .

وراح : نقيض غدا ، يقال سَرَحت الماشيةُ بالغداة ، وراحت بالعشىّ ، أى رجعت . والعامل فى إذا ما فى كأنّ من معنى التشبيه . يصف رجوعه إلى مأواه . ومَسْلوس خبر كأنّه ، وهو من السُّلاس بالضم ، وهو ذَهاب العقل . والمسلوس : المجنون ، وقد سُلِس بالبناء للمفعول . والشَّمَق : النشاط ، مصدر شَمِق كفرح . وقال الليث : هو مَرحُ الجنون .

(نُشِرَ عنه أو أسيرٌ قد عَتَق   مُنْسَرِحاً إلاّ ذعاليبَ الخِرقْ)

نُشِرَ بالبناء للمفعول بالتخفيف والتثقيل ، أى كُشِف عنه ، وهو من النُّشرة بالضم . قال صاحب القاموس : هى رُقية يُعالجُ بها المجنون والمريض ، وقد نَشَرَ عنه . وانتشر : انبسط كتنشَّر . وفى الصحاح : والتنشير من النُّشرةِ ، وهى كالتعويذ والرُّقية . وجملة نشر حال من ضمير مسلوس . يقول : كانَ هذا الحمارُ الأحقبُ كالاًّ من كثرة حركته ، فحين أراد الرجوع إلى مأواه نَشِط شوقاً إليه ، فكأنّه مجنونٌ نشاطٍ زال جنونُه ، ومريضُ شوقٍ ذهب داؤه . والتعبير بالجنون عن كثرة اللَّهَج بالشىء ، وفرطِ الميل إليه ، مُستفيض . وأسير معطوف على مسلوس . وعَتَق العبدُ من باب ضرب ، وعَتَاقا وعَتَاقة : صار حُرًّا . والاسم العِتق بالكسر ، وهو الحرّيَّة . وهو عاتقٌ أى حُرٌّ . وأعتقه : جعله حُرًّا ، فهو مُعتِق بكسر التاء ، وذلك مُعتَق بفتحها .

٢٦٨

(١) ط : « من طول القلق وهو وجه الشبه » .

يقول : هذا الأحقب يُشبه أسيراً صادف غِرّة فتفَلّت من أَسرِهِ ، فهرَب أشدَّ الهرب .

والمنسرِح ، بالسين والحاء المهملتين : الخارج من ثيابه ، وهو حال من ضمير راح . والذعاليب ، بالذال المعجمة والعين المهملة : جمع ذُعلوب كعصفور . والذَّعالب : جمع ذِعلبة بالكسر ، وهما قِطَع الخِرق ، وقال أبو عمرو : أطراف الثياب ، وقال صاحب القاموس : أو ما تقطَّع منه فتعلَّق . وثوبٌ ذعاليبُ : خلَقٌ . وهذا تمثيل يؤيّد أنَّ هذا الأحقب انسرح من وبره إلاّ بقايا بقيَتْ عليه . وهذا ممَّا ينشطه . وروى صاحبُ الصحاح :

* منسرحاً عنه ذعاليبُ الخِرَقْ *

فيكون حالاً سببيًّا . وضمير عنه راجع للأحقب . وذعاليب فاعل منسرحاً . والمعنى : تساقط عنه وبرُه كلُّه .

قال ابن المستوفى (فى شرح أبيات المفصَّل) : الحَرَق بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين ، هو تحاتُّ الوبر ، من قولهم : حَرِق شعُره ، أى تقطَّع ونَسَل . وليس للخِرَق هنا بالخاء المعجمة وجهٌ .

وهو على ما أوردتُه فى شعر رؤبة .

(منتحياً من قَصِده على وَفَقْ صاحبَ عاداتٍ من الوِرد الغَفَقْ)

فى الصِّحاح : أنحى فى سيره أى اعتمد على الجانب الأيسر . والانتحاءُ مثله . هذا هو الأصل ، ثم صار الانتحاء الاعتمادَ والميلَ فى كلِّ وجه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّ حقيقة الانتحاء أخذُ النحو ، أى الناحيةِ والجانب ، فمن أين يدخل الأيسر فى مفهومه ؟

والقصد ، كما فى المصباح : مصدر قصَدت الشيء ، وله ، وإليه ، من باب ضرب : طلبتُه بعينه . وهو على قَصْد ، أى رَشَد . ويأتى بمعنى استقامة الطريق .
والوَفَق بفتحتين كما فى القاموس : مصدر وَفِقْتَ أمرك كَرشِدْتَ : صادفته مُوافقا .

وصاحبَ عادات ، ومنتحياً : حالان من ضمير الأحقب فى راح . والورد بالكسر ، فى المصباح : ورد البعيرُ وغيرُه الماَء يرِدُه وُروداً : بلغَهُ ووافاه [١] من غير دخول ، وقد يكون دخولا . والاسم الوِرد بالكسر . والغَفَق بفتح الغين المعجمة والفاء ، هو أن ترد الإبل كلَّ ساعة . وقال الأصمعى : ظلَّ يتغفَّق الماء ، إذا جعل يشرب ساعةً فساعة . وهو وصف الورد بتأويله [بوصفِهِ [٢]] بالمتكرر والمتعدّد .
وإذا كان وِردُهُ متعدّدا فى اليوم ، فهو يسرِعُ ليرد الماءَ . فهذه العادة مما تنشّطه للإسراع أيضا .

(تَرمى ذراعَيهِ بِجَثْجاثِ السُّوَقْ ضَرْجاً وقد أُنجدْنَ من ذات الطُّوَقْ)

فاعل ترمى صوادق العَقْب الآتى . وضمير ذراعيه للأحقب . والجثجاث بجيمين ومثلثتين ، قال الدينوريُّ (فى كتاب النبات) : هو جمعٌ ، الواحدة جَثجاثة . وأخبرنى أعرابيٌّ من ربيعة أنّ الجثجاثة ضخمةٌ يستدفِئُ بها الإنسانُ إذا عظُمَت . ومنابتُها القِيعان ، ولها زهرةٌ صفراء تنبت على هيئة العُصفر . وقال غيره من الأعراب : هو من الأمرار ، وهو أخضر ينبت بالقَيظ ، له زهرةٌ طيِّبة الريح تأكله الإبل إذا لم تجد غيرَه . وقال أبو نصر : الجثجاث شبيهٌ بالقَيصوم . ولِطيبِ ريحِه ومنابتِه فى الرِّياض قال الشاعر [٣] :

٢٦٩

(١) ط : « ووفاه » ، صوابه فى ش والمصباح .
(٢) التكملة من ش .
(٣) هو كثير عزة . ديوانه ٤٢٩ – ٤٣٠ والكامل ٤٩٨ والموشح ٢٣٩ .

فما روضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثرى يمجُّ الندى جَثجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً وقد أوقِدت بالمجمر اللَّدْنِ نارُها[١]

والسُّوَق بضم السين المهملة وفتح الواو : موضع ، وكذلك ذات الطُّوَق بضم الطاء المهملة وفتح الواو . ولم أر من ذكرهما . وقد راجعت (معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، والمرصَّع ، والصحاح ، والعُباب ، والقاموس) فما وجدتُهما فيها .

يريد أنّ الأحقب يسوق أُتنَه فهى تمشى قُدّامه ، ومن شدَّة سرعتها يتكسَّر هذا النبت فيتطاير [٢] كِسَرُهُ فتصيب ذراعَيه .

وضرْجاً ، بالضاد المعجمة والجيم : مصدر ضرجَه بمعنى شقّه ، وهو هنا حال من الجثجات بتأويله باسم المفعول ، أى مضروجة . وأنجدن : صرن إلى نجد . والنَّجد : ما ارتفع من الأرض . وجملة قد أنجدن حال من فاعل ترمى . وفيه مبالغةٌ فى جلادتها ، فإنَّ الطُلوع من منخفض إلى مرتفع أمرٌ شاقّ ، وهى مع هذه الحالة يتكسَّر الجثجاث من شدّة وطئها .

(صَوادقُ العَقْب مهاذيبُ الوَلَقْ مَستِوياتُ القِدِّ كالجنب النَّسَقْ)

صوادق : فاعل ترمى المتقدّم ، وهو جمع صادقة اسم فاعل من الصِّدق ، وهو كما يكون فى القَول يكون فى الفعل بمعنى التحقّق . والعَقْب ، بفتح العين المهملة وسكون القاف : الجَرْىُ الذى يجىء بعد الجرىِ الأوّل . يقال : لهذا

---

(١) هذه أيضا رواية اللسان (جثث ٤٣٣) . والمجمر هنا : العود الذى يتبخر به . والرواية المشهورة : « بالمندل الرطب » . والمندل : العود أيضا ، يقال المندل والمندلى ، بفتح الميم والدال فيهما .

(٢) كذا فى النسختين ، وهو أحد وجهين جائزين .

الفرس عَقْبٌ حسن . وفيه مبالغةٌ حيث يتحقَّق جرىُ هذه الأتنِ بعد تَعبها وكلالها ، فهى لا تفتُر أبدا . ومَهاذيب : جمع مِهذابة ؛ كمطاعيم جمع مِطعامة ، مبالغة هاذبة بمعنى مُسرِعة . يقال هذَب هَذْبا وهَذابة ، أى أسرع . ويقال أيضاً أهذَب وهذَّب وهاذب بمعناه . وفى الصحاح : الإهذاب والتهذيب : الإسراع فى الطَّيرانِ والعَدْوِ والكلام . وهو صفة صوادق ، وكذلك مستويات .

والولق ، بفتح الواو : مصدر ولِقَ يَلَق ، من باب فرح ، بمعنى الإسراع . والإضافة بمعنى فى . يريد أنّهن سِراعٌ فى عَدْوهن . والقِدّ ، بكسر القاف ، قال صاحب القاموس : الطريقة . وقال الأصمعى : الحِذاء ، يقال : حِذاؤهن واحد . انتهى . وأراد بالحذاء مصدر حاذيته ، أى قاربته . والجنب هو ما تحت الإبط إلى الكشح . والنَّسق فَعَل بمعنَى منسوق ، يقال دُرّ نَسَقٌ [1] ، أى منسوق ، وفعلُه نسقْتُ الدرَّ نسقاً من باب قتل : نظمته . يقول : كأنَّهن فى قُرب بعضهن لبعض كأضلاع الجنب ، فلا تتأخّر إحداهنّ عن صاحبتها . يريد أنَّهن فى السُّرعة سواء ، فلا يفضلُ بعضُها على بعض .

(تَحِيدُ عن أظلالِها مِنَ الفَرَقْ من غائلات اللَّيلِ والهَوْلِ الزَّعَقْ)

حاد عن الشئ حَيدة وحُيوداً : تنحَّى وبعُد . والجملة استئنافية . والفَرَق : مصدر فرِق ، كفرح ، بمعنى خاف . وهو علّةٌ لقوله تحيد . وحرفا الجر متعلّقان بتَحيد . وهذا مثلُ قولهم : فلانٌ يفرَق من ظِلِّه . وغائلات الليل : الصيَّاد ، والأسد ، والذئب ، وما أشبه ذلك . وهذا مما يزيد الأُتُنَ نَشاطا فى الإسراع . والهول : مصدرُ هالهِ من باب قال ، بمعنى أفزعَه . والزَّعَق بفتح الزاى المعجمة والعين المهملة : مصدر زَعِق كفرح ، وهو الخوف فى اللَّيل . فهو بدلٌ من الهول .

٢٧٠

(١) ط : « درنسوق » ، صوابه فى ش .

(قُبٌّ من التَّعداءِ حُقْبٌ فى سَوَقْ لواحقُ الأقرابِ فيها كالمَقَقْ)

أى هذه الأتن قُبٌّ . والجملة استئنافية . والقُبّ : جمع أقبّ وقبّاء ، من القَبَب ، وهو دِقَّة الخَصْر وضُمْر البطن ، أى هنَّ خِماصٌ من كثْرة عَدْوهنّ . والتَّعداء : مصدر عدا من باب قال ، وهو أبلغ من العَدْو . والحقب خبرٌ بعدَ خبر ، وهو جمع حقباء ، وتقدَّم شرحه . والسَّوَق ، بفتحتين : طول الساق . والأسوق : الطَّويل السَّاقّين ، وقال ابن دريد : غليظهما ، وقيل حَسَنهما . وهى سَوْقاء . ولواحق خبر ثالث .

فظهَرَ بسَوْق هذه الأبيات أنَّ البيت الشاهد فى وصف الأتنِ الوحشيَّة ، لا فى وصف الخيل . والله أعلم .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أوّل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٨٣٢ (فأصبحوا مِثْلَ كعصفٍ مَأكولْ)

على أنّه يُحكَمُ بزيادة الكاف عند دخول (مِثل) عليها .

قال ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) : وأما قوله :

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٠٣ . وانظر السيرة ٣٧ والمقتضب ٤ : ١٤١ ، ٣٥٠ والأصول ١ : ٥٣٤ وسر الصناعة ١ : ٢٩٦ ورصف المبانى ٢٠١ والمغنى ١٨٠ والعينى ٢ : ٤٠٢ والتصريح ١ : ٢٥٢ / ٢ : ١٧٢ والهمع ١ : ١٥٠ والأشمونى ٢ : ٢٥ واللسان (عصف) ، وملحقات ديوان رؤبة ١٨١ .

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ [١] *

فلا بدّ من زيادة الكاف ، فكأنّه قال : فصيِّروا مثل عصفٍ مأكول ، فأكَّد الشبه بزيادة الكاف كما أكد الشبه بزيادة الكاف فى قوله تعالى : ﴿ ليس كمِثِله شئ [٢] ﴾ إلاَّ أنّه فى الآية أدخل الحرف على الاسم ، وهذا سائغ ، وفى البيت أدخل الاسم على الحرف ، فشبَّه شيئاً بشئ . انتهى .

وأنشده سيبويه على أنّها فيه اسمٌ لضرورة الشعر ، قال : « إن ناساً [٣] من العرب إذا اضُطرُّوا فى الشعر جعلوها بمنزلةِ مثل . قال الراجز :

* فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ *

وقال الآخَر :

* وصالياتٍ ككما يؤثفَيْنْ * » .

قال الأعلم : أدخل مثلاً على الكاف إلحاقاً لها بنوعها من الأسماء ضرورة . وجاز الجمعُ بينهما جوازاً حسناً لاختلاف لفظَيْهما مع ما قصده من المبالغة فى التشبيه . ولو كرَّر المِثل لم يحسُن .

وقال صاحب الكشاف عند قوله : ﴿ ليس كمِثْلِه شَئ ﴾ : ولك أنّ تزعم أن كلمة التشبيه كرّرت للتأكيد ، كما كرَّرها من قال . وأنشد البيت وما بعده .

وأورِدَ عليه أنّ الكاف تفيد توكيد التشبيه لا تأكيد النفى ، ونفىُ المماثلة المهملة أبلغ من نفى المماثلة المؤكدة ، فليست الآية نظيرًا للبيت . وأجيب بأنّها

---

(١) ما بعده إلى كلمة « الكاف » التالية ساقط من ش .

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٣) هذا ما فى ط وسيبويه . وفى ش : « أناسا » .

تفيد تأكيد التشبيه إنْ سلباً فسلبٌ ، وإن إثباتا فإثبات .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وفى الآية قولٌ ثالث ، وهو أنّ الكاف ومِثْلاً لا زائدَ منهما . ثم اختلف ، فقيل مِثل بمعنى الذات ، وقيل بمعنى الصفة ، وقيل الكاف اسم مؤكَّد بمثل ، كما عَكس ذلك من قال :

* فصيِّروا مثل كعَصْفٍ مأكولْ *

وأورد عليه الدمامينى بأنّه يلزم عليه إضافة المؤكَّد إلى التأكيد ، والبصريّون لا يعتدُّون بها لأنَّها فى غاية النُّدرة ، فلا ينبغى تخريج التنزيل عليها .

والشارح المحقّق لمَّا حكم بزيادة الكاف فى البيت وَرَدَ عليه سؤال ، وهو ما مجرور مثل ؟ فأجاب بجوابين ، أوَّلهما لابن جنى (فى سر الصناعة) ، وثانيهما مأخوذ أيضاً من تقريره ، وقد بسط الكلام فيه ، فلا بأس بإيراده لكثرة فوائده ، قال : ٢٧١

فإن قال قائل : إذا جُرّ العصف أبا لكاف [1] التى تجاوره ، أم بإضافة مثل إليه على أنّه فصل بالكاف بين المضاف والمضاف إليه ؟

فالجواب : أنّه لا يجوز أن يكون مجروراً إلاّ بالكافِ وإن كانت زائدة ، كما أنّ مِن وجميعَ حروف الجرّ فى أىِّ موضع وقعنْ زوائدَ فلابدَّ من أن يَجرُرنَ ما بعدهنَّ .

فإن قيل : فإذا جررتَ العصف بالكاف ، فإلامَ أضفت مثلاً وما الذى جررت به ؟

فالجوابُ : أنّ مِثلاً وإن لم تكن مضافةً فى اللفظ فإنّها مضافة فى المعنى ، وجارّةٌ لما هى مضافةٌ إليه فى التقدير . وذلك أنَّ التقدير فصيِّروا مثلَ عصفٍ ،

---

(١) ط : « بالكاف » ، وأثبت ما فى ش وسر الصناعة .

فلمَّا جاءت الكاف تولَّت جرَّ العصف ، وبقيت مثلُ غيرَ جارّةٍ ولا مضافةٍ فى اللفظ ، وكان احتمال هذه الحال فى الاسم المضافِ أسوَغَ منه فى الحرف الجارّ . وذلك أنّا لا نجد حرفاً جارًّا معلَّقا غير عاملٍ فى اللفظ ، وقد نجد بعضَ الأسماء معلَّقا عن الإضافة جارًّا فى المعنى غير جارٍ فى اللفظ ، وذلك نحو قولهم : جئتُ قبلُ وبعدُ ، وقام زيدٌ ليس غيرُ . وقال :

* بين ذراعَىْ وجَبْهةِ الأسدِ [١] *

أى بين ذراعَى الأسدِ وجَبهته . وهذا كثير . وإنّما أردتُ أن أُوجِدَكَ أنَّ الأسماء تعلَّق عن الإضافة فى ظاهر اللَّفظ ، وأنَّ الحروفَ لا يمكن أن تعلَّق عن الجرّ فى اللفظ البتَّة . فأمَّا قول الشاعر :

جيادُ بنى أبى بكرٍ تَسامَى ... على كانَ المسوَّمةِ العراب [٢]

فإنَّما جاز الفصل بكان من قِبَل أنّها زائدةٌ مؤكّدة ، فجَرَتْ مَجْرَى ما المؤكِّدةِ فى نحو قوله : ﴿ فبِمَا نَقْضِهِمْ ميثاقَهُم [٣] ﴾ ، و ﴿ عما قليلٍ [٤] ﴾ . ولا يجوز فى قوله : « ككما يؤثفين » أنْ تكون ما مجرورة بالكاف الأولى ، لأنَّ الكاف الثانية عاملة للجرّ ، وليست كان جارّة فتجرى مجرى الكاف فى كَكَما .

فإن قيل : فمن أين جاز تعليق الأسماء عن الإضافة ولم يجُزْ فى حروف الجرّ أن لا تتَّصل بالمجرور ؟

فالجواب أنّ ذلك جائزٌ فى الأسماء من وجهين :

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٩٢ والخزانة ٢ : ٣١٩ . وصدره :

* يا من رأى عارضا أسر به *

(٢) من الأبيات غير المنسوبة . وهو الشاهد ٧٢٨ .

(٣) من الآية ١٥٥ من النساء و ١٣ من المائدة .

(٤) الآية ٤٠ من المؤمنون .

أحدهما : أنَّ الأسماء أقوى وأعمُّ تصرفاً من الحروف ، وهى الأُوَل الأصول ، فغير منكرٍ أن يُتجوَّز فيها مالا يُتجوَّز فى الحروف . ألا ترى أنَّ تاء التأنيث فى الاسم نحو مسلمة قد أبدلوها هاءً فى الوقف ولم يبدلوها فى رُبَّت وثُمَّت . والفعل أيضاً فى هذا جارٍ مجرى الحرف . والثانى : أنَّ الأسماء ليست فى أوّل وضعها مبنيّةً على أن تُضاف ويجرَّ بها ، وإنَّما الإضافة فيها ثانٍ لأوّل ، فجاز فيها أن تَعْرَى فى اللفظ من الإضافة وإن كانت الإضافة فيها منويَّة . وأمّا حروفُ الجرّ فوُضعت على أنّها للجرِّ البتة ، وعلى أنَّها لا تفارق المجرور ، ولضعفها وقلّة استغنائها عن المجرور فلم يُمْكِنْ تعليقُها عن الجّر ؛ لئلّا يبطُلَ الغرض .

فإن قيل : فمن أين جاز للاسم أن يدخل على الحرف [١] ؟

فالجواب : إنَّما جاز لما بين الكاف ومِثل من المضارعة فى المعنى ، فكما جاز أن يُدخلوا الكافَ على الكاف فى « ككما يؤثفين » ، لمشابهته لمثل ، حتَّى كأنه قال : كمثل ما يؤثفين ، كذلك أدخَلوا مِثْلاً على الكاف ، وجعلوا ذلك تنبيهاً على قوّة الشبه بين الكاف ومثل .

فإن قيل : فهل تجيز أن تكون الكافُ مجرورةً بإضافة مثلٍ إليها [٢] فيكون قد أضفتَ كلّ واحدٍ من مثل والكاف ، فيزول الاعتذار بتركهم مِثلاً غ مضافة ، ويكون جرّ الكاف بإضافة مثل إليها [٣] كجرّها بدخول الكاف ٢٧٢ الكاف فى « ككما يؤثفين » ، كما انجرَّت بعلى فى قوله : « على كالقطا الجونى [٤]

---

(١) ط : « فى الحرف » صوابه فى ش وسر الصناعة ١ : ٢٩٩ .

(٢) ما بعده إلى « مثل إليها » التالية ساقط من ش .

(٣) هذا نهاية السقط السابق .

(٤) سبق الكلام على هذا الجزء من بيت الأخطل قريبا فى الورقة ٢٦٦ .

فالجواب : أنَّ قوله مثل كعصف قد ثبت أنّ مثلاً والكاف فيه زائدة ، كما أنّ إحداهما زائدة فى ﴿ ليس كمثْلِهِ شيء [(١)] ﴾ ، وإذا ثبت ذلك فلا يجوز أن تكون مثل هى الزائدة ، لأنّها اسم ، والاسماءُ لا تُزاد ، فالزائد الكاف ، فإذا كانت هى الزائدة فهى حرف ، وإذا كانت حرفاً بطَل أن تكون مجرورة ، وإذا لم تكن مجرورة بطل أن تكون مثل مضافةً إليها . على أنَّ أبا علّى قد كان أجاز أن تكون مثل مضافة إلى الكاف وتكون اسماً . وفيه عندى ضعفٌ لما ذكرته . وأما قوله : « ككما يؤثفين » فقد استدللنا بدخول الكافِ الأولى على الثانية ، وأنَّ الثانية اسمٌ وأنّ الأولى حرفٌ قد جَرَّ الثانية وهو مع ذلك زائد . ولا ينكر وإنْ كان زائداً أن يكون جارًّا . انتهى كلام ابن جنى .

وكأنَّ الدمامينى لم يقفْ على كلام الشارح المحقِّق ، ولا على كلام ابن جنى ، فقال (فى الحاشية الهندية) : ينبغى أن تكون الكاف فى البيت اسماً أُضِيف إليه مثل ، فيكون عمل كلّ من الكلمتين موفّرا . أمّا إذا جُعِلت حرفا وجُعل مثل مضافا إلى عصف ، لزم قطعُ الحرف الجارِّ عن عمله بلا كافٍ ، اللهمَّ إلّا أن يقال : ينزَّل منزلةَ الجزء من المجرور . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

قال العينى : البيت من شعر لرؤبة بنِ العَّجاج . وقبله :

أشطار الشاهد

(ومسَّهُم ما مَسَّ أصحابَ الفيلْ ولَعِبتْ طيــرٌ بهمْ أبابيــلْ
ترميهمُ حجـارةٌ من سِجِّيــلْ فصُيِّروا مثلَ كعصفٍ مأكولْ)

ولم يذكر ما مَرجِعَ الضمير ، ومَنِ الذين جَرى عليهم هذا الأمر .

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى .

وأصحاب الفيل : أبرهةُ بن الصَّبَّاح الأشرم [١] ملكُ اليمن ، من قِبل أَصحَمة النجاشي وجيشِه .

وكان من أمر أبرهة أنّه بنى كنيسةً بِصنعاءَ وأراد صرفَ الحاجّ إليها ، فخرج رجلٌ من بنى كنانة فقضَى حاجته فيها ، فأغضَبه ذلك وحَلَف ليهدِمنَّ الكعبة ، فخرج بجيشِه ومعه الفيلة ، وفيلٌ قويٌّ يسمَّى محمودًا ، فلما تهيّأ لدخول الحَرَمَ عَبَّى جيشَه وقدَّمَ الفيل ، فكان كلَّما وجَّهوه إلى الحرَمَ بَرَك ولم يبرحْ ، وإذا وجَّهوه إلى اليمن أو إلى جهةٍ أخرىَ هروَل ، فأرسل الله طيراً أبابيل فى مِنقار كُلٍّ منها حجرٌ ، وفى رجليه حجَران أكبرُ من العَدَسة وأصغَر من الحِمَّصة ، فرمتهم فكان الحجَرُ يقعُ فى رأس الرجل فيخرج مِن دُبره . فهَلَكوا جميعا .

والسِّجّيل : الطين المتحجّر ، معرب: سَنْك كِلْ [٢] . والأبابيل : الجماعات من الطَّير ، جمع إبّالة بكسر الهمزة وتشديد الموحدة ، وهى الحُزمة الكبيرة ، شبهت بها الجماعة من الطير لتَضامِّها . وقيل لا واحَد لها .

وقوله : (فأصبَحوا) روى بدله : (فصُيِّروا) بالبناء للمفعول . وبه استشهد ابن هشام (فى شرح الألفيَّة) لتعدية صَيَّر إلى مفعولين أحدهما نائب الفاعل ، وثانيهما مثل . و (العصف) قال صاحب العباب : قال الفرَّاء : هو بقْل الزَّرْع . وعن الحسن البَصرى : الزرع الذى أُكِل حبُّه وبقى تِبنُه .

---

(١) فى اللسان : « والأشرم : أبرهة صاحب الفيل ، سمى بذلك لأنه جاءه حجر فشرم أنفه ونجاه الله ليخبر قومه ، فسمى الأشرم . وفى الحديث : أن أبرهة جاءه حجر فشرم أنفه ، فسمى الأشرم » . ونحوه فى القاموس . وفى جمهرة ابن حزم ٤٣٥ اكتفى بقوله : « أمه بنت الأشرم الحبشى ملك اليمن » . فلم يجعل الأشرم لقباً له .

(٢) ط : « سنك وكل » صوابه فى ش . و « سنك » فى الفارسية بمعنى الصخر أو الحجر . و « كل » بكسر الكاف الفارسية بمعنى الطين .

وترجمة رؤبة تقدّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده :

* (وصالياتٍ كَكَما يُؤثفَيْنْ) *

وتقدَّم شرحه مفصلا فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة [٢]

* * *

٢٧٣

وأنشد بعده :

(ولا لِلِما بهمْ أبداً دواءُ)

أوّله :

(فَلا واللهِ لا يُلْفَى لِمَا بي)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(يا تيمَ تيمَ عَدِيٍّ)

تمامه :

.... لا أبالكم   لا يُلقينّكمُ فى سَوْءةٍ عمرُ

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد المائة [٤] .

* * *

---

(١) الخزانة ١ : ٨٩ — ٩٢ .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٣ — ٣١٨ .

(٣) الخزانة ٢ : ٣٠٨ — ٣١٢ .

(٤) الخزانة ٢ : ٢٩٨ — ٣٠٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثمانمائة [١] :

٨٣٣ (ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ)

على أن قوله تعالى : ﴿ ليسَ كمثلِهِ شَىءٌ ﴾ النفى فيه منصبٌّ على مثل مثلِه وعلى مثِله جميعا ، فليس لله سبحانه وتعالى مِثل حتى يكون لمثله شىءٌ يماثله . فالمنفى المثل ومِثلُ المِثْل جميعا . وهذا كقول عمرو بن أحمرَ فى وصفِ فلاة :

(لا تُفـزِعُ الأرنبَ أهوالُهـا ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنجَحِرْ)

لم يرد أنَّ بها أرانب لا تفزعها أهوالُها ، ولا ضِباباً غير مُنْجَحِرة ، ولكنّه نفى أن يكون بها حيوان .

وقد أورده (صاحب الكشاف) عند قوله تعالى : ﴿ سنُلقى فى قُلوبِ الذين كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أشْرَكُوا باللهِ مالم ينزِّلْ به سُلطانا [٢] ﴾ الآية على أنَّ المراد نفىُ السُّلطان ، يعنى الحجة والنزولَ جميعا لا نفىُ التنزيل فقط بأنّ يكون ثمّة سُلطانٌ لكنه لم يُنزَّل . كما أنّ المنفىَّ فى البيت الضّبُّ والانجحار جميعاً لا الانجحار فقط ، إذ المرادُ وصفُ هذه المفازة بكثرة الأهوال ، بحيث لا يمكن أن يسكنَها حيوان .

و (الإفزاع) : الإخافة . والأرنب مفعول مقدَّم ، و (أهوالُها) فاعل يُفزِع ، والضمير للمفازة والفلاة ، وهى جمع هَوْل ، وهى الشدائد التى تُفزع . والهَوْل : مصدر هاله الشىءُ ، أى أفزعَه . و (الضبّ) : حيوان معروف . والانجحار ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة : الدخول فى الجُحْر بضم الجيم ، وهو ما حفره الهوامُّ والسِّباعُ لأنفسها . وفى (أساس البلاغة) : جَحَرتُ الضِّبابَ

(١) ديوان ابن أحمر ٦٧ والخصائص ٣ : ١٦٥ ، ٣٢١ وابن الشجرى ١ : ١٩٢ .

(٢) الآية ١٥١ من سورة آل عمران .

فانجحَرت ، أى دخلت جِحَرَتَها . يقول : لا تُفزع أهوالُ تلك المفازة الأرنبَ ، لأنّه لا أرنبَ حتَّى تَفزع من أهوالِها ؛ لأنّه لا يمكنها السُّكون فيها لشدّة أهوالها ، ولا تشاهد الضب فيها منجحراً لأنّه لا ضبَّ فيها فينجَحر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه ابن الأنبارىّ (فى شرح المفضليات) لعَمرو بن أحمَرَ الباهلى ، وهو شاعرٌ إسلامىٌّ تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الستين بعد الأربعمائة [1] .

والمشهور والمستعمَل فى هذا المعنى قولُ امرئ القيس :

على لاحبٍ لا يُهتَدى بمَنارِهِ إذا سافَه العَوْدُ الدِّيافىُّ جرجَرا [2]

فإنّه لم يرد أنّ فيه مناراً لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى لا منارَ فيه فيهتدى به . و (اللاحب) بالحاء المهملة : الطريق الواضح . و (المنار) : جمع منارة ، وأصلها مَنْوَرة ، مَفعلة من النُّور ، وسمِّى بذلك لأنّها فى الأصل كلُّ مرتفعٍ عليه نار ، ولذلك قالوا فى جمعها : مَناور . وسافَه : شمَّه ، ومصدره السَّوف . و (العود) بفتح المهملة : البعير الهرم . و (الدِّيافىّ) منسوب إلى دِياف : قرية بالشام ، وقيل بالجزيرة . وقيل بل دياف أنباطٌ بالشَّام . وفتح بعضُهم أوّله . والجرجرةُ : صوتٌ يردِّده البعير فى حَنجرته . وإنّما يجُرجِرُ فى الطَّريق إذا شمَّه لما يَعرِفُ من شدّته وصُعوبة مسلكه .

٢٧٤

* * *

(١) الخزانة ٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٦٦ وابن الشجرى ١ : ١٩٢ واللسان (سوف) . ط : « لمناره » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثمانمائة [1] :

٨٣٤ (فأَجْمِل وأَحْسِنْ فى أَسِيرِكَ إنّه ضعيفٌ ولَم يَأسِرْ كايّاكَ آسِرُ)

على أنَّ الكاف قد تدخل على الضمير المنصوب المنفصل لضرورة الشعر ، كما هنا .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومنه وضع صيغة ضمير النَّصب المنفصل بدلَ صيغة ضمير الرفع المنفصل المجعولِ فى موضع خفضٍ بكاف التشبيه . وذلك قوله : فأجمل وأحسن البيت ، يريد كأنت آسرٌ ، فوضع إيّاك موضع أنت للضرورة ، وإنّما قضى على إيّاك بأنّها فى موضع أنت لأنَّ الكاف لا تدخل فى سعة الكلام على مضمر إلاّ أن تكون صيغته صيغة ضمير رفع منفصل ، نحو قولهم : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . انتهى .

ومثله لثعلب (فى أماليه) قال : « وما رأيت كإيَّاك إلاّ فى الشعر » . وأنشد هذا البيت .

وقال أبو حيان (فى أماليه) : أنشد الفرّاء وهشامٌ عن الكسائى :

* وأحسِنْ وأجمِل فى أسيرك إنّه * ..... البيت

نصب إيّاك فى موضع الخفضِ لتقارب ما بين النصب والخفض ، والنصبُ على (إيّاك) أغلَب كما (أنت) بالرَّفع أشهر وأعرف . انتهى .

وقوله : (فأجمل) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الميم ، أى عامِلْ بالجميل. و (أحسِنْ) بفتح الهمزة وكسر السين ، أى افعل الحسَن . وأسرته أسراً ، من

---

(١) مجالس ثعلب ١٦ والضرائر ٢٦٢ والهمع ٢ : ٣١ .

باب ضرب ، فهو أسيرٌ وذاك آسِرٌ . وهو فاعل يأسر . يريد : لم يأسرنى آسرٌ مثلُك .

والبيت لم أطَّلع على قائله . والله أعلَم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٣٥ (فَلا أرَى بَعْلاً ولا حَلائِلاَ   كَهُ ولا كَهُنَّ إلاَّ حَاظِلا)

على أن الكاف قد تدخل أيضاً على الضمير المجرور فى ضرورة الشعر .

قال سيبويه (فى باب ما يكون فيه الإضمار من حروف الجر) : وذلك الكافُ التى فى : أنت كزيد وحَتّى ومُذْ . وذلك أنّهم استغنَوْا بقولهم مثلى وشبهى عنه ، فأسقطوه . واستغنَوْا عن الإضمار فى حتى بقولهم : دَعْهُ حتّى يوم كذا وكذا ، وبقولهم : دعه حتَّى ذاك . وبالإضمار فى إلى بقولهم : دعه إليه ، لأنّ المعنى واحد . كما استغنوا بمثلى وبمثله عن كِى وكه . واستغنوا عن الإضمار فى مذ بقولهم : مذ ذاك ؛ لأنَّ ذاك اسم مبهم ، وإنّما يُذكَر حين يُظنُّ أنك قد عرفتَ ما يعنى . إلاّ أنّ الشُّعراء إذا اضطرُّوا أضمروا فى الكاف ، فيُجْرونها على القياس . قال العجاج :

* وأُمَّ أوعالٍ كها أو أقربا [(٢)] *

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٩٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٢٧ والمقرب ١ : ١٩٤ والضرائر ٣٠٨ ورصف المبانى ٢٠٤ والعينى ٣ : ٢٥٦ والتصريح ٢ : ٤ والهمع ٢ : ٣٠ والأشمونى ٢ : ٢٠٩ وديوان رؤبة ١٢٨ .

(٢) هو الشاهد التالى لهذا الشاهد .

وقال :

فلا ترى بعلاً ولا حلائلا كهُ ولا كهُنَّ إلاَّ حاظلا

٢٧٥ شبهوه بقوله : له ولهّن . ولو اضطُرّ شاعرٌ فأضاف الكاف إلى نفسه قال كِي . وكَىْ خطأٌ ، من قِبَل أنّه ليس من حرف يُفتح قبل ياء الإضافة . انتهى .

قال النحاس : هذا عند سيبويه قبيح . والعّلة له أنَّ الإضمار يردّ الشيءإلى أصله . فالكاف فى موضع مثل ، فإذا أضمرت ما بعدها وجبَ أن تأتى بمثل . وأبو العباس ، فيما حكى لنا علىٌّ بن سليمان ، يجُيز الإضمار فى هذا على القياس ، لأنّ المضمر عَقِيب المظهَر ، وقد نطقت به العرب . وقد ذكرنا قبلُ ما ذكره بعض النحويِّين من إجازتهم : أنا كأنت وكإيّاك ، وردَّ أبى العبَّاس لذلك . انتهى كلامه .

وقال ابن عصفور (فى كتاب الضرورة) : ومنه أن يستعمل الحرفُ للضَّرورةِ ، استعمالاً لا يجوز مثلُه فى الكلام ، نحو قول العجَّاج :

* وأمّ أوعالٍ كها أو أقربَا (١) *

فجرَّ بالكاف الضمير المتّصل . وحكمها فى سَعة الكلام أن لا تجر إلاّ الظاهرَ أو الضمير المنفصل ، لجريانه مجرى الظاهر ، فيقال : ما أنا كأنت ولا أنت كأنا . حكى الكسائى عن بعض العرب أنّه قيل له : مَن تعدُّون الصُّعلوك فيكم ؟ فقال : « هو الغداةَ كأنا » . لكنّه لما اضطُرَّ أبدلها من حكمها حكمَ ما هى فى معناه ، وهو مِثْل ، فجعلها تجرُّ الضمير المتَّصل كما تجر الضمير المنفصل ، كما يجرُّه مِثْل . ومن ذلك قوله :

---

(١) الضرائر ٣٠٨ وسيبويه ١ : ٢٩٢ . والشطر للعجاج فى ملحقات ديوانه ٧٤ .

وإذا الحرب شمَّرتْ لم تكن كِى حين تدعو الكُماةُ فيها نَزَالِ [١]

أنشده الفراء وقال : أنشدنيه بعضُ أصحابنا ، ولم أسمعه أنا من العرب .
قال الفراء : وحُكى عن الحسن البصرى : أنا كك وأنت كِى . واستعمال هذا فى حال السَّعة شذوذٌ لا يُلتفَت إليه . انتهى .

ومن دخولها على الضمير قول أبى محمدٍ اليزيدىِّ اللغوىّ النحوى – أخذ عن أبى عمرو ويونس ، وأكابر البصريين ، وكان معلمّ المأمون بن هارون الرشيد – :

شكوتُم إلينا مجانينَكم ونشكو إليكم مجانينَنَا
فلولا المعافاةُ كنّا كَهُمْ ولولا البلاءُ لكانوا كنَا

وقال آخَر :

لا تلمنى فإنّنى كَكَ فيها إنَّنا فى المَلام مشتركانِ

وكتب بعضُ الفضلاء إلى ابن المقفع كتاباً يُبارِيه فى الوَجازة : « بسم الله الرحمن الرحيم . نحنُ صالحون فكيف أنتم ؟ » ، فكتب إليه ابن المقفّع : « نحنُ كَكَ . والسلام » .

وبما نقلنا عن سيبويه يُعرف أنّ نسبة جواز ذلك إليه مطلقا غير صحيح .
وممن نسبَ الجواز إليه مطلقاً أبو حيّان ، قال (فى الارتشاف) ، و (فى الواضح) : أجاز سيبويه وأصحابُه أنتِ كى وأنا كَك . وضعَّفه الكسائى والفراء وهشام . وقال (فى تذكرته) أيضا : واختلفوا فى دخول الكاف على الياء والكاف ، فأجاز سيبويه وأصحابُه : أنت كِى وأنا كَكَ . وضعَّف هذا الكسائى والفراء

(١) نسب إلى بشار كما سيأتى ، وليس فى ديوانه . وانظر الضرائر ٣٠٩ والعينى ٣ : ٢٦٥ .

وهشام ، واحتجُّوا بأنّه قليل فى كلام العرب . وقال الفراء : أنشدنى بعضُ أصحابنا :

* وإذا الحربُ شمَّرت لم تكن كِى * البيت

قال الفراء : وما سمعت أنا هذا البيتَ من العرب . وقال هشام : ما قالت العرب : أنا كَكَ وأنت كِى . قال : والبيت الذى يُنشَد فى كى مؤلّف ، من قول بشّار ، لا يلتفت إليه . وقال الفراء : قد حُكى عن الحسن البصرى : أنا كك وأنت كِى . وقال الفراء : لم تقل العرب : أنت كِى ، وآثرُوا أنت كأنا ، ولم يقولوا : أنا كك وآثرُوا أنا كأنت ، وجعلوا أنت وأنا للخفض كما جعلوا هو للخفض ، فقالوا : أنا كهو . والرفع أغلبُ على أنا وأنت وهو ، ولم يصيِّروهنّ مخفوضات والرفعُ أغلبُ عليهنّ [١] إلاّ لأنّ الكُنَى تجرى مجرى حروف المعانى [٢] ، فتعرف بالدلالات [٣] فلذلك قالوا : ضربتك أنت [٤] ، ومررت بك أنت ، فجعلوا أنت للنصب والخفض ، وكذلك هو وأنا . قال الكسائى : قيل لبعض العرب : مَنْ تعدُّون الصُّعلوك فيكم ؟ فقال : « هو الغداةَ كأنا » . ولمَّا صلَحت الكافُ للرفع والنصب والخفض فى قيامك وضربتك وبك ، لم يُستنكَرْ كون أنت منصوبا مخفوضا ، وكذلك أنا وهو . انتهى كلام أبى حيان .

٢٧٦

ويستفاد منه أنَّ دخول الكاف على ضمير الرفع المنفصل جائزٌ فى السَّعة عند الكوفيين . ونقل عنهم خلافَه (فى الارتشاف) قال : وفى البسيط [٥] : وقد

---

(١) ط : « ولم يصيروهن من مخفوضات الرفع أغلب عليهن » .
(٢) ش : « إلا لأن المكنى يجرى مجرى حروف المعانى » .
(٣) ش : « فيعرف بالدلالات » .
(٤) ش : « فكذلك ضربتك أنت » .
(٥) البسيط هو الشرح الكبير للكافية ، لركن الدين حسن بن محمد الإستراباذى الحسنى المتوفى سنة ٧١٧ . وله شرح آخر متوسط سماه : « الوافية » قال صاحب كشف الظنون : « وهو المتداول » ، كما أن له شرحا ثالثا صغيرا .

ورد أيضاً فى ضمير الرفع فى قولهم : أنت كأنا ، وأنت كهو . وأنكره الكوفيُّون . انتهى .

وكيف ينكرونه وهم الذين نقلوه عن العرب سماعاً . ولله درُّ الشارح المحقق فى قوله : « قد تدخل فى السَّعة على المرفوع نحو أنا كأنت ، لورود السماع به » . وفى جعلِه دخولَها على الضمير المنصوب والمخفوض خاصًّا بالشعر، لعدم ورودهما عن العرب .

وقد سوَّى أبو حيان (فى الارتشاف) بين المرفوع والمنصوب فقال : وقد أدخلت العرب الكاف على ضمير الرفع المنفصل وعلى ضمير النصب المنفصل ، قالت : ما أنا كأنت ، وقال :

* ولم يأسِرْ كإيَّاك آسرُ [(١)] *

وهذا غير جيّد ، لأنَّ الثانى إنّما ورد فى الشعر .

وذهب ابن مالك (فى التسهيل) إلى أنَّ دخولها على الضمير الغائب المجرور قليل ، وعلى المرفوع والمنصوب أقلُّ . ونازعَه شُرَّاحه فيه فقالوا : إن لم يكونا أكثر من المخفوض فينبغى أن يكونا مُسَاويَين له .

صاحب الشاهد

والبيت من أرجوزة لرؤبة بن العجاج . وقبله :

(تَحسَبَه إذا استتبَّ دائـلا كأنما يُنحِى هِجاًرا مائـلا)

وهما فى وصف حمار وأتُنه . وقوله : « تحسبه » بالخطاب ، والهاء ضمير العَير ، وهو الحمار . واستتبَّ : جدَّ فى عَدْوِهِ حتَّى انقطع . وأصل التَّباب الخسرانُ والهلاك . ودائلا حالٌ مؤكدة لعاملها ، وهو من الدَّألان ، بفتح الدال

(١) هو الشاهد ٨٣٤ فى صفحة ١٩٤ .

المهملة وفتح الهمزة ، وهو العَدْوُ . وجملة « كأنّما يُنْحِى » إلخ مفعول ثان لحَسِب ، وجواب إذا محذوفٌ يدلُّ عليه الفعل قبلَها . ويُنْحِى بالنون والحاء المهملة : يعتمد . فى الصحاح : أنحى فى سيره ، أى اعتمد على الجانب الأيسر . هذا هو الأصل ، ثم صار الانتحاء الاعتمادَ والميلَ فى كلِّ وجه . والهِجَار ، بكسر الهاء بعدها جيم : حبل يُشدُّ بهِ وظيف البعير . يريد أنّه يَعدُو فى شِقٍّ ، فكأنه مشدودٌ بهِجارٍ .

وقوله : (فلا ترى بعلاً) إلخ هو بالخطاب أيضا . وتَرَى بمعنى تعلم ، متعدٍّ إلى مفعولين أوّلهما بعلا ، وثانيهما ما بعد إلاّ . والجارّ والمجرور وهو (كَهُ) صِفةٌ لبعل . أى لا ترى بعلاً كهذا الحمار ، ولا حلائلَ كهذه الأتن ، إلاّ مانِعاً لها عن أن يَقْرَبها غيرُه من الفحول ، لأنَّ الحمار يمنع أُتنه من حمار آخر . والبعل : الزَّوج . و (الحلائل) : جمع حليلة ، وهى الزَّوجة . و (الحاظل) بالحاء المهملة والظاء المعجمة المشالة ، قال الأعلم : هو والعاضل سواء ، وهو المانع . وقال النحاس : يقال حظَل أنثاه ، إذا منعَها عن التزوّج . كذا فى نسختى التى قرأتها على أبى إسحاق . وسألت أبا الحسن فقال : الحظَلان مِشيةٌ فيها تثاقُل . وقوله : (كه ولا كهنّ) أى مثله ولا مثلهن . وأعاد الكاف مع المعطوف لِمَا قال جمهورُ البصريِّين : لا يُعطف على الضمير المجرور إلاّ بإعادة الجارّ نحو : مررت بك وبزيد . ولم يَشترط الكوفيُّون ويونس والأخفش ذلك ، وأجازوا فى الكلام : مررت بكَ وزيد . وعليه جاء البيت الآتى وهو قوله : « كَهَا وأقرَبا » . وهذا إذا كان الضمير المجرور بطريق الأصالة ، وأمّا إن كان بطريق الاستعارة كأنْ يُستعار ضميرُ الرفع موضعَ ضمير الجرّ ، جاز عند الجميع العطف عليه بدون إعادة الجارّ . ٢٧٧

قال أبو حيّان (فى الارتشاف ، والتذكرة) : قال الفراء : ومن لم يقل مررتَ بى وزيد على اختيار قال مختارًا : أنت كأنا وزيد ، وأنا كأنت وزيدٍ . انتهى .

قال الأعلم : الوقف على كه بالهاء لأنّه ضمير جرّ متصل بالكاف اتصالَه بمِثل ، والوقف عليه هنا كالوقف عليه ثَمَّة . انتهى .

ويروى فى بعض النسخ من كُتُب النحو : كهو ولاكهّن ، برسم ضمة الهاء المشبعة وَاوًا . وذلك غير جيّد . ومن هنا قال المرادى (فى شرح التسهيل) : ولا حجّة فى قوله « كهنَّ » ولا « كه » لاحتمال أن يكون كهو ، ويجعل هو وكهنّ ضمير رفع منفصل ، بنيابة ضمير الرفع عن ضمير الجرّ .

وقد شرح العينى هذين البيتين بما لا يظهر معه معناهما ، بل يزيد الطالب خَبْطَ عَشْواء . قال : استتبّ : استقام . ودائلا من الدَّألان ، وهو مشى يُقارِب فيه الخَطْو ، كأنّه مُثقَل من الحمل . والهِجار : حبل يشدُّ فى رسغ رجل البعير ثم يشدُّ إلى حِقْوه إن كان عُرياً ، وإن كان مرحُولا يشَدّ فى الحَقَب . تقول منه : هجرت البعير أهجره هَجْرا . وهِجَار القوس : وترها . وبعلاً : زوجا . وحليلة الرجل : امرأته . والحاظل : المانع من التزويج ، كالعاضل بالضاد . وجملة لا ترى منفيّة من الفعل والفاعل ، وبعلاً مفعوله ، ولا حلائلا عطف عليه . وقوله (كه) : الكاف للتشبيه ، ومحله النصب لأنّه مفعول ثان لتَرى ، ولا كهنَّ عطف على كه ، وحاظلا استثناء من قوله بعلا ولا حلائلا . هذا كلامه فتأمَّلْ واعجَبْ .

وترجمة رؤبة تقدَّمت فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [1] .

* * *

(١) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٢ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٣٦ (وأُمَّ أوعالٍ كَهَا أو أقربَا)

لما تقدَم قبله . وهو من أرجوزةٍ للعَجَّاج مطلعُها :

(ما هاجَ دمعاً ساكبا مُستسكِبا مِن أن رأيتَ صاحبَيْك أكأَبا)

أى دخلا فى الكآبة ، وهى الحزن . ثم وصف فيها حمار الوحش وأُتنه ، أراد أن يرد الماءِ فرأى الصيَّاد فهرب بأُتنه . إلى أن قال :

(نحَّى الذِّناباتِ شِمَالاً كَثَبَا وأُمَّ أوعالٍ كها أو أقرَبا

* ذاتَ اليمين غير ما إنْ يَنكُبَا *)

نحَّاهُ تنحية : أبعده عنه وجعلَه فى ناحية . وفاعل نحّى ضميرٌ يعود إلى حمار وحشٍ ذكره . يعنى أنَّه مضى فى عدوه ناحيةً فجَعَل الذِّنابات فى جانبِ شِماله ، وأمَّ أوعالٍ فى ناحية يمينه . وروى : « خلّى الذِّنابات » ، وشِمالا على الأوّل ظرف وعلى الثانى ظرفٌ [(٢)] أيضا فى موضع المفعول الثانى ، لتضمين خلّى معنى جعل . والذّنابات ، قال الأندلسى (فى شرح المفصل) : هو جمع ذِنابة بكسر الذال ، وهى آخر الوادى ينتهى إليه السَّيل . وكذلك آخر النهر . ووجدتها فى موضع آخر : الذُّبابات بالموحَّدتين ، وهى الجبال الصغار . انتهى .

٢٧٨

وقال غيره : الذنايات بالذال والنون : اسم موضع . ولم أره (فى المعجم لأبى عبيد البكرى) ولا (فى معجم البلدان لياقوت الحموى) ولا فى كتب اللغة المدوَّنة .

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٩٢ . وانظر الأصول لابن السراج ٢ : ١٢٦ وابن يعيش ٨ : ١٦ ، ٤٢ ، ٤٤ والضرائر ٣٠٨ وشرح شواهد الشافية ٣٤٥ والتصريح ٢ : ٣ والأشمونى ٢ : ٢٠٨ وملحقات ديوان العجاج ص ٧٤ .

(٢) ط : « مفعول » ، صوابه فى ش .

وفسرَهُ شارح اللباب بالجبال الصغار ، وقيده العينى بفتح الذال وقال : اسم موضع بعينه . والكَثَبُ ، بفتح الكاف والمثلثة : القُرب [وأراد القريب [1]] ، وهو صفة الشِّمال . وأُمّ أوعال ، قال البكرى : على لفظ جمع وعل : هضبة فى ديار بنى تميم ، ويقال لها ذات أوعال . وأنشد هذا الشعر . وقال ياقوت : هضبة معروفة قرب بُرقة أنقَد ، وهى أكمةٌ بعينها . قال ابن السكيت : ويقال لكلِّ هضبة فيها أوعالٌ : أُمّ أوعال . وأنشد هذا الشعر وغيره ، وقال : والوَعِل : كبش الجبل . والهَضْبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض . والأَكَمة : تلٌّ وقيل شُرْفةٌ كالرَّابية ، وهو ما اجتمع فى مكانٍ واحد ورُبمَّا لم يغلُظ .

وقوله : (كها) الضمير للذِّنابات . قال ابن السيرافىّ : أمّ أو عال مبتدأ ، وكها هو الخبر ، وأقرب معطوف على مجرور الكاف من غير إعادة الجار . يعنى أنّه مضَى فى عدْوه ناحيةً من الذِّنابات ، فكأنّه نحَّاها عن طريقه وهى عن شِماله فى الموضع الذى عدا فيه بالقُرب من الموضع ، وليست ببعيدة . وأم أوعال من الموضع الذى عدا فيه كالذِّنابات منه ، أو أقربُ إليه منها . انتهى .

وقال ابن يعيش وصدر الأفاضل : المحفوظ أنّ أُمَّ أوعالٍ بالنصب ، فيكون معطوفاً على الذنابات .

وقال صدر الأفاضل : والمعنى نحَّى الذِّنابات عن طريقِه جانب شِمالٍ قريب منه ، بأنْ مضى ناحيةً منها ونحّى أمَّ أوعال فى جانبِ يمينه ، مثل الذّنابات فى القرب منه أو أقرب منها إليه .

وقوله : « غير ما أنْ ينكبا » بنصب غيرَ على الاستثناء ، وما زائدة ، وأنْ ناصبة ، وفاعل ينكبُ ضمير الجار [2] . قال الأصمعى (فى كتاب الإبل) :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى ش : « وينكب فاعله ضمير الحمار » .وكلاهما بمعنى واحد .

نكَب ينكُب نكْبا ونُكوبا ، إذا انحَرَف عن الطريق . وأنشد هذا البيت . وهو من باب نصر .

قال ابن السيرافى : يقول : هما عن يمين طريقه وشِماله ، ومقدارُ ما بينَ كلِّ واحدٍ من الموضعين وبين طريقِه متقارب ، إلاّ أنْ يجور فى عَدْوه فتصير الذِّنابات إن مال إليها أقربَ من أُمّ أوعال ، وإنْ مال فى العَدْو إلى أمّ أوعال صارت أقرب إليه من الذِّنابات .

وقال العينى : أمّ أوعال مبتدأ وخبره كها ، وأقرب معطوف على الضمير المجرور . ويجوز نصب أمَّ أوعالٍ بالعطف على الذنابات ، على معنى جعل أمَّ أوعال كالذِّنابات أو أقرب ، فيكون أقرب حينئذ معطوفا على محلِّ الجار والمجرور . هذا كلامه . يريد أنّ موضع الجار والمجرور النّصبُ على أنّه مفعول ثان لجعل ، وأقرب معطوف على المحلّ .

وترجمة العجَّاج تقدَّمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد الثاثمائة [٢] :

٨٣٧ (فإنَّ الحُمْرَ مِنْ شرِّ المطايا كما الحَبِطاتُ شرُّ بنى تميمِ)

على أنَّ الكاف المكفوفة بما ، قد تكون لتشبيهِ مضمون جملةٍ بمضمون جملةٍ أخرى . ومضمونُ الأولى كون الحمر من شرِّ المطايا ، ومضمون الثانية كون ٢٧٩

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ .

(٢) الأزهية للهروى ٧٤ وابن الشجرى ٢ : ٣٢٥ والعينى ٤ : ٣٤٦ والأشمونى ٢ : ٣٢١ .

الحبطات شرَّ بنى تميم . فشبَّه ذاك الكون بهذا الكون ، وهما مضمونا الجملتين ، ووجه الشبهِ الحصولُ فى الوجود . وكذا تقول فى الآية قبله ، وكذا الحال إن كان بَعْدَ « كما أنَّ » .

وقد فرق بينهما ابن الخبّاز (فى النهاية) قال : قد كفُّوا الكاف بما ، كما كفُّوا رُبَّ ، فتليها الجملة الاسميَّة والفعليَّة . تقول : زيد قاعد كما عمروٌ قائم ، شبَّهتَ جملةً بجملة بكونهما حاصلَين فى الوجود . وتقول : زيد قاعد كما أنَّ عمراً قائم ، والمعنى : قعود زيدٍ لا محالة وقيام عمرو لا محالة . فالأُولى فيها تشبيهُ جملةٍ بجملة ، وهذه توجب حصول الأمرين فى الوجود . فهذا فرقُ ما بينهما . وتقول : زرنى كما أزورك ، فتحتمل ما أن تكون مصدرية ، أى زرنى كزيارتى إياك ، أو تكون بمعنى لعلّ أى لعلِّى أزروك . انتهى .

وزعم أبو على أنَّ ما فى الآية والبيت موصولة ، وصدر الصلة محذوف ، قال : وأما قوله : ﴿ قالوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إلَها كما لهُمْ آلهة [1] ﴾ فالتقدير : اجعلْ لنا إلَها مثل التى هى لهم آلهة ، وحُذف المبتدأ من الصلة كما حُذف فى قوله تعالى : ﴿ تمامًا على الذِى أحْسَنُ [2] ﴾ بالرفع ، التقدير : الذى هو أحسن . ومثله قراءة رؤبة : (مثلاً ما بعُوضة [3]) برفع بعوضة . فالتقدير أن يضرب الذى هو بعوضةٌ مثلاً . وعلى هذا حمل الأخفش قولَ الشاعر :

---

(١) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٥٤ من سورة الأنعام . وقراءة الرفع هى قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبى إسحاق . تفسير أبى حيان ٤ : ٢٥٥ .

(٣) كلمة « رؤبة » موضعها بياض فى ش . وذكر أبو حيان فى تفسيره ١ : ١٢٣ أنها قراءة الضحاك ، وإبراهيم بن أبى عبلة ، ورؤبة بن العجاج ، وقطرب أيضا . وقد أثبت هذه القراءة لرؤبة أيضا وحده ابن خالويه فى القراءات الشاذة ٤ كما أثبت له قراءات شاذة أخرى فى الصفحات ١ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ١٥٦ ، ١٨٢ . وانظر ما سيأتى فى ٢٢٤ .

* وجدنا الحُمر من شرِّ المطايا * البيت

قال : معناه كالذين هُم الحَبِطات . قال : وإن شئت جعلت ما زائدةً وجررت الحبطات بالكاف . انتهى .

وهذا غير جيِّد ، فإنّه تخريج على القليل النادر مع إمكانه على التخريج الكثير الشائع . وكأنّه مبنيٌّ على أنّ الكاف لا تُكفّ بما ، كما زعمه صاحب المستوفِي [(١)] . ورُدّ عليه بقوله :

وأعلم أنّنى وأبا حميد كما النَّشوانُ والرجلُ الحليمُ[(٢)]

قال ابن هشام (فى المغنى) : وإنما يصحُّ الاستدلال بهذا إذا لم يثبت أنّ ما المصدرية تُوصَل بالجمل الاسمية . انتهى .

فما اللاحقة للكاف عند البصريِّين ثلاثة أقسام على خلافٍ فيها : مصدريَّة ، وموصولة ، وكافَّة . وهذه [(٣)] قسمان : أحدهما كافّة ومهيِّئة فقط ، وثانيهما تغيير معنى الكلمة مَعَها . ولها معنيان حينئذ إمَّا معنى لعلَّ وإما معنى القِرانِ فى الوُجود ، وعبَّر عنه السيرافى وغيره بالمبادرة ، ومثَّل بسَلِّمْ كما تدخل ، وصلِّ كما يدخلُ الوقت . وممَّا قيل إنّ ما فيه موصولة قولهم : كن كما أنت . وللنحويِّين فيه خمسة أقوال : قولان على الموصوليّة ، وقولان على أنَّها كافّة ، وقول بزيادتها .

---

(١) المستوفى فى النحو ، قال السيوطى فى بغية الوعاة ٣٥٥ : « أكثر أبو حيان من النقل عنه » . وهو لأبى سعد كمال الدين على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفَرُّخان القاضى . وفى كشف الظنون أنه على بن مسعود الفرغانى . لكن قال السيوطى : « كذا وسماه هكذا ابن مكتوم فى تذكرته » . وقد ورد ذكر هذا الكتاب أيضا فى صفحة ٤٩١ من طبعة بولاق .

(٢) لزياد الأعجم كما سيأتى . وانظر المغنى ١٧٨ والعينى ٣ : ٣٤٨ .

(٣) يعنى ما الكافة .

الأول : أنّ الكاف بمعنى على ، وما موصولة ، وأنت مبتدأ حُذف خبره ، أى كن على ما أنت عليه .

الثانى : أنّها موصولة وأنت خبرٌ حذف مبتدؤه ، أى كالذى هو أنت . وقد قيل به فى قوله تعالى : ﴿ اجعَلْ لنا إلها كما لهم آلهةٌ [١] ﴾ كما تقدَّم .

الثالث : أنّ ما كافة وأنت مبتدأ حذف خبره ، أى عليه أو كائن . وقد قيل فى : (كما لَهُمْ آلهة) أيضا .

الرابع : أنّ ما كافة ، وأنت فاعل ، والأصل كما كنت ، ثم حُذفت كان فانفصل الضمير .

الخامس : أن ما زائدة والكاف جارّة ، كما فى قوله :

* كما الناسِ مجرومٌ عَليه وجارم [٢] *

وأنت ضمير رفع أنيب عن المجرور ، والمعنى : كن فيما يُستقبَل مماثلاً لنفسك فيما مضى .

حكى هذه الخمسةَ ابنُ هشام (فى المغنى) وقال : تقع كما بعد الجمل كثيراً صفةً فى المعنى ، فتكون نعتاً لمصدرٍ أو حالا ، ويحتملهما قوله تعالى : ﴿ يومَ نَطوِى السَّماءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ للكِتاب كما بَدَأْنا أوّلَ خلقٍ نُعيده [٣] ﴾ . فإنْ قدَّرته نعتا لمصدرٍ فهو إما معمولٌ لنعيده ، أى نعيد أوّل خلق إعادةً مثل ما بدأناه ، أو لنطوى،أى نفعل هذا الفعلَ العظيمَ كفعلنا هذا الفعل . وإن قدرته

٢٨٠

(١) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف .

(٢) لعمرو بن براقة فى المؤتلف ٦٧ . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* وننصر مولانا ونعلم أنه *

(٣) الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء . وقراءة الإفراد هى قراءة الجمهور ، وقرأ بالجمع « للكتب » حمزة والكسائى وحفص . وسكن التاء الأعمش . تفسير أبى حيان ٦ : ٣٤٣ .

حالاً فذو الحالِ مفعولُ نعيده ، أى نعيده مماثلاً للذى بدأناه . وتقع كلمة (كذلك) أيضاً كذلك .

فإنْ قلت : فكيف اجتمعت مع مثل فى قوله تعالى : ﴿ وقال الذين لا يَعْلَمُونَ لولا يُكلمنا الله أو تأتينا آيةٌ كذلك قال الذين مِنْ قَبْلِهِمْ مِثلَ قولِهِم [١] ﴾ ، ومثل فى المعنى نعتٌ لمصدرِ قال المحذوف ، أى كما أنّ كذلك نعت له ، ولا يتعدَّى عاملٌ واحد لمتعلّقين بمعنىً واحد ، لا تقول : ضربت زيداً عَمرًا . ولا يكون مثل توكيداً لكذلك لأنّه أبيَنُ منه ، كما لا يكون زيدٌ من قولك : هذا زيد يفعل كذا توكيداً لهذا كذلك [٢] ولا خبراً لمحذوف بتقدير: الأمر كذلك ، لما يؤدِّى إليه من عدم ارتباط مَا بعده بما قبله .

قلتُ : مثل بدل من كذلك أو بيان ، أو نصب [٣] [بيعلمون ، أى لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى . فمثل بمنزلِتها فى : مثْلُكَ لا يفعل كذا ، أو نصبٌ] بقالَ . والكاف [٤] مبتدأ والعائد محذوف ، أى قاله . وردّ ابن الشجرى ذلك على مَكِّىٍ بأن قال : قد استوفى معمولَه ، وهو مثل . وليس بشىءٍ ؛ لأنّ مثل حينئذ مفعول مطلق أو مفعول به ليعلمون ، والضمير المقدَّر مفعول به لقال . انتهى كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ ثلاثة لزيادٍ الأعجم ، وهى :

أبيات الشاهد

(وأعلـمُ أنَّنـى وأبـا حُميـدٍ   كما النَّشوانُ والرَّجـلُ الحليـمُ
أريـد حِبـاءه ويريـد قتلى   وأَعلـم أنَّـه الرجـلُ اللَّئيـمُ
فإنّ الحُمْـرَ من شرِّ المطايـا   كما الحبِطاتُ شرّ بنى تميمِ)

---

(١) الآية ١١٨ من سورة البقرة .

(٢) ش : « توكيدًا كذلك » ط : « توكيدا لهذا لذلك » وقد جمعت بين القراءتين .

(٣) الكلام بعده إلى كلمة « نصب » التالية ساقط من ش .

(٤) ط : « أو الكاف » .

كذا أوردها العينىُّ ، ولم ينبِّه على أنّ البيت الأخير فيه إقواء .

وقوله : « وأعلم أننى » فعل مضارع ، وروى بدله : « لعمرك إنّنى » . وعلى الأوّل همزة أننى مفتوحة ، وعلى الثانى مكسورة . وقوله : « كما النشوان » إلخ أورده المرادى (فى شرح الألفيَّة) ، وابن هشام (فى المغنى) على أنَّ ما كفّت الكافَ عن عمل الجرّ . والنَّشوان : السكران . والنَّشوة : السُّكر . والحليم : الذى عنده تأنٍّ وتحمُّلٌ لما يثقُل على النفس . يقول : أنا وأبو حُميد كالسَّكران والحليم ، أتحمَّل منه وهو يعبَثُ بى ، كالسَّكران يَسْفَه على الحليم وهو متحمِّل . وهذا تشبيهٌ تمثيلى ، شبَّه حالته معه بحالة الحليم مع السَّكران . والمخْبَر عنه اثنان وما بعدَ (كَمَا) خبرُهما ، إلاّ أنّه أخبر عن الثانى بالأوّل ، وعن الأوّل بالثانى لظُهور المعنى وعدم اللَّبْس .

وتكلَّف الدَّمامينى فجعل النَّشوان مبتدأً والرَّجلَ معطوفا عليه وخبرَهما محذوفا ، أى كائنان . وهذا التقدير مُستَغْنًى عنه ، ولا ضرورة تدعو إليه .

وتبعه ابن المُلاّ ولم يكتفِ به ، بل أطال لسانه على الجلال السُّيوطى وقال : النشْوان مبتدأ لا خبر كما وهِمَ الجلال .

وكم من عائبٍ قولاً صحيحا وآفتُه من الفَهم السَّقيمِ (١)

وروى : « كما النَّشوانِ » إلخ بجرِّهما على جعل ما زائدة لا كافَّة ، فيكون الإقواء فى البيت الثانى .

---

(١) البيت من مشهور شعر المتنبى فى ديوانه ٢ : ٣٥٧ . وقد مثل له العكبرى بقول أبى سعيد الضرير لأبى تمام : لمَ لا تقول ما يُفهَم ؟ فقال له : يا أبا سعيد ، لم لا تفهم ما يقال ؟ قال العكبرى : « وهذا المعنى كثير جدا ، وأحسن ما فيه قوله تعالى : وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » .

واللام للتوكيد (١) فى خبر إنّ ، وعلى هذا لا شاهد فى البيت .

وقوله : « أريد حِباءَه ويريد قتلى » أخذ هذا المصراع من قول عمرو بن مَعْديكرِبَ الصّحابى ، فى ابن أخته قيس بن المكشوح المرادىّ : ٢٨١

أريد حِباءه ويريد قَتْلى عَذِيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ (٢)

والحِباء بكسر المهملة بعدها موّحدة : العطيّة . حدثَ أمرٌ بينهما أوجب التقاطع . يقولُ : أريد نفعه وحِباءَهُ مع إرادته قتلى ، وتمنِّيهِ موتى ، فمن يَعذِرنى منه . ويروى : « أريدُ حيَاته » بلفظ ضدِّ الممات . وكان علىّ رضى الله عنه يُنشد هذا البيت كلَّما يرى عبد الرحمن بن مُلْجَم ، قاتله الله .

والبيت من شواهد سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب عذيرك ووضعُه موضعَ الفعل بدلاً منه . والمعنى : هات عُذرك وقرِّبْ عذرك . والتقدير : اعذِرنى منه عُذرا . واختُلفَ فى العذير فمنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر ، وهو مذهب سيبويه . ومنهم من جعله بمعنى عاذر ، كعليم وعالم . والمعنى عنده : هات عذرك . وامتنعَ أن يجعله بمعنى العذر لأنَّ فعيلا لا يأتى مصدراً إلاّ فى الأصوات نحو الصَّهيل . ورُدَّ بأنَّ المصدر يطّرد وضعهُ موضعَ الفعل بدلاً منه ، ولا يطَّرد ذلك فى اسم الفاعل ، وقد جاء فعيلٌ فى غير الصوت كقولهم : وجب القلب وجيبا ، إذا اضطرب . انتهى .

وروى الدمامينىُّ المصراعَ الأوّل كذا :

أريدُ هجاءه وأخافُ ربِّى واعلم أنه عَبْدٌ لئيمُ

---

(١) كذا فى النسختين ، ويبدو أن قبله سقطا تقديره : « وروى : لِكالنشوان » وهى رواية سجلها العينى فى شرح الشواهد ٣ : ٣٤٩ ، قال : « ويروى لكالنشوان ، فعلى هذا لا استشهاد فيه » .

(٢) البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٤٩ . وانظر الأغانى ٩ : ١٢ والمصون ٢١٤ وتنبيه البكرى ٢٤ .

وقال : ادَّعى الحلم لكنَّه أبان عن عدم حلمه بهذا البيت . وأىُّ حلمٍ وأىُّ كفّ عن الهجاء مع التَّسجيل عليه بهذا الوصف الذميم . وغرضه أنَّ ما ذكره لا يُعدّ هجوًا ، لاتّصافه بما يكون هذا المذكور بالنسبة للمسكوت عنه من أوصافه [1] كالمدح له . وفى الحقيقة هذا غايةُ الذّمِّ والهجاء .

وقوله : (فإنّ الحُمرَ) إلخ هو جمع حمار . و (المطايا) : جمع مطيّة . قال صاحب المصباح : والمطَا على وزن العصا : الظَّهر ؛ ومنه قيل للبعير : مطيّة فعيلة بمعنى مفعولة ، لأنّهُ يُركَب مطاه ذكراً كان أو أنثى ، ويجمع على مَطىّ ومطايا ، فلا يصحُّ جعل الحمِير من شرِّ المطايا ، لأنَّ الحمير غير الإبل . والجيّد قول صاحب القاموس : المطيَّة : الدابة التى تَمطُو فى السَّير ، أى تُجدّ وتسرع . وفيه رواية أخرى ، وهى :

* فإنّ النِّيب من شرِّ المطايا *

والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المُسِنّة . وأغربَ العينىُّ هنا فقال : الحمر جمع حمار ، هكذا وجدته مضبوطا فى نسخة صحيحة لأبى علىّ ، أعنى التذكرة . ووجدت فى موضع آخرَ : فإنَّ الخَمْرَ بفتح الخاء المعجمة ، وهى التى تُشرَب ، وهذا أقرب وإن كان ذاك أصوب . وقد شبَّه الخمرَ بالمطيَّة التى لا خير فيها ، ووجه الشَّبه حُصولُ الشَّرِّ من كلّ منهما .

هذا كلامه . وهذه غفلة ، فإنَّه لا تشبيه هنا ، وإنّما أخبر عن الحمر بكونها من شرِّ المطايا . ورواية الخمر بالمعجمة تحريف على تصحيف .

والحَبِطات ، بفتح المهملة وكسر الموحَّدة ، وهم بنو الحارث بن عمرو بن تميم . قال صاحب الصحاح : الحَبطَ بالتحريك : أن تأكل الماشية فتُكثِرَ حتّى

---

(١) ش : « بالنسبة للسكوت عنه من إضافة » ، صوابه فى ط .

تنتفخ لذلك بطونُها ولا يخرج عنها ما فيها . وقال ابن السكيت : وهو أن ينتفخ بطنُها عن أكل الذُّرَق ، وهو الحَنْدَقُوق . ويقال حَبِطت الشاة بالكسر ، وفى الحديث : « وإنَّ ممّا يُنبت الرَّبيعُ ما يَقتُل حبَطاً أوْ يُلمّ » . ومنه سُمِّى الحارث ابن عمرو بن تميم : الحَبِط ، بفتح فكسر ، وقيل له الحبط لأنّه كان فى سفرٍ فأصابه مثلُ ذلك . وولدُه هؤلاء الذين يسمَّون الحَبِطات من بنى تميم ، والنسبة إليهم حَبَطى . انتهى . ٢٨٢

قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : الحبطى بفتح الباء [١] كراهَة الكسرات . قال المبرد (فى الكامل [٢]) : يروى أنَّ الفرزدق بلغه أنّ رجلا من الحَبِطات بن عمرو بن تميم خطبَ امرأةً من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، فقال الفرزدق :

بنو دارمٍ أكفاؤهم آلُ مِسمعٍ   وتَنكِحُ فى أكفائها الحبطاتُ

– آل مِسمع : بَيْت بكر بن وائل فى الإسلام ، وهم من بنى قيس بن ثعلبة ابن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل . والحَبِطات هم بنو الحارث بن عمرو بن تميم – : فقال رجلٌ من الحبطات يجيبه :

أما كان عبّادٌ كفيئًا لدارمٍ   بَلَى ولأَبياتٍ بها الحُجراتُ [٣]

يعنى بنى هاشم ، من قول الله عز وجل : ﴿ إنَّ الذين يُنادُونَكَ من وراء الحُجُراتِ [٤] ﴾ . انتهى .

---

(١) ط : « بكسر الباء » وهو عكس المراد . وصوابه فى ش . وقد تنبه لذلك مصحح بولاق .
(٢) الكامل ٣٩ ليبسك .
(٣) فى سرح العيون ٣٨٩ : « أما كان عتاب » ، وعقب بقوله : « عتاب أحد آباء بنى الحارث » ، وهذا تحريف .
(٤) الآية ٤ من سورة الحجرات .

قال ابن السِّيد : عبّاد هذا هو ابن حُصين صاحب البغلة [١] .

والكَفىءُ : فعيل بمعنى الكُفء . وقال بعضهم : إنّما سمِّى الحارثُ حَبِطاً لأنَّه كان فى سفر فأكلَ أكلا فانتفخ بطنُه فمات ، فسمِّى حَبِطا وعُيِّروا بذلك . فانحطاطُ قدره وقَدْرِ أَولادِه إنّما هو لهذا ، لاَ لما زعمَ ابن نُباتة (فى شرح الرسالة الزَّيدونيَّة [٢]) من أنه إنّما نقصَ قدْرُ الحبِطات عن بنى دارم لقول الشاعر :

* وجَدنا النِّيب من شرِّ المطايا * البيت

فلزمهم هذا القول . انتهى .

صاحب الشاهد

ولا يخفى أنّ هذا البيتَ لزيادٍ الأعجم ، وهو من مُعاصِرى الفرزدق ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد الثمانمائة [٣] . وتسميتهم بالحبِطات قديمٌ جدًّا قبل أن يُخلَق أجدادُ زياد ، فكيف لُقبِّوا بقوله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

٨٣٨ (لا تَشْتُمِ النّاسَ كما لا تُشْتَمُ)

---

(١) وجدت فى المحبر لابن حبيب ٢٢٢ : « قال محمد بن حبيب : وسمعت ابن الأعرابى حكى عن المهلب أنه سئل : من أشد الناس ؟ قال : صاحب البغلة الشهباء . يريد عباد بن الحصين الحبطى . فقيل له : فأين ابن أبى خازم ؟ قال : إنما سألتم عن أشد الناس فأخبرتكم ، ولو سألتمونى عن أشد الإنس والجن لقلت لكم : عبد الله ، ومصعب:ابنا الزبير بن العوام ، وعبد الله بن خازم » .

(٢) سرح العيون ٣٨٩ .

(٣) انظر هذا الجزء من الخزانة ص ٥ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٥٩ . وانظر الإنصاف ٥٩١ ورصف المبانى ٢١٤ والعينى ٤ : ٤٠٩ والهمع ٢ : ٣٨ والأشمونى ٣ : ٢٨٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٨٣ .

على أنَّ (كما) أصلها كاف التشبيه المكفوفة بما ، قد تغيَّر معناها بالتركيب ، فصارت بمعنى لعلّ ، أى لعلك لا تشتم . وهى مُهملةٌ [١] لا تعمل شيئاً ، ولا يلزم من كونها بمعنى لعلّ أن تعمل عمَلَها .

وتقدّم نقلُ كلام سيبويهِ وغيرِه فى الشاهد السابع والخمسين بعد الستمائة [٢].

وفى (الارتشاف) لأبى حيان : وذهب الفراء إلى أنّ قولهم : انتظرنى كما آتيك ، ولا تشتم الناس كما لا تشتَمُ ، الكاف فيهما للتشبيه ، والكاف صفة لمصدر محذوف ، أى انتظرنى انتظاراً مثل إتيانى لك ، أى فِ لى بالانتظار كما أَفِى لك بالإتيان ، وانته عن شتم الناس كانتهائهم عن شتمك . انتهى .

وقوله (لا تشتم) لا ناهية . وقوله (كما لا تُشتم) بالبناء للمفعول ورفع الفعل .

وهو من أرُجوزة لرؤبة بن العجاج ، وتقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الخامس من أول الكتاب [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٤] :

٨٣٩ (وإنّا لمِمَّا نضرِبُ الكبشَ ضربةً على رأسه تُلْقِى اللِّسانَ من الفمِ)

---

(١) ط : « جملة » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٨ : ٥٠٠ – ٥٠٢ .

(٣) الخزانة ١ : ٨٩ – ٩٣ .

(٤) فى كتابه ١ : ٤٧٧ . وانظر المقتضب ٤ : ١٧٤ والأزهية ٩٠ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٤ والمغنى ٣١١ ، ٣٢٢ والتصريح ٢ : ١٠ والهمع ٢ : ٣٥ ، ٣٨ .

على أنّ (مِن) الجارة لمّا كُفَّتْ بما تغيّر مَعناهَا وصارت بمعنى ربَّما ، مفيدةً للتكثير أو للتقليل ، على خلافٍ فى مدلولها .

قال سيبويه (فى بابٍ من أبواب أنّ التى تكون والفعل بمنزلة مصدرِه) ما نصُّه : وتقول : إنّى مما أنْ أفعلَ ذاك ، كأنّه قال : أنِّى من الأمر أو من الشَّأن أن أَفعل ذاك . فوقعت ما فى هذا الموضع ، كما تقول العرب : بئسما ، يريدون بئس الشيء . إلى أنْ قال : وإن شئتَ قلتَ : إنِّى مما أفعل ، فتكون ما مع مِنْ بمنزلة كلمةٍ واحدة ، نحو ربَّما . قال أبو حيّة النُّميرى : ٢٨٣

وإنّا لمَّا نَضرِب الكبش ... البيت . انتهى

قال الأعلم : الشاهد فى قوله لمَّا ، ومعناه لربَّما ، وهى مِنْ زيدت إليها ما ، وجُعلت معها على معنى رُبَّما ، فركِّبت تركيبَها . انتهى .

وفى (البغداديات) لأبى على : قال أبو العباس : إنْ أراد سيبويه أنّ ما كافّة لمِن كما أنّها كافَّة لربّ ، فهو كما قال سيبويه . وإن أراد أنَّه للتقليل كما أنَّ ربّما للتقليل كان ذلك مسّوغا إذا ثبت مسموعا . ويَبعُد ذلك فى البيت ، فإنّه ينبغى أن يكون غير مُقلِّل لضربِه للكبش على رأسه . انتهى .

وإنّما قال هذا لأنَّ ربّ وربّما عنده لا تفيد إلاّ القلة . وكأنَّ أبا حيّان لم يقِفْ على ما قدَّمناه . قال (فى الارتشاف) : وزعم السيرافى ، والأعلم ، وابن طاهر ، وابن خروف ، أنَّ مِن إذا كان بعدها ما كانت بمعنى رُبَّما ، وزعَموا أنَّ سيبويه يُشير إلى هذا المعنى فى كلامه . وأنكر الأستاذ أبو علّي وأصحابُه ذلك وردُّوه ، وتأوَّلوا ما زعموه من ذلك .

هذا كلامه ، وتبعه ابن هشام (فى موضعين من المغنى) أحدهما فى مِنْ ، قال عندَ معانيها : العاشر مرادفة ربَّما ، وذلك إذا اتَّصلت بما ، كقوله :

* وإنّا لمما نضرب الكبش * البيت .

قاله السيرافى ، وابن خروف ، وابن طاهر ، والأعلم ، وخرجَّوا عليه قولَ سيبويه : « إنَّهم مما يحذفون كذا [١] » . والظاهر أنَّ مِن فيهما ابتدائية وما مصدرية ، وأنَّهم جُعلوا كأنّهم خُلقُوا من الضَّربِ والحَذْف ، مثل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَل [٢] ﴾ . انتهى .

وثانيهما فى ما الكافة ، قال : إنَّها تتَّصل بأحرفٍ فتكفُّها من عَمَل [٣] الجرِّ . الرابع : مِنْ ، كقول أبى حَيَّة :

* وإنّا لممّا نَضرِب الكبش * البيت

قاله ابن الشجرى . والظاهر أنَّ ما مصدرية ، وأنَّ المعنى مثله فى : ﴿ خُلق الإنسانُ من عَجَلٍ [٤] ﴾ ، وقوله :

* وضنَّتْ علينا والضَّنِينُ من البُخلِ [٥] *

فجعل الإنسان والبخيل مخلوقين من العَجَلِ والبُخلِ مبالغةً . انتهى .

وسياق الكلام منهما ظاهرٌ فى أنَّ المعنى الأوّل لم يقل به سيبويه ، وإنّما هو شئ استنبطه خَدمةُ كتابه من كلامه ، وليس كذلك .

وتخريج ابن هشام فاسد ، وذلك أنّ فعِلَ الصِّلة فى المثالين الأوَّلين مُسنَدٌ إلى ضمير المحدَّث عنه ، فيلزم عند السَّبك إضافةُ المصدر إلى ذلك الضمير ،

---

(١) انظر ما كتبت فى حواشى سيبويه ١ : ٢٤ من نسختى .

(٢) الحذف هنا بمعنى القطع ، يقال حذف رأسه بالسيف حذفا : ضربه فقطع منه قطعة .

(٣) هذه الأحرف أربعة كما فى المغنى ٣٠٩ – ٣١١ وهى على الترتيب : رُبّ ، والكاف : كما ، والباء : بما . والرابع : مِنْ . وهى التالية فيما سيأتى .

(٤) الآية ٣٧ من سورة الأنبياء .

(٥) عجز بيت للبعيث المجاشعى فى الخصائص ٢ : ٢٠٢/ ٣ : ٢٥٩ والمحتسب ٢ : ٤٦ وابن الشجرى ١ : ٧٢ والمغنى ٣١١ واللسان (ضنن ١٣٠) . وصدره :

* ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل *

فيؤُول الأمرُ إلى جعلهم كأنَّهم خُلقوا من ضَرْبهم ومن حَذْفهم . وذلك غير متصوَّر البتّة . ولا يلزم هذا فى الآية والبيتِ الأخير . و (الكبش) هنا : الرَّئيس وسيِّد القوم ، لأنّه يقارعُ دونهم ويَحميهم . قال ابن النحاس : وإن شئت جعلت ما بمعنى الذى ورفعتَ الكبش . انتهى .

أقول : هذا لا يصحُّ . فتأمَّلْ .

ومثل هذا البيت قول الفرزدق :

وإنّا لممّا نضرب الكبشَ ضربةً ‏ ‏ على رأسه والحربُ قد لاح نارُها[١]

والظاهر أنّ أباحية ألمَّ ببيت الفرزدق ، فإنَّه قبلَ أبى حيّة ، وأبو حَيّة تُوفِّى فى بضعٍ وثمانين ومائة .

أبو حيّة النميرى

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : وكان يَروِى عن الفرزدق .

وهو بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية .

وصحَّفه ابن المُلاّ بالموحدة قال : ورأيت من صحَّفة بمثناة تحتيَّة . انتهى .

٢٨٤

واسمه الهيثم بن الربيع ، وينتهى نسبه إلى نمير بن عامر بن صعصعة .

قال صاحب الأغانى : وهو شاعرٌ مُجيد متقدِّم ، من مخضرمى الدولتين الأمويَّة والعباسية . وقد مدَحَ الخلفاء فيهما جميعاً . وكان فصيحاً مقصِّدًا راجزا ، من ساكنى البصرة . وكان أهوجَ جباناً ، بخيلاً كذّاباً ، معروفاً بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء يقدِّمه . وقيل إنّه كان يُصرَع . وكان من أكذبِ النَّاس : حدَّث يوماً أنّه يخرج إلى الصحراء فيدعو الغربان فتقع حَولَه ، فيأخذُ منها

---

(١) ثالث أبيات ثلاثة فى ديوانه ٤٣٦ .

ما شاء . فقيل : يا أبا حية ، أفرأيت إنْ أخرجناكَ إلى الصَّحراء فدعوتها فلم تأتك فماذا نصنع بك ؟ قال : أبعدَها اللهُ إذن !

وحدّث يوماً قال : عنَّ لى ظَبىٌ يوماً ، فرميته فراغ عن سهمى ، فعارضه السَّهمُ ، ثم راغ فعارضه ، فمازال والله يَروغ ويُعارِضه حتَّى صرعه ببعض الجبَّانات . وإلى هذا السَّهم لمَّح ابن نُباتة المِصرىّ بقوله :

وبديعِ الجمال لم يَر طَرْفى مثلَ أعطافِه ولا طَرْفُ غيرى
كلمَّا حِدْتُ عن هواه أتانى سَهمُ ألحاظِه كسَهم النُّميرى

وقال يوما : رميتُ واللهِ ظَبيةً ، فلما نفَذَ سهمى عن القوس ذكرتُ بالظبيةِ حبيبةً لى ، فعدَوْت خلفَ السهم حتّى قبضتُ على قُذَذة قبل أن يدركَها .

وكان لأبى حيّةَ سيفٌ يسمِّيه « لعاب المنيّة » ، ليس بينه وبين الخشبة فَرق . وكان أجبن الناس ، حدَّث جارٌ له قال : دخل ليلةً إلى بيته كلبٌ ، فظنّه لِصًّا ، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفَه لُعابَ المنية ، وهو واقفٌ فى وسط الدّار وهو يقول : أيُّها المغترُّ بنا والمجترئُ علينا ، بئس والله ما اخترتَ لنفسك : خيرٌ قليل ، وسيفٌ صَقيل ، لعابُ المنيّة الذى سمعتَ به ، مشهور ضربته (١) ، لا تُخاف نَبوته ، اخرجْ بالعفو عنك قبل أن أدخلَ بالعقوبة عليك . إنِّى والله إنْ أدعُ قيساً إليك لا تقمْ لها ، وما قَيس ؟! تَملأُ واللهِ الفضاءَ خيلاً ورَجْلا ، سبحان الله ، ما أكثَرها وأطيَبها . فبينا هو كذلك إذ الكلبُ قد خرج فقال : الحمد لله الذى مَسَخك كلباً ، وكفانى حَربا !

ونظير هذه الحكاية ما رواه أبو إسحاق الحُصْرى صاحبُ زهر الآداب

(١) كذا فى النسختين ، وهو وجه جائز فى العربية . وفى الأغانى ١٥ : ٦١ : « مشهورة ضربته » .

(فى كتاب الجواهر ، فى الملح والنوادر [١]) قال : نزل أعرابىٌّ من بنى نهشل يكنى أبا الأغرّ على بنى أختٍ له من قريش بالبصرة ، وذلك فى شهر رمضان ، فخرج الرجالُ إلى ضياعِهم وخرج النِّساء يصلِّين فى المسجد ، ولم يبق فى الدار إلاَّ الإماء ، فدخل كلبٌ فرأى بيتاً فدخلَه وانصفق الباب ، فسمع الإماء الحركة فظنَنَّ أنَّ لِصًّا قد دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبى الأغرّ فأخبرَتْه ، فأخذ عصاً وجاء حتّى وقف على باب البيت فقال : أيُّها اللص [٢] ، والله أمَا إنِّى بك لعارف ، فهل أنت من لصوص بنى مازن [٣] ، شربتَ نبيذاً حامضا خبيثاً ، حتّى إذا دارت الأقداح فى رأسك مَنَّتكَ نفسُك الأمانىَّ فقلتَ : أطرُق دُورَ بنى عَمرو والرجالُ خُلوف ، والنساء يصلِّين فى مسجدهنّ فأسرقُهن [٤] ! سَوءَةً لك ، والله ما يفعل هذا الأحرار ، بئسما منَّتك نفسكَ فاخرجْ بالعفو عنك ، وإلاّ دخلت بالعقوبة عليك ! وايمُ الله لتَخرجَنَّ أو لأهتِفنَّ هتفةً يلتقى فيها الحيّان : عمروٌ وحنظلة ، وتَسِيل عليك الرّجال مِن هنا وهُنا . ولئن فعلْتَ لتكوننَّ اشأم مولودٍ فى بنى تميم ! فلما رأى أنّه لا يجيبه أخذه باللِّين فقال : اخرجْ ، بأبى أنت ، مصوناً مستورا ، إنِّى والله ما أُراك تعرفنى ، ولئن عرَفتَنى لقد وَثِقت بقولى واطمأننتَ

٢٨٥

(١) جمع الجواهر ٢١٦ – ٢١٧ . وأصل هذه القصة عند الجاحظ فى الحيوان ٢ : ٢٣١ – ٢٣٣ ، رواها الجاحظ عن بشر بن سعيد ، ثم رواها ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١ : ١٦٧ – ١٦٨ . ومن المعروف أن ابن قتيبة ممن أجازهم الجاحظ فى رواية كتبه . انظر لذلك عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة الجاحظ له .

(٢) كلمة « اللص » ساقطة من ش . والذى فى جمع الجواهر : « إيها والله إنى بك لعارف » . وفى الحيوان وعيون الأخبار : « قال : إيه يا ملأمان ، أما والله إنك بى لعارف » .

(٣) فى الحيوان والعيون : « فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن » .

(٤) فى عيون الأخبار فقط : « والنساء يصلون فى مسجدهم فأسرقهم » .

إلىَّ . أنا أبو الأغرِّ النهشلى ، وأنا خالُ القوم وجلدةُ ما بين أعينهم [١] ، لا يعصُون لى رأيا ، وأنا كفيلٌ خفير ، أجعلُك بينَ شَحْمَة أذنى وعاتقى ، فاخرجْ فأنت فى ذمَّتى ، وإلاّ فعندى قَوصَرَّتان أهداهما إلىَّ ابنُ أختى البارُّ [٢] الوصول ، فخذْ إحداهما فانتبذها حلالاً من الله ورسوله . فكان الكلب إذا سمع هذا الكلامَ أطرق ، وإذا سكت وثَب وَيرومُ الخروج . فتهانَف أبو الأغر [٣] ثم قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضعَهُم ، أرانى لك الليلةَ فى وادٍ وأنت فى آخَر ، والله لتخرجنَّ أو لألِجَّن ! فلما طال وقُوفُه جاءت جاريةٌ وقالت : أعرابىٌّ مجنون ، والله ما أرى فى البيت أحداً . ودفعت البابَ ، فخرج الكلبُ مبادراً ووقع أبو الأغرّ مستلقياً ، فقلن له : قم ويحك فإنّه كلب ! فقال : الحمد لله الذى مسخَه كلبا ، وكفى العربَ حَربا [٤] . انتهى .

تتمّة

قال الشارح المحقق : وقال بعضهم : إنّ بما تجىء أيضا بمعنى ربَّما ، نحو : إنّى بما أفعل ، أى ربَّما . هذا قول ابن مالك ، قال : إنَّ ما الكافة أحدثت مع الباء معنى التقليل بالقاف ، كما أحدثت فى الكاف معنى التعليل بالعين ، فى قوله تعالى : ﴿ واذكُروهُ كما هَدَاكم [٥] ﴾ .

---

(١) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر ، وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

وانظر الكلام عليه فى اللسان (حوز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

(٢) فى النسختين : « إلى أخى البر » ، وأثبت ما فى جمع الجواهر والحيوان وعيون الأخبار .

(٣) تهانف ، بالنون : ضحك ضحكا فيه فتور كضحك المستهزئ . وفى النسختين : « تهاتف » بالتاء قبل الفاء ، صوابه ما أثبت . وفى الحيوان وجمع الجواهر : « فتهافت » كلاهما محرف . وفى عيون الأخبار : « فتهافت أبو الأغر ثم تضاحك » صواب هذه : « فتهانف » أيضا .

(٤) فى الحيوان : « الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى منك حربا » .

(٥) الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : والظاهر أنَّ الباء والكاف للتعليل ، وأنَّ ما معهما مصدرية : وقد سُلِّم أنَّ كلا من الكاف والباء يأتى للتعليل مع عدم ما ، كقوله تعالى : ﴿ فبظلمٍ من الذين هَادُوا حَرَّمْنَا عليهم طَيِّباتٍ [١] ﴾ . وقرئ : ﴿ وَىْ كأنَّه لا يُفلح الكافرون [٢] ﴾ . وقال : التقدير : أعجب لعدم فلاح الكافرين . ثم المناسب فى البيت معنى التكثير لا التقليل . انتهى .

وهذا مأخوذ من (شرح التسهيل لأبى حيان) . ومثاله ما أنشده ابن مالك والمرادى (فى شرح الألفية) ، وابن هشام (فى المغنى) :

فلئن صرتَ لا تُحير جواباً ‍ ‍ ‍ ‍ لبما قد تُرَى وأنتَ خطيبُ [٣]

تُحير : مضارع أحارَ بالحاء المهملة ، أى أجاب . يقال كلّمته فلم يُحِرْ جواباً ، أى لم يردَّه . واللام فى لئن موطِّئة للقسم ، لا للتأكيد كما وهم العينى .

وقوله : لبما ، اللام فى جواب القسم وما بعدها جواب القسم لا جواب الشرط كما وهم العينى أيضا .

و « قد تُرَى » بالبناء للمفعول . والرؤية بصريَّة لا ظنّية كما زعم العينى .

وجملة وأنت خطيب حاليّة .

والبيت فى رثاء ميت ، يقول : إنْ صرتَ الآن لا تردُّ جوابا لمن يكلِّمك ، فكثيرا ما ترى وأنت خطيبٌ بلسان الحال ، فإنّ مَن نظر إلى قبرك وتذكَّر ما كنت عليه ، وما آُلْتَ الآنَ إليه ، اتَّعظ بذلك . ويحتمل أن يكون المراد كثيراً ما رُئيتَ فى حال الحياة خطيبا . إلاّ أنّه عبر بالمضارع لاستحضار تلك الحالة .

---

(١) الآية ١٦٠ من سورة النساء .
(٢) الآية ٨٢ من سورة القصص . وهذه قراءة الكسائى بفصل « وى » ، كما فى الإتحاف .
(٣) لصالح بن عبد القدوس كما سيأتى ، أو لمطيع بن إياس كما فى أمالى القالى ١ : ٢٧١ .

قال العينى : وقائل البيت مجهول .

أقول : قال صاحب (تهذيب الطبع [١]) لما مات الاسكندر ندبه أرسطاليس فقال : طالما كان هذا الشخصُ واعظاً بليغا ، وما وَعظ بكلامه موعظةً قطُّ أبلَغَ من موعظته اليومَ بسُكوته . فأخذه صالحُ بن عبد القُدّوس فقال :

وَيُنادونــــه وقـــد صَمّ عنهم ثم قالوا ، وللـــنساء نحيبُ
ما الذى عاقَ أن تردَّ جوابا أيها المِقْوَلُ الخطيبُ الأريبُ
إنْ تكن لا تطيق رَجعَ جوابٍ فبما قد تُرى وأنت خطيبُ [٢]
ذو عظات وما وَعظتَ بشيءٍ مثل وعظِ السُّكوت إذْ لا تجيبُ ٢٨٦

واختصره أبو العتاهية فى بيت فقال :

وكانت فى حياتك لى عظاتٌ فأنتَ اليومَ خيرٌ منك أمس .انتهى .

ورأيت (فى أمالى القالى) : أنشدنا أبو عبد الله نفطويه ، أنشدنا ثعلبٌ لمطيعِ ابن إياسٍ الكوفى ، يرْثى يحيى بنَ زيادٍ الحارثىّ :

وَيُنادونــــه وقـــد صَمَّ عنهم ثم قالوا ، وللـــنساء نحيبُ
ما الذى غالَ أن تُجير جواباً أيُّها المصقعُ الخطيبُ الاديبُ
فى مقالٍ وما وعَظْتَ بشىء مثل وعظٍ بالصمت اذْ لا تجيبُ

هذا ما أورده ، ولم يذكر البيت الشاهد [٣] .

---

(١) تهذيب الطبع لأبى محمد القاسم بن محمد الديمرتى ، المترجم فى حواشى ٨ : ٣٧٨ . انظر معجم الأدباء ١٦ : ٣٢٠ وابن النديم ١٩٦ وكشف الظنون ١ : ٣٥٠ ، وممّن له كتاب بهذا الاسم أيضا ابن طباطبا محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢ . انظر معجم الأدباء ١٧ : ١٤٣

(٢) فى الأمالى : « فلئن كنت لا تحير جوابا » .

(٣) الحق أنه أورده ، كما فى النسخة المطبوعة من الأمالى ١ : ٢٧١ فى أربعة أبيات .

مطيع بن إياس

وأورده أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى [١]) كصاحب (تهذيب الطبع) وقال : وهو مطيع بن إياس بن أبى قَزَعة سَلْم بن نوفل [من بنى [٢]] الدؤل ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل من بنى لَيث بن بكر بن عبد مناة . والدؤل وليثٌ أخوان لأمّ وأب ، وأمُّ أمِّهما أمُّ خارجة [٣] ، وهى التى يضرب بها المثل فيقال : « أسرَعُ من نكاحِ أُمِّ خارجة » . ويكنَى مطيع أبا سَلْم . أدرك الدَّولتين ، وكان شاعراً ظريفاً حلوَ العِشرة ، مليحَ النادرة ، وكان متَّهما بالزَّندقة . وكان يحيى بن زياد الحارثى ، وحمادٌ الرواية ، وحمادُ عجردٍ ، وابن المقفَّع ، ووالبة بن الحُبابِ لا يفترقون ، ولا يستأثر أحدُهم على صاحبه بمالٍ ولا مِلْكِ شىء ، قلَّ أو كثُر . وكانوا جميعاً مطعونين فى دينهم . انتهى باختصار .

* * *

وأنشد بعده :

(لاَ تظلمُوا الناسَ كما لا تُظْلَموا)

على أنَّ الكوفيين استدلوا به على أنّ (كما) تنصب الفعل كما هنا ، وأنَّ أصلها كيما .

وتقدَّم الكلام عليه مفصَّلا فى الشاهد السابع والخمسين بعد الستمائة [٤] .

---

(١) وهذا من عجب أيضا ، فإن البكرى إنما أورد البيت الأول من هذه الأبيات الثلاثة فى اللآلى ٦٠٠ . ولم يذكر البيت الشاهد الذى أوَّله : « فلئن صرت لا تحير جوابا » .

(٢) التكملة من اللآلى ٦٠٠ . وفى الاشتقاق ١٧٤ : « نوفل بن معاوية بن نفاثة بن الدئل ، وهو بيت بنى الدئل » .

(٣) فى اللآلى : « أم خارجة عمرة بنت سعد بن عبد الله ، أنمارية » .

(٤) الخزانة ٨ : ٥٠٠ – ٥٠٣ .

وقد نقل ابن الانبارى (فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف) اختلافَ أهل البلدَين فى هذه المسألة ، فلا بأس بإيراده هنا ، قال :

ذهب الكوفيون إلى أنَّ كما تأتى بمعنى كيما ، وينصبون بها ما بعدها ، ولا يمنعون جواز الرفع . واستحسنه أبو العباس المبرِّد من البصريين . وذهب البصريُّون إلى أنَّ (كما) لا تأتى بمعنى كيما ، ولا يجوز نصب ما بعدها .

أمّا الكوفيون فاحتجُّوا بأن قالوا : الدليل على أنّ الفعل يُنصَب بها أنّه قد جاء ذلك كثيراً فى كلامهم ، قال صخر الغَىّ :

جاءتْ كَبيـرٌ كما أخفِّرَهـا والقوم صِيدٌ كأنَّهُمْ رُمِدوا (١)

أراد : كيما أخفّرَها ، ولهذا انتصب أخفّرها . وقال الآخر (٢) :

وطـرفَك إمَّـا جئتَنـا فاصرفنَّـه كما يحسَبُوا أنّ الهوى حيثُ تَنظرُ

أراد : كيما يحسبوا . وقال رؤبة :

* لا تَظلموا الناس كما لا تُظلموا *

أراد : كيما لا تظلموا . وقال عدىّ بن زيد العبادى :

اسمَعْ حديثاً كما يوماً تُحدِّثـه عن ظَهْرِ غيبٍ إذا ما سائلٌ سألا(٣)

وقال آخر :

٢٨٧ يُقلِّب عينيـه كما لأَخافَـه تشاوَسْ رويداً إنَّنى مَن تَأمَّلُ (٤)

---

(١) الإنصاف ٥٨٥ وديوان الهذليين ٢ : ٦١ .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة . ديوانه ٥٣ . وانظر الإنصاف ورصف المبانى ٢١٤ والمغنى ١٧٠ والأشمونى ٣ : ٢٨١ .

(٣) ديوان عدى بن زيد ١٥٨ ومجالس ثعلب ١٥٤ واللسان (كيا) .

(٤) لأوس بن حجر فى ديوانه ٩٨ ومجالس ثعلب ١٥٥ والحماسة بشرح المرزوقى ٧٤٥ ، ٨٢٩ .

أراد : كيما أخافَه ، إلاّ أنّه أدخل اللام توكيداً ، ولهذا المعنى كان الفعل منصوباً . فهذه الأبيات كلُّها تدل على صحَّة ما ذهبْنا إليه .

وأمّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنّما قلنا إنّه لا يجوز النصب بها لأنّ الكاف فى كما كافُ التشبيه ، أُدخِلت عليها ما ، وجُعلا بمنزلة حرفٍ واحد ، كما أُدخِلت ما على ربّ وجُعلا بمنزلة حرفٍ واحد ، ويليها الفعلُ كربَّما . وكما أنّهم لا ينصبون الفعلَ بعد ربّما فكذلك ههنا .

وأما الجوابِ عن كلمات الكوفيين : أمّا البيت الأوّل فلا حجة لهم فيه ، لأنّه روى « كما أخفّرُها » بالرفع ، لأنّ المعنى جاءت كما أجيئها . وكذلك رواه الفرّاء من أصحابكم ، واختار الرفعَ فى هذا البيت . وهذه الروايةُ الصَّحيحة [١] .

وأما البيت الثانى فلا حجّة فيه أيضا ؛ لأنّ الرواية : « لكى يحسَبُوا » .

وأما البيت الثالث فلا حجة لهم فيه أيضا ، لأنّ الرواية فيه بالتوحيد : « لا تَظلِم الناس كما لا تظلم » ، كالرواية الأخرى :

* لا تشتُمِ الناسَ كما لا تشتَمُ *

وأما البيت الرابع فليس فيه أيضا حجةّ ؛ لأنّ الرواة اتَّفقوا على أنّ الرِّواية « كما يوما تحدِّثه » ، بالرفع ، كقول أبى النجم :

قلتُ لشيبان ادنُ من لقائِه ... كما تُغدِّى القومَ من شوائه [٢]

ولم يروه أحد « كما يوماً تحدِّثَه » بالنصب إلاّ المفضَّل الضَّبِّىُّ وحدَه ، فإنّه كان يرويه منصوبا ، وإجماعُ الرواةِ من نحويِّى البصرةِ والكوفة على خلافه ، والمخالِف له أقْوَمُ منه بعلم العربية .

(١) فى الإنصاف : « وهو الرواية الصحيحة » .
(٢) سيبويه ١ : ٤٦٠ والإنصاف ٥٩١ .

وأما البيت الخامس ففيه تكلّف قبيح ، والأظهر فيه :

* يقلّب عينَيه لكيما أخافَه *

على أنه لو صحَّ ما روَوْه من هذه الأبيات على مقتضى مذهبهم فلا يخرج ذلك عن حدِّ الشذوذ والقلة ، فلا يكون فيه حُجَّة . والله أعلم . هذا ما أوردَه ابنُ الأنبارىّ.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٨٤٠ (صَدَدْتَ وأطَوْلتَ الصُّدودَ وقلَّما وِصالٌ على طُول الصُّدودِ يدومُ)

على أن (ما) فى (قلّما) عند بعضهم زائدة ، ووِصال فاعلُ قلّما . وهى عند سيبويه كافّة ، ووصال مبتدأ .

أورده سيبويه (فى بابين من كتابه) الأول فى باب ما يحتمل الشعر ، قال : إنَّما الكلام وقَلَّما يدوم وصال . والثانى فى باب الحروف التى لا يليها بعدها إلاّ الفعل ولا تغيِّر الفعل عن حاله ، قال : ومن تلك الحروف ربّما وقلّما وأشباهُهما ، جعلوا ربَّ مع ما بمنزلة كلمةٍ واحدة وهيَّئوها ليُذكَر بعدها الفعل ، لأنَّهم لم يكن لهم سبيل إلى رُبَّ يقول ، ولا إلى قَلّ يقُول ، فألحقوهما وأخلَصُوهما للفعل . ومثل

(١) سيبويه ١ : ١٢ ، ٤٥٩ وشرح أبياته للسيرافى ١ : ١٠٥ والمقتضب ١ : ٤٨ والأصول ٢ : ٢٤٣ والمنصف ١ : ١٩١/٢ : ٦٩ والمحتسب ١ : ٩٦ والأزهية ٩٠ وابن الشجرى ٢ : ١٣٩ ، ١٤٤ والإنصاف ١٤٤ وابن يعيش ٤ : ٧/٤٣ : ٨/١١٦ : ١٣٢/ ١٠ : ٧٦ والممتع ٤٨٢ والضرائر ٢٠٢ والتصريح ١ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٨٣ ، ٢٢٤ ، وملحقات ديوان عمر بن أبى ربيعة ٤٩٤ .

ذلك : هَلاّ ، ولولا ، وألاّ ، ألزموهنَّ لا وجعلوا كلَّ واحدة مع لا بمنزلة حرفٍ واحد ، وأخلصوهنَّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التَّحضيض . وقد يجوز فى الشِّعر تقديمُ الاسم ، قال :

صددتَ وأطوَلْتَ الصُّدودَ ... البيت . انتهى .

قال النحاس : أخبرنا على بن سليمان ، عن محمد بن يزيد المبرد ، أنّه خالف سيبويه فى هذا وجعل ما زائدة ، وقدَّره : وقلّ وصال يدوم على طول الصدود . قال : والصواب عندى ما ذهب إليه سيبويه ، لأنّه إنّما أراد تقليلَ الدوام ، وقلَّما نَقِيضَةُ كثرُ ما [1] . وجعل سيبويه ما كافّة . انتهى .

٢٨٨ وقول الشارح المحقّق : « ووصال مبتدأ » ظاهره أنّه عند سيبويه مبتدأ . وليس كذلك ، وقصَدَ به ردَّ خمسةِ أقوال :

أحدُها : ما قدَّمه من أنَّ بعضهم ذهب إلى أنَّ (ما) فى الأفعال الثلاثة مصدرّية ، والمصدر فاعل الفعل . قال ابن خلف : لا يجوز أن تكون ما مصدرية لأنَّها معرفة ، وقلَّ تطلب النكرة ، تقول قلَّ رجلٌ يفعل ذلك ، فلذلك حكمتُ على مَنْ فى قولهم : قلَّ من يفعل ذلك ، أنَّها نكرة موصوفة . وأيضاً لو كانت مصدريَّةً لجاز أن تدخل على الماضى والمستقبَلِ ، وهى ههنا لا تدخل إلاَّ على المستقبل . انتهى .

ثانيها : قول المبرد ، وهو أنّ ما زائدة ووصالٌ فاعل قَلَّ . قال الأعلم : وهو ضعيف ، لأنّ ما إنّما تزاد فى قَلّ وربَّ ، لتليَهما الأفعالُ ، ويصيرا من الحروف المخترعة لها .

---

(١) فى النسختين : « نفيضه كثر ما » . والوجه ما أثبت . وفى اللسان : « ونقيضك : الذى يخالفك . والأنثى بالهاء » .

ثالثها ورابعها : ما ذهب إليه الأعلم قال : أراد وقلمَّا يدوم وصال ، فقدَّم وأخّر مضطرًّا لإقامة الوزن ، والوصال على هذا التقدير فاعل مقدَّم ، والفاعل لا يتقدَّم فى الكلام إلاّ أن يبتدأ به ، وهو من وضع الشيء غيرَ موضعه . ونظيره قولُ الزّباء :

* ما للجمالِ مشيُها وئيدا *

أى وئيداً مشيُها ، فقدّمت وأخّرت ضرورة . وفيه تقدير آخر وهو أن يرتفع بفعل مضمر يدلُّ عليه الظاهر ، فكأنّه قال : وقلما يدوم وصال يدوم . وهذا أسهل فى الضرورة ، والأوّل أصحُّ معنىً وإن كان أبعدَ فى اللفظ . انتهى .

وإلى الأوَّل منهما ذهب ابن عصفور (فى الضرائر) قال : يريد : وقلَّما يدوم وصال على طول الصدود . ففصَل بين قلّما والفعل بالاسم المرفوع وبالمجرور .

خامسها : ما ذهب إليه ابن السرَّاج ، قال (فى فصل الضرائر من الأصول): ليس يجوز أن ترفع وصالاً بيدوم ، ولكن يجوز عندى على إضمار يكون ، كأنّه قال : قلما يكون وصال يدوم على طول الصُّدود .

ولا يخفى أنّ هذا ليس من مواضع حذف كان . وقال أبو على : فاعلٌ ليثبت [١] أو يبقى ونحوه مما يفسّره يدوم .

وقد رَدّ أبو على وابن يعيش ما اختاره الشارح [٢] قال (فى البغداديات) : ولا يصلح ارتفاع وصال بالابتداء لأنّه موضع فعل ، كما لايصلح أن يرتفع الاسم عند سيبويه بعد هَلاّ التى للتحضيض ، وإن التى للجزاء ، وإذا الدالّةِ على الزمان

---

(١) ش : « هو فاعل يثبته » .

(٢) ش : « وقدره أبو على وابن يعيش بما اختاره الشارح » ، صوابه فى ط .

بالابتداء ، ولكن يكون العامل فى الاسم الواقع بعد هذه الحروف فعلاً يفسِّرُهُ ما يظهر بعدها من الأفعال .

وقد لخَّص ابن هشام (فى المغنى) هذه الأقوال فقال : وأمّا قوله :

* صددت فأطولت الصدود وقلما * ... البيت

فقال سيبويه : ضرورة . فقيل : وجه الضرورة أنَّ حقّها أن يليَها الفعلُ صريحاً ، والشاعر أوْلاها فعلاً مقدَّرا ، فإنّ وصال مرتفع بيدوم محذوفاً مفسَّرا بالمذكور . وقيل وجْهها أنّه قدم الفاعل . وردَّه ابن السِّيد بأنّ البصريِّين لا يجيزون تقديم الفاعل فى شعر ولا نثر . وقيل وجهُها أنّه أناب الجملة الاسمية عن الفعلية ، كقوله :

* فهلا نفس ليلى شفيعها [1] *

وزعم المبرّد أنَّ ما زائدة ، ووصال فاعل لا مبتدأ . وزعم بعضُهم أنَّ ما مع هذه الأفعال مصدريّة لا كافةٌ . انتهى .

وأُورد على ابن السِّيد بأنّ نصَّ سيبويه ظاهر بأنّ وجه الضرورة تقديم الاسم على رافعه . وإليه ذهب ابن عصفور . وليس هذا معنى كلام سيبويه ، فإنَّ معناه لما اضطُرَّ الشاعر قدّم الاسم بعد قلّما وأضمر الفعل ، لأنَّ قلَّما من أدوات الفعل ، فإنّها بمنزلة حرف النفى . كذا قرّره ابن خلف وغيرُه .

وقول ابن هشام : « ووصال فاعل لا مبتدأ » ، غير جَيّد ، فإنَّ المبرّد مراده أنّ وصالا فاعل قَلّ لا أنّه فاعل يدوم المذكور ، ولا غيرُهُ من الأوجه المذكورة .

---

(١) للصِّمة القشيرى ، كما سبق فى ٣ : ٦٠ . وهو بتمامه :

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة إلىَّ فهلا نفس ليلى شفيعها

٢٨٩ واختار أبو على مذهبَهُ وأيَّده فقال : ولو قال قائل إنّ ما فى البيت صلة ، ووصال فاعل قلّ ومرتفع به ، ويدوم صفة لوصال ، فلا يكون التأويل على ما ذكره سيبويه ، لأنّ الفعل يبقى بلا فاعل ، ولم نر فى سائر كلامهم الفعلَ بلا فاعل . وأيضاً فإنّ الفعل على تأويله يصير داخلا على فعل ، وهذا أيضاً غير موجود ، لكان عندى أثبت . ويقوِّى هذا أنّ الفعل مع دخول ما هذه عليه ، تجدُه دالاًّ على ما كان يدلُّ عليه قبل دخول هذا الحرف من الحدَث والزمان ، فحكمه أن يقتضىَ الفاعلَ ولا يخلوَ منه كما لم يخلُ منه قبلُ . ألا ترى أنَّ الاسم فى حال دخولِ هذا الحرفِ إيّاه على ما كان عليه قبلُ ، من انتصابه بالظرف ، وتعلُّقه بالفعل . فقوله :

أعلاقةً أُمَّ الوليِّدِ بعدَما ... أفنانُ رأسِكَ كالثُّغام المُخْلسِ (١)

بعدَ منتصبٌ بما نصب به المصدر الذى هو علاقةً ، فكذلك ينبغى أن يكون الفعل على ما كان عليه قبل دخول هذا الحرف ، من اقتضائه للفاعل وإسناده إليه . هذا كلامه .

وقوله : « ولم نر فى سائر كلامهم الفعل بلا فاعل » يرِدُ عليه زيادة كان فى نحو : ما كان أحسن زيدا . وفيه أيضا دخول فعل على فعل . فقوله « غير موجود » ممنوع .

وقوله : « ويقوِّى هذا أنَّ الفعل مع دخولِ ما هذه تجدُه دالاًّ » إلى اخره ، يرِدُ عليه أن الحرف المكفوف عن عمله باقٍ على معناه ، ولا يُنكَر أن يُكفَّ الفعل عن عمله فى الفاعل مع بقائه على معناه .

وقوله : « ألا ترى أنّ الاسم فى حالِ دخول هذا الحرف إياه على ما كان

---

(١) للمرار الأسدى ، وهو من شواهد سيبويه ١ : ٦٠ ، ٢٨٣ . وهو الشاهد ٩١٩ من الخزانة فيما سيأتى .

عليه قبل من انتصابه بالظرف وتعلُّقه بالفعلِ » إلخ هذا يشهد عليه لا له ، فإنَّ الكلام فى طلب المعمول لا فى طلب العامل ، والمعمول لبعدَ بالإضافة مفقودٌ لوجود المانع ، وهو الكفّ . وهذا هو المدّعَى . فلا يَرِدُ على سيبويه شئٌ ممّا ذكره . والله أعلم .

وروى أبو محمد الأعرابى :

صددتَ فأطولتَ الصُّدودَ ولا أرى   وصالاً على طُول الصُّدود يدومُ

وعليه لا شاهد فيه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للمرّار الفقعسى ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى ضالّة الأديب) ، و (فى فُرحة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(صَرمتَ ولم تصرِمْ وأنت صَرومُ   وكيف تصابِى من يقال حليمُ
صَددتَ فأطولْتَ الصُّدودَ وقلّما   وصالٌ على طُول الصُّدود يدومُ
وليس الغوانى للجَفاء ولا الذى   له عن تَقاضِى دَيْنِهنَّ هُمومُ
ولكنّما يستنجز الوعدَ تابعٌ   هَواهُنَّ حَلاّفٌ لهن أثيمُ)

الصَّرم : القطع ، صرمه صَرما من باب ضرب ، والاسم الصُّرم بالضم . وكيف استفهام إنكارىّ . وتَصابِى : مصدر تصابى : تكلّف الصَّبْوة ، وهو الميل إلى الجهل والفتوّة . يقال صبا يصبو صَبْوة . والحليم : الرَّزينُ الوقور . يعنى أيَجوز أن يتصابَى من يقال هو حليم .

و (الصدود) كالإعراض . و (أطْوَلْتَ) كان القياس فيه أطلت ، لكنَّه جاء مصحَّحا على الأصل كاستحوذ .

والغوانى : جمع غانية ، الجارية التى غَنِيت بزوجها ، وقد تكون التى غَنيَتْ بحسنها وجمالِها عن الزِّينة . والجفاءُ : خلاف البرّ ، وجفوته أجْفُوهُ ، إذا أعرضتَ

عنه . والتقاضى والاقتضاء : طلب الدَّين ، بفتح الدال . وهموم : جمع همّ ، مبتدأ وله خبر مقدَّم .

ويستنجز : يطلب النَّجاز ، وهو الوفاء . ويروى : « مُناهُنَّ » بدل « هواهنَّ » . قال أبو محمد : يقول : صرمتَ ولم تصرم صرم بَتَاتٍ ، ولكن صرمَ دلال . يخاطِب نفسَه ويلومُها على طول الصدود ، أى لا يدوم وصالُ الغوانى إلاّ لمن يلازمُهنَّ ويخضع لهنَّ . وفسر ذلك بالبيتين بعدهما . انتهى . ولمَّا كان العاشق لا يحصل منه صرم وإنّما الصرم يكون من المعشوق ، أجاب بأنه صَرَمَ دلالاً . وأجاب غيره بأنّه صرم تجلُّدٍ لا إعراض .

وظنَّ ابنُ هشامٍ أنَّ الخطاب مع الحبيبة لا مع النفس ، فقال فى بعض تعاليقه : إنّ الصواب فى البيت أن يقال : « وقلَّما وداد » عِوَض « وصال » ، وإن كان سيبويه وغيره أورده كذلك .

ونقله الدمامينى عنه (فى الحاشية الهندية) وقال : يعنى أنَّ تسليط النفى على دوام الوصال يقتضى وجود أصله ، وليس كذلك ، فإنّه لا وصال أصلاً مع الصُّدود طال أو لم يطل . انتهى .

ولا يخفى أنّه إذا كان خطاباً مع النفس فلا يرد هذا ، إذْ من الجائز أن يبقى الوصال من المحبوبة مع صدود المحبّ .

ولمّا لم يقف الدمامينى على الأبيات ظنّه وارداً ، فأجاب عنه بقوله : قد يقال عبَّر بالوصال عن إرادته وتوقُّعه ، أو على حذف مضافٍ للقرينة ، فإنّ المحبَّ قد ييأس من الوصل بطول الصدود واستمرار الإعراض ، فينقطِعُ رجاؤه منه ، وتوقُّعه له ، فيكون ذلك سبباً لسلوِّه وعدم إرادته للوصال . وكثيراً ما يقع ذلك لبعض الناس . انتهى .

وأجاب غيره أيضاً بأنّه إن أراد لا وصال مع الصُّدود فى زمنه فمُسَلَّم ، لكن من أين أنَّ ذلك مرادُ الشاعر . وإن أريد أنّه لا وصال منه مطلقاً فممنوعٌ ، لجوازِ تقدُّم الوصال على الصدود أو تأخُّره عنه . هذا كلامه .

ولو وقفوا على الأبياتِ لما فتحوا باب الإيراد والجواب .

وترجمة المرَّارِ الفقعسى تقدّمت فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(يَجْرَحْ فى عَراقِيبِها نَصْلِى)

هو قطعةٌ من بيت ، وهو :

(وإنْ تعتذْر بالمَحْلِ من ذِى ضُروعها إلى الضَّيف يَجْرَحْ فى عَراقيبِها نَصْلِى)

فاعل تعتذر ضمير الإبل . والمحْلُ : انقطاع المطر ويُبس الأرض . والمراد بذى ضروعها : اللبن . والنصل : حديدة السيف . ومعنى اعتذارها للضيف أن لا يُرى فى ضروعها لبن . يريد إنْ عُدِم لبنُها عَرقبتُها بالسَّيف وأطعمتُ لحمها للضُّيوف بدل لبنها .

وتقدّم شرحه فى الشاهد الثالث بعد المائة (٢) .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ — ٢٨٩ .
(٢) الخزانة ٢ : ١٢٨ — ١٣٠ .

الحروف المشبَّهة بالفعل

أنشد فيها ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد الثانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٤١ (ياليتَ أيّامَ الصِّبَا رواجعَا)

على أنّ الفراء استشهد به على نصب المبتدأ والخَبر بليت .

٢٩١ وقدَّر الكسائىُّ رواجعَ خبراً لكان المحذوفة ، لأنَّ كان تستعمل كثيراً هنا ، قال تعالى : ﴿ يا ليتَها كانَتِ القَاضيةَ [(٢)] ﴾ وقال تعالى : ﴿ ياليتَنى كُنْتُ معهم [(٣)] ﴾ ، وقال الشاعر :

* يا ليتَها كانت لأهلى إبِلا [(٤)] *

وقد بيَّن الشارح المحقق ضعفه . ومِثله (فى مغنى اللبيب) ، واعتَرَضَ عليه بأنّ تقدُّم إن ولو الشرطيتين شرطٌ لكثرة حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها .

ولا محذور فى كون البيت من القليل .

والبصريُّون يقدرون خبر ليت محذوفا ، ورواجعَ حال من ضميره ، والتقدير : ياليت لنا أيام الصبا رَوَاجع ، ويا ليتها أقبلت رواجع . قال سيبويه (فى

---

(١) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وانظر ابن سلام ٦٥ ودلائل الإعجاز ٢١٠ وابن يعيش ١ : ١٠٣ ، ١٠٤ / ٨ : ٨٤ ورصف المبانى ٢٩٨ والمغنى ٢٨٥ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ٢ : ٢٧٠ وملحقات ديوان رؤبة ٨٢ .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحاقة .

(٣) الآية ٧٣ من سورة النساء .

(٤) من شواهد سيبويه ٢ : ٤٦ وابن يعيش ٦ : ٣٤ ، ٩٧ – ٩٨ .

باب ما يحسن عليه السكوتُ ، فى هذه الأحرف الخمسة) يعنى إنّ وأخواتها ، نحو : إنّ مالا وإنَّ ولدًا . إلى أنْ قال : ومثل ذلك قولُ الشاعر :

* ياليت أيامَ الصِّبا رواجعا *

فهذا كقولك : ألا ماء بارداً ، كأنّه قال : ألا ماء لنا بارداً . وكأنَّه قال : ياليت لنا أيامَ الصبا رواجعَ ، أى ياليت أيام الصبا أقبلت رواجع . انتهى .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : المشهور رفع أخبار هذه الحروف . وذهب ابنُ سلاّم (فى طبقات الشعراء) وجماعةٌ من المتأخرين إلى جواز نصبه ، والكسائىُّ إلى جوازه فى ليت . وكذا فى نقْلٍ عن الفرَّاء ، وعنه أيضا فى ليت وكأنّ ولعلّ . وزعم ابنُ سلاّم أنّها لغة رؤبة وقومِه ، وحُكىَ عن تميم أنّهم ينصبون بلعلَّ ، وسُمع ذلك فى خبر إنّ وكأنّ ولعلّ ، وكثُر فى خبر ليت حتَّى عمِل عليه المولَّدون . قال ابن المعتز :

مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلُت لها ... طوباكِ ياليتنى إيّاكِ طُوباكِ [١]

ولم يحفظ فى خبر أنّ ولا فى خبر لكنّ . انتهى .

قال ابن هشام : ويصحُّ بيت ابن المعتز على إنابة ضمير النَّصب عن ضمير الرفع . انتهى .

وزعم أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) أنّ نصب الجزأين بليتَ لغة بنى تميم . قال عند ذكر أسماء القوس ، وأورد مثلاً من أمثالهم ، ما هذا نصُّه : وزعم أبو زيادٍ أنّ يد القوس السِّيَة اليُمنى . قال : واليمنى ما يكون عن يمينك [٢]

---

(١) المغنى ٢٨٥ وديوان ابن المعتز ٢٢٠ صنعة الصولى ، وأوراق الصولى ٢٨٦ .

(٢) ط : « على يمينك » .

حين تقبضُ عليها وترمى ، ورجلها عن يسارك حين ترمى . وقال : رِجْل القوس أتمُّ من يدها . قال : ومن أمثال العرب : ليت القياسَ كلَّها أرجُلاً .

كذا قالها نصبا ، وهى لغة لبنى تميم . وقال ابن الأعرابى : أرجُل القسىِّ إذا أُوترت : أعاليها ؛ وأيديها : أسافلها ؛ وأرجُلها أشدُّ من أيديها . وأنشد :

* ليت القسىَّ كلَّها من أرجلِ [1] *

والقول ما قال أبو زياد . انتهى .

وظهر من كلام ابن الأعرابىّ أنّ المثل المذكور بيت ، وأنّ خبر ليت فيه الجار والمجرور ، لا كما رواه أبو زياد ؛ فإنّه مغيَّر من هذا . والله أعلم .

والبيت الشاهد من الأبيات الخمسين التى ما عرف قائلوها . والله أعلم .

وبيت ابن المعتز من أبياتٍ قالها حين ما سُلِّم لمؤنِس [2] للقتلِ ، وهى :

يا نفسُ صبراً لعلَّ الخير عقباكِ ... خانتكِ من بعد طُول الأمنِ دُنياكِ

مرَّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها ... طوباكِ ياليتنى إيّاكِ طوباكِ

إن كان قصدُك شوقاً بالسَّلام على ... شاطِى الفراتِ ابْلِغى إن كان مثواكِ [3]

من مُوثَق بالمنَايَا لا فِكاك له ... يبكى الدِّماءَ على إلفٍ له باكِى [4]

(١) أمثال الميدانى ٣ : ١٠٤ والمستقصى ٢ : ٣٠٢ .

(٢) مؤنس الخادم المظفر ، أو خادم المعتضد ، وصاحب الشرطة ، وكان قد قام بحبس عبد الله بن المعتز . وقصى بن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد ، بأمر الوزير القاسم بن عبيد الله ، فحبسهم إلى أن أمر المكتفى بالله بن المعتضد بالله بإطلاقهم ، ولما تولى الأمر أخوه المقتدر بن المعتضد سنة ٢٩٥ ، حدثت فتنة بويع خلالها عبد الله بن المعتز فتولى الخلافة يوما وليلة ، ثم حدثت فتنة الخزر وهرب عبد الله بن المعتز إلى دار ابن الجصاص واستخفى عنده ، وسعى خادم لابن الجصاص فحدر إلى دار الخليفة ، ثم سلم إلى مؤنس الخادم فقتله ووجه به إلى منزله فدفن هنالك . التنبيه والإشراف ٣٢٦ — ٣٢٧ وتاريخ بغداد ١٠ : ٩٥ — ١٠١ . ط : « ليؤنس » ش : « ليونس » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) فى تاريخ بغداد ١٠ : ١٠٠ :

إن كان قصدك شرقا فالسلام على ... شاطى الصراة ابلغى إن كان مَسراك

(٤) فى النسختين : « من موثق بالمنى ما لا فكاك له » ، صوابه من تاريخ بغداد .

إلى أن قال :

أظنُّه آخرَ الأيام من عُمرى وأوشكَ اليومَ أن يبكِى له الباكى[1] ٢٩٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد الثمانمائة [2] :

٨٤٢ (كأنَّ أذْنَيهِ إذَا تشوَّفا قادمةً أو قلماً مُحرَّفا)

على أن أصحابَ الفرّاء جوَّزوا نصبَ الجزأين بالخمسة الباقية أيضا ، ومنها كأنَّ ، وقد نصب الشاعرُ بها الجزأين : الأول أذنيه [3] ، والثانى قادمة .

فإن قلت : كيف أخبر عن الاثنين بالواحد ؟ قلت : إنَّ العضوين المشترِكين فى فعلٍ واحد مع اتّفاقهما فى التسمية يجوز إفرادُ خبرهما ، لأنّ حكمهما واحد .

وقد ذكرناهُ مفصَّلاً فى باب المثنى .

وقد أجيب عن نصب الخبر بأجوبة :

(أحدها) : ما قاله الشارح المحّقق ، أنّه لحنٌ ، وقد خطِّىء قائله وقتَ إنشاده وأُصلِح له بما ذكر . قال المبرد (فى الكامل) : حدِّثت أنّ العُمَانىَّ الراجز أنشد الرشيدَ فى صفة فَرس : صاحب الشاهد

كأنّ أُذْنيه إذا تشوَّفا قادمةً أو قلماً محرَّفا

---

(١) فى تاريخ بغداد : « لى الباكى » ، وهو الوجه .

(٢) الكامل ٥١٣ والعقد ٥ : ٣٦٧ والسمط ٨٧٦ والخصائص ٢ : ٤٣٠ وزهر الآداب ٣٠٧ والمخصّص ١ : ٨٢ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٧١ والضرائر ١٠٧ والمغنى ١٩٣ والهمع ١ : ١٣٤ والأشمونى ١ : ١٧٠ .

(٣) ط : « والأول أذنيه » .

فعلم القومُ كلُّهم أنه قد لحَن ، ولم يهتدِ أحدٌ منهم لإصلاح البيت [١] إلاّ الرشيد ، فإنّه قال له : قل :

* تخالُ أذْنيهِ إذا تشوَّفا *

والراجز وإن كان قد لحن فقد أحسن التشبيه . انتهى .

وكذا نقل ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) ، وكذا روى الصولىّ (فى كتاب الأوراق) عن الطيّب بن محمد الباهلى ، عن موسى بن سعيد بن مسلم [٢] ، أنّه قال : كان أبى يقول : كان فهمُ الرّشيد فهْمَ العلماء ، أنشده العُمانىُّ فى صفة فرسٍ : « كأنّ أذنيه » البيت ، فقال له : دَعْ كأنّ وقُلْ : تخال أذْنيه ، حتَّى يستوىَ الشعر .

وقال ابن هشام (فى المغنى) : وقيل أخطأ قائله ، وقد أنشده بحضرة الرشيد فلحَّنه أبو عمرو والأصمعىُّ . وهذا وهمٌ ، فإنّ أبا عمرٍو توفِّىَ قبل الرشيد . وتعقَّبه شُرّاحه بأنَّ هذا لا يصلح تعليلاً للوهم ؛ فإنّ سَبْق وفاةِ أبى عمرٍو الرشيدَ لا ينافى حضورَ مجلسه ولو غير خليفة ، إلاّ أن يراد وهو خليفة ، لأنّ أبا عَمرو توفِّىَ سنة أربع وخمسين ومائة ، والرَّشيد إنّما ولى الخلافة سنة سبعين ومائة .

---

(١) هذا ما فى ط والكامل . وفى ش : « إلى إصلاح البيت » .

(٢) لم أجد هذا الخبر فيما طبع من الأوراق . لكن ورد فى بعض الأسناد من الأوراق ٧٧ « موسى بن سعيد بن سالم » ، وفى طبقات ابن المعتز ١٣٢ « موسى بن سعيد بن مسلم » كما هنا . والصولى يكثر من ذكر سعيد بن سالم الباهلى ، وذلك فى قسم أخبار الشعراء ٨٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ولا ريب أن صوابه سعيد بن سلم الباهلى . وأنشد ابن المعتز فى الطبقات ٢٣٩ من هجاء مسلم بن الوليد لسعيد بن سلم :

وأحببت من حبها الباخليـــ ـــن حتى وَمِقتُ ابن سلم سعيدا

وانظر جمهرة ابن حزم ٢٤٦ وتاريخ بغداد ٩ : ٧٤ .

واعترض ابن السيد البطليوسى (فى حاشية الكامل) على المبرِّد بأنّ هذا لا يُعدُّ لحناً ، لأنّه قد حُكى أنّ من العرب من ينصب خبر كأنّ ويشبِّهها بظننت . وعلى هذا أُنشِد قول ذى الرمة :

كأنَّ جلودَهـنَّ مموَّهـــاتٍ   على أبشارها ذهباً زُلالا [١]

وعليه قول النابغة الذبيانى :

كأنَّ التاجَ معصوبـاً عليـه   لأذْوادٍ أُصبن بذى أبانِ [٢]

فى أحد التأويلين . انتهى .

ويُمنَع الأوّل بجعل مموهاتٍ حالا من جلود ، لأنه مفعول فى المعنى ، والخبر هو قوله على أبشارِها . والرواية مموهاتٌ على الخبرية . يصف النِّساءَ . والمموَّهات : المطْليّات . والأبشار : جمع بشَرة ، وهى ظاهر الجلد . وذهباً المفعول الثانى لمُمَوَّهات . يقال موَّهه ذهباً . والزُّلال : الصافى من كلّ شئ .

ويُمنع الثانى أيضاً بجعل عليه هو الخبر ، ومعصوباً حالاً من التاج . وذو أبان : موضع . يريد أنّه أغار على قومٍ فأخذ منهم أذوادَ إبل ، فيظنُّ نفسه مَلِكاً . يهزأ به .

والجواب (الثانى) أنّ خبَر كأنّ محذوف ، وقادمة مفعوله ، والتقدير : يحكيان قادمة .

و(الثالث) : أنّ الرواية :

٢٩٣

---

(١) ديوان ذى الرمة ٤٣٣ وأساس البلاغة (زلل) . وأنشده فى اللسان (زلل ٣٢٧) برواية : « ذهب زلال » محرفا .

(٢) ديوان النابغة ٧٦ .

* قادمتَا أو قلمَا محرَّفا *

بألفاتٍ من غير تنوين ، على أنَّ الأَصل قادمتان وقلمان محرَّفان ، فحذفت النون لضرورة الشِّعر . وعليه اقتصر ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وقال : هكذا أنشده الكوفيُّون ، ونظَّروا به قولَ أبى حِنّاء [1]:

* قد سالمَ الحياتِ منه القدَما *

بنصب الحيات وحذف النون من القدمان .

و (الرابع) : أنّ الرواية : « تخال أذنَيه » لا : كأنّ أذنيه .

حكى هذه الأجوبَة ابنُ هشامٍ (فى المغنى) .

والعامل فى إذا ما فى كأنَّ من معنى التّشبيه . وتشوَّف : تطَلَّع . والمراد نصب الأذن للاستماع . ويجوز أن تكون ضمير الاثنين ، وأن تكون للإطلاق .

و (القادمة) : إحدى قوادم الطير ، وهى مقاديم ريشهِ ، فى كلٍّ جناح عشرة . و (القلم) : آلة الكتابة . و (المحرَّف) : المقطوطُ لا عَلَى جهة الاستواء ، بل يكون الشقُّ الوحشىّ أطولَ من الشق الإنسى .

وهذا المعنى أصلُه لعدىّ بن زيدٍ العِبادى ، وهو :

يَخْرُجْنَ منْ مستطير النَّقعِ دامِيةً كأنَّ آذانها أطرافُ أقلامِ [2]

العُمانىّ الراجز

والعُمَانى من مخضرمى الدولتين ، عاش مائة وثلاثين سنة . قال ابن قتيبة

---

(١) كذا فى الضرائر ١٠٧ . وانظر معجم الشواهد حيث نسب إلى أبى حيان الفقعسى ، أو العجاج ، أو مساور العبسى .

(٢) ملحقات ديوان عدى ٢٠٢ . ونسب فى العمدة ١ : ١٧٦ إلى جرير ، وليس فى ديوان جرير . وورد بدون نسبة فى الأمالى ٢ : ٢٤٧ لكنه نسب فى السمط ٨٧٦ والعقد ١ : ١٦١/٣ : ٤٦٣ إلى عدى بن الرقاع .

(فى كتاب الشعراء) : العمانى الفُقَيمى هو محمد بن ذؤيب ، ولم يكن من أهل عُمَان ، ولكن نظر إليه دُكينٌ الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنّه كان مصفرًّا مطحولا ، وكذلك أهل عُمان . وقال الشاعر :

ومَن يسكُن البَحرينِ يعظُمْ طِحالُه ويُغبَطْ بما فى بطنه وهو جائعُ [1]

ودخَل على الرشيد لينشده ، وعليه قَلنسوةٌ وخُفٌّ ساذَج ، فقال : إيَّاك وأن تدخل إلىّ [2] إلاّ وعليك خُفّانِ دُمالِقان [3] وعمامةٌ عظيمة الكَوْر . فدخل عليه وقد تزيَّا بزىِّ الأعراب ، فأنشده وقبَّل يده وقال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مروانَ ورأيتُ وجهَه وقبّلتُ يدهَ ، وأخذتُ جائزته . ثم يزيدَ بن الوليد ، وإبراهيم بنَ الوليد ، ثم السَّفاح ، ثم المنصورَ ، ثم المهدِىَّ ؛ كلَّ هؤلاء رأيتُ وَجْهَهم وقبلّت أيدِيَهم وأخذتُ جوائزهم ، لا والله ما رأيت فيهم يا أمير المؤمنين أندى كَفًّا ، ولا أبهى منظراً ولا أحسن وجهاً منك . فأجزلَ له الرشيد الجائزةَ وأضعَفَها له على كلامه ، وأقبل عليه فبسَطَه ، حتَّى تمنّى جميع مَن حضرَ أنّه قام ذلك المقام . انتهى .

وعزا بعضُهم هذا الشعرَ لأبى نُخيلة ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد العشرين من أول الكتاب [4] .

وزعم ابن المُلاّ (فى شرح المغنى) أنّ العُمانى كنيته أبو نخيلة . وهو خلاف الواقع ، بل هما راجزان .

---

(١) الحيوان ٤ : ١٣٩ والشعراء ٧٥٥ .

(٢) ش : « وأن تدخل علىّ » .

(٣) فى النسختين : « دلقمان » ، وهو المطابق لما فى الشعر والشعراء ، وعيون الأخبار . ولا وجه له ، والصواب « دمالقان » كما فى البيان ١ : ٩٥ . والدمالق : المستدير الأملس . وانظر العقد ٢ : ١٣٩ فالكلمة فيه محرفة أيضا .

(٤) الخزانة ١ : ١٦٥ .

وعُمَان بضم العين وتخفيف الميم : بلد على شاطئ البحرين ، بين البَصرة وعدن ، وإليه يضاف الأزد فيقال : أزد عُمَان . كذا بخط مُغُلْطاى على هامش (معجم ما استعجم للبكرى) . وقال البكرى : عُمان : مدينةٌ معروفة إليها ينسب العُمانىّ الراجز ، سمِّيت بعُمان بن سنان بن إبراهيم ، كان أوّل من اختطَّها . ذكر ذلك الشرقىُّ بن القُطامّى . وأمّا عَمَّان بفتح العين وتشديد الميم ، فهى قرية من عمل دمشق ، سمِّيت بعَمَّان بن لوط عليه السلام . انتهى .

تتمَّة

قول الشارح المحقِّق : ويجوز عند بعض أصحاب الفراء نصب الجزأين بالخمسة الباقية أيضاً ، تقدم عن أبى حيَّان أنّه لم يرد نصب خبر أنّ المفتوحة الهمزة وخبر لكنّ [١] ، فالوا رِدُ عندهم إنّما هو فى أربعةٍ منها : فى ليت وفى كأنَّ ، وتقدَّما . الثالث : إنّ المكسورة . وأنشدوا :

٢٩٤ إذا اسودَّ جُنح اللَّيل فلتَأتِ ولتكُنْ خُطاك خِفافاً إنَّ حُرّاسَنا أُسدا[٢]

وخُرّج على حذف الخبر ونصب أسدًا على الحاليَّة ، أى تلقاهم أُسدا .

وأمَّا الحديث فقد أورده ابن هشام (فى المغنى) كذا : « إن قعرَ جهنَّم سبعين خرِيفاً » بلا لام ، وقال : خُرِّج الحديثُ على أنّ القعر مصدر قعرت البئر ، إذا بلغتَ قعرها . وسبعين ظرف ، أى إنَّ بلوغ قعرها يكون فى سبعين عاما .

وهذا التخريج والرواية غير ما ذكره الشارح .

---

(١) انظر ما مضى فى ص ٢٣٥ س ١٣ .

(٢) نُسِب فى شرح الشواهد للسيوطى ٤٥ وللبغدادى ١ : ١٨٣ إلى عمر بن أبى ربيعة . وليس فى ديوانه .

والرابع : لعلّ . قال ابن هشام (فى المغنى) : قال بعض أصحاب الفرّاء : وقد تنصبهما . وزعم يونس أنّ ذلك لغةٌ لبعض العرب ، وحَكى لعلَّ أباك منطلقاً ، وتأويله عندنا على إضمار يوجد ، وعند الكسائىِّ على إضمار يكون . انتهى .

وذاك الحديث هو كلام أبى هريرة لا من كلام النبى ﷺ ، والمروى : « لسبعين » باللام . والحديث رواه مسلم (فى أحاديث الشفاعة [1] فى أواخر كتاب الإيمان من أول صحيحه) عن أبى هريرة وحُذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمعُ اللهُ تبارك وتعالى الناسَ فيقومُ المؤمنون حَتّى تُزْلَفَ لهم الجنّةُ ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتحْ لنا الجنَّة . فيقول : وهل أخرجَكمْ من الجنّة إلاّ خطيئة أبيكم آدم ».وذكر الحديث بطُوله ، وآخرُه : « والذى نفس أبى هريرة بيده إنّ قَعرَ جهنّم لسبعون خريفا » . قال النَّووى : وقع فى بعض الأصول « لسبعون » بالواو ، وهو ظاهر ، وفيه حذفٌ تقديره : إنّ مسافة قعر جهنم سيرُ سبعين سنة . ووقع فى معظم الأصول والرِّوايات : « لَسَبعين » بالياء ، وهو صحيحٌ أيضاً ، إمّا على مذهب من يحذف المضاف ويُبقى المضاف إليه على جرّه فيكون التقدير : سير سبعين . وإمّا على أن قعر جهنَّم مصدر ، يقال قعرت الشيء إذا بلغتَ قعره ، ويكون سبعين ظرف زمان ، وفيه خبر إنَّ ، والتقدير : إنَّ بلوغ قعر جهنم لكائنٌ فى سبعين خريفاً . انتهى .

وقال القرطبى : الأجود رفع لسبعون على الخبر ، وبعضهم يرويه لسبعين ، يتأوَّل فيه الظرف . وفيه بُعدٌ . انتهى .

* * *

(١) الحق أنه فى باب (أدنى أهل الجنة منزلة فيها) . انظر صحيح مسلم ١ : ١٢٩ صبيح و ١ : ١٨٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٤٣ (يا ليتَ أنِّى وسُبيعاً فى غَنَمْ   والخُرْجُ منها فوق كَرّازٍ أجَمّْ)

على أنّ (أنَّ) مع اسمها وخبرها مُغْنية عن المعمولين ، وهذا مما انفردت به ليت .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : ولا يجوز دخول لعلّ على أنّ فتقول : لعلّ أنّ زيداً قائم ، ولا كأنّ [٢] فتقول : كأنَّ أنّك ذاهب ، ولا لكنَّ [٣] فتقول : لكنَّ أنَّك منطلق ، خلافاً للأخفش فى هذه الثلاثة . ولا دخولُ إنَّ على أنَّ فتقول إنّ أنَّ زيداً منطلقٌ حقّ ، وإنّ أنَّك قائم يُعجبنى . خلافاً للفراء وهشام . ومذهبُ سيبويه أنّه لا يجوز شيءٌ من هذا إلاّ بفصل أخبار بينها وبين أنّ ، إلاّ ما جاء فى ليت . فتقول : إنّ عندى أنَّك فاضل ، وكأنَّ فى نفسك أنَّك عالم ، وكذا ما قبلها . انتهى .

وقال ابن الخباز (فى النهاية) : يجوز إدخال إنّ وأنَّ على أنْ المصدرية من غير فعل ، نحو : إنَّ أن تزورنا خير لك ، وعلمت أنّ أنْ تطيع الله خيرٌ لك . انتهى .

واعلم أنّه قد تزاد الباء فى أنَّ بعد ليتَ ، نحو قوله :

* فليت بأنَّه فى جوفِ عِكمٍ *

كما نبَّه عليه الشارح المحقِّق فى خبر ما ولا ، وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين بعد المائتين [٤] .   ٢٩٥

---

(١) إصلاح المنطق ٤٥١ وابن يعيش ٨ : ١١١ واللسان (كرز ٢٦٦ سبع ١٣) .

(٢) فى النسختين : « ولا على كأن » والصواب حذف « على » فيهما ليستقيم القول .

(٣) فى النسختين : « ولا على لكن » ، وإنما المراد أن لكن لا تدخل على أنّ .

(٤) الخزانة ٤ : ١٥٢ . وهو عجز بيت للحطيئة صدره :

* ندمت على لسان كان منى *

والبيت أنشده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) قال فيه : يقال جعل مَتَاعَه فى خُرجِهِ وكرزه ، والكُرز والخرج سواء . ويقال للكبش الذى يحمل خُرج الراعى كَرّاز . قال الراجز :

ياليت أنّى وسبيعاً إلخ . قال شارحه اللَّبْلىُّ : الخُرْج : الوعاء من صوفٍ أو أدمٍ أو كتّان ، والجمع أخراج وخِرَجَة . وقال أبو عبيدة : الكُرز : الجوالق الصَّغير ، وإنّما سمى الكبش كرّازًا لأنّه يحملَ خُرجَ الراعى بزاده وبأداة كِنْفِه ، وحجارتِه وزناده . وقوله : إنّ الخرج والكرز واحدٌ هو الصحيح ، لأنَّ الكبش لا يحمل الجُوالق إنّما يحمل الخُرج . وقوله : « يا ليت أنى » البيت يقول : ياليتنى وهذا الرجلَ فى غنمٍ نسوقهُا ، وقد عَلّقتُ على كبشٍ منها خُرجاً فيه زادى . انتهى .

وقال شارح أبياته يوسف بن السِّيرافى : الأجمّ ، بالجيم : الذى لا قرنَ له . وإنَّما تمنّى أن يكون الخرج على كبشٍ أجمَّ لأنّه لا ينطح ولا يُؤذى . وسُبَيع : اسم رجل ، يجوز أن يكون ابنَه أو صاحبه . انتهى .

وأورده الجوهرى فى موضعين (من الصحاح) أوَّلهما فى (كرز) قال فيه : ابن السكيت : الكرز : الخُرج . قال : والجمع الكِرَزة مثل جُحر وجِحرَة . والكرَّاز : الكبش الذى يحمل كُرزَ الراعى ولا يكون إلاّ أجمّ ، لأنَّ الأقرَنَ يشتغل بالنطاح . وأنشد : « يا ليت أنّى وسبُيعاً » إلخ . والموضع الثانى أورده فى مادة (سبع) قال : سُبَيع بالتصغير : اسم رجل .

ولم يكتب ابن برى (فى حاشيته عليه) هنا شيئاً . وكذلك الصَّفَدى . وحذا حذوه الصاغانى (فى العباب) ، ولم أر منهم من ذكر قائله .

وقوله : (والخرج) مبتدأ ، وفوق ظرفٌ خبره ، ومنها حال من الضمير المستتر فى أجمّ .

* * *

وأنشد بعده :

(جاءوا بَمذقٍ هل رأيتَ الذِّئبَ قَطّ)

على أن جملة (هل رأيتَ) إلخ فى موضع الصفة لمذق ، بتأويلٍ ، وهو أن تكون محكيّةً بقول محذوف هو الوصف ، والتقدير : جاءوا بمذق مقولٍ فيه : هل رأيت إلخ .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد السادس والتسعين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٤٤ (ولو أرادَتْ لقالت وهى صادقةٌ إنّ الرياضةَ لا تُنصِبْكَ للشّيبِ)

على أنّ الجملة الطلبية يجوز أن تقع خبراً لإنّ كما هنا ، فإنَّ جملة النهى ، وهى جملة لا تنصبك ، خبر إنّ . وكذا قال أبو على (فى كتاب الشعر) ، وأنشد هذا البيت :

.... ذكِّرينى ودَلّى دَلَّ ماجدةٍ صَنَاعِ [٣]

و (فى الارتشاف) : وفى دخول إنَّ على ما خبرهُ نهىٌ خلاف ، صحَّح ابن عصفور جوازه (فى شرحه الصغير للجمل) ، وتأوَّل ذلك (فى شرحه الكبير) فى قوله :

* إنّ الرياضة لا تُنصِبْك للشيبِ *

---

(١) الخزانة ٢ : ١٠٩ — ١١٢ .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٣٢ ورصف المبانى ١٢٠ برواية : « للكذب » محرفة ، والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣٦ . وهو من أبيات المفضليات ٣٤ .

(٣) نوادر أبى زيد ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٨ . وهو لبعض بنى نهشل ، وهو الشاهد ٧٣٨ من الخزانة . وصدره :

* وكونى بالمكارم ذكرينى *

وعلى المنع نصوصُ شيوخنا . وقال (فى شرحه الصغير لكتاب الجُمَل [١]) : أمَّا الجملة غير المحتملة للصدق والكذب ففى وقوعها خبراً لهذه الحروف خلاف ، والصحيح أنّها تقع فى موضع خبرها . انتهى . فأطلق . ولا يصحُّ أن يكون فى ليت ، ولا لعلّ ، ولا كأنّ . وإنْ أُلحقَ لكنَّ بإنّ فيمكن . انتهى .

وكان عليه أن يضم إلى هذه الثلاثة أنّ المفتوحة الهمزة كما بينّه الشارح المحقق . فظهر أنّ وقوع الطلبية فى إنّ المكسورة فيه خلاف : منهم مَنْ أجاز ، ومنهم من منع . ٢٩٦

ولم يصب ابن هشام فى النَّقل عن النحويِّين أنَّهم منعوا وقوع الطلبية خبراً لها ، وأضمر القول فى قوله :

إنّ الذين قتلتم أمسِ سيِّدَهمْ ... لا تحسبوا ليلَهمْ عن ليلكم ناما [٢]

وقول الآخر :

إنى إذا ما القومُ كانوا أنجيَـهْ ... واضطربَ القومُ اضطرابَ الأرشَيه

* هناك أوصينى ولا تُوصِى بيَهْ [٣] *

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ عدّتها اثنا عشر بيتا ، للجُميح الأسدى ، ذكر فيها نشوزَ امرأته لقلَّة ماله ، أوردها المفضل الضبى (فى المفضليات) ، وأوَّلها :

أبيات الشاهد

أمست أمامةُ صمتاً ما تكلِّمنا ... مجنونةٌ أم أحسَّتْ أهلَ خَرُّوبِ

مرّتْ براكب ملهوزٍ فقال لها ... ضُرِّى الجميحَ ومَسِّيه بتعذيبِ

ولو أصابت لقالت وهى صادقة ... إنّ الرياضةَ لا تنصبْك للشِّيبِ)

---

(١) ط : « على الجملة » ، صوابه فى ش .

(٢) البيت لأبى مكعت ، وتخريجه فى معجم الشواهد .

(٣) لسحيم بن وثيل كما فى معجم الشواهد .

أُمامة : زوج الجميح . وصمتاً : مصدر وقع حالا . وأهل خَرّوب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء : قومُها [١] . قال ابن الأنبارى (فى شرحه) : يقول : ما لها أمست صامتةً أى ساكتةً لا تكلِّمنا ، أخالطها جنونٌ أمْ لقيت أهل خرّوب ، وهم قومها ، فأفسدوها فغضبت .

وقوله : « مرت براكب » إلخ يقول : مرَّت براكبِ جَملٍ ملهوزٍ [٢] فأفسَدَها على زوجها . والملهوز : الموسوم فى أصل لَحييه ، أى أمرها بمضارّة زوجها ليطلِّقها فيتزوَّجها . قال ابن الأنبارى : ملهوز : موسوم بغير ميسمه . يقول : مرَّت برجلٍ من أعدائه ومَنْ مِيسَمُه غير ميسمى ، فأمرها بمضارَّتى . ويقال : مرَّت برجل من قَومِها فأفسدها عليه ليتزوَّجها . وضُرِّى بضم الضاد : أمر بالضَّرّ . ومَسِّيهِ ، بفتح الميم ، أى أوصلى إليه العذاب . فى المصباح : مَسِسته من باب تعب ، وفى لغة مسَسْتُه مسًّا ، من باب قتل : أفضيت إليه من غير حائل . هكذا قيَّدوه .

وقوله : (ولو أرادت لقالت) رواية ابن الأنبارى « ولو أصابت لقالت » . والرياضة : تهذيب الأخلاق النَّفسية . و (تنصبك) : مضارع أنصبه إنصابا أى أتعبه ، متعدِّى نَصِب نصَباً من باب فرح ، إذا تعب وأعيا . وللشِّيب متعلّق برياضة ، وهو جمع أشيب . فى المصباح : شاب يشيب شيبا وشَيبةً ، والرجل أشيَب على غير قياس ، والجمع شِيب . ولا يقال امرأةٌ شيباءُ ، وإن قيل شاب رأسُها . والمَشيب : الدُّخول فى حدِّ الشّيب . وقد يستعمل المشيب بمعنى الشَّيب ، وهو ابيضاض الشعَرِ المسودّ . قال ابن الأنبارى : يقول : أناشَيْخٌ مجرِّب

---

(١) وأما خروب فهو موضع فى ديار غطفان كما فى معجم البكرى ١ : ٤٩٣ . واكتفى ياقوت بقوله: « وهو اسم موضع » ، ولم يعينه .

(٢) ط : « مرت بجمل ملهوز » ، صوابه ما أثبت من ش .

لا أحفِل بمضارّتها ، لعلمى بإرادتها . وقال الأصمعىّ : قوله لا تُنصبك للشّيب ، نهاه عن رياضة المَسانّ . يقول : ولو أصابت الصَّواب ووَفِقَتْ له لقالت للرجلِ الذى أمرَه بمضارّتى : لاجَعلك الله ممن يَنْصَبُ برياضة المسَانّ ، فإنَّ رياضتك إيّاهم عناءٌ عليك ، وتعبٌ لا يُجدِى عليك شيئا ، لأنهم قد يئسوا عن ذلك وجَرّبوا ، فلا يسمعون ما يؤمرون به ، لما مَعهم من التجربة . وهذا دعاءٌ فى صورة النهى : قال بعض المحْدَثين :

كِبر الكبيـــرُ عن الأدَبْ   أدبُ الكـبير من التَّـعَبْ

الجميح الأسدى

والجُميح ، بضم الجيم وفتح الميم مصغّر ، قال ابن الأنبارى : هو لقب ، واسمهُ منقِذ بن الطَّمّاح بن قيس بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن طريف بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر بن نزار ابن معَدّ بن عدنان . قال أحمد [1] : والطمَّاح بن منقذ هو صاحبُ امرىء القيس الذى دخلَ معه بلادَ الرُّوم ، ووشَى به إلى قيصر فصار سبباً لهلاكه . وإيّاه عنَى امرؤُ القيس بقوله :

٢٩٧

لقد طمحَ الطمَّاحُ من بُعدِ أرضه   ليُلبِسَنى من دائه ما تلبَّسا[2] . انتهى

وقال أبو عبيد البكرى (فى شرح أمالى القالى) : الجميح لقبُه ، واسمهُ منقذ بن الطمّاح بن قيس الأسَدى . وهو فارسٌ شاعر جاهلىٌّ ، قتل يومَ جبلة . انتهى .

والبيت الذى أورده ابن هشام ، وهو :

* إنّ الذين قَتلتم أمسِ سيِّدَهم * إلخ

---

(١) أحمد بن عبيد بن ناصح ، حدث عن الأصمعى والواقدى ، وعنه القاسم بن محمد الأنبارى . توفى سنة ٢٧٨ .

(٢) ديوان امرىء القيس ١٠٨ .

لم يعرفه شُرّاح المغنى . وقد أورده أبو محمدٍ الأعرابىّ (فى ضالَّة الأديب) من جملة أبيات . قال : خرج غلامٌ من بنى سعد بن ثعلبة ، وغلام من بنى مالك ابن مالك ، فى إبلٍ لهما ، ومع السعدىِّ سيفٌ له ، فقال المالكى : ما فى سيفك هذا خَير ، لو ضربتَ به عَنقى ما قطعه . قال : فمُدَّ عنُقَك . ففعَل فضرب السعدىُّ عنقَه فقطعَه . فخرجت بنو مالك بن مالكٍ ، وأخذوا السعدىَّ فقتلوه ، فاحتربت بنو سَعد بن ثعلبة ، وبنو مالك بن مالك ، فمشَت السُّفراء بينهم ، فقالت بنو سعد بن ثعلبة: لا نرضَى حتَّى نُعطَى مائةً من صاحِبنا وتُعطَى بنو مالكٍ سبعين . فغضب لهم بنو سعد بن مالك ، فقال أبو مُكْعِت ، أخو بنى سعد بن مالك :

إنّ الذين قتلتـم أمسِ سيِّدَهـم لا تحسبوا ليلَهُمْ عن ليْلِكم ناما
مَن يُولِهِمْ صالحاً نُمسِكْ بجانبه ومن يَضِمْهم فإيّانـا إذَنْ ضامـا
أدُّوا الذى نقصت سبعين من مائةٍ أو ابعثـوا حكمـاً بالحقِّ عَلاَّما

— أى أدُّونا مائة كاملة ، فإذا وضعتَ سبعين من مائةٍ بقيت ثلاثون . فكأنّه قال : أدُّوا الدية التى التزمتم منها سبعين من مائة —

أو آذِنونا بحربٍ تَأتكم سَمَراً حربٌ تُغادر تحتَ النَّقع أقواماً [1]
أبلغْ بنى مالك عنىّ مغلغَلة أنَّ السِّنان ، إذا ما أُكرِهَ اعتَاما

وأبو مكعت هو الذى كان يَحِيض فى الجاهليَّة . انتهى .

* * *

(١) فى النسختين : « نأتكم » بالنون ، تحريف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)]:

٨٤٥ (قالتْ ألا ليتَما هذا الحمامُ لَنا إلى حَمامَتِنَا أو نصفُه فَقَدِ)

على أنّ (ليت) إذا اتَّصلَ بها (ما) جاز أن تعمل وأن تلغى .

وقد روى هذا البيت بالوجهين ، والإلغاء أكثر . قال سيبويه : وأمَّا ليتما زيداً منطلق فإنّ الإلغاء فيه حَسَن ، وقد كان رؤبة بن العَجَّاج ينشد هذا البيت رفعاً ، وهو قول النابغة الذبياني : « ألا ليتما هذا الحمام » البيت . فرفعه على وجهين : على أن يكون بمنزلة قول من قال ﴿ مثلاً ما بعوضةٌ [(٢)] ﴾ ، أو يكون بمنزلة قوله : إنَّما زيد منطلق .

وأمَّا لعلَّما فهو بمنزلة كأنَّما . قال الشاعر [(٣)] :

تحلَّلْ وعالِجْ ذات نفسِكَ وانظُرنْ أباجُعَل لعلَّمَا أنت حالِـمُ

وقال الخليل : إنمّا لا تعمل فيما بعدها كما أنَّ أرى إذا كانت لغواً لم تعمل ، فجعلوا هذا نظيرَها من الفعل كما كان نظير إنَّ من الفعل ما يعمل . ونظير إنَّما قول الشاعر :

أعلاقــةً أُمَّ الوليِّــد بعدمــــا أفنانُ رأسِكَ كالثَّغامِ المُخْلسِ [(٤)] ٢٩٨

(١) فى كتابه ١ : ٢٧٢ . وانظر الأصول ١ : ٢٨٢ والخصائص ٢ : ٤٦٠ والأزهية ٨٨ ، ١١٩ والإنصاف ٤٧٩ وابن يعيش ٨ : ٥٤ ، ٥٨ والمقرب ١ : ١١٠ وشذور الذهب ٢٨٠ والمغنى ٦٣ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨ والعينى ٢ : ٢٥٤ والتصريح ١ : ٢٢٥ والهمع ١ : ٦٥ والأشمونى ١ : ٢٨٤ . وهو فى ديوان النابغة ٢٤ .

(٢) الآية ٢٦ من البقرة . وقراءة الرفع هى قراءة الضحاك ، وابن أبى عبلة ، ورؤبة بن العجاج ، وقطرب . تفسير أبى حيان ١ : ١٢٣ . وانظر ما سبق فى حواشى ص ١٨٣ .

(٣) هو سويد بن كراع . والبيت من شواهد سيبويه ١ : ٢٨٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) للمرار الأسدى ، وهو الشاهد ٩١٩ فيما سيأتى فى حروف المصدر .

جعل (بعد) مع (ما) بمنزلة حرفٍ واحد ، وابتدأً ما بعده . انتهى .

ونقل ابن الشجرى هذا الكلام وقال : سيبويه وغيرُه من النحويِّين يرَوْن إلغاء ما فى ليتما حسناً ، فيرجّحون النصب فى ليتما زيداً منطلق ، ويجيزون أن تكون كافّة . وتشبيهُه لها بأرى يدلّ على أنّها ربَّما أُعملت ، لأنّ أرى ليست تُلغَى على كلِّ حالٍ ، وتشبيهُه إنمّا ببَعْدَما ، مانعٌ من إعمال إنّما ، كما أنّ قوله بَعْدمَا لا يصحُّ إعماله . وقوله لعلَّما بمنزلة كأنَّما يغلب عليها أن تكون ما فيها كافّة ، وإنَّما ولكنَّما فى هذا نظيرَتانِ ، ليس فيهما فى الأغلبِ الأكثرِ إلاّ الكفُّ ، فهما فى إلغاء ما ، دون لعلَّما وكأنَّما . وإنمّا غلب على ليتما العملُ لقُوَّةِ شبهِ ليتَ بالفعل . ألا ترى أنّ وَدِدت بمعنى تمنَّيت ، وليت هى عَلَم التمنِّى ، فلذلك حسُن نصب الجوابِ فى قولك : وددت أنَّه زارنى فأُكرِمَه . انتهى .

فظهر بما نقلْنا إنَّ إلغاء ليتما جائز حسن ، وإعمالَها أَحْسَنُ وأكثر ، خلافَ ما زعمه الشارح المحقق .

وذهب الفرّاء إلى أنّه لا يجوز كفّ ما لليت ولا لِلعلّ [(١)] بل يجب إعمالُهما .

وقول الشارح المحقّق لأنّها تخرج بما عن اختصاصها بالجملة الاسمية ، يعنى فتدخل على الجملة الفعلية . وفيه خلاف . قال صاحب الارتشاف : وأمّا مجىء الفعل بعد لعلّما وليتما فهو مذهب البصريِّين ، أجازوا : ليتما ذهبت ، ولعلَّما قمت . وزعم الفراء أنّ ذلك لا يجوز ، فلا تجىء الجملة الفعليّة بعدهما . ووافقه على ذلك فى ليتما خاصّةً أصحابُنا المتأخِّرون ، زعموا أنَّ ليتما باقية على اختصاصها بالجملة الاسميِّة . انتهى .

---

(١) ط : « ولا لعل » .

وجزم ابن هشام (فى المغنى) بالاختصاص ، تبعاً لابن الناظم وغيره ، قال : وتقترن بها ما الحرفية فلا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء ، لا يقال ليتما قال زيد ، خلافاً لابن أبى الربيع ، وطاهرٍ القزوينى . ويجوز : ليتما زيداً ألقاه على الإعمال ، ويمتنع على إضمار فعلٍ على شريطة التفسير . انتهى . وهذا هو الجيّد ، إذ لم يسمع دخولُها على الفعليَّة . وقول سيبويه « فرفعه على وجهين : على أن يكون بمنزلة مَنْ قال (مثلاً ما بعوضةٌ) إلخ » قال النحاس : يريد أنّ ما موصولة وأنّه يضمر مبتدأ ، أى فياليت الذى هو هذا الحمام لنا . ويريد بالوجه الثانى أنّ ما كافّة . ويجوز النصب على أنْ تكون ما زائدة للتوكيد ، ويكون الحمام بدلاً من هذا .

وكذا قال الأعلم فى هذه الوجوه .

وضعَّف ابنُ هشام (فى المغنى) موصوليَّة ما فى بحث ليت ، وفى بحث ما الكافّة ، قال : هو مرجوح ، لأنَّ حذف العائد المرفوع بالابتداء فى صِلةِ غيرِ أىّ ، مع عدم طول الصِّلة قليل . وزاد فى بحث ما : وسهَّل ذلك تضمُّنهُ إبقاء الإعمال . ورُدّ عليه بأنّ الصلة هنا قد طالت بالصفة ، ومع احتمال الموصولية لا دليلَ على إهمالها ، ولولا أن سيبويه ذكر الإهمال لمنع .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، يُخاطِب بها النعمانَ بن المنذر ، ويعاتبه ويعتذر إليه مما اتُّهم به عنده . وقد مضى شرحُ سببها وأكثرِها فى مواضع عديدة ، فلنذكر هُنا منها ما يُتمّ معنى البيت . وقبله :

أبيات الشاهد

(فاحكُم كحكم فَتاةِ الحىِّ إذْ نَظَرتْ ... إلى حمامٍ شراعٍ وارد الثَّمَدِ

يحفُّه جانبا نِيقٍ وتتبعُه ... مثلُ الزجاجة لم تُكحَل من الرَّمَدِ

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا أو نصفُه فقَدِ

فحسبُّوه فألفَوْه كما ذكرَتْ ... تِسعاً وتسعين لم تَنقُصْ ولم تَزدِ[1]

٢٩٩

(١) ضبط « فحسبوه » بتشديد السين ، نص عليه البغدادى فيما سيأتى ٢٥٩ .

فكمَّلت مائةً فيها حَمامتُها وأسرعت حِسبةً فى ذلك العددِ)

قوله : « فاحكم كحكم » أى كن حكيماً كهذه الفتاة ، أى أصبْ فى أمرى كإصابتها فى حَدْسها بالنظر . قال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب) : الحُكْم : الحِكمة ، مثلُ نُعْم ونعمة . وكذا فى (شرح ابن السِّيد) قال : هو من الحُكم الذى يُراد به الحكمة لا من الحُكم الذى يراد بهِ القَضاء . قال تعالى : ﴿ ولمَّا بلغَ أشُدَّه واستوَى آتيناه حُكماً وعلما [1] ﴾ ، أى حِكمة ، يقال من ذلك : حكَمَ الرجلَ يحكُم من باب نصر ، إذا صار حكيما . قال النمر بنُ تولب :

وأحبِبْ حبيبكَ حُبًّا رُوَيداً فليس يَعُولُكَ أن تَصرِما [2]
وأبْغِضْ بغيضكَ بُغضاً رُويداً إذا أنتَ حاولت أن تَحكُما [3] .انتهى .

وأراد بفتاة الحىّ : زرقاءَ اليمامة . قال الزمخشرى [فى] « أبصر من الزرقاء » من مستقصى الأمثال [4] : هى من بناتِ لقمان بن عاد ، ملكةُ اليمامة . واليمامة اسمُها ، فسميِّت البلدة باسمها . وقيل اسمها عَنْز ، وهى إحدى الزُّرق الثلاث أعينها [5] ، والزبّاء ، والبسوس . وكانت جَدِيسيَّة ، وحين قَتل جَدِيسٌ طسماً

(١) الآية ١٤ من سورة القصص . وفى سورة يوسف ٢٢ : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » ، فالنصان الكريمان متشابهان .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٢٩٤ . لكن فى مختارات ابن الشجرى ١٩ : « لئلا يعولك أن تصرما » . وفى اللسان (عول ٥١١) : « فليس يعولك » . و « تصرما » روى بالبناء للفاعل وللمفعول أيضا . ويعولك ، أى يشق عليك ويغلبك . والمعنى صالح مع مختلف هذه الروايات .

(٣) تحكم : تصير حكيما . اللسان (حكم ٣٠) عند إنشاد هذا البيت . وفى شرح المختارات . ويروى : « أن تُحكِما » ، أى تحكم أمرك . ويقال أحكمته ، أى منعته ورددته عما يريد . قال جرير :

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن أغضبا

(٤) كلمة « فى » تكملة من ش . وانظر المستقصى ١ : ١٨ .

(٥) فى ش والمستقصى : « أعنيها » بتقديم النون ، صوابه فى ط . وانظر للزرق العيون . الحيوان ٥ : ٣٣١ .

استجاش قبيلةُ طسم [١] حَسّانَ بن تُبَّع إلى اليمامة ، فلما صارُوا من جوّ على مسيرة ثلاثِ ليالٍ صَعِدت الأُطمَ الذى يقال له الكلب ، فنظرت إليهم وقد استتر كلٌّ بشجرةٍ تلبيساً عليها ، فارتجزت بقولها :

أُقسِمُ باللّٰه لقد دَبَّ الشّجرْ أو حِمْيرٌ قد أخذت شيئاً تجُرّْ

فكذَّبها قومها ، فقالت : والله لقد أرى رجلا ينهشُ [٢] كتفاً ، أو يخصف نعلا . فما تأهَّبوا حتى صَبَّحَهم الجيش . ولمَّا ظفر بها حسّان قال : ما كان طعامك ؟ قالت : دَرمكة [٣] فى كلِّ يوم بمُخّ . قال : فبم كنت تكتحلين ؟ قالت : بالإثمد [٤] . وشقّ عينها [٥] فرأى عروقاً سُوداً من الإثمد . وهى أوّل من اكتحل بالإثمد من العرب . انتهى المقصود منه .

وقال ابن المستوفِى : كانت زرقاء اليمامة تُبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، ويُضرَب بها المثل يقال : « أبصر من زرقاء اليمامة » . واليمامة بلد ، وكان اسمها الجوّ فسمِّيت باسم هذه المرأةِ لكثرة ما أضيفَ إليها ، وقيل : جوُّ اليمامة . وقالوا : هى من بنات لقمان بن عاد ، وقيل هى من جديس . انتهى .

والحمام ، قال ابن قتيبة (فى أدب الكاتب) : يذهب الناس إلى أنّها الدواجن التى تُستفرَخ فى البيوت ، وذلك غلطٌ ، إنّما الحمام ذواتُ الأطواقِ وما أشبهها ، مثل الفَواخت والقَماريّ والقطا . قال ذلك الأصمعىُّ ، ووافقه عليه

(١) فى المستقصى : « وحين قتلت جديس طسما استجاش رجل طسمى » ، وفى الميدانى : « فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسَّان بن تبَّع فاستجاشه » .

(٢) ط والميدانى : « ينهس » بالسِّين المهملة . وهما بمعنًى . أو النهش باطباق الأسنان والنهس بالأسنان والأضراس .

(٣) الدرمكة : واحدة الدرمك ، وهو دقيق الحوَّارَى النقى ، تريد خبزة مصنوعه منها .

(٤) فى المستقصى : « قالت بغبوق من صبر ، وصبوح من إثمد » .

(٥) ش والميدانى وشرح قصيدة ابن عبدون ٦٧ : « عينيها » بالتثنية .

الكسائى . قال حُمَيد بن ثَور :

وما هاجَ هذا الشَّوقَ إلاّ حمامةٌ دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرحةً وترنُّما[١]

فالحمامة ههنا القُمرية . وقال النابغة :

واحكم كحُكْمِ فتاة الحىّ ... البيت

قال الأصمعى : هذه زرقاء اليمامة ، نظَرتْ إلى قَطًا . قال : وأمَّا الدواجن فى البيوت فإنَّها وما شاكلها من طيرِ الصحراءِ : اليمام . انتهى .

قال ابن السِّيد (فى شرحه) : ما نقله عن الأصمعىِّ والكسائىِّ صحيح ، وقد يقال لليمام [٢] حمام أيضا . حكى أبو عبيد (فى الغريب المصنف) عن الأصمعىّ أنه قال : اليمام ضَربٌ من الحمام بَرِّىّ . وحكى أبو حاتم عن الأصمعى (فى كتاب الطير الكبير [٣]) : واليمام ، واحده يمامة ، الحمام البرى . وحمامُ مكة يمامٌ أجمع . قال أبو حاتم : والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام : أنّ أسفل ذنبِ الحمام مما يلى ظهرها إلى البياض [٤] ، وكذا حمام الأمصار ، وأسفلُ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه [٥] . وليس فى بيت النابغة من الدليل على أنّه أراد بالحمام القطا مثلُ ما فى بيت حُميد بن ثور من الدليل على أنّه أراد بالحمامة القُمْرِيّة . وإنّما عُلِمَ ذلك بالخبر المروىِّ عن زرقاء اليمامة ، أنَّها نظرَتَ إلى قطًا فقالت :

٣٠٠

(١) ديوان حميد ٢٤ والأشباه والنظائر ٤ : ١٤٩ .
(٢) فى النسختين : « يقال اليمام » ، ووجهه من الاقتضاب ١١٠ .
(٣) فى الاقتضاب : « كتاب الطير » فقط .
(٤) فى الاقتضاب : « مائل إلى البياض » .
(٥) الكلام بعده منقول من الاقتضاب ٢٩٤ . فقد مزج البغدادى بين النقلين .

يالـيتَ ذا القطـا لنـا ومثلَ نصفِـه معـه [١]
إلى قطـاةِ أهلِنـا إذن لنا قطاً مائـه [٢]

وقد روى أنها قالت :

ليت الحمـام ليَـه إلى حمامتيـه
ونصفـه قَدِيَـهْ تمَّ الحمامُ مِيَه [٣]

ثم قال : وكان الأصمعيّ يروى : « شراع » بالشين المكسورة المعجمة [٤] يريد التى شرعت فى الماء . وروى غيرُهُ : « سِراع » بالسين غير معجمة ، وهما جمع شارعة وسريعة . والرواية الثانية أولَى ، لاستغنائها عن دعوى التأكيد [٥] . والثَّمد : الماء القليل . وأُفردَ واردًا وإن كان صفةً لحمام حملاً على معنى الجمع ، كما قال تعالى : ﴿ مِن الشَّجرِ الأخضَرِ [٦] ﴾ . انتهى .

---

(١) وكذا ورد عند الجواليقى فى شرح أدب الكاتب ١٢٨ . ولا يخفى ما يكون من تخالف الروى فى هذا البيت وتاليه . وفى الاقتضاب ١١٠ : « ومثل نصفه ليه » ، وفى البيت الثانى : « إذن لنا قطاً ميَه » . وفى الأغانى ٩ : ١٦٨ :

يااليت ذا القطا ليه ومثـل نصف معيـه
إلى قطـاة أهليـه إذن لنـا قطـاً ميـه

فيكون بذلك من منهوك الرجز ، وتكون رواية الاقتضاب من مجزو الرجز .

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) وكذا فى الاقتضاب : لكن فى الأغانى مع مغايرة فى ترتيب الأشطار :

ليت الحمام ليه ونصفه قديـه
إلى حمامَتيَـه تم الحمام ميه

(٤) ش : « بالشين المكسورة معجمة » ، وفى الاقتضاب : « بالشين معجمة » .

(٥) الكلام بعد كلمة « معجمة » ساقط من النسخة المطبوعة من الاقتضاب . والمراد بالتأكيد تأكيد الشراع بكلمة « وارد » .

(٦) الآية ٨٠ من سورة يسٓ .

فإنَّ الحمام اسمُ جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، ومثله يجوز أن يعتبر جمعاً ومفردا كما هنا ، فإنّ وصفَه جُمِع تارةً وهو شراع ، وأُفرد أخرى وهو وارد .

وهذا البيت من شواهد سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد فيه إضافة وارد إلى الثمد ، على نية التنوين والنصب ، ولذلك نعت به النكرة مع إضافته إلى المعرفة ، إذ كانت إضافتُه غير مَحْضة .

وقوله : « يحفُّه جانبا نِيق » الخ أى أحاط به . والضمير للحمام . وجانبَا : مثنَّى جانب ، حذفت نونه للإضافة ، وهو فاعل يحفّه . والنِّيق ، بكسر النون ، قال ابن قتيبة (فى أبيات المعانى) : النِّيق : الجبل . يقول : كانَ الحمامُ فى موضع ضيِّقٍ قد ركب بعضُه بعضاً ، فهو أشدُّ لعدِّهِ [١] . وقوله : « وتُتبعه » إلخ مضارع أتبَعه ، وفاعله ضمير الفتاة ، والهاء ضمير الحمام ، ومثل مفعول صفة لمحذوف . قال ابن قتيبة : أى تُتبعه عيناً مثلَ الزجاجة . لم تُكحَل تلك الفتاة من الرَّمَد ، أى لم يكن بها رمَد فتكحَلَ منه . مثل قول الآخر [٢] :

* على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِهِ [٣] *

وقوله : (قالت ألا ليتما) إلخ قال ابن قتيبة : أو نصفه ، أرادت ونصفه ، أوْ بمعنى الواو . قال ابن هشام (فى المغنى) : هذا قول الكوفيِّين والأخفش والجرمى . واحتجُّوا بأبياتٍ منها هذا البيت . ويقوِّيه أنه روى : « ونصفَه » ، بالواو . انتهى .

---

(١) أى تشتد الصعوبة فى عده . وفى النسختين : « لعدوه » ، ووجهه ما أثبتُّ من المعانى الكبير ٢٩٩ . وعند التبريزى فى شرح القصائد العشر ٤٠٣ : « قال الأصمعى : إذا كان الحمام بين جانبى نيق كان أشد لعَدَدِه ، لأنه يتكاثف ويكون بعض فوق بعض ، وإذا كان فى موضع واسع كان أسهل لعدده » .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٦٦ واللسان (سوف) .

(٣) فى النسختين : « لمناره » ، تحريف ، وصوابه من الديوان وسائر المراجع . وعجزه :

* إذا سافه العَوْد النباطى جرجرا *

وردَّ ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) على الكوفيين بأنّ الرواية بالواو لا بأو ، ولو سلَّمنا فنقول : أو فيه باقية على أصلها ، وهو أن يكون التقدير ليتما هذا الحمام أو هو ونصفه ، فحذف المعطوف وحرف العطف ، كقوله تعالى : ﴿ فقلنا اضرب بعَصَاكَ الحجرَ فانفَجَرَتْ [١] ﴾ ، أى فضرب فانفجرت . وعلى هذا قولُ الشاعر :

* ألا فالبثا شهرينِ أو نصفَ ثالثٍ [٢] *

أى : أو شهرَينِ ونصف ثالث . ألا ترى أنك لا تقول مبتدِئاً نصفَ ثالث . وإذا وجب أن يكون المعطوف عليه محذوفاً كانت أوْ باقيةً على أصلها . ٣٠١

هذا كلامه ، ولا يخفى أنَّ تخريجه لا يتمشَّى على رواية النصب ، وإنَّما هو على رواية الرفع ، مع أنَّ المعنى ليس عليه ، فإنّها لم تتمنَّ أحدهما وإنَّما تمنّت كليهما ، وإن كان لرفع نصفُه مع نصب الحمام وجهٌ ذكره ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، قال : وقد يجوز الرفع مع نصب الحمام . وذلك على أن تجعله معطوفا على الضمير المستتر فى لنا ، وحسن ذلك لأجل الفصل .

وقوله : « فحسَّبوه فألفَوْه » حسَّب بتشديد السين بمعنى المخفَّف ، أى عَدُّوه . والهاء فى الموضعين ضمير الحمام . وألفَوه : وجَدوه . قال ابن قتيبة : نظرتْ هذه المرأةُ إلى حمامٍ مرَّ بها بين جبلين ، وكان ستًّا وستين ، فقالت : ليت لى هذا الحمامَ ونصفه ، وهو ثلاث وثلاثون ، إلى حمامتى ، فيتمّ لى مائة . فنظروا فإذا هو كما قالت .

---

(١) الآية ٦٠ من سورة البقرة .

(٢) صدر بيت لابن أحمر فى ديوانه ١٧١ ، كما فى معجم الشواهد ، وعجزه :

* إلى ذاكما ما غيبتنى غيابيا *

قال حمزة الأصفهانى (فى أمثاله) : قال بعض أصحاب المعانى : إنّ النابغة لما أراد مدحَ هذه الحكيمةِ الحاسبةِ بسرعة إصابتها ، شدَّد الأمرَ وضيَّقَهُ ليكون أحسن له إذا أصاب [١] ، فجعله حَزرْ طير ، إذ كان الطَّير أخفَّ ما يتحرَّك ، ثم جعله حماماً إذْ كان الحمام أسرعَ الطير ، ثم كثَّر العدد إذْ كانت المسابقة والمنافسة ، ثم ذكر أنّها صارت بين نِيقَينِ ، لأنّ الحمام إذا كان فى مَضيقٍ من الهواء كان أسرعَ طَيراناً [٢] منه إذا اتَّسع عليه الفضاء ، ثمَّ جعلها واردةً للماءِ [٣] أعانها الحرصُ للماء على سُرعة الطّيران . انتهى .

وأغرب الجواليقىُّ هنا فقال [٤] : قال الأصمعى : سمعت ناساً يحدِّثون أنَّ ابنة الخُسِّ كانت قاعدةً فى جَوَارٍ ، فمرَّ بها قطاً واردٌ فى مَضيق من الجبل ، فقالت :

ياليتَ ذا القطا لنـا ومثلَ نصفِـه معــه
إلى قطــاة أهْلنــا إذن لنـا قطـاً مائـه

فأُتبِعَت القطا فعُدَّت على الماء ، فإذا هى ستٌّ وستّون . انتهى .

هند بنت الخُسّ

وابنة الخُسّ بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة ، واسمها هندٌ الإياديّة . وهى جاهليّة قديمة ، وقد أدركَتِ القلمَّس أحدَ حكّام العرب فى

---

(١) فى النسختين : « إذا أضاقه » ، ولا وجه له ، كما أن أضاق لم ترد إلا فى لغة حكاها ابن جنى . والصواب من الدرة الفاخرة لحمزة ١٦٢ .

(٢) هذا ما فى ش وأمثال حمزة . وفى ط : « طيرا » ، وهى صحيحة أيضا ، يقال طار طيرا وطيرانا . لكن انظر ما مضى فى حواشى ٢٣١

(٣) بعده فى الدرة الفاخرة : « لأن الحمام إذا وردت الماء أعانها الحرص للماء على سرعة الطيران » .

(٤) شرح أدب الكاتب للجواليقى ١٢٨ .

الجاهليّة ، تحاكمت هى وأختها خُمعة (١) إليه فى كلامٍ لهما ، ومدحَتْه بأبياتٍ منها :

إذا الله جازى منعماً بوفائه فجازاكَ عنىِّ يا قلَمَّسُ بالكَرَمْ(٢)

وبعضُ الرواة يزعم أنّها ماتت فى زمن النُّعمان عند هندٍ ابنته ، ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق :

وفيتَ بعهدٍ كان منك تكرُّما كما لابنة الخُسِّ الإيادِى وفَتْ هندُ(٣)

وليس الأمر كذلك ، وإنَّما مراد الفرزدق أنَّ هندا وفت لأختها خمعة بنةِ الخُسّ ، لا أنَّها عند ابنة النعمان .

وقد ترجمها الشريف المرتضى (فى أماليه) وذكر طرفا من أمورها (٤) .

زرقاء اليمامة

وقد أجحف الزمخشرى فى قصَّة الزرقاء فيَقول (٥) : إنَّ اليمامة كان اسمها جوًّا فى الزَّمن الأوّل ، وكانت لأُمَّتينِ إحداهُما : طَسْم بن لَوذ بن سام بن نوح ، والأخرى : جَديس بن جاثر (٦) بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانوا أصحابَ زرعٍ ونخيلٍ ومواش ، وكان مَلِكُهم من طسم يقال له عُملوق

---

(١) ويقال لها أيضا « جمعة » بالجيم ، وهى جمعة بنت الخس بن حابس ، وتنسب إلى جدها فيقال جمعة بنت حابس ، أخت هند بنت الخس بن حابس بن قريط الإيادية . انظر حواشى البيان ١ : ٣١٢ وسرح العيون ٤٦ وبلاغات النساء لطيفور ٥٨ .

(٢) فى سرح العيون ٤٦ : « جازى محسنا » .

(٣) لم يرد فى ديوان الفرزدق ولا فى النقائض .

(٤) أمالى المرتضى ١ : ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٥) ط : « فنقول » ، صوابه فى ش .

(٦) جاثر بالثاء المثلثة ، كما فى القاموس (جثر) والمحبر ٣٨٤ والطبرى ١ : ١١٠ ونهاية الأرب ٢ : ٢٩١ . وانظر حواشى جمهرة ابن حزم ٤٦٢ .

أو عِمليق ، أفرط فى جَوره على جَديس حتّى أمر أن لا تُزَفَّ امرأةٌ من جَديس إلاّ أُتِىَ بها إليه حتَّى يفتضَّها قبل زوجها ، فلما افتضَّ بنت غَفار [١] خرجت من عنده رافعةً صوتَها ، ملطَّخة بدَمها ، وهى تقول : ٣٠٢

لا أحدٌ أذلَّ من جديسٍ أهكـذا يُفْعَـل بالعَـــروسِ

فى أبيات ، كما تقدَّم شرح هذه القصَّة مفصَّلا فى الشاهد الخامس والعشرين بعد المائة [٢] . فلما سمِع قوْمُها ذلك اشتدّ غضبهم [٣] ومشى بعضُهم إلى بعض ، وكان أخوها ابن غفار [٤] سيِّدَهم ، فلما رأى ذلك من حال القومِ قال : أطيعونى وإلاّ قتلتُ نفسى . قال : أكتبُ إلى الملك : إنِّى قد زوَّجتُ أختى فليحضُر المَلكُ وجميعُ أهلِه إلى طعامى . فإذا أتوكم قام كلُّ واحدٍ منكم على رأسِ رجلٍ منهم وقد دَفَن سلاحَه تحت رجله ، فإذا قرِّب الطعامُ فليقتلْ كلُّ رجل منكم مَن يليه . فقُتلوا جميعهم إلاَّ رجلا يقال له رِياح بن مُرّة [٥] فإنّه أفلتَ منهم واستصحب كلبةً له ، وأخذ جريدةً من جرائد نخلهم فطلاها بالطِّين ، ثم توجَّه حتَّى أتَى حسَّانَ بن تُبّعٍ مذعوراً فقال له : ما وراءك ؟ قال : أتيتُك من عند قومٍ كنّا ملوكَهم وساداتِهم وقد وثبوا علينا ظُلماً — وذكر القصَّة — وفيهم زروعٌ ومواشٍ وتبرٌ ووَرِقٌ ومسك وعنبر ، وجميعُ آلة الدُّنيا ، وفيهم امرأةٌ يقال لها « عنز » تغَذَّى بالزُّبد والشُّهد والمُخّ ، كأنّها القمرُ ليلَةَ البدر . فلمّا سمع ذلك حسَّانُ

---

(١) هى الشموس عفيرة بنت عَفار كما فى كتاب المغتالين (نوادر المخطوطات) ٢ : ١١٨ وشرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ٦٣ . وهى فى الخزانة ٢ : ٢٧٣ : عميرة بن غفار أخت الأسود .

(٢) الخزانة ٢ : ٢٧١ — ٢٧٥ .

(٣) ش : « غضبها » .

(٤) هو الأسود بن غفار الجديسى .

(٥) فى شرح قصيدة ابن عبدون : « رباح » بالباء الموحدة فى جميع المواضع ، تحريف . وانظر تحقيق البغدادى لهذا الاسم فى الخزانة ٢ : ٢٦٩ — ٢٧٠ .

دعا قومَه وأسمعهم كلام رياح ، فقالوا : ما لنا ولأمَّةٍ قَتلت أختَها ، ليس بيننا وبينهم حرب ، على أنّ بلدهم شاسع ، ومسلكَهم بعيد . قال الملك : أرأيتُم إن ظلم أخٌ أخاه أليس يجبُ على الملك أن ينصره ؟ قالوا : بلى . قال لهم رياح : كيف يكون بلدى شاسعاً وهذه جريدةٌ من نخلها رطبة ، فلو كان بعيداً يبست ، وهذه كلبتى قد تبعتْنى عرجاءَ . وكان قد ضربَها عند دخوله فعَرِجت ! فلم يزل بهم حسّان حتَّى أجابوه إلى المسير فساروُا فى ثلثمائة ألف ، فلمَّا كان من جوٍ على مسيرة ثلاثة أيام قال لهم رياح : إنّ فيهم امرأةً يقال لها اليمامة تُبصر الراكبَ من مسيرة ثلاثة أيام ، فاقطَعُوا الشجرَ وليضعْ كلُّ راكب منكم بين يديه غُصناً من أغصانها ليشتبه عليها . فقامت اليمامةُ على رأس حصنٍ لهم يقال له : البَتيل [1] ، فقالت : أىْ قومِ ، زحفَتْ إليكم حِميرُ ، وأرى شجراً ، وخلفها بشرا . فكذّبوها وقالوا : ما تزالين تأتيننا بالإفك [2] ! ثم رجَعَت بصرَها فوضح لها صِدقُ ما رأت فقالت :

خُذوا حِذَاركـمُ يا قومِ ينفعُكـمْ ... فليس ما قد أرى بالأمس يُحتَقَرُ [3]
إنّى أرى شجراً من خلفهَا بشرٌ ... وكيـف تجتَمـعُ الأشجـارُ والــبشرُ
خُذوا طوائفَكـم من قبـلِ داهيـةٍ ... من الأمور التى تُخشَى وتنتُظَـر [4]

---

(١) فى معجم البلدان : « وبَتيلُ حَجْرٍ : بناءٌ هناك عادىٌّ مرتفع ، مربع الأسفل محدّد الأعلى ، مرتفع نحو ثمانين ذراعا » . وفى النسختين : « النبيل » ، تحريف .

(٢) « تأتينا » بحذف إحدى النونين فى النسختين ، والصواب ما أثبت ؛ إذ لم يرد حذف نون الرفع وجوبًا إلا مع نون التوكيد فى المضارع المسند إلى ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ، وجوازًا مع هذا المضارع المتصل بنون الوقاية . وفى غير هذين لم تحذف إلاّ فى ضرورة الشعر . وأما النثر فقد قال ابن عصفور : « ولا يحفظ شىء من ذلك فى الكلام ، إلاّ ماجا ، من حديث خرجه مسلم فى قتلى بدر حين قام عليهم رسول الله ﷺ فناداهم .... الحديث فسمع عمر قول النبى فقال : « يا رسول الله كيف يسمعوا ، وأنى يجيبوا ، وقد جيَّفوا » . الضرائر ١١٠ .

(٣) فى شرح القصيدة ٦٧ : « خذوا لهم حذركم » و « ما قد أرى بالأمر » .

(٤) فى شرح القصيدة : « صفوا الطوائف منكم » .

فقد زجرتُ سَنِيحَ القـوم باكـرةً لو كان يعلم ذاك القومُ إذْ بكروا
إنِّى أرى رجلاً فى كفِّه كتِـفٌ أو يخصِفُ النّعْلَ خصفاً ليس يُبتدرُ [١]
فغـوِّروا كلَّ ماءٍ قبـل ثالثـةٍ فليس من بعـده وِردٌ ولا صدَرُ [٢]
وناهِضوا القومَ بعضَ اللَّيل إذْ رقدوا ولا تخافوا لهم حَربـاً وإن كثُـروا [٣]

فكذبها بعضٌ ، وقال بعضٌ : إن كانت أُمّةً طلبَتْ غيرَنا لَمْ نبدأْهم بتغوير المياه والمناهضة . فلم يلبثوا أنّ صبَّحَهم حسّان بعد أربعة ، فقتل الرّجالَ وسبىَ النّساء ، ودعا باليمامة فقلع عينَها ، فوجد فيها عروقا سُودًا ، فسأل : ما الذى كانت تكتحل به ؟ فقالوا : حجرٌ يقال له الإثمد . [فاستعمل الإثمَدَ [٤]] من ذلك اليوم .

٣٠٣

فلمّا قتلها صلبها على باب جوّ فسمِّيت بذلك اليمامة . وأتِيَتْ عنزٌ بالجمل فلم تدر ما الجمل من العِزّة [٥] .

وإنّ الأسود بن غفار أفلتَ فلحق بجبلَىْ طيىء [٦] فقتله عمرو بن الغوث ابن طىّ ، كما تقدَّم شرحه فى الشاهد الثامن والثمانين من أوائل الكتاب [٧] .

وترجمة النابغة الذبيانى تقدّمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [٨] .

* * *

(١) فى شرح القصيدة : « ليس يعتذر » .
(٢) فى شرح القصيدة : « وغوروا كل ماء دون منزلهم فليس من دونه » .
(٣) فى شرح القصيدة : « أو عاجلو القوم عند الليل إن رقدوا » .
(٤) التكملة من ش .
(٥) ش : « الغرة » أى الغفلة ، لكن مع محاولة تغيير للكلمة .
(٦) ط : « بجبل طيىء » ، وأثبت ما فى ش . وجبلاهم هما أجأ وسلمى .
(٧) الخزانة ٢ : ٣٩ – ٤٠ .
(٨) الخزانة ٢ : ١٣٥ – ١٣٨

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٤٦ (وكنتُ أُرى زيداً كما قِيلَ سيِّداً إذا إنّهُ عبدُ القَفا واللَّهازم)

على أنه يجوز كسر إنّ وفتحها بعد إذا الفجائية .

قال سيبويه : سمعتُ رجلاً من العرب ينشد هذا البيت كما أُخبرُك به – أى بالكسر – فحالُ إذَا ههنا كحالها إذا قلت : هو عبد القفا واللَّهازم . وإنّما جاءت إنَّ هنا لأنّ هذا المعنى أردتَ كما أردتَ فى حتّى [معنى حتّى [(٢)]] هو منطلقٌ . ولو قلت : مررت فإذا أنَّه عبدٌ [(٣)] تريد فإذا العبوديَّة واللؤم [(٤)] ، كأنّك قلت : مررتُ فإذا أمره العبودية واللؤم ، ثم وضعت إنَّ فى هذا الموضع ، جاز . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى جواز فتح إنّ وكسرها بعد إذا . والكسر على نيَّة وقوع المبتدأ والخبر بعد إذا ، والتقدير : إذا هو عبد القفا . والفتح على تأويل المصدر مبتدأً والإخبار عنه بإذا . انتهى .

والإخبار بإذا مَبنىٌّ على كونها اسما ، وليس الإخبار بها واجباً عند القائل به . قال ابن هشام (فى شرح الشواهد) ، كما قال ابن يعيش : مَن يَرى أنّ إذا ظرفٌ صحَّ تقديرها خبراً ولم يقدِّر محذوفاً [(٥)] ، أى فبالحضرة العبودِّية . وصحّ

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٢ . وانظر المقتضب ٢ : ٣٥١ والأصول ١ : ٣٢١ والخصائص ٤ : ٣٠٣ وابن يعيش ٤ : ٨/٩٧ : ٦١ والشذور ٢٠٧ والتصريح ١ : ١٢٨ والأشمونى ١ : ٢٧٦ .

(٢) التكملة من سيبويه . وسيبويه يشير بذلك إلى ما مثل به قبل هذا النص وهو « انطلق القوم حتى إن زيداً لمنطلق » ويعنى أن إذا ابتدائية ، مثلها فى ذلك مثل حتى الداخلة على إنّ .

(٣) ط : « ان عبد » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٤) فى سيبويه : « فإذا أمره العبودية واللؤم » .

(٥) ط : « ولم يقدر محذوف » ، وتقرأ بالبناء للمجهول .

تقديرها متعلِّقة بخبر محذوف ، أى فبالحضرة العبودية موجودة . وإن قيل : إنّها حرفٌ وجب دعْوَى الحذف . انتهى .

وإذا عند الشارح المحقّق حرفٌ كما قرَّره فى باب المبتدأ وباب الظروف ، ولهذا قدّر الخبر . وكذا هى حرفٌ عند السِّيرافى ، إلاّ أنَّه جعل المحذوف المبتدأ ، قال : وإذا فُتِحت قدِّر ما بعدها المصدر ، أى فإذا أمرُه العبُوديَّة ، وذاك أنَّ أنَّ المفتوحة مقدَّرة بالمصدر ، وإذا حرفٌ لا عاملَ لها ، لأنّها دخلت لمعنى المفاجأة ، وهى فى معنى حروف العطف . انتهى .

وقد فَرَق ابن يعيشَ معنى الكسر عن معنى الفتح ، قال : إذا فتحتَ أردتَ المصدر ، وكأنّك قلت فإذا العبوديَّة واللؤم ، كأنَّه رأى فِعلَ العبد . وإذا كسرتَ ، كأنّه قد رآهُ نفسَه عبداً [1] .

وقوله : (وكنتُ أُرَى) بضم الهمزة بمعنى أظنّ ، متعدّ إلى ثلاثة مفاعيل : أولها نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، وثانيها زيد ، وثالثها سيّد .

وقول الشارح المحقق : أى عبدٌ قفاه ، برفع عبدٌ منوَّنا ، أشار بهذا التفسير إلى أنّ عبد القفا من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها . وقَصَد به الردَّ على صاحب (المقتبس [2]) فى زعمه أنّ القفا مقحم [3] ، ثم فسر كونَ قفاه عبداً باللئيم ، لأنَّه حاصلُ المعنى . واللئيم : المَهين والدنئ النفس ، والشحيح ، ونحو ذلك ، لأنَّ اللؤم ضدُّ الكرم ، ولهذا يضاف اللؤم إلى القفا كما يضاف الكرم إلى الوجه ، فيقال لئيم القفا وكريم الوجه .

---

(١) فى النسختين : « كأنه قد رَأى نفسه عبدا » صوابه فى ابن يعيش ٨ : ٦١ .

(٢) المقتبس فى توضيح ما التبس ، لأبى عاصم على بن عمر بن خليل بن على الفقيهى ، الملقب بالفخر الاسفيذرى المتوفى سنة ٦٩٨ كما فى كشف الظنون ٢ : ٤٩٠ فى ختام الكلام على المفصل للزمخشرى . وقد اقتبس مواده من كتب جرت مجرى الشروح للمفصل . وانظر ما سبق فى حواشى ٥ : ٣٠٩ .

(٣) ط : « معجم » ، صوابه فى ش .

ثُمَّ فسَّر الشارح جهةَ كونه لئيما بصَفْعَان ، وهو من يُمكِنُ مِن صفع قفاه ليأخذ شيئا . ولا يرتضى هذا لنفسه إلاّ من هو فى غاية المهانة والدَّناءة . قال الجوهرى : الصَّفْع كلمة مولدة ، والرجُل صَفْعانُ . انتهى . ولم يتعرَّض له ابن برّيٍّ ولا الصَّفَدىُّ بشىء . وردَّ عليه الفيُّومىُّ (فى المصباح) قال : صفعه صفعا . والصَّفعةُ المرَّة ، وهو أن يبسُط الرجلَ كفَّه فيضربَ بها قفا إنسان أو بدَنه ، فإذا قبض كفَّه ثم ضربه فليس بصَفعٍ ، بل يقال : ضرَبَه بجُمْع كفِّه . قاله الأزهرىُّ وغيرُه . ورجل صَفْعانُ لمن يُفعَل به ذلك . ولا عبرة بقول مَن جعل هذه الكلمة مولَّدة مع شُهرتها فى كتب الأئمة . انتهى .

وقول الشارح المحقق : « واللِّهزِمتان : عظْمانِ » ، إلخ اللِّهزمة ، بكسرِ اللام والزاى ، وسكون الهاء . والناتئ : اسم فاعل من نتأ الشىء بالهمز ينتأ بفتحتين نُتوءاً ، إذا خرجَ من موضعه وارتفع من غير أنَ يبِين . ويجوز تخفيف الفعل كما يخفَّف قرأ ، فهو ناتٍ منقوص . واللَّحْى ، بفتح اللام وسكون الحاء المهملة : عظم الحَنك ، وهو الذى يثبت عليه الأسنان .

وقوله : « جمعهُما الشاعرُ بما حولهما » يريد أنّ لكلِّ حيوانٍ لهزمتين لا غير ، فالجمع على تأويل جُبَّ مذاكيرُ فلانٍ ، بضم الجيم وتشديد الباء . قال صاحب المصباح : جببته جَبًّا من باب قتل : قطعته ، ومنه جببته فهو مجبوب بيِّن الجِباب بالكسر ، إذا استُؤصلت مذاكيره . وقال أيضا الذكر : الفرج من الحيوان ، جمعه ذِكَرة مثالُ عِنَبة ، ومذاكير على غير قياس .

وما ذكره الشارح من تفسير اللِّهزمتين هو كلام صاحب الصحاح ، وقال بعده : ويقال هما مُضغتان عَلِبَتَانِ تحتهما . والمُضْغة اللَّحم ، سمِّى بها لأنّها مقدار ما يُمضَغ . والعَلِبة بالموحَّدة ، من عَلب اللحم بكسر اللام واستعلَب ، إذا غَلُظ . وروى أيضا عَلِيَّتان بالمثنَّاة التحتيّة المشدّدة . وقال أبو جعفر أحمد بن محمد : اللَّهازم : عروقٌ فى القفا . والصحيح ما قاله الجوهرى .

قال الأعلم : ومعنى (عبد القفا واللهازم) أنَّ من ينظُرهُما يتبيَّن عبودِّيته ولؤمه ؛ لأنَّ القفا موضع الصَّفع ، واللِّهزمة موضع اللكز ، وهو بفتح اللامِ وسكون الكاف وآخره زاء معجمة : مصدر لكَزَه لكزاً من باب قتل ، إذا ضربه بجُمع كفِّه ، بضم الجيم وسكون الميم . يقال ضربه بجُمْع كفِّه أى مقبوضةً . والمعنى : كنت أظنُّ زيداً سيّداً شريفا كما قيل فيه إنّه سيّد ، فظهر أنّه لئيمٌ وكان ما قيل فيه باطلا .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يُعرف قائل [كلِّ (١)] بيتٍ منها . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٨٤٧ (إنِّى إذا خَفِيتْ نارٌ لمرمِلةٍ أُلفَى بأرفع تَلٍّ رافعاً نارى
ذاكَ وإنِّى على جارى لَذُو حدبٍ أحنُو عليه بما يُحنَى على الجار)

على أن إنَّ فى هذا البيت ليس فيها إلاّ الكسر .

قال سيبويه : تقول ذاك وأنّ لك عندى ما أحببت . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ ذلك وأنَّ الله مُوهِنٌ كيدَ الكافرين (٣) ﴾ ، وقال جل ثناؤه ﴿ ذلكمْ فُذوقوه وأنَّ

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٣ . وانظر الأغانى ٦ : ١١ والخصائص ٤ : ٣٠٤ والسمط ٥٧١ وديوان الأحوص ١٠٧ .

(٣) الآية ١٨ من سورة الأنفال . وهذه قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى . وقرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم فى إحدى قراءتيه : « مُوَهِّنٌ » بتشديد الهاء والتنوين أيضا . وقرأ حفص : « موهن كيدِ » بالتخفيف والإضافة . إتحاف فضلاء البشر ٢٣٦ .

للكافِرِينَ عذابَ النارِ (١) ﴾ . وذلك لأنّها شرَكت ذلك فيما حمل عليه ، كأنّه قال : الأمر ذلك وأنَّ الله . ولو جاءت مبتدأة لجازت ، يدلُّك على ذلك قوله تعالى : ﴿ ذلك ومَنْ عاقبَ بمثل ما عُوقِبَ به (٢) ﴾ ، وليس محمولاً على ما حمل عليه ذلك (٣) ، فكذلك يجوز أن تكون إنَّ منقطعةً من ذلك . قال الأحوص :

٣٠٥ صاحب الشاهد

عَوَّدتُ قومى إذا ما الضَّيفُ نبَّهنى   عَقْرَ العِشارِ على عُسرِى وإيسارِى
إنى إذا خَفِـيَتْ نار لمرملـة   .... إلى آخر الشعر

فهذا لا يكون إلاّ مستأنفا غير محمول على ما حُمل عليه ذاك . فهذا أيضاً يقوّى ابتداء إنَّ فى الأوَّل . انتهى .

قال النحاس : إنّما لم يجزْ فى إنَّ ههنا إلاّ الكسرُ لأنَّ بعدها اللامَ ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّ ربَّهمْ بِهِمْ يومَئذٍ لخَبيرٌ (٤) ﴾ .

وقال الأعلم : الشاهد فى كسر إنَّ لدخول لام التأكيد ، ولو لم تدخل لفُتِحتْ حملاً على ما قبلها . انتهى .

ولما كان كلام سيبويه فيه بعضُ خفاء لخَّصَه الشارح المحقِّق وأوضحَه . وذلك أنَّ محصَّل كلام سيبويه جوازُ الوجهين فى إنَّ المذكورة ، وقد جاء على الفتح وهو أحد الجائزين (٥) من قوله تعالى : ﴿ ذلكم وأنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيدِ الكافرين (٦) ﴾ ، وقولُه تعالى : ﴿ ذلكم فَذُوقُوهُ وأنَّ للكافرين عذابَ النار ﴾

(١) الآية ١٤ من سورة الأنفال .
(٢) الآية ٦٠ من سورة الحج .
(٣) الذى فى سيبويه : « فمن ليس محمولا على ما حمل عليه ذلك » .
(٤) الآية ١١ من سورة العاديات .
(٥) ش : « أحد الجائز » ، صوابه فى ط .
(٦) الآية ١٨ من سورة الأنفال ، وقد سبق القول فيها وفى تاليتها .

فاسمُ الإشارة فى الآية الأولى خبر مبتدأ محذوف ، التقدير : الأمر ذلكم ، وأنَّ مع معموليها فى تأويل مصدرٍ مرفوع معطوف على ذلك ، وقد شاركته أنَّ مع معموليها فى الخبريَّة للمبتدأ المقدَّر . وهذا معنى قول سيبويه : « وذلك لأنَّها شَرِكت ذلك فيما حُمل عليه » ، كأنّه قال : الأمر ذلك وأنَّ الله .

قال البيضاوى : ذلكم إشارةٌ إلى البلاء الحَسن ، أو القتلِ ، أو الرَّمْى ؛ ومحلُّه الرفع ، أى المقصود أو الأمرُ ذلكم . وقوله تعالى : ﴿ وأنّ الله ﴾ إلخ معطوف عليه ، أى المقصودُ إبلاءُ المؤمنين ، وتوهينُ كيد الكافرين وإبطالُ حِيَلهم . انتهى .

وهذا يكون من عطف المفردات . وأما قول الشارح المحقِّق : أى الأمر ذلكم والأمر أيضاً أنّ الله موهن ، فتكرير المبتدأ للإيضاح ، لا أنّه من عطف الجمل .

ثم قال سيبويه : « ولو جاءت مبتدأة لجازت » إلخ يريد : لو جاءت إنّ بعد اسم الاشارة مكسورة كما تكسر فى ابتداء الكلام لجازت . وهذا الوجهُ الثانى من الجائزَين ، وقد جاء عليه قوله تعالى : ﴿ ذلك وإنَّ له عندنا لزُلفَى وحُسْنَ مآب [١] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هذا ذكرٌ وإنّ للمتَّقين لحُسْنَ مآب [٢] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هذا وإنّ للطاغينَ لَشَرَّ مآب [٣] ﴾ فذلك فى الأولى ، وهذا فى الثالثة خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر ذلك والأمر هذا . وجملة إنَّ معطوفة على الجملة قبلها فى الثَّلاث ، وهذا من عطف الجمل ، وليس من العطف على اسم الاشارة حتَّى تشاركه فى الخبريَّة . ومثلُ هذه الآياتِ قولُ الشاعر :

* ذاك وإنِّى على جارى لذو حَدَب *

---

(١) من الآيتين ٢٥ ، ٤٠ من سورة صٓ .
(٢) الآية ٤٩ من سورة صٓ .
(٣) الآية ٥٥ من سورة صٓ .

فذاك خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : شأنى ذاك وأمرى ذاك . وجملة « إنّى على جارى » إلخ معطوفة على الجملة قبلها . ويدلُّ على أنَّ هذا من عطف الجمل قولُه تعالى فى سورة الحج : ﴿ ذلك وَمَنْ عاقَبَ بمثْلِ ما عُوقِبَ به ثم بُغِىَ عليه لينصُرَنَّه الله [(١)] ﴾ فقوله لينصرنه الله جوابُ قسَمٍ مقدَّر ، وجملة القسم المقدَّر مع جوابه خبر من عاقب إلخ ، وجمله من عاقب إلخ معطوفةٌ على الجملة المحذوف مبتدؤها ، أى الأمر ذلك ومن عاقب إلخ . فالبيت المذكور مثل هذه الآية فى الإعراب .

وقول الشارح المحقّق : « فالجملة القسميَّة عطفٌ على الجملة المقدِّمة » ، فيه مسامحة ، وأراد الجملة التى خبر مبتدئِها جملة قسمَّية .

٣٠٦ ولنرجعْ إلى شرح الأبيات فنقول : قوله « عوّدت قومى » إلخ أراد بقوله نبَّهنى طرَقنى ليلاً فنبهَّنَى . وعَقْرَ المفعول الثانى لعوّد ، ومفعوله الأوّل قومى ، وهو مصدر عقرت البعير ، من باب ضرب ، إذا ضربتَ قوائمه بالسَّيف . ولا يكون العقرُ فى غير القوائم ، وربَّما قيل عقره إذا نحره . والعِشَار : جمع عُشَراء ، وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ، ومثله نِفاس جمع نُفَساء . ولا ثالثَ لهما . والعِشار عند العرب أعزُّ الإبل ، فذبْحُها للضَّيف يكون غايةً فى الجود والإكرام . وقوله : « على عسرى وإيسارى » أى أعقِرُها على كلِّ حالةٍ سواءٌ كنتُ معسراً أو موسرا . والعُسْر : الفقر ، وهو اسمٌ للإعسار . يقال أعسَرَ الرجُلُ ، إذا افتقر . والإيسار : مصدر أيسَرَ الرجلُ ، إذا صار ذا غنًى . والاسم اليَسَار بالفتح ، وهو الغِنى .

وقوله : (إنّى إذا خَفِيتْ) إلخ أُلْفَى جواب إذا ، وجملة إذا خفيت إلخ خبر إنّى . قال الأعلم : قوله أنّ بالفتح محمول على البدل من العَقر ، لأنَّ عقر العشار

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الحج .

مشتملٌ على إيقاد النار ودالٌّ عليه ، فكأنه قال : عوَّدت قومى أنى أُوقد النّارَ للطارق . وكسر إنّ ههنا أجودُ على الاستئناف والقطع . والمرملة : الجماعة التى نَفِد زادُها . ورجلٌ مُرْمل : لا شئ له ، مشتق من الرَّمْل ، كأنّه لا يملك غيره ، كما يقال تَرِبَ الرجلُ ، إذا افتقر . يقال أرمل الرجل ، إذا نَفِدَ زاده وافتقر ، فهو مُرْمل . وجاء أرملُ على غير قياس ، والجمع أرامل . وأرملت المرأة فهى أرملة ، للتى لا زوجَ لها ، لافتقارها إلى مَن ينفق عليها . وقال الأزهرىّ : لا يقال لها أرملةٌ إلاّ إذا كانت فقيرةً ، فإن كانت موسرة فليست بأرملةٍ . والجمع أرامل . وأُلْفى بالبناء للمجهول من ألفيته إذا وجدَته ، متعدٍ لمفعولين أحدهما نائب الفاعل وهو ضمير المتكلم ، وثانيهما قوله رافعا . والتَّلُّ : ما ارتفع من الأرض . وإيقاد النَّار فى الأماكن العالية من أخلاق الكرام حتَّى يهتدِىَ الضَّيفُ إليه فى اللَّيل المظلم ويأتى . يقول : إذا خفيتْ نارُ غيرى بأن لا تُوْقَد فى أيَّام الجدب والقحط فأنا أُوقدها فى تلك الأيَّام . يصف نفسَه بشدَّة الكرم .

وقوله : (ذاكَ) إشارة إلى عَقْر العشار وإيقاد النّار . فإن قلت : كيف أُشيرَ بذاك إلى اثنين ؟ قلت : صحَّ لأنّه بتأويل ما ذُكر . وكذا قوله : ﴿ عوانٌ بَيْنَ ذلك [١] ﴾ أى بين الفارض والبكر . وذاك خبرُ مبتدأ محذوف ، أى شأْنى وأمرى ذاك . وجملة إنّى لذو حَدب معطوفة على الجملة المحذوف صدرها ، وأوجب كسر إنّ هنا لوجود اللام فى الخبر ، ولولاها لجاز فتح إنّ وكانت مؤوّلةً مع معموليها بمصدر مرفوعٍ معطوف على ذاك ، عطفَ مفرد على مفرد . (والحدب) بفتح الحاء المهملة والدال : مصدر حَدِب عليه كفرح ، إذا عطَفَ عليه ، و (أحْنو) خبر [بعد خَبر [٢]] والحنوُّ بمعنى الحَدَب . فى المصباح : حنت المرأة على ولدها

---

(١) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

(٢) التكملة من ش .

تحنى وتحنو حُنوًّا : عطفت وأشفقت فلم تتزوّجْ بعد أبيهم . وقوله : (بما يُحْنَى) بالبناء للمفعول .

والأحوص بمهملتين شاعر إسلاميّ ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الخامس والثمانين أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٨٤٨ (أحقاًّ أنَّ أخطَلَكُمْ هَجَانى) ٣٠٧

على أنَّ (حَقًّا) فى معنى الظرف ، فأنَّ مع معموليها [٣] مؤوّلة بمصدرٍ فاعلٍ لثبَتَ محذوفا ، أو فاعل للظرف على الخلاف فى نحو : أعندك زيد ، أو مبتدأ مؤخرٌ والظرف قبله خبر . وإنَّما قال فى معنى الظرف ، لأنَّه ظرفٌ مجازىٌّ مشتمل على المحقَّق ، كاشتمال الظرف على المظرُوف . والدَّليل على أنَّه جارٍ مجرى الظرف وقوعُه خبراً عن المصدر دون الجثَّة ، كما أنَّ ظرف الزمان كذلك .

قال الأعلم : جاز وقوعه ظرفاً وهو مصدرٌ فى الأصل ، لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنّه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتُك خفوقَ النجم ، فكأنّ تقديره : أفى وقتِ حقٍّ . انتهى .

وهذا الوجهان معروفان فى الظرف المعتمِد . هذا إن كان حقا منصوبا على

---

(١) الخزانة ٢ : ١٦ – ٢٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٤٦٩ . وانظر العينى ١ : ٤٠٥ والهمع ١ : ٧٢ والمزهر ٢ : ٤٩١ والأشمونى ١ : ١٨٥ وديوان الجعدى ١٦٤ .

(٣) ش : « معمولها » ، صوابه فى ش .

المصدر فأنَّ فاعلٌ لا غير ، تقول : أحقا أنَّك ذاهب ، أى أحَقَّ ذلك حقًّا . فقولك : حَقَّ فعل ماض هو الناصب لحقًّا ، وأنَّ فاعل المصدر ، أو فاعل الفعل على الخلاف فيه ، والهمزة للاستفهام .

فإن قلت : إذا كان حقًّا تفسيراً لأَمَا فمن أين جاء الاستفهام حتَّى قال الشارح المحقق : أى أأحقَّ ذلك حقا ؟

قلت : تفسيرها بحقاًّ أحد قولين ، والثانى أنَّها بمعنى أحقًّا مع همزة الاستفهام ، وهو الصحيح .

فإن قلت : ظاهر (أَمَا) أنَّها حرفٌ فكيف تكون بمعنى حقًّا أو أحقًّا ، وكيف تكون أنَّ فى قولهم : أمَا أنَّك قائم فاعلاً أو مبتدأ ؟ قلت : قال ابن هشام (فى المغنى) قال بعضهم : هى اسمٌ بمعنى حقّا ، وقال آخرون : هى كلمتان الهمزة للاستفهام وما اسم بمعنى شىء حقٌّ ، فالمعنى أحقًّا . وهذا هو الصواب ، وموضع ما النصبُ على الظرفية كما انتصب حقًّا على ذلك فى نحو قوله :

* أحقًّا أنَّ جيرتَنا استقلُّوا[1] *

وهو قول سيبويه ، وهو الصحيح ، بدليل قوله :

* أفى الحقِّ أنّى مغرم بكِ هائمٌ [2] *

---

(١) للمفضل النكرى . كما فى معجم الشواهد . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٨ . وعجزه كما سيأتى :

* فنيتنا ونيَّتهم فريق *

(٢) لعائذ بن المنذر ، كما فى العينى ٣ : ٨١ وشرح شواهد المغنى ٦٣ . وعجزه :

* وأنك لا خل هواك ولا خمر *

وانظر ما سبق فى ١ : ٤٠١ .

فأدخل عليها فى ، وأنّ وصلتها مبتدأ والظرف خبره . وقال المبرد : حقًّا مصدر لحقَّ محذوفا ، وأنّ وصلتها فاعل . انتهى .

ووجه الصَّواب فى كونها بمعنى أحقا : أنَّك إذا قلت أمَا أنَّك قائمٌ ، فيه معنى الاستفهام ، فلو كان أَمَا مجموعُها بمعنى حقًّا لزم إمّا أن لا يكون استفهام ، وهو خلاف المعنى ؛ وإمّا أن يقدَّر أداتُه دائما ، ويَردُ أنّه لم يلفظ به معها فى وقتٍ قطّ مع أنَّ حذف الهمزة بدون أنّ شاذٌّ عند سيبويه ، ضرورةٌ عند غيره ، وكلُّها بعيدة عن الصواب . وإذا كانت مركبة من الهمزة وما ، كان كلُّ معنى مستفاداً من لفظه الموضوع له . وما هذه نكرة تامّة لا تحتاج إلى صفةٍ أو صلةٍ ، عامّة بمعنى شيء ، ومن ما صَدَقاتها حَقّ . ولذلك قال : بمعنى شيء وذلك حقّ ، ولم يقل ابتداءً بمعنى حق . وليست التامة التى فى قوله تعالى : ﴿ إنْ تُبدُوا الصَّدَقاتِ فنعِمَّا هى [1] ﴾ ؛ لأنّها بمعنى الشيء ، خلافا لابن المُلاّ ، فإنَّه زعم أنَّها كالتى فى الآية ، وقال : أى فنعم شيئاً هى . فأخطأ فى موضعين .

وإذا كان مجموع أمَا بمعنى حقًّا غير صواب ، فما الظنُّ بالقول بحرفيَّتها ؟

قال ابن هشام : وهى حرفٌ عند ابن خروف ، وجَعَلَها مع أنَّ ومعموليها كلاماً تركّب من حرف واسم ، كما قال الفارسى فى يا زيد . انتهى .

وهذا بعيدٌ عن الصَّواب بمراحلَ كما لايخفى .

وقول ابن هشام : « وأنَّ وصلتها مبتدأ والظرف خبره » ، هذا مرجوح ، والراجح كونه فاعلاً للظرف أو لثبت محذوفا . وما نقله عن المبِّرد هو المشهور .

وزعم العينى أنّ مذهبه كون حقا صفةً لمصدر محذوف ، أى أهَجَانى أخطلكم هجواً حقًّا . وهذا غير مشهورٌ ، ومذهب سيبويه فى حقًّا هو الراجح ، ووجهه ما ذكره الشارح وابن هشام . ٣٠٨

(١) الآية ٢٧١ من سورة البقرة .

و (فى التذكرة القصرية) : قلت لأبى على : قوله أحقا أنّ أخطلكم هجانى يدلُّ على أنّ حقا بمعنى أفى الحق ، لأنّه ليس يريد أتحقُّون حقًّا أنَّ أخطلكم هجانى ، وإنّما يريد أفى الحق ، أى أخبرونى هل هجانى أخطلكم ؟ وليس يريد : أتحقُّون هذا الخبر ؟ فلم ينكر أبو على هذا وصحَّحه وصوَّبه . انتهى .

وبهذا يُعلم أنّه ليس المعنى أهجانى هجواً حقا .

وهذا نصُّ سيبويه وفيه فوائد كثيرة ، قال (فى باب من أبواب إنّ تكون أنَّ فيه مبنيّة على ما قبلها) : وذلك قولك : أحقًّا أنَّك ذاهب ، والحقُّ أنّك ذاهب [١] ، وكذلك : أأكبرُ ظنّك أنّك ذاهب ، وأجَهْدَ رأيِكَ أنَّك ذاهب . وكذلك هُما فى الخبر . وسألت الخليلَ رحمه الله فقلت له : ما منعَهُم أن يقولوا : حقًّا إنَّكَ ذاهبٌ ، على القلب ، كأنّك قلت : إنَّك ذاهب حقًّا ، وإنّكٌ ذاهبٌ الحق ؟ فقال : لأنَّ إنَّ لا تبتدأ فى كل موضع ، ولو جاز هذا لجاز يوم الجمعة إنَّك ذاهب ، تريد إنّك ذاهب يوم الجمعة . ولقلت أيضا : لا محالة إنّك ذاهب ، تُريد [٢] : إنَّك لا محالة ذاهب . فلمّا لم يجز ذلك حملوه على أحقُّ أنّك ذاهب ، وأفى أكبر ظنك أنّك ذاهب ، وصارت أنَّ مبنيّةً عليه كما تَبنى الرَّحيل على غدٍ إذا قلت : غداً الرَّحيل . والدليل على ذلك إنشادُ العرب [٣] كما أخبرتك . زعم يونس أنّه سمع العرب يقولون فى بيت الأسود بن يعفر :

أَحَقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جندلٍ تهدُّدُكم إيَّـــاىَ وسْطَ المجالسِ

(١) ط : « أآلحق أنك ذاهب » بهمزتين ، صوابه فى ش . وذلك أن همز الوصل المفتوح يبدل مدا مع الاستفهام ، أو يسهل بين الهمزة والألف . ولا يحقق ، لأن همز الوصل لا يثبت فى الدرج إلا لضرورة . الأشمونى ٤ : ٢٧٧ .

(٢) ط : « يريد » ، صوابه فى ش وسيبويه .

(٣) سيبويه : « إنشاد العرب هذا البيت » .

فزعم الخليل أنّ التهدُّد هنا بمنزلة الرّحيلُ بعد غد ، وأنّ أنَّ بمنزلته ، وموضعُه كموضعه . ونظير أحقًّا أنّك ذاهبٌ ، من أشعار العرب ، قولُ العبدىّ :

أحقًّا أنَّ جِيرتَنا استقلُّوا فنيَّتُنا ونيَّتُهُمْ فريقُ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أألحقَّ إنْ دارُ الرَّباب تباعدَتْ أو انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبَك طائرُ

وقال النابغة الجعدىّ :

ألا أبلِغْ بنىَ خَلَفٍ رسولاً أحقًّا أنَّ أخطلَكُم هجانيِ

فكُلّ هذه البيوت [١] سمعناها من أهل الثقة هكذا ، والرفع فى جميع هذا جيِّدٌ قوىٌّ . وذلك أنّك إن شئتَ قلت : أحقٌّ أنَّك ذاهب ، وأأكبر ظنك أنّك منطلق ، تجعل الآخِر هو ألاوَّلَ . انتهى .

يريد أنَّك تجعل أنّ مبتدأ مؤخَّراً وما قبلها خبراً مقدَّما .

وقد تقدَّم ما يتعلق به فى الشاهد الرابع والستين [٢] ، فى باب المبتدأ والخبر .

وقوله :

ألا أبلغْ بنى خلفٍ رَسولاً أحقًّا أنَّ أخطلَكُمْ هجانى

الأخطل هنا هو الشاعر المشهور النَّصرانى ، وكانت بينه وبين النابغة الجعدى الصَّحابى مهاجاةٌ . وبَنُو خَلف : رهط الأخطل من بنى تغلب . وروى :

* ألاَ أبلغْ بنى جُشَمٍ رسولا *

---

(١) يجمع البيت من الشعر على أبيات ، وبيوت أيضا . وفى تاج العروس : « وحكى سيبويه فى جمعه بيوت » .

(٢) الخزانة ١ : ٤٠١ — ٤٠٤ .

وجشم ، بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ، من بنى تغلب أيضا . قال الأعلم : الرسول ههنا بمعنى الرسالة ، وهو مما جاء على فَعُول كالوضوء والطَّهور . ونظيرُها الألوك ، وهى الرسالةُ أيضاً . انتهى . ٣٠٩

وقال ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) : رسولا حال من الفاعل ، أو اسمٌ للمصدر ، أو بمعنى الرِّسالة ، مثلُها فى قوله :

لقد كذَبَ الواشونَ ما بُحْتُ عندَهمْ بليلَى ولا أرْسلتُهمْ برسولِ [١]

فيكون مفعولاً ثانيا . ولو منع مانع مجئ رسول بمعنى الرسالة محتجًّا بأنّهم لم يستندوا فى ذلك إلاّ إلى هذا البيت ، وهو محتملٌ للوصفية على أنّه حال ، لم يحسُنْ لأنّه يلزم عنه كون الحال مؤكّدة لعاملها لفظاً ومعنى ، ومجئ فَعولٍ للجماعة ، وزيادة الباء فى الحال . وهذه وإن كانت أموراً ثابتة ، نحو : ﴿ وأرسلناكَ للنّاس رَسُولاً [٢] ﴾ ، ونحو : ﴿ فإنهمْ عَدوٌّ لى [٣] ﴾ ، ونحو :

فما رجَعَتْ بخائبةٍ ركابٌ حكيم بن المسيَّب منتهاها [٤]

إلاّ أنّ اجتماعَها بعيد . انتهى .

وقد أخذ العينىُّ هذا الكلاَم بإخلالٍ فيه ، ولم يعزُه إليه .

وهذا البيت استشهد به ابن الناظم (فى شرح الألفية) على أنّه إذا غلب الاسمُ بالألف واللام لم يجزْ نزعُها منهُ إلاّ فى نداء ، نحو : يا نابغة ويا أخطل ، أو إضافةٍ نحو : نابغة بنى ذبيان ، وأخطلَكم فى هذا البيت .

---

(١) لكثير عزة فى ديوانه ١١٠ واللسان (رسل ٣٠١) .

(٢) الآية ٧٩ من سورة النساء .

(٣) الآية ٧٧ من سورة الشعراء .

(٤) مجهول القائل . وهو من شواهد المغنى ١١٠ والهمع ١ : ١٢٧ واللسان (منى ١٦٢) .

والاستفهام هنا للتقرير ، ومعناه حملك المخاطبَ على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده ثبوتُهُ أو نفيُه . وقال العينى : الهمزة للإنكار التوبيخىّ ، فيقتضى تحقُّقَ ما بعدَها وأنَّ فاعله ملومٌ على ذلك ، وكلاهما خارجان عن الاستفهام الحقيقى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الجَعْدىِّ ، هجا بها الأخطل وبنى سعد بن زيدِ مَناة ، ومدح بها كعب بن جُعَيلٍ ؛ لقضائه له على بَنى سعد . وبعده :

أبيات الشاهد

(فلولا أنَّ تغلبَ رهطُ أُمِّى وكعبٌ وهو منِّى ذو مكانِ [1]
تراجَمنا بصَدْرِ القَول حتَّى نصيرَ كأنَّنا فرسَا رهانِ)

ومطلع القصيدة :

(وظَلّ لنسوةِ النُّعمان منَّا على سَفَوانَ يومٌ أرْوَنانى [2]
فأعتقْنا حليلتَه وجئنا بما قد كان جمَّع مِن هِجانِ [3])

وسَفَوان ، بالتحريك : اسم ماء . وأَرْوَنانىٌّ : شديد . والحَليلة : الزَّوجة . والهجان : كرائم الأموالِ وأشرفُها .

وترجمة النابغة الجعدى تقدَّمت فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [4] .

* * *

---

(١) ديوان النابغة الجعدى ١٦٥ .

(٢) الحق أن هذا البيت ليس مطلعا للقصيدة ولا يصلح لذلك . وإنما مطلعها كما فى الديوان ١٦٠ :

فمن يك سائلا عنى فإنى من الفتيان فى عام الخنان

ويشير بقوله : « نسوة النعمان » إلى ما روى من أن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، أغار على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو على سفوان ، فأخذ امرأته المتجردة فى نسوة من نساء المنذر ، وأصاب أموالا كثيرة . النقائض ٤٠٤ .

(٣) فى الديوان والنقائض : « فأردفنا حليلته » .

(٤) الخزانة ٣ : ١٦٧ – ١٧٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٤٩ (أفى حَقٍّ مُواساتى أخَاكـمْ بِمالِي ثم يَظلِمُنِى السَّرِيسُ)

على أن مجيء (فى) مع (حقٍّ) يدلُّ على أنّ حقًّا إنّما نُصب على الظرفية بتقدير فى . وهذا ظاهر .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لأبى زُبيدٍ الطائى النّصرانى ، أوّلُها :

أبيات الشاهد

(ألا أبلغْ بنى عمرِو بنِ كعب بأنّى فى مودَّتكم نفيسُ)

وفيها يقول :

(فما أنا بالضَّعيفِ فتظلمونى ولا حظِّى اللَّفَاءُ ولا الخسيسُ
أفى حقٍّ مواساتى أخـــاكم بِمالِى ثم يظلمُنِى السَّرِيسُ)

٣١٠

وسببُها كما نُقل عن ابن الأعرابىّ قال :

كان أخوالُ أبى زُبيد تغلبَ ، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيَّامِه ، وكان له غلامٌ يرعى إبله ، فغزت بهراءُ بنى تغلبَ فمرَّ بنو تغلبَ بغلامِه فدَفَعَ إليهم إبل أبى زُبيد ، وقال : انطلِقُوا أدلُّكم على عَورة القوم وأُقاتل معكم . والتقَوْا فانهزمت بَهْراءُ وقُتِل الغلام ، ولم يبعثْ إليه بنو تغلب ديةَ غلامِه وما ذهَبَ له منْ إبله . فقال فى ذلك هذه القصيدة .

ونفيس : راغبٌ فيه لنفاسته ، يقال نَفِست فيه نفاسةً أى رغبتُ فيه ، ونافست فى الشيء منافسة ونِفاسا ، إذا رغبتَ فيه على وجه المباراة فى الكرم [٢] .

---

(١) ديوان أبى زُبيد الطائى ١٠١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٩٨٣ واللسان (سرس ٤١٠) .

(٢) ط : « المباداة فى الكرم » ، صوابه فى ش .

واللَّفاء بفتح اللام بعدها فاء ، قال صاحب الصحاح : هو الخسيس من الشَّىء ، وكلُّ شيء يسير حقيرٍ فهو لَفاء . وأنشد هذا البيت ، وقال : يقال رَضِىَ فلانٌ من الوفاء باللَّفاء ، أى من حقّه الوافى بالقليل . ويقال:لَفاهُ حقِّه ، أى بَخَسَه . والخسيس : الدَّنىء .

والمواساة : مصدر واسَاه بماله ، قال صاحب الصحاح : آسيته بمالى مؤاساةً ، أى جعلته أُسوتى فيه . وواسيتُه لغة ضعيفة فيه . وفى المصباح : آسيته بنفسى بالمَدّ : سوَّيته . ويجوز إبدال الهمزة واواً فى لغة اليمن ، فيقال واسيته .

والسَّريس ، بسينين مهملتين ، قال صاحب الصحاح : هو الذى لا يأتى النساء . قال أبو عُبيدٍ : هو العِنِّين . وأنشد لأبى زُبيدٍ الطائى :

* أفى حقٍّ مواساتى أخاكم * البيت

أقول : أنشده أبو عبيدٍ (فى الغريب المصنَّف) . قال شارح أبياته ابن السيرافى : يقول : أيكون فى الحق أنْ أبذُل مالى وأتفضَّل بإعطاءِ مالا يُستَحقُّ علىَّ ، ثم أُظلَمَ وأُمْنَعَ مالى ، ويتمَّ علَىَّ ذلك من رجلٍ سريس . يريد أنَّ الذى ظلمه ليس بكاملٍ من الرجال . انتهى .

وفى درة الغوّاص للحريرى [1] : العرب تسمِّى العِنِّين السَّريسَ ، كما قال الشاعر :

ألاَ حُيِّيتِ عنَّا يالميسُ ... عَلانيَةً فقد بَلَغَ النَّسيسُ
رغبتُ إليكِ كيما تَنكِحينى ... فقلتِ بأنَّه رجلٌ سَريسُ
ولو جَرَّبتِنى فى ذاكِ يوماً ... رضيتِ وقلتِ : أنتَ الدَّردبيس . انتهى

ولَميس : اسم امرأة . والنَّسيس بالنون بعدها سين مهملة : بقيَّة الروح . والدَّردبيس : الداهية .

---

(١) درة الغواص ٩٤ .

وترجمة أبى زُبيدٍ تقدَّمت فى الشاهد الثانى والثمانين بعد المائتين [١]

* * *

وأنشد بعده :

(أحقّاً بنى أبناءِ سَلْمى بن جَندلٍ)

تمامه :

(تهدُّدُكم إيّاىَ وَسْطَ المجالِسِ)

فى أنّه مثل قوله :

* أفى حقٍّ مواساتِى أخاكم *

فى أنَّ تهدُّدَكم فاعل أحقاً ، أو مبتدأٌ وَأحَقًّا ظرف وقع خبراً له . وكذلك مواساتى فاعل والظرف قبله خبره . وقد جاء فيهما الفاعلُ الصريح أو المبتدأُ الصَّريح موضعَ أنَّ المؤوّلة بأحدهما .

وبنى : منادى . وقد أنشد الشارح هذا البيت ابتداءً فى باب المبتدأ ، وفى باب المفعول المطلق ، وفى باب الحال ، ولهذا قال البيتَ ولم ينشِدْه كاملا . وقد شرحناه فى الشاهد الرابع والستين [٢] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ١٩٢ – ١٩٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٠١ – ٤٠٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٨٥٠ (ولقد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طعنةً جَرَمَتْ فَزارةُ بَعْدَها أن يَغْضَبوا)

على أنَّ سيبويه قال : جرمَ فى البيت فعلٌ ماض بمعنى حَقَّ ، وفزارةُ فاعل ، وأن يغضَبوا بدل اشتمال . أى حقَّ غضبُ فزارة بعده . وقال الفراء : بل الرواية بنصب فزارة ، أى كسبت الطَّعنةُ فزارةَ الغضبَ ، أى جَرَمَتْ لهم الغضب . هذا كلام الشارح ، وليس فى كلام سيبويه ما نقله عنه ، وهذا نصُّه : ٣١١

وأما قوله تعالى : ﴿ لا جَرَمَ أنّ لهُمُ النّارَ وأنَّهم مُفْرَطُون [٢] ﴾ ؛ فإنَّ جَرم عملتْ لأنّها فعل ، ومعناها لقد حقَّ أنّ لهم النار ، ولقد استحقَّ أنَّ لهم النارَ . وقول المفسِّرين : معناها حَقًّا أنَّ لهم النارَ ، يَدُلُّك على أنَّها بمنزلة هذا الفعل إذا مثّلتَ . فجرم بعد لا عملت فى أنّ عملَها فى قول الفزارىّ [٣] :

ولقد طَعنت أبا عُيينَةَ طعنـةً جَرمت فزارةَ بعدَها أن يغضبوا [٤]

أى أحقَّت فزارة . وزعم الخليل أنَّ جرم إنّما تكون جواباً لما قبلها من الكلام ، يقول الرجل : كان كذا وكذا ، فتقول : لا جرمَ أنَّهم سيندمون ، وأنّه سيكون كذا وكذا . انتهى كلامه .

فليس فيه ما يقتضى أنّ فزارة فاعل وأنْ يغضبوا بدل ، وإنَّما أورد البيت تأييداً لكون جَرَم فى الآية ونحوِها فى الأصل فعلاً يرفع الفاعل ، وفاعلها فى البيت

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٦٩ والمقتضب ٢ : ٣٥٢ وأمالى المرتضى واللسان (جرم ٣٦٠) .

(٢) الآية ٨٢ من سورة النحل .

(٣) ط : « الفرزدق » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « أبا عيينة » ، صوابه فى ش .

ضمير الطَّعنة ، ولا يريد أنَّ فزارة مرفوعٌ بها ، وإلاَّ لما كان لقولِهِ : أحقَّت فزارةَ وجه . وإنّما أتَى به ليَفرقَ بين ما فى الآية وبين ما فى البيت ، فأفاد أنَّها فى البيت متعدِّية ، ولذا قال أحقَّت بالألف . قال أبو جعفر النحاس : وعندى عن أبى الحسن فى كتاب سيبويه : أى أحقَّت فزارة ، بالألف . انتهى .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله جَرمَتْ فزارة ، ومعناه على مذهب سيبويه حَقَّتها للغضب . وغيره يزعم أنَّ معنى جرمت فزارةَ أن يغضبوا أكسَبْتهُم الغضبَ ، من قوله عزّ وجل : ﴿ لا يَجرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَومٍ [1] ﴾ . ويقال حَقَقْتُه أن يفعلَ ، بمعنى أحققته . وحَقّقته ، أى جعلته حقيقاً بفعله . انتهى .

وكأنَّ روايتَه فى الكتاب : أى حَقّت فزارةَ ، بلا ألف . وحَقّت متعدِّية كما بيَّنها . ويدلُّ لما قلنا أيضاً قولُ ابن السِّيد (فى شرح أبياتِ أدب الكاتب) ، قال : قوله : جرمَت فزارة بعدها أن يغضَبوا ، أى كسَبَت فزارةَ الغضبَ عليك . وقول الفراء : وليس قولُ من قال حَقّ لفزارةَ الغضبُ بشىء ، ردًّا [2] منه على سيبويه والخليل ، لأنّ معناه عندهما : أَحقَّت فزارةَ بالغضب . فأنْ يغضبوا على تأويلهما مفعولٌ سقط منه حرفُ الجّر ، وهو على قول الفراء مفعولٌ لا تقديرَ فيه لحرف الجرّ . وكلا التأويلين صحيح ، وجملة جَرمت فزارةَ صفةٌ لطعنةً ، كأنّه قال : طعنة جارمة . انتهى .

وكأنّه لم يقف على كلام الفرّاء . وهذا نصُّه (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّهم فى الآخرة هم الأخسَرون [3] ﴾ ، من سورة هود ، قال قوله : لا جرمَ أنَّهم ، كلمةٌ كانت فى الأصل ، والله أعلم ، بمنزلة لابدّ أنّك قائمٌ ،

(١) الآية ٢ ، ٨ من سورة المائدة .

(٢) فى النسختين : « رد » بالرفع ، صوابه فى الاقتضاب ٣١٣ .

(٣) الآية ٢٢ من سورة هود . وانظر معانى الفراء ٢ : ٨ — ٩ .

ولا محالةَ أنّك ذاهب ، فجرَتْ على ذلك ، وكثُر استعمالهم إيّاها حتّى صارت بمنزلة حقًّا . ألا ترى أنَّ العرب تقول : لا جرمَ لآتينَّك ، لا جرمَ لقد أحسنت . وكذلك فسَّرها المفسِّرون بمعنى الحقّ ، وأصلها من جرمَتْ أى كسَبت الذنب . وليس قولُ من قال إنّ جرمَتْ كقولك : حُقِقَت أو حَقُقت بشىء ، وإنّما لبَّس على قائله قولُ الشاعر :

ولقد طعنت أبا عُيينة .. البيت .

فرفعوا فزارة وقالوا : نجعل الفعلَ لفزارة ، كأنّه بمنزلة حَقّ أو حُقّ لها أن تغضب . وفزارةَ منصوبة فى قول الفراء ، أى جرمتهم الطَّعنةُ أن يغضبوا ، أى كسبتهم . وموضع أنْ مرفوع ، كقول الشاعر : ٣١٢

أحقًّا عبادَ الله جُرأةُ مِحْلقٍ عَلَىّ وقد أعيَيْتُ عاداً وتُبَّعا[1]

ومِحْلق : رجل . انتهى كلامه ، ونقلته من خطّ الخطيب البغدادى المحدِّث المشهور .

فجرمَ عند الفراء اسمٌ ، وعند سيبويه فعلٌ ماض . وليس ما ردَّه الفرّاء موجودًا فى كلام سيبويه حتى يكون ردًّا على كلام سيبويه والخليل ، وإنّما هو ردٌّ على من قاله غير سيبويه ، كأبى عمرو بن العلاء ، وأبى زيد ، ويُونُس ، وأضرابهم .

ويؤيِّده أنَّ الشريف المرتضَى نقل كلامَ الفراء وما ردَّه (فى أماليه) ، ولم يُجْرِ لسيبويه ذكراً . قال : فأمَّا قوله لا جرم فقال قومٌ : معنى جَرم كسب . وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ لهم النارَ ﴾ إنّ (لا) ردٌّ على الكفار ، ثم ابتدأ فقال: جَرمَ أنَّ لهم النار ، بمعنى كسَب قولُهم أنّ لهم النار . وقول الشاعر :

---

(١) فى معانى الفراء ١ : ٤٥٧ : « عادا » مصروفا ، لكن فى ٢ : ٩ ، ١٩ : « عاد » ممنوعا من الصرف .

نصبنا رأسَه فى رأس جِذعٍ بما جرَمَتْ يداه وما اعتدَينا[١]

أى بما كسَبَت . وقال آخرون : معنى جرم حَقّ ، وتأولوا الآية بمعنى حقَّق قولُهم أنَّ لهم النار . وأنشدوا :

* ولقد طعنت أبا عيينة طعنةً * ... البيت .

أراد : حقَّقت فزارةُ . وروى الفراء « فزارةَ » بالنصب ، على معنى كسبت الطعنةُ فزارةَ الغضبَ . وقال [٢] الفراء : لا جرم فى الأصلِ مثلُ لابدَّ ولا مَحالة ، ثم استعملتْه العربُ [٣] فى معنى حقًّا ، وجاءت فيه بجواب الأَيمان [٤] . انتهى .

وقد نقل الجوهرى كلامَ الفرّاءِ بعينه (فى الصحاح) . والعجبُ من ابن برّىّ فى قوله ، تبعاً لابن السِّيد : هذا ردٌّ على الخليل وسيبويه ، لأنَّهما قدَّراه أحَقّتْ فزارةَ الغَضبَ أى بالغضب ، فأُسقِط الباء . وفى قَولِ الفراء لا يُحتاج إلى إسقاط حرف الجرّ فيه ، لأنَّ تقديره كسبَتْ فزارةَ الغضبَ عليك . انتهى .

وما نقله منهما حقٌّ لا شُبْهة فيه . وأمّا ما وجه التعجب فإنّه كيف يصحُّ قوله : هذا ردٌّ على الخليل وسيبويه لأنَّهما قدَّراهُ : أحَقَّتْ فزارة الغضب ، مع قول الفراء:« فرَفعوا فزارة » بِجعلِه قولَ سيبويه والخليل ؟

والذى قاله الشارح ، رأيتُه (فى تفسير الزجاج) وهو متأخِّر عن الفراء ، قال عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ الله يَعْلَم ما يُسرُّون وما يُعْلِنونِ [٥] ﴾ ، من سورة النحل ، ما نصُّه :

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

(٢) فى النسختين : « فقال » ، صوابه من أمالى المرتضى .

(٣) ط : « استعمله » ، وأثبت ما فى ش وأمالى المرتضى .

(٤) بعده فى الأمالى : « فقالوا : لا جرم لأقومن » .

(٥) الآية ٢٣ من سورة النحل .

معنى لا جرم حَقَّ أنّ الله ، ووجَبَ أنَّ الله . وقوله (لا) ردٌّ لفعلهم . قال الشاعر :

ولقد طعنتُ أبا عيينة .... البيت .

المعنى : حقَّت فزارَةُ بالغضب . انتهى .

وقال أيضا فى هذه السورة عند قوله تعالى : ﴿ لا جَرَم أنَّ لهم النارَ ﴾ : (لا) ردٌّ لقولهم . المعنى والله أعلم : ليس ذلك كما وصَفُوا ، جَرَم فِعلُهم هذا ، أى كسَب . وقيل إنَّ أنَّ فى موضع رفع . ذكر ذلك قُطرب . انتهى .

وقطرب تلميذُ سيبويه .

وقول الشارح رحمه الله : أى جرمَتْ لهم الغضب ، كقوله تعالى : ﴿ ولا يَجْرِمَنَّكم شنَآنُ قومٍ ﴾ أى لا يَجرمنّ لكم ، ظاهرُه أنَّ هذا من كلام الفراء . وليس كذلك كما نقلنا كلاَمه . وهذه عبارتُه فى آية المائدة : وقوله : ﴿ ولا يَجرمنَّكم شنَآنُ قومٍ أن صَدُّوكم عن المَسْجدِ الحَرَام أن تَعْتَدُوا ﴾ قرأ يحيى بن وَثّاب والأعمش : ﴿ ولا يُجْرِمَنَّكم ﴾ مِن أجرمت . وكلامُ العرب وقراءة القُرَّاء ﴿ يَجرمَنَّكم ﴾ بفتح الياء ، جاء التفسير : ولا يحملنَّكم بُغض قوم . قال الفراء : وسمعت العرب تقول : فلانٌ جريمة أهلِه ، يريدون كاسبٌ لأهله . وخرَج يَجْرِمُهمْ : يكسِب لهم ، والمعنى فيهما متقارب ، أى لا يكسبنَّكم بغضُ قوم أن تفعلوا شرًّا ، فأنْ فى موضع نصب . فإذا جعلت فى أنْ تعتدوا (علَى) ، ذهبتَ إلى معنى لا يحملنَّكم بغضُهم على أن تعتدوا ، فيصحُّ طرحُ علَى كما تقول : حملتَنِى أن أسوءَك ، وعلى أنْ أسوءك . انتهى كلامه .

وقد أخذه صاحب الكشّاف وأوضحَه قال : جرمَ يجرى مجرى كسَب فى تعديته إلى مفعولٍ واحد واثنين ، تقول : جرمَ ذنباً نحو كسَبه ، وجَرمتُه ذَنْبًا نحو

٣١٣

كسبتهُ إيَّاه . ويقال أجرمته ذنْباً على نقل المتعدى إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين ، كقولهم : أكسبته ذنبا . وعليه قراءة عبدِ الله : ﴿ لا يُجْرِمنَّكم (١) ﴾ ، بضم الياء ، وأوَّل المفعولين على القراءتين ضمير المخاطَبِينَ ، والثانى أنْ تعتدوا ، وأنْ صَدُّوكم بفتح الهمزة متعلِّق بالشنآن بمعنى العِلَّة (٢) . والشنآن : شدة البغض . والمعنى : لا يُكسبنَّكم بغضُ قومٍ لأن صدُّوكم الاعتداءَ (٣) ولا يَحمِلَنَّكم عليه . انتهى .

وقال أيضا فى قوله تعالى : ﴿ لا يَجرِمَنّكم شِقَاقِى أنْ يُصيبَكُمْ (٤) ﴾ من سورة هود : جرم مثل كسَبَ فى تعدِّيه إلى مفعول واحدٍ ، وإلى مفعولين . تقول : جرم ذنبًا وكسَبَه ، وجَرمتُه ذنباً وكسَبْتُه إيَّاه (٥) . قال :

* جرمت فزارةَ بعدَها أنْ يغضَبُوا *

ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يَجرِمَنَّكم شِقاق أن يُصيبَكُم ﴾ أى لا يَكسِبنَّكم شِقاق إصابةَ العذاب .

وكذا قال الزجاج (فى تفسيره) ، قال : أى لا يحملنّكم بغضُكم المشركينَ على ترك العدل . يقال أجرَمنى كذا وجَرَمنى ، وجرَمْتُ وأجرمتُ بمعنىً واحد . وقيل لا يُجْرِمنّكم : لا يدُخِلنّكم فى الجُرْم ، كما تقول آثمته : أدخلتُه فى الإثم (٦) . انتهى .

---

(١) من الآيتين ٢ ، ٨ فى سورة المائدة .

(٢) لم يسجل أبو حيان فى تفسيره هذه القراءة ، لكن وردت فى معانى الفراء ١ : ٢٩٩ واللسان (جرم ٣٥٩) منسوبة إلى يحيى بن وثاب والأعمش ، كما وردت فى القراءات الشاذة لابن خالويه ٣١ منسوبة إلى عبد الله بن مسعود والأعمش أيضا .

(٣) أى التعليل ، أى لأن صدوكم . وفى ش : « القلة » ، صوابه فى ط والكشاف .

(٤) الآية ٨٩ من سورة هود . وفى ط : « ولا يجرمنكم شقاق » والوجه حذف الواو كما فى ش ، لأنها إذا أثبتت كان صواب النصّ : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاق » .

(٥) فى اللسان : « وكسَبتُ الرجُلَ خيراً فكسَبَه ، وأكسبه إيّاه . والأوّل أعلى » .

(٦) فى اللسان (أثم ٢٧١) : « وآثمهُ بالمد : أوقعه فى الإثم . عن الزجاج » .

وحاصله أنَّ لا جرم فعلٌ عند سيبويه بمعنى حقَّ يطلبُ فاعلا ، ومصدرٌ عند الفرّاء يطلب فاعلاً أيضا . وهذا عندهما إذا كانت أنَّ بعدها ، وأمّا فى القسم نحو لا جَرمَ لقد كان كذا ، فلا . و (لا) عند سيبويه زائدة ، إلاّ أنَّها لزِمتْ جَرَمَ لأنّها كالمَثَل . كذا قال الأعلم .

وقال أبو حيان (فى الارتشاف) : والوقف على لا عند سيبويه ، ولا يجوز أن تُوصل [1] بجرمَ ، لأنَّها ليست نفيَها . انتهى .

وعند الفراء لا ركِّبت مع جرم ، وصارت بمعنى لابدّ ولا مَحالة ، ثم استُعمِلت بمعنى حقًّا ، كما تقدَّم .

وقال أبو حيان : وذهب الفراء إلى أنَّ جرم بمعنى كسَب ، ركِّبت مع لا وصارت بمنزلة لابدَّ . ولا يقِف على لا . وأنَّ بعدها على تقدير مِن ، كما تقول : لابدَّ أنّك ذاهب ، أى مِن أنّك ذاهب . هذا كلامه وفيه نظر .

وأمّا جرم بدون لا ، المتصرِّفةُ كالتى فى البيت ، فهى فعلٌ متعدٍّ عند سيبويه كما يظهر من قولِهِ : أى أحقّت فزارة ، بالألف . وعند الفراء متعدِّية تارة إلى مفعولين كقوله فى سورة هود ، وليس الأوّل على تقدير حرف الجر كما أوّله الشارح ، وإلى واحدٍ تارةً كقوله فى سورة المائدة . وعليه مشى الزجّاج والزَّمخشرى . ولم يقلْ أحدٌ فيما رأيت إنّها فعلٌ لازم غير قطرب .

وقول الشارح المحقق : « وحكى الكوفيُّون فيها عن العرب وجوهاً من التغيير » حكى الفراء منها وجهين : قال فى تفسير آية هُود : ولكثْرتها فى الكلام

(١) ش : « يوصل » .

حُذفت منها الميم ، فبنُو فَزارةَ يقولون:لا جَرَ أنّك قائم [١]. وتُوصَل مِنْ أوّلها بذا . أنشدنى بعضُ بنى كلاب :

إنّ كلاباً والِدى لا ذا جَرمْ [٢] لأهدِرنَّ اليومَ هَدْراً فى النَّعَمْ

٣١٤ * هدر المعنَّى ذى الشَّقاشيق اللِّهَمّ * انتهى .

قال السيد المرتضى (فى أماليه) وذكر هذين الوجهين والشِّعْر : معنَّى : الذى يُدخَل العُنَّة من الإبل ، وهى الحظيرة . وذلك أنّ الفحل اللئيمَ إذا هاجَ حُبِس حتى لا يَضرِبَ فى النُّوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عُقْبة :

قَطعتَ الدَّهر كالسَّدِم المعنَّى تُهدِّرُ فى دِمشق فلا تَرِيمُ

وأصله المعنَّن ، فقُلبت إحدى النونات ياء . واللِّهَمُّ بكسر اللام وفتح الهاء : الذى يلتهم كلَّ شىء ، أى يبتلعه [٣] .

وقد زاد لغة ثالثة وهى لا جُرْم بضم الجيم وتسكين الراء مع الميم [٤] . انتهى .

وهذه زيادةٌ على ما أورده الشارح المحقّق .

ونقل المفضَّل بن سَلَمة (فى كتاب الفاخر) وجهَى الفراء وقال : وحكى غير الفرّاء لا أنّ ذا جَرَم ، ولا ذو جَرَمَ . انتهى .

وهذه الأخيرة زيادةٌ على ما ذكره الشّارح .

---

(١) فى النسختين : « لا جرم أنك قائم » ، صوابه ما أثبت من معانى الفراء ٢ : ٩ واللسان (جرم ٣٦١) وأمالى المرتضى ، بحذف الميم .

(٢) معانى الفراء ٢ : ٩ وأمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

(٣) النص السابق إلى هنا ورد فى أمالى المرتضى ١ : ١١٠ – ١١١ منسوبا إلى حواشى مخطوطاته ، ولم يرد فى صلبها .

(٤) أما هذا النص فقد ورد فى صلب أمالى المرتضى ١ : ١١٠ .

وزاد ابنُ الأعرابى (ذى) على ما نقله عنه ابنُ مكرَّم (فى لسان العرب) قال : قال ابن الأعرابى : لا جرم لقد كان كذا ، أى حَقًّا ، ولا ذا جَرَمَ ، ولا ذا جَرَ . والعرب ، تصِلُ كلامها بذى وذا وذو ، فتكون حشْواً ولا يُعتدُّ بها .

وأمَّا بقية اللغات التى أوردها الشارح فقد نقلها ابن مكرَّم فقال : قال ثعلب : الفراء والكسائى يقولان : لا جرَم تبرئةٌ بمعنى لابدّ ، ويقال لا جَرم ولا ذا جَرَم ، ولا عن ذا جرمَ ، ولا جَرَ بلا ميم . وذلك أنّه كثُر فى الكلام فحذفت الميم كما قالوا : حاشَ للهِ والأصل:حاشا . وسَوْ أفعل والأصل:سَوفَ أفعل . انتهى .

صاحب الشاهد

ولنرجع الآن إلى شرح البيت فنقول : قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : البيت لأبى أسماء بن الضَّريبة ، وقيل بل هو لعطيّة بن عُفَيف . ويقرأ طعنتُ بضم التَّاء [1] ، وهو غلطٌ والصواب فتحها ، لأنّ الشاعر خاطب بها كُرزًا العُقَيلى ورثاه ، وكان طعن أبا عُيينة ، وهو حِصن بن حُذيفة بن بدر الفزاريّ ، يوم الحاجر [2] . ويدل على ذلك قوله قبله :

يا كرز إنّك قد فتكتَ بفارسٍ ... بطلٍ إذا هابَ الكماة وجبَّبوا[3]

وجَبَّبوا بالجيم والباء الأولى مشدّدة . قال صاحب الصحاح : التجبيب : النّفار . يقال جَبَّب فلانٌ فذهب . وقال غيره : التجبيب : الفِرار .

وكُرز بضم الكاف .

---

(١) فى النسختين : « بضم الطاء » ، صوابه ما أثبت من ش مع أثر تغيير .

(٢) الحاجر : موضع قبل معدن النقرة ، كما فى معجم البلدان . أو موضع فى ديار بنى تميم كما ذكر البكرى . وأورد خبر اليوم صاحب العقد ٥ : ٢١١ والبكرى فى رسم (الحاجر) .

(٣) الاقتضاب ٣١٣ ومعجم البكرى واللسان (جرم ٣٦١) .

وأبو أسماء جاهلى . والضَّريبة فعيلة من الضَّرب . وكذا عَطيّة بن عُفَيف جاهلىّ [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون [٢] بعد الثمانمائة [٣] :

٨٥١ (أعَنْ ترسَّمتَ مِن خَرقاءَ مَنْزلةً)

تمامه :

(ماءُ الصِّبابةِ من عينيكَ مسجومُ)

على أنّ (عَنْ) أصلها أنْ فأبدلت الألف عينا .

وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى حروف المصدر .

والهمزة للاستفهام ، وعن مصدرية ، واللام مقدّرة قبلها علّة للمصراع الثانى . و (ترسَّمت) الدار : تأمّلتُ رَسْمهَا . والتاء للخطاب . وخَرقاء : اسم معشوقة ذى الرمَّة غَيلان ، وهو قائل البيتِ وهو مطلع قصيدة . و (منزلةً) مفعول ترسّمت . و (الصَّبابة) : رقة الشَّوق . و (مسجوم) من سجمَتِ العينُ الدمعَ ، أى أسالته ، والتقدير : ألأجْلِ ترسُّمِكَ ونظرِكِ دارَها التى نزلَتْ فيها بَكَتْ عينُك .

صاحب الشاهد

(١) هو عطية بن عازب بن عُفيف ، بالتصغير ، كما فى الإصابة ٥٥٦٤ . وينسب إلى جده أيضا فيقال عطية بن عفيف . وقال ابن حجر أيضا : « وذكره المرزبانى فى الشعراء فقال : كان جاهليا . وأنشد له شعرا فى مقتل حصن بن حذيفة بن بدر » .

(٢) ش : « الواحد والخمسون » .

(٣) ديوان ذى الرمة ٥٦٧ ومجالس ثعلب ١٠١ والخصائص ٢ : ١١ وسر الصناعة ١ : ٢٣٤ وابن يعيش ٨ : ٧٩ ، ١٤٩ / ١٠ : ١٦ . والمقرب ٢ : ١٨٢ والممتع ٤١٣ والمغنى ١٤٩ وشرح شواهد الشافية ٤٢٧ ورصف المبانى ٢٦ ، ٣٧٠ وحاشية الدمنهورى ٧٤ .

٣١٥

ويأتى إن شاء الله تعالى بقية الكلام هناك .

وذو الرمة تقدمت ترجمته فى الشاهد الثامن من أول الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٢] :

٨٥٢ (وإلاَّ فاعْلَمُوا أنَّـا وأنتُـمْ بُغاةٌ ما بَقِينا فى شِقاقِ)

على أنَّ سيبويه استشهد به على العطف على محل اسم إنّ المكسورة ، بتقدير حذف الخبر من الأوّل ، والتقدير : إنّا بغاةٌ وأنتم بُغاة .

هذا نقْلُه ، ولم يقل سيبويه كذا ، وإنّما قال : أنتم فى نية [التأخير ، وبُغاة فى نية [٣]] التقديم ، وهذا نصُّه :

واعلم أنَّ ناساً من العرب يَغلَطُون فيقولون : إنَّهم أجمعون ذاهبون ، وإنّك وزيد ذاهبان . وذلك أنّ معناه معنى الابتداء فيُرَى أنّه قال : هم ، كما قال :

* ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا [٤] *

على ما ذكرت لك . وأما قوله عز وجل : ﴿ والصابئون [٥] ﴾ ، فعلى التقديم

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٩٠ . وانظر الأصول لابن السراج ١ : ٣٠٧ ودلائل الإعجاز ٢٤ والإنصاف ١٩٠ وابن يعيش ٤ : ٣١٥ والتصريح ١ : ٢٢٨ وديوان بشر بن أبى خازم ١٦٥ .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ط : « إذا كان غائبا » ، صوابه فى ش وسيبويه . والبيت لزهير فى ديوانه ٢٨٧ وقد سبق فى الخزانة ٩ : ١٠٢ ، وهو الشاهد ٧٠٤ . وصدره :

* بدا لى أنى لست مدرك ما مضى *

(٥) من الآية ٦٩ فى سورة المائدة .

والتأخير ، كأنه ابتداء على قوله : والصابئون ، بعد ما يمضى الخبر [١] . وقال الشاعر :

وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم بُغاةٌ ما بَقِينا فى شِقاقِ

كأنه قال : نحن بغاة ما بقينا ، وأنتم . انتهى كلامه .

قال النحاس : يعنى أنَّه عطف أنتم على الموضع ، مثل إنّى منطلق وزيدٌ . انتهى .

وكذا نقل الزمخشرى (فى المفصل) .

وقال الأعلم : الشاهد فى قوله : وأنتم ، على التقديم والتأخير ، أى فاعلموا أنّا بغاةٌ وأنتم ، فأنتم مبتدأ والخبر محذوف لعلم السامع ، والمعنى : وأنتم بُغاةٌ . ويجوز أن يكون المحذوف خبر أنَّ كما تقول ، إنَّ هندا وزيد منطلقٌ . والمعنى إن هندًا منطلقةٌ وزيد منطلق ، فحذفتَ خبر الأوّل لدلالة الآخر عليه .

والآية التى استشهد بها سيبويه مع البيت إنّما هى آية الصابئين كما رأيت . وأما آية براءة ، فلم يُورِدها سيبويه مع البيت ، وإنّما أوردها قبله بثلاثة أبواب ، وهو باب العطف على اسم إنّ [٢] ، قال : تقول : إنَّ عمرا منطلق وسعيد ، فسعيد يرتفع على وجهين : حسنٍ وضعيف . فأمَّا الحَسن فأن يكون محمولا على الابتداء ، لأنّ معنى إنّ زيداً منطلق زيد منطلق ، وإنَّ دخلَتْ توكيداً . وفى القرآن مثله : ﴿ وأذانٌ من الله ورَسُولِه إلى النَّاسِ يومَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أنَّ الله بَرِىءٌ مِنَ المُشركين ورَسولُه [٣] ﴾ . وأما الوجه الآخر الضَّعيف فأَنْ يكون محمولاً

(١) سيبويه : « بعد ما مضى الخبر » .
(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٨٥ بولاق و ٢ : ١٤٤ هارون .
(٣) الآية ٣ من سورة براءة .

على الاسم المضمر فى المنطلق . فإذا أردت ذلك فأحسنُه أن تقول : منطلق هو وعَمْرٌو [١] . وإن شئتَ جعلت الكلام على الأوّل فقلت : إنَّ زيداً منطلق وعمراً ظريف ، فجعلته على قوله عز وجل : ﴿ ولو أنَّ ما فى الأرضِ مِنْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرَ يَمُدُّه مِنْ بعدِه [٢] ﴾ . وقد رفعه قوم على : لو ضربتَ عمراً [٣] وزيد قائم ما ضَرَّك ، أى لو ضربت عمراً وزيدٌ فى هذه الحال ، كأنّه قال : ولو أنَّ ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحرُ هذا أمره ما نَفِدَتْ كلماتُ الله . انتهى .

قال الشاطبى (فى شرح الألفيّة) : يمكن أن يكون رفع البحر فى الآية على مثل الرفع فى إنّ المكسورة ، لا على أنَّها حالية ، وإن أجاز ذلك سيبويه ، بدليل القراءة الأخرى بالنصب ، ليتَّحِدَ معنى القراءتين . انتهى .

وإنَّما فسر الشارح المحقّق أذانٌ بإعلامٌ لأنَّ شرط أنَّ المفتوحةِ فى العطف على اسمها عند المصنّف ، أن تقعَ بعد ما يفيد العلم . وإليه ذهب ابن مالك (فى شرح التسهيل) قال : ومثل إنّ ولكنّ فى رفع المعطوف : أنَّ إذا تقدَّمها عِلْمٌ أو معناه ، ثم مثَّل العِلْم بالبيت ، ومعناه بهذه الآية . وقال السيرافى بعد أنَّ قرر كلامَ سيبويه على التقديم والتأخير : يجوز أن يكون خبر الذين محذوفاً لدلالة خبَرِ والصَّابئون عليه ، وهو قوله : (من آمَنَ بالله) ، فيكون على حدّ قول الشاعر : ٣١٦

نحنُ بما عندنـــــا وأنت بما عندكَ راضٍ والرأىُ مختلفُ [٤]

أراد : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راضٍ . ونظم الآية هو : ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصابئون والنَّصارى من آمن بالله واليوم الآخِر وعَمِل

(١) ش : « تقول أم منطلق هو وعمرو » ، صوابه فى ط وسيبويه .

(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان.وهى قراءة أبى عمرو ويعقوب . والباقون برفع « البحر » .

(٣) سيبويه : « عبد الله » فى هذا الموضع وتاليه .

(٤) لقيس بن الخطيم . جمهرة القرشى ١٢٧ وملحقات ديوانه ١٧٣ . أو لحسان بن ثابت فى ديوانه ١٧٢ . وانظر معجم الشواهد .

صالحاً فلا خوفٌ عليهم ﴾ وإنّ فيها مكسورة ، وفى البيت مفتوحة . وقد سوَّى بينَهما سيبويه فى الحكم . وكلام المصنف الذى ردَّه الشارح مذكور فى شرحه و (فى أماليه) قال فيها : إنما سدَّت أنَّ المشددة والمخفّفة منها مسدَّ المفعولين فى باب ظننت وأخواتها لاشتمالها على محكومٍ به ومحكوم عليه ، وهو ما تقتضيه . وتتعلَّق بهما فى المعنى على حسب ما كان ، فلم تقتض أمراً آخر ، ومن ههنا جاز كسرها عند إدخال اللام كقولك : ظننت إنّ زيداً لقائم . ولولا أنَّ معناها ما ذكرناه لم يجز ذلك . ألا ترى أنّك لا تقول : أعجبنى إنّ زيداً لقائم [1] لتعذر تقديرها فى معنى الجملة المستقلّة لكونه فاعلا . ومن ههنا أيضا عُطف على موضعها بالرفع وإن كانت مفتوحة لفظاً لأنَّها فى معنى المكسورة باعتبار ما ذكرناه ، فتقول : ظننت أنَّ زيدا قائم وعمرو ، كما تقول : إن زيدا قائم وعمرٌو . ولا يجوز ذلك فى المفتوحة فى غيرها ، كقولك : أعجبَنى أن زيدا قائم وعمرٌو ، لكونها ليست فى معنى الجملة . انتهى .

وهو مسبوق بآبن جنى قال : فأمَّا وجه القياس فهو أنَّ المفتوحة وإن لم تكن من مواضع الابتداء فإنّها فى التحقيق مثل المكسورة ، فلمَّا استويَا فى المعنى والعمل وتقاربا فى اللفظ صارت كلُّ واحدةٍ كأنّها أختها . يَزِيد ذلك وضوحاً أنَّك تقول : علمت أنَّ زيدا قائم وعلمت إنّ زيدا لقائم ، فتجد معنى المكسورة كمعنى المفتوحة ، تؤكِّد فى الموضعين كِليهما قيامَ زيدٍ لا محالة ، والقيام مصدر كما ترى . وتأتى هنا بصريح الابتداء فتقول : قد علمت لزيد أفضل منك ، كما تقول : علمت أنَّ زيدا أفضلُ منك . أفلا تَرى إلى تَجارِى هذه التراكيب إلى معنىً ، وتناظُر بعضها إلى بعض . وسبب ذلك كلِّه ما ذكرتُ لك من مشابهة أنَّ لإنَّ لفظا ، ومعنى ، وعملا . انتهى .

---

(١) ما بعده إلى « كقولك : أعجبنى أن زيدا قائم » ساقط من ش .

وقد ردّ ابن جنى كلامَ السيرافى قياساً وسماعا كما يأتى فى البيت الآتى .

وأمّا قول سيبويه : « واعلمْ أنَّ ناساً من العرب يغلَطُون » ، يأتى إن شاء الله شرحه فى البيت الثانى بعد هذا البيت .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدةٍ لبشر بن أبى خازم الأسدىّ ، مطلعُها :

أبيات الشاهد

(أَهمَّتْ منك سَلْمَى بانْطلاقِ وليس وصالُ غانيةٍ بباقى [1])

وفيها يقول :

(وسَوف أخُصُّ بالكلمات أَوساً فيلقـاه بما قد قُلتُ لاقى)

إلى أن قال :

(فإذْ جُزَّت نَواصِي آلِ بدرٍ فأدُّوهـا وأسرَى فى الوَثـاقِ
وإلاّ فاعلمـوا أنّـا وأنتم بُغاةٌ ما بقينا فى شِقاقِ [2])

٣١٧

وسبب هذا الشعر كما فى شرح ديوانه ، ونقله ابن السيرافى (فى شرح أبيات سيبويه) أنَّ قوما من آل بدر الفزاريِّين جاوَرُوا بنى لأْمٍ من طيِّى ، فعمَد بنو لأمٍ إلى الفَزاريِّين فجزُّوا نواصيَهم وقالوا : قد مننَّا عليكم ولم نقتلْكم – وبنو فزارة حلفاء بنى أسد – فغضب بنو أسَدٍ [3] لأجل ما صُنِع بالبدريِّين ، فقال بشرٌ هذه القصيدة ، يذكرُ فيها ما صُنع ببنى بدر ، ويقول للطائيِّين : فإذْ قد جززتم نواصيَهم فاحْمِلوها إلينا ، وأطلِقُوا مَنْ قد أسرتم منهم ، وإنْ لمْ تفعلوا فاعلموا أنَّا نَبْغيكم ونطلبُكم ، فإن أصبنا أحداً منكم طلبتمونا به ، فصار كلُّ واحدٍ منّا يبغى صاحبَه ، فنبقَى فى شقاقٍ وعداوةٍ أبدا .

---

(١) ديوان بشر ١٦١ . يهجو أوس بن حارثة .

(٢) فى الديوان ١٦٥ : « بغاة ما حيينا » .

(٣) فى النسختين : « بنو فزارة » ، صوابه ما أثبت من شرح السيرافى ٢ : ١٤ . وإلا يكن ذلك فلا وجه للاعتراض التالى .

وقد تحرَّف هذا الكلام على ابن هشام فقال (فى شرح الشواهد) ، وتبعه العينى : والسببُ فيه أنّ قوماً من آل بدر جاورُوا الفزاريِّين من بنى لأم من طيِّىء ، فجزُّوا نواصيَهُم وقالوا : مننَّا عليكم ولم نقتلْكم . فغضب بنو فزارةَ لذلك ، فقال بشر ذلك . هذا كلامه .

ولا يصحُّ هذا إلاّ إذا كان بشرٌ فزاريًّا ، وإنمّا هو [من [1]] أسد بن خزيمة .

وقوله :

* وسوف أخصُّ بالكلماتِ أوساً *

هو أوس بن حارثة بن لأمٍ الطائى ، أحد الأجواد المشهورين .

وقوله : « فإذْ جزَّتْ نواصِى » الخ جُزّت بالبناء للمفعول . والجزّ ، بالجيم والزاى : قطع الصُّوف والشعر . والنواصى : جمع ناصِيَة ، وهى الشَّعر فى مقدَّم الرأس فوق الجبْهة . وكانت العربُ إذا أنعمَتْ على الرَّجُل الشَّريف بعد أسرِهِ جزُّوا ناصيتَهُ وأطلقوه ، فتكون الناصيةُ عند الرَّجِلِ ، يفخر بها . وأسرى : جمع أسير . والوَثاق : القَيد والحبلُ ونحوه .

وقوله : « وإلاَّ » أى وإن لم تؤدُّوا النواصىَ المجزوزة مع الأسرى . وأخطأ العينىُّ فى قوله : أى وإن لم تجزُّوا نواصيهَم وتُطِلقوا أسراهم . انتهى. وبغاة : جمع باغٍ ، وهو الطالب ، أو معناه يبغى بعضُنا على بعضٍ . وفى ديوانه : « بِغاء » بكسر المَوحَّدة وضمّها مع المدّ . أمّا المكسورة فهو مصدر بغَى أى سعى فى الفَساد . وأمَّا المضموم فهو اسمٌ للمصدر ، يقال بغيته بَغْيا : طلبته ، والاسم البُغاء بالضم ، وعليهما يكون فيهما مضافٌ محذوف ، أى ذو بغاء . وما مصدريّة

---

(١) التكملة من ش .

ظرفيَّة ، أى مدة بقائنا . وروى بدله : « ما حيينا » من الحياة . والشِّقاق : مصدر شاقّه مشاقّة وشِقاقا ، أى خالفه . وحقيقته أن يأتى كلٌّ منهما ما يشقُّ على صاحبه ، فيكون كلٌّ منهما فى شِقّ غير شِقِّ صاحبِهِ . والشِّقّ : بالكسر : الجانب ، والمَشقَّة ، ونصف الشئ . و « أنتم » فى قول سيبويه مؤخّر ، والتقدير : إنا بغاة ما بقينا وأنتم . وقد قرِّر فيما نقلْنا عنه فى : إنّ زيدا منطلقٌ وسعيدٌ ، أن يكون سعيد مرفوعاً على الابتداء فيكون من عطف الجمل كما يأتى بيانه من الكشاف . وكذلك العطفُ على ما نقله الشَّارح ، إلاّ أنّه من عطف جملة على جملةٍ حذف عجزُها . وأُورِدَ عليه بأنّ فيه الحذفَ من الأوَّل لدَلالة الثانى ، وإنّما الكثير العكس . وخرَّجه بعضُهم كما نقله العينى على أنّ بغاة خبر إنّا ، وخبر أنتم محذوف ، والتقدير إنّا بغاة وأنتم كذلك ، فيكون جملةُ « وأنتم » كذلك ، اعترِض بها بين المبتدأ والخبر . ويَرِدُ على التخاريج الثلاثة أنَّ المتكلم لا يُثبت لنفسه البَغْىَ والعُدوان ، وإنّما ينسبه إلى المخاطَب . ويجاب بأنَّ المعنى ما ذُكر فى سبب هذا الشعر كما تقدَّم ، وليس معناه ما أُورِدَ . وكأنَّ الشارح المحقّق لحظَ هذا الورودَ فخرَّجه على أنّ قوله ما بقينا فى شقاق خبر إنّا ، وجملة وأنتم بغُاةٌ اعتراضية . وهذا التخريج لا غبارَ عليه ، جيِّدٌ إعراباً ومعنىً . وجعلُ الجملة اعتراضيّةً أحسَنُ من جعلها عاطفة ، لأنَّه يلزم عليه العطف قبل تمام المعطوف عليه . وإلى هذا ذهب صاحب اللباب ، قال : وقد يتوهَّم أنّ أنَّ المفتوحة فى باب علمت لها حكم المكسورة فى صحَّة العطف على المحل ، كقوله : ٣١٨

* وإلاّ فاعلموا أنّا وأنتم * البيت

وليس بثبْتٍ ؛ لاحتمال أنْ يكون العطف باعتبار الجمل لا باعتبار التشريك فى العامل . وإنّه جائز فى الجميع .

قال شارحه الفالى (١) : يعنى يحتمل أن لا يكون معطوفا عليه عطفَ المفرد باعتبار تشريكهما فى عاملٍ واحد ، بل باعتبار عطف الجملة على الجملة ، بأنْ يكون خبر إنّا هو « فى شقاق » ، إذ ليس يَنِسبون البغىَ إلى أنفسهم بل إلى المخاطَبين خاصَّة . فالعطف باعتبار الجُمَل لا باعتبار التشريك . والعطف باعتبار الجُمَل جائزٌ فى الجميع .

وقد أوضح صاحب الكشاف فى تفسير المائدة ، وتبعه البيضاوىّ ، كلامَ سيبويه فى التقديم والتأخير فقال : والصابئون رفعٌ على الابتداء وخبره محذوف ، والنية به التأخير عما فى حيِّز إنّ من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنَّصارى حكمُهم كذا ، والصابئون كذلك . وأنشد سيبويه شاهداً له :

وإلاّ فاعلمــوا أنّــا وأنتم   بُغـاةٌ ، ما بَقِينا فى شِقـاقِ

أى فاعلموا أنَّا بغاة وأنتم كذلك .

فإن قلت : هلاَّ زعمت أنَّ ارتفاعَه للعطف على محل أنَّ واسمِها ؟ قلتُ : لا يصحُّ ذلك قبل الفراغ من الخبر ، لا تقول : إنَّ زَيداً وعمرٌو منطلقان .

فإن قلت : لم لا يصحُّ والنية به التأخير ، فكأنّك قلت : إن زيداً منطلق وعمرو ؟ قلت : لأنِّى إذا رفعته رفعتُه عطفاً على محل إنّ واسمها ، والعامل فى محلِّها هو الابتداء ، فيجب أن يكون هو العامل فى الخبر ، لأنَّ الابتداء ينتظم الجزأين فى عمله كما تنتظمُهُما إنّ فى عملها ، فلو رفعت الصابئون المنوىَّ به التأخيرُ بالابتداء وقد رفعت الخبر بإنّ ، لأَعملتَ فيهما رافعَينِ مختلفين .

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، صوابه بالفاء كما سبق التنبيه عليه فى أكثر من موضع .

فإن قلت : فقوله : « والصابئون » معطوفٌ لا بدَّ له من معطوف عليه فما هو ؟ قلت : هو مع خبره المحذوفِ جملةٌ معطوفة على جملة قوله : إنّ الذين آمنُوا إلخ ، ولا محلَّ لها كما لا محلَّ للتى عُطِفَتْ عليها .

فإنْ قلت : ما التقديم والتأخير إلاّ لفائدة ، فما فائدة هذا التقديم ؟ قلت : فائدته التنبيه على أنّ الصابئين يُتابُ عليهم إن صحَّ منهم الإيمانُ والعمل الصالح ، فما الظَّنُّ بغيرهم ؟ وذلك أنّ الصابئين أبْيَنُ هؤلاء المعدودِين ضَلالاً وأشدُّهم غَيًّا ، وما سُمُّوا صابئين إلاّ لأنّهم صَبَئُوا عن الأديانِ كلِّها ، أى خرجوا ، كما أنَّ الشاعر قدَّم قوله وأنتم ، تنبيهاً على أنّ المخاطبين أوغَلُ فى الوصف بالبُغاة من قومه ، حيث عاجَلَ به قبل الخبر الذى هو بُغاة ، لئلاّ يُدخل قومَه فى البغى قَبْلهم مع كونهم أوغلَ فيه منهم . وأثبتَ قدَما . انتهى .

وكون هذا عند سيبويه من عطف الجمل لا من عطف المفردات هو صريحُ كلامِه .

قال الشاطبى : والذى عليه الأكثر أنّ الرفع فى المعطوف على الابتداء هو استئنافُ جملةٍ معطوفةٍ على أخرى ، وهو الأظهر من كلام سيبويه . ونُقل عن الأخفش والفراء والمبرِّد وابن السرّاج والفارسىِّ فى غير الإيضاح ، وابن أبى العافية ، والشَّلَوبين فى آخِر قوليه ، وجماعةٍ من أصحابه . ومنهم من جَعل ذلك عطفاً حقيقةً من باب عطف المفردات ، وأنَّ قولك : إنّ زيدا قائم وعمرو ، عُطف فيه عمروٌ على موضع زيد ، وهو الرفع ، كما عطف على موضع خبر ليس فى نحو : ٣١٩

* فلسنا بالجبال ولا الحديدا (١) *

---

(١) لعبد الله بن الزِّبيرِ الأسدى ، كما فى معجم الشواهد . وصدره :

* معاوى إننا بشر فأسجح *

وإليه ذهب الشَّلوبين فى أوّل قَوليه ، وابن أبى الربيع . وهو ظاهر الإيضاح وجُمَل الزجاجى ، ومالَ إليه بعضُ من شرح كلامَهُما أخذاً بالظاهر من كلامهما . وتأوَل بعضُهم عليه كلامَ سيبويه .

وذهب ابن مالك (فى شرح التسهيل) إلى الأوّل ونَصَره وزيَّف غيره ، وهو الصحيح من المذهبين ، والمعتمد المعضود بالدَّليل .

وقد تصدَّى ابن أبى العافية لنَصره فى مسألةٍ أفردَها . وابنُ الزُّبير من شيوخ شيوخنا اعتنى بالمسألة جدًّا وطوّل فيها الكلام . وهو الذى ذهب إليه مَن اعتمدناه من شيوخنا فتلقَّيناهُ عنهم . فمن أراد الترجيح بين المذهبين فعليه بكلام ابن الزُّبير ففيه غاية الشفاء فى المسألة .

وقد احتج له ابن مالك بأنَّهم اقتصروا فى هذا العطف على الإتيان به بعد تمام الجملة . ولو كان من عطف المفردات لكان وقوعه قبلَ التمام أولى ، لأنّ وصلَ المعطوف بالمعطوف عليه أجوَدُ من فصله . وأيضا لو كان كذلك لجاز وقوعُ [1] غيره من التوابع . ولم يحتَجْ سيبويه فى قوله تعالى : ﴿ قل إنَّ ربِّى يَقذِف بالحقِّ علّامُ الغُيوب [2] ﴾ إلى أن يجعله خبر مبتدأ ، أو بدلا من فاعل يقذف . واستدلَّ بغير ذلك ممّا يطولُ به الكلام . انتهى كلامه المقصود منه [3] .

وبشر بن أبى خازم شاعرٌ جاهلى تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الثلثمائة [4] .

* * *

(١) ش : « رفع » .

(٢) الآية ٤٨ من سورة سبأ . وسيبويه ١ : ٢٨٦ بولاق ٢ : ١٤٧ هارون .

(٣) يعنى كلام الشاطبى الذى بدأ فى ص ٢٧٣

(٤) الخزانة ٤ : ٤٤١ — ٤٤٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد الثمانمائة [١] :

٨٥٣ (فلا تَحْسَبِى أنِّى تخشَّعتُ بعدكمْ   لشىءٍ ولا أنِّى من الموتِ أفرَقُ
ولا أنا مِمَّن يَزدهِيهِ وَعيدُكمْ   ولا أنَّنى بالمشْيِ فى القَيدِ أخرقُ)

على أنَّ تخريج البيت السابق وهو جعل جملة (وأنتم بغاة) اعتراضاً بين أنّا وخبره ، وهو قوله (ما بقينا فى شقاق) لا يتمشَّى مثلُه هنا ، لأنَّ قوله :

* ولا أنّنى بالمشى فى القَيدِ أخرقُ *

عطفٌ على أنّى تخشّعت . فلو جعل قوله :

* ولا أنا ممّن يَزدهيهِ وعيدُكم *

جملةً اعتراضية لكان لا داخلةً على معرفة بلا تكرير ، ولا يجوِّز ذلك إلاّ المبرِّد . ولو روى : « ولا إنّنى بالمشى » بالكسر لارتفع الإشكال ، وكان قوله ولا أنا ممن يزدهيه مستأنفاً ، ولا مكرَّرة .

يريد أنّ قوله : « ولا أنا ممن » إلخ معطوفٌ على اسم أنَّ المفتوحة فى قوله : فلا تحسبى أنّى تخشعت ، البتة ، كما أجاز سيبويه رفع المعطوف على اسم [أن [٢]] المفتوحة ، ولا يمكن تخريجه على وجهٍ لا يكون فيه العطف على اسم المفتوحة كما أمكن تخريج الآية والبيتِ قبله . وإن جعل جملة و « لا أنا ممن » إلخ معترضةً بين المتعاطفين مُنع بعدم تكرُّر لا ، فإنَّها يجب تكررُّها عند الجمهور فى غير دعاءٍ وغيرِ جوابِ قسم . ولو كانت الرواية فى أنَّنى الثالثة الكسر لجعلت الواو فى : « ولا أنا » استئنافيّة ، وكان مدخولها مع ما بعده جملتين مستأنفتين ،

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٥٤ وللتبريزى ١ : ٥٤ .
(٢) التكملة من ش .

وزال الإشكال بتكرُّر لا . وحينئذ لم يتعيَّن التخريج على قول سيبويه . لكنّه لم يُرْو الكسر ، فتحتَّم التخريج على قول سيبويه .

٣٢٠ وتخريج الآية والبيت على ما ذكره الشارح السيرافى فإنّه خالف سيبويه وزعمَ أنَّ أنَّ المفتوحة لا تلحق بالمكسورة فى ذلك ، لأنَّ المكسورة على شرط الابتداء وليست المفتوحة كذلك ، إنمَّا تجعل الكلام شأناً وحديثا بمنزلة المفرد . وليس فى قوله تعالى : ﴿ أنَّ اللّهَ برىءٌ مِنَ المشركين ورسُولُه [1] ﴾ دليلٌ له ، لصحَّة حمله على وجهين جيِّدين :

أحدهما:أن يكون ورسوله عطفاً على أنَّ وما بعدها ، لأنَّها اسم مفرد ، فالتقدير : براءة الله من المشركين ورسوله ، أى وبراءة رسوله . وهذا وجهٌ جيّد كما تقول : أعجبنى أنّك منطلق وإسراعك .

والثانى : أن يكون ورسوله معطوفاً على الضمير فى برىءٌ ، وحسُن للفصل . وإذا كان كذلك لم يكن فى الآية دليلٌ على ما قالوه . فالاستشهاد بها وهمٌ جرَىَ على سيبويه والنحويِّين .

وقد ردّ عليه ابن جنى (فى إعراب الحماسة) وأثبت ما ذهبَ إليه سيبويه سماعاً وقياسا . وهذه عبارته :

وفى قوله :

* ولا أنا ممَّن يزدَهِيهِ وعيدُكُمْ *

شاهدٌ لجواز استدلال سيبويه بقول الله سبحانه : ﴿ أَنَّ اللهَ برىءٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَرَسُولُهُ ﴾ بالرفع على معنى الابتداء ، وردٌّ وردعٌ لإنكارِ مَن أنكر ذلك

(١) الآية ٣ من سورة التوبة .

عليهِ من بعض المتأخّرين . وقوله « إنَّ هذا إنَّما يسوغ بعد إنّ المكسورة لأنّها على شرط الابتداء ، وليس فى الآية إنّ مكسورة ، وإنمَّا فيها أنَّ مفتوحة ، والمفتوحة لا تَصْرِفُ الكلامَ إلى معنى الابتداء ، وإنمّا تجعل الكلامَ شأناً وحديثا ، ومواضعُها تختصُّ بالمفرد لا بالجملة . هذا معنى ما أوردَه هذا المنكرُ على صاحب الكتاب فى هذا الموضع . والقولُ فيما بعدُ مع صاحب الكتاب لا عليه سماعاً وقياساً . أمّا السَّماع فما جاء فى هذا البيت ، وهو قوله :

* فلا تحسَبُوا أنِّى تخشَّعْتُ بَعْدكُم *

ثم قال :

* ولا أنا ممَّن يزدهِيه وعيدُكم *

فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على قوله أنِّى تخشَّعت ، وهو يريد معنى أنّ المفتوحة . يدلّ على ذلك روايةُ مَنْ روى :

* ولا أنَّ نَفسى يَزدَهيها وعيدُكم *

وقد جاء ذلك أيضاً فى التنزيل ، قال الله عزّ اسمُه : ﴿ وأَنَّ هذه أُمَّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاتَّقُون (١) ﴾ . ألا ترى أنَّ معناه : ولأنّ هذه أُمَّتُكم أمّة واحدة ولأنّى ربُّكم فاتَّقونى (٢) . فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على أنّ وفيها

(١) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون ، وهى تلتبس بالآية ٩٢ من الأنبياء : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ، ولا واو فى أولها . وفى النسختين هنا فى نهاية الآية : « فاعبدون » ، وهو تحريف . وقراءة : « وأن » هنا بفتح الهمزة وتشديد النون هى قراءة أبى عمرو والحرميَّين : أى نافع وابن كثير ، ومعناها « ولأنّ » . وقرأ ابن عامر : « ولأن » ، بالفتح وتخفيف النون ، وهى المخففة من الثقيلة . وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بكسر الهمزة وتشديد النون . ومما يجدر ذكره أن منشأ هذا التحريف والخطأ هو ابن جنى نفسه فى إعراب الحماسة الورقة ١٤ .

(٢) فى النسختين تبعا لإعراب الحماسة : « فاعبدونى » فى هذا الموضع وتاليه ، وانظر ما سبق من تحقيق .

معنى اللام كما تقدَّم . وهذا يزيل معنى الابتداء عندَه ويصرف الكلام إلى معنى المصدر ، أى ولكونى ربُّكم فاتَّقونى . ونحوهُ أيضاً قولُه تعالى : ﴿ ضربَ لكم مثلاً مِنْ أنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانُكم مِنْ شُرَكاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فأَنتْم فيهِ سواءٌ [١] ﴾ ، أى فتَستوُوا . قال أبو على : فأوقَع الجملة المركَّبة من المبتدأ والخبر موقع الفعل المنصوب بأَنْ . والفعلُ إذا انتصبَ انصرفَ القولُ به والرَّأى فيه إلى مَذهب المصدر . ومعلومٌ أنَّ المصدر أحدُ الآحاد ، ولا نسبة بينه وبين الجملة ، وقد ترى الجملة التى هى قوله : (وأنا ربُّكم) معطوفةً على أنَّ المفتوحة ، وعبرتُها عبرة المفرد من حيث كانت مصدراً ، والمصدر أحدُ الأسماء المفردة . ووجَدْتُ أنا فى التنزيل موضعاً لم أر أبا علىّ ذكَره على سَعَة بحثِه ولُطْف مأخذه ، وهو قوله تعالى : ﴿ أعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهوَ يَرَى [٢] ﴾ ، أى فيرى.ألا ترى أنَّ الفاء جواب الاستفهام ، وهى تَصرف الفعل بعدها إلى الانتصاب بأنْ مضمرة ، وأنْ الفعلُ المنصوب بها مصدرٌ فى المعنى لا محالة ، حتَّى كأنه قال : أعنده علمُ الغيب فرؤيَتُه ، كما أنَّ قوله : ﴿ فأنتم فيه سَواء ﴾ أى هل هناك شِركةٌ بينكم فاستواء . فهذا وجه السَّماع .

٣٢١

وأمّا وجه القياس فهو أنّ [أنّ [٣]] المفتوحة وإن لم تكن من مواضع الابتداء فإنَّها من مواضع التحقيق والاعتلاء كما أنّ إنّ المكسورة كذلك ، فلما استوَتا فى العمل والمعنى ، وتقاربَتا فى اللفظ ، صارتْ كلُّ واحدةٍ كأنَّها أُختُها . يزيد ذلك وضوحا [٤] أنّك تقول : علمت أنَّ زيدا قائم ، وعلمت إنّ زيداً لقائم ،

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الروم .

(٢) الآية ٣٥ من سورة النجم .

(٣) التكملة من ش وإعراب الحماسة الورقة ١٥ .

(٤) ذلك ، ساقطة من ش .

فتجد معنى المكسورة كمعنى المفتوحة ، ويُؤكِّد فى الموضعين كليهما قيامُ زيدٍ لا محالة ، والقيام مصدر كما ترى . نَعَمْ وتأتى هنا بصريح الابتداء ، فتقول : علمت لزيدٌ أفضَلُ منك ، كما تقول : علمت أنَّ زيدًا أفضل منك . أفلا ترى إلى تَجارِى هذه التراكيب إلى معنىً واحد ، وتناظُرِ بعضها إلى بعض [١] . وسبب ذلك كلِّه ما ذكرتُه لك من مشابهة أنّ لإنَّ لفظاً وعملا . فإذا كان كذلك سقط اعتراضُ هذا المتأخِّر على ما أورده سيبويه ، وأُسقِط كلفته عنه . ويزيدُ فيما نحن عليه وضوحاً قولُه فيما بعد :

* ولا أنَّنى بالمشى فى القيد أخرق *

فعاد إلى أنَّ البَّتة . انتهى كلام ابن جنى .

صاحب الشاهد

والبيتان من أبيات سبعة لجعفر بن علبة الحارثى ، أوردها أبو تمام فى أول الحماسة وهى :

أبيات الشاهد

(هوايَ مع الرَّكب اليمانِينَ مُصعِدٌ ... جَنيبٌ وجُثْمانى بمكة مُوثَقُ

عَجِبتُ لمسرَاها وأنَّى تَخلَّصَتْ ... إلىّ وبابُ السجن دونىَ مُغلَقُ

عَجِبتُ لمسراها وسِربٍ أتَتْ به ... بُعَيد الكَرَى كادت له الأرض تُشرِقُ [٢]

ألمَّتْ فحيَّت ثم قامت فودَّعت ... فلما تولَّت كادت النفسُ تزهَقُ

فلا تحسبى أنِّى تخشَّعت بعدكم ... لشيءٍ ولا أنِّى من الموتِ أفرَقُ

ولا أنّ نفسى يزدهيها وعيدُكم ... ولا أننى بالمشْيِ فى القَيد أخرقُ

ولكنْ عَرَتْنى مِن هَواكِ ضَمانةٌ ... كما كنتُ ألقى منكِ إذْ أنا مطلقُ [٣])

---

(١) فى إعراب الحماسة : « وتناظرها بعضها لبعض » .

(٢) لم يرد هذا البيت عند المرزوقى ولا التبريزى ، كما لم يرد فى إعراب الحماسة لابن جنى .

(٣) عند المرزوقى والتبريزى : « من هواك صبابة » ، وعند ابن جنى : « ضمانة » كما هنا .

قوله : « هوایَ مع الركب » الخ أورده القزوينى (فى تلخيص المفتاح) على أنَّ تعريف المسند إليه بالإضافة لكونه أخصر طريق . قال السعد (فى شرحه) : هواى أى مهوِيِّى ، وهذا أخصر من الذى أهواه ونحوِ ذلك . والاختصار مطلوبٌ لضيق المقام وفَرط السآمة ، لكونه فى السجن ، وحبيبته على الرحيل . و « مُصعِد » : ذاهبٌ فى الأرض . والجنيب : المجنوب المستتبَع . و « الجثمان » الشخص . و « الموثَق » : المقيَّد . ولفظ البيت خبرٌ ومعناه تأسُّفٌ وتحسُّر على بُعد الحبيب . انتهى .

وقال أمين الدين الطَّبْرسّى [١] (فى شرح الحماسة) : الرَّكب : جمع راكب ، مثل صحب جمع صاحب ، والجُثمان : الجسم ، قاله الأصمعىّ . وقال الخليل : هو الشَّخْص ، يستعمل فى بدنِ الإنسانِ إذا كان قائما . وأصعد فى الأرض : أبعَدَ . ومعنى البيت : هَوایَ راحلةٌ مُبعِدة مع رُكبان الإبل القاصدين نحو اليمن ، وبدنى مقيَّد بمكّة . وإنَّما قال هذه الأبياتَ لما كان محبوساً بمكة ، لدمٍ كان عليه لبنى عُقيل . وذكر فى هذه الأبيات صبرَه على البلاء ، وعدمَ خوفه من الموت ، واستهانتَه بوعيد المتوعِّد ، وحذقَه بمشى المقيدِّ .

وقوله : « عجبت لمسراها » المَسْرَى : مصدر ميمى بمعنى السُّرى ، والضمير لخيال الحبيبة ، وهى مؤنثة ، وهى وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ لكنها معلومة من المقام . وأنَّى معناه كيف أو من أين ؟ وتخلَّصَتْ : توصَّلَتْ . يقول : تعجبت من سير هذه الخيال [٢] ومن حسن توصُّلها إلىَّ مع هِذه الحال ، وهو أنَّ باب السجن مُغْلَقٌ علىّ .

٣٢٢

---

(١) ط : « الطيبرسى » ، صوابه فى ش . وانظر ما سبق فى ٨ : ٣١٥ ، ٣٨٥ ، ٥٣٦ .

(٢) كذا فى النسختين بتأنيث الخيال .

قال ابن جنى (فى إعراب الحماسة) : لا يجوز عطف أنّى على مسراها ، لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، بلْ هى منصوبة بقوله : تخلَّصَتْ ، وتمَّ الكلام على قوله : عجبتُ لمسراها ، ثم استأنف كلاماً آخر بقوله : وأنَّى تخلصت ، أى ومن أين تخلَّصت . هذا وضعُ الإعراب ومقتضى الصَّنعة فيه . فأمَّا حقيقة المعنى فكأنّه قال : عجبت لمسراها ولتخلُّصها إلىَّ ، لأنَّ العَجب اشتمل عليهما جميعا . ولا يُستَنكَر أن يكون وضعُ الإعراب مخالفاً لمحصول المعنى . ألاَ تراك تقول « أهلكَ واللَّيل » فمعناه الحقْ أهلَكَ قبل الليل ، وإعرابه على غير ذلك . انتهى .

وقوله : « وسِرب أتَتْ به » السِّرب بالكسر : الجماعة من النساء ، يريد نساءً رآهنَّ معها فى نومه . وأتت به ، أى بالسِّرب . وأشرقَت الأرض : أضاءت .

وقوله :« ألمَّتْ فحيَّت » إلخ الإلمام : الزيارة الخفيفة . وحَيَّت من التحيّة . وزهَقت النفس : خرجت بسُرعة . حكى حالَ الخيال فقال : جاءتنا فسلَّمت علينا ثم لم تلبثْ إلاّ قليلا حتَّى قامت وأعرضَت ، فلمَّا تولت كادت النفس تخرج فى أثَرها .

وقوله : « فلا تحسبِى أنِّى » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وتخشَّع : تكلُّف الخشوع . والخشوع يكون فى الصوت والبصَر ، والخشوع فى البدن [(١)] .وقال ابن جنى : تخشَّعت بمعنى خشعت ، وقد جاء تفعَّل بمعنى فَعَل [(٢)] . وأفرَقُ : أخافَ ، وفعله من باب فرح .

وقوله : « ولا أنا ممَّنْ » إلخ غالب [(٣)] رواية الحماسة : « ولا أنَّ نفسى

---

(١) الأولَى أن يقال : والخشوع يكون فى الصوت والبصر والبدن ، والخضوع يكون فى البدن ، كما فى اللسان . ونحوه فى القاموس .

(٢) بعده فى إعراب الحماسة الورقة ١٢ : « وذلك نحو قول الله سبحانه : الجبار المتكبر ، أى الكبير » .

(٣) ط : « غاية » ، صوابه فى ش .

يزدهيها » إلخ ونَّبه شراحها على الروايتين . وازدهاه : استخفَّه ، من الزَّهو وهو الخِفَّة . والأخرق ، الذى لم يحسن عملَ شيء ، يقال فلانٌ أخرق إذا لم يُحسن شيئاً ، وفلان صَنَع بفتحتين إذا أحسَنَ عملَ كلِّ شيء . يقول : لا تظنِّى أنَّ نفسى تُستَخَفُّ من الوعيد ، ولا أنَّها تضجر من المشى فى القيد . يَستهينُ بما اجتمع عليه من الحبس والقَيد ، ويتجحَّ بالصبر على الشدائد . وبهذين البيتينِ أدخِلَتْ هذه الأبياتُ فى باب الحماسة .

وقوله : « ولكنْ عَرَتْنى » إلخ عراه يَعرُوه : أصابه ونزل به . والضَّمانة : الزمانة ، وهو عدم الاستطاعة على النُّهوض والقيام . قال ابن جنى : يجوز أن تعلَّق منكِ [1] بنفسِ عَرَتْنى فلا يكون فيها ضمير ، ولا يجوز أن تكون حالا من ضمانةٌ على أنَّها صفة فى الأصل لضمانة ، فلمّا قدِّمت صارت حالاً ، ففيها إذن ضميرٌ لتعلُّقها بالمحذوف . وأما الكاف فيجوز أن تكون وصفا لضمانة فتعلق بمحذوف وتتضمَّن ضميرها ، ويجوز أن تكون منصوبة على المصدر ، أى عرتنى ضمانة عرُوّاً مثلَ ما كانت تعرونى وأنا مُطلَق . أى لم يُنسنى ما أنا فيه من الشدَّة ما كنتُ عليه أيَّامَ الرخاء . فيجرى هذا مجرى قولك : قمت فى حاجتك كما كنت أنهض بها . إنتهى .

وروى : « صبابةٌ » بدلَ « ضمانة » ، وهى رقَّة الشوق . قال الطَّبْرِسى [2] : والأجود حينئذ أن تكون ما موصوفة لا موصولة ، لأنَّ القصدَ تشبيه صبابةٍ مجهولة بمثلها ، والتقدير : عرتنى صبابة تشبه صبابةً كنت أكابدُها فيك زمن إطلاقى .

جعفر بن عُلبة

وجعفر بن عُلبة ، بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها موحَّدة ، ينتهى نسبه إلى كعب بن الحارث . والحارث : قبيلة من اليمن . قال الأصفهانى (فى

---

(١) فى النسختين : « من » ، والوجه ما أثبت من إعراب الحماسة لابن جنى ١٥ .

(٢) ط : « الطيبرسى » ، صوابه ما أثبت من ش . وانظر ما سبق فى حواشى ٨ : ٣٨٥ .

٣٢٣ الأغانى) : ويكنى جعفرٌ أبا عارمٍ ، بولدٍ له . وهو من مخضرمى الدولتين الأمويَّة والعباسية . وجعفرٌ شاعرٌ مقلٌّ غزِل ، فارسٌ مذكور فى قومه . وقُتِل جعفرٌ فى قِصاصٍ اختُلف فى سببه على ثلاثة أقوال ، ثالثها : أنّها كان يزُور نساءً من عُقَيل ابن كعب [١] ، وكانوا متجاورِين ، هم وبنو الحارث ، فأخذتْه عُقَيل وكشَفوا عورتَه ، وكَتَفوه وضربُوه بالسِّياط ، ثم أقبلُوا به إلى النسوة اللاتى كان يتحدَّث إليهنّ ليغيظوهنَّ ويفضحوه عندهنّ ، فقال لهم : يا قومِ لا تفعلوا فإنّ هذا الفعلَ مُثْلة ، وأنا أحلف لكم أنْ لا أزورَ بيوتَكم أبداً . فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : حسبُكم ما مضى ومُنُّوا علىَّ بالكفِّ عنِّى ، فإنّى أعُدُّهُ نعمةً لكم لا أكفرُها أبدا ، أو فاقتلونى وأريحونى فأكونَ رجلاً آذى قومَه فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجَعَلوا يكشفون عورتَه بين أيدِى النِّساء ، ويَضرِبونه ويُغْرون به سفهاءَهم حتّى شفَوْا أنفسهم منه ، ثم خلَّوا سبيلَه ، فلم تمض إلاّ أيامٌ قليلةٌ حتَّى عاد جعفر ومعه صاحبان له ، فدفع راحلته حتى أولجها البيوتَ ثم مضى . فلمَّا كان فى نُقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه ، وكانت عُقيل أقْفَى خلقِ الله لأثَر ، فتبعوهُ حتَّى انتهَوْا إليه ، وليس معهم سِلاحٌ ولا عصاً ، فوثب عليهم جعفرٌ وصاحباه بالسُّيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخرَ وافترقوا . فاستعدَتْ عليهم عُقيلٌ السرىَّ بنَ عبدِ الله الهاشمى ، عاملَ المنصور على مكةَ ، فأحضرَهُم وحبسَهم وأقاد من الجارح ، ودافع عن جعفر ، وكان يحبُّ أن يدرأ عنه الحدَّ لخؤولة السفاح فى بنى الحارث ، ولأنَّ أختَ جعفر كانت تحتَ السرِىّ ، وكانت حَظيَّةً [٢] عنده ، إلى أن أقاموا عنده قسامةً أنّه قتل صاحبَهم ، وتوعّدوه بالخروج إلى أبى جعفر المنصور والتظلُّمِ

---

(١) عقيل هذا ضبط فى الاشتقاق ٢٩٧ بهيئة التصغير ، قال ابن دريد : « إمّا تصغير عقل أو تصغير أعقل ، والعقل (بالتحريك) : دنوّ الركبتين ، وهو دون الصكك » .

(٢) الحظية : المرأة تحظَى عند زوجها وتعلو مكانتها . ط : « حظيته » ، وأثبت ما فى ش والأغانى ١١ : ١٤٤ .

إليه ، فحينئذ دعا جعفراً وأقَاد منه . فلما خرج جعفرٌ إلى القَوَد انقطع شِسْعُ نعله ، فوقَف فأصلحه ، فقال له رجلٌ : ما يشغلُك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشدُّ قِبالَ نعلىَ أن يرانى   عدوِّى للحوادثِ مُستكينا

وعن أبى عبيدة أنّه قال : لما قُتل جعفرٌ قام نساءُ الحىِّ يبكين عليه ، وقام أبوه إلى كلِّ شاةٍ وناقةٍ فنحر أولادَها وألقاها بين أيديها ، وقال : ابكِينَ معنا على جعفر . فما زالت النُّوق ترغو ، والشِّياهُ تثغُو ، والنِّساء يَصِحن ويبكين ، وهو يبكى معهُنَّ ، فما رُئِىَ يومٌ كان أوجعَ وأحرقَ مأتما منه [(١)] .

وأطال صاحبُ الأغانى ترجمتَه ، وفى هذا القدر كفاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [(٢)] :

٨٥٤ (فمن يَكُ أمسَى بالمدينةِ رَحْلهُ   فإنِّى وقيّارٌ بها لَغَرِيبُ)

على أنّ قوله : « قيّار » مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إنّ وخبرها ، والتقدير : فإنّى وقيار بها كذلك لَغريب .

وإنمّا لمْ يجُعل الخبر لقيّار ويكون خبر إنّ محذوفاً لأنَّ اللام لا تدخل فى خبر المبتدأ حتّى يقدَّم ، نحو : لقائم زيد . وكذلك الصَّابئون فى الآية مبتدأ خبره محذوف ، والجملة اعتراض كذلك كما قرَّره الشارح .

---

(١) فى الأغانى ١١ : ١٤٦ : « فما رئى يوم كان أوجع وأحرق مأتما فى العرب من يومئذ » .

(٢) فى كتابه ١ : ٣٨ . وانظر نوادر أبى زيد ٢٠ ومعانى الفراء ١ : ٣١١ ومجالس ثعلب ٣١٦ ، ٥٩٨ والشعراء ٣٥١ والكامل ١٨١ والأصول ١ : ٣١٢ والإنصاف ٩٤ وابن يعيش ١ : ٩٣/ ٨ : ٦٨ ومعاهد التنصيص ١ : ٦٥ والهمع ٢ : ١٤٤ والتصريح ١ : ٢٢٨ والأشباه والنظائر ١ : ٤٢ والأشمونى ١ : ٢٦٨ .

وهذا تخريجٌ له خلاف مذهب سيبويه ، فإنَّ الجملة عنده فى نية التأخير ، وهى معطوفة لا معترضة ، كما تقدم نصُّه وإيضاحُه فى كلام الكشّاف . وكأنّه عدَل عنه لئلاَّ يلزم تقديم الجملة المعطوفة على بعض الجملة المعطوفِ عليها ، كما أورده عليه ابن هشام (فى المغنى) . وجوَّز السيرافى أن يكون الخبر للصابئين ويكون خبر إنّ محذوفا كما تقدَّم عنه . وأورَدَ عليه أيضاً ابنُ هشام بأنّ فيه الحذفَ من الأوَّل لدلالة الثانى ، وإنّما الكثير العكس . ٣٢٤

وذهب الفرّاء إلى أنَّ الصابئون معطوفٌ على اسم إنّ فيشاركه فى الخبر ، فهو من عطف مفرد على مفرد ، وهذا نصُّه فى تفسير الآية قال : وأمَّا الصابئون فإنّ رفعه على أنّه عطفٌ على الذين ، والذين حرف على جهةٍ واحدة فى رفعه ونصبه وخفضه [1] ، فلما كان إعرابُه واحدا وكان نصب إنّ ضعيفا ، وضعفُه أنّه يقع على الاسم ولا يقع على خبره ، جاز رفع الصابئين . ولاَ أستحبُّ أن أقول : إنّ عبدَ الله وزيدٌ قائمان ، لتبيُّنِ الإعراب فى عبدَ الله . وقد كان الكسائىُّ يجيزه لضعف إنّ . وقد أنشدوا هذا البيت رفعاً ونصبا :

فمن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُه فإنّى وقياراً بها لغريبُ

و « قيارٌ » . وليس هذا بحجّة للكسائى فى إجازته : إنّ عمرا وزيدٌ قائمان ، لأنَّ قيارًا قد عطف على اسم مكنىّ عنه ، والمكنىّ لا إعرابَ له فسُهل ذلك كما سهل فى الذِين إذا عطفتَ عليه الصابئون . وهذا أقوى فى الجواز من الصابئونَ ، لأنَّ المكنىّ لا يتبيَّن فيه الرفع فى حال . والذين قد يقال اللذون فيُرفَع فى حال . وأنشدنى :

---

(١) يعنى أنه مبنى ، لا يظهر عليه الإعراب .

وإلاّ فاعلمُــوا أنّــا وأنتم بُغاةٌ ما حَيِينا فى شِقاقِ [(١)]

وقال آخر :

يا ليتنــى وأنتِ يا لميسُ ببلـدٍ ليس به أنــيسُ [(٢)]

وأنشدنى بعضهم :

ياليتنى وهُمـا نَخْلــو بمنزلــةٍ حتَّى يرى بعضُنا بعضا ونأتلفُ [(٣)]

. قال الكسائى : أرفعُ الصابئون على إتباعه الاسم الذى فى هادُوا ، ونجعله [(٤)] من قوله : ﴿ إنَّا هُدْنا إليك [(٥)] ﴾ ، لا من اليهوديّة . وجاء التفسير بغير ذلك ، لأنّه وصفَ الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال : من آمن منهم فله كذا ، فجعلهم يهوداً ونصارى . انتهى كلام الفراء .

قال الزجاج فى تفسير الآية بعد أن نقل مذهب الكسائىِّ والفراء : هذا التفسير إقدامٌ عظيم على كتاب الله ، وذلك أنَّهم زعموا أنّ نصب إنّ ضعيف ، لأنّها إنَّما تغيِّر الاسم ولا تغيِّر الخبر . وهذا غلط لأنّ إنَّ قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس فى العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأنَّ كل منصوب مشبَّه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلاّ فيما لم يسمَّ فاعله . وكيف يكون نصب إنّ ضعيفا وهى تتخطَّى الظروف فتنصب ما بعدها نحو : ﴿ إنّ فيها قوماً جبَّارين [(٦)] ﴾ ، ونصب إنّ من أقوى المنصوبات . وقال الكسائى : الصابئون نَسَقٌ

---

(١) هو الشاهد ٨٥٢ السابق قريبا .

(٢) الرجز لجران العود ، وهو الشاهد ٨٠٤ .

(٣) انظر الضرائر لابن عصفور ٢٦٠ .

(٤) فى معانى الفراء ١ : ٣١٢ : « ويجعله » .

(٥) من الآية ١٥٦ فى سورة الأعراف . والمراد بهدنا : رجعنا إلى الحق وتبنا .

(٦) الآية ٢٢ من سورة المائدة .

على ما فى هادوا ، كأنّه قال : هادوا هم والصابئون . وهذا القول خطأ من جهتين : إحداهما أنَّ الصابىء لا يشارك اليهودىَّ فى اليهودية . وإنْ ذَكَر أنّ هادوا فى معنى تابوا فهذا خطأ فى هذا الموضع أيضاً ، لأنّ معنى الذين آمنوا ههنا إنّما هو إيمانٌ بأفواهِهم ؛ لأنّه يُعنَى به المنافقون [١] . وقال سيبويه والخليلُ وجميعُ البَصريِّين : إنَّ الصابئين محمولٌ على التأخير ومرفوع بالابتداء ، المعنى : إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا من آمن بالله واليومِ الآخر فلا خوفٌ عليهم ، والصَّابئون والنصارى كذلك أيضا . وأنشدوا فى ذلك قولَ الشاعر :

٣٢٥

* وإلاّ فاعلمُوا أنَّا وأنتم * .... البيت

المعنى : أنَّا بغاةٌ وأنتم أيضا كذلك . وزعم سيبويه أنّ قوماً من العرب يَغْلَطون فيقولونَ :إنَّهم أجمعُون ذاهبون ، وإنَّك وزيدٌ ذاهبان . فجعل سيبويه هذا غلطاً ، وجعله كقول الشاعر :

بدا لىَ أنِّى لستُ مدرِكَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

انتهى كلام الزجاجى .

ومراد سيبويه بالغلط توهُّم عدم ذكر إنّ ، لا حقيقة الغلط . كيف وهو القائل إنَّ العرب لا تطاوعُهم ألسنتُهم فى اللحن والخطأ ، كما نُقل عنه فى المسألة الزُّنبورية .

قال الشاطبى (فى شرح الألفية) : يعنى سيبويه أنَّهم توهَّموا أنْ ليس ثَمَّ إنَّ ، حتّى كأنَّهم قالوا : هم أجمعون ذاهبون ، وأنت وزيدٌ ذاهبان . وأنَّسَ بهذا عدَمُ ظهورِ الإعراب فى اسم أنَّ فى الموضعين . والدّليل على صحة هذا أنّه لم

(١) بعده فى تفسير الزجاج ٢ : ٢١٤ : « ألا ترى أنه قال : من آمن بالله ؟ فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال إن آمنوا فلهم أجرهم » .

يجىءْ فيما ظهر فيه الإعراب ، نحو : إنّ زيداً وعمرٌو قائمان ، إذ لو كان الرفع على غير التوهُّم لكان خليقاً أن يجىء مع ظهوره . فلمَّا لم يكن كذلك دلَّ على أنّهم اعتقدوا أنّ المنصوب مرفوع ، فعطفوا على اللفظ كما قال الشاعر : « ولا سابقٍ شيئا » بالخفض ، متوهِّما أنّه قال : لست بمدركٍ ما مضى ، فلذلك جعله سيبويه من باب الغلط . والله أعلم . انتهى .

وكذا (فى المغنى لابن هشام) قال : أُجيبَ عنه بأمرين : أحدهما : أنّه عطف على توهُّم عدم ذكر إنّ . والثانى أنّه تابعٌ لمبتدأٍ محذوف ، أى إنّك أنت وزيدٌ ذاهبان . وعليهما خرِّج قولهم : إنّهم أجمعون ذاهبون . انتهى .

وفى أمالى الزجاجى الصغرى (١) : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رُستَم الطَّبرىُّ قال : أخبرنا أبو عثمانَ المازنىّ قال : قرأ محمد بن سليمان الهاشمى ، وهو أمير البصرة ، على المِنبر : ﴿ إنّ اللهَ وملائكتهُ يُصلُّونَ عَلَى النّبى (٢) ﴾ ، بالرفع ، فعلم أنّه قد لَحن ، فبعث إلى النحويِّين وقال لهم : خرِّجوا له وجها . فقالوا : نعطف به على موضع إنّ ، لأنّها داخلة على المبتدأ والخبر . فأحسَن صِلتهم ولم يرجع عنها ، لئلاَّ يقال لحن الأمير .

وأخبرنا أبو إسحاق الزجاجُ قال : أخبرنا أبو العباس المبرِّد عن المازنىِّ قال : حدَّثنى الأخفش قال : كان أميرٌ فى البَصرة يقرأ على المِنبر : ﴿ إنّ الله وملائكته يُصلُّون على النبى (٢) ﴾ ، بالرفع ، فصرتُ إليه ناصحاً له ، ومنبِّها ، فتهدَّدنى وأوعَدَنى وقال : تلحِّنون أمراءكم ! ثم عُزِل وتقلَّد محمد بن سُليمان

---

(١) الخبر كذلك فى مجالس العلماء ٥٤ — ٥٥ وإنباه الرواة ٢ : ٤٣ . وطرف منه فى البيان ١ : ٢٩٥ . وانظر ملحقات أمالى الزجاجى ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٢) الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

الهاشميُّ ، فكأنّه تلقَّنها مِن فِي المعزول [١] فقلت : هذا هاشميٌّ نصيحتُه واجبة ، فجبُنْتُ عنه وخشِيتُ أنْ يتلقّانى بمثلِ ما تلقّانى به الأوّل ، ثم حَمَلتُ على نفسى فأتيتُه فإذا هو فى غرفةٍ له ، وعنده أخوه ، والغِلمانُ على رأسه ، فقلت : هذا . وأومأتُ إلى أخيه . فنهضَ أخوه وتفرَّق الغِلمان ، فقلت : أصلحَ اللهُ الأمير ، أنتم أهلُ بيتِ النُّبوَّةِ ، ومَعدِنُ الرسالِة والفصاحة وتقرأ : « إنّ اللهَ وملائكتُه » بالرفع ، وهو لحنٌ ولا وجهَ له ! فقال : جزاكَ اللهُ خيرًا ، قد نبَّهتَ ونصَحْت ، فانصرِفْ مشكوراً . فانصرفتُ فلمّا صِرتُ فى نِصف الدرجة إذا قائلٌ يقول لى : قف . فوقفتُ وخِفت أن يكون أخوه أغراهُ بى ، فإذا بغلةٌ سَفْواءُ [٢] وغُلامٌ وبَدْرة [٣] ، وتختُ ثياب [٤] ، وقائلٌ يقول : هذا لك ، قد أمر به الأمير . فانصرفتُ مغتبطا [٥] . انتهى كلامه .

٣٢٦

هذا وقد أنشد سيبويه البيتَ بنصب قيّار ، وأورده فى باب التنازع من أول الكتاب مستشهداً به لتقوية ما جاز مِن حذف المفعول الذى هو فضلةٌ مستغنًى عنها ، فى قولهم : ضربتُ وضربنى زيد .

قال السيرافى : يجوز أن يكون لَغريبُ خبر إنِّى ، وخبر قيار محذوفا . ويجوز العكس . انتهى .

وكذلك رواه أبو زيد (فى نوادرهِ) بالنصب لا غير . قال السُّكَّرىّ : أراد : فإنى لغريب وإنّ قيارًا أيضاً لغريب . ولو قال لغريبان كان أجود . قال أبو عُمَر :

---

(١) فى مجالس العلماء : « من المعزول » فقط . وفى إنباه الرواة : « من فم المعزول » .

(٢) السفواء من البغال : السريعة ، أو هى الخفيفة الناصية .

(٣) البدرة ، بالفتح : كيس به مقدار من المال يقدم فى العطاء ، واختلف مقداره باختلاف العهود .

(٤) التخت : وعاء تحفظ فيه الثياب .

(٥) فى مجالس العلماء : « مغتبطا بذلك كلّه » .

بعضهم يُنشِد فإنّى وقيارٌ بالرفع ، والنصبُ أجود ، كأنّه أراد فإنّى لغريب وقيارٌ ، ثم قدَّم هذا بعد ما كان موضعُه التأخير . فعلى هذا يجوز الرفع . انتهى ما فى نوادر أبى زيد .

وكذلك رواه المبرد (فى الكامل) بالنصب وقال : فإنِّى وقيارًا بها لَغريبُ ، أراد : فإنى لغريبٌ بها وقيّارًا . ولو رفع لكان جيّدا . تقول : إنّ زيداً منطلقٌ وعمراً ، وعمرٌو . انتهى .

واعلم أنَّ العينىَّ قد خبَطَ هنا وخلَّط ، فإنّ ابن هشام أنشد البيت (فى شرح الألفية) بالرفع ، وهو شَرحَه بتوجيهِ من رواه بالنصب ، قال : قوله فإنّى الضميرُ اسم إنّ وخبَرُها محذوف . ويقال لغريبُ خبر إنّى ، وقيارٌ مبتدأ وخبره محذوف . ويقال : لغريبُ خبر عن الاسمين جميعاً ، لأنَّ فعيلا يُخْبَر بهِ عن الواحد فما فوقه ، نحو : ﴿ والملائكةُ بَعْدَ ذلك ظهير [١] ﴾ . وردَّه شيخ شيخى الخَلخالىُّ بأنَّه لا يكون للاثنين وإن كان يجوز كونُه للجمع . وكذلك قال فى فعول فقال : لا يقال رجلان صَبُورٌ وإنْ صحَّ فى الجمع . وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ عن اليمينِ وعن الشِّمالِ قعيدٌ [٢] ﴾ إنَّ المرادَ قعيدان . ثمّ كلامه يُوهِم أنّ ذلك يقال بالقياس ، وليس كذلك ، وإنّما المانع فى البيت من أن يكون غريب خبراً عن الاسمين هو لزوم توارد عاملَين على الخبر ، وإنَّما يصحُّ هذا على رأى الكوفيين . هذا كلامه .

وقوله : « خبر إنّ محذوفٌ » ، هذا أحد وجهَىْ ما جوَّزه السيرافى فى رواية النصب كما تقدَّم . وأمَّا على رواية الرفع فيتعيَّن جعلُ قوله لغريب خبر إنّى ، ولا يجوز أنْ يكون خبراً لقيّار ، لأنَّ خبر المبتدأ لا يجوز أن يقترن باللام إلاّ إذا تقدَّم على

---

(١) الآية ٤ من سورة التحريم .
(٢) الآية ١٧ من سورة قٓ .

المبتدأ ، نحو لقائمٌ زيد . وقوله : « ويقال لَغريبٌ خبر عن الاسمين جميعا » ، هذا إنمّا يُتصوَّر على رواية نصب قيَّار لا على رواية رفعه . وفى بقيَّة كلامه ما لا يخفى على المتأمِّل .

وهذا البيت أورده صاحب (تلخيص المفتاح) فى أول باب المسند ، على أنّه قد يحذف المسند لقصد الاختصار والاحتراز عن العَبث فى الظّاهر ، مع ضيق المقام بِسبب التحسُّر ومحافظة الوزن [1] . وهذه النُّكتة تجرى فيه على رواية نصب قيّار ورفعه ، فلا ينبغى قصرُها على رواية الرفع كما صنع السعد (فى المطوَّل) ، وتبعه العبَّاسىُّ (فى معاهد التنصيص) ، وكأنّه لم تبلغهما رواية النصب .

ولفظ البيت خبرٌ ومعناه التحسُّر على الغُربة ، والتوجُّعُ من الكُرْبة .

و (قيَّار) بفتح القاف وتشديد المثناة التحتية ، قال أبو زيد (فى نوادره) : هو اسم جَمَلِهِ . ونُقل عن الخليل أنّه اسمُ فرسٍ له غبراء ، وإليه ذهب أبو محمَّدٍ الأعرابىُّ (فى فُرحة الأديب) ، وقال : هو الفرس الذى أوطأهُ ضابىءٌ بعضَ صبيان أهل المدينة [2] حين أخذه عثمان وحبسَه . وقيل : اسم رجل . قاله العينى .

٣٢٧

والسِّرُّ فى تقديمه على الأوَّلين قصد التسوية بينهما فى التحسُّر على الاغتراب ، كَأَنَّه أثّر فى غير ذوى العقول أيضاً . ولو قال : إنِّى غريب وقيارٌ ، لجاز أن يتوهَّم أنَّ له مزيَّةً على قيّار فى التأثر عن الغُربة ، لأنَّ ثبوت الحكم أوّلاً أقوى ، فقدَّمه لذلك . قاله السعد .

و (الرحل) : المنزِل والمأوَى . ورواية أبى زيد [3] :

---

(١) ط : « محافظة الورق » ، صوابه فى ش .

(٢) كلمة « بعض » ساقطة من ش .

(٣) ط : « أبو زيد » .

* من يك أمسى بالمدينة رهطه *

بدون الفاء فى أوله ، على الخرْم بالراء المهملة . وكذا رواية المبرد (فى الكامل) .

صاحب الشاهد

وهو أول أبياتٍ لضابئ بن الحارث البُرجُمى ، قالها وهو محبوسٌ بالمدينة فى زمن عثمان بنِ عفّانَ رضى الله عنه . وبعده أبياتٌ ثلاثة أوردها المبَرِّد (فى الكامل) [1] ، وهى :

أبيات الشاهد

(وما عاجلات الطَّير تُدِنى من الفتى نَجاحاً ، ولا عن رَيْثهنَّ يخيبُ
ورُبَّ أمورٍ لا تَضيرك ضَيرةً وللقلب من مَخشاتهنَّ وجيبُ
ولا خيرَ فيمن لا يوطِّنُ نفسَه على نائبات الدَّهرِ حين تنوبُ)

وزاد بعدها بيتاً ابن قُتيبة (فى ترجمة قائلها من كتاب الشعراء) ، وهو :

(وفى الشكِّ تفريطٌ وفى الحزم قُوَّةٌ ويُخْطِى الفتى فى حَدْسه ويُصيبُ)

وزاد بعده بيتا أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) ، وهو :

(ولستَ بمستبقٍ صديقاً ولا أخاً إذا لم تَعَدَّ الشَّىءَ وهو يُريبُ)

قوله : (أمسَى بالمدينة رَحْلُه) الرحل : المنزل . وروى : « رهطه » ، رهط الرَّجلِ : قومُه وقبيلته الأقربُون . وقوله : « وما عاجلاتُ الطَّير » إلخ قال المبرد (فى الكامل) : يقول إذا لم تَعْجَل له طيرٌ سانحةٌ فليس ذلك بمبعدٍ خيْراً عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ، فعاجلها لا يأتيه بخير ، وآجلها لا يدفع عنه ، إنَّما له ما قُدِّر له . والعرب تزجُر على السانح وتتبرَّك به ، وتكره البارح وتتشاءم به . والسانح : ما أراك

---

(١) الذى فى الكامل : « ومن يك أمسى » بالواو ، سالما من الخرم .

مَياسرِهُ [١] فأمكن الصَّائد . والبارح : ما أراكَ مَيامِنَهُ [٢] فلم يُمكن الصائدِ إلاّ أن يتحرَّف له . قال الشاعر :

لا يعلم المرءُ ليلاً ما يصبِّحُه إلاَّ كواذبَ مما يُخبر الفالُ

والفالُ والزجر والكُهَّان كُلُّهم مُضَلَّلون ودُونَ الغيبِ أقفال .انتهى .

وقال ابن خلف : إذا خرج الإنسانُ من منزلِهِ فأراد أن يزجُر الطَّيرَ فما مرّ به فى أوّل ما يُبصر ، فهو عاجلات الطير . وإن أبطأت عنه وانتظرها فقد راثَت ، أى أبطأت . والأوَّل عندهم محمود ، والثانى مذموم . يقول : ليس النُّجح بأنْ يعجِّل الطائر الطَّيرانَ كما يقول الذين يزجُرون الطَّير ، ولا الخيبةُ فى إبطائها . وهذا ردٌّ على مذهب الأعراب .

وقوله : « وربَّ أمُورٍ لا تضيرك » إلخ قال المبرد : تقول ضاره يَضيره ، ولا ضَيْر عليه ، وضَرَّه يضرُّه ولا ضَرَّ عليه . ويقال أصابه ضُرٌّ بالضم ، وأصابه ضَرٌّ [٣] بمعنىً . والضَّرُّ بالفتح : مصدر ، والضُّرُّ بالضم : اسم . وقد يكون الضُّرُّ من المرض ، والضَّرُّ عامًّا . وهذا معنىً حسن .

وقد قال أحد المحدَثين ، وهو أبو العتاهية :

وقد يَهلِكُ الإنسانُ من باب أمنِهِ وينجو بإذنِ الله من حيثُ يحذَرُ[٤]

وقال الله عز وجل : ﴿ فعسَىَ أنْ تَكرَهُوا شيئاً ويَجْعلَ اللّهُ فيه خيراً كثيراً [٥] ﴾ . انتهى . ٣٢٨

---

(١) فى النسختين : « ما أتاك مياسرة » ، وأثبت ما فى الكامل ١٨٢ .

(٢) فى النسختين : « ما أتاك ميامنة » ، وأثبت ما فى الكامل .

(٣) فى النسختين : « ضرر » ، صوابه من الكامل ١٨٣ .

(٤) فى ديوان أبى العتاهية ١٥١ : « وينجو لعمر الله » .

(٥) الآية ١٩ من سورة النساء .

والمَخشاة : مصدرٌ ميمىٌّ بمعنى الخشية ، وهى الخوف . والوجيب : السُّقوط ، والخَفَقان ، والاضطراب .

وقوله : « ولا خير فيمن لا يوِّطن نفسه » ، قال المبرد : نظيره قول كثيِّر :

أقول لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النّفسُ ذَلَّتِ[(١)]

وكان عبد الملك بن مَرْوان يقول : لو كان هذا البيتُ فى صفة الحرب لكان أشعَرَ الناس .

وحُكى عن بعض الصالحين أنَّ ابناً له مات فلم يُرَ بِهِ جزعٌ ، فقيل له فى ذلك ، فقال : هذا أمرٌ كنّا نتوقَّعه ، فلما وقع لم نُنكره .

وقوله « إذا لم تَعَدَّ الشىء » أى إذا لم تتعدّه [(٢)] وتتجاوَزْه . ويُريب ، مِن أراب الشىء ، إذا أوقعَ فى ريبة وشُبهة .

وسبب هذه الأبياتِ مع ترجمة قائِلها تقدَّم فى الشاهد التاسع والأربعين بعد السبعمائة [(٣)] :

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد الثمانمائة [(٤)] :

٨٥٥ (أُمُّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شَهرَبَهْ)

---

(١) ديوان كثير ٩٧ والإنصاف ٤٦٢ .

(٢) فى النسختين : « إذا لم تتعداه » ، صوابه ما أثبت .

(٣) الخزانة ٩ : ٣٢٣ – ٣٢٧ .

(٤) الأصول لابن السراج ١ : ٣٣٣ وابن يعيش ٣ : ١٣٠ / ٧ : ٥٧ / ٨ : ٢٣ والضرائر ٥٩ ورصف المبانى ٣٣٦ والمغنى ٢٣٠ ، ٢٣٣ والعينى ١ : ٥٣٤/ ٢ : ١٥١/ ٤ : ٤٣٩ عرضا واللسان (شهرب) وملحق ديوان رؤبة ١٧٠ .

على أنَّه شذَّ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر مجرّدًا من إنَّ كما هنا . وقدَّر بعضُهم : لهى عجوز ، لتكون فى التقدير داخلةً على المبتدأ [١] .

قال ابن السراج (فى الأصول) : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جُبير : ﴿ إلاَّ أنَّهم لَيأكُلونَ الطَّعام [٢] ﴾ ، فتح أنَّ وجعلَ اللام زائدة ، كما زيدت فى قوله :

أمُّ الحُليس لعجوزٌ شَهرَبَهْ ترضَى من اللّحمِ بعَظْمِ الرَّقَبَهْ

انتهى .

وعند ابن جنى غير زائدة ، لكنها فى البيت ضرورة . قال (فى سر الصناعة) : وأما الضرورة التى تدخل لها اللام فى غير خبر إنّ فمن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها . والوجه أنْ يقال : لَأُمُّ الحليس عجوزٌ شَهْرَبه ، كما يقال : لزيدٌ قائم . وقال الآخر :

خالى لأنتَ ومَنْ جريرٌ خالُه يَنَلِ السَّماءَ ويكرُمِ الأخوالا[٣]

فهذا يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون أراد : لخالى أنت ، فأخّر اللام إلى الخبر ضرورة . والآخر : أن يكون أراد : لأنت خالى ، فقدم الخبرَ على المبتدأ وإن كانت فيه اللام ضرورة . وأخبرنى أبو على أنّ أبا الحسَن حَكَى : إنَّ زيداً وجهُه لَحسَنٌ . فهذه أيضا ضرورة . وربَّما أدخلوها فى خبر أنّ المفتوحة ، أخبرنا على بن محمد يرفعُه بإسناده إلى قطرب :

ألم تكنْ حلفتَ بالله العَلى أنَّ مطاياك لَمن خيرِ المَطِى[٤]

---

(١) فى شرح الرضى ٢ : ٣٣١ : « داخلة فى المبتدأ كما شذ فى خبر أن المفتوحة .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفرقان .

(٣) العينى ١ : ٥٥٦ والتصريح ١ : ١٧٤ والأشمونى ١ : ٢١١ .

(٤) انظر الخصائص ١ : ٣١٥ والضرائر ٥٧ والهمع ١ : ١٤٠ واللسان (مطا) .

والوجه هنا كسر إنّ لتزولَ الضرورة ، إلاّ أنّا سمعناها مفتوحة الهمزة . انتهى .

وكذا عدَّ هذا ابن عصفور من الضرائر ، مع أنَّه أورد الآية وما حكاه أبو الحسن الأخفش ، وجعَلهُما من الشاذّ .

وأمَّا التخريج على إضمار المبتدأ فلم يرتضه ابنُ جنى ، لما فيه من الجمع بين حذف المؤكَّد وتوكيده . قال بعدَ ما نقلنا عنه : وأخبرنا أبو علىّ أنّ أبا إسحاق ذهب فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ هذانِ لسَاحِران [1] ﴾ إلى أنَّ إنَّ بمعنى نعم ، وهذانِ مرفوع بالابتداء ، وأنَّ اللام فى لساحران داخلةٌ فى موضعها على غير ضرورة ، والتقدير على هذا : نَعَمْ هذان لَهما ساحران . وحَكَى عن أبى إسحاق أنّه قال : هذا الذى عندى فيه . والله أعلم . وكنتُ عرضتُه على عالمنا محمد بن يزيد ، وعلى إسماعيل بن إسحاق [2] فقبلاه وذكرا أنّه أجودُ ما سمعناه .

٣٢٩

واعلمْ أنّ هذا الذى رواه أبو إسحاق فى هذه المسألة مدخُولٌ غير صحيح ، وأنا أذكرُه لتقفَ منه على ما فى قوله . ووجه الخطأ فيه أنّ هما المحذوفة التى قدّرها مرفوعةً بالابتداء ، لم تحذف إلاّ بعد العلم بها والمعرفة بموضعها . وكذلك كلُّ محذوفٍ لا يُحذف إلاَّ مع العلم به ، ولولا ذلك لكان فى حذفه مع الجَهْل بمكانه ، ضربٌ من تكليف علم الغَيب للمخاطب . وإذا كان معروفاً فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام . ألا ترى أنّه يقبُح أن تأتى بالمؤكِّد وتترك

---

(١) الآية ٦٣ من سورة طه .

(٢) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم ، أبو إسحاق القاضى . ترجم له البغدادى فى التاريخ ٦ : ٢٨٤ — ٢٩٠ وياقوت فى معجمه ٦ : ١٢٩ — ١٤٠ والسيوطى فى البغية ١٩٣.وذكر الخطيب البغدادى أن المبرد كان يقول فى شأنه : « القاضى أعلم منى بالتصريف » . وله كتاب أحكام القرآن ، ومعانى القرآن وغيرهما . ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٨٢ .

المؤكَّد فلا تأتىَ به ؟ أوَ لا ترَى أنَّ التأكيد من مواضع (١) الإسهاب والإطناب ، والحذفَ من مواضع الاكتفاء والاختصار ؟! فهما إذن لمَا ذكرتُ من ذلكَ ضِدَّانِ ، لا يجوز أن يشتمل عليهما عقد كلام (٢) . ويزيدُك وضوحاً امتناعُ أصحابِنا من تأكيد الضمير المحذوف العائد على المبتدأ ، فى نحو : زَيدٌ ضربت ، فيمن أجازه ، فلا يجيزون : زيدٌ ضربتُ نفسَه ، على أن تجعل النفسَ توكيداً للهاء المرادة فى ضربته ، لأنَّ الحذف لا يكون إلاّ بعد التحقُّق والعلم ، وإذا كان ذلك كذلك فقد استغنى عن تأكيده . ويؤكِّد عندك ما ذكرتُ لك أنّ أبا عثمان وغيرَه من النحويِّين حمَلُوا قولَ الشاعر :

* أمُّ الحُليسِ لَعجوزٌ شَهربَه *

على أنَّ الشاعر أدخل اللام على الخبر ضرورة . ولو كان ما ذهب إليه أبو إسحاق جائزاً لما عدَل عنه النحويُّون ، ولا حَمَلوا الكلامَ على الاضطرار ، إذا وجدوا له وجهاً ظاهراً قويًّا .

وحذف المبتدأ وإن كان سائغاً فى مواضعَ كثيرة فإنّه إذا نُقِل عن أوّل الكلام قبُح حذفه . ألا ترَى إلى ضعف قراءِة من قرأ : ﴿ تماماً على الذى أحسَنُ (٣) ﴾ ، قالوا : ووجه قُبحه أنّه حذف المبتدأ فى موضع الإيضاح والبيان ، لأنّ الصلة وقعَتْ فى الكلام ، فغير لائقٍ به الحذف . وإذا طال الكلام جاز فيه من الحذف ما لا يجوز فيه إذا قصُر . ألا ترى إلى ما حكاه الخليل من قولهم : ما أنا بالذى قائلٌ لك شيئاً . ولو قلت : ما أنا بالذى قائم لقبُح . انتهى .

---

(١) ما بعده إلى كلمة « مواضع » التالية ساقط من ش .

(٢) ش : « عقد الكلام » .

(٣) الآية ١٥٤ من سورة الإنعام . وقراءة الرفع سبق التنبيه عليها فى حواشى صفحة ٢٠٥ .

وذهب صاحب اللباب إلى أنّ اللام إنّما دخلت على الخبر لتوهُّم ذكر إنَّ ، فكأنّه قيل : إنّ أمّ الحليس .

صاحب الشاهد

وهذا البيت نسبه الصاغانى (فى العباب) إلى عَنترة بنِ عَرْوَش ، [قال فى مادة (شهرب) : الشَّهْرَبَة : العجوز الكبيرة ، مثل الشَّهبرة . قال عنترة بن عَرْوَش [1]] : « أم الحليس » البيت . قال بعض الناس : اللام مقحمة فى لَعَجوزٌ .

وأنشد الآمدى [2] فى ترجمة عنترة هذا :

* ربَّ عجوز من سُليم شَهربَه *

انتهى .

وقد رجعت إلى المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء للآمدى ، ولم أر فيه البيت الذى نقله عنه . وهذا مافيه :

عنترة بن عَروس

ومنهم : عنترة بن عَرُوس مولى ثقيف ، وكان عَروسٌ مولّدًا ولد فى بلاد أزد شنوءة ، شاعراً . وكان يزيد بن ضبّة الثقفى هَجاه ، فقال يهجو عَمَّارة امرأة يزيد :

تقول عَمّارة لى يا عنترهْ   شَقَّ حِرِى هذا العظيمُ الحَوثَره

وهى أبيات تسعة وقافيتها رائيَّة ، خلافُ ما نقل . والله أعلم .

وعروس فيه بلفظ العروس المعروف ، لا بالشين المعجمة على وزن جعفر ، كما فى خطِّه .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) انظر المؤتلف والمختلف ١٥٢ .

وهذا الشعر مذكورٌ (فى صحاح الجوهرى) أيضاً فى تلك المادة . ولم يتعرَّض له ابن بَرّىّ ولا الصَّفَدىُّ فيما كتبا على الصحاح بشىء . والله أعلم بقائله .

وقال العينى : قائله رؤبة بن العجّاج . ونسبه الصَّاغانى (فى العباب) إلى عنترة بن عَرْوَش ، وهو الصحيح . هذا كلامه .

والحُليس ، بضم الحاء المهملة وفتح اللام ، ومِنْ فى البيت الثانى للبدل ، أى ترضى بدل اللَّحم . وقدَّر العينى مضافاً قبل عظم ، وقال : التقدير ترضى بدل اللحم بلحمِ عظم الرقبة . هذا كلامه . ٣٣٠

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد الثمانمائة [١] :

٨٥٦ (مَرُّوا عِجَالاً وقالوا : كيفَ صاحبُكم   قال الذى سَأَلوا : أَمسى لَمجهودَا)

على أنَّ دخول اللام على خبر (أمسى) شاذّ .

وهذا البيت أنشده ثعلب فى (آخر الجزء الثالث من أماليه) مع بيتٍ بعده ، وهو :

(ياويحَ نفسِىَ من غَبراءَ مظلمةٍ   قِيسَتْ على أطول الأقوامِ ممدودا)

و (مَرُّوا) من المرور . و (عِجالاً) : جمع عَجُل بضم الجيم ، كرجال جمع رَجُل . ورواه العينى : (عَجَالى) وقال : هو جمع عجلان ، كسَكارى جمع سكران .

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٥ والخصائص ١ : ٣١٦/ ٢ : ٢٨٣ وابن يعيش ٨ : ٦٤ ، ٨٧ والضرائر ٥٨ ورصف المبانى ٢٣٨ والهمع ١ : ١٤٤ والعينى ٢ : ٣١٠ والأشمونى ٢ : ٢١٤ .

ورواه أبو على (فى كتاب الشعر) : « مرُّوا سراعا » ، وهو جمع سريع .

ووقع (فى شرح ابن عقيل على الألفيّة) : « سيِّدُكم » موضع : صاحبكم .

وقوله : (قال الذِى سألوا) إلخ الذى فاعل قال ، وسألوا صلته ، والعائد محذوفٌ ضرورةً ، أى سألوا عنه . وجملة (أمسى لَمجهُودًا) مقول القَول . واسم أمسى ضمير الصَّاحب . يريد : إنّ المريضَ نفسَه أجابهم على طريق الغَيبة بقوله : أمسى لمجهودا ، ثم رجع إلى التكُّلم بقوله : « يا ويح نفسى » إلخ . وقوله : « من غبراءَ مظلمة » أى تُربْة غبراء ، يريد القبر . وقيست ، من القياس ، أى حُفِرت تلك التربة الغبراء على قياس أطولِ الأقوام حال كونه ممدوداً فيها ، يريد به نفسه .

وهذا البيت شائعٌ فى كتب النحو ، ذكره أبو على فى غالب كتبه ، وابن جنى كذلك ، وكلهم يرويه عن ثعلب ، وثعلبٌ أنشده غير معزُوٍّ إلى أحد . والله أعلم بقائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد الثمانمائة [(١)]) :

٨٥٧ (وما زِلتُ مِن لَيْلَى لَدُنْ أنْ عَرفْتُها   لكالهائم المُقصَى بكلِّ مَذادِ)

على أنَّ زيادة اللام فى خبر زال شاذَّة .

هكذا رواه ابن جنى (فى سر الصناعة) ونسبَه لكثيِّر عزة . و (المذاد) : مصدر ميمى بمعنى الذَّود ، وهو الطرد . ووقع (فى المغنى وغيره) : « بكلّ

---

(١) ديوان كثيرٍ ٤٤٣ عن الخزانة . وانظر أيضا الضرائر ٥٨ والمغنى ٢٣٣ والعينى ٢ : ٢٤٩ والهمع ١ : ١٤١ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

مَرَاد » ، بفتح الميم والراء ، وهو المكان الذى يُذهَب فيه ويُجاء ، من الرَّود ، وهو التردُّد فى المجىء والذهاب . والرَّود أيضا : طلبُ الكلأ ، أى العُشْب . والهائم من الإبل : الذى يصيبه داء الهُيام ، بالضم ، وهو الجُنون . والمُقصَى : اسم مفعول مِنْ أقصاه ، أى أبعده . شبَّه نفسَه فى طرد ليلى له ، بالبعير الذى يُصيبه داء الهُيام ، فيُطرد عن الإبل خشيةَ أن يصيبهَا ما أصابه . والهائم أيضا : اسم فاعل من هامَ على وجهه ، أى ذَهب ، من عشقٍ أو غيره .

أبيات الشاهد

والبيت قافيتُه مغيَّرة ، وصوابه : « بكل سبيل » . وأول القصيدة :

(ألا حيّيَا ليلى أجدّ رحيلى وآذَنَ أصحابى غداً بقفولِ)

ومنها :

(أُرِيدُ لأنسَى ذِكرها فكأنّما تَمثَّلُ ليلَى بكلِّ سبيلِ)

ورُوِى البيت أيضا كذا :

(ومازلتُ من ليلى لدن طَرَّ شاربى إلى اليوم كالمُقْصَى بكل سبيل [(١)])

ولا شاهد على هذه الرواية . وفى الروايتين استعمال (لَدُنْ) بغير (مِنْ) ، ولم تأت فى التنزيل إلاّ مقرونة بها .

وطرّ النبتُ يَطِرُّ طُروراً : نَبتَ . ومنه طَرَّ شارب الغلام فهو طارٌّ . وظنَّ ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) أن البيت بالرواية الأُولى بالقافية الداليَّة ليس من شعر كثيِّر ، فإنّه قال : ولكثيرٍ عزة بيتٌ يشبه هذا فى معناه وغالبِ لفظه ، فلا أدرى مَن الآخذُ من صاحبه . وقد يكونان توارَدَا عليه . انتهى .

٣٣١

صاحب الشاهد

وترجمة كثيِّر تقدَّمت فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الثلثمائة [(٢)] .

* * *

(١) ط : « ولا زلتُ » ، صوابه فى ش .

(٢) الخزانة ٥ : ٢٢١ – ٢٢٤ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد الثمانمائة (١) :

٨٥٨ (وأعْلَمُ أنّ تسليماً وتَركاً لَلاَ مُتشابهانِ ولا سواءُ)

على أنَّ دخول اللام على حرف النفى شاذٌّ .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : إنمّا أدخل اللام وهى للإيجاب ، على لا وهى للنفى ، من قِبَلِ أنّه شبَّهها بغير ، فكأنّه قال : لغير متشابهين ، كما شبَّه الآخَر ما التى للنفى بما التى فى معنى الذى ، فقال :

لَمَا أغفلتُ شكرَك فاصطنعنى فكيفَ ومِن عطائك جُلُّ مالِى(٢)

ولم يكن سبيل اللام الموجِبة أن تدخل على ما النافية ، لولا ما ذكرتُ من الشَبه اللفظى . انتهى .

وظاهر كلام الشارح أنّ إنَّ فى البيت مكسورة لوجود اللام ، ولو كانت مفتوحة شذّ ، لدخولها فى خبر أنَّ المفتوحة وعلى حرف النفى ، فلمَّا لم يقل أشذّ عُرف أنَّها مكسورة .

وبه صرَّح ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) قال : إنّ بالكسر ، لدخول اللام فى الخبر ومثله : ﴿ والله يَعْلَمُ إنَّكَ لرسُوله (٣) ﴾ .

والرواية فيه فتح أنَّ ، نقله ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) عن الفراء . فيكون شذوذ اللام فيه من جهتين كما بيّنّاه .

---

(١) المحتسب ١ : ٤٣ والضرائر ٥٨ والعينى ٢ : ٢٤٤ والهمع ١ : ٨٨ ، ١٤٠ والتصريح ١ : ٢٢٢ والأشمونى ١ : ٢٨١ .

(٢) الأصول ١ : ٣٥٠ والمغنى ٦٨٠ والدرر ١ : ١١٦ .

(٣) الآية الأولى من سورة المنافقون .

قال ابن هشام : تكرار لا هنا واجبٌ ، لكون الخبر الأوّل مفرداً . وإفراد سواء واجبٌ وإن كان خبراً عن متعدِّد ، لأنّه فى الأصل مصدر بمعَنى الاستواء ، فحذِف زائدُهُ ونقل إلى معنى الوصف . ومثله قول السَّموءل :

سَلِى إن جَهلتِ النَّاسَ عنّا وعنهمُ فليس سواءً عالمٌ وجَهولُ

وربَّما ثُنّى ، كقول قيس بن مُعاذ :

فيارَبِّ إن لم تَقسِمِ الحبَّ بيننا سواءَينِ فاجعلنى على حبِّها جَلْدا [١]

ومعنى البيت أنَّ التسليم على الناس وعدمَهُ ليسا مستَوِيين ، ولا قريبيَن من السَّواء . وكان حقُّه لولا الضرورة أن يقول : للاسواءٌ ولا متشابهان . انتهى .

قال العينى : وقد قيل إنّ المعنى : أعلم أنّ تسليمَ الأمر لكم وتركَهُ ليسا متساويين ولا متشابهين . انتهى .

قال ابن جنى (فى المحتسب) : مُفاد نكرة الجنس مُفاد معرفته ، من حيث كان فى كلِّ جزءٍ منه معنى ما فى جُملته . ألا ترى إلى قوله :

* وأعلم أنَّ تسليماً وتركا * ... البيت

فهذا فى المعنى كقوله : إنَّ التسليمَ والتَّركَ لا متشابهان ولا سواء . انتهى .

صاحب الشاهد

ونسب ابن جنى (فى سر الصناعة) هذا البيتَ إلى أبى حِزامٍ العُكْلِيِّ ، واسمه غالب بن الحارث . وعُكْل بضم العين وسكون الكاف : قبيلة .

* * *

(١) انظر أيضا المغنى ١٣٩ واللسان (سوى ١٣٦) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد الثمانمائة [1] :

٨٥٩ (فبادَ حَتَّى لكَأَنْ لم يكُنِ   فاليوَم أبكى ومَتَى لم يُبْكِنِى)

على أنّ دخول اللام على كأنّ شاذٌ أيضاً .

و (باد) الشيء : هلك وتلف ، وفاعله ضمير الهالك المتقدم فى بيت قبله . و (حَتّى) للغاية وهى ابتدائية . و (كأنْ) بسكون النون مخفّفة ، واسمها محذوف ، وهو ضمير الشىء الهالك ، وجملة (لم يكن) خبرها . يقول : لم يبق أثرٌ لذلك الهالك حتَّى كأنَّه لم يكن موجوداً . وكسرت النون من يكن للقافية .

٣٣٢ وقوله : (فاليوم أبكى) أى عليه . يقال بكيتُه ، وبكيت عليه ، وبكيت له ، وبكَّيتُه بالتشديد . كذا فى المصباح .

واليومَ ظرفٌ لأبكى . وقوله : (ومتى لم يبكنى) استفهامٌ إنكارىّ . يريد : إنَّه يُبكينى فى جميع الأوقات .

وهذا البيت لم أره إلاَّ فى سر الصناعة لابن جنى ، ولم أقف على ما قبلَه ولا على شىء من خبره . قال ابن جنى : اعلم أن اللام قد لحقت بعضَ الحروف للتَّوكيد ، نحو : لعلَّ زيدا قائم ، إنما هو عَلَّ ، واللام زائدة مؤكِّدة . وقال الراجز :

* فباد حتَّى لكأنْ لم يكُنِ *

فأكد الحرف باللام . وقال الآخر :

* للَولا قاسمٌ ويَدا بَسِيلٍ * ... البيت

* * *

(١) لم يرد فى الجزء المطبوع من سر الصناعة ؛ لأنه ينتهى عند باب الكاف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٠ (لَلَوْلاَ قاسمٌ ويَدَا بَسيلٍ   لقد جَرّت عليك يدٌ غَشُومُ)

على أنَّ اللام الداخلة على لولا زائدة ، وأمَّا لام لقد بدون لولا فالمشهور أنَّها لام القسم ، وأمَّا مَعَها فقد قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومثل لام القسم اللام التى دخلت فى جواب لو نحو : والله لو قمتَ لقمتُ . وقد تُحذَف هذه اللام من بعد لو ، إذا لم يكن القَسم ظاهراً . قال :

فلو أنَّ قومى أنطقَتْنِى رماحُهـمْ   نطقتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجرّتِ [٢]

أى لنطقت . ومثل هذه اللام اللامُ التى فى جواب لولا ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولولا رَهْطُك لرجَمْنَاكَ [٣] ﴾ ، وقال الشاعر :

فواللهِ لولا اللهُ لا شئ غيـرُهُ   لَزُعْزِعَ من هذا السَّريرِ جوانبُهْ [٤]

فهذه اللام فى جواب لولا إنمّا هى جواب القسم . وربَّما حذفت إذا لم يظهر القسم إلى اللفظ . قال :

وكم من موطنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى   بأجرامِهِ من قُلَّةِ النِّيق مُنْهوِى [٥]

---

(١) رصف المبانى ٢٤٨ واللسان (غشم ٣٣٣) .

(٢) الأصمعيات ١٢٢ وشرح المرزوقى للحماسة ١٦٢ واللسان (جرر ١٩٦) .

(٣) الآية ٩١ من سورة هود .

(٤) لامرأة كان زوجها فى بعث عمر بن الخطاب . الحماسة البصرية ٢ : ٣٥ واللسان (زعع ٤) . وقبله :

تطاول هذا الليل وازورَّ جانبه   وأرقنى أن لا خليلَ أداعبه

وبعده : مخافةَ ربِّى والحياء يصوننى   وأكرِمُ زوجى أن تُنالَ مراكبه

(٥) ليزيد بن الحكم ، وانظر الشاهد ١٨٠ من الخزانة ٣ : ٤٩٥ — ٤٩٩ .

أى لَطِحْتَ . ولا تدخل اللام فى جواب لو ولولا إلاَّ على الماضى ، دون المستقبل . وكان أبو على قال لى قديما : إنَّ اللام فى جواب لولا زائدة مؤكِّدَة ، واستدلَّ على ذلك بجواز سقوطها . وكذلك مذهبُه فى لو على هذا القياس ، لجواز خلوِّ جوابها من اللام . انتهى .

وقاسم وبَسِيلٌ : رجلان . والبَسيل فى اللغة : الكَرِيهُ الوجه . و (جرَّتْ) من جَرَّ عليهم جريرةً ، أى جنى جناية . ويدٌ فاعل جرت . و (غشوم): جائرةٌ ، والغَشْم : الظُّلْم . والحرب غَشومٌ لأنّها تنال غيرَ الجانى . وهو بالغين والشين المعجمتين .

وهذا أيضاً لم أره إلاّ (فى سِرِّ الصناعة) ، ولم أقِفْ له على خبر . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(ولقد علمتُ لتأْتِيَنَّ منيَّتي)

على أنَّ علمتُ منزَّل منزلَة القسم ، وجملة لتأْتِينَّ منيَّتِي جواب القسم .

وقد تقدّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السادسَ عشرَ بعد السبعمائة [1] .

وهو صدرٌ وعجزه :

(إنّ المنايا لا تَطِيشُ سِهامُها)

* * *

وأنشد بعده :

(إنّى وجدتُ مِلاكُ الشِّيمةِ الأدَبُ)

---

(١) الخزانة ٩ : ١٥٩ — ١٦١ .

على أنّ اللام المعلّقة محذوفة والأصل : إنّى وجدتُ لمَلاكُ .

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث عشر بعد السبعمائة (١) . وهو عجزٌ وصدره :

(كذاك أُدِّبْتُ حتّى صار مِنْ خُلُقِى)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والستون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٦١ (لَهِنَّا لمقضىٌّ علينا التَّهاجُرُ)

على أنّ بعض العرب يقول : « لَهِنَّك لَرجلُ صِدقٍ » بلامين ، كما فى المصراعين . وقد تحذف الثانية فيقال : لَهِنّك رجلُ صِدق ، كما فى البيت (٣). ويريد أنّ الثانية لام الابتداء التى تكون مع إنّ . ولا وجه لتقييد الحذف بالقِلَّة ، إذْ لم يغلب ذكرُها مع إنّ ، ولم يكثرُ حتَّى يقال إنّ حذفها قليل ، وإنّما تكون معها بحسب اختيار المتكلّم ، فإنْ قصَدَ زيادة التوكيد أوردَها ، وإلاّ فلا .

٣٣٣

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وإذا كانت إنّ مشدّدة فأنْتَ فى إدخال اللام فى الخبر وتركها مخيَّر : فإن خفَّفتَ لزمت اللامُ لئلا تلتبس بإن النافية . وأمَّا اللام الأولى فهى مع الهاء على قول الفرّاء والمفضَّل بن سلمة بقيَّةُ لفظ الجلالة . وأما على قول سيبويه بجعل الهاء بدلاً من همزِ إنّ فلم يظهر من كلام الشارح ما هى عندَه . وربَّما يؤخذ منه أنَّها زائدة عنده ، ولهذا أورد كلامَه فى ذيل مَبحث اللام الزائدة .

(١) الخزانة ٩ : ١٣٩ – ١٤٣ .

(٢) لم أجد له تخريجا .

(٣) يعنى الشاهد ٨٦٣ فيما سيأتى .

وهو مذهب ابن مالك . قال (فى التسهيل) : وربَّما زيدت اللام قبل همزتها مبدلةً هاء مع تأكيد الخبر وتجريده . وهذا ظاهر قول الجوهرى (فى الصحاح) : اللام الأولى للتَّوكيد ، والثانية لام إنّ . وهذا ليس مذهبَ سيبويه ، وإنمّا هى عنده لامُ جواب قسمٍ مقدر ، وهذا نصّه ، ونقله ابن السَّراج (فى الأصول) : لهنَّك لرجلُ صدق : هذه كلمةٌ تتكلَّم بها العرب فى حال اليمين ، وليس كلُّ العرب يتكلَّم بها ، فهى إنَّ ولكنَّهم أبدلوا الهاء مكان الألف ، كقولك : هَرقت . ولحقت هذه اللامُ إنّ كما لحقت ما حين قلت : إنّ زيداً لما لَينطلقَنَّ ، فلحقت إنَّ اللامُ فى اليمين كما لحقت ما . فاللام الأولى فى لهنّك لام اليمين ، والثانية لام إنّ ، وفى : لما لينطلقنّ ، اللام الأولى لإنّ ، والثانية لليمين . والدليل على ذلك أنَّ النون معها . انتهى .

وفى شرحٍ قديم لهذه المقدّمة [1] : مذهب سيبويه فى اللام الواحدة : أنَّها لام التأكيد ، دخلت على إنّ لما غُيِّرت بإبدال همزتها هاء . وفى اللامين : أنّ الأولى جواب قسم ، والثانية لتأكيد الخبر . انتهى .

ويدلُّ لما ذهب إليه سيبويه قولُ المَرَّار الفقعسىّ :

وأمَا لهنَّك من تذكُّر أهلها لَعلى شفا يأسٍ وإنْ لم تيأسِ [2]

ووجه الدليل أنَّ أمَا بالتخفيف يكثُر الإتيانُ بها قبلَ القسم .

وجوَّزه أبو على (فى التذكرة القصرية) قال : ويجوز أن تكون اللام فى لهنَّك اللام فى لأفعلَن ، التى لا تدخُل إلاّ على الفعل . ويدلُّ على ذلك لزوُم لهِنَّك لليمين ، وأنّها لا تقال إلاّ فى اليمين . فإنْ قلت : لام لأفعلَنَّ لا تقع إلاّ

(١) يعنى المقدمة الحاجبية ، وهى المعروفة بالكافية .

(٢) نوادر أبى زيد ٢٨ .

على الفعل . قلت : إنمّا جاز لهنَّك وإنْ لم يكن فعلاً لأنَّ الجملة الاسمية وقعت موقع الجملة الفعلية . انتهى .

وذهب الزجاج إلى أنّ اللام الأولى هى لامُ إنّ واللام الثانية زائدة . واختاره أبو على فى (فى التذكِرة القصرية) وأيّده وأوضحَه . وتبعه تلميذُه أبو الفتح بن جنى .

والتذكرة القصْريَّة : هى المسائل التى جرت بينه وبين صاحبه [أبى [١]] الطيِّب محمد بن طوسىّ المعروف بالقَصرىّ ، قال فيها : لِهنّك لَرجلُ صِدقٍ ، بمنزلة ما جاء على أصله من العَيْنات المعتلَّة ، ليدُلُّوا بذلك على أنَّ أصل المعتلّ هذا . وأُوقِعت اللامُ التى كانت فى الخبر إنّك لَرجلُ صدقٍ قبل إنّ ، ليدلَّ ذلك على أنَّ حقَّها أن تقع قبل إنّ ، فأتَوْا بهذا على أصله ، وأبدلوا الهمزة هاء فِراراً من إيقاع اللام قبل إنَّ ، فغيِّر اللفظ على ذلك ، لأنّه ليس يخلو امتناعُهم من إيقاع اللام قبل إنّ من أن يكون ذلك من جِهة المعنى ، أو من جهة اللفظ . فلا يجوز أن يكون من جهة المعنى بدلالة قولهم : إنّ فى الدار لزيدًا ، فاللام قد وليت إنّ من جهة المعنى ، فثبت أنّ المكروه لفظُهما [٢] ، فإبدال الهمزة هاءً بمنزلة الفصل بين إنّ واللام بالظرف ، فجاز لهنّك . ويؤكدّ أنَّ اللام فى لهنَّك لام الابتداء إبدالُ الهاء من الهمزة . وإبدالُ الهاء من الهمزة يؤكِّد أنَّ اللام غير زائدة ، واللام التى فى لرجلُ زائدة ، لأنّه لا يجوز أن يكونا جميعاً غير زائدتين ، لأنّك إن فعلت ذلك لزمك أنْ تدخل اللامَ فى لَرجلٌ على اللام التى فى لَهنَّك .

٣٣٤

(١) التكملة من ش . وانظر ترجمة أبى الطيب محمد بن طوسى القصرى فى إنباه الرواة ٣ : ١٥٤ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٠٦ — ٢٠٧ وبغية الوعاة ٥٠ . والقصرى : نسبة إلى قصر ابن هبيرة بضواحى الكوفة . وابن هبيرة هذا هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن مُعَيّة بن سُكين .

(٢) أى اجتماع لفظهما فى أول الكلام بدون إبدال الهاء من همزة إنّ .

فإنْ قلت : أجعلُ لام لهنّك زائدة . قلت : ذلك غير جائز ، لأنَّ لام لِهنّك قد وقعت موقعَها ، فلا يستقيم أنْ تقدّرها أنَّها ليست واقعة فى غير هذا الموضع ، وهذا يجوز فى لام لَرجل ؛ لأنَّها لم تقع موقعها الذى هو قبل إنّ . ومثلُ امتناع تقدير لام لهنَّك زائدةً لأنها قد وقعت موقعَها فلا يستقيم أن يقدَّر بها غير ذلك – قولُك : ضرب زيداً غلامُه ، لا يجوز فيه أن تقول : ضرب غلامُه زيداً ، لأنَّ الغلام قد وقع موقعه فلا يستقيم أن يقدَّر به غير ذلك . انتهى .

وحققه ابن جنىّ أيضا (فى باب اصلاح اللفظ من الخصائص) وقال : ويدلُّ على أنّ موضع اللام فى خبر إنّ أول الجملة قبل إنّ ، أنَّ العربَ لما جَفَا عليها اجتماعُ هذين الحرفين قلبوا الهمزةَ هاءً ليزول لفظ إنّ ، فيزول أيضا ما كان مُستكرهاً من ذلك ، فقالوا : لَهِنَّك قائم . وعليه قوله فيما رويناه عن محمد بن سلمة عن أبى العباس :

ألاَ يا سنا برقٍ على قُلَلِ الحِمىَ لِهنّك من برقٍ علىَّ كريمُ (١)

فإن قلت : فما تصنع بقول الآخَر :

ثمانين حولاً لا أرى منكِ راحةً لَهِنَّكِ فى الدُّنيا لبَاقيةُ العُمرِ (٢)

وما هاتان اللامان ؟ قيل : أمَّا الأُولى فلام الابتداء على ما تقدَّم . وأمَّا الثانية فى « لَبَاقية العمر » فزائدة ، كزيادتها فى قراءة سعيد بن جُبير : ﴿ ألا إنّهم لَيأكُلونَ الطَّعام (٣) ﴾ .

(١) الخصائص ١ : ٣١٥/ ٢ : ١٩٥ . وهو الشاهد ٨٦٣ فيما سيأتى ص ٣٢٠ .

(٢) لعروة الرحال ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان . ووردت هذه القراءة بفتح الهمزة فى تفسير أبى حيان ٦ : ٤٩٠ وإعراب القرآن للعكبرى ٢ : ١٦١ . ولم تنسب فى كل منهما .

فإن قلت : فلم لا تكون الأولى هى الزائدةَ والأخرى غير زائدة [١] ؟ قيل : يفسُد ذلك من جهتين : إحداهما أنَّها قد ثبتت فى قوله :

* لِهِنَّكَ مِن برقٍ علىَّ كريمُ *

هى لام الابتداء لا زائدة . فكذلك ينبغى أن تكون فى هذا الموضع أيضاً هى لامَ الابتداء .

وثانيهما : أنَّك لو جعلت الأولى هى الزائدةَ لكنتَ قد قدَّمتَ الحرف الزائد ، والحروف إنَّما تزاد لضربٍ من الاتّساع . فإذا كانت للاتساع كان آخر الكلام أولَى بها من أوَّله . ألاَ تراك لا تزيد كان مبتدأةً ، وإنّما تزيدها حَشْواً أَوْ آخراً . انتهى .

وقد رجع أبو على عن هذا التحقيق وزَيَّفَه (فى كتابه نقض الهاذور) ، وهو كتابٌ نَقَضَ ما طعن به ابن خالويه على (كتاب الأغفال لأبى علىّ) الذى صنَّفه إصلاحاً لمسائل الزّجَّاج . واختار مذهبَ الفراء وأيَّده ، وأدرج فيه مذهب المفضَّل بن سلمة وجعلهُما [٢] قولا واحداً ، ونسبه إلى أبى زيد الأنصارى . وهذه عبارته .

قال أبو زيد : قال أبو أدهَمَ الكلابىُّ : [لَهِ [٣]] ربِّى لا أقولُ ذلك ، بفتح اللام وكسر الهاء فى الإدراج . ومعناه : والله ربى لا أقول ذلك . وأنشد أبو زيد :

لَهِنِّى لأشقَى النّاسِ إن كنتُ غارماً لدَوْمة بَكراً ضيَّعته الأراقمُ [٤]

---

(١) الكلام من هنا إلى « لا زائدة » فى الصفحة التالية ساقط من ش .

(٢) ط : « وجعلها » ، صوابه فى ش مع أثر تغيير .

(٣) التكملة من ش .

(٤) هو الشاهد ٨٦٢ فيما سيأتى ص ٣٤٧ .

وأنشد أيضا ·

(أبائنةٌ حُبَّى ، نَعَمْ وتماضرُ لَهِنّا لمقضِىٌّ علينا التهاجرُ [١])

قال : يقول لله إنَّا [٢] . وأنشد فى كتاب آخر :

وأمَا لَهِنَّكَ من تذكُّرِ عهدِها لَعَلى شفا يأسٍ وإن لم تيأسِ [٣]

وأنشد غير أبى زيد :

لَهِنّكِ من عَبسيَّـــةٍ لَوَسيمـــةٌ على هَنَوات كاذبٍ مَنَ يقولُها [٤]

ووجه الدَّلالة أنَّ اللام لا تخلو من أن تكون الجارَّة ، من قولهم : لله ، أو التى للتعريف ، أو التى هى عَين الفعل . فلا يجوز أنْ تكون التى للتعريف ، لأنّ تلك ساكنة وهذه متحركة .

٣٣٥

فإن قلت : ألقى عليها حركة الهمزة . قلت : لا يجوز ذلك ؛ لأنَّ حركة الهمزة كسرة ، واللام مفتوحة ، لأنَّ أبا زيد قال بفتح اللام .

ولا يجوز أن تكون الجارَّة ؛ لأنَّها مكسورة .

---

(١) رواية صدره فى اللسان (أله ٣٥٩) :

* أبائنة سعدى نعم وتماضر *

(٢) فى اللسان : « يقول : لاهِ إنَّا ، فحذف مَدَّةَ لاهِ وترك همزة إنَّا » .

(٣) ورد هذا البيت فى نوادر أبى زيد ٢٨ مع نسبته إلى المرار كما سبق فى الحواشى .

(٤) الإنصاف ٢٠٩ والهمع ١ : ١٤١ واللسان (لهن) . وأنشد ابن منظور قبله :

وبى من تباريح الصبابة لوعة قتيلة أشواق وشوق قتيلها

كما أنشد بيتا آخر على روى القاف ، وهو :

لهنك من عبسية لوسيمة على كاذب من وعدها ضوء صادق

فإن قلت : إنَّ أناسا فتحوا الجارّة مع المظهر . قلت : ذلك لا يجوز ؛ لئلاّ يبقى الاسم على حرف واحد ، وليس فى الأسماء المتمكنة اسمٌ على حرفٍ واحد .

فثبت أنَّها عين الفعل ، وأنَّ الهمزة فاءٌ حُذفت كما حذفت من قوله :

يابا المُغيرة ربَّ أمرٍ معُضلٍ فرَّجتُهُ بالنُّكر منِّىَ والدَّها (١)

فإن قلت : يكون قوله لَهِ من القول الآخِر فى الاسم ، لا من القول الذى الهمزة فيه فاءُ الفعل . قلت : هذا بعيد ، لأنَّه يحذف على هذا التقدير عين الفعل ، والعين لم تحذف إلاّ فيما لا حكمَ له ولا اعتدادَ به قِلَّةً ، فإذا كان كذلك وجب العدول به والاعتداد له ، وكان الأخذ بالقول الآخِرِ أولى ، لأنَّ الألف تحذف فيه كما يقصر الممدود . وهذا قد جاء فى كلامهم . ألا تراهم قالوا : الحَصَد والحَصَاد . وقد جاء ذلك فى الاسم نفْسِه فى قوله :

ألاَ لا باركَ اللَّـهُ فى سُهيـلٍ إذا ما الله باركَ فى الرِّجالِ (٢)

فعلى هذا حُذفت الألف فى الاسم من قوله « لَهِ ربِّى » على أنَّ القول الآخِر فى الاسم ليس بالشائع ، ولم نعلم أحداً من السَّلف ذهب إليه . وهذا القول قد رُوى مسنداً عن ابن عباس (٣) ، فرَوَى (٤) عن النبى ﷺ أنَّ عيسى بنَ مريم

---

(١) لأبى الأسود الدؤلى ، كما فى معجم الشواهد وملحقات ديوانه ١٣٤ .

(٢) غير منسوب . وانظر معجم الشواهد .

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره ١ : ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧ مسنداً إلى عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى فقط ، من حديث مطول موضوع ، فى الدر المنثور للسيوطى ١ : ٨ . وقال ابن كثير فى تفسيره ١ : ١٧ : « وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحا إلى من دون رسول الله ﷺ ، وقد يكون من الإسرائيليات من المرفوعات .

(٤) رواه الطبرى مجزأ فى المواضع الثلاثة السابقة . وفى القطعة الأولى : « إن عيسى بن مريم اسلمته أمه إلى الكتّاب ليعلِّمه ، فقال له المعلم : اكتب بسم . فقال له عيسى : وما بسم ؟ فقال له المعلم : ما أدرى . فقال عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته » . وفى القطعة الثانية مع الديباجة المتقدمة : « فقال له المعلم : اكتب الله . فقال له عيسى : أتدرى ما الله ؟ الله إله الآلهة » . وفى القطعة الثالثة ص ١٢٧ بالسند فقط دون الديباجة : « إن عيسى بن مريم قال : الرحمن رحمن الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة » .

قال لرجلٍ : أتدرى ما الله ؟ الله إلٰهُ الآلهة . وعن ابن عباس : الله ذو الألوهيَّة والعبوديَّة على خلقِه أجمعين .

فإن قلت : هلاَّ قلت إن قوله : لَهِنِّى لأشقَى الناس ، ولَهِنّا لمقضىٌّ علينا ، إنمّا هو لإنّى ولإنَّا ، خلافا لأبى زيد ؟ قلت : هذا لا يسوغ ، لأنّه يجمع فيه بين إنَّ واللام ، ولم يجمعوا بينهما . ألاَ تراهم أخَّروها إلى الخبر من قولهم : إنّ زيداً لمنطلق ، وفصَلوا فى نحو : ﴿ إنّ فى ذلك لآية [1] ﴾ .

فإنْ قلت : يكون القلب فيها بالتغيير لها كالفصل بينهما ؟ قلت : لا يصحُّ ؛ لأنّ البدل فى حكم المبدَل منه عندهم . ألا ترى أنّك لو سمَّيتَ رجلا بهُرِقَ [2] لم تصرفه كما لا تصرفه لو كانت الهمزة نفْسُها ثابتة . ألا ترى أنَّ الهمزة فى حمراء لمَّا كانت منقلبة عن ألف التأنيث كانَ حُكْمُها حكمَهَا فى منع الصرف ، فكذلك يكون البدل فى لَهِنَّك فى حكم المبدَل منه فى الامتناع من الجمع بينهما . على أنَّ هذا السؤال لا يلزم من وجهٍ آخر ، وهو أنّ ما حكاه أبو زيد من قوله : « لَهِ رَبِّى » لا يجوز أن يُظنَّ فيه أنَّ الهاء بدلٌ من الهمزة ، فإذا كان كذلك رددتَ المواضعَ إلى هذا الموضع الذى لا يجوز فيه إبدال ، وعلمت أنَّ المعنى : لِلَّه إنّى .

فإن قلت : لم لا تقول فى قولهم : لَهِنّا ولَهِنِّى ولَهِنّك : إنمّا هو لَهِ إنَّا ؛ لأنَّ قطرباً قد حكى أنّهم يقولونه بالإسكان ، وإذا كانت الهاء ساكنة وألقيت عليها حركة الهمزة وجب أن تقول لَهِنّا ، فتكون الأبيات على هذا التأويل ، لا على الوجه الذى ذكرتَه ؟ قلت : يُفسد هذا تحريكهُا الهاءَ بالجرّ [3] فى : « لَهِ ربِّى » . فكما كانت متحرِّكة فى الجر ولا همزة مكسورة بعدها فتحذف وتُلقى حركتُها عليها ،

---

(١) وردت فى ثمانى عشرة آية من القرآن ، أولها فى الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٢) فى اللسان : « يقولون : هرقت الماء هرقا ، وأهرقته إهراقا » .

(٣) ش : « فى الجر » .

كذلك تكون الكسرة فى لَهِنِّى ولَهِنّك ولَهِنَّا الجرّة ، لا حركة الهمزة المحذوفة للتخفيف على ما حكاه قطرب . على أنّ ذلك قليلٌ فى الاستعمال وإنْ كان مُتّجها فى القياس . انتهى كلام أبى على .

قال ابن جنى (فى الخصائص) : وأمّا من قال إنّ لَهِنَّك أصله لله إنّك ، فقد ذكرْنا ما عليه فيه فى موضعٍ آخر . على أنّ أبا علّي قد كان قوّاه بأُخَرَة ٣٣٦ وفيه تعسُّف . انتهى .

ورأيت فى شرحٍ قديم لهذه المقدّمة (١) : ومذهبُ أبى زيد ، وقوّاه أبو على ، أنّ أصلَ لَهِنَّك لاه إنّك ، فحذفت همزة إنّ وألف لاه ، فبقى لَهِنّك . ومذهب سيبويه أقوى ، لأنّه ليس فيه إلاّ إبدال الهمزة ، وفى هذا توالَى حذفانِ بعد حذفٍ سابقٍ فى لاه . انتهى .

أقول : ما نسبه أبو على إلى أبى زيد لعلّه فى غير النوادر ، وإلاّ فما فى النوادر موافقٌ لسيبويه . وهذا ما فى نوادره . قال المرّار بن سَعيد الفَقْعسىّ ، وهو إسلامى :

* وأمَا لهِنَّكَ من تذكُّر أهِلها * ... البيت .

يريد : أمَا إنّك . أبو حاتم : لهنّك يريد لله إنّك ، فحذَف ثمّ حذَف . انتهى .

قال الأخفش (فيما كتب على النوادر) : قول أبى حاتم ليس بشىءٍ عند أصحابِه البصريِّين ، لأنّه حذفٌ مُخِلٌّ بالكلام . وذلك أنّه حذف حرف الجّر وجملة من الاسم المجرور . وهذا لا يجوز عند أهل العربيَّة ، ولا نظير له ، ولكنّ تأويل لَهِنّك بلإنّك صحيح ، وفيه إبدال الهاء من الهمزة ، لأنّها تقرب منها فى المخرج .

---

(١) انظر التعليق الأول فى ص ٣٣٦ .

ونقل صاحب الصحاح عن أبى عُبيدٍ ، أنّ ما نسبه أبو على لأبى زيد هو قول الكسائى ، قال : قال أبو عبيد : أنشدنا الكسائى :

لَهِـنّكِ من عبسيّـةٍ لَوَسيمـةٌ على هَنَواتٍ كاذبٍ من يقولُها

وقال : أراد لِلَّه إنّكِ من عبسيّة ، فحذف اللامَ الأُولى من الله والألف من إنّك ، كما قال الآخر :

* لاه ابنُ عمك لاَ أفضلتَ فى حسبٍ [1] *

أراد : لله ابنُ عمّك . والقول الأوّل أصحُّ ، أى القول بأنّ أصله لإنَّكَ . ذكره فى مادة (لهن) .

ونقل أبو حيان (فى تذكرته) المذاهبَ الثّلاثةَ طِبْقَ ما نقله الشارح المحقق ، إلاّ أنّه نسب الثالثَ للمفضَّل بن سَلَمة ، كابن الأنْبارىِّ (فى مسائل الخلاف) ، لا أنّه حكاه عن بعضهم .

بقيّة الشاهد

واعلم أنَّ المصراع الشاهد عجزُ بيت ، وصدرُه ما أورده أبو على ، وهو :

(أبائنة حُبَّى ، نعَمْ وتُماضِرُ)

ولم أر من ذكره غيرَه ، ولم أقف على قائله .

والهمزة للاستفهام . و (بائنة) : اسم فاعل من البَيْن ، وهو الفِراقُ والهجر . وبائنة مبتدأ استَغنَى بمرفوعه ، وهو حُبَّى ، عن الخبر لاعتماده على الاستفهام . و (حُبَّى) بضم المهملة وتشديد الموحَّدة بعدها ألفٌ مقصورة ، من أعلام النساء ، غير منصرف . وكذلك (تُماضِر) : علم امرأة ، بضمّ المثناة

---

(١) لذى الإصبع العدوانى ، كما فى المفضليات ١٦٠ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* عنى ولا أنت ديانى فتخزونى *

الفوقية بعدها ميم فألف فضاد معجمة مكسورة ، منقول من فعلٍ مضارع من المَضْر ، مصدر مَضِرَ اللبن كنَصَر وفرح وكرم ، أى حَمُضَ . وهو معطوف على حُبِّى عطفاً تلقينيا . و (نعم) تصديقٌ للاستفهام . و (المقضىّ) : اسم مفعول من قضى عليه قضاءً بالمد ويُقصَر . والقضاء : الحُكْم والحَتْم . و (التهاجُر) نائب الفاعل ، وهو تفاعُلٌ من الهجر .

وينبغى أن نشرح الأبياتَ التى أوردها أبو على تكميلاً للفائدة . فقوله :

* لَهِنِّى لأشقَى الناس إنْ كنت غارماً *

يأتى شرحه بعد هذا .

وقوله :

* وأمَا لهِنَّكَ من تذكُّر عهدِها *

نسبه أبو زيدٍ للمرَّار كما تقدّم ، وقال : شفا الشىء : حرفه وناحيته وشَرَفُه . ويقال هو على شَرَفِ خيرٍ أو شرّ .

وقوله :

* لهنّك من عَبسيّةٍ لوسيمةٌ *

أورده صاحب الصحاح عن أبى عبيدة عن الكسائى . قال ابن برى فى أماليه عليه : قبله :

(وبى من تَباريح الصَّبابةِ لوعةٌ قتيلةُ أشواقِى وشوقى قتيلُها)

وروى المصراع الثانى غير الكسائى كذا :

لَهِنّكِ من عبسيّةٍ لوسيمةٌ على كاذبٍ من وعدها ضوءُ صادِقِ (١)

(١) انظر ما سبق من حواشى ٣٤٠ .

ولم أقف على قائلهما . وعبسيَّة : امرأة منسوبة إلى عبس ، وهو أبو قبيلة ، وهو تمييز مجرور بمِنْ . والوسيمة : الجميلة ، خبر لهِنّكِ . والهَنَوات : الفَعَلات القبيحة ، جمع هَنَة ، وهو ما يُستهجَنُ التصريحُ بذكره . وكاذب صفة سببية لهنَوَات ، ومَنْ فاعلُ هنوات . وأنشد أبو زيد : ٣٣٧

* لَهِنَّ الذى كلَّفتِنِى ليسيرُ *

وهو من شعر رواه أبو بكر التاريخى ، ومحمد بن الحسين اليمنى ، كلٌّ منهما فى طبقات النحاة ، فى ترجمة الرياشى ، أنّه قال : أنشدنى غلام إسماعيل بن محمد ابن أيُّوب بالمدينة ، وكان لبنى سُلَيم :

وقالت:ألاَ هَلْ تَقْضَمُ الحَبَّ موهِناً مِن اللَّيل ، إنَّ الكاشِحينَ حُضورُ
فقلتُ لها: ما تُطعِمينيَ أقتَلِدْ لَهِنَّ الذى كَلَّفتِنِى لَيسيرُ

والقضم : الأكل بأطراف الأسنان ، وفعله من باب علم . والحَبّ بفتح المهملة : حَبُّ البطِّيخ ونحوِه . والمَوهن ، بفتح الميم وكسر الهاء : نحوٌ من نصف الليل . وقال الأصمعىّ : هو حينَ يُدبر الليل . وأقتلِد بالقاف ، قال اليمنى : القَلْد : الشُّرب . وفى القاموس : قلدَ الماءَ فى الحوضِ ، واللبنَ فى السِّقاء ، والشَّرابَ فى البطن يَقلِده : جمعه فيه . وأنشد أبو زيد أيضا :

* لَهِنّك فى الدنيا لَبَاقيةُ العُمْرِ *

هو خطابٌ لمؤنثّ ، وصدره :

* ثمانينَ حولاً لا أرى مِنْكِ راحةً *

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٢ (لَهِنِّى لأشقَى النَّاسِ إنْ كنت غارماً)

لما تقدَّم قبله . ورأيتُ هذا المصراعَ صدرَ بيتٍ من أشعارٍ ثلاثة .

(أحدها) : ما رواه أبو على (فى كتابه نقض الهاذور) ولم يعزُه إلى أحد ، وهو :

(لِدَوْمة بَكراً ضيَّعته الأراقمُ)

و (أشقى) أفعل تفضيل . و (غارما) من غرِمت الديةَ والدَّين وغيرَ ذلك ، من باب تعب ، إذا أدَّيته ، غُرْما بالضم ، وغَرامة ومَغرما بفتحهما . وغرَّمته تغريما وأغرمته : جعلته غارما . وغَرِمَ فى تجارته مثل خَسِر : خلافُ ربح . ودَوْمة بفتح الدال : اسم امرأة خَمّارة . و (البَكْرَ) بفتح الموحدة : الفتىُّ من الإبل ، وهو مفعول لغارم ، وجملة « ضيَّعْته الأراقم » نعت بكر ، أى جعلَتْه ضائعا . و (الأراقم) : ستّة أحياءٍ من تغلب ، وهم جُشَم ، وعَمْرو ، ومالك ، وثعلبة ، ومعاوية ، والحارث . وهم بنو بكر بن حُبَيْب ، بضم المهملة وفتح الموحّدة الأُولى ، ابن عمرو بن غَنْم ، بفتح المعجمة وسكون النون ، ابن تغلب بن وائل . وقال ابن دريد (فى الجمهرة) : الأراقم : بطونٌ من تغلب يجمعهم هذا الاسم ، ذكر أبو عبيدٍ أنّ أباهم نظرَ إليهم لمَّا ترعرعوا ، فإذا لهم جراءةٌ وحِدَّة ، فقال لغلامٍ له : إذا جاء الليلُ فاستغِثْ حتَّى انظر ما يصنعُ أولادى هؤلاء . فذهب إلى حيث أمره فاستغاث ، فسمِعوا صوته فقصدوا قصَدَه ، وقالوا : ويلكَ ما دهاك ؟ وأين القوم ؟ وأقبلوا يتجاذبونه بينهم حتَّى جاء أبوهم فقال له : كفَّ بنيك عنِّى ؛ فإنَّ عيونَهم عيون الأراقم ، فقد كادوا يقتلوننى ! فسُمُّوا بذلك . وقال ابن الكلبى : إنمّا سمُّوا

---

(١) جمهرة أشعار العرب ١٠٨ .

بذلك لأنّ امرأةً دخلت على أمِّهم وهم نيام ، ورءوسهم خارجةٌ من قَطيفة ، فقالت : كأنَّ عيونَهم عيونُ الأراقم ! فسمُّوا به .

وصاحب القاموس لم يحقِّق النظر هنا فقال ، تبعاً لصاحب الصحاح : الأراقم : حيٌّ من تغلبَ ، وهو جمع أرقم ، وهو أخبثُ الحيّاتِ وأطلبُها للناس . وقيل : ما فيه سوادٌ وبياض ، وقيل : ذكر الحيات .

٣٣٨

صاحب الشاهد (نسبة ثانية)

(ثانيها) : صدر بيتٍ من قصيدة لخِداش بن زُهير العامرى الصَّحابىّ ، وكان ممن شهِد وقعةَ حُنين مع المشركين ، ثم أسلم بعد زمان . تقدَّمت ترجمتُه فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة [١] . ومن قصيدته :

أبيات الشاهد

فيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ ... عُقيلاً إذا لاقيتَها وأبا بكرِ [٢]

بأنّكمُ مِن خير قومٍ لقومكمْ ... على أنَّ قولاً فى المجالس كالهُجْرِ

دَعُوا جانبا إنّا سنترك جانبا ... لكم واسعاً بين اليمامة والقَهْرِ [٣]

إلى أن قال :

وإنّا لمن قومٍ كرامٍ أعزّةٍ ... إذا لحقت قومٌ بفرسانها تَجرِى

ونحنُ إذا ما الخيلُ أدرك ركضُها ... لبِسنا لها جِلدَ الأساود بالنُّمرِ [٤]

لعمرى لئن أُخبِثتما حين قُلتما ... لنا العزُّ والمولى ، فأسرعتُما نفرِى

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٦ .

(٢) فى النسختين : « إذا لاقيته » ، صوابه من الجمهرة . وفى شرحها : « عقيل بن كعب بن عامر ، وهى قبيلة . وأبو بكر بن كلاب بن ربيعة » . فهما قبيلتان كما رأيت .

(٣) ياقوت : القهر : أسافل الحجاز مما يلى نجدا . وأنشد لخداش هذا البيت . وفى النسختين : « والظهر » ، صوابه فى معجم البلدان وجمهرة القرشى ١٠٨ . وصدره فى الجمهرة : « إنا سننزل جانبا » ، وفى معجم البلدان : « دعوا جانبى إنى سأنزل جانبا » .

(٤) فى الجمهرة : « الأساود والنمر » .

أبي فارسُ الضّحياءِ عمرُو بن عامرٍ أَبَى الذمَّ واختارَ الوفاءَ على الغدرِ
لَهِنِّى لأشقَى الناسِ إن كنت غارماً لعاقبةٍ قتلى خُزيمة والخُضْر (١)

وعَرضتَ : أتَيت العَرُوض ، وهى مكّة والمدينة حرسَهما الله تعالى وما حولَهما ، يقال عرضَ الرجل ، إذا أتى العَرُوض . وأخبثَ ، إذا اتَّخذ أصحاباً خُبثاء . والضّحياء : فرس عمرو بن عامر . واللام فى (لِعاقبةٍ) بمعنى بَعْد . وقتلى مفعول غارما ، جمع قتيل . والخُضْر ، بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين ، قال صاحب القاموس : وبنو الخُضْر : بطنٌ من قيسِ عَيلان ، منهم أبو شيبة الخُضْرى (٢) .

نسبة ثالثة

(ثالثها) : ما رأيتُه (فى كتاب اللصوص للسكرى) فى شعر تَلِيد الضبى ، بفتح المثناة الفوقية وكسر اللام ، وكان أحدَ اللُّصوص على عهد عمر بنِ عبد العزيز ، أُخِذ وأقيم للناس بأمرِهِ ، ليدفَع ما أخذَه منهم ، فقال فى ذلك :

تَلِيد الضبى

أبيات الشاهد فى النسبة الثالثة

ولو أنَّ بعضَ الناس يَفقِدُ أُمَّه لقيل احتواها فى الرِّحال تليدُ
لَهِنِّى لَأَشقَى الناسِ إنْ كنت غارماً قلائصَ بين الجَلهتيـن تَرودُ
قَلائصَ مِعزابٍ أتى الليلُ دونَها وما النَّاسُ إلاّ عاجز وجَليدُ

فأمره عمر بن عبد العزيز ببناء مسجدٍ ، وأنْ يبنيَه بنفسه ، فقال :

---

(١) فى الجمهرة : « وإنى لأشقى الناس » ، فلا شاهد فى هذه الرواية . وفى شرح الجمهرة و « الخُضْر : ابن محارب بن خصفة . أى لا أغرم قتلاهم » . وفى جمهرة ابن حزم ٢٦٠ أن الخضر هم بنو مالك بن طريف بن خلف بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٢) فى تاج العروس ٣ : ١٨٣ : « وفى أنساب السمعانى : شيبة . روى عن عروة الزبير ، وعنه : إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة . وفى الصحابة أبو شيبة الخضرى ، له حديث رواه يونس بن الحارث الطائفى » . وسماه ابن حجر فى الاصابة ٧ : ١٠٠ « الخدرى » . وانظر أنساب السمعانى ٢٠٢ .

تبدَّلْتُ من سَوْق الأباعِرِ فى الضّحى ... ومِن قَنَصِ الغِزْلانِ بَنْىَ المساجِدِ
فأصبحتُ قد أحدثتُ لله توبةً ... وخيرَ عبادِ الله فى زىٍّ عابدِ
على أنّ فى نفسى إلى البيض طَرْبَةً ... وأنّىَ قد أهوَى ركوبَ المواردِ

وقال أيضا :

يقولون : جاهِدْ يا تَليدُ بتوبةٍ ... وفى النفس منى عَودةٌ سأعودُها
ألا ليتَ شعرى هل أقودَنّ عُصبةً ... قليلاً لربٍّ العالمين سجودُها
وهل أطردَنَّ الدهرَ ما عشتُ هجمةً ... معرَّضةَ الأنجاد سُجْحًا خدودها

والرِّحال : جمع رحل بسكون المهملة : المأوى والمنزل . وقلائص : مفعول غارم ، جمع قلوص وهى الناقة الشابة . والجَلْهة بفتح الجيم وسكون اللام : ناحية الوادى . والمِعزابُ من الإبل والشاء : التى تعزُب أى تبعد عن أهلها فى المرعَى ، وهو بالعين المهملة والزاى . والجليد ومثله الجَلْد بفتح فسكون ، من الجَلَد بفتحتين ، وهو الشدَّة والقوَّة . يقول : إنّى اشقَى الناسِ إن كنت أغْرَمُ كلَّ ما سُرِق للناس . والبَنْى ، بفتح الموحدة وسكون النون : مصدر بنى يبنى . والهَجمة ، بفتح الهاء وسكون الجيم : القطيع من الإبل ، أوَّلها الأربعون إلى ما زادت . والأنجاد : جمع نجد ، وهو الطريق الواضح المرتفع . والتعريض : جعلُ الشيءُ عُرضاً لشيء . وأراد كونها معرَّضة فى الطريق للغارة والسَّرقة . والسُّجح ، بتقديم الجيم على المهملة : جمع أسجَحَ وسجحاء ، من سَجِح الخدُّ كفرِحَ : سهلُ ولانَ وطالَ فى اعتدالٍ ، وقلّ لحمُه . ٣٣٩

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد الثمانمائة [(١)] :

٨٦٣ (ألا يا سَنَا برقٍ على قُلَلِ الحِمىَ لَهِنَّكَ مِنْ برقٍ علىَّ كريمُ)

على أنّه حذف اللام من خبر لَهِنَّك ، حيث لم يقل : لَعَلَىَّ كريم ، والكثير إثباتها . وتقدَّم ما فيه .

صاحب الشاهد

وهو من جملة أبياتٍ لرجل من بنى نُمير . قال أبو هلال العسكرى (فى ديوان المعانى) أخبرنا أبو أحمد . وقال القالى (فى أماليه) : حدَّثنى يعقوب وَرَّاق أبى بكر ابن دريد ، قالا [(٢)] : حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال : حدَّثنا الفضل بن محمد بن العَلاّف قال : لمَّا قدم بُغَا [(٣)] ببنى نميرٍ أسرى ، كنتُ كثيراً ما أذهبُ إليهم فأسمعُ منهم ، وكنت لا أعدَمُ أنْ ألقى الفصيحَ منهم ، فأتيتهم يوماً فى عقب مطرٍ ، وإذا فتىً حَسنُ الوجه قد نَهَكه المرضُ ، يُنشِد :

أبيات الشاهد

(ألا يا سنابرقٍ على قُلَلِ الحِمَى لَهِنَّكَ من برقٍ علىَّ كريمُ
لمعتَ اقتذاءَ الطَّيرِ والقومُ هجَّعٌ فهيَّجتَ أسقاماً وأنت سليمُ
فهلْ مِن مُعيرٍ طرفَ عينٍ خليَّةٍ فإنسانُ عينِ العامرىِّ كليمُ
رَمَى قلبَه البرقُ الملالئ رَميةً بِذِكر الحِمى وهنَا فباتَ يَهيمُ)

(١) مجالس ثعلب ١١٣ وأمالى القالى ١ : ٢٢٠ والسمط ٥١٢ وديوان المعانى ٢ : ١٩٢ وابن يعيش ٨ : ٦٣ / ٩ : ٢٥/١٠ : ٤٢ والمقرب ١ : ١٠٧ والممتع ٣٩٨ والمغنى ٢٣١ والهمع ١ : ١٤١ واللسان (لهن ، قذى) .

(٢) يعنى أبا أحمد ، وهو الحسن بن عبد الله العسكرى شيخ أبى هلال ، وأبا يعقوب ورَّاق أبى بكر ابن دريد ، وهو إسحاق بن إبراهيم بن الجنيد . كما فى أمالى القالى ٣ : ٣٩ . ويقال له أيضا إسحاق بن الجنيد ، كما فى البغية وطبقات الزبيدى ٢٠٢ وإنباه الرواة ١ : ٢٢٠ والأمالى ٢ : ٩٣ ، ٣٢٣ .

(٣) بُغا : علم تركى . وبغا هذا هو بغا الكبير ، من قواد الواثق . وقد أمره الواثق بالمسير إلى بنى نمير سنة ٢٣٢ كما فى تاريخ الطبرى وغيره ، وذلك بتحريض من عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . وبغا هذا والد موسى بن بغا ، وخال القائد أوتامش التركى كما فى التنبيه والإشراف ٣١٥ . ومن المعروف أنه كان وزيرا للمعتصم ، وأنه اشترك فى قتل المتوكل بسر من رأى سنة ٢٤٧ . وجاء اسمه محرفا فى الأمالى والسمط برسم « بغاء » ، وإنما هو علم أعجمى .

فقلت : يا هذا إنّك لفى شُغلٍ عن هذا . فقال : صدقتَ ولكنّى انطقنى البرق .

زاد عليه القالى : ثم اضطجع فما كان ساعةً حتّى مات ، فما يُتَوهَّمُ عليه غير الحبّ .

وروى السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) عن ثعلب (فى أماليه) بسندٍ إلى محمد بن مَعْن الغفارى قال : أقحمت سنةٌ بالمدينة ناساً من الأعراب ، فيهم صِرْمٌ من بنى كلاب [1] فأبرقوا ليلةً فى النُّجُدِ [2] وغدوتُ عليهم فإذا غلامٌ منهم قدْ عادَ جِلدًا وعظما ، ورفَع عقيرتَه بأبياتٍ قد قالها من الليل . وأورد الأبيات . قال : فقلت له : فى دونِ ما بك ما يُفْحِم عن الشعر . قال : صدقتَ ولكنَّ البرق أنطقَنى . قال : ثم والله ما لبث يومَه تامًّا حتى مات قبلَ الليل ، ما يُتَّهم عليه غيرُ الحبّ .

وفى رواية وكيع زيادة بيتٍ بعد البيت الثانى ، وهو :

فَبِتُّ بحدِّ المرفَقينِ أَشِيمُه كأنِّى لبرقٍ بالسِّتارِ حميمُ

وقد تصفّحت أمالى ثعلب مراراً ولم أر فيها هذه الأبيات ، ولعلَّ ثعلبا رواها فى غير الأمالى [3] ، ولهذا لم يقيِّد ابن جنى (فى سر الصناعة [4]) النَّقْل عنه بالأمالى ، قال : قرأتُ على محمد بن الحسن وقُرِئ عليه وأنا حاضر ، عن أحمد بن ٣٤٠

(١) الصرم ، بالكسر : كما سيأتى فى التفسير .

(٢) النجد ، بضمتين اجمع نجد ، وهو ما غلظ وأشرف من الأرض .

(٣) كتبت قديما فى حواشى ثعلب ١١٣ : « قلت : هذا دليل على نقص نسخة البغدادى من أمالى ثعلب » .

(٤) فى غير الجزء الأول المطبوع من سر الصناعة .

يحيى . وحَدَّثنا به أيضاً عن أبى العباس محمدِ بن يزيدَ محمدُ بنُ سلمة : « ألا يا سَنا برقٍ » . البيت . فأحمد بن يحيى هو ثعلب ، ومحمد بن يزيد هو المبرد ، ومحمد بن سلمة هو الرَّاوى عن المبرد .

وكذا صنع (فى الخصائص) . وكان ابنَ برّىٍّ وقع نظرهُ على سند ابن جنِّى ولم يحقِّق النظر ، فنسب الشعر فى حاشية الصحاح إلى محمَّد بن سلمة ، وتبعه العينى فى ذلك .

و (السَّنا) بالقصر : ضوء البرق . و (القُلَل) : جمع قُلّة وهى من كل شىء : أعلاه . ورواه ابن برى : « قُنَن الحِمى » جمع قُنّة بمعنى القُلّة . و (الحمى) هو المكان الذى يُحمَى مِن الناسِ فلاَ يقرَبُه أحدٌ ، وأرَاد به حِمَى حبيبته [١] . و (من برقٍ) تمييز مجرور بمن . و (كريمٌ) خبر لَهِنَّك . وعلىَّ متعلّق به ، مِن كرُم الشىء أى نَفُسَ وعزَّ .

وقوله : « لمعت » . إلخ لمع الشىءُ : أضاء . واقتذَاء بالقاف والذال المعجمة ، قال ابن برىّ : اقتذاء الطير هو أن يفتح عينه ثم يُغمِضها إغِماضة . انتهى . وكذا فى القاموس . والمصدر هنا قائمٌ مقامَ الظرف . يريد أنَّ البرق لمَعَ وقتَ فِعل الطّيرِ ذلك ، وذلك يكون قُبَيل الصبح . يقال إنّ كلَّ طائرٍ إذا كان آخرُ الليل فتح عينَه ، ثم أغمضَها ثم فتَح . وأصل ذلك من القَذَى ، وهو ما يسقُط فى العين . وروى أبو هلال : « الطرف » بدل الطير .فالطَّرفُ هنا العَين ، وهو فى الأَصل نظرُ العين ، مصدر طَرَفَ البصرُ ، من باب ضرب .

وقوله : « فبِتُّ بحدّ » إلخ حدّ كلَّ شىء : طرفه . وأَشيم : مضارع شِمت البرقَ ، إذا نظرتَ إلى سَحابته أين تُمطر . أراد إنِّى اتّكأْتُ على طرفَىْ مِرْفقى

---

(١) ط : « حى حبيبته » ، والوجه ما أثبت من ش .

فنظرتُ إليه . والسِّتار ، بكسر السين المهملة بعدها المثناة الفوقية ، قال البكرى (فى المعجم) : هو جبلٌ معروف بالحجاز .

وهذا البيت يبيِّن أنَّ هذه الحكاية وقعت فى مدينة الرسول ﷺ .

والحميم : القريب .

وقوله : « البرقُ المُلَألُئُ (١) » قال البكرى (فى شرح أمالى القالى) : هكذا رواه أبو على القالىُّ ، وقال : مُلألٌ : موضعٌ نسب البرق إليه . وغيرُه ينشد : « البرق الملالئ » بالهمز ، من التلألؤ . ونقل هذا الكلام بعينه (فى معجم ما استعجم) ولم يعيِّن الموضعَ . ولم يوردْهُ ياقوتٌ فى معجم البلدانِ أصلاً . وروى أبو هلال بدله : « البرق اليمانى » .

والعقيرة : الصَّوت ، وأصله أنَّ رجلاً قُطِعت إحدى رجليه فرفعَها ووَضَعها على الأخرى وصرخ ، فقيل لكلِّ رافعٍ صوتَه : قد رفع عقيرته . والصِّرم ، بالكسر : أبياتٌ من الناس مجتمعة .

بُغا التركى

وبُغَا : أعظم قائدٍ من قوّاد الواثق بالله بن المعتصم بن هارون الرشيدِ العباسى ، نقل النويرى (فى تاريخه نهاية الأرَب (٢)) أنّ بنى سُليم كانت تُفسد حولَ المدينة ، فقويت شوكتُهم واغتصبوا أموالَ الناس ، فوجَّهَ الواثق بُغَا فى سنة ثلاثين بعد المائتين إلى الاعراب الذين أغاروا بنواحى المدينة ، فقَتل منهم خلقاً ، وأسَرَ من أكابر مفسديهم زُهاءَ ألِف رجل ، وحبسَهم فى المدينة ، فنقَبوا السِّجن وخرجوا ، فأحَسَّ بهم أهل المدينة فقتلهم سُودانُها .

---

(١) فى نسخة الأمالى المطبوعة : « البرق الهلالى » ، ولا ريب أنه تحريف .

(٢) ط : « الأدب » ، صوابه فى ش .

وقال البكرى (فى شرح أمالى القالى) : ذكر أبو على عن مفضَّل بن أحمد [١] قال : لمّا قدِم بُغا ببنى نُميرٍ أسرى ، كان هذا الذى ذكره فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، آخرَ أيّام الواثق . وذلك أنّ عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير امتدحَ الواثقَ بقصيدةٍ ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، ثم كلَّم عمارةُ الواثقَ فى بنى نمير ، وأخبره بعَيْثِهم وإفسادهم فى الأرض ، وغاراتهم على اليمامة وغيرِها ، فكتب الواثق إلى بُغا وهو بالمدينة ، وأمرهُ بحربهم ، وأنهّم قتلوا أبا نصر بن حُميد بن عبد الحميد الطوسى ، الذى رثاه الطائى ، فسار إليهم حتّى وافاهم فى بطن نخلٍ من عمل اليمامة ، فهزمه بنو نمير ، حتّى بلغ معسكره وأيقَنَ بالهلكة ، ثمّ تشاغلوا بالنهب حتّى ثاب إلى بُغا مَن كان انكشف من أصحابه ، فكرُّوا على بنى نمير فهزموهم ، وقتلوا منهم زُهاءَ ألِف وخمسِمائة ، ونقل إلى بغدادَ منهم نحو ألفَىْ رجل ، ومن بنى كلاب وبنى مُرّة وفزارة . فطَفِئت منذ ذلك جمرةُ بنى نمير ، وكانت إحدى الجمرتين الباقيتين . هذا كلامه ، والله أعلم .

٣٤١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٦٤ (ألا لا بارَكَ اللّهُ فى سُهيلٍ   إذا ما اللهُ بارَكَ فى الرِّجالِ)

على أنّه حذف الألف من لفظ الجلالة الأوّل قبل الهاء .

وهذا الحذفُ لضرورة الشعر ، ذكره ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) .

* * *

(١) فى الأمالى والسمط : « مفضل بن محمد العلاف » .

(٢) إصلاح المنطق ٤٧ ، ٢٦٦ والخصائص ٣ : ١٣٤ والمحتسب ١ : ١٨١ والممتع ٦١١ والضرائر ١٣١ والمخصص ٦ : ١٦٠ والأشباه والنظائر ١ : ١٧١ واللسان (أله ٣٦٣) .

وأنشد بعده :

(أقبل سيلٌ جاءَ مِنْ عندِ اللَّهْ يَحرِدُ حَرْدَ الجنَّةِ المُغِلَّهْ [١])

وقال : أنشدهما قطرُب .

وقال القاضى البيضاوى : حذفُ ألفه لحنٌ تفسُد به الصلاة ، ولا ينعقد به صريحُ اليمين . وقد جاء لضرورة الشعر :

* ألا لا باركَ اللَّهُ فى سُهيل * ... البيت .

. وهو فاعل لا بارك ، مرفوع بضمة ظاهرة .

وظنّ العصامُ (فى حاشية القاضى) أنَّ الهاء ساكنة فقال : كما أنّ حذفَ الألف للضرورة كذا حذفُ الإعراب . ويمكن أن يكون حذف الإعراب لَجرْيِ الوصل مَجرى الوقف . هذا كلامه .

والألف المحذوفة هى ألف فِعَال إذْ أصلُ الله الإله ، فتكون زائدة ، وليست عينَ الفعل ، بناءً على أن أصله لاهٌ ، مصدر لاه يليه لَيْها ، إذا احتجبَ وارتفع ، فيكون أصله لَيَه ، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقُلبَتْ ألفا .

قال ابن جنى (فى المحتسب) بعد إنشاد البيت : حَذَف الألف قبل الهاء ، وينبغى أن تكون ألف فِعال لأنّها زائدة ، كقوله تعالى : ﴿ إِلٰهِ النَّاس ﴾ ولا تكون الألف التى هى عين فَعَلٍ فى أحد قَوْلَىْ س أنّ أصله لاهٌ كنَابٍ ، لأنّ الزائد أولى بالحذف من الأصلىّ . انتهى .

وكون الله أصله لاه فى أحد قولَىْ س نقله الزجّاج عنه فقال : قال سيبويه : سألت الخيل عن هذا الاسم ، يعنى قولنا الله ، فقال إلٰه ، وقال مرّةً أخرى : الأصل لاه .

---

(١) معانى الفراء ٣ : ١٧٦ والكامل ٣٣ ، ١٨٠ وابن الشجرى ٢ : ١٦ والضرائر ١٣٢ والمزهر ١ : ١٨١ واللسان (حرد ١٢١ أله ٣٥٩) .

ورد عليه الفارسى (فى الأغفال) بأنَّ هذا الذى حكاه عن سيبويه عن الخليل سهوٌ ؛ لأنَّ سيبويه لم يحكِ عن الخليل أنّ الله أصله إله ، ولا قال : سألته عنه ، ولا حكى عن الخليل القول الآخر الذى قاله ، أنّه لاه .

وردّ ابن خالويه عليٍّ أبى على بأنَّه قد صح القولانِ عن سيبويه . ولا نُنكر أنْ تكون هذه الحكاية قد ثبتت عند أبى إسحاق الزجاج بروايةٍ له عن سيبويه من غير جهةِ كتابه ، فلا يكونُ حينئذ سهواً . وقد وقعت إلينا مسائل جَمّةٌ روى سيبويه الجوابَ فيها عن الخليل ولم يضمِّن كتابه شيئاً من ذلك .

وردّ عليه أبو على (فى نقض الهاذور) بأنّ الذى يَحكى هذه الحكاياتِ عن سيبويه عن الخليل وعن أبى الحسن متقوِّل كذّاب ، ومتخرِّص [1] أفّاك ، لا يَشُكُّ فى ذلك أحدٌ له أدنى تنبُّهٍ وتيقُّظ . ولم يُصغ إلى القبول منه والاشتغال به إلاّ الأغمارُ الأغفال ، الذين لا معرفةُ لهم بالرُّواة ورواياتهم ، وتمييز صادقِهم من كاذبهم ، وضابِطهِم من مُجازفهم ومتجوِّزِهِمْ فى الرواية . وما علمتُ أحداً من شيوخنا الذين أدركناهم ، منهم أبو إسحاق ، روى حكايةً واحدةً فضلاً عن حكايةٍ عن الأخفش عن الخليل ، ولا عن سيبويه عن الخليل ، إلاّ ما ثبت فى كتابه . بَلْ [2] رأيتُ رجلاً روى حكايةً واحدة أسندها إلى الأخفش عن الخليل فى شئٍ من العَروض ، ولم يكن هذا الرجل مَوثوقا به [3] فى خبره ، ولا مسكونا إلى حكايته . فأمّا نحن فلم يقع إلينا من الحكايات عن سيبويه مالم يثبت فى كتابه ، إلاّ حكايتان أو ثلاث : إحداها : عن محمد بن يزيد عن أبى زيد عنه ، وهى أنّ محمد بن السَّرِى روى عن مُحمد بن يزيد أنّه قال : لقى أبو زيدٍ سيبويه فقال

٣٤٢

(١) تخرص : كذب وافتعل الأخبار . ط : « متخوض » بالواو الضاد المعجمة ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « بلى » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) فى النسختين : « موثقا به » تحريف ما أثبت .

أبو زيدٍ لسيبويه : إنّى سمعتُ من العرب من يقول قريْتُ وتوضَّيت بالياء ، فيبدل الياء من الهمزة . فقال : فكيف تقول أفعلُ ؟ قال : أقرا ، ولا ينبغى أن تقول أقرِى .

والحكاية الأخرى أو الحكايتان حكاهما أوْ حكاها [١] ابنُ سلام عنه على عادة نَقَلة الآثار . هذا مع ما تصفّحنا ما أخذه محمد بن السرىّ عن محمد بن يزيد أو عامَّته ، وتصفُّح ما جمعه أبو عبد الله الفَزارى وغيرُه ، ومع صحبة على بن سليمان وإبراهيم بن السرىّ وغيرهم ، فلم نَسمع أحداً روى شيئاً من ذلك . وإنّما عمِلَ هذا الأسنادَ هذا الكذّابُ الأفّاك .

وممّا يدلُّ على غِرّة هذا الإسناد أنّا لم نجد أبا الحسن يُسند إلى الخليل شيئاً إلاّ على جهة الإرسال فيقول : قال الخليل ، أو على جهة الحكاية عن غيره فيقول : زعموا أنَّ الخليلَ كان يقول . ولم نعلمه قال : سمعت الخليل ، أو حدَّثنى الخليل ، كما يقول ذلك فى عيسى ويونس . والذىن [٢] يحكى عنهم عن الخليل ممَّن كان اختصَّ بملازمته وصُحبتِه نفرٌ ، منهم سيبويه ، والنضر بن شُمَيل ، ومؤرِّج السَّدوسى ، وعلى بن نَصْر [٣] .

ثم ردّ على ابن خالويه فى نقله بأنَّ من النحويِّين من يقول أصله وَلَهٌ ، وغلَّطه فيه بأنّه تحريف فى الرواية وتزييف . قال : ولم نعلم من النحويِّين بَصريِّهم

(١) ط : « وحكاها » ، صوابه فى ش

(٢) فى النسختين : « والذى » .

(٣) ط : « بصير » ش : « نصير » . وكلاهما خطأ ، وإنما هو على بن نصر الجهضمى . قال الصفدى : كان من أصحاب الخليل فى العربية ورفقاء سيبويه . هـ . وروى له الجماعة ، ومات سنة سبع وثمانين ومائة . بغية الوعاة ٣٥٨ . وفى طبقات الزبيدى ٧٨ : « سمعت الأخفش يقول : نفذ من أصحاب الخليل فى النحو أربعة : سيبويه ، والنضر بن شميل ، وعلى بن نصر ، ومؤرِّج السدوسى » . وابنه نصر بن على ابن نصر هو الذى قال : « لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبى : تعال نحيى علم الخليل » . والجهضمى : نسبة إلى جهضم بن عوف بن مالك بن فهم . انظر جمهرة ابن حزم ٣٨٠ .

ولا كوفيِّهم منَ ذهب فى هذا الاسم إلى أنّه من الوله ، وإنمّا ذهب إليه من ليس من أهل النَّظر فى العربية ، لوضوح خطأ القول بذلك فيها من جهة اللفظ . ألا تَرى أنَّ من أجاز أن يبدل من الفاء التى هى واوٌ الهمزةَ ، لأنّها مكسورة فى قول من رأى البدَل من المكسورة على الاطّراد ، كما يرى الجميع بدلَ الهمزة من المضمومة ، فإنّهم لم يذهبوا إلى ذلك ، لأنّ قولهم فيه تألَّه دلالة على أنّه ليس من الواو . ألا ترى أن من يقول فى الوشاح : إشاح وفى الوسادة : إسادة يقول : توشَّح وتوسَّد . والمستعمل فى هذا الاسم تألَّه . قال :

* سَبَّحْنَ واسترجَعْن من تألُّهِى [1] *

ولو كان من الوله لكان تولَّهَ . ولو كان فى الكلام لغتان لَتعاقبَ الحرفان على الكلمة ، كما جاء ذلك فى سَنَة . فللخطأ الظاهرِ من جهة اللفظ لم يذهب إلى هذا القول نحوىٌّ فيما علمناه .

وممّا يدل على فساد القول بذلك أيضاً من جهة اللفظ أنّهم قالوا فى جمع إله آلهة ، كما قالوا فى جمع إناء آنية ، وأَوانٍ آونة . ولو كان من الوله لوجب أن يكون الجمع أولهة ، كما قالوا أوعية . فَللفسادِ الظاهر من جهة اللفظ لم يذهب إليه أحدٌ من أهل العربيَّة . فأمَّا من جهة المعنى فليس بممتنع ، ولا فيه شئ ينبغى أن يُجتنَب ، لأنّ الذى يقول من غير النحويِّين إنّ إلٰه فِعالٌ من الولَه ، إنَّما هو لوله العباد إليه ، ودعائهم له ، وإسراعهم إلى ذلك عندما يدهَمهم من الأمور ، وهذا لا يمتنع الوصفُ به كما لا يمتنع فيه التسمية بِإلاه . ٣٤٣

ومعنى الإلاهة فى اللُّغة العِبادة ، قال ابن عباس ، فى قوله عز وجل :

(١) فى النسختين : « من تأله » ، صوابه من ديوان رؤبة ١٦٥ والمحتسب ١ : ٢٥٦ والمخصص ١٣ : ٩٧/ ١٧ : ١٣٦ وابن الشجرى ٢ : ١٥ وابن يعيش ١ : ٣ واللسان (أله ٣٦١ مده ٤٣٧) .

﴿ ويَذَرَك وإلٰهَتَكَ (١) ﴾ ، قال : عبادتك . فكما أنَّ العبادة لا تكون من الله سبحانه إنما تكون من عبادِه له ، كذلك لا يكون الولَه من الله سبحانه ، وإنَّما يكون مِن عباده إليه . إلى آخر ما ذكره أبو على .

وأما البيت الثانى فقد قال المبرِّد (فى الكامل) ذكر أبو عبيد أنَّ أبا حاتم قال : هذا البيتُ مصنوعٌ ، صنَعهُ مَن لا أحسَنَ الله ذِكره . يعنى قُطرباً .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : قائل هذا الرجز إنمّا حذف الألفَ للضرورة وأسكن آخره للوقف عليه ، ورقَّق لامه لانكسار ما قبلها ، ولو لم يأتِ على قافيةِ البيت « المُغِلّه » لأمكن أن يقول : جاء من أمر اللاه ، فيُثبت ألفه ويقف على الهاء بالسكون . انتهى .

وأورده الفراء (فى تفسيره) عند قوله تعالى : ﴿ وغدَوا على حَرْدٍ قادرين (٢) ﴾ ، قال : على حَرْد : على حَدٍّ (٣) وقُدْرةٍ فى أنفسهم . والحرد أيضاً : القصد ، كما يقول الرجل للرجل : قد أقبلْتُ قِبَلَكَ ، وقصدت قَصْدَك ، وحردتُ حَرْدَك . وأنشد بعضهم :

وجاء سيلٌ كان من أمر اللَّهْ يَحـرِدُ حَرْدَ الجنّـةِ المُغِلّـه

يريد : يقصد قصدها . انتهى .

واستشهد به ابن السكيت (فى إصلاح المنطق) ، وابن الأنبارىّ (فى شرح المفضليات) ، والبيضاوى (فى تفسيره) على أنّ الحرد فى الآية بمعنى

---

(١) الآية ١٢٧ من الأعراف . وهذه قراءة ابن مسعود ، وعلى ، وابن عباس ، وأنس ، وجماعة غيرهم ، كما فى تفسير أبى حيان ٤ : ٣٦٧ .

(٢) الآية ٢٥ من سورة القلم . وانظر معانى الفراء ٣ : ١٧٦ .

(٣) الحد بفتح الحاء : الحدة . وفى ش ومعانى الفراء : « جد » بالجيم . والجد ، بالكسر : الاجتهاد والمضاء .

القَصْد . قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الإصلاح) : الجنَّة : البستان . والمُغِلّة : التى فيها الغَلّة . يقال أغلَّت ، إذا خرجَتْ فيها غَلّة .

صاحب الشاهد

وقال ابن السِّيد (فى شرح الكامل) : هذا الرجز لقُطرب بن المستنير ، ورواه بعضهم : « حردَ الحيّة المُغِلّه » بالحاء غير المعجمة والياء . ويجوز أن يريد بالحيّة الأرضَ المخصبة . يقال [١] حَيِيت الأرضُ ، إذا أخصبت ، وماتت ، إذا أجدبت . فيكون مثل رواية من روى « الجنَّة » ، ويكون معنى المُغِلّة ذات الغلّة . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٦٥ (ولكنَّنى من حُبِّها لَعَميدُ)

على أنّ الكوفيِّين استدلُّوا به على جواز دخول اللام فى خبر لكنَّ . ومنعه البصريُّون ، وأجابوا عن هذا بأنّه إمّا شاذٌ ، وإمّا أنّ أصله لكنْ إنَّنى .

ومثله لابن هشام (فى المغنى) قال : ولا تدخل اللام فى خبرها ، خلافاً للكوفيِّين ، احتجُّوا بقوله :

* ولكنَّنِي من حبِّها لَعميدُ *

ولا يعرف له قائلٌ ولا تتمة ولا نظير . ثم هو محمولٌ على زيادة اللام ، أو على أنّ الأصل لكنْ إنّنى ثم حذفت الهمزة تخفيفا ، ونون لكْن للساكنين . انتهى .

(١) ط : « قال » ، صوابه فى ش .

(٢) معانى الفراء ١ : ٤٦٥ والانصاف ٢٠٩ برواية « لكميد » فيهما ، وابن يعيش ٨ : ٦٢ ، ٦٤ والضرائر ٥٩ ورصف المبانى ٢٣٥ ، ٢٧٩ والمغنى ٢٣٣ ، ٢٩٢ والعينى ٢ : ٢٤٧ والتصريح ١ : ١١ والهمع ١ : ١٤٠ والأشمونى ١ : ٢٨٠ .

وهذا نصُّ إمام الكوفيين الفراء (فى تفسيره) : وإنمّا نصبت العربُ إذْ شُدِّدت نونَها لأنّ أصلها إنَّ ، زيدت على إنّ لام وكاف فصارتا جميعا حرفاً واحدا . ألا ترى أنّ الشاعر قال :

* ولكننى من حبها لَكَميدُ [(١)] *

فلم تدخل اللام إلاّ أنَّ معناها إنّ ، وهى فيما وصلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر :

٣٤٤ لَهِنّكِ من عبسيَّةٍ لوسيمةٌ على هَنَواتٍ كاذبٍ مَنْ يقولُها [(٢)]

وصل إنّ ههنا بلام وهاء كما وصلها ثَمَّ بلام وكاف . والحرف قد يُوصَل من أوّله وآخره . انتهى .

ونسب ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) هذا الكلام إلى الكوفيين وقال :

أجاب البصريون عنه بأنّه محمولٌ على أنّ التقدير ولكنْ إنّنى ، فحذفت الهمزة من إنّ تخفيفا فاجتمع أربع نونات ، فحذفوا نون لكنْ استثقالاً لاجتماع الأمثال . ولو حُمل على ما زعمتم فهو شاذٌّ لا يكاد يُعرف له نظير . ولو كان قياساً لكثُر فى الكلام كما فى خبر إنّ . وأما قولهم إنَّ الأصل إنّ ثم زيدت عليها اللام والكاف ، قلنا : لا نسلِّم ، فإنّه دعوى بلا دليل ، ولا نسلِّم أيضا أنّ الهاء فى لَهنّكِ مع اللام زائدة ، وإنمّا هى مبدلة من ألف إنّ ، فإنَّ الهاء تبدل من الهمزة ، ولهذا جاز أن يجمع بين اللام وبينها ، لتغيُّر صورتها . وقد حُكَى عن أصحابكم فيه وجهان :

(١) ش : « لعميد » ، وهما روايتان ، لكن رواية « لكميد » هى رواية الفراء .

(٢) سبق الكلام عليه فى حواشى ص ٣٤٠ .

أحدهما قول الفراء ، وهو أنّ أصله : والله إنك ، فحذفت الهمزة من إنّك والواو وإحدى اللامين والألف ، فبقى لهنَّك .

والوجه الثانى ، وهو قول المفضّل بن سلمة ، أنّ أصله : لله إنّك ، فحذفت لامان والهمزة من إنّ . فسقط الاحتجاج به على كلا المذهبين .

وأما قولهم : إنّ الحرف قد يُوصل فى أوله ، قلنا : إنمَّا جاء قليلاً على خلاف الأصل ، فلا يقاس عليه . انتهى باختصار .

واقتصر الزمخشرى (فى المفصَّل) على الجواب الثانى فقال : وقوله :

* ولكننى من حبها لَعَميدُ [١] *

أصله : ولكنْ إنّنى ، كما أنّ أصل قوله تعالى : ﴿ لكنَّا هو الله ربِّى ﴾ : لكنْ أنا . انتهى .

ونقل العينى عن البَعْلىّ [٢] بأنّ البصريين أجابوا عنه بأنَّ أصله ولكنْ أنا من حبها لَعميد ، فحذفت الهمزة واتصلت لكن بنا ، فأدغمت النون فى النون فصار كما ترى . انتهى .

أقول : هذا فاسد ، فإنَّه يكون حينئذ من قبيل :

* أُمّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شهرَبَه [٣] *

ولا يجوز تخريج الشاذّ على الشاذّ . مع أنَّ البصرِيِّين لم يقولوا ما نقله عنهم . والعميد : الذى هدَّه العشق . قال الجوهرى : عَمَده المرضُ ، إذا فدَحه . ورجلٌ

---

(١) ط : « لكميد » وهما روايتان ، لكن رواية « لعميد » هى رواية الزمخشرى وابن يعيش .

(٢) نسبة إلى بعلبك ، وهو محمد بن أبى الفتح بن أبى الفضل البعلى الحنبلى الفقيه النحوى . ولد سنة ٦٤٥ وقرأ النحو على ابن مالك ، وصنف شرحا على الألفية ، وتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٩ .

(٣) لرؤبة ، أو عنترة بن عروش ، وهو الشاهد ٨٥٥ فيما سبق .

معمود وعميد ، أى هدَّه العشق . والكميد : وصفٌ من الكمَد ، وهو الحزن .

* * *

وأنشد بعده :

(أمُّ الحُلَيسِ لَعجوزٌ شَهربَهْ)

وتقدَّم شرحه قريبا [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٦٦ (إنَّ الخليفةَ إنَّ الله سَرْبَلَهُ)

هو صدر وعجزه :

(لباسَ مُلْكٍ به تُزْجَى الخواتيمُ)

على أنّ المكسورة يجوز أن تقع خبراً للأحرف الستة .

وهنا وقعت جملة « إنّ الله سربله » خبراً لقوله إنَّ الخليفة ، والرابط الهاء فى سَربَله . ولا يجوز فتح إنَّ هنا لأنّه يصير فى تقدير . إنّ الخليفة سَرْبلَتهُ [٣] ؛ ولا يصح الإخبار بالحدث عن اسم العين ، ولهذا وجب كسرُها . وسربَلَه : ألبسه ، يتعدَّى لمفعولين أولهما ضمير الخليفة ، والثانى اللباس بمعنى الثَّوب . وجملة به تزجى الخواتيم صفة لمُلْك ، والرابط الهاء فى به . ويجوز أن تكون الجملة خبراً

---

(١) الشاهد ٨٥٥ .

(٢) معانى الفراء ٢ : ١٤٠ ، ٢١٨ ومجالس العلماء ٢٩٣ وديوان جرير ٥٢٧ .

(٣) فى النسختين : « سرباله » .

لإنّ الخليفة ، وحينئذ جملة إنّ الله سربله لباسَ مُلك معترضة بين اسم إنّ وخبرها كما قال أبو حيّان ، فتكون الهاء فى به ضميرَ الخليفة . ويجوز أيضاً أن تفتح أنَّ على تقدير اللام [1] . وتزجى بالزاى والجيم . والإزجاء : السَّوق . والخواتيم : جمع خاتام لغة فى الخاتَم . يريد إنّ سلاطين الآفاق يُرسِلون إليه خواتمهم خوفاً منه ، فيضاف مُلكهم إلى ملكه . ويروى : « ترجى » بالراء المهملة ، من الرجاء . وهذه الرواية أكثَرُ من الأولى .

ومثل الوجه الأوّل آية سورة الحج ، وهى : ﴿ إنَّ الذين آمَنُوا والذين هادُوا والصَّابئين والنَّصارَى والمَجُوسَ والذين أشْرَكوا إنّ الله يَفصِلُ بينَهُمْ يومَ القِيامة [2] ﴾ ، قال الزجاج ، وتبعه صاحب الكشاف : خبر إنّ الأولى جملة الكلام مع إنّ الثانية . وقد زُعِم أنّ قولك : إنّ زيدا إنّه قائم ، ردىء ، وأنَّ هذه الآية صَلَحت فى الذين [3]. ولا فرق بين الذين وغيره فى باب إنّ . [إنْ [4]] قلت : إنّ زيدا إنّه قائم ، كان جيِّدا . ومثلُه قوله الشاعر :

* إنّ الخليفَة إنَّ الله سربَلَه *

وليس بين البصريين خلافٌ فى أن تدخل على كل ابتداءٍ وخبر ، تقول : إنّ زيداً إنّه قائم . انتهى كلامه .

وهذا تعريضٌ بالفراء ، فإنّه قال (فى تفسيره) : وقوله : ﴿ إنَّ الذين آمنُوا والذين هادُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ والذين أشركوا ﴾ ثم قال : ﴿ إنّ الله ﴾ فجعل فى خبرهم إنَّ وفى أوّل الكلام إنّ . وأنت لا تقول : إنّ أخاك إنَّه ذاهب ، فجاز ذلك لأنّ

---

(١) أى لام التعليل .

(٢) الآية ١٧ من سورة الحج .

(٣) ش : « الذى » ، صوابه فى ط .

(٤) تكملة بمثلها يلتئم الكلام . وفى موضعها بياض فى ط دون ش .

المعنى كالجزاء ، أى من كان مؤمنا أو على شئ من هذه الأديان ففصْلُ بينِهِم [١] وحسابُهم على الله . وربَّما قالت العرب : إنّ أخاك إنّ الدَّين عليه لكثير ، فيجعلون إنّ فى خبره إذا كان إنمّا يرفع باسم مضاف إلى ذكره [٢] ، كقول الشاعر :

إنّ الخليفـة إنّ الله سَربلَــه سِربالَ مُلكٍ به تُرجَى الخواتيم [٣]

ومن قال هذا لم يقل إنّك إنّك قائم ، ولا إنّ أباك إنّه قائم لأنّ الاسمين قد اختلفا ، فحسُن رفض الأوّل ، وجُعِل الثانى كأنّه هو المبتدأ.فحسُنَ للاختلاف ، وقبُح للاتفاق . انتهى كلامه .

ومثل البيت فى الوجهين آية سورة الكهف ، وهى قوله تعالى ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات إنّا لا نُضِيعُ أجْرَ مَنْ أحسَنَ عَملاً . أولئك لهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ [٤] ﴾ ، فيجوز أن يكون إنّا لا نضيع إلخ خبر إنّ الذين ، والرابط العموم . ويجوز أن يكون الخبر جملة أولئك لهم جنات عَدْن ، ويكون [٥] جملة إنّا لا نُضِيع إلخ معترضة بين اسم إنّ وخبرها .

قال الزجاج : يجوز أن يكون الخبر إنّا لا نضيع أجْرَ من أحسن عملا ، ومعناه إنّا لا نضيع أجرهم ، لأنَّ ذِكر مَنْ كذكر الذى ، وذِكْر حُسن العمل كذِكر الإيمان ، فيكون كقولك : إنَّ الذين يعملون الصالحات إنّ الله لا يضيع

---

(١) ففصل ، بفاءين فى النسختين ومعانى الفراء ٢/٢١٨ . والفصل : القضاء والحكم ، والتفرقة بين المتخالفين .

(٢) أى الضمير العائد عليه .

(٣) ش : « تزجى » بالزاى .

(٤) الآيتان ٣٠ ، ٣١ من سورة الكهف . والكلام من هنا إلى « عدن » التالية ساقط من ش .

(٥) ش : « وتكون » بالتاء .

أجْرَ من آمن ، كقولك : إنّ الله لا يضيع أجره . ويجوز أن يكون خبر إنّ أولئك لهم جنات عدن ، ويكون قوله إنّا لا نضيع أجْرَ من أحسن عملا قد فُصِل به بين الاسم وخبره ، لأنَّ فيه ذِكرَ ما فى الأوّل ، لأنَّ مَنْ أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا . انتهى .

وزاد الفراء وجهين آخرين : أحدُهما أن يكون جملة « إنّا لا نضيع » بدلاً من إنّ الذين . والثانى : أن يكون الذين متضمِّنا لمعنى الشرط لعمومه ، وجملة إنّا لا نضيع الجزاءَ ، بتقدير الفاء . وهما ضعيفان لا يَجُوزان .

وهذه عبارته : خبر الذين آمنوا فى قوله إنّا لا نضيع ، وهو مثل قول الشاعر :

* إنَّ الخليفة إنّ الله سَرْبلَه *

كأنّه [1] فى المعنى : إنّا لا نضيع أجْرَ من عمل صالحا ، فتُرك الكلام الأوّل واعتُمِد على الثانى بنية التكرير ، كما قال : ﴿ يسئلونك عن الشهر الحَرامِ [2] ﴾ ، ثم قال : ﴿ قتالٍ فيه ﴾ يريد عن قتال فيه بالتكرير . ويكون أنْ تجعل إنّ الذين آمنوا فى مذهب جزاء ، كقولك : إنّ مَن عمل صالحاً فإنّا لا نضيعُ أجره . فتضمر الفاء [3] ، وإلقاؤها جائز [4] . وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وإن شئتَ جعلت الخبر أولئك لهم جنّات عدن . هذا كلامه . ٣٤٦

والبيت الشاهد من قصيدةٍ لجرير . لكنَّ الذى رأيتُه فى ديوانه بنسخة صحيحة قديمة : صاحب الشاهد

(١) فى النسختين : « كأن » ، وأثبت ما فى معانى الفراء ٢ : ١٤٠ .
(٢) الآية ٢١٧ من سورة البقرة .
(٣) فى معانى الفراء : « فتضمر فتضمن الفاء » .
(٤) وإلقاؤها ، أى حذفها . وفى النسختين : « وإلغاؤها » تحريف ، صوابه من معانى الفراء .

* يكفى الخليفةَ أنَّ الله سربله [(١)] *

وعليه لا شاهد فيه .

وهذه القصيدة مَدح بها عبدَ العزيز بن الوليد بن عبد الملك بن مَرْوان.

ومطلعها :

أبيات الشاهد

(أواصلٌ أنتَ سَلمى بعد مَعْتَبةٍ أم صارمُ الحبل من سَلْمىَ فمَصرومُ
قد كنتُ أضمِرُ حاجاتٍ وأكتُمها حتَّى متى طولُ هذا الوجدِ مكتومُ)

وبعد البيت الشاهد :

(مَن يُعطه اللهُ منكم يُعْطَ نافلةً ويُحرَمِ اليومَ منكم فهو محرومُ
يا آل مروانَ إنّ اللهَ فضَّلكم فضلاً قديما ، وفى المسعاة تقديمُ [(٢)]
قومٌ أبوهمُ أبو العاصى وأورثَهم جُرثومةً لا تُساميها الجَراثيمُ
قد فاز بالغاية العُليا فأحرزَها سامٍ خَروجٌ إذا اصطَكَّ الأضاميمُ [(٣)]
ما الملكُ منتقلٌ عنكم إلى أحدٍ ولا بِناؤُكُمُ العادىُّ مهدومُ [(٤)]

وهذا آخر القصيدة . وجرير تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الرابع من أول الكتاب [(٥)] .

* * *

(١) هى أيضا رواية الديوان طبع الصاوى ٥٢٧ .
(٢) المسعاة : واحدة المساعى ، وهى المكرمات . وفى الديوان : « تقويم » بالواو .
(٣) فى الديوان : « قد فات » ، أى سبق .
(٤) العادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . وفى الديوان : « منتقل منكم » .
(٥) الخزانة ١ : ٧٥ — ٧٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٧ (لَقَدْ عَلِمَ الحىُّ اليَمَانُونَ أَنَّنى   إذا قلتُ أَمَّا بَعْدُ إِنِّى خَطِيبُها)

على أنه رُوِىَ (أنّى الثانية) بكسر الهمزة وفتحها . أمَّا الكسر فعلى أنَّ جملة إِنِّى خطيبها خبر أننى المفتوحة الهمزة ، ولا يجوز فتحها لئلاَّ يؤدِّىَ إلى الإخبار بالحدث عن اسم العين كما تقدَّم قبله . وأمَّا فتحها فعلى أنّها تكرير للأولى على وجه التأكيد ، وخطيبها خبر أنّ الأولى ولا خبر لأنَّ الثانية ، لأنَّها جاءت مؤكّدة للأولى ، فهى عينها كما قرَّره الشارح فى الآية .

قال شارح اللباب : كان القياس إذا قلتُ أمَّا بعد خطيبُها ، بدون أنّى ؛ ليكون خطيبها خبر أنّنى المذكورة أوّلاً ، وإنمّا أعيد أنّى لبعد العهد بأنَّنى السابق . انتهى .

والبيت لسحبانِ وائِل.ورُوى صدره :

* وقد علمت قيسُ بن عَيلان أنَّنى *

وقيس : قبيلة كبيرة ، ولهذا أَنَّثَ عِلِمتْ له . وهو فى الأَصل أبو قبائَل شتَّى . وهو لقبٌ ، واسمه الناس بالنون بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . وعَيْلان بالعين المهملة ، وليس فى العرب عَيْلان غيره . واختُلف فيه : فقيل : عيلانُ لقب مُضَر ، وقيل : عيلان عبدٌ لمضَر فحضن النّاسَ فغَلب عليه ونُسِب إليه ، وقيل : عيلان : اسم فرس لقيس يُضاف إليه ، فيقال قيس عيلان ، كقول العجاج :

* وقَيس عيلانَ ومن تقيَّسا [٢] *

---

(١) الدرة الفاخرة ١ : ٩١ وسرح العيون ٢٥ .

(٢) ديوان العجاج ٣٣ .

وقيل غير ذلك . و (خطيب القوم) هو المتكلّم عنهم ، لكونه أفصحَ منهم وأبلغَ ، مأخوذ من الخطاب ، وهو القول الذى يَفهمُه المخاطب . ويقال لمن يَعِظُ القوم : خطيبٌ أيضا . يقال خطَبَهم وخطبَ عليهم ، من باب قتل ، خُطبة بالضم ، وهى فُعْلة بمعنى مفعولة ، نحو نسخةٍ بمعنى منسوخة ، وغُرفةٍ من ماءٍ بمعنى مغروفة . ومصدرُه الخَطابة ، وهو قياسٌ مركّب من مقدَّمات مقبولةٍ أو مظنونة ، من شخصٍ معتقدٍ فيه ، والغرضُ منها ترغيبُ الناس فيما ينفعهُم معاشا ومَعاداً .

٣٤٧

و (أننى) الأولى فى تأويل مفعولٍ سادٍّ مسَدَّ مفعولى عَلِم ، وإذا ظرفٌ لعلم .

و (أمَّا بَعْدُ) مقول القول ، وهى كلمةٌ يبتدىء بها كثيرٌ من الخطباء والكُتاب كلامهم ، كأنَّهم يستدعون بها الإصغاء لما يقولونه ، ولذلك فخر بها سحبانُ فى هذا البيت . وكثيراً ما تأتى عَقِب الحمدُ لله ، وتسمَّى حينئذ فصلَ الخطاب ، كأنَّها فصلت بين الكلام الأوَّل والثانى . وتأتى عقب البسملة ، وتأتى ابتداءً كأنَّها عقِبَ الفِكر والرَّويَّة . واختُلف فى أوّل من قالها . قال الزُّبير بن بكّار : أوّل من قال : « أمّا بعد » كعبُ بن لؤى ، كان يجمعُهم يومَ الجمعة ويخطُبهم ، وكان من قوله : « أمَّا بعد فعظِّموا حَرَمكم وزيِّنوهُ وكرِّموه ، فإنّه يخرج منه نبىٌّ كريم » ، وقيل أوّل من قالها قُسُّ بن ساعدةَ الإيادىّ ، كان يجمع بَنيهِ ويقول لهم : « أما بعدُ فإنّ المِعىَ تكفيه البقلة ، وتُرويه المَذْقة [1] » إلى آخر

(١) المذقة : الطائفة من اللبن الممذوق ، أى الممزوج بالماء . وفى اللسان أن المِعَى أكثر الكلام على تذكيره ، وربما ذهبوا به إلى التأنيث ، كأنه واحد دل على الجمع كما فى قوله تعالى : « ثم نخرجكم طفلا » ، أى أطفالا . وأنشد فى ذلك :

كأن نسوع رحلى حين ضمت ... حوالب غُرَّزاً ومِعىً جياعا

كلامه . وقيل أوّل من قالها داود النبى عليه السلام ، قال أبو موسى الأشعريُّ والشَّعْبّى : أمَّا بعد هى فصل الخطاب فى قوله تعالى : ﴿ وآتيناهُ الحِكمةَ وفَصْلَ الخِطاب [١] ﴾ . والصحيح أنّه داود ، وإنمّا قُسّ بن ساعدة أول من خَطب بها فى العربِ وكَتَبها أوّلَ الكتب على ما ذُكر . وقيل فصل الخطاب فى الآية : البينةُ على المدَّعى واليمينُ على من أنكر ، وقيل : الفَصْل بين الحقِّ والباطل ، وقيل : الفِقه فى القضاء .

سحبان وائل

وسحبان أورده ابن حجر (فى الإصابة ، فى قسم المخضرمينَ الذين أسلموا فى زمن النبى ﷺ ولم يجتمعوا به [٢]). وهو سحبان بن زُفَر بن إياس الوائلى وائِل باهلة . خطيبٌ مفصِحٌ يضرب به المثلُ فى البيان . أدرك الجاهليَّة وأسلم ، ومات سنة أربع وخمسين .

وحكى الأصمعىّ قال : كان إذا خطب يَسِيل عرَقاً ، ولا يُعيد كلمةً ولا يتوقَّف ولا يقعد حتّى يفرُغ .

وقدم على معاوية وفدٌ من خراسان فيهم سعيد بن عثمان ، فطلبَ سحبانَ فأُتِىَ به ، فقال : تكلَّمْ . فقال : انظُروا لى عصاً تقوِّم من أوَدِى . فقالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطبُ ربَّه وعصاه فى يَدِه . فضحِك معاوية وقال : هاتوا عَصاهُ [٣] ، فأخذها ثم قام فتكلَّم من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ، ما تنحنَح ولا سَعَلَ ولا توقَّف ، ولا ابتدأ فى معنىً فخرج منه وقد بقى عليه شئ . فما زالت تلك حالتَه حتى أشار معاوية بيده [٤] ، فأشار إليه سحبان أن لا تقطع علىَّ كَلامى .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة صٓ .

(٢) الإصابة ٣٦٥٨ . وهى ترجمة موجزة جدا فى سطور أربعة .

(٣) فى زهر الآداب ٨٨٤ حيث يوجد الخبر : « فجاءوه بعصا فلم يرضها ، فقال : جيئونى بعصاى » .

(٤) فى زهر الآداب : « بيده ، أن اسكت » .

فقال معاوية : الصَّلاة . فقال : هى أمامَكَ ، ونحنُ فى صلاةٍ وتحميد ، ووَعْدٍ ووعيد .
فقال معاوية : أنت أخطبُ العرب . فقال سحبان : والعجم والإنس والجن .

وممَّا روى من خطبه البليغة : إنَّ الدُّنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار . أيُّها الناس فخذُوا من دار مَمَرِّكُم لدارِ مَقَرِّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عِندَ من لا تَخفَى عليه أسراركم ، وأَخرِجوا من الدُّنيا قلوبَكم قبل أنْ تخرج منها أبدانكم ، ففِيها حَيِيتُم ، ولغيرها خُلقْتم . إنَّ الرجل إذا هلك قال الناسُ : ما تَرك ؟ وقالت الملائكة : ما قدَّم ؟

قال حمزة الأصبهانى (فى أمثاله) فى قولهم : « هو أبلغ من سحبانِ وائل » : كان من خُطباء العرب وبلغائها . وفى نفْسِه يقول :

* لقد علم الحىُّ اليمانون أنَّنى * ... البيت .

وهو الذى يقول لطَلحةِ الطَّلَحات الخُزاعىّ :

يا طلْحُ أكرمَ مَنْ مشَى حسباً وأعطاهمْ لتالِدْ (١)
مِنك العطاءُ فأعِطنى وعلىّ مدحُك فى المَشَاهدْ

فقال طلحة : احتكمْ . فقال : بِرْذونُك الوَرد ، وقصرٌ بزرَنج ، وغلامُك الخبّاز ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أُفٍّ ، لمْ تسألْنى على قدرى وإنمّا سألتَ على قَدْرِكَ وقدْرِ باهلة ؛ ولو سألتنى كلَّ قصرٍ وعبدٍ ودابّةٍ لأعطيتك . ثمَّ أمر له بما سأله ولم يزده شيئاً ، وقال : تاللّه ما رأيت مسألةَ محكَّمٍ ألأمَ منها .

وزرَنج : مدينةٌ بسجستان ، مات بها طلحة الطلحات .

* * *

---

(١) البيتان والخبر فى فصل المقال ٤٩٧ وشرح الشريشى للمقامات ١ : ٢٥٣ . وفى فصل المقال : « وأعطاه » .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد الثمانمائة [١] :

٨٦٨ (تاللهِ رَبِّكَ إنْ قتلتَ لمسلِماً وجبَتْ عليكَ عُقوبةُ المتعمِّدِ)

على أنَّ الكوفيِّين استدلُّوا به على جواز دخول إنْ المخفَّفة على غير الأفعال الناسخة .

وهذا عند البصريِّين شاذٌّ ؛ لأنَّ مذهبهَم إذا خفّفت إنْ وأُهملت لا يليها غالباً إلا فعلٌ ناسخ ، كما قال الشارح . ولم يقيِّدْهُ بالماضى كما قيَّدهُ ابن مالك ، لأنَّ شراحه قالوا : ليس بصحيح ، لقوله تعالى : ﴿ وإنْ نظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبين [٢] ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وإنْ يكَادُ الذين كَفَرُوا لَيُزْلِقُونك بأبصارهم [٣] ﴾ . وأمّا الكوفيُّون غير الكسائى فلا يثبتون إنْ مخفَّفة لا عاملة ولا مهملة ، وإنّما هى عندهم إن النافية واللام بمعنى إلاّ . وهى عند الكسائى مخففةٌ إن دخلتْ على اسم ، ونافيةٌ إن دخلت على فعل . فقوله : « إنْ قتلت لمسلما » عند جميع الكوفيين إنْ فيه نافية واللام بمعنى إلاّ . وعند البصريِّين مخفَّفة مهملة ، واللام فارقة ، ومسلما مفعول قتلتَ ، وجملة إنْ قتلتَ لمسلما جوابُ القسم ، وربِّك صفة لله ، وجملة وجبَتْ إلخ استئناف بَيَانىٌّ ، كأنّه قال : ما شأنى فى قتل مسلم . وتنوين مسلم للتعظيم والتهويل . وعقوبةُ المتعمد فاعل وجبَتْ ، أى إنَّك تَعاقَبُ بما يعاقَبُ به من تعمَّد قتلَ مسلم .

وقال العينى : جملة وجبت عليك جوابُ شرطٍ محذوف ، والتقدير : إنّك

---

(١) المحتسب ٢ : ٢٥٥ وابن يعيش ٨ : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٦ والمقرب ١ : ١١٢ والإنصاف ٦٤١ والمغنى ٢٤ والعينى ٢ : ٤٧٨ والتصريح ١ : ٢٣١ والهمع ١ : ١٤٢ والأشمونى ١ : ٢٩ .

(٢) الآية ١٨٦ من الشعراء .

(٣) الآية ٥١ من سورة القلم .

إنْ قتلتَ مسلماً وجبت عليك عقوبةُ المتعمِّد . هذا كلامه مع أنّه لم يذكر ما موقع جملة إنْ قتلت ، من الإعراب . ورواية صدر البيت عنده :

* شَلَّتْ يمينُكَ إنْ قتلت *

وعليه فالجملة استئنافٌ لبيان سبب الدعاء عليه .

قال ثعلب (فى الفصيح) فى باب فعلت بكسر العين : وقد شلَّت يده تَشَلّ ، ولا تَشللْ يدُك ، أى بفتح العين فى المضارع . قال شارحه أبو سهل الهَرَوىّ : شَلّت : يبِست ، وقيل استرخت .

وروى أيضا : « هَبِلتْك أُمُّك إنْ قتلتَ » و « ثكلتك أمُّك » ، وهما بمعنىً ، ومن باب فرح . يقال هَبِلتِه أمُّه أى ثكلته ، ومصدرهما الهَبَل والثَّكَل بفتحتين ، واسم الثانى الثُّكل كقُفل ، وهو أن تفقد المرأةُ ولدها . و (وجبَتْ) معناه حَقّت وثبتت . وروى أيضا : « حلّت » بدل « وجبت » ، وهو من الحُلول بمعنى النزول . وروى أيضا : « إنْ قتلت لفارساً » .

قال أبو على (فى البغداديات) : إن المخفّفة قد دخلت على الفعل فى نحو : ﴿ إنْ كاد لَيُضِلُّنَا [1]﴾ ، و ﴿ إن كانوا ليَقُولون [2] ﴾ . فيقولُ القائل : كيف دخلت على الفعل مخفّفة وامتنعت من الدخول عليه مثقّلة ؟ فالجواب أنَّها امتنعت من ذلك مثقّلة لشبهها بالفعل فى إحداثها الرفعَ والنصب كما يحدثهما الفعل ، فمن [3] حيث لم يدخل الفعلُ على الفعل لم تدخل هى أيضاً عليه . وأصلُها أنَّها حرف تأكيدٍ وإن كان لها هذا الشبه الذى ذكرنا بالفعل . وإذا خفّفت زال شَبه

٣٤٩

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ١٦٧ من سورة الصافات .

(٣) ش : « من » بطرح الفاء .

الفعل عنها فلم تمتنع من الدخول على الفعل ، إذْ كانت الجمل الخبرية على ضربين : مبتدأ وَ خبر ، وفعل وفاعل . وقد تحتاج المركَّبة من الفعل والفاعل من التأكيد إلى مثل ما تحتاج إليه المركبة من المبتدأ والخبر ، فدخلت المخفَّفة على الفعل مؤكِّدة ، إذْ كان أصلها التأكيد ، وزال المعنى الذى له كانَ امتنع من الدخول على الفعل وهو شبهها به [١] . ولزوال شَبَهه بالفعل اختير فى الاسم الواقع بعده الرفع ، وجاء أكثر القراءة على ذلك . من حيث [٢] اختير الرفع فى الاسم الواقع بعدها جاز دخولها على الفعل . فأمّا اللام التى تصحبها مخفّفة هى [٣] للفرق بينها وبين إن التى تجىء نافية بمعنى ما ، وليست هذه اللام بالتى تدخل على خبر إنّ المشددة التى هى للابتداء ، لأنَّ تلك كان حكمها أن تدخلَ على إنّ ، فأُخِّرت إلى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان ، إذ كان الخبر هو المبتدأ فى المعنى وما هو واقع موقعه وراجعٌ إليه . فهى لا تدخل إلاّ على المبتدأ أو على خبر إنّ إذْ كان إيّاه فى المعنى أو متعلِّقا به . ولا تدخل من الفعل [٤] إلاّ على ما كان [٥] مضارعاً واقعا فى خبر إنّ وكان فعلاً للحال . فإذا لم تدخل إلاّ على ما ذكرنا لم يجز أن تكون هذه اللام التى تصحب إن الخفيفة إيّاها ، إذْ لا جائز دخولُ لام الابتداء على الفعل الماضى . وقد وقع بعد إنْ هذه الفعلُ نحو : ﴿ إنْ كادُوا [٦] ﴾ و ﴿ إنْ وجَدْنا أكثَرهُم لفاسقين [٧] ﴾ وقد جاوزت الأفعالَ الواقعة بعد إنْ فعملت فيما بعد اللام . ومعلومٌ أنّ لام

(١) يعنى أن تخفيفها أذهب عنها شبه الفعل الذى كان يمنع من دخولها على الأفعال .

(٢) الوجه : « ومن حيث » .

(٣) الوجه : « فهى » .

(٤) يقال دخله ودخل عليه .

(٥) فى النسختين : « إلا ما كان » .

(٦) من الآية ٧٣ ، ٧٦ من سورة الإسراء .

(٧) الآية ١٠٢ من سورة الأعراف .

الابتداء التى تدخل فى خبر إنّ الشديدة لا يعمل الفعل الذى قبلها فيما بعدها ، وذلك نحو : ﴿ وإنْ كنّا عن عِبادتكم لغافلين (١) ﴾ وقول القائل :

هبلتك أُمُّكَ إنْ قتلتَ لفارساً حَلّت عليك عقوبةُ المتعمِّدِ

فلمَّا عمل الفعلُ فيما بعد اللامُ عُلِم أنَّها ليست التى تدخل فى خبر إنّ الشديدة . وليست أيضاً التى تدخل على الفعل المستقبل والماضى للقسمَ نحو : ليفعلنَّ ولفَعلوا . ولو كانت تلك للزم الفعلَ الذى تدخل عليه إحدى النونين ، فلما لم تلزمْ عُلم أنّها ليست إيّاه . قال تعالى : ﴿ إن كاد ليُضِلُّنا عن آلهتنا (٢) ﴾ ، و ﴿ إن كانوا ليقولون (٣) ﴾ ، فلم تلزم النون . وحكى سيبويه أنّ هذه النون قد لا تلزم الفعل المستقبل فى القَسم فيقال : والله لتفعلُ ، وهم يريدون لتفعلَنّ . قال : إلاَّ أنَّ الأكثرَ على ألسنتهم ما أعلَمتُكَ ، من دخول إحدى النونين ، فلا ينبغى أنْ تقول : إنّ هذه اللام هى التى فى لتفعلنّ ، فتحملَ الآى التى تلوناها على الأقلّ فى الكلام . على أنّ هذه اللامَ لو كانت هى التى ذكرنا أنَّها للقسم وتدخلُ على المستقبل والماضى ، لم تدخل على الأسماء فى مثل : ﴿ وإنّ كنّا عن عبادتكم لغافلين (٤) ﴾ و « إنْ قتلتَ لفارسا » . والدليل على ذلك أنَّها لا تعلِّق الأفعال الملغاة قبل إنّ إذا وقعت فى حيِّزها كما تعلِّقها التى تدخل على الخبر . فقَدْ ثبت بما ذكرنا أنَّ هذه اللام مع إن المخففة ليست التى مع إنّ المشددة ولا التى تدخل على الفعل للقسم ، لكنّها للفصل بينها وبين إن النافية . فهذا حقيقةُ إن الخفيفة واللامِ التى معها عندى . انتهى كلامه .

وقد نقل الشارح المحقّق الجواب عن عدم تعليق اللام .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة يونس .

(٢) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ١٦٧ من الصافات .

(٤) الآية ٢٩ من سورة يونس .

ثم قال أبو على : وإذا ثبت أنّ هذه اللامَ ليست للابتداء لم يمتنع أن تنفتح أنّ إذا كانت هذه اللامُ معها ودخَلَ عليه ما يُوجب فتحَها ؛ إذ اللَّامُ المانعةُ من انفتاح أنّ غيرُها . فلو أدخَلنْا علمْتُ فى مثل : إنْ وجَدَك زيدٌ لكاذبا ، وجَبَ انفتاح أنْ ، إذْ ليسَ فى الكلام شئ يعلِّق الفعل عنها ، ولم يجب أن يكون فى أنْ ضمير القصَّة من هذه المسألة ، كما تقول : إنَّ فى مثل قوله تعالى : ﴿ أنْ سَيكون منكم [1] ﴾ ضميراً ، لأنَّ هذا الضمير إنمّا يكون فى أن المخففةِ من أنَّ المشددة . وليست هذه تلك ، إنمَّا هى التى كانت قبل دخول الفعل عليها أنْ التى لا تمتنع من الدخول على الفعل ، لزوال العلّة التى كانت تمنعُه من الدخول عليه وهى ثقيلة . فكما تقول فى حال انكسارها : لا ضمير فيها ، كذلك تقول فى حال انفتاحها بعد الفعل ، فإذا قلنا : علمت أنْ وجَدَك زيدٌ كاذبا ، لم تدخل اللام كما كانت تدخل قبل دخول علمت ، ولم يمنع الفعل من فتح أنْ شئ ، وارتفعت الحاجة إلى اللام مع دخول عَلمت . وإذا فَتحت لم تلتبس بإنْ التى معناها ما ، ولولا فتحُها إيّاها لاحتيج إلى اللام ، لأنّ علمت من المواضع التى يقع فيها النفى ، كما وقع بعد ظننت ، فى نحو قوله : ﴿ وظنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيص [2] ﴾ فلو بقيبت إن على كسرها بعد علمت للزمتها اللام ، وكان ذلك واجباً لتخليصه من النفى . فإذا لم تُبقِ على الكسرة فلا ضرورة إلى اللام . فإن شئتَ قلت إذا أدخلت علمتُ عليها ، حذفتُ اللام لزوال المعنى الذى كانت اللام اجتُلبَت له بدون علمت . وإن شئت قلتَ : أتركُها ولا أُحذفها فتكون كالأشياء التى تُذكَر تأكيداً من غير ضرورة إليه . وذلك كثيرٌ فى الكلام . انتهى كلامُه ، ولم أره لغيره ، وهو غريب يحتاج فى إثباته إلى السماع .

---

(١) الآية ٢٠ من سورة المزّمّل .

(٢) الآية ٤٨ من فصلت .

صاحب الشاهد

هذا والبيتُ لعاتكةَ بنت زيد بن عَمْرو بن نُفَيلٍ ، من أبياتٍ رثت بها زوجَها الزُّبيرَ بنَ العوَّام ، وقد قتله عمرو بن جُرموزٍ المجاشعى غدراً ، بعد انصرافه من وقْعة الجمل . وذلك أنَّ الزبير كان خرجَ مع عائشة رضى الله عنهما فى وقعة الجمل ، ولمَّا حَمِيَ القتالُ ناداه عليٌّ رضى الله عنه فقال له : أنشُدُك اللهَ يا زبير ، أَما تذكر يومَ قال لك رسول الله ﷺ : « يا زُبيرُ أتحبُّ عليًّا » ؟ قلت : وما يمنعنى من حُبِّى وهو ابن خالى ؟ فقال : « ستُقاتِلُه وأنت ظالمٌ له » . فقال : اللهمَّ بلَى ، قد كان ذلك ولكنِّى قد أُنسِيتُ ذلك . فانصرَفَ الزُّبير من الحرب آخذاً طريق مكّة فنزل على قومٍ من تميمٍ فأضافه ابنُ جرموز ، وخرجَ معه إلى وادى السِّباع وهو على أربعة فراسخ من البصرة ، وأراه أنّه يريد مسايرته ، فقتله غِيلة ، وذلك فى سنة ست وثلاثين من الهجرة . ورثتْه زوجتُه بهذه الأبيات :

أبيات الشاهد

(غدر ابنُ جرموزٍ بفارس بُهْمةٍ ... يومَ اللقاء وكان غير معرِّدِ [1]

يا عَمْرُو لو نبَّهتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشَ الجَنانِ ولا اليدِ

٣٥١

شَلّتَ يمينُك إنْ قتلْتَ لمسلماً ... حَلّتْ عليك عُقوبةُ المتعمِّدِ

إنّ الزُّبيــرَ لذُو بلاءٍ صادقٍ ... سَمْحٌ سجيَّتهُ كريمُ المَشْهدِ

كم غمرةٍ قد خاضَها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يا ابنَ فَقْعِ القَرددِ

فاذهبْ فما ظفِرَتْ يداك بمثلِه ... فيما مضَى ممَّن يرُوح ويَغتدِى)

البُهْمة ، بضم الموحدة ، معناها هنا الجيش . يقال فلانٌ فارس بُهمةٍ وليثُ غابة . ويقال أيضا بُهمةٌ للفارس الذى لا يُدرَى مِن أين يُؤتَى ، من شدَّة بأسِه ، فكأنَّ الأمرَ فيه مُبهَم . واللِّقاء : الحرب . وعرَّد الرجلُ تعريداً بمهملات ، إذا فرَّ فى الحرب .

(١) العقد ٤ : ٣٢٣ والأغانى ١٦ : ١٢٧ .

والغَمْرة بفتح المعجمة : الشِّدّة . ولم يَثنِه ، أى لم يصرفه . وطِراد : مصدر طارده ، إذا أجرى الخيل فى الحرب أو فى السِّباق . والفَقْع بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف : نوعٌ من الكمأة . قال شارح إصلاح المنطق : الفَقْع : الكمأة الأبيض والأحمر . يقولون : هذا فقعُ قرقرةٍ ، للذليل . والقَرقَرة : الأرض الملساء المستوِيَة ، وقيل القاعُ من الأرض . يريدون أنّه بمنزلة الكمء النابت فى السَّهل ، فكلَّما وطئته القدمُ شدَخَتْه . انتهى . والقردد أيضا : المكان المستوِى .

قال الزبير بن بكّار (فى أنساب قريش [1]) : تزوّجَ عبد الله بن أبى بكر الصديق عاتكة بنتَ زيد بن عمرو بن نُفَيل ، وكانت حسناء جَميلة ذاتَ خُلُق بارع ، فشغَلتْه عن مَغَازيهِ فأمَره أبوه بطلاقها ، فقال :

يقولون طلِّقْها وخيِّمْ مكانَها مُقيماً عليك الهمّ أحلام نائمِ [2]
وإنّ فراقى أهلَ بيتٍ جمعتهُم على كَبْرةٍ منِّى لإحدى العظائم [3]

ثم طلّقها ، فمرَّ به أبوه وهو يقول :

فلم أرَ مثلى طَلَّقَ اليومَ مِثلها ولا مِثلَها فى غير جُرمٍ تُطَلَّقُ [4]

---

(١) الخبر أيضا فى كتاب المردفات من قريش للمدائنى بنوادر المخطوطات ١ : ٦١ - ٦٤ ونسب قريش للمصعب الزبيرى ٢٧٦ - ٢٧٧ والأغانى ١٦ : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) البيتان انفرد بهما نسب قريش . والذى فى نسب قريش :

يقولون طلِّقْها وأصبح مكانها مقيما تمنِّى النفسَ أحلامَ نائم

(٣) الكبرة ، بالفتح : الكبرَ وعلو السِّنّ . وفى النسختين : « على كثرة » تحريف صوابه ما أثبت ، يؤيده ما فى نسب قريش : « على كبر » . وفى حواشى ش : « كذا بخط المؤلف ، والصواب على كبر أو كبرة بالباء الموحدة لا المثلثة . وللبيتين ثالث فى نسب قريش ، وهو :

أرانى وأهلى كالعَجول تروّحت إلى بوّها قبل العشار الروائم

(٤) فى نسب قريش : « طلق العام مثلها » . وفى الأغانى : « فى غير شىء تطلق » .

لها خُلقٌ جَزْلٌ ورأىٌ ومَنصبٌ وخَلق سوِىٌّ فى الحَياةِ ومَصدَقُ (١)

فرقَّ له أبوه وأمره فراجعها . ثم شهد مع النبى ﷺ غزوةَ الطائِف ، فأصابه سهمٌ فمات منه بعدُ بالمدينة ، فقالت عاتكةُ تبكيه :

رُزِئتُ بخير الناسِ بعد نبيِّهمْ وبعد أبى بكرٍ وما كانَ قَصَّرا
فآليتُ لاتنفك عينى حزينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِىَ أغبرا (٢)
فلِلَّهِ عينَا مَنْ رأى مثلَه فتىً أكَرَّ وأحمَى فى الهِيَاج وأصبرَا
إذا شرعَتْ فيه الأسنَّةُ خاضَها إلى الموت حتّى يترك الرمحَ أحمرا

ثم تزوَّجها عمرُ بن الخطاب فأولَم عليها ، فكان فيمن دعا علىٌّ بن أبى طالب ، فقال له علىٌّ : دعنى أُكلّم عاتكة . فقال : كلِّمها يا أبا الحسن . فأخذ علىٌّ بجانب الخِدْر ثم قال : يا عُدَيَّةَ نَفسِها :

فآليتُ لاتنفكُّ عينى حزينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدىَ أغبرا (٣) !

فبكت ، فقال عمر : ما دعاكَ إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كلُّ النساء يفعلُ هذا (٤) . ثم قُتل عنها عمر فقالت تبكيه :

عَينُ جُودِى بعَبْرةٍ ونحَيبِ لا تَملِّى على الجوادِ النَّجِيب (٥)

(١) فى كتاب المردفات : « لها خلق سمح » . وفى الأغانى : « ورأى ومنطق » . وفى الأغانى أيضا : « وخلق مصون فى حياء » . والمصدق : الصدق . وفى النسختين : « فى حياة ومصدق » تحريف ، صوابه فى الأغانى .

(٢) وكذا فى نسب قريش حيث أنشد هذا البيت فريدا . وفى المردفات والأغانى : « سخينة عليك » فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) وكذا فى الأغانى . وفى المردفات : « فى الجهاد » .

(٤) المردفات : « ما أردت إلا أن تفسد علينا أهلنا » ، وفى الأغانى : « ما أردت إلى هذا ؟ فقال : وما أرادتْ إلى أن تقولَ ما لا تفعل » .

(٥) فى المردفات والأغانى : « على الإمام النجيب » .

فجَّعَتْنِى المنونُ بالفارسِ المُعـ ـلِمِ يومَ الهِيـاجِ والتَّثـويبِ (١)
قل لأهل الضَّرَّاءِ والبأس مُوتوا مَذْ سقته المنونُ كأسَ شَعوبِ(٢)

ثم تزوَّجها الزُّبير بن العوام فكانت تخرج إلى المسجد ليلاً وكان يكره خروجها ، فخرجَتْ ليلةً إلى المسجد وخرج الزّبير فسبَقَها إلى مكانٍ مظلم من طريقها ، فلما مرَّت به وضع يده على بَعض جسدها ، فرجَعَتْ ثم لم تخرجْ بعدها ، فقال لها الزُّبير : مالك لا تخرجين إلى المسجد كما كنت تفعلين ؟ فقالتْ : فسَدَ الناس . فقال : أنا فعلتُ ذلكِ . فقالت : أليس يقدِرُ غيرُك أنْ يفعلَ مثله ؟ فلم تخرجْ حتَّى قُتِل عنها الزّبير ، فقال ترثيه :

* غدر ابنُ جرمُوزٍ بفارس بُهْمةٍ *

الأبيات السابقة . وخطبها عليٌّ بن أبى طالب بعد قَتل الزُّبير فأرسلتْ إليه تقول : إنّى لَأَضنُّ بابنِ عمٍّ رسول الله ﷺ عن القتل . انتهى كلام الزبير بن بكار .

وقد تقدم ترجمة والدها زيد فى الشاهد الثامن والسبعين بعد الأربعمائة (٣) .

* * *

وأنشد بعده :

(فلو أنْكِ فى يومِ الرَّخاءِ سألتِنى طلاقَكِ لم أبخَلْ وأنتِ صديقُ)

---

(١) التثويب : تكرار الدعاء ، يقال ثوَّب الداعى تثويبا ، إذا عاد مرة بعد أخرى ، أو هو من فعل المستصرخ إذا جاء يلوِّح بثوبه ليَرى ويُشهَر . ومنه قول زهير بن مسعود الضبى :

فخير نحن عند الناس منكم إذا الداعى المثوِّب قال يا لا

وفى المردفات : « والتذبيب » ، وهو إكثار الذب والدفع . وفى الأغانى : « والتلبيب » ، وهو أن يجعل كنانته وقوسه فى عنقه ثم يقبض على تلبيب نفسه .

(٢) فى المردفات والأغانى : « قد سقته » .

(٣) الخزانة ٦ : ٤١٦ .

على أنَّ أنْ المخفّفة المفتوحة لا تعمل فى الضمير إلاّ فى الشعر .
وتقدَّم عليه الكلام فى الشاهد الثامن بعد الأربعمائة [(١)] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد الثمانمائة [(٢)] :

٨٦٩ (بأنْكَ ربيعٌ وغَيْثٌ مَرِيعٌ   وأنْكَ هناك تكون الثِّمالا)

لما تقدَّم قبله .

ومثله (فى المغنى) لابن هشام ، قال : وشرط اسم أن المخففة أنّ يكون ضميرًا محذوفا ، وربَّما ثبتَ كقوله :

فلو أنكِ فى يوم الرَّخاء سألِتِنى   .... البيت [(٣)]

وهو مختصٌّ بالضرورة على الأصحّ . وشرط خبرها أنْ يكون جملةً ، ولا يجوز إفرادُه إلا إذا ذُكر الاسمُ فيجوز الأمران . وقد اجتمعا فى قوله :

بأنْك ربيعٌ وغيث مَريعٌ   .... البيت . انتهى .

وتقدَّم فى شرح البيت السابق من باب المضمر أنّ اسمها عند التخفيف يجب أن يكون ضمير شأن محذوف . ونقلنا هناك نصَّ سيبويه .

ففى هذا البيت شذوذٌ من وجهٍ آخر ، وهو كون اسمها غيرَ ضمير شأن . وجوَّزه بعضهم . وإلى الأوَّل يشير كلامُ ابن هشام حيث قال : وربَّما ثبتَ أى اسمها . وإلى الثانى ذهب ابن مالك وأبو حيان . قال الأول : إذا أمكنَ جعلُ

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٥ — ٤٢٩ .

(٢) زهر الآداب ٧٩٥ وحماسة ابن الشجرى ٧٣ والإنصاف ٢٠٧ وابن يعيش ٨ : ٧٥ والمغنى ٣١ والتصريح ١ : ٢٣٢ والأشمونى ١ : ١٩١ .

(٣) مضى فى الصفحة السابقة . والكلام بعده إلى آخر هذه الفقرة ساقط من ش .

الضمير المحذوف ضميرَ حاضرٍ أو غائب غير الشأن فهو أولى . وقال الثانى : لا يلزم أن يكون ضمير الشأن كما زعم بعضُ أصحابنا ، بل إذا أمكن تقديره بغيره قُدِّر . قال سيبويه فى : ﴿ وَنادَيْناه أَنْ يا ابراهيمُ قد صَدَّقت [(١)] ﴾ ، بأنْك قد صَدَّقت . وفى قولهم : أرسِلْ إليه أن ما أنت وذا ؟ أى بأنْك ما أنت وذا . انتهى .

هذا . وقد رَوَى البيتَ أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) ، وابراهيم الحُصْرى (فى زهر الآداب) ، والشريف (فى حماسته) هكذا :

بأنَّك كنتَ الرَّبيعَ المغِيثَ ... لمن يَعترِيكَ وكُنتَ الثِّمالا

وحينئذ لا شاهد فيه .

والبيت من قصيدةٍ عدّتها عشرون بيتا ، أوردها صاحبُ زهر الآداب . ٣٥٣

وأورد الشريف منها (فى حماسته) ثمانية أبيات ، وأبو حنيفة ثلاثة أبيات ، وقالوا : هى لجَنُوبَ رثتْ بها أخاها عمراً ذا الكلب ، وهى : صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

سألتَ بعَمْرٍو أخى صحبَهُ ... فأفظَعَنى حين ردُّوا السُّؤالا

فقالوا : أُتِيحَ له نائماً ... أعَزُّ السِّباعِ عليه أحالا [(٢)]

أُتيح له نَمِرَا أجبُلٍ ... فنالا لَعمرُكَ منه مَنالا [(٣)]

فأقسمتُ يا عمرُو لو نبَّهاكَ ... إذَنْ نبَّها منك أمراً عُضالا [(٤)]

إذن نبَّها ليثَ عِرِّيسةٍ ... مُفِيدًا مُفيتًا نُفوساً ومالا

إذن نبَّها غيرَ رعديدةٍ ... ولا طائشاً دَهِشاً حينَ صالا

(١) الآيتان ١٠٤ ، ١٠٥ من سورة الصافات .

(٢) فى زهر الآداب : « أغر السلاح عليه أجالا » .

(٣) فى حماسة ابن الشجرى وزهر الآداب : « لعمرك منه ونالا » .

(٤) فى زهر الآداب : « داء عضالا » .

هِزَبْــراً فَرُوساً لأعدائــــه هَصُوراً إذا لَقِىَ القِرْنَ صالا (١)
هما معْ تصرُّفِ رَيْبِ المَنونِ من الأرض رُكناً ثَبيتاً أمالا (٢)
هما يومَ حُمَّ له يومُــــه وقال أخو فَهْمَ بُطلاً وفالا
وقالــوا قتلْنــاهُ فى غارةٍ بآيةِ أنْ قد ورثنا النِّبــالا
فهلاَّ إذَنْ قَبلَ ريبِ المنون فقد كان رَجْلاً وكنتم رجالا (٣)
وقد علمتْ فَهْمُ عند اللقّا بأنَّهــمُ لك كانــوا نِفــالا
كأنّهـــمُ لم يَحسُّوا به فيُخْلوا النِّساءَ له والحِجالا
ولم يَنزلوا بمُحُولِ السِّنينَ به فيكونوا عليــه عِيــالا
وقد علم الضّيف والمُرمِلون إذا اغبَّر أُفقٌ وهبَّت شَمالا
بأنَّك كنتَ الربيعَ المغيثَ لمن يعَتريك وكنتَ الثمالا (٤)
وخَــرقٍ تجاوزتَ مجهولَــهُ بوجناءَ حَرْفٍ تَشكَّى الكَلالا
فكــنتَ النهارَ به شمسَه وكنت دُجَى اللَّيل فيهِ هلالا
وحيٍّ أبحتَ وحيٍّ منحتَ غداةَ اللقاء مَنايا عِجالا (٥)
وكم من قبيلٍ وإن لم تكن أردتَهُــمُ منك باتـوا وِجالا

نسبة أخرى شاهد

قال السكرى فى شرح هذه القصيدة قال أبو عمرو : قالت هذه القصيدة عَمرةُ بنت العَجلان ، أخت عمرٍو ذى الكلب بن العَجْلان الكاهلى ، ترثى أخاها عَمراً . انتهى .

---

(١) لم يرد فى زهر الآداب .
(٢) فى زهر الآداب : « من الدهر ركنا شديدا » .
(٣) فى زهر الآداب : « فقد كان فذا » .
(٤) فى زهر الآداب : « لمن يعتفيك » ، أى لم يطلب فضلك ويتبغى معروفك .
(٥) فى زهر الآداب : « وحىّ صبحت وحىّ أبحت » .

ونسبها غيرهُ لأخته جَنوب . قال الشريف : كان عمروٌ خرج غازياً فهبط وادياً من أوديتهم فنام فيه ، فوثبَ عليه نَمرانِ فأكلاه .

وقال صاحب زهر الآداب : قال عُمَر بن شَبَّة : كان عَمرٌو هذا يغزو فَهمْاً فيصيب منهم ، فوضعوا له رصَداً على الماء فأخذوه فقتلوه ، ثم مرُّوا بأخته جنوب فقالوا : طلبنا أخاكِ . فقالت : « لئن طلبتموه لتجدُنّه منيعا ، ولئن وصَفتموه لتجدُنّه مَريعا [١] ، ولئن دعوتموه لتجدُنّه سَريعا . والله لئن سلبتموه لا تجدون ثُنَّتَهُ وافية [٢] ، ولا حُجزتَه جَافية [٣] ، ولرُبَّ ثديٍ منكم قد افترشه ، ونهبٍ قد احتوَشه [٤] ، وضبٍّ قد احترشه [٥] » . ثُمَّ قالت هذه الأبيات . انتهى .

وقولها : « سألت بعمرو » الباء بمعنى عن ، وأخى عطف بيان ، وصحبَه مفعول سألت ، وهو مضاف إلى ضمير عَمرو . وصحب : جمع صاحب ، كشَهْد جمع شاهد . وأفظعنى : هدَّنى قُبحه وشدّته . يقال أفظع الأمرُ إفظاعا ، وفَظُع فظاعةً ، إذا جاوز الحدَّ فى القبح . ٣٥٤

وأتيح : مجهولُ أتاح الله له ، بالمثناة والحاء المهملة ، بمعنَى قَضى وقدَّر . والهاء فى له لعمرو ، ونائما حالٌ منها ، وأعَزُّ السِّباع نائب فاعل أتيح ، وهو من

(١) أى كثير الخير فى خصب . ويقال رجل مربع الجناب : كثير الخير . ومرع الوادى وأمرع : أخصَب .

(٢) سلبتموه ، من السلب ، وهو الاستيلاء على ما يكون على القِرْن أو معه من ثياب وسلاح ودابة ، والمسلوب من هذا هو السلَب ، بالتحريك . وفى الحديث : « من قتل قتيلا فله سلبه » . والمراد جردتموه من ثيابه . والثنة ، بضم الثاء وتشديد النون : شعر العانة . والوافية : الطويلة ، كناية عن تنظّفه وتنطّفه . وفى النسختين : « ثنيته دامية » ولا وجه لهذا . والصواب ما أثبت من زهر الآداب .

(٣) الحجزة ، بالضم : معقد السراويل والإزار . والجافية : التى تجفو الثياب لا تلتصق بها . كناية عن دقة الخصر وضمر البطن . وفى النسختين : « حامية » ، صوابه فى زهر الآداب .

(٤) احتوشه : استولى عليه . وأصله من احتوش القوم الصيد ، إذا نفَّره بعضهم على بعض .

(٥) احترشه : صاده بطريقة خادعة .

العَرارة بالعين والراء المهملتين ، وهو سُوء الخُلق . وأحال بالحاء المهملة ، قال السكرى : أى رَكِب عليه فقتله ، وأكله . ونَمِرًا أجبُل : مثنّى نمرٍ مضاف إلى أجبُل : جمع جبل . وتصحَّفَتْ هذه الكلمةَ على العينى فقال : قولها نمرًا جَيئل ، أى نمرانِ من جيئل ، أى سبعان من جَيْئل . والنمر : السَّبُع . والجيئل ، بفتح الجيم وسكون الياء وفتح الهمزة وهو الضَّبع . وهذا كلامه ، وهو تحريف قطعاً .

وروى العينى : « وثالا » بدل « منالا » وقال : ثالا بالثاء المثلثة ، يقال ثال عليه القومُ ، إذا علَوْه بالضَّرب . والمَنُون : الموت . وحِمامُ المَنون : المقدَّر . قال السكرىّ : قال أبو عمرو :

* فنالا وما نال ثَمَّ قِبالا [1] *

وهذا البيت ساقطٌ من رواية العينى .

وقولها : « فأقسمتُ » إلخ هذا التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . وضمير المثنى فى نبَّهاك للنمَرين . وروى : « داءً عُضَالا » أى شديداً أعيا الأطبّاء .

وقولها : « ليث عِرِّيسة » قال الجوهرى : العِرِّيس والعِرِّيسة : مأوى الأسَد . والمُفيد معناه مُعطى الفائدة وآخذُ الفائدة ، كذا وردَ بالمعنييَن . ومُفِيت ، بالفاء ، قال السكرىُّ : أى مُهلك النُّفوسِ والمال . وتصحَّفَتْ هذه الكلمةُ على العينىّ فرواها بالقاف ، وقال : مُقِيتا أى مقتدرا ، كالذى يُعطى كلَّ رجلٍ قُوتَه . ويقال المُقيت : الحافظ للشىء والشاهد له . والنفوس يرجع إلى المقيت ، والمال يرجع إلى المفيد . هذا كلامه .

---

(١) القبال ، بالكسر : زمام النعل ، وهو السير يكون بين الإصبعين ، يقولون : ما رزأته قبالا ولا زبالا ، مثل للقلة والتفاهة . ش : « قيالا » ، تحريف .

والهِزَبْر : الأسد الضَّخم الشديد . والفَرُوس : الكثير الافتراس للمَصِيد . وهَصُور من الهصر ، وهو الجذْب والأخْذ بقوَّة . والقِرْن ، بالكسر . وهذا البيت ساقطٌ من روايةِ العَيْنى .

ورَيْب المنون : حوادث الدَّهر . قال السكرىّ : ثبيت : ثابت ، وروى غيره بدله : « شديداً » .

وقولها : « هما يومَ حُمّ » إلخ قال السكرى : هما يعنى النمرَين . وحُمّ : قُضِىَ وقُدِّر . وفال بالفاء ، أى أخطأ . رجلٌ فائل الرأى وفِيلٌ ، أى ضعيف الرأى . وفَهْم : قبيلة ، ولهذا منعَهُ الصرف [1] .

وقولها :

* ونحن قتلناهُ فى غارةٍ *

قال السكرى : تهزأ بهم . والآيةُ : العَلامة . والنِّبال : السهام .

ورجْلٌ قال السكرى : هو الرجُل ، يقال رَجْل ورَجُل أى بسكون الجيم وضمها . وروى غيره : « فذًّا » بدل « رَجلاً » . والفَذ بالفاء والذال المعجمة ، هو الفرد .

والنِّفال : الغنائم ، جمع نَفَل بفتحتين ، وهى الغنيمة .

وقولها : « كأنَّهمُ لم يَحَسُّوا به » إلخ من حَسِست بالخبر من باب تعب ، أى علمتُه وشَعَرْتُ به . ويُخْلُوا ، مِن أخليته أى جعلته خالياً . والحِجال : جمع حَجَلة بالتحريك ، وهى بيت يزيَّن بالثِّياب والأسِرّة والسُّتور .

والمُحُول : جمع مَحْل ، وهو القحط .

---

(١) ش : « منعها من الصرف . ويقال منعه الشيء ومنعه منه ، يتعدى ولا يتعدى . كما فى المصباح .

وقولها : « وقد علم الضَّيف والمرملون » هو من أرملَ القومُ ، إذا نفِدَ زادُهم . وروى بدلَه السكريُّ : و « المجتدون » ، وقال : هم الطالبون الجَدَا [١] ، وهى العطيَّة . وفاعل هبَّت ضمير الريح وإنْ لم يَجْرِ لها ذكِر ، لفهمها من قولها إذا اغبَّر أُفق ؛ فإنّ اغبراره إنمَّا يكون فى الشتاء لكثرة الأمطار واختلاف الرياح . والشَّمَال بالفتح ويكسر : ريحٌ تهبُّ من ناحية القُطْب ، وهو حالٌ ، وإنمَّا خصّت هذا الوقتَ بالذِّكر لأنَّه وقتٌ تقلّ فيه الأرزاق وتنقطع السُّبُل ، ويثقُل فيه الضَّيف ، فالجودُ فيه غايةٌ لا تدرك . وزاد أبو حنيفة بعدَه بيتا وهو : ٣٥٥

وخَلّتْ عَنَ آولادِها المرضِعاتُ ولم تَرَ عَيْنٌ لمُزْنٍ بِلالاَ

وقال : إنما خلَّت أولادَها من الإعواز ، لم يجدن قُوتاً . واغبرار الأُفُق من الجَدْب . وأراد : هبَّت الرِّيح شَمالا . وهى تُضمَر وإن لم تُذكر لكثرة ما تُذكَر . انتهى . والمُزْن : السَّحاب . والبِلال بالكسر : البَلَل .

وقولها : (بأنْكَ ربيعٌ) إلخ ، الربيع هنا : ربيع الزَّمان . قال ابن قتيبة (فى باب ما يضعه الناس غيرَ موضعهِ ، وهو أوَّل كتابه أدب الكاتب) : ومن ذلك الرَّبيع ، يذهب الناس إلى أنَّه الفصل الذى يَتبعُ الشِّتاءَ ويأتى فيه الورد والنّور ، ولا يعرفون الرَّبيعَ غيره . والعربُ تختلف فى ذلك ، فمنهم من يجعل الرَّبيع الفصلَ الذى تُدِرك فيه الثمار ، وهو الخريف ، وفصلُ الشتاء بعده ، ثم فصل الصَّيف بعد الشتاء ، وهو الوقت الذى تدعوه العامّة الرَّبيع ، ثم فصل القيظ بعده ، وهو الذى تدعوه العامة الصَّيف . ومن العرب من يسمِّى الفصلَ الذى تُدرك فيه الثمار ، وهو الخريف : الرَّبيع الأوّل . ويسمِّى الفصلَ الذى يتلو الشتاء ويأتى فيه الكمأه والنَّور : الرَّبيع الثانى . وكلُّهم مجمعون على أنَّ الخريف هو الرَّبيع . انتهى .

---

(١) ط : « الجداء » بالهمز ، صوابه فى ش . والجدا مقصور . وأما الجدَاء بالهمز فهو الغناء والنفع .

قال شارحه ابن السيد : مذهب العامَّة فى الربيع هو مذهب المتقدِّمين ، لأنَّهم كانو يجعلون حلولَ الشمس برأس الحَمل أوّلَ الزمان وشبابَه . وأمّا العرب فإنَّهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان أوَّل فصول السَّنة الأربعة ، وسمَّوه الربيع وأمَّا حلول الشمس برأس الحمَل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانيا ، فيكون فى السَّنَة على مذهبهم ربيعان . وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانيا ، فيكون فى السنة على مذهبهم ربيعٌ واحد . وأمَّا الربيعان من الشُّهور فلا خلاف بينهم أنَّهما اثنان : ربيعٌ الأوّل وربيعٌ الآخِر . انتهى .

والغَيث : المطر والكلأ ينبُت بماء السماء ، والمراد به هذا لوصفه بالمَرِيع ، وهو الخَصيب ، بفتح الميم وضمها [1] . فى القاموس : مَرُع الوادى ، مثلثة الراء ، مَراعة : أكلأ كأمرع . والثِّمال ، بكسر المثلثة ، قال الدينورى : هو الذُّخر ، وقال غيره : هو الغِياث .

وقولها : « خَرْق » هو بفتح الخاء المعجمة : الفلاة الواسعة تتخرَّق فيها الريّاح . ومَجهولَهُ : الذى لا يُسلَك . والوَجناء ، بالجيم : الناقة الشديدة . والحرف : الضَّامرة الصُّلبة . وتَشكَّى مضارعٌ ، أصله تَتشكَّى بتاءين . والكَلَال : الإعياء .

وقولها : « وَحيٍّ أبحتَ » أى ربّ قبيلةٍ جعلتَها مُباحةً للنّاهبين ، وربَّ قبيلة أعطيتَهم المنايا يوم القتال . وروى أيضا : « وحيًّا أبحتَ وحَيًّا منحت » . والمنايا : جمع منيّة ، وهى الموت . والعِجَال ، بالكسر : جمع عَجُل بفتح فضم ، بمعنى عاجل ، كما يجمع رجُل على رجال .

---

(١) لم يبين البغدادى وجه ضم الميم ، وهذه من أراع الكلأ : زكا وزاد ، وأراعت الشجرة : كثر حملها . ومادة هذه من الريع بالياء .

والقبيل هنا : جمع قبيلة . والوِجال : جمع وَجِل بفتح فكسر ، وهو الخائف ، من الوجَل بفتحتين ، وهو الخوف .

جنوب بنت العَجْلان

وجنوبُ صاحبة الشعر ، هى امرأةٌ شاعرةٌ جاهليَّة ، بفتح الجيم وضم النون . وأخوها عمرٌو جاهلىٌّ أيضاً ، وهو ابن العجلان بن عامر بن برد بن منبِّه ، أحد بنى كاهل بن لِحْيان بن هُذَيل . وسمِّى ذا الكلب لأنّه كان لا يفارقه كلبٌ له ، قاله ابن الأعرابى . وقال أبو عبيدة : لم يكن له كلبٌ لا يفارقه ، وإنّما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب . فثبتَتْ عليه . ومن الناس من يقول له عمرٌو الكلب بغير ذو . والله أعلم .

٣٥٦

وقيل إنّ جنوبَ هى عمرةُ لا أنّهما ثِنتان . وله أختٌ أخرى اسمُها ريطة ، هى شاعرةٌ أيضا ، ومن شعرها فيه [1] :

كلُّ امرئٍ بِمِحَال الدّهر مكذوبُ ... وكلُّ مَنْ غالبَ الأيّامَ مغلوبُ
وكلّ حيٍّ وإنْ عزُّوا وإنْ سَلِموا ... يوماً طريقهُمُ فى الشرّ دُعبوبُ [2]
أبلغْ هُذيلاً وأبلِغْ مَنْ يبلِّغها ... عنِّى رسولاً ، وبعضُ القول تكذيبُ [3]
بأنَّ ذا الكلب عمراً خيرَهُمْ نسبا ... ببطنِ شِرْيانَ يَعوِى حولَه الذِّيبُ [4]

(١) شرح السكرى للهذليين ٥٧٨ – ٥٨١ والعينى ١ : ٣٩٥ وحماسة البحترى ٣٢٩ . ونَسَب العينى الشعر إلى ريطة بنت عاصم ، وقال : « كذا قاله بعضهم ، والصحيح أن قائلتهما هى جنوب أخت عمرو ذى الكلب » . أما البحترى فنسب الأبيات إلى عمرة أخت عمرو ذى الكلب .

(٢) الدعبوب ، بضم الدال : الطريق المذلل الموطوء الواضح الذى يسلكه الناس ، كما فى شرح السكرى واللسان (دعب) عند إنشاد البيت ، مع نسبته إلى جنوب الهذلية . وفى النسختين : « رعبوب » بالراء ، وفى العينى : « زعبوب » ، كلاهما محرف . وفى شرح السكرى : « وإن طالت سلامتهم » ، وفى حماسة البحترى : « وإن طالت سلامتُه » .

(٣) فى شرح السكرى ٨٥٠ : « عنى حديثا » .

(٤) عند السكرى والبحترى : « يعوى عنده » .

الطَّاعنُ الطَّعنةَ النجلاءَ يتبعُها ... مُثعنجِرٌ من نجيع الجوفِ أُسكوبُ(١)
والتَّاركُ القِرْنَ مصفرًّا أناملُه ... كأنّه من نجيع الجَوف مخضوبُ
المِخرجُ العاتقَ العذراءَ مُذْعِنةً ... فى السَّبْىِ ينفحُ من أرادنها الطِّيبُ(٢)
تَمشى النُّسورُ عليه وهى لاهيةٌ ... مَشْىَ العذارَى عليهنَّ الجلابيبُ(٣)

* * *

وأنشد بعده:

(أنْ هالك كلُّ من يَحْفَى وينتعلُ)

هذا عجز ، وصدره :

(فى فتيةٍ كسيوف الهندِ قد عَلِمُوا)

وتقدّم شرحُه فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستمائة من نواصب الفعل (٤)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه (٥) :

٨٧٠ (كأنْ وَرِيدَيْهِ رشاءَا خُلْبِ)

---

(١) المثعنجر : السائل . وعند السكرى : « من دماء الجوف أثعوب » ، وعند البحترى : « من دم الأجواف مسكوب » .

(٢) السكرى : « المخرج الكاعب الحسناء » ، البحترى : « الكاعب العذراء » .

(٣) أنشده فى الحيوان ٦ : ٣٢٩ منسوبا إلى امرأة من هذيل .

(٤) الخزانة ٨ : ٣٩٠ - ٣٩٨ .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٨٠.وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢٠ : ٧٥ والمقتضب ١ : ٥٠ والأصول ١ : ٢٨٨ والإنصاف ١٩٨ وابن يعيش ٨ : ٧٢ ، ٨٣ والمقرب ١ : ١١٠ والضرائر ٣٠٩ والعينى ٢ : ٢٩٩ والتصريح ١ : ٢٣٤ واللسان (خلب ٣٥٢) وملحقات ديوان رؤبة ١٦٩ .

على أنّ إعمالَ كأنَّ المخففة فصيح ، والأفصح إلغاؤها . وقد جاء إعمالها في هذا وما بعده .

وأراد بالإلغاء عدم إعمالها لفظاً بدليل قوله : « وإذَا لم تُعمِلها لفظاً ففيها ضمير شأن مقدَّر عندهم ، كما في أنّ المخففة » . وعلى هذا فهي عاملةٌ إمّا لفظاً وإمَّا تقديراً . وهذا مأخوذ من كلام ابن يعيش ، فإنَّ الزمخشريَّ لما قال (في المفصَّل) : « وتخفَّفُ فيبطُل عملها ، ومنهم من يعملها » ، وأنشد البيتين ، قال ابن يعيش : قوله : فيبطُل ، يريد عملها ظاهراً . وأمَّا قوله :

* كأنْ ثدياه حُقّانِ[1] *

فالمراد كأنّه أي الأمر والشأن ، والجملة بعد كأنْ خبرها ، ومراده إرجاع كلام المفصَّل إلى كلام سيبويه ، فإنَّ مذهبَ سيبويه أنّ كأنَّ إذا خفِّفت لا يكون اسمها إلاّ ضميراً محذوفا ، وعملها في الاسم الظاهرِ خاصٌّ بالضرورة . ولما كان ظاهر قول الزَّمخشريّ « فيبطُل عملها » محتملاً لإلغائها عن العمل لفظا وتقديرا ، أوّلَهُ بما ذكره . إلاّ أنَّ قوله : « ومنهم من يُعملها » لا يفيد أنّه مختصٌّ بالضرورة .

وقيَّد المصنفُ هنا الإلغاءَ بقيد الأفصحيَّة فقال : « وتخفَّف فتُلغى على الأفصح » . ولا يمكن تأويل كلامه بما ذكره ابن يعيش ، لأنّ إعمالها في الاسم الظاهر ليس بفصيح ، فكان ينبغي للشارح المحقّق أن ينبِّه عليه ولا يجاريَه في كلامه .

وقد شرحه التِّبريزي على ظاهره فقال : أيْ تخفَّف كأنّ فتلغى على الأفصح ، وجاء إعمالها على غير الأفصح . أمّا إلغاؤها فلفَواتِ مشابهتها بالماضي ، لزوال فتحها بالتخفيف ، وأمّا إعمالها فلبقاء ثلاثة أحرف والمعنى المقتضي للاسم ،

---

(١) سيأتي قريبا في الشاهد ٨٧١ ص ٣٩٨ .

٣٥٧

وهو التشبيه . وذهب بعضُهم إلى أنَّ كأنْ المخففة مثل أنْ المخففة المفتوحة ، تعمل فى ضمير الشّأن المقدَّر وغيره . انتهى .

وهذا نصُّ سيبويه : ﴿ والخامسةَ أنْ غَضَبُ اللهِ عليها [١] ﴾ كأنّه قال : أنَّه غضَبُ الله عليها ، لا تخفِّفها فى الكلام أبدا وبعدها الأسماءُ إلاَّ وأنت تريد الثَّقيلة مُضمراً فيها الاسم ، يَعنى الهاءَ ونحوَها [٢] . فلو لم يريدُوا ذلك نصبوا كما ينصبون إذا اضُطروُّا فى الشعر بكأنْ إذا خفَّفوا ، يريدون معنى كأنَّ ولم يريدوا الإضمار . وذلك قولُه :

* كأن وريديه رشاءَا خُلْبِ [٣] *

وهذه الكاف إنمّا هى مضافة إلى أنّ فلما اضُطرِرتَ إلى التخفيف فلم تضمر لم يُغيّر ذلك [٤] أنْ تنصبَ بها ، كما أنّك قد تحذف من الفعل فلا يتغيَّر عن عمله . ومثلُ ذلك قولُ الأعشى :

فى فتيةٍ كسُيوف الهِندِ قد عَلموا أنْ هالكٌ كلُّ مَنْ يحفَى وينتعلُ [٥]

كأنّه قال : أنّه هالك . وإن شئتَ رفعت فى قول الشاعر : « كأنْ وريداه » على مثل الإضمار الذى فى قوله : « من يأْتِنَا نعطه [٦] » ، أو يكون هذا المضمَر ، وهو الذى ذُكِر ، كما قال :

(١) الآية ٦ من سورة النور .

(٢) هذه العبارة ليست من نص سيبويه . وفى ط : « تعنى » ، صوابه من ش .

(٣) ط : « رشاء خلب » ، صوابه من ش مع أثر تصحيح ، وهو ما يقتضيه التفسير بعده . لكن فى نص سيبويه : « رشاء خلب » بالإفراد .

(٤) فى النسختين : « لم تغير ذلك » بالتاء .

(٥) ديوان الأعشى ١٤٥ . وانظر بقية التخريج فى نسختى من سيبويه ٣ : ١٦٤ .

(٦) فى سيبويه : « إنه من يأتها تعطه » .

* كأنْ ظبيةٌ تَعطُو إلى وارق السَّلَم [١] * انتهى كلامه .

وقوله : « وهذه الكاف المضافة إلى أنّ » يريد الكاف من كأنَّ المتقدّمة على أنَّ .

وقوله : « أو يكون هذا المضمر » إلخ يعنى أنَّ الضمير المقدَّر يجوز أن يكون ضميرَ الشَّأن كما فى : إنّه مَنْ يأتنا ، ويجوز أن يكون ضميرَ مذكورٍ مقدَّر كما فى كأنْ ظبيةٌ بالرفع ، أى إنّ تلك المرأة كأنَّها ظبية .

وإلى مذهب سيبويه ذهب ابن مالك فقال (فى التسهيل) : وتخفَّف كأنَّ فتعمل فى اسم كاسم أنّ ، والمقدَّر والخبرُ جملةٌ اسمية أو فعليّة مبدوءة بلم أو قد ، أو مفرد . وقد يُبرَز اسمُها فى الشعر . انتهى .

قال المرادى : إذا خفِّفت كأنَّ لم تُلغَ بل تعمل فى اسم ، كاسم أنّ المفتوحة إذا خفِّفت ، ويكون مقدّرا . ولا يلزم كونه ضمير شأن . ومن وروده غيرَهُ قوله : كأنْ ظبيةٌ ، بالرفع . ومثال الاسمية :

* كأن ثدياه حُقّانِ *

والمبدوءة بلم : ﴿ كأنْ لم تَغْنَ بالأمس [٢] ﴾ ، وبقد : « وكأن قد [٣] » ، أى قد زالت . والمفرد : « كأنْ ظبيةٌ » . واسمُها البارز كأنْ ظبيةً بالنصب .

ثم قوله : « ظاهر كلام سيبويه أنّ ذلك لا يختصُّ بالضرورة » خلافُ ما نقلنا عنه . وكذا عدَّه من الضرورة ابنُ عصفور (فى كتاب الضرائر) .

---

(١) لابن صريم اليشكرى ، كما فى سيبويه ١ : ٢٨١ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) الآية ٢٤ من سورة يونس .

(٣) إشارة إلى قول النابغة :

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تزُل برحالنا وكأن قد

قال الأعلم فى « كأنْ وريدَيه » : الشاهد فى إعمال أن المخففة تشبيهاً بما حُذِف من الفعل ولم يتغيَّر عمله ، نحو : لم يكُ زيدٌ منطلقاً . والوجه الرفعُ إذا خفِّفت ، لخروجها عن شبه الفعل فى اللفظ .

قال صاحب الكشّاف : والوريدان : عِرقان يكتنفان صَفحتَى العُنق فى مقدَّمهما ، متَّصلان بالوتين ، يَرِدَان من الرأس إليه . وقيل سمِّى وريداً لأنّ الروح تَرِدُه . وقال صاحب المِصباح : الوريد عرقٌ قيل هو الودَج ، وقيل بجنبْه . وقال الفراء : عرقٌ بين الحلقوم والعلْباوَين [1] . وهو يَنبض أبداً ، فهو من الأوردة التى فيها الحياة ولا يجرِى فيها [دمٌ [2]] ، بل هى مجارى النَّفَس بالحركات . والرِّشاء بكسر الراء والمد : الحبل ، وجمعُه أرشية ، وهو هنا مثنىًّ مرفوع بالألف ، وأصله رشاوانِ بهمزة بين ألفين ، حُذفت نونه عند الإضافة لخُلْب بضم الخاء المعجمة واللام وبتسكينها . قال صاحب الصحاح : والخُلْب : اللِّيف . قال :

* كأنْ وريدَاه رشاءَا خُلْبِ *

ويروى : « وريديه » على إعمال كأنْ وتركِ الاضمار . وكذلك الخُلب بالتسكين . واللِّيفةُ خُلبة وخُلُبة . انتهى .

٣٥٨

وكذا قال فى مادة (أنن [3]) . وقال النحاس : قال إسحاق : اللِّيف ، وقال غيره : الخُلْب : البئر البعيدة القعر . انتهى .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ونحنُ أقرَبُ إليه مِنْ حَبْل

---

(١) إلى هنا ينتهى نص الفراء ٣ : ٧٦ فى تفسير الآية ١٦ من سورة قٓ : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

(٢) التكملة من المصباح (ورد) حيث يستمر النقل منه إلى كلمة « بالحركات » .

(٣) فى النسختين : « أن » ، صوابه ما أثبت ، كما فى الصحاح .

الوريد [١] ﴾ من سورة قٓ . قال : حبل الوريد مثَلٌ فى فرط القُرْب . قال ذو الرمَّة :

* والموتُ أدنى لى من الوريد [٢] *

والحبل : العِرْق ، شبِّه بواحد الحبال . ألا ترى إلى قوله :

* كأنْ وريديه رِشاءَا خُلْبِ *

فإن قلت : ما فائدة إضافة الحبل إلى الوريد ، والشىء لا يضاف إلى نفسه ؟ قلتُ : فيه وجهان : أحدهما أن تكون الإضافة للبيان ، كقولهم : بعيرُ سانية . والثانى : أن يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد ، كما يضاف إلى العاتق . لاجتماعهما فى عضوٍ واحد ، كما لو قيل : حَبل العِلباء مثلا . انتهى .

والبيت غفلٌ فى الكتاب ، ولم ينسُبْه أحد من خَدَمة الكتاب . وقال العينى : قائله رؤبة بن العجاج . وهكذا أنشده سيبويه فى كتابه . وهذا بخلاف الواقع [٣] .

ورأيت (فى التخمير ، وهو شرح أبيات المفصَّل لبعض فضلاء العجم) ، وتبِعه الكرمانيُّ (فى شرح أبيات الموشح) ، وهو (شرح الكافية للخبيصى) أنَّ ما قَبل هذا البيت :

* ومعتدٍ فظٍّ غليظِ القَلْبِ *

---

(١) الآية ١٦ من سورة قٓ .

(٢) وكذا فى الكشاف وشرح شواهده لمحب الدين أفندى ، والمستقصى للزمخشرى ١ : ١٢١ لكن فى الديوان ١٦٨ :

والله أدنى لى من الوريـــد والموت يلقى أنفس الشهود

والشهود : الحاضرون المقيمون بأهلهم .

(٣) لم أفهم وجه اعتراض البغدادى على العينى ، إلا أن يكون قد ظن أن العينى اعتمد على سيبويه فى نسبة الشاهد فعبر عنها بقوله « وهكذا أنشده سيبويه فى كتابه » . بل الحق أن العينى يريد أن سيبويه رواه بالنصب مرة « كأن وريديه » .

وبعده :

* غادرتُه مجدَّلاً كالكلبِ *

وقالا : المعتدى : المتجاوز عن الحدّ . والفَظّ من الرجال : الغليظ . والمجدَّل : الملْقَى على الجَدالة ، وهى الأرض . والمعنى : ربَّ خصم معتدٍ متجاوزٍ عن الحدّ فى كل ما يفعله ، فظّ غليظ القلب قاسِيهِ ، كأنَّ وريديه حبلان فُتِلاَ من ليف النَّخل ، لضخامة عُنِقه ، غادرتُه وتركته مُلْقًى على الأرض كالكَلْبِ فى الذلّة . والشُّجعان يُوصَفون بما ذُكر من الاعتداءِ والفظاظة ، وغِلْظة القلب ، وعَبَالة الأعناق . انتهى .

وقول الشاعر :

* كأنْ وريديه رِشاءَا خُلْبِ *

كأنْ فيه عاملة ، ووريديه اسمها ، ورشاءَا خُلب خبرها ، وهو مرفوعٌ بالألف لأنّه مثنًّى كما تقدَّم . ويوجد فى بعض الكتب « رِشاءُ خُلْبِ » بالإفراد ، ولا يصحّ لأنّه خبرٌ عن مثنًّى . وضمير وريديه للمعتدى .

وقول سيبويه « وإنْ شئتَ رفعتَ فى قول الشاعر : كأن وريداه ، على مثلِ الإضمار الذى فى قوله : إنّه من يأتنا نُعطِه » . يريد أنَّه إذا رُفِع ما بعد كأنْ يكون اسمُها ضَميرَ شأن كما فى المثال ، ويكون جملة وريداه رشاءا خُلب من المبتدأ والخبر خبر كأنْ .

وقوله : « أو يكون هذا المضمر وهو الذى ذُكِر كما قال : كأن ظبية » ، يريد أنّ اسم كأنْ يكون ضميراً محذوفا عائدا على متقدّم مذكور ، وهو المعتدى ، والتقدير : كأنّه وريداه رشاءا خلب . فالهاء المحذوفة وهى ضمير المعتدى اسم كأنْ ، والجملة بعدها خبرها [1] كما فى قوله : كأن ظبية بالرفع ، التقدير : كأنَّها

(١) الكلام بعده إلى كلمة « خبرها » التالية ساقط من ش .

ظبية . فالهاء المحذوفة ضمير المرأة المتقدِّمة الذكر وهى اسم كأنْ ، وظبية خبرها .
ويأتى مثله بعده فى قوله :

* كأَنْ ثدياه حُقّانِ *

وقال العينى : وعلى رواية الرفع فى وريديه يكون الاستشهاد من حيث إهمال عمل كأنْ . وفى الحقيقة ليس فيه شىء يستشهد به . وهذا كلامه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [1] :

٨٧١ (وصَدرٍ مُشْرِقِ النَّحرِ كأنْ ثَديَيْهِ حُقّانِ)

لما تقدّم قبله . ويأتى فيه ما ذكرناه .

٣٥٩ قال ابن الشجرى (فى أماليه) : وقد خفَّف الشاعر وأعملَها فى الاسم الظاهر فى قوله : وصدرٍ مُشرق النَّحر إلخ . وأنشد بعضهم « ثدياه » رفعا على الابتداء وحُقّان الخبر ، والجملة من المبتدأ والخبر خبرها ، واسمها محذوف ، فالتقدير : كأنَّه ثدياهُ حقان . انتهى .

والذى أنشده مرفوعاً سيبويه . قال : ورَوى الخليل أنّ ناسا يقولون : إنَّ بك زيدٌ مأخوذٌ ، فقال : هذا على قوله : إنّه بكَ زيدٌ مأخوذ . وشبَّهه بما يجوز فى الشعر نحو قوله ، وهو ابن صُرَيم اليشكُرىّ :

---

(١) سيبويه ١ : ٢٨١ ، ٢٨٣ والأصول ١ : ٢٩٨ والمحتسب ١ : ٩ والمنصف ٣ : ١٢٨ وابن الشجرى ١ : ٢/٢٣٧ : ٣ ، ٢٤٣ والإنصاف ١٩٧ وابن يعيش ٨ : ٨٢ والشذور ٢٨٥ والعينى ٢ : ٣٠٥ والتصريح ١ : ٢٣٤ والهمع ١ : ١٤٣ والأشمونى ١ : ٢٩٣ .

ويومـــاً تُوافينـــا بوجـــهٍ مقسَّمٍ كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السَّلَمْ (١)

أى : كأنَّها ظبية . وقال الآخر :

ووجـــهٍ مُشرق النَّحـــر كأنْ ثديـــاه حُقَّـــانِ

لأنَّه لا يحسن ههنا الإضمار . وزعم الخليل أنَّ هذا يُشبه قولَ الفرزدق :

ولو كنتَ ضَبِّيًّا عَرفتَ قرابتى ولكـنَّ زنجيٌّ عظيـمُ المشافـرِ

والنصب أكثر فى كلام العرب . انتهى .

وقوله : « هذا على قوله إنّه بك » إلخ يريد أنَّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف ، وأما اسم كأن فى البيتين ، ولكنّ فى بيت الفرزدق فغير ضمير الشأن ، ومراده التشبيه بمطلق الحذف لا بخصوص ضمير الشأن ، بدليل قوله : أى كأنّها ظبية ، والضمير للمرأة المحدَّث عنها ، وبدليل بيت الفرزدق .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع زنجيٌّ على الخبر وحذف اسم لكنّ ضرورة ، والتقدير : ولكنّك زنجيٌّ .

وكذا البيت الثانى . قال ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) : قوله كأن ثدياه ، أصله كأنّه ، والضمير للوجه أو للصَّدر أو للشَّأْن ، والجملة الاسميَّة خبر . انتهى .

فجوّز أنْ يكون ضمير شأن ، ولم يُوجبْه لضعفه ، لأنّه لا يُصار إليه إلاّ إذا لم يكن للضمير مرجع . ومنه تعلم أنَّ الأولى أن يقدَّر الضمير فى قوله تعالى : ﴿ فلما كشَفْنا عنه ضُرَّه مرَّ كأنْ لم يَدْعُنا (٢) ﴾ للرجل المحدَّث عنه ، لا ضمير

---

(١) هو الشاهد ٨٧٤ فيما سيأتى ص ٤١١ .

(٢) الآية ١٢ من سورة يونس .

شأن ، خلافا للبيضاوىّ تابعاً للكشّاف فى قوله : الأصل كأنّه لم يدْعُنا ، فخفّف وحذف الشأن ، كقول الشاعر :

* كأنْ ثدياه حُقّان *

واقتصر ابن يعيش على الشّأن فقال : المراد كأنّه ، أى الأمر والشأن ، وجملة ثدياه حقان خبر كأنْ .

والعجب من العينى فى قوله : الاستشهاد فيه على تخفيف كأنْ وإلغاءِ عملها وحذف اسمها ، ووقوع خبرها جملة . وأصله : كأنّه ، والضمير للوجه أو للنحر أو للشأن . انتهى .

وأعجبُ منه إنكار ابن الأنبارى روايةَ الرفع فيه مع أنَّ سيبويه لم يروِ غيرها . وكذا الزمخشرى لم يرو (فى المفصل) غيرها ، قال فى مقام الردّ على الكوفيين : الرواية :

* كأنْ ثدييه حُقّانِ *

و : * كأن وريدَيه رشاءا خُلْبِ *

ولا يجوز أن يقال الإنشاد فى البيتين : كأن ثدياه ، و : كأن وريداه ، لأنّا نقول : بل الرواية المشهورة بالنصب . هذا كلامه .

وقوله : (وصدر مشرق) إلخ المشهور جرّ صدر بواو ربّ . وقال ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) : مرفوع على الابتداء والخبر محذوف ، أى لها . ومُشرق من أشرق ، أى أضاء . والنحر : موضع القلادة من الصَّدر ، والهاء من ثدييه للصَّدر . وروى سيبويه :

* ووجهٍ مشرق النّحر *

وروى غيره :

* ونحرٍ مشرق اللّون *

فالهاء من ثدييه للوجه أو للنحر بتقدير مضاف ، أى ثديى صاحبِه [١]

كذا قال الأعلم وابنُ يَعيشَ وغيرهُما . والحُقّ بالضم ويقال أيضا حُقّة ، قال ٣٦٠ عمرو بن كلثوم :

وصدراً مثلَ حُقِّ العاج رَخْصاً حَصاناً من أكفِّ اللاَّمسينا [٢]

ولا حاجة إلى قول صاحب التخمير : الحُقّة بالضم معروفة ، وأراد حُقّتان . ويجوز أن يكون مما يحذف منه تاء التأنيث عند التثنية ، وشبه الثديين بالحُقَّتين فى نهودهما واكتنازهما .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والسبعون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٧٢ (عَبَأْتُ له رُمحاً طويلاً وألَّةً كأنْ قبسٌ يُعْلَى بها حين تُشرَعُ [٤])

على أنَّ كأن المهملة لفظاً يجىء بعدها جملةٌ اسميّة خبراً لها ، واسمها المقدَّر هنا ضمير الشأن .

---

(١) وكذا بتذكير صاحبه عند الأعلم .

(٢) ط : « وصدر » ، صوابه فى ش ، وقبله فى المعلقات :

تريك إذا دخلت على خلاء وقد أمنَتْ عيونَ الكاشحينا

ذراعَىْ عيطل أدْماءَ بكر هِجانِ اللون لم تقرأ جنينا

(٣) الإنصاف ٢٠٣ والحماسة بشرح المرزوقى ٧١٨ وبشرح التبريزى ٢ : ٢٤١ .

(٤) ط : « كأن قيس » صوابه بالباء الموحدة كما فى ش والمراجع .

وهذا تقرير كلامه (١) . وفى كلّ منهما نَظَر :

أمَّا (أوّلاً) فلأنّه لا جملةَ اسميّةً بعد كأنْ ، وإنمّا بعدها مفردٌ موصوف بجملة فعلية ، فإنّ قَبساً نكرة ، وجملة يُعلَى صفته ، والرابط الضمير المستتر النائب عن الفاعل ، والباء للإلصاق متعلّقة بمحذوف حال من الضمير ، والهاء ضمير الألَّة . ولا يجوز أن يكون مبتدأ خبره جملة يُعلَى ، لئلَّا يلتبس المبتدأ حينئذ بالخبر ، كما قاله الشارح فى باب الابتداء .

• فإن قلت : يكون جملة يُعلى خبراً إذا نصبت قبساً . قلتُ : الإخبارُ عن النكرة فى باب إنّ جائز كما حقَّقه الشارح فى آخر الباب . نعم يجوز أن يكون بها ظرفاً مستقرّاً خبرا لقبس . وإنمّا لم نحمل كلامَه عليه ابتداءً لأنّ كلامه الآتى فى رفع ظبية لا يلائمه (٢) .

وأمّا (ثانيا) فلما تقدم من أنّ ضمير الشأن لا يُصار إليه مع إمكان المرجع ، وقد أمكن هنا بجعله راجعاً إلى الألّة ، وهى الحَرْبة .

وقال المرزوقى (فى شرح الحماسة) : قوله (كأن قبسٌ) يجوز فيه الرفع والنّصب والجر . فإذا رفعت فعلى الضمير ، يريد كأنَّها قبسٌ يُعلى بها حين أشرعت . والقَبَس : النار . ومن نصَبَ فلأنّه أعمل كأنْ مخففة عملَها مثقّلة ، يريد كأنّ قَبسا يعلى بها ويكون الخبر يُعلَى بها . و مَن جَرَّ فقال : كأن قَبسٍ ، جعل أن زائدة وأعمل الكاف . انتهى .

ويجوز على النصب أن يكون يُعلَى صفة لقبس ، والخبر قوله بها .

(١) ش : « تقدير كلامه » ، صوابه فى ط .

(٢) الكلام بعده إلى كلمة « الحربة » ساقط من ش .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ عشرة أوردها أبو تمام (فى الحماسة) لمجمِّع بن هلال . قال : غزا مجَمِّع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يُريدُ بَنى سعدِ بن زيدِ مناةَ [١] فلم يصب شيئاً ، فرجع من غَزَاته تلك فمرَّ بماءٍ لبنى تميم عليه ناسٌ من بنى مجاشع فقَتل فيهم وأسَر ، فقال فى ذلك :

أبيات الشاهد

(إنْ أُمْسِ ما شيخاً كبيراً فطالما ... عَمِرتُ ولكنْ لا أرى العُمْرَ ينفعُ [٢]

مَضت مائةٌ من مَولِدى فنضَيْتها ... وخمسٌ تِباعٌ بعد ذاك وأربعُ [٣]

وخيلٍ كأسراب القطا قد وزَعتُها ... لها سَبَلٌ فيه المنيّةُ تلمعُ [٤]

شهدتُ ، وغُنْمٍ قد حويتُ ، ولذّةٍ ... أتيتُ ، وماذا العيش إلاّ التمتُّعُ

وعاثرةٍ يوم الهُيَيْما رأيتُها ... وقد ضمَّها من داخل الحُلْب مَجزَعُ

لها غَلَلٌ فالصَّدرُ ليس ببارحٍ ... شجىً نَشِبٌ ، والعينُ بالماء تدمعُ

تقولُ وقد أفردتُها مِنْ حليلِها : ... تَعِسْتَ كما أتعستنى يا مجمّعُ

فقلت لها : بل تَعْسَ أختِ مُجاشعٍ ... وقومِكِ حتّى خدُّك اليومَ أضرَعُ

عَبأتُ له رمحاً طويلاً وألّةً ... كأنْ قبسٌ يُعلَى بها حين تُشرَعُ

وكائن تركتُ مِن كريمةِ مَعْشرٍ ... عليها الخُموشُ ، ذاتُ حزنٍ تفجَّعُ)

٣٦١

قال المرزوقى : قوله : « إن أمس مَاشيخاً » ما زائدة . يقول : إن صرتُ شيخاً طاعنا فى السنّ هدفاً لِسهامِهِ فذلك حقٌّ ، لأنَّ من يَعيش يَكبَرُ [٥] ومن

---

(١) فى النسختين : « يزيد بن سعد بن زيد مناة » ، صوابه ما أثبت من شرح المرزوقى ٧١٣ . وليس فى قبائلهم يزيد بن سعد .

(٢) فى المعمرين للسجستانى ٣٢ : « إن أمس شيخا قد بليت فطالما » .

(٣) فى الحماسة : « فنضوتها » . وذكر المرزوقى أنهما روايتان . وفى المعمرين : « وعشر وخمس » ، وهذه الرواية هى التى تستقيم مع ذكر السجستانى أنه عاش ١١٩ سنة .

(٤) فى المعمرين : « فيارب خيل كالقطا » .

(٥) عند المرزوقى : « من يعش يكبر » بالجزم . وهو وجه جائز بقلّة . انظر ص ٤٤٩ .

يَكَبر يهرمُ ، وطول العُمر لا يجدى ، إذْ كان مؤدَّاه إلى الضَّعف ، وغايتُه الموت . ومعنى عَمِرتُ : بقيت وحَيِيتُ . والعُمْر : الحياة والبقاء .

وقوله : « مضت مائة » يقول : أتَتْ علىَّ مائةُ سنةٍ من ميلادى فألقيتُها ورائى ، كأنّى لبستها ثم خلعتها ، واستتبعت بعدها تسعا توالت . ويروى : « فنضوتها » يقال نضى ثَوْبَه يَنضُو ويَنضِى ، إذا نزعه ، لغتان .

وقوله : « وخمس تِباع » يقال تبع تِباعا ، فهو مصدرٌ وصف به . ويقال أيضا رميتُه بسهمين تباعا وِلاءً ، وتابعَ بينهما تِباعا .

وقوله : « وخيلٍ كأسراب » إلخ تذكّر بما كان منه [1] عند تناهى عمره [ما كان منه [2]] فى ريَعان شبابه ، فيقول : ربَّ خيلٍ تتوالى مبادرةً إلى الملتقى ، وتسترسل استرسال فِرَق القطا عند اندفاعها للورد ، أنا بعَثْتُها ولها عارضٌ يُمطِر بالموت ويلمع . والسَّبَل : المطر . ووزَعْتُها يجوز أن يكون معناه كففتُها عن التعجُّل ، ويجوز أن يكون قسَّمتها للتَّعبيَة أو للغارة ، لأنّه يقال وزَعت الشيء ووزَّعته جميعاً . وعلى الوجهين فتدبيرها كان إليه . وجملة « قد وزعتها » من صفة الخيل لأنّ جواب رُبّ فيما بعده . ولها سبَلٌ فى موضع الحال ، وفيه المنيّةُ من صفة السَّبَل ، وتلمع حالٌ من المنيَّة ، والعامل ما يدلُّ عليه الظَّرف .

وقوله : « شهدتُ وغُنْم » . إلخ يقول : ربَّ خيلٍ على هذه الصِّفة حضرتُها مدبِّراً لها ، وربَّ غنيمة تغنَّمتها ، وربَّ لذّة أتيتها . ثم أقبل كالملتفت فقال : وماالعيش إلاّ التمتع بهذه الأشياء . والتمتُّع : الانتفاع بالشيء زماناً طويلا .

---

(١) ط : « تذكر ما كان منه » ش : « يذكر ما كان منه » ، صوابهما ما أثبت من المرزوقى .

(٢) التكملة من ش ، وبدونها لا يستقيم الكلام .

وقوله : « وعاثرة يومَ » إلخ يقول : ربَّ امرأة فى هذا اليوم لتمكُّن الخوف منها وتملُّك الجزع قلبَها ، رأيتُها تعثُر لوجهها مخافة السِّباء ، وقد ضمَّها مَجزعٌ ، أى استولى عليها الخوفُ والقلق . وقوله : « من داخل الخُلب » بيَّن به منشأ الجزع ومقرَّه . والخُلْب : حجاب القلب .

وقوله : « لها غَلَلٌ فى الصَّدر » إلخ الجملة صفة لعاثرة . والغَلَل بفتحتين أصله الماء الجارى بين الشَّجَر ، فاستعاره لما تداخَلَها من الشَّجا . وروى : « غُلَلٌ » بالضم : جمع غُلّة . ولو كان كذا لقال ليست ببارحةٍ . والبارح : الزائل . وموضع قوله شجاً نشِبٌ رفع على البدل من غَلل . ويريد بِنشِبٌ أنّه عَلِقَ به كما ينشَب الصَّيْد فى الحبالة .

وقوله : « تقول وقد أفردتها » إلخ . تقول جواب رُبّ . والمراد : ربّ عاثرة هذه صفتُها فى يوم الهُيَيما [1] قالت لى بعد أن سبيتُها وفرَّقت بينها وبين زَوجِها بالقَتْل : سقَطتَ لوجهك ، ولا انتعشْتَ من عَثرتك يا مجِّمع .

وقوله : « فقلت لها » إلخ يقول : أجبتها بأن قلت : بل التَّعْس لك ولقومِكِ حين ضَيَّعوك وفعلوا ما أدَّى وبالُه إلى أن صار خدُّك اليوم ضارعا . وبل للإضراب عن الأوّل والإثبات للثانى . وأجرى تَعْساً فى الإضافة مجرى وَيْل ، وذاك أنّ المصادر التى اشتُقّ الأفعال منها إذا دُعِىَ بها تستعمل باللام لا غير ، تقول : تبٌّ لزيد ، وخُسْرٌ لعمرٍو . ومالم يشتقّ الفعل منه وهو ويلٌ وويحٌ وويسٌ ، إذا كان معها اللام رفعت ، وصارت باللام جُمَلا . وإذا أفردت عن اللام أضيفت ونُصِبَتْ .

٣٦٢

(١) الهُيَيْما ، قال ياقوت : موضع كانت فيه وقعة لبنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ، على بنى مجاشع . وضبطه بضم الهاء . وأنشد الأبيات الخامس والسابع والثامن . أما البكرى فقد ضبطه بضم الهاء وكسرها أيضا ، فيكون مما كسر أوله فى التصغير ، كما قالوا : شييم وبِيَيْت بكسر أولهما . انظر الاشتقاق ١٩١ والقاموس (بيت) . وعيّنه البكرى بأنه موضع فى ديار طيىء .

تقول : ويلٌ لزيد وويحٌ لعمرو فترفع ، وويلَ زيدٍ ووَيْحَ عمرٍو فتنْصِب . وهذا الشاعر قال بل تَعْسَ أختِ مجاشع ، فأجراه مجرى ويل ، والفعل منه يشتَقّ منه (١) . ومجاشع : قبيلة ، يقال أخت مجاشع كما يقال : يا أخا بكر ، ويا أخا تميم . وأضْرَع بمعنى ضارع . والضّراعة : الانسِفال (٢) فى خضوع .

وقوله : (عبأت له) إلخ أخذ يبيِّن كيف تمكّن من قتل زوجها . ويقال عبأت الخيل وعبَّأتها ، إذا هيّأتَها للحرب وعَبَّيتها أيضا . والمراد هيّأت له رمحاً طويلا وسِناناً لمَّاعاً براقا ، كأنّما يُعلَى به نارٌ إذا أُشرِع للطَّعن . والألّة بفتح الهمزة وتشديد اللام تستعمل فى الحرب (٣) وتُشهَر بها . وأصل الأليل البريق ، والمراد بها هنا السِّنان . وفى لسان العرب لابن مكرَّم : الألّة : الحربة العظيمةُ النَّصْل ، سمِّيت بذلك لبريقها ولَمَعانها . وفرق بعضهم بين الألّة والحَرْبة فقال : الألَّة كلُّها حديد ، والحربة بعضُها خشبٌ وبعضها حديد ، والجمع أَلٌّ بحذف الهاء ، وإلاَلٌ (٤) ككتاب . والألُّ أيضا : مصدر ألّه يؤُلّه ألاًّ : طعنه بالألّة . وتُشرَع ، مِن أشرعت الرُّمحَ إشراعا ، إذا صوَّبتَه للطَّعن .

وقوله : « وكائن تركت » إلخ نبَّه بهذا الكلام على أنَّ ما حكاه من حديث العاثرة لم يكن بدعاً مِنْه ، بل ذلك دأبُه مع أمثالها . وكائن : لغة فى كأيّن بالتشديد بمعنى كم للتكثير . يقول : كم امرأةٍ كانت كريمة عَشيرتِها تركتُها وهى تَخمِشُ وجهَها وتتفجَّع جزعاً على قيِّمها من بعلٍ أو أخ أو ابن . والخَمْشُ فى الوجه وفى سائر البدن مثل الخَدْش .

---

(١) عند المرزوقى : « مجرى ويل ، الفعلُ يشتق منه » .

(٢) وكذا فى شرح التبريزى . وعند المرزوقى : « الاستفال » ، وهو الوجه إن شاء الله .

(٣) ط : « فى الحرب » ، صوابه فى ش والمرزوق . وفى المرزوق بعده : « وتشتهر بها » .

(٤) ش : « والإلال » .

مجمع بن هلال

ومجَمِّع على وزن اسم الفاعل ، من جمَّعَ يجمِّع تجميعا . وهو شاعر جاهلىٌّ أورده أبو حاتم السجستانى (فى المعمرين) . ونسبُهُ كذا . قالوا : وعاش مجمِّع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن هِلال بن تيم الله بن ثَعلبة بن عُكابة بن صعب بن علىٍّ بن بكر بن وائل . عاش مائة سنة وتسعَ عشرة سنَةً ، فقال فى ذلك :

إنْ أُمس ماشيخاً كبيراً فطالما عَمِرتُ ولكنْ لا أرى العيشَ ينفعُ

إلى آخر الأبيات [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(أَزِفَ التَّرحُّلُ غير أنَّ ركابنا لَمّا تَزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ)

على أنَّ كأنْ المهملة لفظاً يجىء بعدها جملة خبرا ، وهى هنا محذوفة ، والتقدير : قد زالت بها . وجاز حذفُها لِدَلالةِ قوله : لما تزل برحالنا . واسمها المحذوفُ عند الشارح ضميرُ الشَّأن . والأَوْلَى جعله ضمير الرِّكاب لما تقدَّم ، وهى الإبل التى يُسار عليها ، الواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها .

و (أزِف) بفتح الهمزة وكسر الزاى بمعنى قرُب ودنا . وروى بدله : (أفِدَ) بكسر الفاء ، وهو بمعناه . و (الترحُّل) : الرحيل . ولمَّا نافيه بمعنى لم ، و (تَزُلْ) بضم الزاى من زال يزول ، بمعنى ذهب وانفصل . يقال زال عن موضعه يزول زوالاً . ويتعدَّى بالهمزة والتضعيف فيقال أزلته وزوَّلته . والباء للمعيَّة . و (الرِّحال) بالحاء المهملة : جمع رَحْل ، وهو كلُّ شىء يَعدُّ للرحيل ، من وعاءٍ

---

(١) الحق أنه أنشد الأبيات الأربعة الأولى فقط .

للمتاع ، ومركَبٍ للبعير ، وحِلْسٍ ورَسَن ، وما يستصحبه المسافرُ من المَتَاع والأثاث . وغَيْرَ هنا للاستثناء المنقطع.والمعنى قُرب الارتحال لكنّ إبلنا لم تذهبْ بمتاعنا إلى الآن مع عزمِنا على الرَّحيل ، وكأنَّها ذهبت . فجملة « قد زالت بها » المحذوفةُ فى محل رفع خبر لكأنْ . و « قد » تروى بكسر دالها للرَّوِىّ ، وبتنوينه للتَّرنُّم ، أى لقطعِه ، فإنَّ الترنُّم هو التغنّى ، والتغنِّى يحصُل بألف الإطلاق لَقَبولها لِمَدِّ الصّوتِ فيها ، فإذا أنشدوا ولم يترنَّموا جاءُوا بهذا التنوين . وبهذين الوجهين أروده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) .

٣٦٣

ونقل ابن الملا (فى شرحه) عن ابن جنى (فى الخصائص) أنّ الرواية هنا « قَدِى » بمعنى حسبى ، والياء ضميرٌ لا حرفُ إطلاق . وعليه يكون خبر كأنْ مفرداً لا جملة ، ويكون اسمها ضميرَ الترحُّل ، أى كأنّه قدِى ، أى كأنَّ ذلك الترحُّلَ حسبى .

والبيت من قصيدةٍ للنابغة الذبيانى ، تقدَّم فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٧٣ (تُمَشِّى بها الدَّرماءُ تسحَبُ قُصْبَها

كأنْ بطنُ حُبْلَى ذاتِ أُونينِ مُتْئِمِ)

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٧ — ٢٠٥ .

(٢) معانى الأشناندانى ٢٣ والعمدة ٢ : ١٥٢ والإنصاف ٢٠٤ واللسان (أون ١٨٢ مشى ١٥٠) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧٤ .

على أنّ (كأنْ) إذا وقع بعدها مفردٌ فاسمها يكون غير ضمير شأن . والتقدير : كأن بطنَها بطنُ حبلى . وإنمّا عدل عن ضمير الشأن لأنّ خبره لا يكونُ إلاّ جملة .

وهذا البيت ثانى بيتين أوردهما ابن دُريد [١] عن أبى عثمان سَعيد بن هارون الأُشناندانىّ (فى كتاب أبيات المعانى) ، قال : أنشدنى لرجل من بنى سَعد بن زيد مَناة :

(وخيفاءَ ألقَى اللَّيثُ فيها ذِراعَه   فسرَّتْ وساءت كلَّ ماشٍ ومُصْرِمِ

تُمَشِّى بها الدَّرماء تسحب قُصْبَها   .... البيت

خيفاء : روضة فيها رُطب ويَبيس ، وهما لونان : أخضر وأصفر . وكلُّ لونين خَيَفٌ ، وبه تسمَّى الفرس إذا كانت إحدى عينيها كحلاءَ والأخرى زرقاء . وسمِّىَ الخَيْفُ خيفاً لأنّ فيه حجارةً سُوداً وبِيضاً . وقوله : « ألقَى الليثُ فيها ذراعه » ، يقول : مُطِرتْ بنوء الذّراع ، وهى ذِراع الأسَد ، فسرَّت الماشىَ ، أى صاحب الماشية ، وساءت المُصرِمَ : الذى لا مال له ، لأنّ الماشىَ يُرعِيها ماشيتَه [٢] ، والمُصرِم يتلهَّف على ما يرى من حُسْنها وليس له ما يُرْعيها .

وقوله (تُمَشِّى بها الدَّرماء) يعنى الأرنب ، وإنمّا سمِّيت الدرماء لتقارُب خَطْوِها ، وذلك لأنَّ الأرانب تَدرِم درْماً [٣] تقارِبُ خَطْوَها وتُخفيه ، لئلاَّ يُقصَّ

(١) ط : « أبو زيد » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وقد طبع معانى الشعر للأشناندانى المتوفى سنة ٢٨٨ كما فى معجم الأدباء ١١ : ٢٣٠ برواية تلميذه أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . أما أبو زيد سعيد بن أوس فكانت وفاته سنة ٢١٥ .

(٢) وكذا فى معانى الشعر ٣٤ وحاول الشنقيطى أن يجعلها « يرعى ماشيته » .

(٣) الفعل من بابى ضرب ، وذهب .

أثرُها فيقال دَرْماء . وكان ينبغى أن يقول دارمة . وقوله (تُسحبُ قُصْبها) وهذا مثلٌ [١] . والقُصْب : المِعَى مقصور ، والجمع أقصاب . وإنّما أراد بالقُصْب البطن بعينه واستعاره . يقول : فالأرنب قد عظُم بطنها من أكل الكلأ وسَمِنت ، فكأنّها حبلى . و (الأونان) : العِدْلان . يقول : كأنَّ عليها عِدلين لخروج جنبيها وانتفاجهما [٢] . ويقال أوَّنَ الحِمارُ وغيرُه ، إذا شربَ حتى ينتفخ جنباه . انتهى . ونقلته من نسخةٍ بخطّ أبى الفتح عثمان بن جنى وعليها خطُّ أبى على الفارسى فى أوّلها وآخرها بالإجازة له ، ورواها عن ابن دريد عن الأشناندانىّ .

وكذا شرَحهما [٣] عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) .

وقوله : فيها رُطْب ويبيس ، الرُّطب بضم الراء : المرعى الأخضرُ من بُقول الربيع . وبعضهم يقول : الرُّطْبة كغرفة : الخَلاَ ، وهو الغضُّ من الكلأ . واليبيس من النَّبات ، على فعيل : ما يبِس منه . ٣٦٤

والنَّوء : سُقُوط نجمٍ من المنازل فى المغرب مع الفجرِ وطلوعُ رقيبهِ من المشرقِ يقابلُه من ساعته إلى ثلاثة عشرَ يوما . وهكذا كلُّ نجم منها إلى انقضاء السنة . وكانت العرب تُضيف الأمطارَ والرّياح والحَرَّ والبردَ إلى الساقط منها . وقال الأصمعى : إلى الطالع منها فى سُلطانه ، فتقول : مُطِرْنا بنوءِ كذا . وذراعُ الأسد : كوكبان نيِّران يَنزِلُهما القمر . واللَّيث من أسماء الأسَد .

والماشية : المال من الإبل والغنم ، وبعضهم يجعل البقرَ من الماشية . ومَشَى

(١) وكذا فى معانى الشعر بالواو قبل « هذا » .

(٢) فى معانى الشعر : « وانتفاخهما » بالخاء .

(٣) أى البيتين ، الشاهد وأخوه .

الرجل وأمشَى ، إذا كثُرت ماشيته . والمُصرِم : اسم فاعل من أصرمَ الرجلُ ، أى افتقر . و (تُمَشِّى) بتشديد الشين المكسورة : مبالغة تَمشِى [١] . وضمير بها لِخَيْفاء ، والدَّرماء بالدال المهملة : الأرنب . وجملة تَسحَبُ حالٌ من الدرماء . والقُصْب بضم القاف وسكون الصاد المهملة : اسمٌ فرد كعُسْر . فى الصحاح : هو المِعَى ، يقال هو يجُرُّ قُصْبه . وذاتِ صفةٌ أولى لحُبلى ، ومُتئِم صفةٌ ثانية . والأَوْن ، بفتح الألف وسكون الواو ، فى الصحاح : هو أحد جانبَي الخُرج . تقول : خُرْجٌ ذو أونين ، وهما كالعِدْلين . ومنه قولهم : أَوَّنَ الحمارُ ، إذا أكل وشرِب وامتلأ بطنه وامتدَّت خاصرتاه فصار مِثْلَ الأَوْن . والانتفاج بالجيم : الارتفاع ، يقال انتفج جَنْبا البعير أى ارتفعا . ومُتئم : اسم فاعل من أتأمت المرأةُ كأفعلَتْ ، إذا وضَعَت اثنين فى بطنٍ ، فهى متئم ، فإذ كان ذلك عادَتَها فهى مِتآم كمِفعال . والولدان توأمانِ يقال هذا توأَمُ هذا على فَوْعل ، وهذه توأَمةُ هذه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [٢] :

٨٧٤ (ويوماً تُوافينا بوجهٍ مقسَّمٍ كأنْ ظبية تَعْطُو إلى وارقِ السَّلَمْ)

على أنّه روى برفع (ظبية) ، ونصبها ، وجرّها .

---

(١) ويجوز ضبطها بتشديد الشين المفتوحة مع فتح التاء ، كما فى اللسان (أون ، مشى) ومعانى الأشناندانى ٢٣ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٨١ ، ٤٨١ . وانظر الكامل ٤٩ والأصول ١ : ٢٩٧ والقالى ٢ : ٢١٠ والمنصف ٣ : ١٢٨ وابن الشجرى ٢ : ٣ والإنصاف ٢٠٢ وابن يعيش ٨ : ٨٢ ، ٨٣ والمقرب ١ : ١١١/٢ : ٢٠٤ والضرائر ٥٩ ، ٣١٠ والمغنى ٣٣ والشذور ٢٨٤ والتصريح ١ : ٢٣٤ والهمع ١ : ١٤٣/٢ : ١٨ والأشمونى ١ : ٢٩٣/٣ : ٢٨٦ واللسان (قسم ٣٨٢) والأصمعيات ١٥٧ .

أما الرفع فيحتمل أن تكون ظبية مبتدأ وجملةُ تعطو خبره ، وهذه الجملة الاسمية خبر كأنْ ، واسمها ضمير شأن محذوف . ويحتمل أن تكون ظبية خبر كأنْ وتعطو صفتُها ، واسمها محذوف ، وهو ضمير المرأة ، لأنَّ الخبر مفرد . هذا تقرير كلامِه على وجه الرفع . ويَرِدُ على الوجه الأوّل أنّه لا يصح الابتداء بظبية لما تقدَّم فى قوله :

* كأن قَبَسٌ يُعَلى بها حين تُشرَعُ [١] *

والوجه الثانى هو الظاهر ، وهو كلام سيبويه كما تقدّم .

وقال الأعلم : الشاهد فيه رفع ظبية على الخبر ، وحذف الاسم ، والتقدير : كأنّها ظبية . وكذا قال ابن الشجرى وابن يعيش وغيرهم . قال ابن هشام (فى شرح أبيات ابن الناظم) : وفيه شذوذٌ لكون الخبر مفرداً مع حذف الاسم . وقال ابن الملاّ (فى شرح المغنى) : تُوافِينا إمَّا بلفظ الغيبة أو بلفظ الخطاب للمرأة ، على ما صرَّح به العينى ، فيكون التقدير فى حذف الاسم على الاحتمالين : كأنّها أو كأنّكِ . هذا كلامه .

وما نقله عن العينى لا أصلَ له ، وإنّما قال تُوافِينا فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، وهو الضمير الراجع إلى المرأة التى يمدحها .

وقول الشارح : « ويروى بنصب ظبية » على إعمال كأنْ ، هذا الإعمال مع التخفيف خاصٌّ بضرورة الشعر ، كما تقدَّم عن سيبويه فى :

* كأنْ وريديه رشاءا خُلْبِ *

وعليه يكون جملة تعطو صفة ظبية ، ولا يجوز أن تكون خبر كأنْ كما جوّزه العينىّ واقتصر عليه السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) ، وإن جاز الإخبار عن ٣٦٥

(١) الشاهد ٨٧٢ ص ٤٠١ .

النكرة فى باب إنّ لما قاله الشارح المحقّق فى آخر الباب ؛ لأنّه ليس مراد الشاعر الإخبار عن الظبية بما ذكر ، وإنّما مراده تشبيه المرأة بالظبية ، فالخبر محذوف قدَّرهُ ابن الناظم ظرفا ، قال : والتقدير : كأنّ مكانها ظبية . وقدّره الأعلم وابن الشجرى وابن السيد (فى أبيات المعانى) وابن يعيش وغيرهم ، ضميرها أو اسمَ إشارتها ، والتقدير : كأنّ ظبيةً تعطو إلى وارق السَّلَم هى أو هذه المرأة . قال ابن هشام : وهذا إنمّا يصح على جعل المشبَّه مشبَّها به وبالعكس ، لقصد المبالغة .

ومن رَوى بجرِّ ظبيةٍ فعلى أنّ أنْ زائدة بين الجار والمجرور ، والتقدير كظبية . وعدّ ابن عصفور زيادة أنْ هنا من الضرائر الشعرية . وقال ابن هشام (فى المغنى) : هو نادر .

وقد أورد المبرد هذه الأوجهَ الثلاثة (فى الكامل) قال : حدَّثنى التوَّزىُّ عن أبى زيدٍ قال : سمعت العربَ تنشد هذا البيت فتنصبُ الظبية وترفعها وتخفضها : أمّا رفعها فعلى الضمير ، يريد : كأنّها ظبية . وهذا شرط أنَّ وكأنَّ إذا خُفِّفتا ، إنما هو على حذف الضمير . وعلى هذا : ﴿ عَلِمَ أنْ سيَكونُ مِنْكم [1] ﴾ . ومن نصب فعلى غير ضمير ، وأعملها مخفَّفةً عملَها مثقّلة ، لأنَّها تعمل لشبهها بالفعل ، فإذا خفِّفت عملت عمل الفعل المحذوف ، كقولك : لم يك زيدٌ منطلقا ، فالفعل إذا حذف يعمل عمله تامًّا ، فيصير التقدير : كأنَّ ظبيةً تعطو إلى وارق السَّلَمِ هذه المرأة ، وحذف الخبر لِمَا تقدَّم مِن ذِكرِه . ومَنْ قال : كأنْ ظبيةٍ جعل أنْ زائدةً وأعمل الكاف ، أراد : كظبية ، وزاد أنْ . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت اختُلف فى قائله : فعند سيبويه هو لابن صُرَيم اليشكرى . وكذا قال النحاسُ والأعلم . وقال القالى (فى أماليه) : هو لأرقم اليشكرى . وقال

(١) الآية ٢٠ من المزمل .

أبو عبيد البكرى (فيما كتبه عليها) : هو لراشد بن شِهابٍ اليشكرىّ . ولم يرو المفضَّل هذا البيت فى قصيدته .

أقول : رأيتُ القصيدة التى أشار إليها لِراشدٍ ، وليس فيها هذا البيت ولا الأبيات الآتية .

وقال ابن المستوفى : هو لابن أصرمَ اليشكرىّ . ووجدته لعِلباء بن أرقم اليشكرى .

وقال ابن برى (فى حاشية الصحاح) : هو لباغت بن صُرَيم ، ويقال لِعلباء بن أرقم اليشكرىِّ ، قاله فى امرأته ، وهو الصحيح . وبعده :

أبيات الشاهد

(ويوماً تريـد مالَنـــا مَعَ مالها فإنْ لم نُنِلْها لم تُنمنا ولم تَنَمْ

تظـلُّ كأنَّـا فى خُصومٍ غَرامـةً تُسَمِّعُ جيرانى المآلـىَ والـقَسَمْ

فقلت لها : إلاَّ تناهَـىْ فإنّنـى أخو الشرِّ حتّى تَقرَعِى السِّنَّ مِن ندَمْ)

انتهى

وضبط ابن هشام باغتاً فقال : هو منقول من بَغته بالأمر ، إذا فاجأهُ به . ونقله العينىّ عنه ولم يزد عليه .

ونسب ابنُ الملاّ إلى العينىِّ شيئاً لم يقلْه ، قال : قال العينى : هو بالثاء المثلثة .

وقوله : (ويوماً توافينا) إلخ يوم ظرف متعلّق بتُوافِينا ، ولا يجوز أن يجرَّ بجعل الواو واوَ ربّ ، لأنّه لم يُرِدْ إنشاءَ التكثير ، وإنما أخبر عن أحوالها فى الأيّام . ولم يتنبَّه له العينىّ وله العذر ، لأنّه لم يقف على ما بعده ، فقال : وأنشده بعض شُرّاح المفصَّل بالجر ، وقال : الواو فيه واو ربّ . وتوافينا : تأتينا ، يقال وافيته موافاةً : أتيتُه .

وقال العينى ، وتبعه السيوطى : الموافاة هى المقابلة بالإحسانِ والخير ، والمجازاةُ الحسَنة . وفاعل توافينا ضمير المرأةِ التى يمدحُها ، والباء فى قوله بوجهٍ بمعنى مع . هذا كلامه . ٣٦٦

قال الأعلم : المقسَّم : المحسَّن ، وأصله من القَسِمات [١] ، وهى مَجارى الدّموع ، وأعالى الوجه ، ويقال لها أيضا التَّناصُف ، لأنّها فى منتصف الوجه إذا قُسِّم ، وهى أحسنُ ما فى الوجه وأنورُه ، فينسَب إليه الحُسْنُ فيقال له : القَسَام ، لظُهوره هناك وتبيُّنه . انتهى .

وقال المبرد (فى الكامل) : زعم أبو عبيدة أنَّ القسِمات مجارى الدُّموع ، واحدتها قسِمة بكسر السين فيهما . وقال الأصمعىّ القَسِمات : أعالى الوجه . ولم يبيِّنْهُ [٢] بأكثر من هذا . وقول أبى عبيدة مشروح . ويقال من هذا : رجلٌ قسيم ورجل مقسَّم ، ووجه قسيم ووجه مقسم [٣] . وأنشد البيت .

وقال القالى (فى أماليه) : يقولون قسيمٌ وسيم . فالقسيم : الحَسَن الجميل . والقَسَام : الحُسْن والجمال . وأنشد يعقوب بن السكيت :

* يُسَنّ على مَرَاغِمها القَسامُ [٤] *

---

(١) القسمة ، بكسر السين وفتحها كما فى اللسان والقاموس ، وإن لم يذكر البغدادى فى تفسيره إلا كسر السين .

(٢) ط : « يتبيّنه » ، صوابه فى ش والكامل ٤٩ .

(٣) ش : « ورجل مقسم » ، تحريف . والذى فى الكامل : « ووجه قسيم ومقسم » .

(٤) لبشر بن أبى خازم فى ديوانه ٢٠٢ والمفضليات ٣٣٤ واللآلى ٨٢٩ . وصدره :

* وأبلج مشرق الخدين فخم *

والرواية فيها جميعها : « على مراغمه » ، بعود الضمير إلى الوجه . ويروى : « مراغمها » بعوده على المرأة والمراغم : الأنف وما حولها .

وقال العجاج :

* وربِّ هذا البلدِ المقسَّمِ [(١)] *

أى المحسَّن . وقال أرقم اليشكرى . وأنشد البيت مع البيت الذى بعده فقط ، ثم قال : والوسيم : الحسَن الجميل أيضاً . والمِيسم : الحُسْنِ والجمال . انتهى .

وفرَّق بينهما الثعالبى (فى فقه اللغة) فقال : إنّ المرأة إذا كان حسنُها فائقاً كأنّه قد وُسِمَ فهى وَسيمة ، فإذا قُسِم لها حظٌّ وافرٌ من الحسن فهى قسيمة .

و (تعطُو) فسَّره المبرّد ، قال : تعطو : تَنَاوَلُ [(٢)] يقال عطا يعطو ، إذا تناول . وأعطيته : ناولتُه . انتهى .

وعليه لابدّ من تضمينه معنى تَميل ، لتعدِّيه بإلى . وفى القاموس : العطْوُ : التناول ، ورفعُ الرأس واليدين ، وظبى عطْوٌ مثلثة وكعدوّ : يتطاول إلى الشجر ليتناولَ منه . انتهى . وعليه فلا تضمين .

و (وارق) : لغة فى مُورق ، فإنَّه يقال : ورَق الشجر يَرِقُ ، وأورقَ يُورق ، وورَّقَ تَوريقاً ، إذا خرج ورقُه . وروى بدله : (إلى ناضِرِ السَّلم) من النَّضارة ، وهى الحُسْن . وأراد به خُضرته . و (السَّلَم) بفتحتين : ضربٌ من شجر البادية يعظُم ، وله شوكٌ ، واحدته سَلَمة . وقال المبرد : السَّلم شجرٌ بعينه كثيرُ الشَّوك ،

---

(١) الذى فى ديوانه ٥٩ :

وربِّ هذا البلـــــد المحرم والقاطنات البيتَ غير الرِّيَّم
أوالفاً مكة من ورق الحمى ورب هذا الأثر المقسم

(٢) الذى فى الكامل : « أى تتناول » .

فإذا أرادوا أن يحتطِبوه شدُّوه ثمَّ قطعوه . ومن ذلك قولُ الحجَّاج : « واللهِ لأحزِمنَّكُم حَزْمَ السَّلَمة » .

وقوله : « ويوما تُريد مالنا » إلخ ما موصولة فى الموضعين ، واللام مفتوحة فيهما (١) [أى (٢)] تطلب ما فى أيدينا من المال مع مافى يدها من المال ، فإن لم نعطها مطلوبَها آذتْنا وكلَّمتنا بكلامٍ يمنعنا النومَ ، ولم تَنَمْ هى لتحزُننا .قال ابن السيرافى : يريد أنّه يستمتع بحُسنها يوما وتشغله يوماً آخرَ بطلب مالَه ، فإنْ منعَها آذتْهُ وكلَّمته بكلامٍ يمنعه من النوم . والخُصوم : جمع خَصْم ، وهو مصدرٌ ، أى فى مخاصمات ، وهو منوّن . وعرامةً بالنصب ، وهى مصدر عَرَمَ يَعرم ، من بابَىْ نصر وضرب ، وعَرَامة بالفتح ، وهى الشَّراسة . والمآلى : جمع مِئلاة ، قال صاحب الصحاح : والمِئلاة بالهمز على وزن المعلاة : الخِرقة التى تُمسكها المرأة عند النَّوح وتُشير بها ، والجمع المآلى (٣) .

ورأيت (فى كتاب النساء الناشزات تأليف أبى الحسن المدائنى) قال : كانت امرأةُ عِلباءَ بن أرقم اليشكرىِّ قدْ فرِكَتْه فقال :

ألاَ تلكُم عِرسى تصدُّ بوجهها ... وتزعُم فى جاراتها أنَّ مَنْ ظلم
أبونا ولم أظلم بشىءٍ علمته ... سوى ما تَرونَ فى القذالِ من القِدَمْ (٤)

---

(١) هذا الضبط يتعارض مع قوله : « من المال » . وضبطت فى الأصمعيات ١٥٨ : « مع مالها » بكسر اللام الثانية .

(٢) التكملة من ش .

(٣) كذا . ويبدو أنها جمع مألَى ، تكون مصدر ميميًا من ألاَ يألو ألوة بتثليث أوّله ، وألِيَّةً أيضا على فعيلة ، إذا حلف . على أن رواية الأصمعيات : « وتسمع جاراتى التألّىَ والقَسَمْ » .

(٤) وكذا فى الأصمعيات ١٥٧ . لكن فى ط : « من الفوم » بالفاء ، ولا وجه له . وفى الأصمعيات : « بشىء عملته سوى ما ترين » .

٣٦٧ نَظَلُّ كأنّا فى خُصومٍ عرامةً تسمَّعُ جيرانى التألِّىَ والقسَمْ
فيوما تريد مالنا مع مالَها .... إلى آخر الأبيات

وكذا رأيت فيما كتبه ابن السِّيد (على كامل المبرد) ، إلا أنّه قال : لِعِلْباءِ ابن أرقم العِجْلىّ . وكأنّه تحريف من الناسخ . وروى البيت الثانى كذا :

* سوى ما أبانت فى القَذالِ من القِدَمْ *

ومَن نُسِبَ إليهم هذا الشعرُ كلُّهم شعراء جاهليُّون .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٧٥ (فلَسْتُ بآتيهِ ولا أستَطِيعُهُ ولاكِ اسقِنى إنْ كانَ ماؤك ذا فَضْلِ)

على أنّ حذف النون من لكنْ لالتقاء الساكنين ضرورةٌ تشبيهاً بالتنوين ، أو بحرف المدّ واللين ، من حيث كانت ساكنةً وفيها غُنّة ، وهى فَضْلُ صوتٍ فى الحرف ، كما أنَّ حرف المدّ واللين ساكنٌ ، والمدُّ فَضْلُ صوتٍ .

وكذا أورده سيبويه (فى باب ضرورة الشِّعر من أول كتابه) قال الأعلم : حذفَ النونَ لالتقاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ، وكان وجه الكلام أن يَكسِرَ لالتقاء الساكنين ، شبَّهها فى الحذْفِ بحرف المدّ واللين إذا سكنَتْ وسكنَ

---

(١) فى كتابه ١ : ٩ . وانظر المعانى الكبير ٢٠٧ والخصائص ١ : ٣١٠ والمنصف ٢ : ٢٢٩ والأزهية ٢٩٦ وأمالى المرتضى ٢ : ١١١ وابن الشجرى ١ : ٣٨٥ وحماسته ٢٠٧ والإنصاف ٦٨٤ وابن يعيش ٩ : ١٤٢ والضرائر ١١٥ والمغنى ٢٩١ والهمع ٢ : ١٥٦ والأشباه والنظائر ١ : ٢٠١ والأشمونى ١ : ٢٧١ .

ما بعدها ، نحو يغزُو العدوَّ ، ويقضى الحقَّ ، ويخشَى اللهَ [١] . ومما استُعمِل محذوفا نحو : لم يكُ ولا أَدْرِ . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للنجاشيِّ الحارثى . وقبله :

أبيات الشاهد

(وماءٍ كلون الغِسْل قد عاد آجناً ... قليلٍ به الأصواتُ فى بلدٍ مَحْلِ
وجدتُ عليهِ الذئبَ يَعوِى كأنّه ... خليعٌ خلا من كلِّ مالٍ ومن أهلِ [٢]
فقلتُ له : يا ذئبُ هل لكَ فى فتىً ... يُواسى بلا مَنٍّ عليكَ ولا بُخْلِ [٣]
فقال : هداك اللهُ للرُّشدِ إنمّا ... دعوتَ لِمَا لم يأتِهِ سَبعٌ قَبلِى
فلستُ بآتيه ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقنى إنْ كان ماؤك ذا فَضْل
فقلت : عليكَ الحوضَ إنّى تركتُه ... وفى صَغْوِهِ فَضْلُ القَلوصِ من السَّجْلِ
فطرَّبَ يستعوى ذِئاباً كثيرةً ... وعَدَّيت ، كلٌّ مِن هواهُ على شُغْلِ)

وهذه القطعة أوردها ابن قتيبة (فى كتاب أبيات المعانى) ، والشريف المرتضى (فى أماليه) ، والشريف الحُسَينى (فى حماسته) .

وكان النجاشىُّ عرض له ذئبٌ فى سفَرٍ له ، فدعاه إلى الطَّعام وقال له : هل لك مَيلٌ فى أخٍ ، يعنى نفسَه ، يواسيك فى طعامه بغير مَنٍّ ولا بخل ؟ فقال له الذئب : قد دعوتَنى إلى شئ لم يفعله السِّباع قبلى من مؤاكلة بنى آدم ، وهذا لا يمكنُنى فِعلُه ، ولستُ بآتيه ولا أستطيعه ، ولكن إن كان فى مائك الذى مَعك فضلٌ عمَّا تحتاج إليه فاسقنى منه . وهذا الكلام وضَعه النجاشىُّ على لسان الذئب ، كأنّه اعتقد فيه أنّه لو كان ممن يعقل أو يتكّلم لقال هذا القول . وأشار

---

(١) كتبت هذه الأفعال الثلاثة عند الشنتمرى بحذف حروف العلة فى كتابتها أيضا .

(٢) فى المعانى الكبير : « كلون البول » .

(٣) فى المعانى الكبير : « هل لك فى أخ يواسى بلا إثر » .

بهذا إلى تعسُّفه للفلوات التى لا ماء فيها ، فيهتدى الذئبُ إلى مظانّه فيها لاعتياده لها . والغِسْل بكسر الغين المعجمة : ما يُغسَل به الرأسُ من سِدر وخِطمّي ونحوِ ذلك . يريد أنَّ ذلك الماء كان متغيّرَ اللون من طول المُكث ، مخضرًّا ومصفرًّا ونحوَهُما . والآجن ، بالمد وكسر الجيم : الماء المتغيِّر الطعمِ واللَّون .

٣٦٨

وقوله : « قليل به الأصواتُ » يريد أنّه قفرٌ لا حيوانَ فيه . والبلَد : الأرضُ والمكان . والمحل : الجَدْب ، وهو انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ . والخليع : الذى خلعَه أهلُه لجناياته وتبرَّءُوا منه . وعليك : اسم فعل بمعنى الزمْ ، والحوض مفعوله . والصِّغْو بفتح الصاد المهملة وكسرها وسكون الغين المعجمة : الجانب المائل . والسَّجل بفتح السين المهملة وسكون الجيم : الدلو العظيمة . وطرَّب فى صوته بالتشديد : رجَّعه ومدَّده . كذا فى المصباح .

النجاشى الشاعر

والنجاشى اسمه قَيْس بن عمرو بن مالك ، من بنى الحارث بن كعب . قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : كان النجاشىُّ فاسقاً رقيقَ الإسلام ، ومرَّ فى شهر رمضانَ بأبى سماكٍ العدوىِّ [١] بالكوفة فقال له : ما تقولُ فى رءوس حُمْلان فى كَرِشٍ فى تنُّور قد أينع من أوّل الليل إلى آخره [٢] . قال : ويحك فى شهر رمضانَ تقول هذا ؟ قال : ما شهر رمضان وشوَّالٍ إلاّ سواء . قال : فما تسقينى عليه ؟ قال : شراباً كأنّه الوَرْس ، يُطِيِّب النفْس ، ويجرى فى العظام ، ويُسهِّل الكلام [٣] . ودخلا المنزلَ فأكلا وشربا ، فلمَّا أخذ فيهما الشراب تفاخرَا وعلت أصواتُهما فسمع جارٌ لهما [٤] فأتى عليَّ بنَ أبى طالب رضى الله

(١) فى الشعراء ٣٢٩ : « بأبى سَمَّالٍ الأسدى » ، وهو الصواب . وانظر ما كتب العلامة أحمد شاكر فى حواشيه من تحقيق .

(٢) فى الشعراء : « فى تنور من أول الليل إلى آخره قد أينعت وتهرأت » .

(٣) فى الشعراء : « ويسهل للفدم الكلام » .

(٤) فى الشعراء : « فسمع ذلك جار لهما » .

عنه فأخبره ، فأرسل فى طلبهما . فأمّا أبو سماكٍ فانه شَقَّ الخُصَّ فهرب ، وأُخذ النجاشىُّ فأُتِىَ به علىُّ بنُ أبى طالب فقال : ويحك وِلدانُنا صيامٌ وأنت مفطر ! فضربه ثمانينَ سوطاً ، وزداه عشرين سوطا ، فقال : ما هذه العِلاوة يا أبا الحسن ؟ قال : هذه لِجُرأتِك [١] على الله فى شهر رمضان . ثمّ رفعه للناس فى تُبّان [٢] .
فهجا أهل الكوفة فقال :

إذا سقى اللهُ قوماً صوبَ غاديةٍ ... فلا سقى اللهُ أهلَ الكوفة المَطراَ
التاركين على طُهـرٍ نساءَهـمُ ... والناكحين بشطَّىْ دِجلةَ البقرَا [٣]

ومن جيِّد شعره فى معاوية :

يأيُّهـا الملك المبـدِى عداوتَـه ... روِّئْ لنفسك أىَّ الأمر تأتمرُ [٤]
وما شعرتُ بما أضمرتَ من حَنَقٍ ... حتَّى أتتنى به الأنباءُ والنُّذرُ
فإنْ نفِستَ على الأقوام مجدَهم ... فابسُطْ يديك فإنّ المجدَ مُبتدَرُ
واعلَم بأنَّ عَلِىَّ الخَيْرِ من بشرٍ ... شمِّ العرانينِ لا يعلوهمُ بشَرُ [٥]
نِعم الفتى هو ، إلاّ أنَّ بينكما ... كما تفاضَلَ نورُ الشَّمسِ والقمرُ [٦]

---

(١) ط فقط : « لجراءتك » .

(٢) فى الشعراء : « ليروه فى تبان » . والتبان ، كرمان : سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين .

(٣) بعده فى الشعراء ومعجم ياقوت (الكوفة) :

والسارقين إذا ما جن ليلهم ... والطالبين إذا ما أصبحوا السورا

وفى البلدان : « والدارسين إذا ما أصبحوا » ، وزاد ياقوت رابعا ، وهو :

ألق العداوة والبغضاء بينهم ... حتى يكونوا لمن عاداهم جزرا

(٤) الشعراء ٣٣٢ ووقعة صفين ٣٧٢ . وفى وقعة صفين : « يأيها الرجل » .

(٥) وقعة صفين : « من نفر مثل الأهلة » .

(٦) الشعراء ووقعة صفين : « ضوء الشمس » .

وما أظنُّك إلاَّ لستَ منتهياً حتَّى يمسَّك من أظفارهم ظُفرُ[١]
إنِّى امرؤٌ قلَّما أُثنى على أحدٍ حتَّى أرى بعضَ ما يأتى وما يذَرُ
لا تحمَدنَّ أمرأ حتّى تجرِّبَه ولا تَذُمَّنّ مَن لم يَبلُه الخُبُرُ

انتهى .

وقد مضى له خبرٌ مع أُبىّ بن أبى مُقبل ، فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٧٦ (لَعَاءَ اللهَ فَضَّلكم علينا بشىءٍ أنّ أُمَّكمُ شَرِيمُ)

على أنَّ (لَعَاءَ) لغةٌ فى لَعلّ كما فى البيت . ولم أر من أنشده كذا إلا ابنَ الأنبارىّ (فى كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف) قال : إنمّا حذفت اللام الأولى من لَعّل كثيرًا فى أشعارهم لكثرتها فى استعمالهم ، ولهذا تلعَّبت العرب بهذه الكلمة فقالوا : لعلَّ ، ولعلْنَ ، ولَعنَّ بالعين غير معجمة . قال الراجز : ٣٦٩

حتّى يقولَ الراجز المنطَّقُ لَعَنَّ هذا معه معلَّقُ [٤]

ولَغَنّ بالغين معجمة . وأنشدوا :

ألا يا صاحبىَّ قفا لَغَنّا نَرى العَرَصاتِ أوْ أَثَرَ الخيامِ [٥]

---

(١) الشعراء ووقعة صفين : « وما إخالك » ، و « من أظفاره » .
(٢) الخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٣ .
(٣) المقرب ١ : ١٩٣ والعينى ٣ : ٢٤٧ والتصريح ٢ : ٢ والأشمونى ٢ : ٢٠٤ .
(٤) ط : « المنعلق » ، وأثبت ما فى الإنصاف ٢٢٥ مطابقا لما فى ش مع أثر تغيير فيها .
(٥) للفرزدق فى ديوانه ٣٨٥ والنقائض ١٠٠٤ واللسان (لغن) .

ورَعَنَّ ، وعَنَّ ، وغَنّ ، ولغَلَّ ، وغَلّ [١] ، ولَعَاءَ . قال الشاعر :

لعـاءَ اللهَ فضَّلـه عليكـم ... بشيءٍ أنّ أُمَّكُمُ شَرِيـمُ [٢]

وقال الآخر :

أرى شِبْهَ القُفول ولستُ أدرِى ... لَعَـاءَ اللهَ يجعلـه قُفـولاَ

فلما كثُرت هذه الكلمة فى استعمالهم حذفوا اللام . وكان حذف اللام أولى من العَين وإن كان أبعدَ من الطَّرَف ، لأنَّه لو حذف العين لأدَّى إلى اجتماع ثلاث لامات [٣] . انتهى .

والهمزة من (لَعَاءَ) مفتوحة كما فى لعلَّ . ولفظُ الجلالة فى البيتين منصوبة على إعمال لعاءَ عمل إنّ . ولا يجوز جرُّها ، فإنَّ الجارة إنمّا هى : لعلّ ، وعلّ ، بفتح لامهما وكسرهما .

والمشهور فى إنشاد البيت :

* لَعَلِّ اللهِ فضَّلَكُمْ علينا *

وكذا أنشده ابن السكيت بكسر لام لعلّ وجرِّ الجلالة ، وكذا رواه المرادى (فى الجنى الدانى) ، وابن الناظم ، وابن عَقيل ، وابن هشام (فى شروحهم للألفِيَّة)

واللغات العشرة التى ذكرها الشارح المحقّق ، غير لعاءَ ، ذكرها ابن مالك (فى التسهيل) ، وزاد عليها المرادى (فى الجنى الدانى) لغةً أخرى وهى رَعَلَّ

(١) ما بعده إلى نهاية الشاهد الأخير فى هذا النص ساقط من نسخة الإنصاف المطبوعة بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين .

(٢) لم أجد له نسبة ، وتخريجه فى معجم الشواهد .

(٣) بعده فى الإنصاف : « فيؤدى ذلك إلى الاستثقال لأجل اجتماع الأمثال » .

بالراء بدل اللام الأُولَى . وأورد ابن الأنبارى فى لغاتها (لَعَلْنَ) بإبدال اللام الثالثة نونا . وأورد صاحب القاموس أيضاً فى لغاتها لَوَنّ بفتح اللام والواو وتشديد النون المفتوحة ، فتصير لغاتها أربع عشرةَ لغة [١] .

وقد اختلف أهل المِصْرَيِن فى اللُّغة الأصليّة : فقال البصريون : الأصل عَلّ . وقال الكوفيُّون : الأصل لَعلَّ . ونقل ابنُ الأنباريّ دليلَ الفريقين ورجّح قول الكوفيِّين . ولا بأس بإيراده مختصراً ، قال :

ذهب الكوفيُّون إلى أنَّ اللام الأولى فى لعلَّ أصليَّة ، وقالوا : لأنّها حرفٌ ، وحروف الجرِّ كلُّها أصليَّة ، لأنَّ حروفَ الزيادة تختصُّ بالأسماءِ والأفعال . والذى يدلُّ على ذلك أيضاً أنَّ اللام خاصّةً لا تكاد تُزاد بما تجوز فيه الزيادة إلاّ شاذًّا ، نحو : زَيدلٍ وعَبدلٍ ، وفحجل [٢] ، فى كلماتٍ معدودة .

وذهب البصريُّون إلى أنَّها زائدة ، وقالوا : لأنَّا وجدناهم يستعملونها كثيراً عارية عن اللام [٣] ، ولهذا حكمنا بزيادة اللام فى عبدلٍ ونحوه ، لأنّ عبدًا أكثر استعمالا منه . والذى يدلُّ على زيادتها أنَّها مع أخواتها إنمّا علمت النصب والرفع لشبهها بالفعل ، لأنّ أنَّ مثل مَدّ ، وليت مثل ليس ، ولكنَّ أصلها كِنّ رُكبت معها لا كما ركِّبت لو مع لا ، وكأنَّ أصلها أنَّ أُدخِلت عليها كاف التشبيه . فلو قلنا إنّ لعلَّ أصلية لأدَّى ذلك إلى أن لا تكون على وزنٍ من الأفعال الثلاثية والرباعية [٤] . ٣٧٠

---

(١) ط : « أربع عشر لغة » ، صوابه فى ش .

(٢) فى اللسان (فحج) : « والفَحْجَل : الأفحج ، زِيدت اللامُ فيه ، كما قِيل : عددٌ طَيْسٌ وطَيْسَلٌ ، أى كثير .

(٣) فى الإنصاف ٢٢٣ : « عارية عن اللام فى معنى إثباتها » .

(٤) الانصاف ٢٢٤ : « أو الرباعية » .

والصحيح مذهبُ الكوفيين .

وقول البصريِّين : إنّا وجدناهم يستعملون لعلّ بغير لام ، فجوابهم : إنَّما حذفت كثيراً لكثرة الاستعمال .

وأما قولهم : لمَّا وجدناهم يستعملونها مع حذف اللام فى معنى إثباتها دلَّ على أنّها زائدة كلاَمِ عبدلٍ ، فجوابُهم : أنّ هذا إنمّا يعتبر فيما يجوز أن يدخل فيه حروف الزيادة . وأمَّا الحروف فلا يجوز أن يدخل فيها حروف الزيادة .

وأما قولهم : إنّ هذه الحروفَ إنمّا عَمِلَتْ لشبه الفعل ، فجوابُهم : أنّا لا نسلِّم أنَّها إنَّما عمِلَتْ لشبه الفعلِ فى لفظه فقط ، وإنمّا عملت لأنَّها أشبهَتْه لفظاً ومعنى من عدة وجوه :

أحدُها : أنّها تقتضى الاسم ، كما أنَّ الفعل يقتضيه .

والثانى : أنَّ فيها معنى الفعل ، فإنَّ وأنَّ بمعنى أكَّدت . وكأنَّ بمعنى شبَّهت ، ولكنَّ بمعنى استدرَكتُ ، وليت بمعنى تمنَّيْتُ ، ولعلَّ بمعنى ترجَّيت . وأنَّها مبنيَّة على الفتح [١] كالماضى . وهذه الوجوه من المشابهة بين لعلَّ والفعل لا تَبْطُلُ بأن لا تكون على وزن من أوزانه ، وهى كافيةٌ فى إثبات عملها بحكم المشابهة . انتهى .

وقول الشاعر:(لعاءَ الله فضَّلكم علينا) جملة فضَّلكم فى موضع رفع خبَرٌ للعاءَ بمعنى لعلَّ . وأما على رواية « لعلِّ اللهِ فضلّكم » بجر الجلالة فلعلّ حرف جرّ لا يتعلّق بشىء ، لأنّه يشبه الزائد ، ولفظ الجلالة فى موضع رفع بالابتداء ، منع

(١) فى الإنصاف ٢٢٦ : « و [الثالث] أنها مبنية على الفتح » ، بإضافة كلمة والثالث بين معكفين . وهو الوجه .

رفعه حركة الجّر ، وجملة فضّلكم خبر المبتدأ . والشَّريم ، وكذلك الشروم [١] : المرأة المُفْضَاة ، وهى التى صار مَسلكاها واحداً .

والبيت لم أقفْ على تتمته ولا على قائله . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٧٧ (فقُلْتُ : ادْعُ أُخرَى وارفعِ الصَّوتَ جَهرةً
لعلَّ أبِي المغوارِ مِنْكَ قريبُ)

على أنّ (لعلَّ) فى لغة عُقَيل جارّة كما فى البيت . ولهم فى لامها الأولى الإثباتُ والحذف ، وفى الثانية الفتح والكسر .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : حكى أبو زيدٍ أنّ لغة عُقيل لعلِّ زيدٍ منطلقٌ بِكسر اللام الآخرة من لعلّ وجرِّ زيد . قال كعب بن سعدٍ الغنوى :

فقلت ادعُ أخرى وارفع الصَّوت ثانياً لعلِّ أبى المغوار .... البيت

وقال أبو الحسن : ذكر أبو عبيدة أنّه سمع لام لعلّ مفتوحة فى لغة من يجرّ [٣] فى قول الشاعر [٤] :

لعلَّ اللهِ يمكِنننى عليها جهاراً من زُهيرٍ أو أَسيدِ انتهى

---

(١) فى ش : « وكذلك الشريم » وعلق عليه الشنقيطى بقلمه : « كذا بخط المؤلف ، والصواب الشروم . قال فى القاموس : والشروم والشريم والشرماء : المرأة المفضاة . اهـ منه . كتبه محمد محمود بن التلاميد » .

(٢) نوادر أبى زيد ٣٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٧ والعينى ٣ : ٣٤٧ ورصف المبانى ٣٧٥ والمغنى ٢٨٦ ، ٤٤١ والهمع ٢ : ٣٣ ، ١٠٨ والتصريح ١ : ١٥٦ ، ٢١٣ والأشمونى ١ : ١٢٤ / ٢ : ٢٠٥ والأصمعيات ٩٦ .

(٣) ط : « من يجوز » ، صوابه فى ش واضحا .

(٤) هو خالد بن جعفر ، كما سيأتى . وهو الشاهد ٨٧٨ .

ونقل ابن مالك وغيره اللغتين الأُخريين فى عَلّ كما نقل الشارح المحقّق . وعُقَيل بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمةَ بن خَصَفة ، بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة بعدها فاء ، ابن قيس بن عيلان بن مضر . كذا فى جمهرة الكلبى .

وقول الشارح المحقق : « وهى مشكلةٌ لأنَّ جرَّها عملٌ مختصٌّ بالحروف » إلخ أقول : لا إشكال فإنَّها موضوعةٌ بوضعين : فهى موضوعة عند قوم لعمل النصب والرفع معاً ، وعند قوم أُخَر لعمل الجرّ كوضعِ لفظٍ لأمرين مختلفين . فعملُها للرفع والجرّ بوضعين لا بوضعٍ واحدٍ خلافاً للشارح فى قوله : « وكون حرف عامل عملَ الحروف والأفعال فى حالةٍ واحدة مما لم يثبت » ، وإن أراد من الحالة الواحدة كونَها لمعنىً واحد ، وهو الترجِّى فى العملين فلا بِدْعَ ، ولها نظائرُ منها : خلا ، وعدا ، وحاشا فى الاستثناء فإنَّها تكون تارة فعلاً فترفع وتنصب ، وتارة حرفاً فتجرّ ، والمعنى فى العملين واحد . وإن أراد الحرفيَّة فى العملين ، فممنوعٌ أيضا ، فإنَّ لات تعمل عمل ليس وتكون حرفَ جرٍّ أيضا ، وهى حرفٌ فى العملين . بلْ فى عمل لعلَّ الجرَّ إدخالُها فى قولهم : ما اختصّ بقبيلٍ ولم يكن كالجزء منه حقُّه أن يعمل العمل الخاصَّ به . ففيه مراجعةُ أصلٍ مرفوض . وإنّما خرجت مع أخواتها عن هذا الأصل لشبهها بالفعل ، ولذلك قال الجُزوليُّ : « وقد جرُّوا بلعلّ منَبْهةً على الأصل » .

٣٧١

وقول الشارح المحقق : « وأيضا الجارّ لابدَّ له من متعلّق ، ولا متعلّق ههنا » إلخ أقول : هى من جملة حروف جرّ لا تتعلَّق بشىء . قال ابن هشام (فى المغنى) : اعلَم أنَّ مجرور لعلّ فى موضع رفع بالابتداء ، لتنزيل لعلَّ منزلةَ الجارِّ الزائد فى نحو : بِحَسبك درهم ، بجامع ما بينهما من عدمَ التَّعلُّق بعامل . وقوله :

قريب ، خبر ذلك المبتدأ . ومثله : لولاى لكان كذا ، على قول سيبويه إنّ لولا جارّة ؛ وقولُك : ربَّ رجلٍ يقول ذلك ، ونحوه . انتهى .

وقد ذكر فى الباب الثالث منه الحروفَ التى لا تتعلَّق بشىء ، قال : يستثنى من قولنا : لابدَّ لحرف الجرِّ من متعلَّق ، ستّةُ أمور :

أحدها : الحرفُ الزائد كالباء ومِنْ ، فى قوله : ﴿ وكَفَى باللهِ شَهيداً [١] ﴾ ، و ﴿ هل مِنْ خالقٍ غير الله [٢] ﴾ . وذلك لأنّ معنى التعلُّق الارتباطُ المعنوىّ . والأصل أنّ أفعالاً قصُرت عن الوصول إلى الأسماء فأُعينت على ذلك بحروف الجرّ ، والزائد إنمَّا دخل فى الكلام تقويةً له وتوكيداً ، ولم يدخل للرَّبط .

الثانى : لعلّ فى لغة عُقيل ؛ لأنَّها بمنزلة الحرف الزائد . ألاَ ترى أنّ مجرورها فى موضع رفعٍ بالابتداء ، بدليل ارتفاع ما بعده على الخبريَّة ، قال :

* لعلِّ أبى المغوار منك قريبُ *

ولأنّها لم تدخل لتوصيل عاملٍ ، بل لإفادة معنى التوقُّع . ثم إنَّهم جرُّوا بها مَنبهةً على أنّ الأصل فى الحروف المختصَّة بالاسم أنْ تعمل الإعرابَ المخْتصَّ به كحروف الجر .

الثالث : لولا ، فيمَنْ قال : لولاى ولولاكَ ولولاه ، على قول سيبويه : إنّ لولا جارّة للضَّمير ، فإنَّها أيضا بمنزلة لعلَّ فى أنَّ ما بعدها مرفوعُ المحلِّ بالابتداء ، فإنّ لولا [٣] الامتناعيَّة ، تستدعى جملتين كسائر أدوات التعليق .

---

(١) الآية ٧٩ ، ١٦٦ من سورة النساء .

(٢) الآية ٣ من سورة فاطر .

(٣) فى الأصل : « وإن لولا » ، صوابه من المغنى ٤٤١ .

والرابع : رُبَّ [فى نحو : ربَّ [1]] رجلٍ صالحٍ لقيتُه ، أو لقيت ، لأنّ مجرورها مفعول فى الثانى ومبتدأ فى الأول ، أو مفعول ، على حدِّ : زيداً ضربته ، ويقدَّر الناصب بعد المجرور لا قبل الجارِّ ، لأنَّ رُبَّ لها الصدر من بين حروف الجر ، وإنمَّا دخلت فى المثالين لإفادة التكثير أو التقليل ، لا لتعدية عامل .

الخامس : كاف التشبيه ، قاله الأخفشُ وابنُ عصفور ، مستدلِّين بأنّه إذا قيل : زيدٌ كعمرٍو ، فإن كان المتعلّق استقرّ فالكاف لا تدلُّ عليه ، وإن كان فعلاً مناسبا للكاف وهو أشبّه فهو متعدٍّ بنفسه . والحقُّ أنّ جميعَ الحروف الجارّة الواقعةِ فى موضع الخبر ونحوه تدلُّ على الاستقرار .

السادس : حروف الاستثناء ، وهى : خلا ، وعدا ، وحاشا إذا خُفضن ، فإنَّهنَّ لتنحية الفعل عمَّا دخلن عليه ، كما أنّ إلاّ كذلك ، وذلك عكسُ معنى التعدية ، وهو إيصال معنى الفعل إلى الاسم . انتهى باختصار .

وقول الشارح المحقق وفى البيت [2] الذى أنشدناه : « إن رُوِى بِفتح اللام الأخيرة يحتمل أن يقال : اسم لعلّ وهو ضمير الشأن مقدَّرٌ » إلخ ويكون لأبى المغوار خبر مقدَّم وقريبٌ مبتدأ مؤخر بتقدير موصوف ، ومنك حالٌ من ضمير قريب ، والجملة خبر ضمير الشأن . وهذا قول ابن عصفور ، قال (فى شرح الجمل) : واستَدَلَّ الذى ذهب إلى أنّ لعلَّ مفتوحة اللام من حروف الخفض ، بقوله « لعلّ أبى المغوار » . وهذا لا حجَّة فيه عندى ، لأنّه قد استقّر فى لعلّ المفتوحةِ اللام أن تنصب وترفع. فإن أمكن إبقاؤُها على ما استقرَّ فيها كان أولى . وقد أمكن ذلك بأنْ يكون اسم لعلّ ضمير الشأن محذوفاً ، يريد لعلَّه ، على حدِّ حذفِه فى قول الآخر : ٣٧٢

(١) التكملة من ش والمغنى .

(٢) كذا فى النسختين بإثبات الواو قبل « فى » .

إنّ من لامَ فى بنى بنت حَسّا ن .... البيت (١)

ويكون أبى المغوَارِ مخفوضاً بحرف جرّ محذوف ، لفَهْمِ المعنى ، تقديره : لعلَّ (٢) لأبى المغوار منك جوابٌ قريب . ونظيره قول الآخر : « لاهِ ابنُ عمك (٣) » ، يريد : لله ابنُ عمك ، ويكون قريب صفة موصوف محذوف . وحَمْله على هذا أولى وإن كان فيه ضرورتان : حذف ضمير الشأن ، وحذف حرفِ الجرّ وأبقاءُ عمِله .

واستدلَّ الذى ذهب إلى أنَّ لعلَّ المكسورة اللام حرفُ جر ، بقوله :

لعلِّ اللهِ فضَّلكم علينا ... البيت .

بخفض اسم الله . وهذا عندى ينبغى أن يُحمَل على ظاهره ، لأنّه لم يستقر فى المكسورة اللام عملُ النَّصب والرفع . انتهى كلامه .

وكأنه لم يبلغْه فتح لام الجارَّة عن أبى عُبيدة كما نقلناه (٤) .

وقول الشارح المحقق : « ويجوز أن يقال ثانى لامَىْ لعلّ محذوف » إلخ ، هذا القولُ وما بعده فى رواية كسر اللام للفارسىّ ، قال (فى كتاب الشعر ، فى باب ما لحق الحروفَ من الحذف) : يجوز تخفيف لعلّ كما يخفف أنّ وكأنّ . وعلى التخفيف يُعلم ما أنشده أبو زيد : « لعلَّ أبى المغوار » إن فتحت اللام أو كسرت ، فوجهُ الكسر ظاهر . وأمَّا الفتح فلأنَّ لام الجر يفتحها قومٌ مع المظهر كما تُفتح مع

(١) للأعشى فى ديوانه ٢١٩ وسيبويه ١ : ٤٣٩ والإنصاف ١٨٠ وابن يعيش ٣ : ١٥ وهو الشاهد ٤٠٧ فى ٥ : ٤٢٠ . وهو بتمامه :

إن من لام فى بنى بنت حسا ن ألمه وأعصِه فى الخطوبِ

(٢) أى مع تقدير ضمير الشأن .

(٣) لذى الإصبع العدوانى ، وهو الشاهد ٥٢٣ فى ٧ : ١٧٣ . وتمامه :

لاه ابن عمك لا أفضلتَ فى حسب عنى ولا أنت دَيَّانى فتخزونى

(٤) انظر ما مضى فى ص ٤٢٦ .

المضمر ، فإنّما خفّف لعلّ وأضمر فيه القصّة والحديث ، كما أضمر فى إنّ وأنّ ، والتقدير : لعله لأبى المغوار قريب ، أى جوابٌ قريب ؛ فأقام الصفة مقام الموصوف . انتهى .

وكذا قال المرادى (فى شرح التسهيل) ، وتأوّله الفارسىُّ على تخفيف لعلّ ، وأنّ فيها ضميرَ الشأن ، وولِيَها فى اللفظ لامُ الجرِّ مفتوحة ومكسورة . فالجر باللام ولعلّ على أصلها . انتهى .

وكذا لابن هشام (فى المغنى) قال : وزعم الفارسىُّ ، أنَّه لا دليل فى ذلك ، لأنّه يحتمل أنّ الأصل لعلّه لأبى المغوار جوابٌ قريب ، فحذف موصوف قريب وضمير الشأن ولامَ لعلّ الثانية تخفيفا ، وأدغمت الأولى فى لام الجرّ ، ومِنْ ثَمّ كانت مكسورة . ومن فتح فهو على لغة من يقول : المال لَزيدٍ بالفتح . وهذا تكلُّف كثير . ولم يثبت تخفيف لعلّ . انتهى .

وقال المرادى (فى الجنى الدانى) : وهذا التخريج ضعيفٌ من أوجه : أحدها : أنّ تخفيف لعلّ لم يُسمَع فى غير هذا البيت . والثانى : أنّها لا تعمل فى ضمير الشأن . والثالث : أنّ فتح لام الجر مع الظاهر شاذ . انتهى .

وقد أخذ ابنُ الشجرى قول الفارسىِّ وتصرَّف فيه ، ولم يعتبر ضمير الشأن ، قال (فى أماليه) : سألنى حَبْشىَّ بن محمد بن شُعيب الواسطى [1] ، عن قول كعب بن سعد : لعلِّ أبى المغوار ، فأجبت بأنّه أراد لعلّ لأبى المغوار منك مكانٌ قريب ، فخفّف لعلّ وألغاها كما يُلغون إنّ وأنّ ولكنّ إذا خفّفوهن .

---

(١) أبو الغنائم حبشى بن محمد بن شعيب الشيبانى الضرير ، من أهل واسط ، قدم بغداد ، وأخذ النحو بها عن ابن الشجرى ولازمه ، كما أخذ اللغة على الشيخ أبى منصور الجواليقى . وتوفى سنة ٥٦٥ . إنباه الرواة ١ : ٣٣٧ - ٣٣٨ . وضبطه الذهبى فى المشتبه ٢١٠ بفتح الحاء وسكون الباء . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٢٣٧ .

ولَمَّا حذف اللام المتطرِّفة بَقِيَ لعلَّ ساكن اللام ، فأدغمها فى لام الجر لاستثقال الكسرة على المضاعف . والقياس فى الخط أنْ تُكتبَ منفصلةً من لعلّ . انتهى كلامه .

٣٧٣ وقيل جرّ أبى المغوار على الحكاية ، نقَله المرادىّ . وهذا كلُّه تكلُّف . وإذا صحَّت اللغة بنقل الائمة كأبى زيد والفرّاء فلا معنى لتأويل بعضِ شواهدها .

قال ابن مالك (فى التسهيل) : والجرّ بلعلّ ثابتةَ الأوّلِ أو محذوفتَه ، مفتوحةَ الآخِر أو مَكسُورتَه ، لغة عُقَيليَّة . انتهى .

وقول الشارح المحقق « نُقِلَ عن الأخفش أنّه سمع من العرب فتح لام الجر » إلخ ، نَقْلُ هؤلاء الجماعة إنمّا هو فى لام كى لا فى اللام الداخلة على الاسم المظهر ، كما يأتى نَقْلُه عن الفارسى فى شرح البيت الآتى .

وقول الشارح المحقق : « ويجوز فى هذه الرِّواية أن يقال : الأصل لعاً » إلخ روايةٌ فى البيت ، أثبتها أبو زيد (فى نوادره) . قال : ويروى : « لعاً لأبى المغوار » . قال أبو الحسن الأخفش (فيما كتبه على نوادره) : فلعاً على هذه الرواية رفعٌ بالابتداء ، ولأبى المغوارِ الخبر ، ولعاً مقصور مثل عصاً ، وهى كلمة تستعملها العرب عند العثرة والسَّقطة . ويقولون : لعاً لك ، أى أنهضك الله . وإن كان مبتدأ ففيه معنى الدعاء . ألا ترى أنّ القائلَ إذا قال الحمدُ لله وما أشبهه فهو وإن كان مبتدأ ففيه معنى الفعل ، يريد : أحمدُ الله . وعلى هذا يجرى البابُ كلُّه . قال الأعشى :

بذاتِ لَوثٍ عَفَرْناةٍ إذا عثَرَتْ فالتَّعس أدنى لها من أنْ أقول لعا [1]

---

(١) ديوان الأعشى ٨٣ والنوادر ٣٧ . وفى النسختين : « أن يقال » ، ووجه الرواية المطابق للتفسير ما أثبت من الديوان والنوادر .

يقول : أدعو عليها أحرى من أن أدعوَ لها . ثم اتَّسع هذا فصار مثلاً حتّى يقال لكل منكوب : لعاً ، ولعاً له . انتهى .

ولكون لعاً فى معنى الدُّعاء أى انتعَشَ ، بالفعل الماضى على وجه الدُّعاء . يقال انتعش العاثرُ من عثرته ، أى نهض . ونَعَشه الله وأنعشه : أقامه . وتنوينه للتنكير كما فى صهٍ . وهو مبنيٌّ على السكون ، وإنمّا جاز الابتداء به مع التنكير لأنّه فى معنى الدعاء . قال ابن هشام فى بحث مسوِّغات الابتداء بالنكرة : السابع : أن تكون فى معنى الفعل ، وهذا شاملٌ لنحو : عجبٌ لزيد . وضبطوه بأن يريد بها التعجّب . ولنحو : ﴿ سَلاَمٌ على آل ياسين [1] ﴾ ، و ﴿ ويلٌ للمطفِّفين ﴾ . وضبطوه بأن يراد بها الدعاء . انتهى .

ولا يجوز أن تكون اللام للتَّبيين ، وهى متعلقة بمحذوف استؤنف للتَّبيين مع رفع لعاً . قال ابن هشام فى بحث اللام المبيِّنة : ومثال المبيِّنة للفاعليّة تبًّا لزيد وويحاً ؛ فإنَّهما فى معنى خَسِر وهَلَك . فإن رفعتهما بالابتداء فاللام ومجرورها خبر ، ومحلُّهما الرفع ولا تبيين ، لعدم تمام الكلام . إنتهى .

ومنه يظهر سقوطُ قول ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب) : لعاً مبتدأ ، وقوله لأبى المغوار فى موضع الصفة له ، وقريب خبر المبتدأ . وإنما اضطرَّ إلى جعل لأبى المغوار صفة لتنكير المبتدأ ، مع أنّه ليس المعنى على الإخبار بالقرب عن لعاً ، وإنما قريب خبر مبتدأ محذوف ، هو ضمير أبى المغوار . والجملة استئنافية فى مقام العِلَّةِ لقوله : ارفع الصوت .

ونقل أبو زيد (فى نوادره) عن أبى عمرو أنه رواه : « لعلّ أبا المغوار منك قريب » بالنصب .

---

(١) الآية ١٣٠ من الصافات . ووردت فى ط : « آل ياسين » وهى قراءة نافع وابن عامر من السبعة . وزيد بن على أيضا . وقرأ باقى السبعة : « إل ياسين » بهمزة مكسورة ، كما قرأ أبو رجاء والحسن : « على الياسين » بهمزة الوصل . تفسير أبى حيان ٧ : ٣٧٣ .

صاحب الشاهد

هذا . والبيتُ من قصيدةٍ مَرْثِيَةٍ جيِّدة لكعب بن سعد الغَنَوىّ ، رواها القالىُّ (فى أماليه) ، ومحمد بن المبارك (فى منتهى الطلب من أشعار العرب) ، قال : رثى بها كعبٌ أخاه شَبيبا . وقال القالى : قرأت على أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد هذه القصيدةَ فى شعر كعبٍ الغنوى ، وأملاها علينا أبو الحسن الأخفش قال : قُرِئ على أبى العباس محمد بن الحسن الأحول ، ومحمد بن يزيد ، وأحمدَ بن يحيى . قال : وبعض الناس يروى هذه القصيدةَ لكعب بن سعدٍ الغَنَوىّ ، وبعضهم يرويها بأسْرِها لسهمٍ الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه . وبعضُهم يروى شيئاً منها لِسَهمٍ . والمرثىُّ بهذه القصيدة يُكنى أبا المغوار ، واسمه هَرِم ، وبعضهم يقول : اسمه شبيب ، ويحتجُّ ببيتٍ رُوِى فى هذه القصيدة :

٣٧٤

* أقام وخَلَّى الظاعنينَ شَبِيبُ *

وهذا البيت مصنوعٌ ، والأوّل أصحُّ ؛ لأنّه رواه ثقة . وأوَّلها فى رواية الجميع :

قصيدة الشاهد

(تقول سُليمىَ ما لجسِمكَ شاحباً ... كأنَّك يحميكَ الشَّرابَ طبيبُ[١]

فقلتُ ولم أُعْىَ الجوابَ لقولِها ... وللدَّهْرِ فى صُمِّ السِّلامِ نصيبُ

تتابُعُ أحداثٍ تَخَرَّمْنَ إخوتى ... وشَيَّبن رأسى والخُطوب تُشيبُ

لَعمرى لئن كانت أصابت مصيبةٌ ... أخى ، والمنايا للرِّجالِ شَعوبُ

لقد عَجَمتْ مِنِّى الحوادثُ ماجداً ... عَروفاً لرَيبِ الدَّهر حينَ يُريبُ

وقد كان : أمَّا حِلمُه فمُروَّحٌ ... علينا ، وأمَّا جهلُه فعزيبُ

فتَى الحرب ، إن حاربتَ كان سِمامَها ... وفى السِّلم مِفضالُ اليدينِ وَهوبُ

هَوَتْ أُمُّه ماذا تضمَّن قبرُه ... من الجُود والمعروف حين يُثيبُ

جَموعُ خِلالِ الخيرِ من كلِّ جانبٍ ... إذا جاء جَيَّاءٌ بهنَّ ذَهوبُ

(١) عند القالى ٢ : ١٤٨ : « الطعام طبيب » .

هَوت أمُّه ما يبعثُ الصُّبحُ غادياً ... وماذ يرُدّ الليّلُ حين يئُوبُ [(١)]
فتىً لا يبالى أن يكون بجسمِه ... إذا نال خَلاّتِ الكِرام شُحوبُ[(٢)]
مُغيثٌ مُفِيدُ الفائدات معوَّد ... لِفعل النَّدى والمكرُماتِ كَسوبُ[(٣)]
غَنِينا بخير حِقبةً ثم جَلَّحت ... علينا التى كلَّ الأنامِ تُصيبُ
ولو كان حيٌّ يفتدَى لفديتهُ ... بما لم تكن عنهُ النُّفوسُ تَطيبُ
بعينَىَّ أو يُمنَى يدىَّ وإنّنى ... ببذلِ فِداهُ جاهدًا لَمُصِيبُ
فإن تكن الأيّامُ أحسَنَّ مرّةً ... إلىَّ فقد عادت لهنَّ ذُنوبُ
أخى كان يَكفينى وكان يُعيننى ... على نائبات الدهر حين تنوبُ
عظيمُ رَمادِ القِدْر رَحبٌ فِناؤه ... إلى سَنَدٍ لم تحتجنْه غُيوبُ[(٤)]
حليمٌ إذا ما الحلم زيَّن أهلَه ... مع الحلم فى عين العدوّ مَهِيبُ
إذا ما تراءاهُ الرِّجالُ تَحفَّظوا ... فلم يَنطقوا العَوراءَ وهو قريبُ[(٥)]
أخى ما أخى ، لا فاحشٌ عند بيته ... ولا وَرَعٌ عند اللِّقاءِ هَيوبُ
على خير ما كان الرِّجالُ خِلالُه ... وما الخير إلاّ قسمةٌ ونصيبُ[(٦)]
حليف الندى يدعو النّدَى فيجيبه ... قريباً ويدعوه النَّدى فيُجيب
هو العسلُ الماذِىُّ ليناً وشِيمةً ... وليثٌ إذَا يلقَى العدوَّ غَضوبُ
حليمٌ إذا ماسَوْرة الجهلِ أُطلقَتْ ... حُبَى الشّيب ، للنّفس اللَّجوجِ غَلوبُ

---

(١) القالى : « حين ينوب » .

(٢) رواه القالى بعد بيت « جموع خلال الخير » . وترتيب الأبيات عند القالى مخالفة كثيرة لما هو هاهنا .

(٣) القالى : « مفيد مُفيت الفائدات » .

(٤) ش فقط : « لم تحتجبه » .

(٥) القالى : « فلم تنطق العوراء » .

(٦) القالى فى إحدى روايتيه :

على خير ما كان الرجال نباته ... وما الحظُّ إلا طعمة ونصيب

٣٧٥ فتىً أريَحىٌّ كان يهتزُّ للنَّدَى كما اهتزَّ من ماء الحديدِ قضيبُ[١]
كعاليةِ الرُّمح الرُّدينىِّ لم يكن إذا ابتدرَ الخيرَ الرِّجالُ يَخِيبُ
حبيبٌ إلى الزُّوّار غشيانُ بيتِه جميلُ المحيَّا شبَّ وهو أديبُ[٢]
كأنَّ بيوتَ الحىِّ مالم يكنْ بها ، بسابسُ لا يُلقَى بهنّ عَريبُ[٣]
وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيب إلى النَّدى فلم يستجبْهُ عند ذاك مجيبُ
فقلت ادعُ أخرى وارفع الصَّوت دعوةً لعلَّ أبا المغوارِ منكَ قريبُ
يُجبْك كما قد كان يفعلُ ، إنّه مجيبٌ ، لأبواب العَلاء طَلوبُ
فإنِّى لَباكيهِ وإنِّى لصادقٌ عليه ، وبعضُ القائلين كَذوبُ
إذا ذرَّ قرنُ الشمس عُلِّلتُ بالأسى ويأوى إلىَّ الحزنُ حين تغيبُ[٤])

وهذا آخر القصيدة ، وحذفتُ منها أبياتاً كثيرة .

وقوله : « هوت أُمُّه ما يبعث الصبح » البيت ، قال القالى : أى هلكَتْ أُمُّه ، كأنَّها انحدرت إلى الهاوية . وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى ﴿ فأُمُّه هاوِيَة [٥] ﴾ ، على أنّه من قولهم إذا دعَوْا على الرجل بالهلَكة ، لأنّه إذا هَلكَ [٦] هوت أُمُّه ، كما فى البيت . والمراد ليس الدُّعاءَ بالوقوع ، بل التعجب والمدح ، كقولهم : قاتله الله ما أفصَحه ! يعنى أنّه مستحقٌّ لأن يُحسَد ويُدعَى عليه

(١) القالى : « كما اهتز ماضى الشفرتين » .
(٢) القالى : « أريب » بالراء .
(٣) ش فقط : « لا يُلفَى بهن » بالفاء .
(٤) لم يرو القالى هذا البيت .
(٥) الآية ٩ من سورة القارعة .
(٦) ط : « هلكت » ، صوابه فى ش والكشاف . وفيه : « إذا هوى ، أى سقط فقد هوت أمه ثكلا وحزنا » .

بالهلاك . وما نكرة موصوفة ، أى أىَّ شىء يبعث الصُّبحُ منه حين يغدو إلى الحرب ، وأىَّ شىء يردُّ الليلُ منه حين يَرجع إلى أهله . وفيه معنى التجريد .

وقوله : « وداع دعا يا من يُجيب » البيت ، الواو واو ربَّ . والداعى هنا السائل ، ويجيب مِن أجابه أى ردَّ جوابه ، ومفعولهُ محذوف أى يجيب الداعى . والنَّدى : الغاية ، وبُعْدُ ذَهاب الصَّوت ، والجودُ . كذا فى الصحاح .

وقوله : « فلم يستجبه » أورده ابن قتيبة فى الأفعال التى تتعدَّى تارةً بنفسها وتارةً باللام (من أدب الكاتب) قال : يقال استجَبْتك واستجبتُ لك . قال شارحه ابن السِّيد : كذلك قال يعقوب ، ومن كتابه نقل ابنُ قتيبة أكثرَ ما أورده هنا . وقد يمكن أن يريد فلم يجبْه . ويدلُّ على ذلك أنّه قال مُجيب ولم يقل مستجيب ، فيكون الشاعر قد أجرى استفعل مجرى أفعل ، كما يقال استخلفَ لأهله بمعنى أخلف ، واستوقد بمعنى أوقد .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ فاستجابَ لهمْ ربُّهمْ [١] ﴾ ، على أنَّ الاستجابة تتعدَّى بنفسها كما فى البيت ، وباللام كما فى الآية . واستجاب له ، أكثر شيوعاً من استجابَهُ . هذا فى التعدية إلى الداعى . وأمَّا إذا عدِّى إلى الدُّعاء فبدون اللام أكثر شيوعا ، نحو : استجابَ الله دعاءه . ولهذا قال فى سورة القصص [٢]: البيت على حذف مضاف ، أى لم يستجب دعاءهُ . والمعنى ربّ داعٍ دعا هل من أحد يمنح المستمنِحِينَ ؟ فلم يجبْه أحد .

وقوله : « فقلت ادعُ أخرى » ، أى دعوةً أخرى . وقوله : « لعل أبى المغوار » هذا الترجىِّ من شدَّة ذُهولِه من عِظَم مُصابهِ بأخيه .

---

(١) الآية ١٩٥ من آل عمران .

(٢) أى فى الآية ٥٠ منها : « فإن لم يستجيبوا لك » .

وكعب بن سعد الغنوىُّ شاعرٌ إسلامى ، تقدَّمت ترجمته فى الشاهد الثانى والسبعين بعد الستمائة [(١)]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد الثمانمائة [(٢)] :

٨٧٨ (لَعَلَّ اللهِ يُمْكِنُنى عليها جِهاراً من زُهيرٍ أَوْ أُسيدِ)

٣٧٦ على أنَّه تتعذَّر هنا تلك التخريجات المتقدِّمة فى البيت قبله ، فيتعيَّن كون لعلَّ فيه حرفَ جرّ ولفظُ الجلالة مجروراً به . ولا يصحُّ أنْ يدَّعَى أنّ الأصل لعاً لله ، وهو ظاهرٌ ، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا . ولا يمكن أن يقال تقديره : لعلَّهُ لِلَّه يُمكننى ، بتقدير ضمير الشأن ، وجرٍّ الجلالة إمّا بلامٍ مقدَّرة كما قال ابن عصفور ، وإمَّا باللام المدغمة فى لام لعلَّ المخففة كما قال أبو على ، سواء كانت لام لعلّ مكسورة أم مفتوحة فى لعلّ الله ، فإنَّ ذلك لا وجهَ له لا معنىً ولا صناعة .

أمَّا الأوَّل فظاهر . وأمَّا الثانى فلأنَّه لا يصحُّ أن يكون لله خبرَ ضميرِ الشّأن ، لأنَّه ليس بجملة إذْ لم يقع خبر المبتدأ .

فإن قلتَ : قدِّر له مبتدأ نحو : القدرة لله . قلنا : يجبُ التصريح بجزأى الجملة الواقعة خبراً لضمير الشأن ، ولا يجوز حذف أحدهما .

فإن قلتَ : قدِّرُه مع متعلّقهِ جملة . قلنا : فاعله مَجهول ، ولا يصح أن يكون يمكننى خبره ، لأنّه يبقى لله غير مُتعلّق بشىء ، إذْا لا معنى لتعلُّقه به .

---

(١) الخزانة ٨ : ٥٧٤ .

(٢) سبق فى ص ٤٢٦ . وانظر الأغانى ١٠ : ١٢ والمرتضى ١ : ٢١٢ والتصريح ١ : ٣ .

والعَجَب من أبى على فى تجويزه الوجهين ، قال (فى المسائل البصرية) قال أبو الحسن الأخفش : زعم يونس أنّ ناساً من العرب يفتحون اللام التى فى مكان كى . وزعم خلفُ الأحمر أنّها لغة لبنى العنبر . وقد سمعتُ أنا ذلك من العرب . وذلك أنّ أصلها الفتحُ وكُسرت فى الإضافة للفصل بينها وبين لام الابتداء . وأحفظُ فى كتاب أبى الحسن :

تُواعِـدنى ربيعـــةُ كلَّ يوم لَأُهلِكَهَا وأقتنِىَ الدَّجَاجا (١)

وزعم أبو عبيدة أنّه سمع فتح لام لعلّ فى لغة من يَجُرّ ، فى قول الشاعر :

لعلَّ اللهِ يُمكننى عليها ...البيت

قال أبو علىّ : يكون هذا على إضمار الحديث فى لعلّ مخفّفة ، كإضمارهِ فى إنّ ، وأضمر مبتدأ والظرفُ فى موضع الخبر ، ويمكننى حال ، كأنّه قال : لعلَّ القصَّة الأمر لله ممكناً لى . وإن شئت جعلت يمكننى فى موضع خبر لعلّ وأضمرت الحديث ، كأنّه قيل : لعلّه يمكننى الأمر لله ، أى لقُوَّةِ الله . هذا كلامه .

ونقله ابن السِّيد (فى كتاب أبيات المعانى) ولم يتعقَّبه بشئ . وفيه نظر من وجوه :

أمّا أوَّلاً فلأنّه لا مناسبة لذكر فتح لام كى هنا ، فإن اللام التى ادَّعاها داخلةٌ على الاسم الصريح لا على الفعل .

وأمّا ثانياً فلانه لا يجوز حذف أحد جزْأىِ الجملة كما تقدّم .

وأما ثالثاً فلأنّه قدَّر ليمكننى فاعلاً ، وهذا ليس من المواضع التى يُحذَف

---

(١) للنمر بن تولب فى ديوانه ٤٧ والحيوان ٢ : ٣٠٥ والرواية فيهما : « لأشريَها » ، أى لأبيعها .

فيها . وإن أراد أنّه تفسيرُ الضمير المستتر فى يمكننى العائد إلى ضمير الشأن ففيه أنّ شرطَ ضميرِ الشأن أن لا يعودَ إليه ضميرٌ من جملةِ خبره .

وأمّا رابعا فلأنّه قدَّر مضافا بعد اللام ، ولا دليلَ عليه .

ثم قال بعد هذا : فإنْ قلت فهل يجوز فى لعلّ فيمن خفَّف أن يدخلها على الفعل بلا شريطة إضمار القصَّة كما جاز ذلك فى إنّ إذا خفّفت أنْ تدخل على الفعل ، نحو : ﴿ إنْ كادَ ليضلُّنا [1] ﴾ ؟ قلت : ينبغى عندى أن يُبعَد إدخال لعلّ على الفعل . ألاَ ترى أنّ إنَّ لا معنًى فيها إلاّ التأكيد ، ومع ذلك فقد أُعملت مخفّفة فى الاسمِ ونُصِب بها . وإذا كان كذلك وكانت لعلّ أشبه بالفعل للمعنى الذى لها ، وجَب أن لا تكون إذا خفّفت إلاّ على شريطة الإضمار ، إذا أدخلت على الفعل . ويؤكّد ذلك أنّ المفتوحةُ المخفّفة ، ألا ترى أنَّها لا تخفّف إلاّ على إضمار القصَّة والحديث . وكذلك كأنْ فى قوله :

* كأنْ ثدياه حُقّانِ *

٣٧٧ على أنّ كأنَّ إنَّما هى أنَّ أُدخلت الكافُ عليها . فإذا لم تكن إنَّ إلاّ على شريطة إضمارٍ فيها ، وإذا كان كذلك لم يكن قوله لعل أبى المغوار ، ولعل الله يمكننى ، إلاّ على إضمار القصة والحديث ، وما بعده فى موضع الخبر .

هذا كلامه ، وبناؤه على غير أساس ، فإنَّه لم يثبُت تخفيف لعلَّ فى موضع ، وإنمّا كلامه هذا بمجرَّد توهُّم تخفيفها . والله أعلم .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدة لخالد بن جعفر. وهذه أبياتٌ من أولها :

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الفرقان .

أبيات الشاهد

(أرِيغُونى إراغتَكُمْ فإنّى وحُذْفَةَ كالشَّجا تحتَ الوريدِ[١]
مُقرَّبَةً أواسيها بِنَفْسى وأُلحِفُها ردائى فى الجليدِ[٢]
لعَلَّ اللهِ يُقدِرُنى عليها جهاراً من زُهير أو أُسيدِ [٣])

الإراغة بالراء المهملة والغين المعجمة : الطلب . فى الصحاح : أريغونى إراغتكم ، أى اطلبونى طَلِبتكم . وأنشد هذا البيت [٤] . وحُذْفة بضم الحاء المهملة [٥] وسكون الذال المعجمة بعدها فاء : اسم فرسِ الشاعر ، وهو جعفر بن خالد . والشَّجَا ، بفتح الشين والجيم : ما ينشَب فى الحلق من عَظْمٍ أو غيره . شبَّه نفَسه بالشَّجَا . ومُقرَّبةً : مفعول أريغونى . والمقرَّب من الخليل على اسم المفعول ، من الإقراب والتقريب : الذى يُدنَى ويُكرَّم ، والأنثى مُقرَّبة ، ولا تُترك أن تَرُود . قال ابن دريد : إنمَّا يُفعَل ذلك بالإناث لئلا يقرعَها فحلٌ لئيم . والإلحاف : التغطية . والجليد : الصَّقيع ، يريد : فى شدّة البرد .

و (زهير) هو ابن جَذيمة بن رَوَاحة العبْسى . وأُسيد هو أخو زهير ، وهو بفتح الهمزة وكسر السين . وضمير (عليها) راجعٌ إلى مقرّبةً .

وسبب الشِّعر هو ما رواه صاحبُ الأغانى ، والسيد المرتضى (فى أماليه) قالا : إنَّ هَوازن لا ترى زهير بن جَذيمة إلاّ ربًّا ، وهوازنُ يومئذٍ لا خيرَ فيها ، ولم تكثُر

(١) وكذا فى أمالى المرتضى ١ : ٢١٢ . وفى الأغانى ١٠ : ١١ « أديرونى إدارتكم » . وفى حاشية نسختين من أمالى المرتضى : « ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر ، وقوله : كالشجا تحت الوريد ، شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ، ومقربة فى البيت الثانى مفعول أريغونى فرسًا مقربة » .

(٢) وكذا عند المرتضى . وفى الأغانى : « مقربة أسوِّيها بجزء » .

(٣) عند المرتضى : « يمكننى عليها » . والأبيات أربعة عند المرتضى وأربعة عشر فى الأغانى .

(٤) لم ينشده الجوهرى فى مادة (روغ) حيث فسر الكلمة ، أما الإنشاد فهو فى مادة (حذف) .

(٥) ضبطه فى القاموس بأنه « بالفتح » ، وكذا ضبط فى اللسان ضبط قلم بالفتح .

عامر بن صعصعة بَعْد ، فهُمْ أذلُّ من يدٍ فى رحم [١] ، إنّما هم رِعاءُ الشّاء فى الجبال ، وكان زهيرٌ يَعشُرهم [٢] ، فكان إذا كان سوقُ عكاظ أتاها زهيرٌ ، فتأتى هوازن بالإتاوة التى [له [٣]] فى أغنامهم ، فيأتونه بالسَّمنِ ، والأقط ، والغَنم ، فجاءت عجوزٌ من هوازنَ بسمنٍ فى نِحْى ، واعتذرَتْ إليه وشكت السِّنينَ التى تتابعَتْ على الناس [٤] ، فذاقَه فلم يرضَ طَعمَه ، فدفعها بقوسٍ كانت فى يده فسقطَتْ ، فبدت عورتُها [٥] ، فغضبتْ من ذلك هوازن وحَقَدته ، إلى ما كان فى صدرها من الغَيظ ، وكانت قد كثُرت عامر [٦] . فآلَى خالدُ بن جعفرٍ فقال : والله لأجعلنَّ ذراعى وراءَ عنقه حَتَّى أُقتَل أو أُقتَل [٧] . وفى ذلك قال هذا الشعر .

واتَّفق نزولُ زهير بالقرب من أرضٍ بنى عامر ، وكانت تُماضر بنت عَمْرو ابن الشريد امرأةَ زهير بن جذيمة وأمَّ ولدِهِ ، فمرَّ به أخوها الحارثُ بن عمرو ، فقال زُهير لبنيه : إنَّ هذا الحمارَ طليعةٌ عليكم فأوثِقوه . فقالت أخته لبنيها : أيزوركم خالُكم فتوثقونه [٨] ؟ ثم حلبُوا له وَطْباً من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يُخبِرَ عنهم ، فخرجَ حتى أتى بنى عامر فأخبرهم ، فركب خالد بن جعفر وحُندُج بن

---

(١) أورده الزمخشرى فى المستقصى ١ : ١٣٦ ولم يفسره ، وأورده الميدانى فى باب الذال وقال : « يريد الضعف والهوان . وقيل يعنى يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقى أن يصيب بيده شيئا » .

(٢) يَعشِرهم : يجبى منهم العشر ، وفى الأغانى : « يعزهم » ، وما هنا صوابه .

(٣) التكملة من ش والأغانى . وفى الأغانى : « التى كانت له فى أعناقهم » .

(٤) فى الأغانى : « تتابعن على الناس » .

(٥) فى الأغانى : « فاستلقت لحلاوة القفا فبدت عورتها » .

(٦) عند المرتضى : « وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة » . وأمرت ، بكسر الميم ، أى كثرت .

(٧) فى الأغانى والمرتضى : « حتى أقتل أو يقتل » .

(٨) وكذا عند المرتضى . وفى الأغانى : « فتوثقوه وتحرموه » .

البكّاءِ ، ومعاوية بن عُبادة [١] وثلاثةٌ من فوارس بنى عامر ، واقتصُّوا فرأَوْا إبلَ بنى جَذيمة فنزلوا عن الخيل ، فقالتِ النساء : إنّا لنرى غابة رماحٍ بمكانٍ كنّا نرى به شيئاً . ثم جاءت الرِّعاءُ فخبَّرتِ بهم [٢] ، وأتى أسِيدٌ أخاه زهيراً فأخبره بالخبر وقال : قد رأتْ راعيتى خيلَ بنى عامر ورماحَها [٣] . فقال زهير : « كلُّ أزَبَّ نَفُور » ، فذهبت مثلا . وكان أُسِيدٌ كثير الشَّعَر . قال : فتحمَّلَ عامَّة بنى

٣٧٨

رَواحة ، وحلَف زهيرٌ لا يبرح مكانَه حتَّى يُصبح . وتحمَّل مَن كان معه غير ابنيه : ورقاءَ ، والحارث . فلم يشعر إلاّ والخيلُ أحاطت به . قال زهير ، وظنهم أهلَ اليمن : يا أسِيدُ ما هؤلاء ؟ قال : همُ القومُ الذين تغضَب فى شأنهم منذُ اللَّيلة . قال : وركب أسِيدٌ فرسَه ونجا ، ووثب زهيرٌ على فرسِه القعساءِ وكانت متمردة ، فلحقه خالدٌ راكباً فرسَه حُذْفة وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا زُهير ! فاعتنق خالدٌ زهيراً ، وخرَّا عن فرسيهما ، ووقع خالدٌ فوق زهير واستغاث ببنيه ، فأقبل إليه ورقاء ابن زهير فضرب خالداً ثلاثَ ضَرَباتٍ فلم يُغْن شيئاً ، وكان على خالد درعانِ . ثم ضرب حُندج رأسَ زهير فقتله . وفى ذلك يقول ورقاءُ بنُ زهير :

رأيتُ زهيراً تحت كلكلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعَى كالعَجُولِ أُبادرُ
إلى بطليــنِ ينهضانِ كِلاهمُـــا ... يُريدان نصلَ السَّيف والسيفُ داثرُ [٤]

---

(١) فى الأغانى والعقد ٥ : ١٣٦ : « ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهرار » . وفى النسختين هنا : « بن عباد » ، صوابه من الأغانى والقاموس حيث ذكر أنه صاحب الهرار . وكذا فى جمهرة ابن حزم ٢٩١ حيث ذكر أن معاوية بن عبادة بن عقيل وَفَد ، وله صحبة . وانظر الإصابة ٨٠٦٦ حيث عده فى الصحابة الذين لهم وِفادة .

(٢) ط : « جاءت الرعاء ثم جاءت الرعاء » وصدر هذا الكلام مقحم لم يرد فى الأغانى ولا فى ش .

(٣) المراد بالراعية الرعاء .

(٤) فى الأغانى : « يريغان » . والداثر : السيف البعيد العهد بالصقال . وفى العقد : « نادر » . وندر السيف : سقط فى جوف شيء فظهر .

فشَلَّتْ يمينى يومَ أضرِبُ خالداً ويستُره منى الحديدُ المظاهَرُ[١]

فياليت أنّى قبلَ ضربة خالدٍ ويومِ زُهيرٍ لم تَلِدْنى تُماضرُ[٢]

خالد بن جعفر

وخالدٌ فارسٌ شاعرٌ جاهلى ، وهو ابن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بنِ عامر ابن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

٨٧٩ (فلو كنتَ ضَبِّيًّا عرَفْتَ قَرابتى ولكنَّ زنجىٌّ عظيمُ المشافرِ)

على أنّه لا يجوز حذف أسماء هذه الحروف غيرَ ضميرِ الشأن ، إلاّ فى الشِّعرِ على قلّةٍ وضعف ، كما فى هذا البيت . والتقدير : ولكنَّك زنجى .

فى (الأصول لابن السَّرَّاج) قال سيبويه : النصب أكثرُ فى كلام العرب ، كأنّه قال : ولكنَّ زنجيًّا عظيمَ المشافر لا يعرف قرابتى ، ولكنّه أضمر هذا . قال : والنَّصب أجود ، لأنَّه لو أراد الإضمار لخفّف ، ولجعل المضمر مبتدأ ، كقولك : ما أنت صالحاً ولكن طالح . انتهى .

---

(١) الأغانى : « وأحرزه منى » . العقد : « ويمنعه منى » ، المرتضى : « ويستره منى » .

(٢) الأغانى : « فياليتنى من قبل أيام خالد » . العقد : « فيا ليت أنّى قبل أيام خالد » .

(٣) فى كتابه ١ : ٣٨٢ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ١ : ٥٩٨ ومجالس ثعلب ١٢٧ والأصول ١ : ٢٩٩ والأغانى ١٩ : ٢٤ والمحتسَب ٢ : ١٨٢ والمنصف ٣ : ١٢٩ وأسرار البلاغة ٤١ والإنصاف ١٨٢ وابن يعيش ٨ : ٨١ ، ٨٢ والمقرب ١ : ١٠٨ والمغنى ٢٩١ والهمع ١ : ١٣٦ ، ٢٢٣ وديوان الفرزدق ٤٨١ . وهو فى الديوان بيت مفرد منقول عن كتاب سيبويه وإنشاده .

قال الأعلم : الشاهد فيه رفع زنجيٌّ على الخبر ، وحذْفُ اسم لكنَّ ضرورةً . والتقدير : ولكنّك زنجى . والنصب أقيس . انتهى .

وتقييد الشارح المحقق حذفَ الاسم بالضرورة أجود من إطلاق ابن هشام (فى المغنى) فى قوله : « وقد يُحذف اسُمها » . وإن كانت (قد) تُفيد القِلّة .

وزعم الخفّاف (فى شرح الجمل) أنّه يجوز حذف أسماء هذه الحروف فى فصيح الكلام ، إذا كان فى الكلام ما يدلُّ عليها . وأنشد هذا البيتَ وقولَه :

* فليت دفعتَ الهمَّ عنِّىَ سَاعةً [1] *

أى فليتك . إلاّ إنْ كانت ضمير شأن فلا يجوز حذفه إلاّ فى الشِّعر . وروى أيضاً : « ولكنَّ زنجيّاً » بالنصب ، والخبر محذوف . وتقديره عند سيبويه : لا يعرف قرابتى . وقال ثعلب فى أماليه : وقال سيبويه : زنجيًّا غليظَ المشافر تُشبه [2] ، فأضمر الخبر . هذا نقْلُه ، وهو خلاف الواقع مع أنّ هذا التقدير يقتضى أنّ زنجيا مفعول تشبه ، لا اسم لكنّ .

ثم قال : وقال الفراء : غليظ المشافر تابعٌ سدَّ مسدَّ الخبر . وقال الكسائى : ولكنَّ بك زنجيًّا ، أى يشبهك . انتهى .

و (المشافر) : جمع مِشْفر بكسر الميم وفتحِ الفاء [3] ، وهو شفَة البعير ، واستُعير هُنا لشَفة الإنسان لِمَا قصدَ من بشاعة الخلقة . ٣٧٩

---

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ ومعجم الشواهد . وعجزه :

* فبِتْنا على ما خيلت ناعمَىْ بال *

(٢) الذى فى مجالس ثعلب : « تشبهه » . وبهذا يزول اعتراض البغدادى .

(٣) ط : « وكسر الفاء » ، صوابه فى ش .

صاحب الشاهد

والبيت للفرزدق فى هَجو رجلٍ من ضَبّة ، نفاه عن ضبّة ونسبه إلى الزِّنج . وأمَّا القرابة التى بينه وبينه فهى أنّ الفرزدق من تميم بن مر بن أدّ بن طابخة ، وضبّة هو ابن أدّ بن طابخة .

واعلم أنّ قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويِّين ، وصوابه :

* ولكنَّ زنجيا غِلاظًا مشافِرُه *

وهو من قصيدةٍ هجا بها أيوبَ بن عيسى الضبّيّ . وبعده :

أبيات الشاهد

(متَتُّ له بالرِّحم بينى وبينَه ... فألفيته منى بعيداً أواصرُه[(١)]

وقلتُ امرؤٌ من آلِ ضَبّة فاعتزى ... لغيرهمُ لونُ آستِهِ ومحاجِرُه[(٢)]

فسوفَ يرى النُّوبِىُّ ما اكتدحَتْ له ... يداه إذا ما الشِّعر عَنّت نوافرُه[(٣)]

ستُلقى عليك الخُنفُساءُ إذا فسَتْ ... عليك من الشِّعر الذى أنت حاذرُه

وتأتى ابنَ زُبِّ الخُنْفُساءِ قصيدةٌ ... تكون له منِّى عَذابا يباشرُه)

والسبب فى هذا ما حكاه صاحب الأغانى أن الفرزدق هجا خالداً القسْرىّ وذكر المُبارَكَ : النَّهرَ الذى حفره بواسط ، فبلغَه ذلك ، فكتب خالدٌ إلى مالك بن المنذر : أنِ احبسِ الفرزدق فإنَّه هجا نهر أميرِ المؤمنين بقوله :

أهلكتَ مالَ الله فى غير حقِّه ... على النَّهَرِ المشئُوم غير المباركِ

---

(١) مت إليه : تقرب وتوسَّل بحرمة أو قرابة . والأواصر : جمع آصرة ، وهى ما يعطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . وفى الأغانى ١٩ : ٢٤ : « أوامره » ، تحريف .

(٢) اعتزى : انتسب .

(٣) يقال هو يكدح لعياله ويكتدح ، أى يكتسب لهم . وفى الأغانى : « ما اجترحت » وهما بمعنى . وفى التنزيل العزيز : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » ، أى اكتسبوها . وعنَّت بالعين المهملة : ظهرت . والنوافر : الشوارد . وفى الأغانى : « غنت » بالمعجمة .

فأرسل مالكٌ إلى أيوبَ بن عيسى الضبّىّ فقال : ائتنى بالفرزدق . فلم يزل يُعمِلُ فيه حتَّى أخذه ، فلما قِيل لمالك : « هذا الفرزدق » انتفخَ وريدُه غضباً ، فلمَّا أُدخِلَ عليه قال :

أقول لنفسى حِينَ غصَّت بريقها ... ألا ليت شِعرى مالَها عند مالكِ[١]

لها عندَه أن يُرجعَ اللهُ روحَه ... إليها وتنجو من عظيم المهالك[٢]

فسكن مالكٌ وأمَر به إلى السِّجن ، فهجا أيوبَ بن عيسى الضّبّىَّ بتلك القصيدة ، ثم مدح خالد بنَ عبد الله ، ومالكَ بنَ المنذر ، فلمَّا لم ينفعه مدحُهما مدح هشاماً واعتذر إليه :

ألِكنى إلى راعى البريَّة والذى ... له العدلُ فى الأرضِ العريضةِ نَوَّرا[٣]

إذا قال غاوٍ من مَعَدٍّ قصيدةً ... بها جربٌ كانت وَبالاً مُدَمِّرا[٤]

أينَطقها غيرِى وأُرمَى بجُرمِها ... وكيف ألومُ الدّهرَ أن يتغيَّرا[٥]

لئن صبرتْ نفسى لقد أُمِرَتْ به ... وخيرُ عباد الله مَنْ كان أصبرا

وكنتُ ابن أحذارٍ ولو كنتُ خائفا ... لكنتُ من العصماء فى الطَّود أحْذرا[٦]

ولكن أتَونى آمناً لا أخافُهم ... نهاراً وكان الله ما شاء قَدَّرا

---

(١) فى ديوان الفرزدق ٥٩٩ :

أقول لنفسٍ لا يُجادُ بمثلها ... ألا ليت شعرى مَا لها عند مالكِ

(٢) وكذا فى الأغانى . وفى الديوان : « أن يرجع اليوم روحها » ، و « تنجو من حذار المهالك » . وفى ش فقط : « وينجو » ، وإنما الضمير فى « تنجو » . للنفس أو الروح ، وكلاهما مؤنث . وبعده بيت ثالث فى الأغانى والديوان ، وهو :

وأنت ابن جبَّارَىْ ربيعةَ حلَّقتْ ... بك الشمسُ فى الخضراءِ ذات الحبائكِ

(٣) فى الديوان ٣٦٥ : « إلى راعى البرية والذى له العدل فى الأرض » .

(٤) فى الديوان : « بها جرب كانت على بزوبرا » .

(٥) فى الديوان : « وأرمى بعيبها فكيف » .

(٦) يقال أنه لابن أحذار ، أى ابن حزم وحذر . والعصماء من الوعول : ما فى ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر .

ثم إنّه مدَحه بقصيدةٍ وأشخص بها ابنَه إلى هشام ، فاعانته القيسيَّة وقالوا : كلَّما ظهر شاعر أو سيِّدٌ وثب عليه خالد !

وكان كتب الفرزدقُ أبياتاً إلى سعيد بن الوليد بن الأبرش ، يكلِّم له هشاماً وهى :

إلى الأبرش الكلْبِيِّ أسدَيتُ حاجتى تَوَاكَلُها حيًّا تميمٍ ووائـلِ (١)
على حينَ أنْ زلّت بى النَّعلُ زَلّةً وأخلف ظنِّى كلُّ حافٍ وناعلِ
فدُونكها يا ابنَ الوليد فقُمْ بها قيامَ امرئٍ فى قومه غير خاملِ

٣٨٠

فكلَّم هشاماً فكتب بتخليته . انتهى باختصار .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

إنّ مَنْ لام فى بنى أُخْتِ حَسَّا نَ أَلُمْهُ وأَعصِهِ فى الخطوبِ

وقوله :

إنَّ من يدخلِ الكنيسة يوماً يلـقَ فيها جآذراً وظبـاءَ

على أنّ ضمير الشأن يجوز حذفه فى الشعر كثيراً بخلاف حذف اسم هذه الحروف ، فإنّه وإن اختصَّ حذفُه فى الشّعر لكنّه بضَعفٍ وقلّة ، وذلك كما

---

(١) فى الأغانى ١٠ : ٢٤ : « أسندت حاجة » . ويقال تواكلا الأمر : اتكل كل منهما على الآخر فيه .

(٢) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

فى البيتين . والتقدير : إنّه مَن لامَ ، وإنّه من يدخل الكنيسة . ومَنْ فيهما اسم شرط جازم ، والجملة خبر ضمير الشأن فيهما .

وتقدَّم الكلامُ على البيت الأوّل فى الشاهد السابع بعد الأربعمائة [١] ، وعلى البيت الثانى فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد الثمانمائة [٣] :

٨٨٠ (كأنَّ على عِرنينِه وجَبينِه أقامَ شُعاعُ الشَّمسِ أو طلَعَ البَدرُ)

على أن حذف ضمير الشان فى غير الشعر يجوز بقلّة إنْ لم يل هذه الأحرفَ فعلٌ صريح كما فى البيت . ومثله فى الكلام جائزٌ بقلّة ، نحو : إنّ بِكَ زيدٌ مأخوذ .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومنه حذف ضمير الشأن أو القصّة ، إذا كان اسماً لإنّ وأخواتها ، كقوله :

فلا تشتم المولَى وتبلُغْ أذاتَه فإنّ بِهِ تُثْأَى الأمور وتُرأَبُ [٤]

يريد : فإنّه تُثْأَى الأمور . وقول الآخر :

كأنَّ على عرنينه وجبينه .... البيت

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٢٠ – ٤٢٥ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٧ – ٤٦٢ .

(٣) الهمع ١ : ٣٦ والضرائر ١٧٩ .

(٤) الضرائر ١٧٩ والحماسة ٦٧٠ بشرح المرزوقى مع نسبة البيت إلى قراد بن عباد .

يريد : كأنّه على عرنينه . وقول الآخر : « إنّ من يدخل الكنيسة [١] »
يريد : إنّه من يدخل الكنيسة . ولا يجوز أن يكون مَنْ اسمَ إنّ ، لأنها اسمٌ شرط [٢] ، وأسماء الشرط لا يتقدَّمها عامل إلاّ الخافض ، بشرط أن يكون معمولاً لفعل الشرط ، نحو قولك : بمَنْ تمررْ أمرُرْ . ومثل ذلك قولُ الأعشى :

إنّ من لام فى بنى بنت حَسَّا ن .... البيت

يريد : إنّه مَنْ لام . وقول أميّة بن أبى الصَّلت :

ولكنَّ مَن لا يلقَ أمراً ينُوبه بعُدّته ينزلْ به وهو أعـزلُ

يريد : ولكنَّه مَنْ . ومن ذلك قولُ جميل :

أَلا ليتَ أيّامُ الصَّفاءِ جديـدُ ودهـرٌ تولَّـى يا بُثيـنَ يعـودُ[٣]

فى رواية من رفع الأيام ، يريد : ليتها أيامُ ، فحذفُ هذا الضمير يحسُن فى الشّعر ولا يقبح فى الكلام ، إلاّ أن يؤدِّىَ حذفه إلى أن تكون إنّ وأخواتها داخلةً على فعل ، فإنّه إذ ذاك يقبُح فى الكلام والشعر ، لأنَّها حروفٌ طالبةٌ للأسماء ، فاستقبحوا لذلك مباشرتَها للأفعال . وإنّما قبُح حذفُه فى الكلام وإنْ لم يؤدِّ الحذفُ إلى مباشرة إنّ وأخواتها للأفعال ، لأنّه مفسَّر بالجملة التى بعدَه ، فأشبهت الجملة الواقعة صفةً فى نحو قولك : رأيت رجلاً يحبُّه عمرٌو ، فى أن كُّل واحدةٍ من الجملتين مفسِّرة لما قبلها . والجملة الواقعة صفةً يَقْبحُ حذفُ موصوفها وإبقاؤها ، فكذلك أيضاً يقبحُ حذف ضمير الشَّأن والقصّة وإبقاءُ الجملة المفسِّرة له . وأيضاً يُستعمل فى موضع التعظيم ، والحذفُ مناقضٌ لذلك . وأمّا قول الراعى :

٣٨١

---

(١) تمامه ، وهو من شواهد الخزانة ١ : ٤٥٧ :

إن من يدخل الكنيسة يوما يلـق فيها جآذرا وظبـاء

(٢) ط : « اسم لشرط » ، وأثبت ما فى ش والضرائر .

(٣) ديوان جميل ٦١ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٤٣٩ . وانظر معجم الشواهد .

فلو أنَّ حَقَّ اليومَ منكم إقامـةٌ وإن كان سرحٌ قد مضَى فتسرَّعا [١]

وقولُ الآخر :

فليتَ دفعتَ الهَمَّ عنِّى سَاعـةً فبِتْنا على ما خيَّلَتْ ناعمىْ بالِ [٢]

فيحتمل أن يكون المحذوف منها ضمير الشأن ، فيكون التقدير : فلو أنَّه حقّ اليومَ منكم إقامةٌ ، وفليته دَفَعْتَ ، ويكون البيتان إذْ ذاك من قبيل ما يقبحُ فى الكلام والشّعر ؛ لِمَا يلزم فى البيت الأوّل من ولاية الفعل لإنّ ، وفى البيت الثانى من ولايته لليْتَ . ويحتمل أنْ يكون المحذُوف ضميرَ المخاطب فيكون التقدير : فلو أنَّكم حَقّ منكم ، وليتكَ دفعت الهمَّ . وحملُها على هذا الوجه أولى ؛ لأنّه لا يلزم فيه من القُبح ما يلزم فى الوجه الأوّل . انتهى كلام ابن عصفور .

والعِرنين بالكسر ، قال صاحب المصباح : هو من كلِّ شئ : أوّلُه ، ومنه عِرنين الأنف لأوَّلِه ، وهو ما تحت مجتمَع الحاجبين ، وهو موضع الشَّمَم ، وهم شُمُّ العرانين [٣] . وقد يطلق العِرنين على الأنف . وقال أيضا : الجبين : ناحية الجَبْهة من محاذاة النَّزْعَة [٤] إلى الصُّدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشِمالها . قاله الأزهريُّ وابن فارس وغيرهما . فتكون الجبهة بين الجبينين . والجَبْهَةُ : موضع السُّجود بين الجبينين .

ولم أقِفْ على قائل البيت ولم أره إلاّ فى كتاب الضرائر ، وهو أحسن من قول عُويف القوافى ، أو ابن عَنْقاء الفَزارىّ [٥] :

---

(١) ملحقات ديوانه ١٨٦ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ . وهو فى معجم الشواهد .

(٣) ط : « وهو شم العرانين » ، صوابه فى المصباح و ش مع أثر تصحيح .

(٤) النَّزَعتانِ : ما ينحسر عنه الشَّعر من أعلى الجبينين حتَّى يُصَعِّد فى الرَّأس ، والوصف أنزَعُ ، والجَبْهةُ نَزْعاء .

(٥) ط : « وابن » ، صوابه فى ش . وهو أسيد بن عنقاء . وأسيد ، بالتصغير لقب له . واسمه قيس بن بجرة . ويعرف باسم أمه « عنقاء » . سمط اللآلى ٥٤٣ . وفى نوادر المخطوطات ٢ : ٣٠٩ : « عبد قيس بن نجوة » .

كأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فى جبينِـهِ وفى خدِّه الشِّعْرَى وفى أنفهِ القَمَرْ (١)

ومن قول خارجةَ بن فُلَيح المللىّ (٢) :

كأنّ على عرنينـه وجبينـه شُعاعين لاحَا مِن سِمَاكٍ وفرقدِ

وقد اتَّفقا فى المصراعِ الأوّل ولم أدرِ السابقَ منهما . وبعده :

هو السَّابق التالى أباه كما تَلا أبوه أباهُ سَيِّدٌ وابنُ سيِّدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س (٣) :

٨٨١ (إنَّ محَلاًّ وإنَّ مُرتَحَـلاَ وإنَّ فى السَّفْرِ إذْ مضَوْا مَهَلاَ)

على أنَّه إذا عُلم الخبرُ جاز حذفه ، سواء كان الاسمُ نكرةً أم معرفة ، وسواء كرِّرت إنَّ أمْ لا .

فالأوّل كما فى المصراعِ الأوّل من البيت ، والتقدير : إنَّ لنا مَحلاًّ فى الدنيا ما عِشْنا ، وإنّ لنا مرتحَلا إلى الآخرة .

---

(١) فى الأمالى ٢ : ٢٣٧ : « وفى أنفه الشعرى وفى وجهه القمر » . وفى الأغانى ١٧ : ١١٧ : « وفى خده الشعرى وفى جيده القمر » .

(٢) نسبة إلى ملل ، بالتحريك ، وهو موضع على مقربة من المدنية فى شق الروحاء ، قال البكرى : هو فليح مولى أسلم ، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية . السمط ٦٥ . وقال فى معجم ما استعجم أيضا : « ومن ملل : خارجة بن فليح المللى ، ومحمد بن بشير الخارجى » . وفى النسختين : « المكى » صوابه ما أثبت .

(٣) فى كتابه ١ : ٢٨٤ . وهو أيضا فى المقتضب ٤ : ١٣٠ والأصول ١ : ٣٠٠ والخصائص ٢ : ٢٧٣ والمحتسب ١ : ٣٤٩ ودلائل الإعجاز ٢١٠ وابن الشجرى ١ : ٣٢٢ وابن يعيش ١ : ١٠٣/ ٨ : ٨٤ والمقرب ١ : ١٠٩ والمغنى ٨٢ ، ٢٣٩ ، ٦٠٩ ، ٦٣١ والهمع ١ : ١٣٦ . وانظر ديوان الأعشى ١٥٥ .

والثانى ما حكاه سيبويه قبل إنشاد ذلك البيت ، قال : ويقول الرجل للرجل هل لكم أحدٌ إنّ النّاسَ [ألْبٌ [١]] عليكم ؟ فيقول : إنّ زيداً وإنَّ عَمراً ، أى إنّ لنا . انتهى .

٣٨٢

وفيه ردٌّ على الكوفيين فى اشتراطهم تنكيرَ الاسم .

والثالث نحو ما تقدَّم من البيت وحكاية سيبويه .

والرابع [هو [٢]] كقول ، سيبويه : وتقول إنّ غيرَها إبلاً وشاء ، كأنه قال : إن لنا غيرَها إبلاً وشاء ، وعندنا غيرَها إبلاً وشاء . فالذى تضمر هذا النحوُ وشبهه . وانتصب الإبل والشاء كانتصاب الفارس إذا قلت : ما فى الناس مثلُه فارسا . انتهى .

وفيه ردٌّ على الفراء فإنّه ذهب إلى أنّه لا يجوز حذف الخبر إلاّ مع تكرير إنّ ، سواء كان الاسم معرفة أم نكرة . ويَرِدُ عليه وعلى الكوفيِّين قولُ الشاعر :

أو أنّ الأكارمَ نهشلاَ ... البيت الآتى .

فإنّ خبر أنَّ المفتوحةِ محذوف ، تقديره تفضَّلوا ،بدَلالة ما قبله ، واسمها معرفة وهى غير مكرّرة . وسيأتى الكلام عليه . وكذلك يَرِد عليهم الحديثُ وأثرُ عُمر المسطورَان [٣] ، فإنّ اسم إنّ فيهما معرفة ، وهو اسم الاشارة مع عدم تكرر إنّ فيهما .

---

(١) التكملة من سيبويه . والألب ، بفتح الهمزة وكسرها : القوم يجتمعون على عداوة إنسان . قال رؤبة :

* قد أصبح الناس علينا ألبا *

(٢) التكملة من ش .

(٣) فى النسخة : « المسطورين » ، وهو تحريف ظاهر . وانظر حواشى الصفحة التالية .

قال ابن يعيش : وكان الفرّاء يذهب إلى أنّه إنما يُحذف مثلُ هذا إذا كُرِّرت إنّ (١) ليعلم أنّ أحدهما مخالفٌ عند من يظنُّه غير مخالف . وحُكى أنّ أعرابيًّا قيل له : الزَّبابة : الفأرة ؟ قال : إنّ الزَّبابة وإنَّ الفأرة . ومعناه إنّ هذه مخالفةٌ لهذه . والخلاف الذى بين الاسمين يدلُّ على الخبر ، وهو غير مرضيٍّ (٢) عند أصحابنا ، فإنَّه مردودٌ فى الواحد الذى لا مُخالف معه . قال الأخطل :

ألاَ إنَّ حيًّا من قريش تَفضَّلوا على الناس أو إنَّ الأكارمَ نهشلا(٣)

وقالوا : إنّ غيرها إبلاً وشاء . فقولهم غيرها اسم إنّ ، والخبر مضمر ، كأنّه قال : إنَّ لنا غيرها ، وانتصب إبلاً وشاء على التمييز . ويجوز أن يكون إبلاً اسم إنّ وغيرها حال . ولا يحسن أن يكون عطفَ بيان ، لأنَّ عطف البيان لا يكون إلاّ فى المعارف.فأمَّا ما حُكى عن عُمرَ بن عبد العزيز (٤) ، أنّه قال لِقرشىّ وقدْ مَتَّ إليه بقرابة : « إنَّ ذلك » . ثم ذكرَ حاجتَه ، فقال : « لعلَّ ذاك » . فالخبر محذوف ، أى إنَّ ذلك مصدَّق ، ولعلَّ مطلوبك حاصل . وإنمَّا ساغ حذف الخبر هنا وإن لم يكن ظرفاً ، لدلالة الحال عليه ، كما يحذف خبر المبتدأ عند الدلالة عليه ، نحو قولك : من القائم ؟ فيقال : زيد ، أى زيدٌ القائم . والجيِّد أنْ يقدَّر المحذوف ظرفاً ، نحو : إنَّ لكَ ذلك ، أى حقّ القرابة ، ولعل لك ذلك ، والمعنى واحد إلاّ أنه من جهة اللفظ صارَ على منهاج القياس . انتهى كلامه .

---

(١) ش : « تكررت إن » ، وما أثبت من ط يطابق ما فى ابن يعيش ١ : ١٠٤ .

(٢) عند ابن يعيش : « وهو قول غير مرضى » .

(٣) عند ابن يعيش : « خلا أن حيا » .

(٤) ما بعده إلى : « لعل ذاك » ، لم يرد فى ابن يعيش ، وإنما هو من صلب متن المفصل . والذى فى ابن يعيش : « فأما ما حكى عن عمر بن عبد العزيز فالخبر محذوف ... إلخ وانظر قصة عمر هذه أيضا فى شرح الرضى ٢ : ٣٢٧ .

وقال قبل هذا : اعلْم أنَّ أخبار هذه الحروف إذا كانت ظرفاً أو جارًّا ومجرورا فإنّه يجوز حذفها والسكوتُ على أسمائها ، وذلك لكثرة استعمالِها والاتّساع فيها » . إلى أن قال : « ولم يأت ذلك إلاّ فيما كان الخبر فيه ظرفاً أو جارًّا ومجرورا » . انتهى .

وقول الشارح المحقِّق : إن الخبر فى الآية محذوف تقديره : هَلَكوا ، قدَّره الزمخشرى بدلالة جواب الشرط عليه ، أى نُذيقهم من عذاب أليم ، فإنّ الآية هى ﴿ إنَّ الذين كفروا ويَصُدُّون عن سَبيلِ اللهِ والمسجدِ الحَرَامِ الذى جَعَلْناهُ للنّاس سَواءً العاكفُ فيه والبادِ ومَنْ يُرِدْ فيه بإلحادٍ بظُلمٍ نُذِقْهُ مِن عذابٍ أليم (١) ﴾ ، وهى آية سورة الحج .

والعجب من ابن هشام فإنّه قال فى حذف الخبر من بحث المحذوفات من أواخر الباب الخامس ، بعد أنْ أوردَ البيت : وقد مرَّ البحث فى : ﴿ إنّ الذين كفَروا ويَصُدُّون عَن سَبيل الله ﴾ و ﴿ إنَّ الذَين كفروا بالذكر لمَّا جاءهُم (٢) ﴾ مستوفىً ، مع أنّ الآية الأولى لم يمرّ لها ذكر ، ولا وقع له عنها بحث (فى المغنى) لا مستوفىً ولا غير مُستَوْفىً (٣) . ٣٨٣

وأمّا الآية الثانية وهى آية حم فُصّلت ، فقد مرَّ منه البحث عنه مفصّلاً مستوفى فى المِثال الأوّل من أمثلة الجهة الرابعة .

وقوله : (إنّ مَحَلاًّ) إلخ المحلّ والمُرتحَل : مصدران ميميَّان بمعنى الحلول والارتحال ، أو اسمَا زمان ، أى وقت حلول ووقت ارتحال . والحلول بالمكان : النزول

(١) الآية ٢٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٤١ من سورة فصلت .

(٣) الحق أنه أوردَ طرفا من الآية لا دخل له فى البحث هنا ، وهو « ومن يرد فيه بإلحاد » وذلك فى فصل الباء المفردة وزيادتها مع المفعول .

به . والارتحال عنه : الانتقال عنه . وبالأوّل فسَّرها صاحب التلخيص . أى إنّ لنا فى الدنيا حُلولاً ، وإنّ لنا عنها ارتحالا . قال السَّعد : حذف المسند وهو هنا ظرف قطعاً ، لقصد الاختصار والعدول إلى أقوى الدليلين ، أعنى العقل مع اتّباع الاستعمال لاطراد الحذف [١] ، فى نحو : إنّ مالاً وإنَّ ولدا ، وإنَّ زيداً وإنَّ عمرا . وقد وضع سيبويه لهذا باباً فقال : هذا باب إنّ مالاً وإنَّ ولدًا . قال عبد القاهر : لو أسقطت إنَّ لم يحسُن الحذف أو لم يجزْ ، لأنَّها الحاضنةُ له والمتكفِّلة بشأنه ، والمترجمةُ عنه . وفيه أيضاً ضيقُ المقام والمحافظةُ على الشعر . انتهى .

وقوله : « أقوى الدليلين » : إلخ أشارَ إلى أنَّ قرينة الحذف فى البيت حاليّة ، بخلاف ما قبله من الأمثلةِ فإنَّ مقالتها لفظية . قال ابن يعيش : قولهم إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنَّ عدداً ، كأنَّه وقع فى جواب : ألهُمْ مالٌ وولد وعدد ؟ فقيل : ذلك ، أى إنَّ لهم مالاً وإنّ لهم ولداً . ولم يُحتجْ إلى إظهاره لتقدُّم السؤال عنه .

وقول السَّعد : « وقد وضع سيبويه لهذا بابا فقال : هذا بابُ إنّ مالاً » أقول : ليست ترجمة الباب ما ذكره ، وإنمّا هى : « هذا باب ما يحسُن عليه السُّكوت فى هذه الأحرف الخمسة لإضمارك [٢] ما يكون مستقرًّا لها وموضعاً لو أظهرتَه . وليس هذا المضمر بنفِس المظهَر . وذلك إنّ مالاً وإنّ ولداً وإنّ عددًا ، أى إنَّ لهم مالاً » إلى آخر ما ذكره . وتقدير الخبر مقدّماً فى البيت وغيره إنمّا هو الأولَى ، وليس بواجبٍ ، لتنكير الاسم ، لأنَّ الإخبار عن النَّكرة فى باب إنّ جائز كما قاله ابن مالك ، وتبعه الشارح هنا .

وكأنّ ابن المُلاّ لم يمرَّ به هذا ، لأنّه قال (فى شرح المغنى) : وإنما جعل التقدير إنّ لنا حلولاً ، دون إنّ حلولاً لنا مع أنّه الأصل ، لِمَا أنَّ هذا الخبر لو ذُكر

---

(١) ط : « فالحذف » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « لإضمار له » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٨٣ .

لكان واجبَ التقديم لكون الاسم نكرة ، وكلُّ مقدَّر صناعةً إنّما يقدَّر فى الموضع الذى يليق به . هذا كلامه .

وقوله : (وإنَّ فى السَّفْر) هو جمع سافر ، قال صاحب الصحاح : سَفرتُ أسفِر سُفوراً : خرجت إلى السَّفر ، فأنا سافرٌ وقومٌ سَفْر مثل صاحب وصَحب ، وسُفّارٌ مثل راكب وركّاب . والسَّفَر ، بفتحتين : قَطْع المسافة . انتهى .

وإليه ذهب السعد فقال : السَّفر : جمع سافر . قال : والسَّفْر : الرِّفاقُ قد توغَّلوا فى المُضِىِّ لا رجوعَ لهم . ونحن على إثرهم عن قريب .

وقد غفل صاحب القاموس عن كلام الصّحاح فقال : السَّافر : المسافر ، ولا فعل له . وتبعه ابن المُلاّ فقال : السَّفْر اسمٌ مفرد وُضع لمعنى الجمع عند سيبويه ، بدليل تصغيره على لفظه ، فهو اسمُ جمعٍ لسافر بمعنى مسافر ، لا فعلَ له كما نصَّ عليه صاحب القاموس ، أو جمعٌ مكسرٌ له عند الأخفش . وهذا الخلاف جارٍ فى كل ما يجىء من تركيبه اسمٌ يقع على الواحد كصاحب من صحب ، وراكب من ركب ، بخلاف نحو غَنَم ورَهْط ، فإنّه اسم جمعٍ اتّفاقا . والسافر : الخارجُ إلى السَّفَر . والسَّفْر : الخارجون إليه . هذا كلامه . ٣٨٤

وإنمّا قدَّر الشارح المحقِّق مضافا قبل السَّفْر تبعا لابن يعيش ، ليصحَّ الحمل ؛ فإنَّ الظرف خبر عن قوله : مَهَلا بفتحتين . قال ابن يعيش : يقول : فى رحيلِ مَنْ رحلَ ومَضَى مَهَلٌ ، أى لا يرجع . والمَهَل : السَّبْق [1] . انتهى .

---

(١) فى اللسان : « قال الجوهرى : المهل بالتحريك : التؤدة والتباطؤ » . وفيه أيضا : « والمهل والتمهل : التقدم . وتمهل فى الأمر : تقدم فيه » . وفيه كذلك : « وفلان ذو مَهَل ، أى ذو تقدم فى الخير ، ولا يقال ذلك فى الشر » .

ومجيئه بهذا المعنى معروفٌ . قال السكرى (فى شرح ديوان الأخطل) عند قوله فى عبد الله بن معاوية [١] :

قَرْمٌ تمهَّلَ فى أُميَّةَ لم يكُنْ فيها بذى أُبَنٍ ولا خَوَّارِ [٢]

المَهَل : السَّبْق والتقدُّم . والأبَن : العُقَد تكون فى العود . والخَوَّار : الضعيف .

ولم يُذكر هذا المعنى فى الصحاح ولا فى القاموس ، إلاّ أنَّه فيه : المهل : التقدُّم بالخير . وأراد بالسَّبْق والفوت عدمَ الرجوع . وسبقهما الأعلم قال : أراد بالسَّفْر مَنْ رحَلَ من الدنيا . فيقول : فى رحيل من رحل ومضى مَهَلٌ ، أى لا يرجع . انتهى .

وذهب ابن الحاجب (فى أماليه) إلى أنَّ المهل فيه بمعنى الإمهال والتأنِّى . قال : معناه أنَّهم يقولون إنّ لنا محَلاً فى الدنيا وارتحالاً بالموت ، وإنّ فى مُضىٍّ مَنْ قَبْلَنا ، يعنى موتَ من يموت ، مهلةً لنا ، لأنَّا نبقى بعدَهم ، وهو معنى الامهال .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) فقال : أى إنَّ لنا حُلولاً فى الدنيا وارتحالا عنها إلى الآخرة ، وإنّ فى الجماعة الذين ماتوا قبلَنا إمهالاً لنا ، لأنَّهم مضَوْا قبلنا وبَقِينا بعدهم .

قال ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) : فيه تنبيهٌ على أنَّ المهلَ هو الإمهال المتعدِّى بمعنى الإنظار .

---

(١) عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان ، قال الطبرى ٥ : ٣٢٩ : « وكان عبد الله محمقا ضعيفا » .

(٢) ديوان الأخطل ٧٨ . والقرم ، بالفتح : السيد ، وأصله للفحل الكريم . وفى ط : « قوم » ، صوابه فى ش والديوان . وقبل البيت :

لأحَبِّرَنْ لابن الخليفة مِدحة ولأقذفــنَّ بها إلى الأمصار

ولم أر فى كتب اللغة مَهَلته مَهْلاً بالفتح : أنظرته . ولكن مَهلَ مَهْلاً بالفتح : ضدُّ عَجِل . وأمهلته : أنظرته . وفى الحديث : « إذا سِرْتم إلى العدّو فمَهْلاً مَهْلاً ، وإذا وقعت العَين على العين فمَهَلاً مَهَلا » (١) . فالأوَّلاَنِ بالسكون بمعنى التأنى ، والآخِرانِ بالفتح بمعنى التقدُّم . أى إذا سِرتم فتأنَّوْا ، وإذا لقيتم فاحملوا . انتهى .

ونقل ابن المُلاّ عن أبى عبيدة أنّه قال : المعنى : إنَّ منّا مقيماً وإنّ منَّا مُسافرا ، وإنَّ فى السَّفْر إذا مَضَوْا مهلا ، أى ذَهاباً لا يرجعون بعده . ويجوز أن يكون مَهَلا بمعنى عِبرة . يريد : إنّ فيمن مات عبرةً للأحياء . وإذْ هنا ظرفٌ عاملُه ما بعده .

وظاهر كلام ابن الحاجب السابق أنّها بدل من قوله « فى السفر » . وقيل : هى للتعليل هنا . وهل هذه حرف بمنزلة لا م العلّة ، أو ظرفٌ والتعليل مستفادٌ من قوة الكلام لا من اللفظ ؟ قولان .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وممَّا حملوه على التعليل هذا البيت . انتهى .

ورواية سيبويه :

* وإنّ فى السَّفْر ما مضَى مَهَلا *

وعليها يكون السَّفْر مفرداً وصفا كصَعْب ، بمعنى المسافر . قال فى القاموس : يقال رجل سَفْر .

ورُوِى فى كتابه أيضا :

(١) رواه الزمخشرى فى الفائق (مهل) من حديث على ، وفسره بنحو من هذا . وأورده ابن الأثير بعده فى النهاية من حديث على أيضا ، وفسره بتفسير الفائق وزاد بعده : « أى إذا سرتم فتأنوا ، وإذا لقيتم فاحملوا . كذا قال الأزهرى وغيره » . وهو من كلام على رضى الله .

* وإنّ فى السَّفر ما مضَى مثلا *

قال الأعلم : أى فيمن مضى مثَلٌ لمن بَقِىَ ، أى سيفنَى كما فنىَ هذا .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للأعشى ميمون ، مدح بها سلامةَ ذا فائشٍ الحميرىَّ. وبعده :

أبيات الشاهد

أستأثَرَ اللهُ بالوفـــاء وبالــــ ـعَدْلِ وولَّى الملامَـة الرَّجُـلا

إلى أن قال :

٣٨٥

أصبحَ ذو فائشٍ سَلامَةُ ذو التَّفـ ـضال هشًّا فؤادُه جَذِلا

أبلـجُ لا يرهبُ الهُـــزالَ ولا ينقُضُ عهداً ولا يخون إلا (١)

يا خيرَ مَنْ يركب المطىَّ ولا يَشْرَبُ كأساً بكفِّ مَنْ بَخِلا

قلّدتُك الشِّعَر يا سلامةُ ذا الـ ـتَّفضالِ والشِّعرُ حيثُما جُعِلا (٢)

والشِّعرُ يَستنزِلُ الكريمَ كما اسـ ـتنزلَ رَعْدُ السَّحابة السَّبَلا (٣)

روى صاحب الأغانى بسنده إلى سِمَاك بن حرب ، أنَّ الأعشى قال : أتيتُ سلامةَ ذا فائشٍ وأطلتُ المُقامَ ببابه ، حتَّى وصلتُ إليه بعد مدّة ، وأنشدتُه هذه القصيدةَ ، قال : صدَقت ، الشعرُ (٤) حيثُما جُعِل . وأمر لى بمائةٍ من الإبل ، وكسانى حُللاً ، وأعطانى كرِشاً مد بوغة [مملوءةً] (٥) عنبرا ، فبعتها بالحِيرة بثلثمائة ناقةٍ حمراء .

---

(١) وفى ديوان الأعشى ١٥٧ واللسان (ألا ٤٦) :

أبـيض لا يرهب الهزال ولا يقطــع رحما ولا يخون إلا

والإلى : واحد آلاء الله أى نعمه ، ويجوز أن يكون مخففا من الإل الذى هو العهد .

(٢) فى الديوان : « والشيء » . وفى الأغانى ٨ : ٨٢ : « الشعر قلدته سلامة ذا فائش والشيء » .

(٣) السبل ، بالتحريك : المطَر والقطر .

(٤) فى الأغانى : « الشيء » مطابقا لما ورد فى إنشاده للبيت .

(٥) التكملة من ش والأغانى .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [١] .

واستأثر الله بكذا ، أى اختصَّ به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٨٢ (خَلَا أنَّ حيًّا من قُرِيشٍ تفضَّلُوا على النَّاس أو أنَّ الأكارِمَ نَهشلا)

على أنَّ هذا البيت يردُّ على الكوفيين فى اشتراطهم لحذف الخبر تنكيرَ الاسم ، وعلى الفراء فى اشتراطه تكرير أنّ ، فإنَّه حذف خبر أنّ المفتوحة الهمزة الثانيةِ ، وبدَلالة ما قبله ، تقديره : تفضَّلوا . واسمها معرفةٌ وهى غير مكرّرة . وأمّا أنّ الأُولى المفتوحة الهمزة أيضا فخبرها مذكور .

وقول الشارح : « وقال الشاعر » معطوف على قوله : « رُوى أنَّ المهاجرِينَ قالوا : يارسول الله [٣] » إلخ .

قال ابن جنى (فى باب شجاعة العربية من الخصائص [٤]) : قد حُذِف خبر أنّ مع النكرة خاصّة نحو :

* إنّ محلاًّ وإنَّ مُرْتحلاَ *

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ — ١٧٨ .

(٢) المقتضب ٤ : ١٣١ والخصائص ٢ : ٣٧٤ وابن الشجرى ١ : ٣٢٢ وابن يعيش ١ : ١٠٤ والمقرب ١ : ١٠٩ . وليس فى ديوان الأخطل .

(٣) تمامه فى شرح الرضى ١ : ٣٢٧ : « قالوا : يا رسول الله ، إن الأنصار نصرونا ووصلونا وآوونا وفعلوا بنا . فقال عليه السلام : ألستم تعرفون ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . فقال عليه السلام : إن ذلك » .

(٤) يعنى بذلك الحذف ، والزيادة ، والتقديم والتأخير ، والحمل على المعنى ، والتحريف . الخصائص ٢ : ٣٦٠ .

وأصحابنا يجيزون حذف خبَرِ إنّ مع المعرفة ، والكوفيُّون يأبَوْن حذف خبرها إلاَّ مع النكرة . فأمَّا احتجاج أبي العباس عليهم بقوله :

خَلاَ أنّ حيًّا من قريشٍ تفضّلوا على النّاس أو أنَّ الأكارمَ نهشَلا

أى وأنَّ الأكارم نهشلا فضلوا [١] . فقد قال أبو على : هذا لا يلزمهم ، لأنّ لهم أن يقولوا : إنمَّا منعْنا [حذف [٢]] خبرِ المعرفة مع إنّ المكسورة ، فأمَّا مع أنّ المفتوحة فلا نمنعه [٣] . قال : ووجه فَصْلهم فيه بين المكسورة والمفتوحة أنَّ المكسورة حُذف خبرها كما حُذف خبر نقيضِها ، وهو قولهم : لا بأس ولا شكّ ، أى عليك ، وفيهِ . فكما أنَّ لا تختصُّ بالنّكرات [٤] فكذلك إنمّا يشبهها نقيضتها فى حذف الخبر مع النَّكرة أيضا . انتهى .

وقد أجرى الخلافَ بين البصريِّين والكوفيين ولم يُجرِ للفرَّاء ذكراً ، وأفاد أنَّ أو بمعنى الواو ، وخلا من أدوات الاستثناء ، وأنَّ فى الموضعين مفتوحة .

و (الحىّ) : القَبيلة . وكأنّه أراد بتنكيره بنى هاشم . و (من قُريشٍ) صفة لحىّ . و (تفضَّلوا) خبر أنّ . ومعناه رَجَحوا على النّاس بالفَضْل والمزيَّة . و (الأكارم) : جمع أكرم . و (نهشلا) بدل من الأكارم . ونَهشل هو أبو قبيلة ، وهو نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . كذا فى الجمهرة .

صاحب الشاهد

والبيت نسبه ابن يعيشَ إلى الأخطل . وله فى ديوانه قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ ، ولم أجده فيها . والله أعلم .

---

(١) فى الخصائص ٢ : ٣٧٤ : « أى أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا » .

(٢) التكملة من ش والخصائص .

(٣) فى الخصائص : « فلن تمنعه » .

(٤) فى الخصائص : « تختص هنا بالنكرات » .

وكذا نسبه ابن الشجرى (فى أماليه) إلى الأخطل وقال : أراد : أوْ أنَّ الأكارم نهشلا تفضَّلوا على الناس . والبيت آخر القصيدة . ٣٨٦
هذا كلامُه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٨٨٣ (ليتَ شِعْرِى مسافرُ بنَ أبى عَمْـ ـرٍو وليتٌ يقولُها المحزونُ)

على أنَّ الاستفهام بعد (ليت شعرى) قد يحذف ، كما فى البيت ، وتقديره : ليت شعرى أنجتمع أمْ لا .

وهو فى هذا تابعٌ لابن الحاجب (فى شرح المفصل) ؛ وهو مبنىٌّ على رواية صاحب الأغانى والسُّهيلى لهذا الشعر ، فإنَّهما روَيا بعده :

(بُورِك الميِّت الغريبُ كما بو رِكَ غُصنُ الرَّيحانِ والزَّيتونُ)

وليس فيه استفهام . وأما على رواية أبى هِفَّان عبد الله بن أحمد المِهزمىّ [(٢)] ، فإنَّ بعده :

(أىُّ شىءٍ دَهاكَ أم غالَ مَرآ كَ وهل أقدمَتْ عليكَ المنونُ [(٣)])

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣٢ . وانظر الأغانى ٨ : ٤٨ والروض الأنف ١ : ١٠٢ وديوان أبى طالب ٧ مخطوطة الشنقيطى .

(٢) هو راوى ديوان أبى طالب نسخة الشنقيطى ٣٨ أدب ش بدار الكتب المصرية .

(٣) ديوان أبى طالب الورقة ٧ . وفى الديوان : « أو غال مرآك » .

فهذا هو الاستفهام الذى يأتى بعد ليت شعرى ، فلا حذف فيه . غايته أنَّه فصل بينهما باعتراضٍ بجملتين : إحداهما : مُسافرَ بنَ أبى عمرٍو ، والثانية : وليتٌ يقولها المحزون . وكأنَّهما لم يقفا عليه .

وقول الشارح المحِّقق : « ومسافر منادى » يعنى أنّه مبنى على الضم . ويجوز فتحه لوصفِه بابن لأنّ ابناً مضاف إلى ما هو كالعَلم لشُهرته به .

قال النحاس : مسافر نداء ، وهو مضموم فيما قرأتهُ على أبى إسحاق . وقد قيل إنّه مفتوح كما تقول : يا زيدَ بنَ عبد الله . انتهى .

ومراده الردُّ على الأعلم الشنتمرى . من وجهين ، فإنّه قال : نصب مسافر على معنى شِعرى خبر مسافر ، أى ليتنى أعلم خبره ، فحذف الخبر المنصوب بالمصدر ، وأقام مسافر مُقامه . ويجوز رفعُه على خبر ليت . انتهى .

ولغَفلتِه عن كونه منادى توهّم الفتح أنّه مفعول شعرى على حذف مضاف . وفيه غفلةٌ أخرى عن أنَّ مفعول شعرى هنا إنمّا يكون جملة استفهام ، وتوهَّم الضمَّ أنّه خبر ليت . وفيه غفلة أخرى عن أنَّ خبرها يكون واجبَ الحذف .

وقول الشارح : « وهذا الاستفهام مفعول شعرى » إلخ هذا التحقيق لابن جنّى كما يأتى .

وقوله أيضا : « وقال المصنف : الاستفهام قائم مقام الخبر » هذا القول ليس له ، وإنمّا هو تابع . قال المرادى (فى شرح التسهيل) وغيرُه : وذهب المبِّرد والزجاج إلى أنَّ جملة الاستفهام هى الخبر ، وموضعها رفع ، وشعرى ملغًى . ورُدَّ بأنَّ الطلب لا يكون خبراً لليْتَ ، وبأنَّ الجملة لا رابطَ فيها . ونسبه (فى الإفصاح) إلى سيبويه قال : وتحقيقه أنّ شِعرى بمعنى مشعورى ، فالجملة نفس المبتدأ ، فلا يحتاج إلى رابط . انتهى .

قال الدمامينى (فى شرح التسهيل) بعد نقل هذا : قلتُ : ينبغى أن يكون أصل التقدير : ليت مشعورى جوابُ هل قام زيد ، فالجملة مرادٌ بها لفظها ، أى جوابُ هذا اللفظ ، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . والمعنى : ليت معلومى قيامُ زيد أو عدُم قيامه ، لأنّ أحد هذين الأمرين جواب الاستفهام ، فلو لم يُعتبر هذا الحذفُ لم يستقم ظاهراً . انتهى .

وقوله أيضا : « وقال ابن يعيش الاستفهام سادٌّ مَسدَّ الخبر » ، هذا أيضاً ليس لابن يعيش ، وإنّما هو لغيره . قال ابن جنىّ عند قول الحماسى [(١)] :

ليتَ شِعرى ضَلَّةً أىُّ شىءٍ قَتَلَكْ

٣٨٧ اعلم أنّ خبر ليت فى نحو هذا محذوف ، وصار طول الكلام بمفعول شعرى نائباً عن خبر ليت . وذلك أنّ قوله : أى شىءٍ قتَلَك جملةٌ استفهاميّةٌ منصوبةُ الموضع بشعرى ، الذى هو مصدر شَعَرت . تقول : شعرت به شِعرةً ، فهى فِعلة كالدِّرْية [(٢)] ، والفِطْنة ، غير أنّ الهاء حذفت مع الإضافة ، كقولهم : هو أبو عُذْرها وإنما هى العُذْرة . قال :

دماؤهم ليس لها طالبٌ مَطلولةٌ مثل دمِ العُذرَهْ

فهو كقولك : ليتنى أشعر أى شىء قتلك ، كقولك : قد علمت أىُّ شىء قتلك ، والخبر محذوف تقديره : ليتَ شعرى أىّ شىء قتلك واقعٌ أو كائنٌ ، أو نحو ذلك . فحُذِف الخبر وصار طول الكلام بمعمول شعرى بدلاً فى اللفظ منه ، وساداً بطولِه مسدَّه . وانتصب ضَلَّة بما دلّ عليه ليت شعرى : ألا ترى أنّه إذا

---

(١) نص ابن جنى التالى فى إعراب الحماسة الورقة ١٣٥ .

(٢) وكذا فى ش مع أثر تصحيح . والدرية ، بالياء المثناة : الدراية والعلم . يقال درى الشىء دَريا ودِريا ، بالفتح والكسر ، ودرية بالفتح والكسر أيضا ، ودراية ككتابة ، ودِرْيانا ككتمان . وفى ط : « كالدربة » تحريف ، وهى بالضم لا غير بمعنى العادة والتجربة .

تمنَّى عِلْمَ الشّىء فقد اعترف بضَلاله عنه . والتقدير : ضللتُ عن معرفةِ قاتِلِكَ ضَلَّة [١] . انتهى .

فصاحبُ هذا القول اعترَف بحَذف الخبر لِطول الكلام [٢] بجملة الاستفهام ، وجملةُ الاستفهام نائبةٌ عن الخبر ، فورد عليه ما ذكره الشارح المحقّق .

فإن قلت : أليس هذا مثل ضربى زيداً قائماً ، فإنّ الحال سدَّت مسد الخبر كما ذكره الشارح قبلُ بأسطر ، وهى من جملة ذُيول المصدر ؟

قلتُ : الخبر يقدَّر قبلها ، وليست حالاً من زيد . والتقدير عند سيبويه والجمهور : ضربى زيداً إذا كان قائما ، فالخبر زمانٌ مضاف إلى فعل صاحِبها المستتر فى كان . وعند الأخفش : ضربى زيداً ضربُه قائما . فالخبر ضربه المحذوف ، وصاحبها الهاء . فليست الحال فى التقديرين من ذيول المصدر المذكور . فظهر وجه اعتراض الشارح المحقق .

هذا . وقد أورد سيبويه البيتَ فى باب تسمية الحروف والكلم التى تُستعمل وليست ظروفاً ولا أسماءً ولا أفعالا .

قال الأعلم : الشاهد فى إعراب (ليتٌ) وتأنيثها ، لأنَّه جعلها اسماً للكلمة وأخبر عنها كما يُخبَر عن الاسم المؤنَّث .

صاحب الشاهد

والبيتان المذكورانِ أوّلاً من تسعةِ أبياتٍ لأبى طالبٍ عمِّ النبى ﷺ ، رثى بها مُسافراً المذكور. وبعدهما :

(١) جعل الضلال هنا لنفس الشاعر . لكن فى تفسير المرزوقى ٩١٥ : « وهذا الضلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليها من حال المتوفى ، كأنه ضل عن العلم ضلة ، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه . كأنه عد غيبته وخفاء أمره ضلالا له . والمعنى : تمنيت أنى أعلم أى شيء أهلكك ، وهذا لضلالى عن معرفة حالك وذهابى عن العلم به . هذا على الأول . وعلى الثانى يكون المعنى : ما الذى قتلك حتى ضللت هذا الضلال » .

(٢) ط : « بطول الكلام » ، صوابه فى ش .

أبيات الشاهد

(أنا حامِيكَ مثلُ آبائىَ الزُّهـ ـرِ لآبائك التى لا تَهُـونُ
مَيْتَ صِدْقٍ على تَبالةَ أمسيـ ـتَ ومِنْ دُونِ مُلتقاك الحَجُونُ
بُورِكَ الميِّتُ الغريبُ كما بو رِكَ نَضْحُ الرُّمّـان والزيتـونُ
كنتَ لى عُدَّةً وفوقَك لافَوْ قَ فقد صرتَ ليس دونَك دون[1]
كانَ منك اليقينُ ليس بشافٍ كيفَ إذْ رجَّمتك عِندى الظُّنونُ
كنتَ مولىً وصاحباً صادق الخُبـ ـرة حقًّا وخُلّـةً لا تخونُ[2]
فعليكَ السَّلامُ منِّـى كثيراً أنفدَتْ ماءَها عليك الشُّئونُ)

هذا ما فى ديوان أبى طالب . وروى صاحب الأغانى ما بعد البيت الأوّل كذا :

(رجَعَ الركبُ سالِمِينَ جميعاً وخَليلى فى مَرمسٍ مدفـونُ
بُورِكَ الميِّت الغـريبُ كما بو رِكَ غُصنُ الرَّيحانِ والزَّيتونُ[3]
ميتُ صدقٍ على تَبَالَةَ قَدْ حا لت فيافٍ من دونه وحُزونُ[4]
مدرهٌ يدفـع الخصوم بأيـدٍ وبوجـهٍ يزينـه العِرنيـنُ
كم خليلٍ رُزِئْتُهُ وابـنِ عمٍّ وحَميمٍ قَضَتْ عليه المنونُ[5]
فتعزَّيت بالتـأسِّ وبالصَّبْـ ـر وإنِّى بصاحبى لَضَنِينُ

٣٨٨

(١) ط : « لى مرة » ، صوابه فى الديوان وش مع أثر تصحيح .

(٢) الخبرة ، بالضم والكسر : العلم ، والاختبار أيضا .

(٣) الذى فى الأغانى ٨ : ٤٨ : « نضح الرمان والزيتون » .

(٤) فى النسختين : « على تبالة » ، صوابه فى الأغانى ومعجم البلدان (هبالة) حيث ذكر قصة موت مسافر بهبالة ، وهى بالضم ماء من مياه بنى نمير . وفى الأغانى : « بيت صدق على هبالة » ، وفى معجم البلدان : « ميت ذرء على هبالة » ، هذه محرفة .

(٥) فى النسختين : « كم خليل يزينه » ، تحريف ، صوابه فى الأغانى . ورزئته : أصبت به وفقدته . والرزء : المصيبة .

ونسب السُّهيليُّ هذا الشعر لأبى سفيان [١] ، وأورد بعد البيت الأول :
بورك الميت الغريب إلخ وقال : قاله فى مسافر بن أبى عَمرِو بن أميَّة ، واسم أبى عمرو ذَكْوان ، وكان مسافرٌ مات فى حُبِّ صعبة بنت الحضرمىّ .

وهذا بخلاف ما أورده [٢] صاحبُ الأغانى ، قال : إنَّ مسافر بن أبى عمرٍو كان من فتيان قُريشٍ جمالاً وسخاء وشعراً ، عشِق بنتَ عُتبة بنِ ربيعةَ ، فعشقته واتُّهم بها ، فحملت منه فلما بان حملُها أو كاد قالت : اخرُجْ . فخرج حتَّى أتى الحيرة . ثمّ إنّه لقى أبا سُفيان فسأله عن حال قريشٍ والناسِ فأخبَره ، وقال فيما قاله : وتزوَّجتُ هندَ بنتَ عتبة . فدخَله من ذلك ما أعلّه حتّى استسقى بطنُه ، فدُعِىَ له بالأطبَّاء فقالوا : لا دواءَ له غير الكىّ ! فأحمى الذى يُعالجه المكاوِىَ ، فلما صارتْ كالنار قال : ادعُ أقواماً يُمسكونك . فقال مسافر : لست أحتاج إلى ذلك . فجعلَ يضعُ المكاوِىَ عليه ، فلما رأى جَلَدهُ ضرَط الطَّبيبُ فقال مسافر : « العَير يَضرِطُ والمِكواةُ فى النَّار ! » ، فذهبت مَثَلا . فلم يزدد إلاّ ثِقَلا ، فخرج يريد مَكَّة ، فلَّما انتهى إلى موضعٍ يقال له هُبَالة [٣] مات فدُفن بها ونُعِىَ إلى قريش ، فقال أبو طالب هذا الشّعر .

وقال النَّوفلى فى خبره : وحدَّثنى أنَّه إنَّما ذهب مسافرٌ إلى النعمانِ بن المنذر يتعرَّض لإصابة مالٍ يَنكح به هندًا ، فأكرمه النُّعمان واستظرفَهُ ونادمَه ، وضَربَ عليه قُبَّةً من أدَم ، وكان الملك إذا فعل ذلك برجلٍ عُرِف قدرُه منهُ ومكانُه عنده . وقدم أبو سفيانَ بنُ حربٍ فى بعض تجاراته فسأله مسافرٌ عن حال النَّاسِ بمكّة ، فذكر أنَّه تزوَّج هنداً ، فاضطرب مسافرٌ واعتلّ حتَّى مات . قال بعض الناس : إنّه استسقَى بطنُه فكُوِىَ ، فمات بهذا السبب .

---

(١) الروض الأنف ١ : ١٠٢ . وفيه : « من حب صعبة بنت الحضرمى » .
(٢) ط : « ما رواه » . والخبر فى الأغانى ٨ : ٤٧ – ٤٨ .
(٣) فى النسختين : « تبالة » ، وهو تحريف كما سبق التنبيه عليه . وصوابه من الأغانى .

ثم أورد صاحبُ الأغانى حكايةَ هندٍ بنت عُتبة وطلاقِها من زَوجها الفاكِهِ ابن المغيرة ، وتزوُّجِها بأبى سُفيان . انتهى .

وكذا أورد الحكايةَ المفضَّل بن سَلَمةَ (فى كتاب الفاخر [١]) قال : رَوَى أبو الحسن الدِّمشقىُّ أنَّ مسافرَ بن أبى عمرٍو بن أميّة بن عبد شمس ، كان يهوَى هندًا بنت عتبة ، وكانت تهواه ، فقالت له : إنّ أهلِى لا يزوِّجوننى منكَ لأنَّك مُعسِر ، فلو وفَدْتَ إلى بعض الملوك لعلَّك تُصيبُ مالاً . فرحل إلى الحِيرة وافداً إلى النعمان ، فبينا هو مقيمٌ عنده . إذْ قدم عليه قادمٌ من مكة فسأله عن خبر أهل مكّة بعدَه ، فأخبره بأشياءَ كان فيها أنّ أبا سفيان تزوَّج هنداً . فطُعِن من الغمّ ، فأمر النُّعمانُ به أن يُكوَى ، فأتاه الطبيبُ بمكاويه فجعلَها فى النار ، ثم وضع مِكواةً منها عليه ، وعلجٌ من علوج النُّعمان واقف ، فلما رآه يُكوَى ضَرط فقالَ مسافر : « قد يضرِطِ العَير والمكواة فى النار ! » . ويقال إنّ الطبيب ، ضرط . انتهى .

وأثنى عليه الزبير بن بكار فى أنساب قريش ، قال : كان أزواد الركب من قريش ثلاثة : مسافر بن أبى عمرو بن أمية ، وزَمَعَة بن الأسود بن المطَّلب بن أسد ابن عبد العُزّى ، وأبو أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بنِ مخزوم [٢] وإنمّا قيل لهم أزواد الركب لأنّهم كانوا إذا سافرُوا لم يتَزَوَّد معهم أحد . ٣٨٩

وقوله:« أىُّ شىْءٍ دهاك » مِن دهاه الأمرُ يَدهاهُ دَهْياً ، إذا نزَل به مالا يُطيق دفعَه ، بغتة . ومنه الداهية ، وهى النائبة والنازلة . وغاله غَوْلاً ، إذا أهلكه على غفلة . والاسم الغِيلة [٣] بالكسر . والمرأى بفتح الميم : المنظر الحسن . والمنون ، بفتح الميم : الموت .

(١) فى النسختين : « المفاخر » تحريف . وانظر الفاخر للمفضل بن سلمة ٧١ – ٨٢ ، ١٥٥ .
(٢) فى النسختين : « عمرو » ، صوابه من جمهرة ابن حزم ١٤١ – ١٤٢ وسائر كتب النسب .
(٣) ط : « القلة » صوابه فى ش .

وقوله : « أنا حاميك » إلخ حَماه يَحمِيه ، إذا دفع [١] عنه ما يكرُه من سُوء المقال . والزُّهْر : جمع أزهر ، وهو الأبيض ، يريد به النقيَّ من الذمّ والعيب . واللام بمعنى مِنْ أجْل . وتَهُون : مضارع هان هُوناً [٢] بالضم ، إذا ذلّ وحقُر . والمَهَانة : الذُّلّ والضَّعف .

وقوله : « مَيْت صِدقٍ » إلخ قال الصاغانى : كلّ ما نسب إلى الصَّلاح والخيْر أضيف إلى الصِّدق فقيل رجلُ صِدق وصَديقُ صِدقٍ . قال تعالى : ﴿ ولقد بوَّأْنَا بنى إسرائيلَ مُبَوَّأَ صِدقٍ [٣] ﴾ ، أى أنزلناهم مُنزَلاً صالحا . وتَبَالة بفتح المثناة الفوقية بعدها موحّدة : اسم قريةٍ بالطائف . وقال أبو هِفّان : تبالةُ عُرْضٌ من أعراض مكة . وأمسيتَ بالخطاب . والحَجُون ، بفتح الحاء المهملة وضم الجيم : جبلٌ مشرف بمكة .

وقوله : « بورك الميِّت » إلخ جملة دعائية . والبرَكة : الزيادة . والنَّضْح بفتح النون وسكون الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة ، قال أبو هفان : النضح : القليل ، والنضخ:الكثير . فى الصحاح : الأصمعيّ : نضح الشجرُ ، إذا تفطَّر ليخرج ورقُه . وأراد به اسم المفعول ، أى الفروع المنشقَّة عندما يخرج . والزَّيتون معطوف على نضح .

وقوله : « كان منك اليقينُ » إلخ قال أبو هِفّان : يقول : لا أصدِّق باليقين فى موتك ، استعظاماً لموته . ورجَّمتك بتشديد الجيم : مبالغة رَجَمه بالغيب ، أى ظنّ فيه من غير دليل .

---

(١) ش : « دافع » .

(٢) ط : « مضارع وهن » ، تحريف . وفى ش : « مضارع هونا » ، وفيه نقص ، والصواب ما أثبت .

(٣) الآية ٩٣ من سورة يونس .

وقوله : « كنت مولىً » إلخ قال أبو هِفّان : المولى : ابن العم . والخُلّة بضم الخاء المعجمة : الصديق ، وأصله المصدر ، أُطلق مبالغة .

وقوله : « فعليك السَّلام » إلخ هذا سلامُ مودِّع . وأنفدَتْ بالدال المهملة ، بمعنى أفنت . وماءَها مفعول مقدَّم . والشُّئُونُ : مَواصِلُ قبائل الرأس ومُلتقاها ، ومنها تجيءُ الدموع . وقوله فى الرواية الثانية : « فى مَرمسٍ مَدفون » المرمس ، كالمدفن وزناً ومعنى .

وقوله : « مِدرهٌ يدفع » إلخ المِدره بكسر الميم وآخره هاء ، قال الجوهرى : درَهتُ عن القوم : دفعت عنهم ، مثل درأت ، وهو مُبدَل مِنه . والمِدره : زعيم القوم والمتكلِّم عنهم . والأيدِى : جمع يدٍ ، وهى القُوَّة .

ومسافرٌ المذكور ماتَ فى الجاهلية . وتقدَّمت ترجمة أبى طالب فى الشاهد الحادى والتسعين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فإنّ شفاءً عبرةٌ مهَرَاقة)

على أنَّه يجوز فى باب إنّ الإخبارُ عن نكرة بنكرة ، كما فى هذا المصراع . وتمامه :

(فهل عندَ رسمٍ دارسٍ من معوَّلِ)

وتقدّم شرحُه مفصّلاً فى الشاهد الحادى والأربعين بعد السبعمائة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٢ : ٧٥ . وفى ش : « الواحد والتسعين » .

(٢) الخزانة ٩ : ٢٧٧ – ٢٨١ .

وأنشد بعده :

(أظَبْىٌ كان أُمَّكَ أم حِمارُ)

على أنّه يجوز فى باب كان الإخبارُ عن النكرة بالمعرفة ، كما فى هذا المصراع . وهو عجزٌ ، وصدره :

(فإنَّكَ لا تُبالِي بَعْدَ حَولٍ)

وتقدَّم شرحُه هناك فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة [١] .

* * *

٣٩٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٨٤ (فليتَ كِفَافاً كانَ خيرَك كلَّه وشَرَّك عنِّى ما ارتوَى الماءَ مُرتوِى)

على أنَّه يجوز أن يكون (كِفافاً) اسم ليت ، وجملة كان خبرها ، واسمها الضمير المستتر فيها الراجعُ إلى كِفاف ، وخبرها خَيْرَك بالنصب ، فيكون اسم كانَ أيضاً نكرة كاسم ليت لكونه راجعا إلى كِفاف . وهذا كما قدَّمه فى باب النكرة والمعرفة ، وفى باب كان : أنَّ الضمير العائدَ إلى نكرة نكرة .

وهذا مذهبُ بعض النحويِّين . وعند الجمهور معرفة مطلقا .

وقد تكَلَّم على هذا البيت أبو على (فى تذكرته) ، وتلميذه أبو طالبٍ العبدىُّ ، وابن الشجرى (فى مجلسين من أماليه) ، ولخّص منها ابنُ هشام (فى المغنى) ، وابن الحاجب (فى أماليه) ، وأبو حيان (فى تذكرته) وغيرهم . ولم يذكر

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٢ – ١٩٧ .

(٢) حماسة البحترى ٢٢٨ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ والإنصاف ١٨٤ والمغنى ٢٨٩ والأشباه والنظائر ٤ : ١٣١ .

أحدٌ منهم رواية نصب خيرَك إلاّ (صاحب اللباب) ، قال فيما علَّقه عليه : ذكر عبدُ القاهر فى هذا البيت وجهاً آخر يُخرِجُه عمَّا نحن فيه من إضمار الشَّأن : أنّ كفافاً اسم ليت ، وفى كان ضميره ، وخيرك منصوب بالخبرية . وكذا « شرَّك » على معنى : فليت شيئاً مكفوفا كان هو خيرَك كلَّه وشرَّك . انتهى .

وأفاد فائدتين : إحداهما : أنّ قوله وشرَّك منصوبٌ فى رواية نصب خيرك .

والثانية : أنّ كِفافاً مصدر مؤوَّل باسم المفعول على تقدير موصوف .

و (فى مسائل الخلاف لابن الأنباريّ) ما يشير إلى رواية النَّصب أيضاً ، ولكنَّ المعنى عليها يكون على القلب ، كما يشهد به الذَّوق السليم . وعلى هذه الرواية يكون عنِّى متعلِّقا بمحذوف على أنّه حال من شرّ ، أى حال كونه منفصلا عنّى . ولا يجوز أن يتعلَّق بالضمير فى كان العائدِ على كِفاف ، كما ذكروا أنَّ الظرف يتعلَّق بالضمير فى قوله :

وما الحربُ إلاّ ما علمتم وذُقتُمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ[1]

ولا بِكفاف المذكور أيضاً ، لأنَّ المبتدأ لا يعمل بعد مضىِّ خبره ، ويكون مرتوى فاعل ارتوى ، والماء منصوب بنزع الخافض ، وما مصدريَّة ظرفية ، أى مدَّة دَوَامِ المرتوِى بالماء .

وقول الشارح المحقق : وإنْ رُوِىَ برفعه أى برفع خيرَكَ ، فاسم ليت ضمير شأن محذوف . وهذا على ما تقدَّم منه قريبا من أنّ أسماء هذه الحروف لا يجوز حذفُها فى الشِّعر إلاّ إذا كانت ضمائر الشأن . وهو مذهب صاحب اللباب ، قال : ولا يُحذف اسمُها إلاّ إذا كان ضمير الشأن . وكذا قال ابن الحاجب (فى أماليه) على هذا البيت .

---

(١) البيت لزهير فى معلقة . وهو من شواهد الخزانة ٨ : ١١٩ .

وجوَّز غيرُهم أن يكون المحذوف ضميرَ المخاطب . قال ابن الشّجرى (فى المجلس الأوّل ، وهو المجلس الثامن والعشرون) وتبعه ابنُ هشام : إنّ اسم ليت ضميرٌ محذوف . وحَذْفُ هذا النّحوِ مما تجوِّزه الضَّرورة . فإن شئت قدَّرته ضمير الشأن والحديث ، وإن شئتَ قدَّرته ضمير المخاصب . وكِفافاً معناه كافّا ، وهو خبر كانَ ، وخيرك اسمها ، والجملة خبر اسمِ ليت . والتقدير على الأوَّل فليته كان خيرك كفافا ولا يحتاج إلى الضمير الرابط ، لأنَّ الجملة نفسَها ، هى الشأن . وعلى التقدير الثانى : فليتك كان كفافا خيرُك ، والعائد على اسم ليت الكاف من خَيْرك . ومثله فى حذف الضمير على التقديرين قول الآخر :

٣٩١ فليتَ دفعتَ الهمَّ عَنِّىَ ساعةً فَبِتْنا على ما خيَّلَتْ ناعِمَىْ بالِ [(١)]

أراد : فليتَه أو فلَيتك . انتهى .

وظاهر كلام هؤلاء أنّه لا يجوز جعل كِفافا اسم ليت مع رواية الرفع . وهو مسلَّم إن كانت كان تامَّة .

قال ابن الشجرى ، وتبعه ابن هشام : فإن قلتَ : هل يجوز أن يُنصبَ بليت [(٢)] ، وتجعل كان مستغنيةً بمرفوعها بمعنى حدث ووقع ، ويخبر بالجملة التى هى كان وفاعلُها عن كفاف . فالجواب : أنَّ ذلك لا يصحُّ لخلو الجملة عن عائد . فلو قلت : ليت زيداً قام عَمْرٌو لم يجز ، لعدم ضميرٍ فى اللفظ وفى التقدير .

فإن قلت :إليه أو معه أو نحو ذلك،صحَّ الكلام . انتهى .

وأمّا إن كانت ناقصةً فجائز . قال أبو حيان (فى تذكرته) : يصحُّ جعل كفافا اسم ليت ، وخيرك اسم كان ، وتضمر الخبر عائداً على كفافا ، والتقدير :

---

(١) لعدى بن زيد فى ديوانه ١٦٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) فى الأمالى : « أن تنصب كفافا بليت » .

كأنَهُ خيرُك . ونظيره أحد قولَىْ سيبويه فى : إنَّ أفضلَهم كان زيد . ومنع الفارسىُّ من هذا (فى التذكرة) وقال : لقبح الابتداء بالنكرة ، ولأنّه ليس بعده فى الجملة ذكرٌ يعود عليه ، ولا هو هى . ويالَهَا غفلةً من إمام حَبْر . وإضمار خبر كان لا يُحصَى ، وحذفه كحذف سائر الضمائر إذا كان فى حكم الموجود ، مثل إنّ زيداً ضربَ عمرٌو ؛ وإن كان ضعيفاً . فأمَّا نصب هذه الحروف المنكرات فلا ينحصر . انتهى .

وقد تبع ابنُ الحاجب أبا علّيٍ فقال (فى أماليه) : ولا يستقيم أن يكون كفافاً اسماً لليت ، لأنّه نكرةٌ : فلا يصلح ، ولو صلح لم يستقم المعنى ، لأنَّ قوله كان خيرك وما بعده لا يصلح خبراً . انتهى .

وقول الشارح : « وقوله خيرك وشرّك اسم كان وكفافا خبرها ، ولم يثنَّ لكونه مصدراً فى الأصل » . ومثله [1] لابن الحاجب (فى أماليه) ، قال : كفافا خبر عن الخير والشر معاً ، أى ليت خيرك وشرّك بالنسبة إلىّ لا يفضُل أحدهما عن الآخر ؛ لأن الكِفاف هو الذى ليس فيه فَضْل . يريد : إنّ شرَّك زائدٌ على خيرك ، فأنا أتمنّى لو كان غير زائد . انتهى .

وفيه ردٌّ على ابن الشَّجرى ، فى زعمه أنّ كفافاً إنما هو خبر خيرك ، وخبر شرك محذوف مدلولٌ عليه بالمذكور .

وقال (فى المجلس الثانى ، وهو المجلس السادس والثلاثون) : ومن روى وشرُّك رفعه بالعطف على خيرُك ، فدخل فى حيِّز كان ، فغير أبى علىّ يقدّر خبر كان المضمر محذوفاً دلَّ عليه خبر كان المظهر ، ويقدَّر المحذوف بلفظ المذكور ، وهو القياس . ونظير ذلك قوله :

---

(١) كذا فى النسختين ، والوجه « مثله » بطرح الواو .

نحنُ بما عندنــــا وأنت بما عِندَك راضٍ والرأىُ مختلفُ [١]

أراد : نحن بما عندنا راضُوان . انتهى .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى) .

وتنبَّهَ الدماميني من كلام الشارح [٢] فقال معترضا عليه : لا حاجةَ إلى هذا التقدير ؛ فإنّ كفافاً يصحُّ كونه خبراً عنهما ، إذ هو صالح للإخبار عن الاثنين وغيرهما .

وقول الشارح : وعنِّى متعلّق بكفافا . لأنّه خبر كان ، فهو متأخِّر فى التقدير إلى جنبه ، والمعنى عليه .

وقوله : « والماء على هذا الوجه منصوب » على وجه أن يكون كفافاً خبراً عنهما . أى ويكون مرتوى فاعل ارتوى ، وهو مطاوع أرويته ، ورويته من الماء فارتوى منه وتروَّى . يقال رَوِىَ من الماء بكسر الواو ، إذا شَبع منه ، يَروَى بفتحها ، رَيًّا ؛ والاسم الرِّيُّ بالكسر ، فهو رَيّانُ والمرأة ريًّا ، كغضبان وغضبى . ويعدَّى بالهمزة والتضعيف كما تقدَّم . كذا فى المصباح .

٣٩٢ وقال ابن الشجرىّ : ارتوى بمعنى رَوِى ، جاء افتعل بمعنى فعل ، كقولهم : رقِىَ وارتقى . ومثله من الصَّحيح خطف واختطف . انتهى .

ونصب الماء بنزع الخافض . قال ابن الشجرى : يقال ارتويت منه أو به .

وإليه أشار الشارح بقوله : أى ما ارتوى من الماء مرتوٍ . والمراد من هذا التأبيدُ ، كقوله تعالى : ﴿ خالِدينَ فيها ما دامَتِ السَّمواتُ والأرض [٣] ﴾ ، الآية .

---

(١) لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٧٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) ط : « وتنبه الدماميني قوله من كلام الشارح » ، بإقحام « قوله » .

(٣) من الآية ١٠٧ ، ١٠٨ من سورة هود .

قال ابن الشّجرى : وأمّا نصب الماءَ فبتقدير حذف الجار ، أى ما ارتوى من الماء أو بالماء . وحذفُ الجارّ وإيصال الفعل إلى المجرور به ممّا كثُرَ استعمالُه فى القرآن والشعر . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ واختار مُوسَى قومَه سَبْعين رجلاً (١) ﴾ ، أراد من قومه . ومِن حذف الباء قوله تعالى : ﴿ إنمّا ذلكُمُ الشيَّطانُ يُخوِّفُ أولياءه (٢) ﴾ ، أى يخوِّفكم بأوليائه ، فلذلك قال : ﴿ فلا تَخَافُوهُم ﴾ .

وقول الشارح : « وقيل شرُّك مرتوٍ بتقدير مرتوياً » إلى آخره . هذا قولُ أبى علّيٍ (فى تذكرته) ، فيكون على قوله كفافا خبراً لقوله خيرك فقط ، على معنى أنّه ما بلغَ ذلك إلى أن يكون فيه كفاف ، كما تقول : ليت نَفقتك كفافا ، أى ليتها مقدارُ الحاجَة . تريد أنّها أنقص ، فكذلك ههنا ، ويكون العطف على الأوّل من عطف مفرد على مفردٍ شاركه فى خبره . وعلى قول أبى علّيٍ من عطف الجمل ، أخبر عن كل مفرد منهما بخبر خاصّ .

قال ابن الشجرى : وأمّا قوله وشرّك فمن رفعَه فبِالعطفِ على اسم كان ، ومرتوى فى رأى أبى على خبره . وكان حقُّ مرتوى أن ينتصب لأنّه معطوف على كفافا ، كما تقول : كان زيد جالسا وبكر قائما ، تريد : وكان بكر قائما ، فكأنّه قال : ليتك أو ليت الشأن كان خيرك كفافا وكان شرك مرتوياً عنّى . وأسكن ياء مرتوى فى موضع النصب لإقامة الوزن ، كقول بشر :

* كَفَى بالنأيِ من أَسماءَ كافى(٣) *

وكانَ حقُّه : كافياً .

---

(١) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ١٧٥ من آل عمران .

(٣) تمامه فى ديوان بشر ١٤٢ والخزانة ٤ : ٤٣٩ — ٤٤٠ :

* وليس لحبها إذْ طال شافى *

وقال فى (المجلس الثانى) : وذهب أبو على على رواية رفع وشرُّك ، إلى أنَّ الخبر مرتوى ، وكان حقّه مرتوياً ، ولكنَّه أسكن الياء لإقامة الوزن والقافية ، وهو من الضرورات المستحسَنة ؛ لأنّه ردّ حالةً إلى حالتين . أعنى أنّ الشاعر حمَلَ حالة النصب على حالة الرفع والجر ، وحَسُن الإخبار عن الشر بمرتوى لأنّ الارتواء يكفّ الشاربَ عن الشرب ، فجاز لذلك تعليق عنّى بمرتوِى . انتهى .

وكلُّهم حمَلَ تسكين مرتوى على الضرورة ، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه وقف على لغة ربيعة ، فإنّ لغتهم الوقف على المنصوب المنوَّن بالسكون .

قال ابن الحاجب : ولا يجوز أن يكون شرُّك مرتوى مبتدأً وخبراً ، كقولك : كان زيد قائماً وعمرو منطلق ؛ لفساد المعنى ، لأنّه يكون حينئذ جملةً مستقلّة منقطعةً عن التمنّى فى المعنى ، مثلها فى قولك : ليت زيداً قائم وعمروٌ منطلق ، لأنَّ عمرو منطلق فى مثل ذلك مُثبَتٌ له الانطلاقُ ، غيرُ داخلٍ فى حيِّز التمنى ، بخلاف ليت زيداً قائم وعمراً منطلق . وإذا ثبتَ ذلك كان جعلُك « وشرُّك مرتوى » مرفوعاً على الابتداء يُوجب أنْ يكون مخبراً بإثبات ، فيوجب إخباره بأنّ شرَّه منكفٌّ ، فيفسُد المعنى ، إذ المعنى أنَّ شرَّه زائد ، وأنّه يتمنى أن لا يكون كذلك ، فكيف يُحمَل على وجهٍ يثبت ما مقصود المتكلّم نفيُه . انتهى .

وقول الشارح « ويكون الماء على هذا الوجه مرفوعا » ، أى على وجْهِ جعل مرتوى خبراً لقوله : وشرُّك .

وقوله : « فاعل ارتوى أى ما دام الماء ريّان » ، هذا أحدُ وجهين فيه . قال ابن الشجرى : وعلى مذهب أبى علىٍّ فى كون مرتوى خبراً لكان رفعُ الماءِ بتأوِيلين : ٣٩٣

أحدُهما : تقدير حذفِ مضاف ، أى ما ارتوى أهلُ الماء ، كما جاء :

﴿ واسْأَلِ القرية [١] ﴾ أى أهل القرية ، و ﴿ حتَّى تضعَ الحربُ أوزارَها [٢] ﴾ أى يضع أهل الحَرْب أسلحتَهم . ومن كلامهم : صلَّى المسجدُ ، أى أهل المسجد . وقد كثُر حذف المضاف جدًّا .

وثانيهما : ما أجازه بعضُ المتأخِّرين ، وهو أنْ يكون الماء فاعل ارتوى من غير تقدير مضاف . قال : وجاز وصفُ الماء بالارتواء للمبالغة ، كما جاز وصفُه بالعطش ، لذلك قال المتنبى :

* وجُبْتُ هَجِيراً يتركُ الماءَ صاديا [٣] *

وقد تكلَّف بعضُ المتأخِّرين نصبَ الماء ، فى القول الذى ذهب إليه أبو على ، وذلك على إضمار فاعل ارتوى ، قياساً على ما حكاه سيبويه من قولهم : إذا كان غداً فأْتني ، أى إذا كان ما نحن فيه من الرخاء أو البلاء غداً . فقدَّر ما ارتوى الناس الماءَ . وأنشد عَلَى هذا قولَ الشاعر [٤] :

إذا كان لا يرضيك حتَّى تردَّنى ... إلى قَطَرِيٍّ ما إخالُكَ راضيَا

أراد : إن كان لا يرضيك شأنى أو ما أنا عليه ، فأضمر ذلك للعلم به . وأقول : إنّ الإضمار فيما حكاه سيبويه حسن ، لأنَّه معلوم . وتقدير إضمار الناس فى قوله ما ارتوى الماءَ ، بعيدٌ . انتهى .

ولا يخفى أنَّ هذا القول تعسُّف من وجهين : أحدُهما حذف الفاعل من غير الصُّور المعدودة . وثانيهما : حذف الباء ، وحرفُ الجر لا يحذف إلاّ سماعا .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٤ من سورة محمد .

(٣) ديوان المتنبى ٢ : ٤٦٨ ومعجم الشواهد . وصدره :

* لقيت المرورى والشناخيب دونه *

(٤) هو سوَّار بن المضرَّب . وانظر معجم الشواهد .

ثم قال ابن الشجرى : وغير أبى علىّ ومَن اعتُمِد على قوله ، روَوْا نصب الماء ، ولم يروُوا فيه الرفع ، فلزموا ظاهر اللفظ والمعنى ، فذهبوا إلى أنّ الفاعل لارْتَوَى مرتوى . وأبو طالبٍ العبدىُّ منهم ، وذلك أنّه ذكر لفظ أبى على فى تعريب البيت ثم قال : وأنا مطالِب بفاعل ارتوى . ثم مثَّل قوله ما ارتوى الماءَ مرتوى بقوله : ما شرب ، أى أبدًا . فدلَّ كلامُه على أنّه لم يعرف المعنى الذى ذهب إليه أبو على ، مِن نصب مرتوى على أنّه خبر كان ، أو رفعِه على أنّه خبر ليت . والقول عندى فيه أنّ الالتزام بالظاهر على ما ذهب إليه العبدىّ أشبَهُ بمذاهب العرب فيما يريدون به التأبِيد ، كقولهم : لا أفعل كذا ما طار طائر ، ولا أكلِّمك ما سمَر سامر . وقد مرَّ بى كلامٌ لأبى علىّ ذهب عنِّى مكانُه ، يتضمَّن تجويز [رفع (١)] مرتوى بارتوى . وأنا منذ زمان أجيل فكرى وطرفى فى تعرُّف الكلام الذى سنح لى فيه كلامه ، فلا أقف عليه . انتهى .

وقال أبو حيّان : جعل ابن بابشاذَ مرتوى منصوباً على المصدر ، أى ارتواء ، ورُدَّ عليه بأنَّ اسم الفاعل فيما زاد على الثلاثة لا يكون مصدراً ، وإنّما يكون ذلك فى اسم المفعول ، نحو ضاربته مُضارَبا . قال :

أُقاتِلُ حتى لا أرى لى مُقاتَلاً وأنجو إذا لم ينجُ إلاَّ المكيَّسُ (٢)

وكأنَّه قاسه على الثلاثى نحو : قم قائما ، وأقائما وقد قعد الناس . انتهى .

أقول : تجويز هذا إنمّا يتصوَّر فى رفع الماء وجعلِ المعطوف مشاركاً للمعطوف عليه فى خبره .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) لزيد الخيل ، كما فى معجم الشواهد ، وهو من شواهد سيبويه ٢ : ٢٥٠ بولاق .

بقى على الشارح المحقق توجيهُ وشرّك فى رواية نصبه . قال ابن الشجرى : ومن قال : وشرَّك بالنصب ، حمله على ليت ، ولا يجوز أن يكون محمولاً على ليت المذكورة ، لأنَّ ضمير الشأن لا يصحُّ العطف عليه لو كان ملفوظاً به ، فكيف وهو محذوف . وإذا امتنع حملُه على ليت المذكورة حملتَه على أخرى مقدَّرة . وحسُنَ ذلك لدلالة المذكورة عليها ، كما حسُن حذف كلّ فيما أورد سيبويه من قول الشاعر [1] :

٣٩٤

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقَّدُ باللَّيلِ نارا

أراد : وكلَّ نار ، فكأنه قال : وليت شرَّك مرتوٍ عنّى .

وقال ابن هشام : يروى بنصب شرَّك ، إمَّا على أنّه اسمٌ لليت محذوفة ، وإمَّا على العطف على اسم ليت المذكورة إنْ قدِّر ضمير المخاطب [2] . انتهى .

وقد غفل صاحب اللباب (فيما علَّقه عليه) عن عدم جواز العطف على ضمير الشأن فقال : شرك بالنصب عطف على اسم ليت ضمير الشأن .

ثم قال ابن الشجرى : فمرتوى فى هذا التقدير على ما يستحقُّه من إسكان يائه لكونه خبراً لليت . وعلى مذهب أبى على فى كون مرتوى خبراً لكان أو لليت يجوز فى الماء الرفع والنصب ، وتقدَّما . وأبو طالب العبدىُّ لم يعرف إلاّ نصبَ الماء ، ولم يتَّجهْ له إلاّ إسناد ارتوى إلى مُرتوِى ، وذلك أنّه قال : معنى ما ارتوى الماء مرتو : ما شربَ الماء شاربٌ .

ثم قال : وأمَّا ما ذكره الشيخ أبو على من قوله : وإن حملت العطف على

---

(١) هو أبو دُوَادٍ الإيادى . ديوانه ٣٥٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٣ .

(٢) ط : « على اسم ليت المقدر إن قدر ضمير المخاطب ، صوابه فى ش والمغنى ٢٩٠ .

كان كان مرتوى فى موضع نصب . وإنْ حملته على ليت نصبتَ قوله وشرّك ومرتوٍ مرفوع ، فكلامٌ لم يفسِّره رحمه الله .

ثم قال : ومرَّ بى بعد هذا فى تعليقي كلامُ الشيخ أبى على ، أنا حاكيه على الوجه ، وهو أنَّه أورد البيت ثم قال بعد إيراده : ليت محمولٌ على إضْمار الحديث ، و كِفافاً خبرَ كان . فأمَّا قوله : وشرُّك عنى ما ارتوى الماء مرتوى ، فقياس مَنْ أعمل الثانىَ أن يكون شرُّك مرتفعاً بالعطف على كان ، ومرتوى فى موضع نصب ، إلاّ أنَّه أُسكِن فى الشعر ، مثل :

* كفى بالنَّأى من أسماء كافى (١) *

ومن أعمل الأوّل نصب شرَّك بالعطف على ليت ، ومرتوى فى موضع رفع لأنّه الخبر ، وما ارتوى الماءَ فى موضع نصب ظرفٌ يعمَل فيه مرتوى . هذا ما ذكره أبو على . ثم قال العبدى : وقد تقدَّمت مُطالبتى بفاعل ارتوى ، وإذا ثبت ما ذكرتُه عُلم أنّ الأمر ما قلتُه ، والمعنى عليه لا محالة . انتهى .

فمُلخَّصُ ما تقدَّم : أنه يجوز أن يكون كِفافاً اسم ليت مع نصبِ خيرك وشرَّك عنى عند عبد القاهر ، ومع رفعهما بتقدير خبر كان ضميراً عند أبى حيّان . ويجوز أن يكون اسم ليت ضميرَ شأن أو مخاطب ، واسم كان خيرك وشرّك ، وكفافا خبر كان ، عنهما أو عن أوَّلهما وخبر الثانى محذوف ، وعنِّى متعلِّقهُ ، وجملة كان خيرك وشرك كفافاً عنِّى خبر ليت عند الجمهور ، ومرتوى فاعل ارتوى ، والماء مفعوله عند الجميع . وعند أبى عليٍّ جملةُ : كان خيرك كفافا ، خبر ليت ، وشرُّك عنى مرتوِيًا معطوفانِ على خيرك كفافا . وإنْ نصب شرَّك بتقدير ليت فجملةُ وشرُّك عنى مرتوى معطوفةٌ على جملة ليت المتقدمة . وعنِّى فى الوجهين عنده متعلِّقة بمرتوى . وكذلك الماء فى الوجهين عنده يجوز رفعُه ونصبه .

---

(١) سبق الكلام عليه قريبا .

هذا تحرير الأقوال فى البيت ، وتمييز ما لكلِّ قولٍ عن الآخر .

وقد لخَّص ابنُ هشام (فى المغنى) كلام ابن الشجرى فى غير وجهِه ، فإنّه لم يبيِّن ما ينبنى على كلِّ قولٍ من الأقوال . قال : فى البيت إشكال من أوجه :

أحدها : عدم ارتباط خبر ليت باسمها ، إذِ الظاهر أنّ كِفافا اسم ليت وأنَّ كانَ تامَّة ، وأنَّها وفاعلها الخبر ، ولا ضمير فى هذه الجملة [١] . ٣٩٥

والثانى : تعليق عنِّى بمرتوٍ .

الثالث : إيقاع الماء فاعلاً بارتوى ، وإنما يقال ارتوى الشارب .

والجواب عن الأوّل أنّ كفافا إنمّا هو خبرٌ لكان مقدَّم عليها ، وهو بمعنى كافٍّ ، واسم ليت ضمير الشأن أو المخاطب [٢] ، وخيرك اسم كان وكلُّه توكيد له ، والجملة خبر ليت . وأما شرّك فيروى بالرفع عطفاً على خيرك ، فخبرُه إمّا محذوف تقديره كفافا فمرتوى فاعل بارتوى ، وإمّا مرتوى على أنّه سكن للضرورة . ويروى بالنَّصب إمّا على أنّه اسم لليت محذوفة ، وإمَّا على العطف على اسم ليت المذكورة إن قدِّر ضمير المخاطب ، ومرتوٍ على الوجهين مرفوعٌ خبر لليت المحذوفة أو المذكورة .

وعن الثانى أنّه ضمَّنَ مرتوٍ معنى كافٍّ ، لأنَّ المرتَوِيَ يكفُّ عن الشرب .

وعن الثالث أنّه إما على حذف مضاف أى شارب الماء ، وإمَّا على جعل الماء مرتوياً مجازا . ويروى بالنصب على تقدير مِنْ [٣] ، ففاعل ارتوى على هذا مرتوٍ . هذا تلخيصه .

---

(١) ش : « فى هذه » فقط خلافا لما فى ط والمغنى .

(٢) عبارة المغنى : « واسم ليت محذوف للضرورة ، أى فليتك ، أو فليته ، أى فليت الشأن » .

(٣) بعده فى المغنى : « كما فى قوله تعالى : واختار موسى قومه سبعين رجلا » .

ولا يخفى أنَّ تضمين مرتو معنى كافٍ ورفع الماء ، يختصَّان بقول أبى علىّ . ونصب الماء مع جعل مرتو فاعلاً إنمّا هو على غير قوله كما ذكرنا .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ ليزيدَ بنِ الحَكَم ، وتقدَّمت مع ترجمته فى الشاهد الثمانين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٨٥ (فلو أنَّ واشٍ باليمامة دارُه)

على أنَّه حذف النصب من (واشٍ) لضرورة الشعر ، وكان القياس أنْ يقول : فلو أنَّ واشيا ، لأنَّ إعراب نحو القاضى يقدَّر فى الرفع والجر ، لِثقَل الضمة والكسرة على الياء ، ويُلفَظ به فى النصب لخفّة الفتحة . وإسكانُ الياء ضرورةٌ ، قيل إنّه من أحسن الضرورات ، وقد حُذفت هنا لالتقائها ساكنةً مع سكون نون التنوين . وروى : « فلو كان واشٍ » فهو على القياس .

صاحب الشاهد

والمصراع من قصيدةٍ لمجنون بنى عامر ، وهذه أبياتٌ منها :

أبيات الشاهد

(خليلىَّ لا واللهِ لا أملِكُ الذى ... قَضَى اللهُ فى ليلى ولا ما قَضَى ليا
قضاها لِغَيرِى وابتلانى بِحُبِّها ... فهلاَّ بشىءٍ غير لَيْلَى ابتلائيا
فلو كان واشٍ باليمامة دارُه ... ودارى بأعلى حَضْرَمَوْتَ اهتدى ليا
وماذا لَهُمْ لا أحسنَ اللهُ حِفظَهمْ ... من الحظّ فى تصريم ليلَى حِباليا)

---

(١) وردت قصيدته فى الخزانة ٣ : ١٣٢ – ١٣٤ مع تخريجها . أما ترجمة يزيد بن الحكم فقد مضت فى الخزانة ١ : ١١٣ – ١١٦ لا فى الشاهد الثمانين بعد المائة كما ذكر البغدادى هنا .

(٢) ديوان المجنون ٢٩٤ والأغانى ٢ : ٦ وتزيين الأسواق ٦٩ وابن يعيش ٦ : ٥١ والضرائر ٩٣ وشرح شواهد الشافية ٧١ ، ٤٠٥ والمغنى ٢٨٩ والهمع ١ : ٥٣ والأشمونى ١ : ١٠٠ وحاشية يس على التصريح ١ : ٩٠ .

وهذه أشهر قصائده ، وهى طويلةٌ جدا .

وقوله : « قَضَاها لغيرى » البيت روى صاحب الأغانى بسنده ، أنَّ المجنونَ لمَّا قاله نُودِىَ فى الليل : أأنت المتسخِّط لقضاء الله وقَدرِه ، والمعترضُ فى أحكامه ! واخُتلِس عقلُه وتوحَّش منذُ تلك الساعة ، وذهب مع الوَحْش على وَجهِه .

و (الواشى) : الذى يزوّق الكلام ليُفِسد بين شخصين ، وأصله من وَشَى الثَّوبَ يشِيه وشياً ، إذا نَقَشه وحَسّنه . و (اليمامة) : اسم بلدٍ ، وكان اسمها فى الجاهليَّة الجوّ ، بفتح الجيم وتشديد الواو . واليمامة : اسم جاريةٍ زرقاء ، كانت تُبصر الراكَب من مسيرة ثلاثة أيام ، سمِّى البلدُ باسمها لكثرةِ ما كان يضاف إليها ، فيقال جوّ اليمامة . و (حَضْرَموت) بفتح الميم وضمها مدينةٌ باليمن . وقوله (اهتدى ليا) اللام بمعنى إلى . وروى بدله :

* وداری بأعلى حَضْرموتٍ أتى ليا *

بتنوين حضرموت للضرورة . ٣٩٦

وقوله : « وماذا لهم » استفهام ، والضمير للوُشاة ، وجملة لا أحسَنَ الله حِفظَهم : دعاءٌ عليهم . ومن الحظّ متعلق بما تعلَّق به لهم . وتصريم : تقطيع ، وهو مصدرٌ مضافٌ إلى فاعله ، وهو ليلى : اسم عشيقته . وحِباليا مفعوله : جمع حَبْل ، وهو مستعارٌ للوُصلة والألفة بين شخصين .

وترجمة مجنونِ بنى عامر تقدَّمت فى الشاهد التسعين بعد المائتين [١] .

* * *

نهاية الجزء العاشر من تقسيم محقّقه

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٢٩ – ٢٣٣ .



الفهارس

(ا) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد





(ب) فهرس الشواهد

بقية باب حروف الجر

باب الحروف المشبَّهة بالفعل

٨٦٥		ولكنّنى مِنْ حُبِّها لَعَميــدُ	٣٦١
٨٦٦	إنَّ الخليفــةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَــهُ	لِباسَ مُلْكٍ به تُزْجى الخواتيمُ	٣٦٤
٨٦٧	لقد عَلِمَ الحىُّ اليمانُونَ أنّنى	إذا قُلتُ أمَّا بَعْدُ أنّى خطيبُها	٣٦٩
٨٦٨	تاللهِ ربِّكَ إنْ قتلتَ لمُسْلِمــاً	وجَبَتْ عليكَ عُقوبةُ المتعمِّـد	٣٧٣
٨٦٩	بأنْك ربيــعٌ وغــيثٌ مَريــعٌ	وأنْكَ هُناكَ تكــونُ الثِّمــالا	٣٨٢
٨٧٠		كَأَنْ وريدَيْــهِ رِشاءَا خُلْبِ	٣٩١
٨٧١	وصَدرٍ مُشرِقِ اللَّــونِ	كأنْ ثدييْــهِ حُقّــانِ	٣٩٧
٨٧٢	عَبأْت له رُمحاً طويــلاً وألَّــةً	كأَنْ قَبسٌ يُعْلَى بها حين تُشْرَعُ	٤٠١
٨٧٣	تُمَشّى بها الدَّرماءُ تَسْحَبُ قُصْبَها	كأنْ بَطْنُ حُبْلَى ذاتِ أونَيْنِ مُتْئِمِ	٤٠٨
٨٧٤	ويومــاً تُوافينــا بوجــهٍ مُقسَّمٍ	كأنْ ظبية تَعطُو إلى وارقِ السَّلَمْ	٤١١
٨٧٥	فلسْتُ بآتيــهِ ولا أستطيعُــه	ولاكِ اسقِنى إنْ كان ماؤك ذا فَضْلِ	٤١٨
٨٧٦	لَعــاءَ اللهِ فَضلَكُــمُ علينــا	بشىءٍ أنَّ أُمَّكُــمُ شَرِيــمُ	٤٢٢
٨٧٧	فقلت ادعُ أخرَى وارفع الصَّوتَ جَهرَةً	لعلَّ أبى المغوارِ منكَ قريبُ	٤٢٦
٨٧٨	لعــلَّ اللهِ يُمكِنُنــى عليها	جِهاراً من زُهيرٍ أو أُسيــدِ	٤٣٨
٨٧٩	فلو كنتَ ضَبِّيًّا عرفتَ قَرابتى	ولكــنَّ زنجىٌّ عَظيمُ المَشافِــر	٤٤٤
٨٨٠	كأنَّ على عرنينِــه وجَبينِــه	أقامَ شُعاعُ الشَّمسِ أو طَلَع البدرُ	٤٤٩
٨٨١	إنَّ محــلاًّ وإنَّ مُرتَحَــلاَ	وإنَّ فى السَّفْرِ إذْ مضَوْا مَهلاَ	٤٥٢
٨٨٢	خلاَ أنَّ حيًّا من قُريشٍ تفضَّلُوا	على النَّاس أو أنَّ الأكارِمَ نَهشلا	٤٦١
٨٨٣	ليتَ شِعْرِى مسافرُ بنَ أبى عَمْـ	ـرٍو ولــيتٌ يقولُهــا المحزونُ	٤٦٣
٨٨٤	فليتَ كِفَافــاً كانَ خيــرَكَ كلَّــه	وشَرُّك عنِّى ما ارتوَى الماءَ مُرتوِى	٤٧٢
٨٨٥		فلــو أنَّ واشٍ باليمامــةِ دارُه	٤٨٤



تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الحادي عشر

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجي

رقم الإيداع ٢٤٣٦ / ٨٣

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحروف العاطفة

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثمانمائة [1] :

٨٨٦ (أو جَونةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامُها)

على أنَّ الواو لا تدلُّ على ترتيب ، بل قد تدخل على متقدِّم على ما قبله كما هنا ، فإنَّ فضَّ الختام قبل القَدْح .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(أُغْلِى السِّباءَ بكُلِّ أدكنَ عاتقٍ)

يقال : أغليتُ الشئ : اشتريتُه غالياً . والسِّباء ، بكسر السين المهملة بعدها موحّدة : اشتراء الخمر ، ولا يقال فى غيرها . يقال سبأت الخمر بالهمز أسبؤها سِبَاءً بفتح عين الماضى والمضارع ، فيكون فى الأوّل تجريد ، أى أدفع الثمنَ الغالىَ فى اشتراء الخمر . والباء فى بكلّ ظرفية متعلقة بحالٍ محذوفة ، إذ المراد : أُغلى سِباء الخمر كائنةً فى أدكن ، بالدال المهملة ، وهو الزِّقّ .

قال الجوهرىّ : الدُّكنة : لونٌ يضرب إلى السَّواد . وقد دَكِن الثَّوبُ من باب فرح ، والشئ أدكن . وأنشد البيت وقال : يعنى زِقًّا قد صلَح وجاد فى لونه ورائحته لِعتْقه . والزِّقُّ كما قال صاحب المصباح : هو بالكسر : الظَّرف ، وبعضهم يقول : ظرف زِفتٍ أو قِير . و (عاتق) بمعنى عتيق ، صفة أدكن . قال الدِّينَوَرىّ (فى كتاب النبات) عند إنشاده هذا البَيت : ذهب بعضُهم إلى أنَّ

---

(١) البيت من معلقة لبيد . وانظر ابن يعيش ٨ : ٩٢ ورصف المبانى ١٤١ والعينى ٤ : ١٢٥ .

العاتق الخمر التى لم تُفَضّ بعدُ . ذهب إلى معنى الجارية العاتق ، وهى البِكر ، وليس كذلك ، بل هو من عِتْق القِدَم ، يقال فى كلّ ما تقادَمَ : عتَق يَعْتِقُ ويعتُق ، أىْ من باب ضرب ونصر ، فهو عاتق . و (الأدكن) : الزِّق . وقد أخطأ العينى هنا فى قوله : وإنّما منع أدكن الجرّ لامتناعه من الصَّرف ، للعلميّة ووزن الفعل .

وقوله : (أوجَونةٍ) بالجرّ عطف على أدكن ، وهى بفتح الجيم . قال أبو حنيفة : هى الخابية ، والباطيَة المقيَّرة . وكذا قال الجوهرى : الجونة : الخابية مطليّةً بالقار . وقُدِحت ، بالبناء للمفعول ، الجملة صفةٌ لجونة . و (قُدِحت) : غرفت . والمِقدحةُ:المِغرفة . قال أبو حنيفة : إذا استخمرت الخمرُ فَضُّوا عنها خِتامَها ثم استخرجوها من أعلى الوعاء اغترافا ، وهو القَدْح ، وقد قُدِحت فهى مقدوحة . انتهى . وقيل معنى قُدِحَتْ مُزجت ، وقيل معناه بُزلت . يقال بَزلتُ الشّئ بزلاً ، إذا ثقبته واستخرجتَ ما فيه . والمِبْزل : المِثْقب . وفُضّ بضم الفاء ، أى كسِر . و (ختامها) : طِينها . والضمير للجَونة . قال أبو حنيفة : الفتق والفَكّ والفَضّ شئٌ واحد . وقد فتق دنَّه وفضَّه ، فاقتدح ما فيه . فى المصباح : فضضت الخَتْمَ فضًّا ، من باب قتل : كسرته . وفضَضتِ البِكارة : أزلتُها ، على التشبيه بالخَتْم . قال الفرزدق :

فبِتْـنَ بجانبـىَّ مُصرَّعـاتٍ ... وبتُّ أُفضُّ أغلاقَ الخِتامِ [(١)]

مأخوذ من فضضت اللؤلؤة ، إذا خرقتَها . وفى الصحاح : الختام : الطِّين الذى يختم به . وقوله تعالى : ﴿ خِتامُهُ مِسْكٌ [(٢)]﴾ أى آخره ، لأنَّ آخَر ما يجدونه رائحةُ المسك .

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ .

(٢) الآية ٢٦ من المطففين .

صاحب الشاهد

والبيت من معلقة لبيدٍ الصَّحابى ، قال شارحها أبو الحُسين الزَّوزنى : يقول : أشترى الخمر غالية السعر باشتراءِ كلِّ زِقٍ أدكنَ أو خابيةٍ سَوداءَ قَد فُضَّ خِتامُها ، وأغتُرِفَ منها . وتحرير المعنى اشتراءُ الخمرِ للنُّدماء عند غَلاء السِّعر ، واشتراءُ كلِّ زقٍّ مقيّر أو خابيةٍ مقيَّرة . وإنّما قيِّرَا لئلاّ يرشَحَا بما فيهما ، وليسرع صَلاحه وانتهاؤُه ، وهو إدراكُه . وقوله « قُدِحت وفُضَّ ختامها » فيه تقديمٌ وتأخير ، تقديره : فُضّ ختامُها وقُدحت ، لأنَّه مالم يُكسَر خِتامُها لا يمكن اغترافُ ما فيها من الخمر . انتهى .

وترجمة لبيد تقدَّمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(يالهْفَ زَيَّابةَ للحارث الصَّا بِح فالغانِم فالآيبِ)

وتقدم شرحُه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد الثلثمائة فى أول باب العطف [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد س [٣] :

---

(١) الخزانة ٢ : ٢٤٦ – ٢٥١ .

(٢) الخزانة ٥ : ١٠٧ – ١١٣ .

(٣) فى كتابه ٢ : ٢٩٨ . وانظر مجالس ثعلب ١٣٧ ومجالس الزجاجى ٢٧٣ والمنصف ١ : ٢٢٤ والمحتسب ٢ : ٤٩ ودلائل الإعجاز ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٩ والإنصاف ٦٥٦ وابن يعيش ٢ : ١٢٨/ ٤ : ١٥/ ٩ : ٣٣ ، ٧٨ ، ٨٩/١٠ : ٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٤٢ ورصف المبانى ٣٥٣ والمغنى ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٥٦ والعينى ٤ : ٤١٤ والتصريح ٢ : ١٣٦ والهمع ٢ : ١٢٩ والأشمونى ٣ : ١٠٩ .

٨٨٧ (قِفا نَبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقراةِ لم يَعْفُ رَسمُهَا لِمَا نسجَتْهَا مِن جنوبٍ وشَمْأَلِ)

على أنَّ (الفاء) الداخلة على الأماكن بمعنى إلى ، أى منازل بين الدخول إلى حومل إلى توضح إلى المقراة .

وهذا أحدُ جوابين أجاب بهما الشارح عن إشكاله [١] ، وهو أنّ الفاء تقتضى التفريق ، وهو منافٍ لما تُفهِمه بَيْنَ من الاجتماع ، لأن البينيَّة نسبَةٌ ، وأقلُّ ما تستدعيه منتسبان . وأنت إذَا قلت : المال بين زيدٍ وعمرو ، فقد أفدت احتواءَهما عليه ، واجتماعَهما على مِلْكه . ولهذا الإشكال أنكر الأصمعىُّ وَمن تبعه رواية الفاء ، وقال : إنمّا الرواية : « وحومل وتوضح والمقراة » .

قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) : تكلَّم الناسُ فى قوله : بين الدخول فحومل ، قال أبو إسحاق الزِّيادى : الرواية « بين الدخول وحومل » ، ولا يكون « فحومل » . لأنَّك لا تقول : رأيتك بين زيد فعمرو . وهذا سمعه الزيادىُّ من الأصمعىّ ، فسألت ابن دُريد عن الرواية فحكى ما قال الأصمعى ولم يزِدْ عليه ، فسألت أبا بكر محمد بن على بن إسماعيل [٢] فقلت : قال الأصمعى : لا يجوز أن تقول رأيته بين زيد فعمرو . وكان ينكر بين الدخول فحومل . فأملى علىَّ الجواب فقال : إنّ لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنىً ، فالواوُ تَجْمع بين الشيئين نحو قام زيد وعمرٌو ، فجائز أن يكونا كلاهما قاما فى حالةٍ واحدة ، وأن يكون قام الأوّل بعد الثانى ، وبالعكس . و (الفاء) إنمّا هى دالَّة على أنّ الثانىَ بعد الأوّل ولا مُهلة بَينهما . فقال الأصمعىُّ – وكان ضعيفاً فى

(١) ش : « عن إشكال » .

(٢) هو النحوى المعروف بمَبْرَمَان ، تلميذ المبّرد والزجاج ، وأستاذ الفارسىّ والسيرافى . توفى سنة ٣٤٥ .

النَّحو غير أنَّه كان ذا فطنة : أطبقت الرواة على بين الدخول وحومل ، ولا يجوز فحومل ، لأنّه ليس يقصد أن يكون بياناً لشيئين أحدهما بعد الآخر ثم يكون الشيء بينهما ، إنمّا يريد أنَّهما لا يجتمعان وهو بينهما ، كما تقول زيد بين الكوفة والبصرة ، ولا تقول فالبصرة . فقد أجاد فِطنةً . انتهى .

٣٩٨ وقد أجاب الشارح على تقدير صحة رواية الفاء بجوابين :

(أحدهما [١]) أنَّها بمعنى إلى ، لدخولها فى الأماكن ، فلا تدلُّ على الترتيب المقتضِى للتفريق . وهذا الجواب مركَّبٌ من قولين ، لأنَّ الذى يقول : إنّ الفاء بمعنى إلى لا يشترِط فى مدخولها أن يكون مكاناً . ومَنْ ذكر دخولَها على المكان لا يقول إنّها بمعنى إلى ، وإنمَّا هى عنده بمعنى الواو لمطلق الجمع ، ولا تفيد ترتيباً ، والأوّل قول بعض البغداديِّين . قال العسكرى : قال بعضُ البغداديِّين : أراد قفا نبك [ما [٢]] بين الدخول إلى حوملٍ إلى توضح إلى المِقراة . فالفاء فى موضع إلى ، فأضمر ما مع بينَ كقولك : هو أحسن الناسِ قرناً فقَدَمًا ، ولم يُضمر بين . فأراد فابكيا هذا إلى ذا . انتهى .

ونقله ابن هشام أيضا (فى المغنى) فقال : وقال بعض البغداديِّين : الأصل ما بين الدخول ، فحذف ما دُونَ بينَ كما عكس مَنْ قال :

* يا أحسنَ النَّاسِ ما قرناً إلى قَدَمٍ [٣] *

أصله ما بين قرنٍ ، فحذف بيناً وأقام قرناً مقامها . ومثله : ﴿ إنَّ الله

---

(١) سيأتى الجواب الثانى فى ص ١٥ مما سيأتى .

(٢) التكملة من ش .

(٣) صدر بيت مجهول القائل . وعجزه كما فى الدرر اللوامع ٢ : ١٧٠ :

* ولا حبال محب واصل تصل *

لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ مثلاً ما بعوضَةً فما فوقَها [١] ﴾ قال : والفاء نائبة عن إلى . ويُحتاج على هذا القول إلى أن يقال : وصحَّت اضافة بين إلى الدَّخول لاشتماله على مواضع ، أو لأنّ التقدير بين مَواضع الدَّخول . انتهى .

و (الثانى) هو قول الجَرْمىّ ، قال أبو حيّان (فى الارتشاف) وابن هشام (فى المغنى) : وقال الجرمىُّ : لا تفيد الفاءُ الترتيبَ فى البقاع ولا فى الأمطار ، بدليل قوله : بين الدخول فحومل ، وقولهم : مُطِرْنَا مكانَ كذا فمكانَ كذا ، وإن كان وقوعُ المطرِ فيهما فى وقتٍ واحد . انتهى .

وهذا أقرب من القولَين الآخَرين وأسهل . والقول الثانى يحتاج إلى مَعُونة ، وقد بيَّنها ابن هشام بقوله : ويُحتاج على هذا القول إلى أن يقال : وصحَّت إضافة بين إلى الدخول لاشتماله على المواضع إلخ . وذلك لأنَّ الدَّخول مفرد ، والفاء غاية ، وبين موضعٌ للتوسُّط إمَّا بين اثنين منفصِلين نحو : المال بين زيد وعمرو ، وإمَّا بين اثنين مجتمعين فى لفظة ، نحو : المال بين الرَّجلين ، وإمَّا بين جماعة مفرَّقة نحو : المال بين زيد وعمرٍو وبكر ، وإمّا بين [٢] جماعة مجتمعة فى لفظةٍ نحو : المال بين الرجال ، أو بين القوم ، فلا تضاف إلى مفردٍ لفظاً ومعنىً إلاَّ إنْ أُوِّل بما يدلُّ على التعدّد . وفيه أيضا تكلُّف ، وهو ادِّعاء حذف ما . وهذا لا يجوز عند البصريِّين ، سواء كانت ما موصولةً إذْ لا يحذف الموصول وتبقى صلته ، أم موصوفةً إذْ شرط حذفِ الموصوف بالجملة أو بالظرف [٣] أن يكون بعضاً من مجرورٍ بمِنْ أو فى . وإنمَّا احتاجَ إلى تقديرها لأنّ نبْكِ فعلٌ متعدٍّ بنفسهِ يطلُب مفعولا ، يقال :

---

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) كلمة « بين » هنا ساقطة من ش .

(٣) ش : « أو الظرف » .

بكيتُه ، ويتعدَّى بالحرف أيضا يقال : بكيت عليه وله . وأما بكَّيته بالتشديد فمعناه جَعلته باكياً ، كأبكيته بالهمزة .

وتقديرُ الشارح « أى منازل بين الدخول » خيرٌ منه . أشار به إلى أنَّ بين مفعول لنبك بتقدير مضاف ، أى قفا نبكِ منازل بين الدخول .

وفى القولين إشارةٌ إلى أنَّ (بين) ليس حالاً من سِقط اللوى ولا صفةً له .

قال ابن المُلاّ تبعاً للعينى : بسِقْط اللوى صفةُ منزل ، وبين الدخولَ صفة سقط اللوى ، أى من منزلٍ كائن بسقط اللوى الكائِن بين الدَّخول . وإنمّا قدَّرنا متعلّق الصفة الثانية اسماً معرَّفا وإن كان المشهور تقديره فعلاً أو اسماً منكّرًا رعايةً لجانب المعنى . ولا يحسن جَعلُ الظرف حالا ، إذْ ليس القصد إلى التقييد . هذا كلامه . ٣٩٩

ولنا عنهما غُنيةٌ بجعله صفةً ثانية لمنزل ، أو بدلا مِن سقط اللوى ، مع أنَّ فى قوله مخالفةً لقولهم : « الجمل والظروف بعد المعارف أحوال ، وبعد النكرات صفات » . ولا يخفى أنَّه لا حاجة إلى ادِّعاء حذفِ ما ، أو حذفِ مضاف ، لأنَّ المبكىَّ من أجله مذكور ، وهو قوله : من ذكرى حبيب ومنزل ، ومِنْ فيه بمعنى اللام تعليليَّة ، والمبكىُّ من أجله والمبكىّ عليه مَآلهما واحد .

والأوْلَى حملُ تقدير الشارح هذا المضاف عليه ، بجعله ظرفاً لنبْكِ أو بدلاً من منزل ، فيقرأ بالجر [1] ، فيكون أشار به إلى أنَّ المبكىَّ من أجله منازلُ لا منزلٌ واحد ، لأنَّ المواضع أربعة وأقلُّ منازلها مثلها .

والقول الثالث ، وهو قول الشارح المركَّب منهما ، محتاجٌ إلى المَعونة التى ذكرناها ، إذ لا يصحّ إلاَّ بتقدير بين أماكن الدَّخول إلى حومل . وقد أشار إليها

(١) ش : « ويقرأ بالجر » .

ابن جنى (فى سر الصناعة) ، قال : إذا قُلْتَ : مُطَرنا بينَ زُبالة فالثَّعلبيَّة ، أردتَ أنَّ المطر انتظم الأماكنَ التى ما بين القريتين ، يَقْرُوها [١] شيئاً فشيئاً بلا فُرجة . فإذا قلت : مُطِرنا مَا بين زُبالة فالثَّعلبية [٢] أردت أنَّ المطر وقع بينهما ، ولم ترد أنَّه اتَّصَلَ فى هذه الأماكن من أوَّلها إلى آخرها . انتهى .

وإذَا آل الجواب إليه رجع إلى الجواب الثانى الآتى . وحينئذ لا فائدة لجعل [٣] الفاء بمعنى إلى .

وفى صنيع الشارح أمور :

(أحدها) : قوله : « وقد تجىء الفاء العاطفة للمفرد بمعنى إلى » أراد أنّها كانت عاطفة قبل مجيئها بمعنى إلى وأمَّا بعدَه فهى متمحِّضة للغاية ، كما هو ظاهرٌ من كلامه على البيت . ولا ينافيه قوله : فحذْفُه ، أى حذف الواو مع فاء العطف إلخ ، لأنَّ المراد فاء العطف صورةً لا حقيقةً . وفيه أنّه لا ضرورة إلى تقدير واو العطف معها فإنَّها عاطفة . ولا يمنع من عطفها كونُها بمعنى إلى ، فإنّ أو العاطفة تأتى بمعنى إلى وبمعنَى إلاّ ، ولم يقلْ أحد إنَّها مجردة من العطف فيهما ، والعطف بها واقعٌ قطعا كما فى المثال والشعر ، وهى نائبة عن إلى ، لا أنَّها بمعناها .

(ثانيها) : قوله : « على ما حكى الزَّجَّاجى : مطرْنا ما بين زُبالة فالثَّعلبية » ، هذه الحكاية والتوجيه إنمّا هما للكسائىّ والفرّاء ، قال فى تفسير الآية : وأمَّا الوجه الثالث وهو أحبُّها إلىّ فأنْ تجعل المعنى على : إنَّ الله

(١) يقروها : يتتبعها ، قراها يقروها قروا ، كما يقال يقريها قريا . ط : « يعروها » صوابه ، فى ش وسر الصناعة ١ : ٢٥٣ .

(٢) ط : « والثعلبية » ، صوابه بالفاء كما فى ش وسر الصناعة ، وبحث ابن جنى هنا إنما هو فى الفاء .

(٣) ش : « فى جعل » .

لا يستحْيِي أن يضرِب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقَها . والعرب إذا ألقت بينَ من كلامٍ تصلُح إلى فى آخره ، نصبُوا الحرفين المخفوضين اللذين خُفِض أحدهما ببينَ والآخر بإلى ، فيقولون : مطِرْنا ما زبالةَ فالثَّعلبيةَ ، وله عشرون ما ناقةً فجملاً ، وهى أحسن النّاس ما قرناً فقدماً ، يراد به ما بين قرنها إلى قدمها . ويجوز أن تجعل القرن والقدم معرفةً فتقول : هى حسنةٌ ما قرنَها فقَدَمَها . فإذا لم تصلح إلى فى آخر الكلام لم يجزْ سقوط بين . من ذلك أن تقول : دارى ما بين الكوفة والمدينة ، فلا يجوز أن تقول : دارى ما بين الكُوفة فالمدينة ، لأنّ إلى إنمَّا تصلح إذا كان ما بين المدينة والكوفة كلُّه من دارِك ، كما كان المطر آخذاً ما بين زبالة إلى الثعلبية . قال الكسائى : سمعت أعرابيًّا يقولُ ورأى الهلال : الحمد لله ما إهلالَكَ إلى سِرارِك ، يريد : ما بين إهلالك إلى سِرارك . فجعلوا النصب الذى فى بين فيما بعدها إذا سقطَتْ ، ليُعلَم أنَّ معنى بينَ يراد . وحكى الكسائى عن بعض العرب: الشَّنَق ما خمساً إلى خمس وعشرين . والشَّنق ما لم تجبْ [1] فيه الفريضة من الإبل . ولا تصلح الفاءُ مكانَ الواو فيما لم تصلح فيه إلى ، كقولك [2] : دارُ فلان بين الحيرة فالكُوفة محال ، وجلست بين عبد الله فزيد مُحالٌ ، إلاّ أن يكون مقعدك آخذًا للفضاء الذى بينهما . وإنمّا امتنعت الفاء من الذى لا تصلح فيه إلى لأنّ الفعل فيه لا يأتى فيتَّصل ، وإلى يحتاج إلى اسمين يكون الفعل بينهما كطَرْفة عين . وصلحت الفاء فى إلى لأنّك تقول : أخَذَ المطرُ أوّلَه فكذا إلى آخرِه . فلمَّا كان الفعل كثيراً شيئاً بعد شئ فى المعنى ، كان فيه تأويلٌ من الجزاء . انتهى كلام الفراء . ٤٠٠

---

(١) فى النسختين : « لم تجد » وكتب الشنقيطى تعليقا عليه : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه : لم تجب ، بالباء الموحدة . وكتبه محمد محمود » . وما أثبته الشنقيطى من الصواب يطابق ما فى معانى الفراء ١ : ٢٢ .

(٢) كذا فى النسختين : « كقولك » ، وهو المطابق لما فى معانى الفراء ١ : ٢٢ . والوجه : « فقولك » .

وفيه فوائدُ:منها قوله : « هى حَسنةٌ ما قرنَها فقدمَها » . وبه يُرَدّ على الدماميني فى قوله على ما قرناً إلى قدم : كونُ أصله ما بين قرنٍ دعوَى لا دليلَ عليها . ويجوز أن تكون ما زائدةً وقرناً تمييز أو منصوب على نزع الخافض . انتهى .

ويأتى فى كلام أبى حيَّان حقيقةُ ما . والقَرْن بفتح القاف وسكون الراء : الخُصْلة من الشعر ، بضم الخاء المعجمة .

ومنها ضابطُ سقوط بين ، وهو غير موجودٍ فى الشَّرح .

ثالثها : قوله : « ولا يجوز حذف ما لكونه موصولاً » ، فإنّه لم يشبع الكلام على ما الواقعة مع بين ، فإنّه يجوز حذفها فى غير هذين المثالين . ولم يشرَحْ وجه موصوليَّتها فيهما .

وقد تكفَّل ببيان ذلك جميعِه أبو حيان (فى تذكرته) قال : إذا أتيتَ ببينَ صلةً لما فقيل : أعجبنى ما بينكما ، فسقوط ما جائز ، وتقضى [1] على بين بالرَّفع ، ولفظها منصوب . ولك أن ترفع بينَ بالفعل وتُعطَى حقَّ الأسماء فتُضمر ما ولا تضمر الذى ، فإنّها تكون وقتاً ومحلاًّ . فالأوّل كقولهم : لا أكلّمك ما دام للزَّيت عاصر ، فما موضوعةٌ فى موضع أبدًا ، وانتصابُها فيه كانتصاب : لا أكلّمُك القارظَ العَنَزِيَّ [2] والثانى كقولهم : جلسَ ما بين الدَّارين ، واستوى ما بينَ المنزلتين ، وأقام ما بين المسجدين ، فلمَّا أتت ما محلاًّ ووقتاً ضارعت المحلَّ الذى بعدها فكفَى منها . واختصَّت بين بالنيابة عن ما ، لأنّ ما تكون شرطاً ، وبين يُشرَط بها فى قولهم : بينا أنصفَنى ظلمنى ، وبينما اتَّصل بى قطعنى . وأمّا

---

(١) ش : « ويقضى » مع البناء للمجهول .

(٢) الدرة الفاخرة ٢٨١ وجمهرة العسكرى ١ : ١٢٣ وفصل المقال ٤٧٣ والميدانى فى أوائل (لا) والمستقصى ٢ : ٥٨ واللسان (قرظ) .

الذى فلا يُعَرف له ذلكَ ولا يُستعمل فيه . ولِمَا معنىً ثانٍ هو الجزاء فى أصل البِنْية وإقرارها على لفظ الذى ، وذلك قول العرب : مطِرْنا ما زُبالَة فالثّعلبيةَ فزرُودَ [١] .
حكاه الكسائى عن العرب ، ومعناهُ مطِرنا ما بين زُبالة إلى الثعلبية ، فنابت زُبالة عن بينَ ، وجعل نصب بين فيها ، ونُسِقت الثّعلبية فزرود [١] عليها ، ونصبت ما بمطرنا على أنَّ لفظها الذى ، ولزمت الفاء مكان إلى ، ولم يصلحْ مكانَها واوٌ ولا ثمّ ولا أو ، ولا لا ، لأنَّها تحفظ تأويل الجزاء ، وتجرى فى هذا الكلام مجراها فى : إنْ زرتَنى فأنت محسن ، ولا يجوز : وأنت ، لأنّه لا يُوصَل [٢] الشرط إلاّ بالفاء إذ [٣] كانت تفعل ذلك فى ضربته فبكى . وأصل الكلام : إن اتَّصل المطرُ إلى زُبالة فالثعلبية فهو مَطَرنا . فذلك الذى ينبغى . فتحوَّلت ما إلى لفظ الذى وأصلها الشرط ، ولزمت الفاء مراقبةً لذلك الأصل ونابت عن إلى ، ولولا الشرط الذى بنيت المسألة عليه لم يعطف واحدٌ بالفاء على مخفوض بين ، إذ لا يقال فيما تعرَّى من معنى الشرط : المال بين أبيك فأخيك .

وحكى الكسائىُّ والفراء عن العرب : هى أحسن الناس ما قرناً فقَدَماً ، معناه ما بين قرن إلى قدم ، فلزمت الفاء لأنّ ما شرطٌ فى الأصل ، ومحسِّنة ذلك ، حُسْنَ إلى فى موضع الفاء . وانتصب « ما » فى هذه المسألة على التفسير ، وانتصب القرن بنصب بين المُسْقَط ، وعُطفت القدمُ على القرن .

٤٠١

ثم نقل كلام الفراء وقال : وما فى ذا المعنى لا تسقط ، فخطأ أنْ يقال : مِطِرنا زبالَةَ فالثَّعلبية ، لأنّ ما وبين اسمٌ واحدٌ يدخل طَرَفاه فيه ، وما هى الحدُّ بين

(١) ط : « فزود » فى هذا الموضع وتاليه فى ش مع أثر تصحيح . وزرود : موضع بين ديار بنى عبس وديار بني يربوع .

(٢) فى النسختين : « يواصل » .

(٣) ط : « إذا » ، وقد صححت بذلك فى ش .

الشيئين . دليلُ هذا : أن الذى يقول : له علىّ ما بين الألف إلى الألفين ، يدلُّ بمَا على استيفاء ما بين الألف والألفين . ولو قال (١) : جلستُ ما بين الدارين ، لم يكن (١) جامعاً لكلّ ما بينهما . فأتت الفاء لمذهب الشرط وإن لم يُذكَر حرف الشرط ، كما لزمت الفاء مع أمّا فقيل:أمَّا عبد الله فقائم ، لأنّ المعنى : مهما يكن من شئ فعبد الله قائم . والفرق بين جلستُ ما بين عبد الله فزيد ، وجلست بين عبد الله فزيد : أنَّ ما إذا حضرت كان الذى بين الطّرَفين مجلوساً فى جميعه ، وإذا لم تكنْ ما احتمل الكَلامُ جلوساً فى بعض الذى بين المكانين . فإذا قيلَ : عبد الله (٢) ما بين أخيك وأبيك ، فما منتصبة على انتصاب المحلّ وأصلها الشَّرط ، وما بين الأخ والأب كلُّه لعبد الله موضع . فإن قيل : عبد الله بين أخيك فأبيك ، فموضِع عبد الله بعض ما بين الموضعين ، ويجوز استغراق المكان كلِّه .

ولم يذكر الفراء زيد ما أخاك وأباك . قال أبو بكر : هو عندى خطأ ، لأنَّ ما موضوعة للعموم ، وبين لا تحذف إلاّ بعدها اعتماداً عليها مع خلافةِ الذى يليها لها . وبينَ من أسماء المواضع التى ليست ناساً فلا يخلُف بين بعدها إلاّ مالا يكون من أسماء الأناسىِّ مثل القرن والقدم ، والإهلالِ والسِّرار ، والناقة والجملِ وما يجرى مجرى ذلك . ومَن قال : دارى ما الكوفةَ فالحِيرة ، وهو يذهب إلى ما بين الكوفة إلى الحِيرة لم يصبْ ؛ لأنَّ هذا الكلام لا يستقيم إلاّ بأن تكون الدار مالئة كلَّ الموضِع الذى بين الكوفة والحيرة ، وما شُوهدت دارٌ كذا . فإن لم تذكر « ما » لَم يبطل أنْ يقال دارى بين الكوفة فالحِيرة على أنّ الدار آخذةٌ بعض ما بين الكوفة والحيرة . ولو قال : له علىَّ ما الألفَ والألفين ، يريد ما بين الألف إلى الألفين كان

---

(١) فى النسختين : « وقال جلست ما بين الدارين ولم يكن » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « زيد » ، ولا يستقيم مع بقية الكلام .

الكلام مستقيماً ، لوقوع ما وبين على جميع ما بين الطرّفين ودخول الطرّفين فيهما ، أعنى فى ما وبين .

هذا ما لخّصناه من (تذكرة أبى حيان) ، وفيها فوائد تتعلّق ببينَ دون ما ، تركناها لعدم تعلُّق غرضنا بها .

وقول الشارح : « ومثل قوله قفا نبك » إلخ مثلُ مبتدأ مضاف . وقوله « الفاء فيه بمعنى إلى » هذه الجملة خبر المبتدأ . ويروى فى بعض النسخ : « ومثله قوله » ، بالضمير على أنّه مبتدأ وخبر . وهذه رواية فاسدة .

وقوله : « البيتان » مبتدأ محذوف الخبر أى مقروءانِ ، والمعهود فى مثله البيتين بالنصب ، بتقدير اقرأ . والجملة فيهما اعتراض . وإنمّا لم يكتبهما لشهرتهما .

وهذا هو الجواب الأول .

وأمّا (الجواب الثانى [(١)]) فهو قوله : ويجوز أن يكون المعنى قفا نبك بين منازل الدخول ، يريد أنّ المتعدِّد الذى تضاف إليه بينَ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبله ، وقُدِّر فى المواضع الأربع ، لأنَّ المعطوف شرطُه غالبا أن يحلَّ موضع المعطوف عليه . وقدَّره بعضُهم بين مواضع الدَّخول ، فتكون بين مضافة إلى متعدِّد محذوف . وأجاب بعضُهم بأنَّ كُلاًّ من الدَّخول وحومل وتوضح والمقراة موضع وَسِيعٌ يشتمل على منازَل [ومواضع [(٢)]] ، فأُضيف بين إليها لاشتماله على متعدّد تقديراً ، فلا حذف . وعليهما تكون الفاء عاطفة ، وتفيد ترتيب البكاء بين منازل هذه المواضع .

٤٠٢

(١) انظر ما سبق فى ص ٧ .

(٢) التكملة من ش .

ولم يقدِّر الشارح هنا مفعولاً لنبك فيحتمل أنّه جعل المفعول بين [١] ويحتمل أنَّ نبك لازم ، أى نُحدِثُ البكاءَ بين منازِل هذه المواضع ، فتَكون [٢] بين ظرفاً للبكاء . وهذا أَوْلَى ، لأنَّ المبكىَّ من أجله تقدَّم .

وهذا الجواب هو الجيِّد ، والجواب الأوَّل غير جيِّد كما بيَّنّاه .

وقول الشارح المحقق : « وكذا فى غير هذا الموضع » أشار به إلى ما تقدَّم من قولهم : مطِرْنا ما بين زُبالة فالثعلبية ، فإنَّ التقدير ما بين أماكن زُبالة فأماكِن الثعلبية . ومن قولهم : هى أحسن الناس ما بين قرنٍ إلى قَدَمٍ ، فإنّك تقدّر ما بين أجزاء قرن وما بين قرن فقَدَم ، أى ما بين أجزاء قرن فأجزاء قَدَم ، وما قرناً فقدَماً : ما بين أجزاء قرن فأجزاءِ قدم . وكذا تقدِّر فى قوله تعالى : ﴿ مَثلاً ما بعوضةً فما فوقَها [٣] ﴾ على قول الفراء : ما بين أمثالِ بعوضة فأمثالِ فوقِها . وكذا يقدَّر فى قولهم : الحمد لله ما إهلالَكَ إلى سِرارِك : ما بين أوقات إهلالك .

وسكت ابن هشام عن الآية وعن قولهم : ما قرناً إلى قَدَم ، لوضوح التقدير .

وقال الدَّمامينىّ : لم يتعرَّض إلى الاعتذار عن بعوضةٍ وقرن على هذا القول . فتأمَّلْه .

وقد تأمَّله بعضُهم فقال : وغاية ما يظهر أن تكون إلى التى الفاءُ بمعناها لِلمعيَّةِ على ما يقول الكوفيون ، ومعنى ما بينَ قرن مع قدم ، وما بين بعوضة مع ما فوقها : ما بينهما . وأمّا إن بقيت إلى على معناها فلا يظهر لصحَّة إضافة بين

---

(١) ش : « بينا » ، تحريف .

(٢) ط : « فيكون » .

(٣) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

إلى قرن وبَعوضةٍ وجهٌ ، إذْ لا يمكن اعتبار تعدُّد المضاف إليه ، ولا أن يقدَّر معه متعدِّد .

هذا كلامه ، وهو غنيٌّ عن الردّ لظهور خَلَله .

هذا وقد أوردَ سيبويه المصراع الأوَّل (فى باب وجوه القوافى فى الإنشاد من أواخر كتابه) قال : أمَّا إذا ترنَّموا فإنّهم يُلحقون الألف والياء والواو ، ما ينوَّن وما لا ينوّن [(١)] ، لأنَّهم أرادوا مدَّ الصوت ، وذلك كقول امرىء القيس :

* قفا نبك من ذكرى حَبيبٍ ومنزلِي * ... البيت .

إلى آخر ما ذكره .

قال الأعلم : الشاهد فيه وصل اللام فى حال الكسر بالياء للترنم ، وهو مدُّ الصوت .

وقوله : (قفا نبك) فيه أربعة أقوال : أحدها لأكثر أهل اللغة أنّه خطابٌ لرفيق واحدٍ ، قالوا : لأنَّ العرب تخاطب الواحدَ بخطاب الاثنين ، قال الله تعالى مخاطباً لمالك : ﴿ أَلقِيَا فى جَهَنَّم [(٢)] ﴾ ، وقال الشاعر[(٣)]:

فإنْ تزجرانى يا ابنَ عفّانَ أنزَجِرْ وإنْ تَدَعانى أَحْمِ عِرضاً ممنَّعا

وقال آخر [(٤)] .

وقلتُ لصاحِبي لا تَحبسانا بِنَزْعِ أُصوله واجدَزَّ شِيحا

(١) ط : « وما ينون وما لا ينون » بإقحام الواو الأولى ، صوابه فى ش وسيبويه ٢ : ٢٩٨ .
(٢) الآية ٢٤ من سورة قٓ .
(٣) هو سويد بن كراع ، كما فى معجم الشواهد .
(٤) هو مضرس بن ربعى الفقعسى ، كما فى معجم الشواهد .

وحكى عن الحجَّاج أنّه قال : يا حرَسِيُّ اضربَا عنقه . والعلَّة فيه أنّ أقلّ أعوانِ الرجل فى إبله ومالِهِ اثنان ، وأقَلَّ الرُّفقة ثلاثة ، فجرى كلامُ الرجل على ما قد أَلِفَ من خطابه لصاحبيه . قالوا : والدليل على أنّ امرأ القيس خاطبَ واحداً ، قولُه فى هذه القصيدة :

* أصاحِ ترى برقاً أُرِيكَ وميضَه * ... البيت .

وقال ابن النحَّاس : هذا شيءٌ ينكِره حُذَّاقُ البصريين ، لأنّه إذا خُوطب الواحد مُخاطبة الاثنين وقع الإشكال . وفيه نظر ، فإنَّ القرينة تدفع اللبس . ٤٠٣

ثانيها : للمبرِّد قال : التثنية لتأكيد الفعل ، والأصلُ : قِفْ قِفْ ، بالتكرير للتأكيد . فلما كان الفعل لا يثنَّى ثُنِّيَ ضميره . وكذا ألقيَا ، واضرِبا ، وتزجُرانى ، وتَدَعانى ، وتحبِسانا .

ثالثهَا : للزجاج أنه مثنى حقيقة خطاباً لصاحبيه . وكذا ألقيا خطابٌ للمَلَكين . ويردُ عليه ما عداهما فإنّه لا يتصوَّر فيه ما زعمه .

رابعها : أنّ أصله قِفَنْ بنون التوكيد الخفيفة ، فأبدل النون ألفاً إجراءً للوصل مُجرَى الوقف . ونبك مجزومٌ فى جواب الشرط . وبه استشهد المرادى (فى شرح الألفية) .

و (السّقْط) مثلث الأوّل : ما تساقط من الرَّمل . و (اللِّوى) كإلَى : ما التوى من الرمل . وسقط اللِّوى : حيث يسترِقُّ الرمل فيخرج منه إلى الجَدَد . وإنمّا وصف المنزل به [١] لأنّهم كانوا لا ينزلون إلاّ فى صلابةٍ من الأرض ، لتكون أثْبتَ لأوتادِ الأبنية والخيام ، وأمكنَ لِحَفرِ النُّؤى ، وإنمّا يكون ذلك حيث ينقطع الرملُ ويرِقّ .

---

(١) ط : « بهم » ، صوابه فى ش .

قال التبريزى (فى شرح المعلقات) : الباء من « بسقط » يجوز أن تتعلَّق بقفا ، وبنبْكِ ، وبمنزل . وقال الزوزنى : هى صفةٌ لمنزل أو لحبيب ، او متعلِّق بنبك . فتأمَّلها مع ما سبق .

و (الدَّخول) بفتح الدال وضم الخاء المعجمة ، قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : هو موضعٌ اختُلف فى تحديده ، فقال محمد بن حبيب : الدَّخول وحومل فى بلاد أبى بكر بن كلاب . وأنشد لكثيِّر :

أمِنَ آلِ قَتلة بالدَّخول رُسومُ ... وبحوملٍ طللٌ يلوحُ قديمُ (١)

وقال أبو الحسن : الدَّخول وحَوْمل : بلدان بالشام . وأنشد : قفَا نبك البيتين . وقال أبو الفرج : هذه كلّها مواضع ما بين أمَرَة إلى أسود العين ، إلاّ أنَّ أبا عبيدة يقول : إنّ المِقراة ليس موضعاً ، وإنمّا يريد الحوض الذى يجتمع فيه الماء .

وقال فى (أمَرة):بفتح الهمزة والميم والراء المهملة : هى بلدٌ كريم سَهلٌ فى حِمَي ضَرِيَّةَ من ناحية البصرة ، وبينه وبين السِّتّار الذى هو جبلٌ من حِمى ضَرِيَّةَ خمسة أميال . وأسود العين : جبلٌ على طريقِ الحاج البصرىّ للمُصعِد ، بينه وبين حمى ضريَّة سبعة وعشرون ميلا ، فيكون ما بين أمَرة وأسودَ اثنين وعشرين ميلا .

وقال فى (حومل) : هو اسم رملةٍ تركب القُفّ ، وهى بأطراف الشَّقيق وناحية الحَزْن ، لبنى يربوع وبنى أسد .

وقال فى (توضح) : بضم أوله وكسر الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة : موضعٌ ما بين رمل السَّبْخَةِ وأُود . وقال الحربىّ : توضح من حِمَى ضَرِيَّة .

---

(١) ديوان كثير ٢٠٥ برواية : « أمن آل قيلة » . ولم يرد اسمها فى الديوان إلا مرة واحدة ، وبالياء المثناة التحتية .

وقال فى (أُود) : هو بضم الهمزة وبالدال المهملة : موضعٌ ببلاد مازن . وقال ابن حبيب : أُود لبنى يربوع بالحزن . وقيل أُودٌ والمِقراة : حَدًّا اليمامة . وفى شعر جرير أُود لبنى يربوع [١] .

وضبط المقراة ، هى بكسر الميم وإسكان القاف .

وقال التبريزى : هذه المواضع التى ذكرها ما بين أمَرة إلى أسود العين ، وهو جبل ، وهى منازلُ بنى كلاب . والمقراة فى غير هذا الموضع : الغديرُ الذى يجتمع فيه الماء ، من قولهم : قريتُ الماءَ فى الحوض ، إذا جمعتَه .

وزُبالة بضَمِّ الزاى المعجمة بعدها باءٌ موحدة ، قال البكرى : بلد ، ويدلُّك أنّها قريب من زَرود قولُ الشماخ يصف ناقته :

وراحت رَواحاً مِنْ زرُودَ فنازَعَتْ زُبالة جِلباباً من اللَّيل أخضرا[٢]

قال محمد بن سَهل : زبالة من أعمال المدينة ، سمِّيت بضبطها الماء وأخذِها منه كثيراً ؛ من قولهم : إنّ فلاناً لشديد الزَّبْل للقِرَب . وقال ابن الكلبى عن أبيه : سمِّيت بزبالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت موضعَها فسمِّيت بها . ٤٠٤

وقال أيضا فى (الثَّعلبية) : بفتح الثاء المثلثة وسكون العين المهملة ، هى بئر منسوبة إلى ثعلبة بن مالك بن دُودانَ بن أسد ، هو أوَّل من احتفرها ، وهى من أعمال المدينة ، وهى ماءٌ لبنى أسد . وزرود : حَبْلُ رمل [٣] .

---

(١) ومنه قوله فى ديوانه ١٦٩ ، وهو مطلع قصيدة :

أهَـوًى أراكَ برامَتَيْـنِ وَقُـودا أم بالجُنَينَةِ من مدَافـع أُودا

(٢) ديوان الشماخ ٣١ .

(٣) ط ومعجم البكرى : « جبَل رمل » ، صوابه ما أثبت من ش . ولا يكون الجبل رملا . وحبل الرمل : ما استطال منه وامتد . وقال ياقوت : « والزرد : البلع ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التى تمطرها السحائب ، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة » .

وقوله : (لم يعف رسمها) هو فى موضع التعليل للبكاء ، لأنّه لو عفت هذه المواضع أو عفا رسمُها لاستراح العاشق ، وفى بقائها أشدُّ حزنٍ له ، كقول ابن أحمر :

ألاَ ليتَ المنازِلَ قد بَلِينا فلا يَرمِينَ عن شُزُنٍ حزينا (١)

أى فلا يرمين عن تحرُّف . يقال شَزَن فلانٌ ثم رمَى ، أى تحرَّف فى إحد شِقَّيه ، وذلك أشدُّ لرميه ، أى ليتها بليتْ حتّى لا تَرمِيَ قلوبَنا بالأحزان والأوجاع . وعفا الشيء يعفُو عَفْواً وعُفُوًّا وعَفَاء : درس وانمحَى. وعَفَاهُ غيرُه : درسَه . والرسم : ما لصِق بالأرض من آثار الديار ، مِثل البعَر والرَّماد .

وقوله : (لِمَا نسجَتْها) تعليلٌ لعدم العفَاء والامّحاء . قال الأصمعى : إنّ الرِّيحين إذا اختلفتَا على الرسم لم يَعفُواه ، فلو دامت عليه واحدةٌ لعفَتْه ؛ لأنّ الريحَ الواحدة تَسفِي على الرسم فيدرُس ، وإذا اعتورته ريحان فسفَتْ عليه إحداهما فغطَّته ثم هبَّت الأخرى كشفت عن الرَّسم ما سفَت الأُخرى ، فيكون نسجُ الرِّيحين اختلافَهما بالتُّراب ، فواحدة تُغطِّى والأخرى تَكشف . وقيل : معناه لم يعفُ رسمها للرِّيح وحدَها ، إنّما عفا للرِّيح والمطرِ وترادُفِ السِّنين . وقيل : معناه لم يعفُ رسمُ حبِّها من قلبى وإن نسجَتْها الرِّياحُ فعفَتها مع الأمطار والسنين . والمعنى الجيِّدُ هو الأوّل . وفاعل نسجت ضمير ما ، و « ها » ضمير المواضع الأربعة . ومن بيانٌ لما ، فتكون ما عبارةً عن ريح الجنوب والشمال ، وهما ريحانِ متقابلان .

صاحب الشاهد

وهذانِ البيتان أوّل معلقة امرئ القيس ، وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (٢) . وتقدَّم أيضا شرح غالب هذه القصيدة فى مواضعَ متعدِّدة مع بيان سبب نَظْمها .

---

(١) ديوان ابن أحمر ١٥٦ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٣ .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢٩ — ٣٣٥ .

ومصراعُ البيت الأوّلِ مُدِحَ بحسن الابتداء ، وعجزُه غير ملائِمٍ له .
والممدوحُ مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانيّ :

كِلِينى لهَمٍّ يا أميمةَ ناصبِ   وليلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكبِ

وتقدَّم بيانُ حسنهِ فى الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة [١] .

قال ابن أبى الإصبع (فى تحرير التحبير [٢]) : لعمرى لقد أحسن ابنُ المعتزّ فى اختياره بَيْتَ النابغة لحسن الابتداء ، فإنّى أظنّه نظَّر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرىء القيس ، فرأى ابتداءَ امرىءِ القيس على تقدُّمه وكثرة معانى ابتدائِه ، متفاوتُ القسمين جِدًّا ، لأنّ صدر البيت جَمعَ بين عذوبة اللفظ وسهولة السَّبك وكثرةِ المعانى بالنسبة إلى العَجُز ، وألفاظ العجُزِ غريبةٌ بالنسبة إلى ألفاظ الصدر ، بخلاف بيت النابغة ؛ فإنّه لا تفاوُت بين قسميه . فثبت أنَّ بيت امرىء القيس وإن كان أكثر معان [٣] من بيت النابغة فبيت النابغة أفضلُ من جهة ملايمة ألفاظه [٤] ، ومساواة قسميه . وإنمّا عظَّم ابتداء معلقة امرىء القيس فى النفوس الاقتصارُ على سماع صدر البيت ، فإنّه يشغل الفكر بحُسنه عن النظر فى ملايمة عجزه أو عدم ملايمته [٤] ، وهو الذى قيل عند سماعه للمنشِد : حسبُكَ فإنّ قائل هذا الكلام أشعر الناس ، لأنّه وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيبَ والمنزل فى شطر بيت ، ولم يُستَنْشَد العجز شغلاً بحسن الصَّدر عنه . وإذا تأمل الناظرُ فى النَّقد البيتَ بكماله ظهرَ له تفاوتُ القسمين . انتهى .

٤٠٥

(١) الخزانة ٢ : ٣٢٥ - ٣٢٨ .
(٢) تحرير التحبير ١٦٨ - ١٦٩ .
(٣) وكذا فى تحرير التحبير بحذف الفتحة من آخر الاسم المنصوب تشبيها له بالمرفوع والمجرور . وقال المبرد : هو من أحسن ضرورات الشعر . الأشمونى ١ : ١٠١ . وعقب عليه الصبان بقوله : « الأصح جوازه فى السعة ، بدليل قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطعمون أهاليكم ، بسكون الياء » . الصبان ١ : ١٠١ .
(٤) كذا بالتسهيل فى النسختين . وفى تحرير التحبير : « ملاءمة » بالهمز .

ولعمرى لقد أحسن الإمام الباقِلاّنى (فى كتاب إعجاز القرآن) بإطالة لسانه بتزييف هذا المطلع حيث قال : الذين يتعصبون لامرئ القيس ويدَّعون محاسن الشعر يقولون : هذا من البديع ، لأنَّه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب ، وتوجَّع واستوجع ، كلّه فى بيتٍ ، ونحو ذلك . وإنمّا بيَّنّا هذا لئلاّ يقع لك ذهابُنا عن مواضع المحاسن إن كانت ، ولا غفلتُنا عن مواضع الصِّناعة إنْ وُجدت . تأمَّل ، أرشدَكَ الله ، تَعْلَمْ أنّه ليس فى البيتين شئٌ قد سبق فى مَيْدانه شاعراً ، ولا تقدَّم به صانعا . وفى لفظه ومعناهُ خَلَلٌ ، فأوّلُ ذلك أنّه استوقفَ من يبكى لذكر الحبيب ، وذكراه لا يقتضى بكاء الخلىّ ، وإنَّما يصحُّ طلبُ الإسْعاد [(١)] فى مثل هذا على أن يبكىَ لبكائه ، ويرقَّ لصديقه فى شدّةِ بُرَحائه . فأمّا أنْ يبكىَ على حبيب صديقِه ، وعشيقِ رفيقه ، فأمرٌ محال . فإنْ كان المطلوب وقوفَه وبكاءه أيضا عاشقا صحَّ الكلام وفسَد المعنى ، لأنّه من السُّخف أن لا يغار على حبيبه ، وأن يدعوَ غيرَه إلى التغازُل عليه ، والتواجُدِ معه فيه .

ثم فى البيتين مالا يفُيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن من الدَّخول وحومل ، وتوضح والمقراة ، وسِقط اللوَى ، وقد كان يكفيه أن يذكر فى التعريف بعضَ هذا ، وهذا التطويلُ إذا لم يُفِدْ كان ضرباً من العِىّ .

ثم إنّ قوله : « لم يعفُ رسمها » ذكر الأصمعىّ من محاسنه أنّه باقٍ فنحن نحزن على مشاهدته ، فلو عَفا لاسترحْنا .

وهذا بأن يكون من مساويه أولى ، لأنّه إن كان صادق الوُدّ فلا يزيده عفاءُ الرسوم إلاّ جدَّةَ عهد ، وشِدَّةَ وجد . وإنمَّا فزِع الأصمَعىُّ إلى إفادة هذه الفائدة خشيةَ أن يُعاب عليه فيقال : أىُّ فائدةٍ لأنْ يعرِّفَنا أنّه لم يعف رسمُ منازل

---

(١) الإسعاد : المعونة ، أسعده : أعانه . وفى ط : « الإشعار » صوابه فى ش وإعجاز القرآن ٢٤٤ .

حبيبه، وأىُّ معنىً لهذا الحشو ؟ فذكَر ما يمكن أن يُذكَر ، ولكنْ لم يخلّصه بانتصارِه [١] ، من الخلل .

ثم فى هذه الكلمة خللٌ آخر ؛ لأنّه عقّب البيتَ بأن قال :

* فهل عند رسم دارسٍ من معوَّلِ *

فذكر أبو عبيدة أنَّه رجع فأكذَبَ نفسَه ، كما قال زهير :

قِفْ بالدِّيار التى لَم يَعْفُها القِدَمُ نَعَمْ وغيَّرهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ [٢]

وقال غيره : أراد بالبيت الأوّل أنّه لم ينطمس أثرُه كلُّه ، وبالثَّانى أنّه ذهب بعضُه ، حتى لا يتناقض الكلامان .

وليس فى هذا انتصار ، لأنّ معنى عفا : درس .

واعتذارُ أبى عبيدة أقرب لوْ صَحَّ ، ولكن لم يَرد هذا القولُ مَورِدَ الاستدراك على ما قاله زهير [٣] ، فهو إلى الخلل أقرب .

وقوله : « لمَا نسجَتْها » كان ينبغى أن يقول : لِما نسَجَها ، ولكنه تعسَّفَ فجعل ما فى تأويل تأنيث ، لأنّها فى معنى الرِّيح ، والأوْلَى التذكير دون التأنيث ، وضرورة الشِّعر قد دلَّتْه على هذا التعسُّف .

وقوله : « لمْ يعف رسمُها » كان الأولَى أن يقول : لم يعف رسمه ، لأنّه ذَكَر المنزل . فإن كان ردَّ ذلك إلى هذهِ البقاع والأماكن التى المنزلُ واقعٌ بينَها ، فذلك خَللٌ ، لأنَّه إنمّا يريد صفة المنزل الذى نزلَه حبيبُه بعفائِه ، أو بأنّه لم يعفُ

---

(١) نص الإعجاز : « بانتصاره له » .

(٢) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ برواية : « بلى وغيرها » فيهما .

(٣) وكذا فى إعجاز القرآن ٢٤٦ ، « لم يرد » من الورود .

دون ما جاوره . وإن أراد بالمنزل الدارَ حتّى أنَّثَ فذلك أيضاً خللٌ . ولو سَلِم من هذا كلِّه وممَّا نكرهُ ذِكرَه كراهيةَ التّطويل ، لم نشكَّ فى أنّ شعْرَ أهْلِ زماننا لا يقصُر عن البيتين ، بل يزيد عليهما ويَفضُلهما .

انتهى ما أوردهُ الباقِلاَّنيّ [١] ، ولا يخفى ما فى بعضه من التعسُّف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٨٨ (أيادار سَلمى بِالحَرُوريَّة اسلمي إلى جانب الصَّمَّـانِ فالمتثلَّـمِ
أقامت به البَردَيْنِ ثم تذكَّرتْ منازلَهـا بين الدَّخـول فجُرثُـمِ
ومَسكنُها بين الفُرات إلى اللِّوَى إلى شُعَبٍ تَرْعَى بهنَّ فعيَهْمِ)

على أنّه يستعمل فى تحديد الأماكن (إلى) محذوفاً منها العاطفُ كما فى البيت الأخير ؛ فإنَّ واو العطف محذوفة من إلى الثانية على خلاف القياس .

وظاهر كلامه أنَّ الواو لا تستعمل مع إلى فى التحديد المذكور . ولم يقل به أحد ، وإن لم يكن هذا الظاهر مرادَه ، فكان ينبغى له أن يقول : « يجوز » بدل يستعمل . على أنَّ ذكر تحديد الأماكن لا فائدة فيه ، لأنَّ مثله من قبيل حذف الواو العاطفة ، وفيه قولان :

الجواز ، سمع أبو زيدٍ من العرب : أكلتُ خبزاً ، لحما ، تمرا . وهو مذهبُ الفارسيِّ ومن تبعه .

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ٢٤٤ – ٢٤٧ . ط : « ما أورد الباقلانى » ، وأثبت ما فى ش .
(٢) الأغانى ٤ : ١٢٦ وابن الشجرى ١ : ١١٧ وديوان الجعدى ١٣٧ .

والمنع ، وهو قول ابن جنى (فى سرِّ الصناعة) ومَن تبعه ، وتأوَّل ما ذُكر على أنّه من بدل البَدَاء .

وكان ينبغى الاكتفاءُ بالبيت الثالث لأنّه موضع الشاهد وحذفُ ما قبله .

صاحب الشاهد

وهذه الأبيات مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الجَعدىّ الصَّحَابىّ ، كذا أوردها الأصبهانى (فى الأغانى) ، وزاد بعدها بيتا ، وهو :

(ليالىَ تصطاد الرِّجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريضِ لم يتثلَّمِ)

ورواها ابن الشجرىّ (فى أماليه) كذا :

أبيات الشاهد

(أيا دارَ سَلْمَى بالحُزونِ ألا اسلَمِى نُحَيِّيكِ عن شَحط وإنْ لمْ تكلَّمِى[1]
عَفت بعد حىّ من سُليمٍ وعامر تفانَوْا ودقُّوا بينهمْ عِطرَ مَنشِمِ
ومسكنُها بين الفُرات إلى اللِّوى إلى شُعَبٍ تَرعى بهنَّ فَعَيهمِ[2]
أقامَتْ به البردَينِ ثم تذَكَّرتْ منازلَها بين الجِواء فجُرثُم
ليالىَ تصطاد الرِّجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريض لم يتثلَّمِ)

ولنتكلَّمْ على الرواية الأولى أوّلاً فنقول : (أيا) حرف نداء . و (الدار) : المنزل ، مؤنّث سماعى . وسلمى:اسم امرأة . والباء من قوله (بالحَرُوريَّة) متعلقة بمحذوف حال من دار . وأراد : بالرَّملة الحروريَّة ، فإنّ حروراء بالمدّ ويقصر بالمهملات : اسم رملةٍ وَعْثة بناحية الدَّهناءِ[3] ، بفتح الدال وسكون الهاء بعدها نون ، يمدّ ويقصر . قال ابن حبيب : الدهناء : رمالٌ فى طريق اليمامة إلى مكَّة ، وهى منازلُ بنى تميم لا يُعَرف طولُها ، وأمّا عرضُها فثلاث ليال . وهى على أربعة

٤٠٧

---

(١) بالحزون ، انفرد بها ابن الشجرى ، وهى جمع حزن بالفتح .

(٢) الديوان : « بينَ الغروب » ، وهو موضع لم يعينه ياقوت .

(٣) ط : « الدهنا » بالقصر ، فى هذا الموضع وسائر المواضع التالية .

ليال من هجَر . ويقال فى المثل : « أوسع من الدَّهْناء » . كذا فى معجم البكرى . والحَرُوراء أيضاً : قرية بظاهر الكوفة ينسب إليها الحَرُوريَّة ، وهى طائفةٌ من الخوارج كان أوّل اجتماعهم بها وتحكيمُهم ، حين خالفوا عليًّا رضى الله عنه . والنِّسبة إليه حَرُوريٌّ . كذا فى العباب للصاغانى . وهذه الكلمة لم يوردْها البكريُّ (فى معجمه) . وليس المراد قَريةَ الكوفة وإلاَّ لقال : بحروراء . وقوله : (اسلمى) دعاءٌ لدار سلمى بالسَّلامة لها . وقوله : (إلى جانب) حال من دار أيضا ، أى ممتدّة إلى جانب (الصَّمَّان) بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . قال البكرى (فى معجمه) : هو جبل يَنْقاد ثلاث ليالٍ ، وليس له ارتفاعٌ سوى الصَّمَّان لصَلابته . وتخرجُ من البصرة على طريق المنكدِر لِمَنْ أراد مكّة ، فتسير إلى كاظمة ثلاثاً ، ثم إلى الدَّوِّ ثلاثا ، ثم إلى الصَّمَّان ثلاثا ، ثم إلى الدهناء ثلاثا . وقوله : (فالمتثلم) معطوف على جانب ، قال البكرى : هو بضم أوَّله وفتح ثانيه وفتح الثاء المثلثة وفتح اللام المشدَّدة [1] : موضعٌ بالعالية . انتهى . والعالية : ما فوق نجد إلى تهامة . ولم يذكرها البكريُّ (فى معجمه) .

وقوله : (أقامت به البَردَين) بفتح الموحدة : مثنّى برد ، وأراد به طرفَي الشِّتاء . والبَرْدان أيضا : الغداة والعشيّ . ويجب أن يكون هذا البيت بعد قوله : « ومسكنها » البيت ، ليعود ضمير به إلى المسكن ، كما فى رواية ابن الشجرى ، وإلاَّ كان ينبغى أن يقول : أقامت بها البردين ليعود ضمير بها إلى الدّار ، فإنّها مؤنثة كما ذكرنا . وإن أرجعنا ضمير به إليها باعتبار المنزل فهو تعسُّف . وقوله : (بين الدَّخول فجُرثُم) أى بين مواضع الدخول فمواضع جرثم . والدَّخول تقدَّم

(١) وضبط فى معجم ياقوت بكسر اللام المشددة ، وهى رواية أهل الحجاز كما فى التاج واللسان (ثلم) . وفى التاج أيضا أن فتح اللام رواية أهل المدينة ، وهى اللغة التى اقتصر عليها صاحب القاموس . وانظر ديوان زهير ٤ .

شرحه فى الشاهد المتقدّم ، والرواية الصحيحة : « بين الجِواء فجُرثم » . قال البكرى (فى معجمه) : جُرثم بضم الجيم وسكون الراء وضم المثلثة ، قال أبو سعيد : هو ماءٌ من مياه بنى أسد ، ثم من بنى فقعس . وجُرثم تجاه الجِواء ، يدلُّ على ذلك قولُ الجعدىّ :

أقامت بهِ البردينِ ثم تذكَّرَتْ منازلَهَا بين الجِـواءِ فجُرثـمِ

وقال فى (الجواء) : هو بكسر الجيم بعدها واو ، وبالمدّ : جبل يلى رَحرحان ، بينه وبين الرَّبَذة ثمانية فراسخ . وقد ذكرته فى رسم الربذة . وذَكر فيها : هى بفتح الراء والموحَّدة والذال المعجمة ، هى التى جعلها عُمر رضى الله عنه حِمىً لإبل الصَّدقة . وأوّل أجبُل حِمى الرَّبَذة فى غربيِّها : رَحْرَحان ، بينهما بريدان ، ويلى رحرحان من غربيِّه جبلٌ يقال له الجواء ، وهو على طريق الرَّبَذة إلى المدينة المنوَّرة ، بينه وبين الرَّبذة أحدٌ وعشرون ميلا[1] . وليس بالجواء ماءٌ ، وأقرب المياه إليه ماءٌ للسُّلطان يقال له العزَّافة ، بأبرق العَزَّاف [2] بينه وبين الجواء ثلاثة أميال . انتهى .

ووجه العطف بالفاء فى البيتين قد شرحه الشارح فى البيت الآتى .

وقوله : (ومسكنُها بين الفرات [3]) إلخ بعد أن خاطب الدار بالنّداء ودعا لها ، التفت إلى الإخبار عن مسكن حبيبته فقال : ومسكنها بين الفرات ، هو مبتدأ وخبر . والفرات : نهرُ الكوفة . وأراد بين مواضع الفرات . وفى الأغانى وبعض نسخ هذا الشرح : « العروب » بدل الفرات ، وهو تحريف منه . وقوله (إلى اللوى)

---

(١) وكذا وردت العبارة فى معجم البكرى ٦٣٤ . وفى اللسان (وحد ٤٦٠) : « وإحدى فى ابتداء العدد تجرى مجرى واحد فى قولك : أحد وعشرون ، كما يقال واحد وعشرون » .

(٢) فى النسختين : « يقال له العذافة بأبرق العذاف » بالذال فيهما ، وصوابه بالزاى كما فى معجم البكرى .

(٣) الكلام بعده إلى « الفرات » التالية ساقط من ش .

متعلّق بحال محذوفة ، وصاحب الحال الضمير المستقِرّ فى بين ، أى ممتدًّا إلى اللوى ، بكسر اللام والقصر ، وهو كما قال التَّوَّزىُّ : موضعٌ معروف من أرض بنى تميم . وقوله (إلى شُعَب) معطوف بواو محذوفة . والشُّعَب : جمع شُعبة ، وهو مَسِيلُ ماء من ارتفاعٍ إلى بطن الوادى ، أصغَر من التَّلعة . قاله ابن الشجرى . ٤٠٨ و (تَرعَى) فعل مضارع وفاعله مستتر ضمير سَلمى ، وهو من رعيت الماشية أرعاها رَعْياً ، إذا أخذتَها إلى المرعَى . ويقال أيضا رعت الماشية تَرعى رعياً فهى راعية ، إذا سَرَحَتْ بنفْسها ، يستعمل متعدّيا ولازما . كذا فى المصباح . وضمير (بهنَّ) للشُّعَب . ومفعول تَرعَى محذوف ، أى ترعى ماشيتَها فى الشُّعب لكونِ نبتِه أوفَر . فالباء فى بهنّ ظرفية متعلّقة بتَرْعَى ، وجملة تَرْعَى صفة لشُعب . ورأيت فى هامش بعض نُسخ هذا الشرح : تُرعَى بضم أوّله وفتح العين : اسم موضع ، منقول من الفعل ، ومثله تُوضِح . انتهى.وهو خطأ واضح ، على أنَّه غير موجودٍ هذا المكان فى معجم البكرى وغيره .

وقوله : (فعَيهم) أى فإلى عيهم ، بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء . قال البكرىُّ : هو جبلٌ بالغَور بين مكة والعِراق ، وقد ذكرتُه فى رسم (بِيشَة) . وقال فيها : هى بكسر الموحدة والشين المعجمة : وادٍ من أودية تهامة . ولم يُجْرِ لعَيْهم فيها ذكرًا البتّة . وأمّا رواية ابنِ الشجرى فنقول : قوله :

* أيا دارَ سلمى بالحُزون ألاَ اسلَمِى *

الحزون : جمع حَزْن ، بفتح الحاء المهملة وسكون الزاء المعجمة ، وهو ما غلظُ من الأرض ، وهو خلاف السَّهل . وكأنّه أراد حزْن بنى يربوع ، فجمَعَه بما حوله . وليس الحُزون اسمَ موضعٍ بعينه . قال البكرى : حزن بنى يربوع : قُفٌّ غليظ مسيرة ثَلاث ليال . وقال السُّكَّرىُّ (فى أشعار اللُّصوص) : الحزْن بلاد بنى

يربوع ، وهى أطيب البادية مَرعىً ، ثم الصَّمَّان . وقال حُنَيفُ الحناتِم [1] : « من قاظَ الشَّرَفَ ، وتربَّع الحَزْنَ ، وتشتَّى الصَّمَّانَ ، فقد أصاب المرعَى » . والشَّرَف : من بلاد بنى نُمير .

و (ألا) : حرف تنبيه . و (اسلمى) فعل أمرٍ مسند إلى ضمير الدار . دعا لها بالسَّلامة . وقوله :

* نُحَيِّيكِ عن شَحْطٍ وإنْ لم تَكَلَّمى *

نحيِّيك من التحية . قال صاحب المصباح : حَيَّاهُ تَحِيَّةً أصلُه الدُّعاء بالحياة ، ثم كثُر حتَّى استُعمل فى مطلق الدعاء ، ثم استعمله الشرع فى دعاءٍ مخصوص ، وهو : سلامٌ عليك . انتهى . والشَّحْط : البُعد ، وفعله من باب منع . وقوله : (وإنْ لم تَكلَّمى) أصله تتكلمى بتاءين . قال ابن الشّجرىّ : خاطب الدَّار بقوله : أيا دارَ سلمى ، وبقوله : اسلمى ، وبما بعده ، ثم انصرفَ عن خطابها إلى إضمار الغيبة فى قوله : عفت . انتهى.ولم يزدْ على هذا شيئا .

وقوله : (عفت) بمعنى درست وذهبَ آثارها . وقال ابن الشجرى : وسُليم وعامر اللذان ذكرهما : سُليم بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان ، وعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة المذكور . وأراد بمَنْشِمِ امرأةً من خزاعة يقال لها مَنْشِمُ بنت الوَجيه ، كانت تبيع العِطر فى الجاهليَّة ، فلما وقعت الحربُ بين جُرهم وخزاعة كانت إذا حضر القتال

---

(١) حنيف الحناتم : أحد فصحاء الأعراب ، قال أبو فيد مؤرج السدوسى ٧٢ : « أحد بنى حَنْتم بن عدى بن الحارث بن تيم الله ، كان ظمء إبله غِبًّا بعد عِشْر ، وأظماء الناس غب وظاهرة . والظاهرَة : كل يوم مرة » . ويقال فى أمثالهم : « آبل من حُنَيف الحناتم » ، و « أبأى من حنيف الحناتم » ، وهذا للمتكبر المعجب بنفسه . و « أدل من حنيف الحناتم » أيضا ؛ إذْ كان دليلا ماهرا بالدلالة . وانظر جمهرة العسكرى ١ : ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٤٥٦ وأمثال الميدانى ١ : ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٠ .

تجيء بالطِّيب مدقوقاً ، فتطيَّبَ به فِتيانَ خُزاعة ، وكان مَن مَسَّ من ذلك الطِّيب شيئاً لم يرجع من يومِه إلاّ جريحا أو قتيلا . فضربت العربُ المثَلَ بعطرها فى الشُّؤم . انتهى .

وقد استقصينا الكلامَ فى (مَنْشِم) فى شرح أبياتٍ من معلقة زهير من باب الاشتغال [1] .

٤٠٩ وقوله : (أفاءت به) قد تقدَّم شرحه مع ما قبله . قال ابن الشجرىّ : أضمر المسكن بعد إضمار الشُّعب .

وقوله : (ليالىَ تصطاد) إلخ ظرف متعلّق بأقامَتْ . والفاحم : الشعر الأسود كالفحم . وقوله : (وأبيض) أى بثغرٍ واضح برّاق كالإغريض ، وهو طَلْع النخل ، شبَّه أسنانها به .

وتقدَّمت ترجمة النابغة الجعدى فى الشاهد السادس والثمانين بعد المائة [2] .

وفى قصيدةٍ لجابر بن حُنّي التَّغلَبىّ بيتان على نمط شِعر الجعدىّ ، فى خطاب الدار ، وهما :

فيَا دار سَلمى بالصَّرِيمةِ فاللِّوَى ... إلى مَدْفعِ القِيقاءِ فالمتثلَّـمِ [3]

أقامت بها بالصَّيف ثم تذكَّرتْ ... مصايرَهـا بين الجِـواء فعَيهَـمِ

وهى مذكورة فى المفضَّليات . قال شارحها ابن الأنبارى : القِيقاء : جمع قِيقاءة ، وهو ما غلظ من الأرض فى ارتفاع . ومصايرهَا : مواضعها التى تصير إليها فى الشتاء . والجِواء وعَيْهَم : موضعان .

* * *

---

(١) الخزانة ٣ : ٧ – ٨ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٦٧ – ١٧٢ .

(٣) المفضليات ٢٠٩ – ٢١٠ . والمتثلّم بتشديد اللام المفتوحة فى لغة أهل المدينة ، وبتشديد المكسورة فى لغة أهل الحجاز .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد سيبويه [1] :

٨٨٩ (يادارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ)

هذا صدر وعجزه :

(أقوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمَدِ)

على أنَّ (الفاء) فيه لإفادة الترتيب فى الذّكر ، فتكون عاطفة على معناها . ولم يمكن جعلها بمعنى إلى كما تقدَّم فى أول التخريجين فى بيت امرئ القيس ، لعدم ظهور الغاية .

وقصَد بهذا الرَّدَّ على الجرمىِّ فى زعمه أنَّ الفاء فى الأماكن لمطلق الجمع كالواو ، فلا تدلُّ على ترتيب ، لأنَّ الحرف وغيره إذا أمكن بقاؤه على ما وُضع له فلا يُعدَل إلى خلافه . و (العَلياء) ، و (السَّند) كلٌّ منهما ليس اسم مَكانٍ بعينه ، قال صاحب الصحاح : العَلياء : كلُّ مكانٍ مشرف ، وهو بفتح العين والمدّ . وقال صاحب العباب : السَّند ، بالتحريك : ما قابلَك من الجبل وعَلا عَن السفح [2] . وأنشد هذا البيت . ولهذا لم يذكر البكرى العَلياء (فى معجمه) ، لكن أورد السَّنَد فقال : هو بفتح أوله وثانيه : ماء بتِهامة معروف ، وهو الذى عنَى النابغةُ بقوله :

* يا دار ميَّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ *

---

(١) فى كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٣ والجمل ٢٣٩ والمحتسب ١ : ٢٥١ ومختصر القوافى لابن جنى ٢٣ وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٧٤/ ٢ : ٨٢ والعيون الغامزة للدمامينى ٢٤٤ والعينى ٤ : ٣١٥ والتصريح ١ : ١٤٠/٢ : ٢٤٣ والهمع ١ : ٨٥ ، ٢٤٣ والأشمونى ١ : ٢١٠ وديوان النابغة ١٥ .

(٢) ط : « من السّفح » ، وأثبت ما فى ش واللسان .

وقد حدَّده الأحوص فى قوله :

غَشِيتُ الــدارَ بالسَّنَــــد دُوَيـنَ الشِّعب من أُحُـدِ (١)

وقال أبو بكر : سَنَدٌ : ماء معروف لبنى سَعد . انتهى . وهذا غير ذاك .

قال أبو على (فى المسائل البصرية) : مسألة :

* يادارَ مَيَّةَ بالعَلياءِ فالسَّنَدِ *

و : * يا دار ميَّة بالعلياء غَيَّرَها (٢) *

الجارُّ متعلّق بأقوت وبغيَّرَها ، لأنَّ دار مية معرفة فلا يكون الفعل صفةً .

فأمّا قوله :

* أدارًا بحُزْوَى هجتِ للعَين عَبرةً (٣) *

فلا يكون بحزوى إلاّ متعلِّقا بمحذوف . ألا ترى أنّ داراً نكرة . ويجوز فى الأوّلين أن يكون الجار متعلِّقا بمحذوف فيكون فى موضع حال ، كقوله :

* يا بؤسَ للجهلِ ضَرّاراً لِأَقوامِ (٤) *

ولا يجوز عندى فى قوله :

* ألا يَابيت بالعَلياء بيتُ (٥) *

---

(١) ديوان الأحوص ٧٦ عن معجم البكرى .

(٢) لم أهتد إلى قائله ولا إلى تتمته .

(٣) صدر بيت لذى الرمة فى ديوانه ٣٨٩ ، وهو الشاهد ١١٣ . وعجزه :

* فماء الهوى يرفض أو يترقرق *

(٤) للنابغة فى ديوانه ٧١ ، وهو الشاهد ١٠٤ من الخزانة . وصدره :

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد *

(٥) صدر بيت لعمرو بن قنعاس فى كتاب سيبويه ١ : ٣١٢ . وعجزه :

* ولولا حب أهلك ما أتيت *

أن يكون متعلقا بمحذوف على أن يكون حالاً ، ولكن متعلق بمحذوف، [على] نحو : فى الدار رجل ، لأنّه خبر بيتُ الثانى ، ويكون أقوَتْ وغيَّرها منقطعين ممَّا قبلهما ، كأنّه لما نادى أقبل على غيرها فخاطَبه . والدليل على كون الظرف حالاً فى بيت ذى الرمة ، وأنّه يجوز أنْ لا يكون متعلّقا بالفعل الذى هو غَيَّرها قولُه فى أخرى : ٤١٠

يا دار ميَّة بالخَلْصاءِ فالجَرَدِ سَقْياً وإنْ هِجْتِ أدنَى الشَّوقِ والكمَدِ[١]

فكما أنَّ هذا لا يكون إلاّ حالا كذلك قوله : « بالعَلْياء غيَّرها [٢] » يجوز أن يكون حالاً . فإن قلت : لم لا تجعل بالْعلياء فى قولك :

* ألا يابيتُ بالعلياء بيت *

حالاً ، وتجعل بيت الثانى بدلاً من الأوّل ليخلُصَ الظرف حالا ؟ قلت : ذلك لا يجوز ، ألا ترى أنّه لا يستقيم أنْ تقول مبتدئاً : يا زيدُ ولولا عمراً أكرمت ، كما قال :

* ولولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ *

وإن شئتَ أجَزْتَه كما قال :

يا ابنَ أمِّى ولو شَهِدتُك إذ تد عُو تميماً وأنتَ غير مُجابِ [٣]

ومنعه ابن جنى (فى المحتسب) فقال : وسألنى قديما بعضُ من كان يأخذ عنّى فقال : لم لا يكون « بيتُ » الثانى تكريراً على الأوّل ، كقولك : يا زيد زيد ، ويكون بالعلياء فى موضع الحال من البيت ، كما كان قول النابغة [٤] :

---

(١) ديوان ذى الرمة ١٤٣ برواية : « أدنى الشوق للكمد » .

(٢) قطعة من الشطر الماضى فى الصفحة السابقة . وفى ش : « بالخلصاء غير » ، تحريف .

(٣) مجهول القائل كما فى معجم الشواهد .

(٤) ط : « كما فى قول النابغة » ، وأثبت ما فى ش والمحتسب ١ : ٢٥١ .

* يادار ميَّة بالعلياء فالسَّنَدِ *

قولُه : بالعلياء ، فى موضع الحال ، أى يا دار ميَّةَ عاليةً مرتفعة ، فيكون كقوله :

* يا بؤسَ للجهلِ ضَرَّاراً لِأقوامِ *

هذا معنى ما أورده بعد أن سدَّدت السؤال ومكَّنته . فقلت : لا يجوز ذلك هنا ، وذلك أنّه لو كان البيت الثانى تكريراً على الأوّل لقال :

* لولا حبُّ أهلِكَ ما أتيتُ *

فيكون كقولك : يا زيد لولا مكانكُ ما فعلت كذا . وأنتَ لا تقولُ : يا زيد ولولا مكانك لم أفعل كذا . فإذا بطل هذا ثبت ما قاله صاحبُ الكتاب من كونه كلاماً بعد كلام ، وجُملةً تتلو جملة . وهذا واضح .

انتهى كلامه ، وكأنَّه لم يستحضر آخرَ كلام أبى علىّ .

وقد غفَل العينىُّ عن حكم وقوع الظرف بعد المعرفة بجعله حالاً منها ، فقال : بالعلياء محلُّها النصب على أنّها صفة لدارِ مَيَّة ، والتقدير الكائنة بالعلياء . وهذا تحريره ، والبعرة تدلُّ على البعير .

و (ميَّة) : اسم امرأة . و (أقوت) : خلت من السُّكَّانِ وأقفرت . وفيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة حيث لم يقل : أقويتِ . و (السالف) : الماضى . و (الأبَد) : الدهر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانى تقدَّم ذكرُ سببها مع شرح أبيات [1] من أوَّلها ، فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائتين [2] . وبعده :

(١) ش : « مع أبيات » بسقوط كلمة « شرح » .
(٢) الخزانة ٤ : ٥ – ٨ .

أبيات الشاهد

(وقفتُ فيها أُصَيلالاً أُسائلُها أعيَتْ جواباً وما بالدَّارِ من أحدِ
إلاّ الأواريُّ لأياً مَا أُبيِّنُهـا والنُّؤىُ كالحوضِ بالمظلومة الجَلَدِ)

وهذه الأبيات الثلاثة أنشدها سيبويه فى باب الاستثناء . والشاهد فى البيت الثالث وهو رفع الأواريّ فى لغة تميم ، ونصبه فى لغة الحجاز .

قال الأعلم : الشاهد فى قوله : إلاّ الأواريَّ ، بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنّها من غير جنس الأحد ، والرفع جائز على البدل من الموضع ، والتقدير : وما بالربع أحدٌ إلاّ الأواريّ ، على أن تُجعل من جنس الأحد اتِّساعا ومجازاً . انتهى .

وقد تقدم شرح البيت مفصّلاً فى الشاهد الثانى والسبعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وإذا هلكتُ فعندَ ذلِكِ فاجزَعِى)

على أنّ إحدى الفاءين زائدة . ولم يعيِّن الزائد .

قال أبو على (فى التذكرة القصرية):الفاء الأولى زائدة ، والثانية فاء الجزاء . ثم قال : اجعلِ الزائدَ أيَّهما شئت .

٤١١

وعيَّن القاضى (فى تفسيره) الأولى ، فإنَّه أورده البيت نظيراً لقوله تعالى : ﴿ فبِذَلك فليَفْرَحُوا (٢) ﴾ ، قال : الفاء فى فبذلك زائدة ، مثلها الفاءُ الداخلة على عند فى البيت . وتقديم « عندَ » للتخفيف كتقديم « ذلك » . وسيبويه لا يُثبتُ

---

(١) الخزانة ٤ : ١٢١ — ١٣٠ .

(٢) الآية ٥٨ من سورة يونس .

زيادةَ الفاء ، وحَكَمَ بزيادتها هُنا للضَّرورة . ومَنْ تبعه وجَّه ما أوهمَ الزيادة ، فوجَّهها صاحبُ اللباب بأنَّها إنمّا كُرِّرت هنا لبعُد العهد بالفاء الأولى ، كما كُرِّر العامل فى قوله (١) :

لقد عَلِمَ الحيُّ اليمانُونَ أنَّنى إذا قلتُ أمَّا بعدُ أنِّى خطيبُها

أُعِيدَ (أنِّى) لبُعْد العهد بأنَّنِى . انتهى .

وهذا لا يَطَّرد له فى الآية .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(لا تَجزعى إنْ مُنْفِسٌ أهلكتُه)

والبيت آخر قصيدةٍ للنَّمر بن تولب الصَّحابى ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع شرح القصيدة وترجمتِه ، فى الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثمانمائة (٣) :

٨٩٠ (إنَّ مَنْ سادَ ثُمَّ ساد أبوه ثم قد سَادَ قبلَ ذلك جدُّهْ)

على أنّ (ثُمَّ) فيه لمجرد الترتيب فى الذكر ، إلى آخره .

وهذا أحدُ أجوبةٍ ثلاثة عن إشكال ، وهو أنّ ثُمَّ هنا قد عطفت المتقدِّم على المتأخّر ، وهو عكس وضعها . فأجاب الفرّاء وهو ما ذكره الشارح ، بأنَّ ثُمَّ

---

(١) البيت لسحبان بن وائل ، كما سبق فى ١٠ : ٣٦٩ . وانظر فصل المقال ٤٩٧ .

(٢) الخزانة ١ : ٣١٤ — ٣٢٢ .

(٣) ديوان أبى نواس ١٢٢ والهمع ٢ : ١٣١ والمغنى ١١٧ والأشمونى ٣ : ٩٤ .

فيه للترتيب الذكريّ ، ويقال له الترتيب الإخبارى وترتيبُ اللّفظ أيضا . وذلك أنّ الفاء وثمّ يكونان لترتيب الأفعال والأقوال ، وثُمَّ هنا لترتيب القول بحسب الذكر والإخبار والتّلفُّظ . قال الفراء : ومنه : بلغنى ما صنعتَ اليومَ ، ثُمَّ ما صنعتَ أمسِ أعجبُ .

وإليه ذهب ابن مالك (فى التسهيل) فقال : وقد تقع ثم فى عطف المتقدِّم بالزمان ، اكتفاءً بترتيب اللفظ . انتهى .

وفى هذا الجواب اعترافٌ بأنّ ثُمَّ هنا للترتيب بدون تراخٍ ومُهلة كما صرح به الشارح ، وهو خلاف وضعها .

وأجاب ابن عصفور (وهو الجواب الثانى) بأنّ ثُمَّ هنا على بابها ، بتقدير أنّ الممدوح سادَ أوّلاً ، ثم ساد أبوهُ بسيادته ثم جدُّه . قال (فى شرح الجمل) : وما ذكره الفراء من أنَّ المقصود بثمّ ترتيب الأخبار لا ترتيب الشئ فى نفسه ، فكأنّه قال : اسمع منِّى هذا الذى هو [١] : بلغنى ما صنعت اليومَ ، ثم اسمع منِّى هذا الخبر الآخر الذى هو : ما صنعتَ أمسِ أعجب – ليس بشئ ، لأنَّ ثم تقتضى [٢] تأخير الثانى عن الأوّل بمهلة ، ولا مُهلةَ بين الإخبارين . وأمَّا قول الشاعر : إنّ من ساد البيت ، فينبغى أن يُحمل على ظاهره ، ويكون الجدُّ قد أتاه السُّودد من قبل الأب ، وأتى الأبَ من قِبَل الابن . وذلك ممّا يمُدح به ، وإن كان الأكثر فى كلامهم توارثَ السُّودَد ، ويكون البيت إذ ذاك ، مثل قول ابن الرُّومى :

قالوا : أبو الصَّقر من شَيبانَ قلتُ لهم : كَلاَّ لعمرى ، ولكنْ منه شَيبانُ[٣]
فكم أبٍ قد علا بابنٍ ذُرَا حسَبٍ كما عَلتْ برسولِ الله عدنانُ.انتهى.

---

(١) ش : « هذا هو » .
(٢) ط : « يقتضى » .
(٣) المغنى ١١٨ .

قال المراديّ (فى الجنى الدّانى) : ما ذكره ابن عصفور فى تأويل البيت لا يساعد عليه قوله : « قبل ذلكَ » . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وذلك لأنّ مضمون الكلام على ما أجاب به ابن عصفور أنّ سودَد الابنِ سابقٌ لسُودَد الأب ، وسودَد الأبِ سابقٌ لسودد الجدّ ، والسابق للسابق لشيء سابقٌ لذلك الشّيء ، فتكون سيادة الابن سابقةً لكلّ من سيادة أبيه وسيادة جدِّه ، وسيادة الأب سابقة لسيادة الجدّ . وقول الشاعر:قبل ذلك،منافٍ لهذا بلا شك . انتهى .

٤١٢

وأجاب بعضهم عن ابن عصفور بتمحُّمل ، وردَّ عليه . ويُرَدُّ عليه أيضاً بأنّ ثمّ تدلُّ على التراخى ، فما معنى التّراخى والمهلة هنا ؟

وأجاب الأخفش (وهو الجواب الثالث) بأنَّ ثُمَّ هنا بمعنى الواو ، لمطلق الجمع . وردَّ عليه بعضُهم بأنّه لو صح جَرَيانُها مجرى الواو لجاز وقوعها حيث ما يصلُح إلاَّ معنى الواو ، فكان يقاْل اختصم زيد ثم عمرو ، كما يقال : اختصم زيد وعمرو . ولكنّ ذلك غير مقولٍ باتّفاق . قال الشاطبى (فى شرح الألفيّة) : قال الماوردى : الدليل على أنّ ثم لا تكون بمعنى الواو إجماعُ الفقهاء على أنّه لا يجوز أن يقال : هذا بيُمنِ الله ويُمنك ، بالواو ، ولكنْ أجازوا أن يقال : هذا بيمن الله ثم يُمنك . قال : ولو كانت بمعنى الواوِ ما فرُّوا إليها . قال : وفى الحديث أنَّ بعض اليهود قال لأصحاب النبى ﷺ : تزعمون أنّكم لا تشركون بالله وأنتم تقولون : ما شاء الله وشئت ! فذُكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « لا تقوَلُوها وقولوا : ما شاء الله ثمَّ شئتُ [1] » . حدَّث به قاسم بن أصبغ . انتهى .

---

(١) ورد الحديث برواية أخرى فى كل من نهاية ابن الأثير ١ : ٥١٧ ولسان العرب (شيأ ٩٨) مع ذكر اليهودى فيه . وفى سنن ابن ماجه ١ : ٦٨٥ أن رجلا من المسلمين رأى فى النوم أنه لقى رجلا من أهل الكتاب =

وأقول : هذا لا يَرِدُ على الأخفش ، فإنّه لم يدَّعِ أنّ ثم بمعنى الواو دائماً ، وإنمّا يريد قد تكون بمعناها فى بعض الموادّ ، وذلك على سبيل المجاز . ولا يخفى أنَّ البيت إذا حمل على قوله لم يَرِدْ عليه شيءٌ .

قال الدمامينى : لا خفاء فى كون القائل بأنّ ثم تُستعمَل بدون ترتيب كالواو ، يقول بأنّ ذلك استعمالٌ مجازىٌّ ، ولا يشترط فى آحاد المجاز أن تُنقَل بأعيانها عن أهل اللغة ، بل يُكتفى بالعلاقة على المذهب المختار . والعلاقةُ المصحِّحةُ هنا الاتصال الذى بين هذين الحرفين ، من جهةِ أنَّ الواو لمطلق الجمع ، وثمّ لجمعٍ مُقيَّدٍ ، والمطلقُ داخل فى المقيَّد . فثبت أنّ بينهما اتّصالاً معنويا ، فجاز استعمال ثم بمعنى الواو مجازاً لذلك . وحينئذ فالسَّعى فى تأويل تلك الأمثلة ممَّا يصحِّح الترتيب فيها ، نظرٌ فى أمر جزئيّ لا يقتضى بُطلان المدَّعَى من أصله . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من شعرٍ مولَّد لا يُوثق به ، وأوَّله مغيَّر اشتهر به ، وهو أول أبياتٍ سبعةٍ لأبى نواسٍ الحسنِ بن هانئ ، مدحَ بها العبَّاسَ بنَ عُبيدِ الله بن أبى جعفر ، وهى :

أبيات الشاهد

قُل لمَنْ سادَ ثمَّ سادَ أبوه ... قبلَــه ثم قبــلَ ذلكَ جدُّه
وأبـو جَدِّه ، فسَادَ إلى أن ... يتــــلاقى نِزارُه ومعــــدُّه
ثُمَّ آبـاؤه إلى المبتــدا مِنْــ ... ـهُ أبٌ لا أبٌ وأُمٌّ تعُدُّه (١)
يا ابن بُحبوحة البِطاح عُبيدِ اللـ ... ـهِ ، غوثاً مِن مُستغيثٍ تودُّه

= فقال نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشاء محمد . وذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : أما والله إن كنتُ لأعرفها لكم . قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد » . أما أبو داود فى السنن ٤ : ٢٩٥ فإنه لم يذكر للحديث قصة واقتصر على قوله ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاءَ فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » .

(١) فى الديوان : « من آدم » بدل « منه » . وفى ش : « من أب » .

فاهتبْل عندِىَ الصَّنيعة واذخَرْ نى لقـولٍ أُجيــدهُ وأُجِــدُّه
واستـزِدْنى إلى مكـارمك الغُــ ـرِّ وفضلٍ إليكَ خيَّمَ مجدُهْ (١)
عَبْـدرِيٍّ إذا انتمـى أَبْطَحِيٍّ تالـدٍ نَسجُه عتيـقٍ فِرنــدُهْ

والعباس هذا : عمّ هارون الرَّشيد (٢) . ولم يعرفه ابن المُلاَّ (فى شرح المغنى) فقال : لعلَّه العباس بن المأمون بن الرشيد . وأبو نُواسٍ مات قبل أن يصير ابنُ المأمون فى عداد من يُمدَح . ٤١٣

والمأمون اسمه عبدُ الله ، وأبو الممدوح اسمهُ عُبيد الله بالتصغير ، كما فى الشعر .

وقوله : « وأبو جده » معطوف على جدّه . وقوله:« فسَادَ » ، يريد : مَن بقى من جُدودِهِ واحداً بعد واحدٍ ، إلى أن يلاقيَهُ جدُّه نزارُ بنُ معدّ بن عدنان ، وهو عمود النَّسب المحمَّدى ﷺ .

وزعم ابنُ الملاّ أنّ قوله : « وأبو جدِّه فسادَ » مبتدأ وخبر ، والفاء زائدة .

وقوله : « ثم آباؤه » ، أى بعد معدّ . وقوله « إلى المبتدا منه أبٌ » هو آدمُ عليه السلام ، خلقه الله من ترابٍ لا من أبٍ وأمّ . وقوله : « لا أبٌ وأمّ تعدُّه » ، أى لا له أبٌ تعدُّه ولا له أمٌّ تعدُّها .

و « عبيدِ الله » بالجرّ بدل من بُحبوحة . وقوله : « غوثا » منصوب بتقدير أطلب ، وهو اسم الإغاثة بمعنى الإغاثة بالنصر . وقوله : « مِن مستغيثٍ » أى من أجل مستغيث . وتودُّه : تحبُّه .

---

(١) فى الديوان : « ومجد إليك خيم مجده » .

(٢) المفهوم من الديوان أنه يمدح إبراهيم بن عبيد الله الحَجَبى . والحجبى ، بفتح الحاء والجيم نسبة إلى حجابة البيت المعظَّم ، وهم جماعة من عبد الدار ، كانت إليهم حجابة الكعبة ومفتاحها . أنساب السمعانى الورقة ١٥٧ .

وقوله : « فاهتبل » الاهتبال : الاغتنام . والصَّنيعة : الفعل الجميل . واذْخَرنى : أمرٌ مِنْ ذخرته ذَخرا ، من باب نفع ، إذا أعددَته لوقت الحاجة إليه ، والاسم الذُّخر بالضم . و « أجيدهُ » من الإجادة ، أى أُحسِّنه . و « أُجِدُّه » أى أُحدِثه جديداً .

وقوله : « واستزدنى إلى مكارمك » أى اجعلنى زيادةً مضمومة إلى مكارمك ، أى اجعلنى بعضَ مكارِمك ، أى أفعالك التى تُمدَح بها . والغُرّ : جمع أغرَّ وغرَّاء . والأغرُّ : الواضحُ المشهور . وقوله : « وفضلٍ » ، بالجر معطوف على مكارمك . وخَيَّمَ : أقامَ . والمجد : الشرف والعِزّ .

وقوله : « عبدريِّ » بالجر صفة لفضل ، منسوب إلى عبدِ الدار ، وهو أحدُ أولاد قُصَىّ بن كلاب . وانتمى : انتسَب . وأبطحىّ بالجر أيضاً ، يريد أنَّه من قُريش البِطاح ، وهم أشرفُ من قُريش الظَّواهر . وقوله : « تالدٍ نسجُه » بالجر صفةٌ سببيَّة لفضل . ونسجُه فاعلُ تالد . والتالد : القديم الأَصلىّ . والهاء فى نسجهِ ضمير « فَضلٍ » . وعتيقٍ بالجر أيضا . والفرند ، بكسرتين : الجوهر والحُسْن .

وترجمة أبى نواس تقدَّمت فى الشاهد الثالث والخمسين من أوائل الكتاب [٣] .

* * *

(١) ش : « من أب » كما سبق فى الشعر .

(٢) الكلام بعده إلى « اجعلنى » التالية ساقط من ش .

(٣) الخزانة ١ : ٣٤٧ – ٣٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩١ (فلمَّا أجزْنا سَاحَةَ الحيِّ)

هو قطعة من بيت من معلَّقة امرئ القيس ، وهو :

(فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتحَى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ)

على أنَّ (الواو) فى قوله : (وانتحى) قيل زائدة وانتحى جواب لمّا . وأوَّلَهُ البصريُّون .

وهذا الخلاف فى البيت مبنيٌّ على أنَّ ما بعده هذا :

(إذا قلتُ هاتى نوِّلينى تمايَلَتْ علىَّ هَضِيمَ الكَشْحِ ريَّا المُخَلْخَلِ)

فإنَّ « لمَّا » فى البيت السابق تقتضى جواباً ، ولا شيءَ فى البيتين صالح لأنْ يكون جواباً . فقال الكوفيُّون : انتحى هو الجواب ، والواو زائدة . وقال البصريون : الواو عاطفةٌ والجواب محذوف تقديره : فلمَّا أجَزْنا وانتحى بنا بطن خبتٍ أمِنَّا ، أوْنِلْتُ مأمولى ، ونحوُ ذلك . والمشهور فى الرواية أنَّ ما بعد فَلمَّا أجزنا ... البيت ، هو هذا :

(هَصَرْتُ بفودَىْ رأسِها فتمايلَتْ علىَّ هضيمَ الكَشحِ ريَّا المُخَلخَلِ) ٤١٤

وعليها يكون هَصْرت جوابَ لمَّا عند الفريقين ، فلا زيادة ولا نقص .

واعلم أنَّ الكوفيِّين وجماعةً من البصريِّين أجازوا زيادة الواو . قال الفراء (فى تفسير سورة يوسف) : قوله تعالى : ﴿ فلمَّا جهَّزَهُمْ بجَهَازِهِمْ ﴾ ، ﴿ جَعَلَ السِّقَاية [٢] ﴾ جوابٌ ، ورُبمَّا أُدخلت فى مثلها الواو وهى جوابٌ على حالها ،

---

(١) معانى الفراء ٢ : ٥٠ ، ٢١١ والمنصف ٣ : ٤١ والإنصاف ٤٥٧ والاقتضاب ٣٧٨ والمعلقات .

(٢) الآية ٧٠ من سورة يوسف . ويريد أن « جعل السقاية » هى الجواب .

كقوله فى أول السورة : ﴿ فلمَّا ذَهَبُوا به وأجمَعُوا أن يَجْعَلُوه فى غَيَابة الجُبّ وأوحينا إليهِ [١] ﴾ ، والمعنى والله أعلَم أوحينا إليهْ . وهى فى قراءة عَبدِ الله : ﴿ فلمَّا جهَّزَهم بجَهَازِهم وجَعَل السِّقاية ﴾ . ومثله فى الكلام : لمَّا أتانى وأثِبُ عليه ، كأنه قال وثَبْتُ عليه . وقد جاء الشِّعر فى ذلك ، قال امرؤ القيس :

فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحَىِّ [وانتحى [٢]] ... البيت .

وقال آخر [٣] :

حتّى إذا قَمِلَتْ بطونُكمُ ورأيتُمُ أبناءكم شَبُّوا
وقَلبتمُ ظَهرَ المِجنِّ لنا إنَّ اللئيمَ العاجِزُ الخَبُّ

أراد : قلبتم .

وقال أيضا فى آخر تفسير سورة الأنبياء : وقوله تعالى : ﴿ واقتربَ الوَعْد الحَقُّ [٤] ﴾ معناه والله أعلم : حتّى إذا فتحت اقترب . ودخولُ الواو فى الجواب فى حتّى إذا ، بمنزلة قوله [تعالى [٥]] : ﴿ حتّى إذا جاءُوها وفتِحت ﴾ ، وفى قراءة عبد الله : ﴿ فلما جهَّزهم بجَهَازهم وجَعَل السِّقاية ﴾ وفى قراءتنا بغير واو . ومثله فى الصَّافَّات : ﴿ فلمَّا أسْلَمَا وتَلَّهُ للجَبِين ونادَيناه [٦] ﴾ معناها ناديناه . وقال امرؤ القيس :

---

(١) الآية ١٥ من سورة يوسف . وانظر معانى القرآن ٢ : ٥٠ . وزيادة الواو فقط فى قراءة عبد الله . كما نقل الزمخشرى وابن عطيّة . وظن أبو حيان أن قراءة عبد الله عند الزمخشرى : « وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن » . تفسير أبى حيان ٥ : ٣٢٩ . وهو وهم من أبى حيان ، وإنما « أمهلهم حتى انطلقوا » من عبارة التفسير عند الزمخشرى ، وليست تكملة للقراءة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) القائل مجهول . وانظر معجم الشواهد .

(٤) الآية ٩٧ من سورة الأنبياء . وانظر معانى الفراء ٢ : ٢١١ .

(٥) التكملة من ش .

(٦) الآيتين ١٠٣ ، ١٠٤ من الصافات .

* فلمَّا أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتَحَى * ... البيت .

يريد : انتحى . انتهى كلامه .

وقد أورد ابن الأنباريّ (فى مسائل الخلاف) كلامَ الفريقين ، فلا بأس بنقلِه مختصرًا ، قال : ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يَجوز أن تقع زائدةً . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرِّد ، وأبو القاسم بنُ بَرْهان من البصريِّين . وذهب البَصريُّون إلى أنَّه لا يجوز .

واحتج الكوفيّون بقوله تعالى : ﴿ حتَّى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابُها [١] ﴾ قالوا : فتحت جواب إذا والواوُ زائدة ، كما قال تعالى فى صفة سَوْقِ أهل النار إليها : ﴿ حتّى إذا جاءُوها فُتِحت أبوابها [٢] ﴾ ، وبقوله تعالى : ﴿ حتّى إذا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومأجوجُ وهُمْ من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون * واقتربَ الوَعْـدُ الحق [٣] ﴾ اقترب جواب إذا ، والواو زائدة . وبقوله تعالى : ﴿ إذا السَّماء انشقَّت * وأذِنَتْ لربِّها وحُقَّت [٤] ﴾ التقدير : أَذِنَتْ . وبِقول الشاعر :

* فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ * ... البيت .

وبقول آخر :

* حَتّى إذا قَمِلَتْ بُطونكمُ * ... البيتين .

وأجاب البصريون عن الآية الأولى بأنَّ التقدير : حتّى إذا جاءُوها وفتحت أبوابها فازوا ونَعِمُوا . وعن الآية الثانية بأنَّ التقدير : وهم من كلِّ حَدبٍ يَنسِلونَ

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الزمر .

(٢) الآية ٧١ من سورة الزمر . وهذه مجردة من الواو .

(٣) الآية ٩٦ ، ٩٧ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية ١ ، ٢ من سورة الانشقاق .

قالوا ياويلنا . وقيل الجواب : فإذا هى شاخصةٌ . وعن الثالثة بأنَّ التقدير : وأذِنَتْ لربِّها وحُقّت يَرَى الإنسان الثوابَ والعقاب . وكذا يقدَّر فى قول الشاعر : فلمَّا أجزْنا وانتحى بنا بطنُ خبتٍ خَلوْنا ، ونعِمْنا . وقلبتُم ظهر المجنِّ لنا بانَ غدرُكم ولؤمُكم . وإنمّا حذف الجواب فى هذه المواضع للعلم به ، توخّياً للإيجاز . وقد جاء حذفُ الجواب [1] . قال تعالى : ﴿ ولَوْ أنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ به الجبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرضُ أو كُلِّم به الموتَى [2] ﴾ التقدير : لكان هذا القرآنُ . وقال تعالى : ﴿ ولولا فَضْلُ اللهِ عليكمْ ورَحمتُه [3] ﴾ . وتقديره : لفضحكم بما ترتكبون ، ولَعاجَلَكم بالعقوبة . وحذفُ الجواب أبلغُ ، لتذهبَ النفسُ إلى كلِّ مذهبٍ ممكن . انتهى كلامه .

٤١٥ قال ابن السِّيد (فى شرح أدب الكاتب) : وكان بعض النحويِّين فيما حكى أبو إسحاقَ الزّجاجُ يذهبُ فيما كان من هذا النوع مذهباً يخالف فيه البصريِّين والكوفيِّين ، فكان يقول فى الآية :حتّى إذا جاءُوها جاءُوها وفتحت أبوابها . وكذلك بيت امرئ القيس : فلمَّا أجزنا ساحةَ الحيِّ أجزناها وانتحى . فالجواب على رأيه محذوف ، والواو واو الحال ، وفى الكلام قد مضمرة . انتهى .

وذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) إلى مذهب الكوفيِّين ، إلاّ أنّه خَصَّ زيادة الواو بالشعر . وهذا تحكُّمٌ منه من غير فارق . وأنشد تلك الأبيات وقولَ أبى خِراش :

---

(١) فى الإنصاف : « وقد جاء حذف الجواب فى كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيرا » .

(٢) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) الآية ١٠ ، ٢٠ من سورة النور . وختام الأولى : « وأن الله تواب حكيم » ، والثانية : « وأن الله رؤوف رحيم » . وفى ط : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته » صوابها فى ش والإنصاف . وهى الآية ٦٤ من سورة البقرة : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » . وليست موضع استشهاد هنا ، إذ أن جواب « لولا » هو « لكنتم » .

لعَمْر أبى الطَّيرِ المُرِبَّةِ بالضُّحىَ على خالِدٍ لقد وقعتِ على لَحْمِ[١]
ولحمِ امرئٍ لم تَطْعَمِ الطَّيرُ مِثلَه عشيَّةَ أمسى لا يُبين من البَكْمِ

قال : يريد لحم امرئ . وهو بدل من لحم المتقدِّم ، إلاَّ أنّه اضُطّر فزادَ الواوَ بين البدل والمبدل منه . وأنشد أيضا :

فإنّ رشيداً وابنَ مَرْوانَ لم يكن ليفعلَ حتَّى يُصدِرَ الأمرَ مُصدَرا[٢]

قال : يريد رشيد بن مروان ، فزاد الواوَ بين الصفة والموصوف . وأنشدَ أيضا قولَ الآخر :

كنّا ولا تَعصِى الحليلَةُ بعلَها فاليوم تضرُبه إذا ما هو عَصَى

قال : زاد فى الواو فى خبر كان .

هذا . والبيت الشاهد قبلَه :

أبيات الشاهد

(وبيضةِ خِدرٍ لا يُرام خباؤُها تمتَّعتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ
تجاوزتُ أحراساً إليها ومعشراً علىَّ حِراسًا لو يُسِرُّون مَقتلى[٣]
إذا ما الثُّريا فى السَّماء تعرّضَتْ تعرُّضَ أثناءِ الوِشاح المفصَّلِ
فجئتُ وقد نَضَتْ لنومٍ ثيابهَا لدى السِّترِ إلاَّ لِبسةَ المتفضِّلِ
فقالتْ : يمينُ اللهِ مالك حيلةٌ وما إنْ أرى عنك الغَوايةَ تنجلي
فقمتُ بها أمشى تجُرُّ وراءَنا على إثْرنا أذيالَ مِرْطٍ مُرحَّلِ
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ .... إلى آخر البيتين
مُهفهفَة بيضاءُ غير مُفَاضةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجنجلِ[٤]

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ ومعجم الشواهد . وقد سبق فى ٢ : ٣١٦ / ٦ : ٢٠٨ .

(٢) معانى الفراء ٢ : ٣٤٥ والضرائر ٧١ . وقد أتى به الفراء شاهدا على أنّ العرب تنعت بالواو وبغير الواو .

(٣) ط : « حراسا » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « غير مضافة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « وبيضة خدر » إلخ أى ربَّ امرأة لزِمتْ خدِرَها تُشبه البيضة ، فى البياض والملاسَة ، تمتَّعت بها غير خائفٍ من أحد .

وقوله : « تجاوزتُ أحراساً » إلخ يُسِرُّون بالمهملة : يُخْفُون ، وبالمعجمة : يظهرون . ويأتى إن شاء الله شرح هذين البيتين فى حروف المصدر .

وقوله : « إذا ما الثريَّا فى السَّماء » ، إلخ إذا ظرفٌ لقوله تجاوزْت ، أى تخطَّيت أحراساً إليها وقتَ تعرُّض الثريا فى السَّماء ، وهو آخر الليل ، وذلك وقت غفلة رقبائها وحَرَسها . والوشاح : شيء ينسج من أديمٍ ويرصَّع ، شبه قلادةٍ ، تلبسه النساء ، وجمعه وُشحٌ مثل كتاب وكتب . وتوشَّح بثوبه ، وهو أن يُدخله تحت إبطه الأيمن ويُلقيَه على مَنكِبه الأيسر كما يفعل المُحْرِم . قاله الأزهرى [١] . واتَّشح بثوبه كذلك ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : الوشاح يُنسَج عريضاً من أديم ويرصَّع بالجواهر ، وتشدُّه المرأة بين عاتقَيها وكشحَيها . والتعرُّض : الاستقبال . وأثناء الوشاح : أوساطه ، جمع ثَنىً كعصا ، وثِنًـى مثل إلًى ، وثنْى بكسر أوله وسكون ثانيه . وكذلك مفرد « الآلاء » بمعنى النعم ، ذكرهما ابن الأنبارىّ . والمفصَّل : الذى قد فُصِّل بالأحجار ، كالزبرجد والشَّذْر . يقول : تجاوزت إليها فى وقت إبداء الثريا عُرضَها فى السَّماء كإبداء الوشاح الذى فُصِّل بين جواهرِه وخَرزه عُرْضَه . وأنكر قومٌ هذا وقالوا : الثريا لا تعرُّض لها . وقيل : يريد بالثريا الجوزاءَ ، وأنّ هذا مثل قولِ زهير :

فتُنتَجْ لكم غِلْمَانَ أَشأَمَ كلُّهمْ كأحمرِ عادٍ ثم تُرضِع فتَفْطِمِ

قالوا : يريد كأحمر ثمود ، فغَلِط . وقيل : إنّها إذا طلعت طلعَتْ على استقامة ، وإذا استقلَّتْ [٢] تعرَّضت . وهكذا الوشاح يَعترِض على الكشح .

٤١٦

(١) ش : « قال الأزهرى » ، صوابه فى ط والمصباح .

(٢) استقلت : تعالت وارتفعت . وفى النسختين : « استقبلت » ، صوابه ما أثبت .

وقال أبو عمرو : تأخذ الثريا وسَط السماء كما يأخذ الوشاح وسَط المرأة . شبّه اجتماع كواكب الثريا ودنوَّ بعضِها من بعض ، بالوشاحِ المنتظم بالودَع المفصَّل بينه . وقال الخطيب التبريزى : معناه أنَّ الثريا تستقبلُك بأنفها أوّلَ ما تطلُع ، فإذا أرادت أن تسقط تعرَّضت ، كما أنَّ الوشاح إذا طرح تلقَّاك بناحيتَيْه .

قال الإمام الباقلاَّنىُّ (فى كتاب إعجاز القرآن [١]) بعد نقل هذه الوجوه : الأشبه عندنا أنَّ البيت غير مَعيب من حيث عابوه ، وأنّه من محاسن القصيدة ، ولكنْ لم يأتِ فيه بما يفوت الشَّأْوَ ، ويستولى على الأمَد . أنت تعلم أنَّه ليس للمتقدِّمين ولا للمتأخِّرين فى وصف شيءٍ من النجوم مثلُ ما فى وصف الثريا ، وكلٌّ قد أبدعَ فيه وأحسن ، فإمَّا أن يكون قد عارضَه أو زاد عليه . فمن ذلك قولُ ذى الرُّمَّة :

وردتُ اعتسافاً والثُّريَّا كأنَّه ... على قمة الرَّأسِ ابنُ ماءٍ محلِّقُ [٢]

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثريَّا فى السَّماءِ كأنَّها ... بَيْضاتُ أُدِحيٍّ يَلُحْنَ بفَدْفَدِ [٣]

وكقوله :

كأنَّ الثريَّا فى أواخِرِ ليلِها ... تفتُّح نَورٍ أو لجامٌ مفضَّضُ [٤]

وقوله :

فناوَلَنيها والثُّريا كأنَّها ... جَنى نَرجِسٍ حيَّا النَّدامَى به الساقِى [٥]

---

(١) إعجاز القرآن ٢٦٤ – ٢٦٧ .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٠١ . وضمير الثريا هنا أتى مذكراً بتأويلها بالنَّجم ، وكذا ورد فى بيت ابن الطثرية ص ٥٠ باتفاق النسختين معا . وإطلاق « النجم » على الثريا معروف مشهور ، وقالوا : إنه اسمٌ علم لها .

(٣) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٥ .

(٤) ديوان المعانى ١ : ٣٣٦ والتشبيهات ٥ وزهر الآداب ٣١٠ . وليس فى ديوان ابن المعتز .

(٥) ديوان ابن المعتز ٢ : ٥٥ والتشبيهات ٦ والمصون ٢٩ والمعانى ١ : ٣٣٥ .

وقول الأشهب بن رُمَيلة :

ولاحَتْ لِسَارِيها الثُّرَيَّا كأنَّها لدى الأُفُقِ الغربِيِّ قُرطٌ مُسلسَلُ(١)

ولابن المعتز :

وقد هَوى النَّجم والجوزاءُ تتبَعُه كذات قُرطٍ أرادتْه وقد سَقَطا(٢)

أخذَه من ابن الرُّوميّ :

طيِّبٌ ريقُهُ إذا ذقتَ فاه والثُّريا بجانبِ الغَربِ قُرطُ(٣)

ولابن المعتز :

قد سَقانى المُدامَ والصُّبْحُ بالليل مُؤْتَزِرْ(٤)

والثُّرَيَّا كنَورِ غُصْنٍ على الأرض قد نُثِرْ

٤١٧

ولابن الطَّثرِيَّة :

إذا ما الثُّريا فى السَّماء كأنَّه جُمانٌ وَهَى من سِلكِهِ فتبدَّدا (٥)

ولو نسجتُ لك كلَّ ما قالوا من البديع فى وصف الثريا لَطالَ ، وإنّما نريد أن نبيِّن لك أنّ الإبداع فى نحو هذا أمرٌ قريب ، وليس فيه شىءٌ غريب . وفى جملة ما نقلناه ما يزيدُ على تشبيهه فى الحُسْن أو يساويه (٦) . وإذا كان هذا بيتَ

(١) التشبيهات ٦ والمصون ٢٨ وديوان المعانى ١ : ٣٣٥ .

(٢) تشبيهات ابن أبى عون ٩ وديوان المعانى ١ : ٣٣٧ . ولم أجده فى ديوانَيْه .

(٣) التشبيهات ٥ والمصون ٢٨ وديوان المعانى ١ : ٣٣٥ وديوان ابن الرومى ٤٣١ .

(٤) التشبيهات ١٠ والمصون ٣١ وإعجاز الباقلانى ٢٦٥ وديوان ابن المعتز ٢ : ٤٠ .

(٥) المصون ٢٧ وديوان المعانى ١ : ٣٣٤ والباقلانى ٢٦٥ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ والأزمنة ٢ : ٣٣٤ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨ . وانظر ما أسلفت من تعليق على بيت ذى الرمة .

(٦) بعده فى الإعجاز : « فقد علمت أن ما حلَّق فيه ، وقدَّر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه ، أمر مشترك ، وشريعة مورودة ، وبابٌ واسع ، وطريق مسلوك » .

القصيدة ، ودُرَّةَ القِلادة (١) ، وهذا محلُّه ، فكيف بما تعدَّاهُ . ثم فيه ضربٌ من التكلُّف ، لأنّ قوله : « تعرّضت » من الكلام الذى يُستغنَى عنه ، لأنّه يشبِّه أثناء الوشاح بالثُّريا ، سواء كان فى وسط السماء ، أو عندَ الطلوع والمغيب . فالتهويل بالتعرُّض ، والتَّطْويلُ بهذه الألفاظ ، لا معنًى له . وفيه أنَّ الثريا كقطعةٍ من الوشاح المفصَّل ، فلا معنى لقوله تعرُّض أثناء الوشاح ، وإنّما أراد أن يقول : تعرُّض قطعةٍ من أثناء الوشاح ، فلم يستقم له اللَّفظ حتَّى شبَّه ما هو كالشئ الواحد بالجمع . انتهى كلامه .

وقوله : « أتيت وقد نَضَت (٢) » إلخ نضَتْ بالضاد المعجمة ، يقال نضا ثوبَه يَنضُوه نَضْواً ، إذا خَلَعه . واللِّبسة ، بالكسر : هيئة لُبس الثوب . والمتفضِّل : الذى يبقى فى ثوبٍ واحد لينام ، أو ليخفَّ فى عمله ، واسم الثَّوب المِفْضَل بكسر الميم ، وفُضُل أيضاً بضمتين . ويقال للرجل والمرأة فُضُلٌ أيضاً . يقول : أتيتها وقد خَلعَتْ ثيابَها للنَّوم غيرَ الثوب الذى تنام فيه ، وقد وقفَتْ لى عند السِّتر منتظرةً ، وإنمَّا خلعَتْ ثيابَها لتُرِىَ أهلَها أنَّها تريد النوم . كذا قال الزوزنى . وبه يُرَدُّ على الباقلانىّ (٣) فى قوله : إنّ « لدى السِّتر » حشوٌ لا فائدة له .

وقوله : « فقالت يمينُ الله » إلخ يروى بالرفع على أنَّه مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . ويروى بالنصب ، وتقديره : أحلف بيمين الله . وجملة « مالك حيلة » جواب القَسم ، أى مالك حيلةٌ فى التخلُّص أو فيما قصَدْتَ له . فالحيلة : الحُجّة والعذر . وقيل : لا أقدِر أنْ احتالَ فى دفعك عنى . وإنْ بعدَ ما زائدة . والغَوَاية ، بالفتح : الضلالة . وتنجلى : تنكشف .

---

(١) بعده فى الإعجاز : « وواسطة العقد » .

(٢) ويروى : « وقد نضت » بالتشديد ، كما فى المعلقات وشروحها . ومعناهما واحد .

(٣) إعجاز القرآن ٢٦٧ .

وقوله : « فقمت بها » إلخ أى معها . وروى : « خَرجت بها » أى أخرجتها . وجملة أمشى حالٌ من التاء ، وجملة تجرّ حال من ضميرها . والإثر بالكسر ، هو الأثَر بفتحتين . ويروى : « على أثرَيْنا ذيلَ مِرطٍ » ، المِرط بالكسر : كسَاء من خَزّ أو مِرعِزّى ، أو صُوف . وقد تسمَّى الملاءةُ مرطا . والمرحَّل ، بفتح الحاء المهملة المشدَّدة ، المنقَّش بنقوشٍ تشبه الرِّحال . وروى بالجيم . قال الصاغانى : وثوب مرجَّل أى مُعْلَم . وأنشد البيت . وقال : ويروى « مُرَحَّل » بالحاء ، أى موشًّى شبيهاً بالرِّحال . انتهى .

وإنَّما جَرَّت ذيلَها على الإثر ليُعَفِّىَ لئلا يُقتَفى أثرُهُما فيعرفَ موضعُهما . قال الباقِلاَّنىّ : ذكر [1] مساعدتها إيَّاه حتَّى قامت معه ليَخْلُوَا [2] . وقوله : « وراءنَا » لا فائدة فيه ، لأنَّ الذيل إنّما يجرُّ ورَاء الماشى . وقولُ ابن المعتز أحسَنُ منه :

فبتُّ أفرِش خدِّى فى الطريق له ذُلاًّ وأسحبُ أكمامى على الأثَرِ [3]

وقوله : « فلما أجزنا ساحةَ الحى » إلخ يقال أجزنا [وجُزْنا [4]].وقال الأصمعى : أجزنا : قطعنا ، وجُزنا : سرنا فيه . والساحة والباحة والفَجْوَة [5] كلّها فِناء الدار . ويقال هى الرَّحَبة كالعَرْصة . والحىّ : القبيلة ، ويقال للقومِ النُّزولِ أيضا . وانتحى : اعترضَ . والبطن : المكان المنخفِض وحوله أماكنُ مرتفعة . والخَبْتُ ، بفتح المعجمة وسكون الموحَّدة : ما انخفض من الأرض .

٤١٨

---

(١) ط : « فى ذكر » ، وأثبت ما فى ش . وفى الإعجاز ٢٦٨ : « يذكر من محاسنه من مساعدتها إياه » .

(٢) فى النسختين : « ليخلو » بالإفراد ، صوابه فى إعجاز القرآن .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) التكملة من ش .

(٥) شاهده ما أنشده ابن برى (اللسان فجا ٦) :

ألبَسْتَ قومَك مَخزاةً ومَنقَصةً حتى أُبيحوا وحلُّوا فَجوةَ الدَّارِ

وروى : « بطن حِقْف » بكسر المهملة ، وهو رملٌ مشرف معوجّ ، والجمع أحقاف . والقِفاف : جمع قُفّ ، بضم القاف ، وهو ما غلُظ من الأرض وارتفع ولم يبلغْ أن يكون جبلا . وروىَ : « ذى رُكام » بالضم ، وهو المتراكِم بعضُه على بعض . والعَقَنْقل : الرمل المتعقّد المتلبّد ، وأصله من العَقْل ، وهو الشدّ .

قال الباقِلاَّنىُّ (١) : قد أغرب بهذه اللفظة الوحشيَّة ، وليس فى ذكرها فائدة ، واللفظ الغريب قد يُحمَد إذا وقَعَ موقعَ الحاجة فى وصف ما يلائمه ، كقوله عزّ وجلَّ فى وصف يوم القيامة : ﴿ عَبُوساً قَمْطريراً (٢) ﴾ . وأمّا إذا وقع فى غير هذا الموضع فهو مذموم .

وقوله : « إذا قلتُ هاتى نوِّلينى تمايلت » ، التنويل والإنالة : الإعطاء . والنَّوال : العطيَّة . قال الخطيب : معنى التَّنويل التَّقبيل ، وهو من النَّوال : العطيَّة .

وقوله فى الرواية الثانية : « هصَرتُ بفَودَىْ رأسِها فتمايلتْ » الهصْر : جذْب الغصن ليُؤخَذَ من ثمره . والفَودان : جانبا الرأس ، شبَّهها بشجرةٍ وجعلَ ما يَنالُه منها كالثَّمر .

و « هَضِيم » : منصوبٌ على المدح ، وهو عند الكوفيين بمعنى مهضوم (٣) فلذلك كان بلا هاء . وعند سيبويه على النَّسب . والهضيم : الضامر ، وأصل الهضْم الكَسْر ، وإنمّا قيل للضامر من البطن هضيم الكشح لأنّه يدِقُّ ذلك الموضعُ من جَسَده ، فكأنّه هُضِم (٤) عن قرار الرِّدف والوركين والجنبين .

---

(١) الإعجاز ٢٦٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الإنسان .

(٣) ط : « مهضومة » ، ووجهه ما أثبت من ش .

(٤) ط : « هضيم » ، والوجه ما أثبت من ش .

والكَشْح : ما بين منُقطَع الأضلاع إلى الورِك . وأراد هضيم الكشحين ، كما تقول : كحَلت عَينِى تريد عينىّ . « وريَّا » فَعْلَى من الرِّىّ بالكسر ، وهو انتهاء شُرب العَطْشان ، فهو عند ذلك يمتلئ جوفُه ، فقيل لكلِّ ممتلئ من شحمٍ ولحم : ريَّان . والمُخلخَل ، بضم الميم : موضع الخَلخال . وصفَ دِقّة خصرها وعَبالة ساقِها .

وقوله : « مهفْهَفَة بيضاء » إلخ المهفهفة : الحَسَنة الخَلْق ، ولا تكون كذلك حتَّى تكون ضامرة الخاصرة . وقيل هى اللطيفة الخَصْر الضَّامرة البَطْن . والمُفاضة ، بضم الميم : المسترخية البَطْن ، وقيل البائنة الطُّول . و « الترائب » : جمع تَريبة ، وهو موضع القِلادة من الصَّدر . والصَّقْل : إزالة الصَّدأ والدَّنسِ وغيرهِما . و « السَّجنجل » : المرآة ، كلمة رُوميَّةٌ عرَّبتها العرب . وصَفَها بحداثة السِّنّ .

وترجمة امرئ القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٩٢ (ولمّا رأَى الرَّحمنُ أن ليس فِيهِمُ رَشيدٌ ولا ناهٍ أخاه عن الغَدْرِ
وصَبَّ عليهم تغلِبَ بنةَ وائلٍ فكانوا عليهم مثلَ راغيةِ البَكْرِ)

على أنَّ صَبَّ ليس جواب (لمَّا) والواوُ زائدة كما يقول الكوفيُّون ، بل هى عاطفةٌ على الجواب المحذوف ، كما قدرَّه الشارح المحقّق .

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

(٢) ضرائر ابن عصفور ٧٢ وديون الأخطل ٢٢١ .

وقال ابن عصفور : صَبَّ هو الجواب ، والواو زائدة لضرورة الشعر .

هذا . والبيتان من قصيدةٍ للأخطَل التَّغلَبى النَّصرانى ، والرواية فى ديوانه : صاحب الشاهد

* أمالَ عليهم تغلبَ ابنة وائلِ *

وكذا رواهما الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) وعلى هذا لايكون ممَّا نحن فيه وقبلهما :

أبيات الشاهد

(بَنِى عامرٍ لم تثأرُوا بأخِيكُمُ ... ولكنْ رضيتمْ باللِّقاح وبالجُزْرِ

إذا عُطِفَتْ وسطَ البيوت احتلبتمُ ... لها لبناً مَحْضاً أَمَرَّ من الصَّبرِ ٤١٩

ولما رأى الرحمن أنْ ليس فيهمُ ... . إلى آخر البيتين

فسِيرُوا إلى أهل الحجاز فإنّنا ... نَفيناكُمُ عن مَنْبِتِ القَمحِ والتَّمرِ)

وقوله : « لم تثأروا بأخيكم » أى لم تأخذوا بثأره . يقول : رضيمت بأن تُغيروا على المال وتَدَعُوا القتال إذا أصَبْتم [1] الغنائم . واللِّقاح : جمع لِقحْة بكسر اللام فيهما ، وهى الناقة ذات لبن . هذا قول ثعلب . وقال غيره : جمع لَقُوح ، مثل قلوص وقِلاص ، وهى الناقة نُتجت إلى ثلاثةِ أشهر ، وتسمَّى بعدها لَبُوناً . والجُزْرُ ، بضم فسكون ، والأصل بضمتين : جمع جَزور ، والجزور من الإبل خاصَّة تقع على الذكر والأنثى ، وقيل الناقة التى تُنْحَر .

وقوله : « إذا عُطِفَتْ » بالبناء للمفعول ، أى أُميلت . والصَّبِر : الدَّواء المرُّ ، بكسر الباء فى الأشهر ، وسكون الباء للتخفيف لغةٌ قليلة . ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه فى السَّعة . وحكى ابن السِّيد (فى مثلَّث اللغة) جوازَ التخفيف كما فى نظائره ، بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها . وإنمّا جَعل اللَّبَنَ أمرَّ من الصَّبر لأنَّهم يشربونه مع الحزن على أخيهم ، ولا قدرةَ لهم بأخذ ثاره .

---

(١) ش : « إذا » .

وقوله : (ولمَّا رأى الرحمن) هو علمٌ على ذاتِ واجب الوجود ، كلفظة الله . ورأى عِلميَّة تطلبُ مفعولين ، وأنْ مخففة اسمها ضمير شأن . وجملة ليس فيهم رشيد خبرها . وجملة « أنْ ليس » إلخ سادَّة مسدّ مفعولَيْ علم . و (الرَّشيد) : من له رُشْد ، وهو خلاف الغَيِّ والضَّلال ، وهو إصابة الصَّواب . و (الغَدر) : نقْضُ العهد .

وقوله : (وصَبَّ عليهمْ) أى سلَّط عليهم ، وكذا معنى (أمال عليهم) . وتَغلِبُ : قبيلة الأخطل ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر اللام ، والنسبة إليها تَغْلَبِىٌّ بفتح اللام . قال الجوهرى : وتغلب أبو قبيلة ، وهو تغلب بن وائل . وقولهم تغلبُ بنت وائلٍ إنمّا يذهبون بالتأنيث إلى معنى القبيلة ، كما قالوا تميمُ بنت مرّ . انتهى . فتارةً اعتبر تَغلب قبيلة فقال : « ابنةَ وائل » ، وتارةً اعتبره حيًّا فقال : فكانوا . وضمير عليهم لبنى عامر . و (البَكر) بفتح المَوحَّدة : الصغير من الإبل . قال أبو عُبيدة : البَكْر من الإبل بمنزلة الفتَى من الناس ، والبَكرة بمنزلة الفتاة . و (الرَّاغية) بالغين المعجمة : مصدرٌ بمعنى الرُّغاء وهو صوتُ البعير . ورغت الناقة أى صوَّتت . ويريد بالبكر ولدَ ناقةِ صالحٍ عليه السلام . ولمَّا قَتل قُدارُ ثمودٍ النّاقَةَ رغا ولدُها ، فصاح برغائه كلُّ شئٍ له صَوْتٌ ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربْته العربُ مثلاً فى كلِّ هَلَكةٍ عامَّة .

قال الزمخشرىُّ (فى أمثاله [١]) : كان عليهم كراغية البكر ، الرَّاغية مصدرٌ بمعنى الرُّغاء ، كالعافية ، والبالية ، والفاضِلة [٢] . والبكر : سَقب ناقة

(١) المستقصى ٢ : ٢١١ — ٢١٢ .

(٢) فى اللسان (عفا ٣٠٤) أن العافية مصدر كالعاقبة والخاتمة . ونحوه فى القاموس وفى اللسان (بلا ٩٣) : « ويقال ما أُباليه بالَةً وبالاً » . ثم قال : « وأصل بالَةً باليةً مثل عافاهُ عاقيةً فحذفوا الياء تخفيفا كما حذفوا من لم أُبَلْ » . وفيه وفى القاموس (فضل) أن الفضيلة : الدرجة الرفيعة فى الفضل ، والاسم من ذلك فاضلة . والذى فى المستقصى : « والقاضية » ، ولم أجد سندا لمصدَريَّتها .

صالح عليه السلام ، وذلك أنّه لما عُقِرت الناقة صَعِد جبلاً فَرغَا ، فأتاهم العذابُ . يُضرب فى الشؤم . قال الأخطل :

لعَمرِى لقد لاقتْ سُليمٌ وعامرٌ   على جانب الثّرثار راغيةَ البَكْرِ [١]

وقال أيضا :

وإنْ تذكُروهَا فى معدٍّ فإنَّما   أصَابك بالثَّرثار راغيةُ البكرِ [٢]

الضمير فى « تذكُروها » للواقِعَة . وقال أيضا : ٤٢٠

* ولمَّا رأى الرحمن أنْ ليس فيهمُ * .... البيتين انتهى .

وقُدار ، بضم القاف ، هو أشقى ثمود ، وسمَّاه زهير فى معلَّقته أحمر عادٍ فقال :

فتُنتَجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلُّهم   كأحمرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فتَفْطِمِ

والثَّرثار بمثلثتين : اسم نهرٍ، سمِّى به لكثرة مائه .

وترجمة الأخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب [٣] .

* * *

(١) ديوان الأخطل ١٣٣ .

(٢) ديوان الأخطل ٢١٦ برواية : « وإن يذكروها » . وفى النسختين : « فإنها » صوابه من الديوان .

(٣) الخزانة ١ : ٤٥٩ – ٤٦١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٣ (فإذا وذلِكِ يا كُبَيشةُ لم يَكُنْ   إلاّ كَلَمَّـةِ حالـمٍ بخَيـالِ)

على أنَّ (الواو) ليست زائدة كما يقول الكوفيُّون ، بل هى عاطفة على مبتدأ محذوف ، والتقدير : فإذا إلمامك وذلك الإلمام . كذا قدَّره الشارح ، فجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحداً لأجل قوله : لم يكن .

صاحب الشاهد

قال صاحب كتاب (تفسيح اللغة [٢]) : هذا البيت لتميم بن أُبَىّ بن مُقْبل ، وأراد : فإذا هذا وذلك . ولم يخصَّ واحداً لأنّ كلَّ شىءٍ زائلٍ فهو كالأحلام [٣] . وكذا قول أبى كبير الهُذَلى :

فإذا وذلك ليس إلاَّ ذِكــرُهُ   وإذا مضى شىءٌ كأنْ لم يُفْعَلِ [٤]

إنمّا أراد [٥] : فإذا هذا وذلك . وقال : ليس إلاّ ذكْرَهُ أى ذكر الحاضر ، فأمَّا الماضى فمَعْدومٌ بالإياس منه . انتهى كلامه .

ولو كان التقدير كما زعم لقيل فى الأوّل : لم يكونا ، وفى الثانى : ليسا إلاّ ذِكرهما ، مع أنَّ المشار إليه شىءٌ واحد . قال أبو كبيرٍ قبل ذلك البيت :

أبيات لأبى كبير الهذلىّ

وجليلةِ الأنساب ليس كمثلِها   ممّـن يمنَّـعُ قد أتَتْهـا أرسُلى
ساهرتُ عنها الكالئِينَ فلم أنَمْ   حتى التفتُّ إلى السِّماكِ الأعزَلِ

---

(١) ديوان تميم ٢٥٩ واللسان (لمم ٢٥) و (وا ٣٧٩) .

(٢) يعرف باسم « التفسح » . وانظر حواشى الخزانة ١ : ٢٦ .

(٣) ط : « كالأعدام » ، صوابه فى ش .

(٤) مجالس ثعلب ١٢٦ والخصائص ٢ : ١٧١ والعمدة ٢ : ٦١ والضرائر ٧٢ والهذليين ٢ : ١٠٠ والسكرى ١٠٨٠ .

(٥) ش : « وأراد » .

فأتيتُ بيتاً غيرَ بيتِ سَناخةٍ ... وازدرتُ مُزدارَ الكريم المُعْوِلِ
وإذا وذلك ليس إلاّ حِينَه ... وإذا مضَى شئٌ كأَنْ لم أَفعلِ

يقول : ربَّ امرأةٍ شريفة الأنسابِ ممنّعة بعثْتُ إليها رُسُلى وساهرت عنها الكالئين ، أى الحافظين ، فغلبتُهمْ فناموُا ولم أنم ، فأتيت بيتَها فزرتُها ، وهو بيتٌ طيِّبٌ لا مَطعنَ فيه .

والسَّناخة : الرائحة الكريهة . وازدرت : افتعلت من الزِّيارة . والمُعْوِل : الذى يُعْوِل بدلالٍ ومنزلة [١] . فاسم الإشارة راجعٌ إلى زيارة تلك المرأة الجليلة . ويريد أنّ لذة تلك الزيارة لم تكن إلاّ فى وقت الزيارة ، فإذا مضى مضت . وأما قول ربيعة بن مَقْرومٍ الضَّبِّى من قصيدة [٢] :

ولقد أصبتُ من المعيشة لِينَها ... وأصابنى منه الزَّمانُ بكلكلِ
فإذا وذاك كأنّه مالم يكن ... إلاّ تذكُّرَه لمن لم يجْهَلِ

فالمشار إليه اثنان والإشارة واحدة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ عوانٌ بين ذلك [٣] ﴾ ، أى بين البكر والفارض . وتقديره عند الشارح : فإذا المذكور . قال السكرى (فى شرحه) : الواو زائدة ، أراد : وإذا ذلك ليس إلاّ حينَه . يقول : إذا كنتَ فيه فليس إلاّ قدر كينونتك ، فإذا أدبر ذهب .

وإليه ذهب ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) وأورد البيت وقال:« زيدت الواو لضرورة الشعر » . وينبغى أن يقدِّر الشارح فى ذلك البيت : فإذا المذكور وذلك المذكور لم يكن إلاّ كإلمام خيالٍ بالحالم ، لئلاّ يتَّحد المشبّه والمشبّه به .

(١) فى اللسان ، عند إنشاد البيت ، أن المعْوِل مِن أعال وأعول ، إذا حَرَص . ثم ذكر التفسير الآخر الذى هنا عن ابن برى .

(٢) الأغانى ١٩ : ٩٣ . ومن قصيدته هذه أبيات فى الحماسة ٦١ – ٦٧ بشرح المرزوق .

(٣) الآية ٦٨ من سورة البقرة .

ولم يحضرنى الآن ما قبل البيت ، ولهذا لم أعرف مرجعَ الإشارة [١] .

واللَّمَّة بفتح اللام ، قال صاحب الصّحاح : يقال أصابت فلاناً من الجِنَّة لَمَّة ، وهو المَسُّ والشىء القليل . قال :

فإذا وذلك يا كُبيشة لم يكن   إلاّ كَلَمَّـة حالـمٍ بخيـالِ

قال ابن برّىّ (فى أماليه على الصحاح) البيت لابن مقبل ، وقوله : « فإذا وذلك » مبتدأ والواو زائدة ، كذا ذَكره الأخفش . و « لم يكن » خبره . انتهى .

و (كبيشة) من أسماء النِّساء ، مصغر كبشة بالشين المعجمة . و (الحالم) : اسم فاعل من حَلَم يحلُمُ من باب قتل ، حُلُما بضمتين وإسكان الثانى تخفيفا ، أى رأى فى منامه رُؤيا . وكذا احتلم . و (الخيال) : كل شىء تراه كالظّلّ . وخَيال الإنسان فى الماء والمرآة : صورة تمثاله . وربمَّا مرَّ بك الشىء يُشبِهُ الظلَّ ، فهو خيال .

وتقدمت ترجمة تميم بن أُبىٍّ بن مقبل فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده :

(أُرانى إذا ما بِتُّ بتُّ على هوًى   فثُمَّ إذا أصبحتُ أصبْحتُ غاديا)

---

(١) هذا تسجيل أنه لم يكن لدى البغدادى حينئذ ديوان ابن مقبل . والشاعر يشير إلى ما كان يستمتع به من رحلاته ولقائه بالحبيبة فى ١١ بيتا من ديوانه ٢٥٦ – ٢٥٩ أولها :

أُكُبَيْشَ ما يدريكِ أن رُبَّ منهلٍ   يَرمِى بعرمضِهِ على الأجوالِ

(٢) الخزانة ١ : ٢٣١ – ٢٣٣ .

على أنه قِيل : الفاء زائدة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والخمسين بعد الستمائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(وقائلةٍ خَولانُ فانْكِحْ فَتاتَهُمْ وأُكرومةُ الحيَّينِ خِلوٌ كما هيا)

على أنَّ (الفاء) زائدة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب [٢] .

وخصَّ ابن عصفور زيادة الفاء بالشعر ، قال (فى كتاب الضرائر [٣]) : من زيادة الفاء قولُه :

يموت أناسٌ أو يشيبُ فتاهمُ ويحدثُ ناسٌ والصَّغير فيكبرُ

يريد : الصغير يكبر . وقول أبى كبير :

فرأيتُ ما فيه فثُمَّ رزِئتُه فلبِثْتُ بعدكَ غير راضٍ معمرى [٤]

يريد : ثُمَّ رزئته . وقول الأسود بن يعفر :

فَلَنَهْشَلٌ قومِى ولى فى نهشَلٍ نسبٌ لعمر أبيكَ غير غِلابِ

زاد الفاء فى أول الكلام ، لأنَّ البيت أوّلُ القصيدة .

* * *

(١) الخزانة ٨ : ٤٩١ – ٤٩٨ .
(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ – ٤٥٧ .
(٣) ضرائر ابن عصفور ٧٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ والسكرى ١٠٨٢ .

وأنشد بعده :

(أبا خُرَاشة أمَّا أنتَ ذا نفرٍ فإنّ قومىَ لم تأكلهمُ الضَّبعُ)

على أنّ الفاء فيه زائدة عند البصريين ، غير زائدة عند الكوفيِّين .

وتقدَّم كلام الشارح المحقق عليه فى الشاهد التاسع والأربعين بعد المائتين فى باب خبر كان (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٩٤ (يادَهْر أمْ ما كان مَشْيِى رَقَصا بل قد تكون مِشيتى توقُّصا)

على أنَّ أبا زيد أنشدَه (٣) وقال : أمْ فيه زائدة . كذا نقل عنه أبو على (فى التذكرة) وغيرُه . وليس ما نقل عنه موجوداً فى نوادره ، وإنَّما ذكره فى غيرها .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : استشهدوا على زيادة أَمْ بقول ساعدة بن جُؤيَّة :

ياليت شِعرِى ولا مَنْجَى من الهَرَمِ أم هلْ على العيش بعدَ الشَّيب من نَدمِ

التقدير : ليت شعرى هل على العيش من ندم (٤) . وقال أبو زيد فى قوله تعالى : ﴿ أمْ أنَا خيرٌ مِنْ هذا الذى هو مَهِين (٥) ﴾ : أم زائدة . قال : والتقدير : أفلا تبصرون أنا خيرٌ من هذا الذى هو مهين . وأنشدَ قول الراجز :

---

(١) الخزانة ٤ : ١٣ — ١٩ .

(٢) المقتضب ٣ : ٢٩٧ والمنصف ٣ : ١١٨ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٦ والضرائر ٧٤ .

(٣) لم يرد هذا الرجز فى نوادر أبى زيد كما ذكر البغدادى .

(٤) هذا التعليق ساقط من ش . وفى أمالى ابن الشجرى : « التقدير » .. الخ .

(٥) الآية ٥٢ من سورة الزخرف .

يا دَهرُ أمْ ما كان مَشْيِي رَقَصَا بلْ قد تكون مِشيَتِي توقُّصَا

وقول سيبويه فى الآية أنّ أمْ منقطِعة . قال (١) : كأنَّ فرعونَ قال : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء . فقوله : أم أنا خير ، بمنزلة قوله : أم أنتم بصراء . لأنَّهم لو قالوا : أنت خير منه كان بمنزلة قولهم : نحن بصراء . فكذلك أم أنا خير بمنزلة قوله لو قال : أم أنتم بصراء (٢) . وهذا التأويل فى أمْ أحسَن من الحكم بزيادتها . انتهى .

وخصَّ ابنُ عصفور زيادتَها بالشّعر ، وقال بعد إنشاد البيتين : وأجاز الفارسىُّ فى قول أبى ذؤيب :

فأجبتُها أمَّا لجسمىَ أنّه أودَى بَنِىَّ من البلادِ فوَدَّعُوا

أن يكون الأصل : أم ما ، وتكون أم زائدة وما بمعنى الذى ، والتقدير : فأجبتها : الذى لجسمى أنّه أودى . وعلى زيادة أمْ حمَلَ أبو زيدٍ قولَه تعالى : ﴿ أفَلا تُبصِرُونَ . أمْ أنَا خَيرٌ ﴾ ووافقه على جواز ذلك أبو بكر بن طاهر من المتأخِّرين . والصَّحيح أنّها غير زائدة ، لأنَّ زيادتها قليلة ، فلا ينبغى أن تُحمل الآية عليها ، إذْ قد يمكن حملُها على ما هو أحسَنُ من ذلك . ألاَ ترى أنّه يمكن أن تكون منقطعةً على ما ذهب إليه سيبويه ، ومتَّصلة على ما ذهب إليه الأخفش . وقد بيَّن النحويُّون الوجهين فأغْنَى ذلك عن ذكره هنا . انتهى .

وقد ذكر الجوهرىُّ زيادتها (فى الصِّحاح) ، وأنشد البيت الأوَّل من الرجز كذا :

* يا هندُ أم ما كان مَشْيِي رَقَصَا *

---

(١) سيبويه ٣ : ١٧٣ .

(٢) التعقيب التالى من كلام ابن الشجرى ، وليس من نص سيبويه .

وقال ابن بَرّىّ (فى أماليهِ عليه) : هذا مذهبُ أبى زيد . وغيرُه يذهب إلى أنّ « أم ما كان » معطوف على محذوف تقدَّم ، المعنى كأنّه قال : يا هندُ أكان مَشْيِى رَقَصاً أم ما كان كذلك ؟ انتهى .

وفيه نظرٌ . تأمَّلْ .

وقال الصاغانى (فى العباب) : وأم قد تكون زائدة . وأنشد الرَّجزَ ثم قال : وقال الليث : أم تكون بمعنى ألف الاستفهام ، كقولك : أم عندك غَدَاءٌ حاضر ؟ وأنت تريد أعندك ؟ وهى لغةٌ حسنة من لغات العرب . قال الأزهرىّ : هذا إذا سبقه كلامٌ ، وتكون أم مبتدأة للكلام فى الخبر ، وهى لغة يمانية ، يقول قائلهم : أم نحنُ خيارُ النّاس ، أم نُطعم الطَّعام ، أم نَضرِبُ الهام . وهو مخبر . انتهى .

وعلى هذا تكون غير زائدة ، كأنَّها حرف افتتاح للتنبيه بمنزلة ألاَ وأمَا ، كقوله :

* أمَا والذى لا يَعلم السِّرَّ غيرُه *

ولا يبعد أن تكون أمْ مخفّفة من أمَّا وسكِّنت . والله أعلم .

وقوله : (ما كان مَشْيِى رَقصا) ما نافية . والرَّقَص بفتحتى الراء والقاف ، قال ابن دريد : هو شبيه بالنَّقَزانِ من النَّشاط . قال ابن فارس : هو الخَبَب . والقولان متقاربان . وقوله : (توقُّصا) بالواو والقاف ، قال ابن الشجرى : هو تقاربُ الخَطْو ، وقيل شدَّة الوطء ، وكلاهما من فعل الهَرَم . وهذا شكايةٌ من دهره . ٤٢٣ يقول : أنا فى حداثتِى وشَبابى لم أمْشِ بعافية ، بل تكون مشيتى مُستمرَّة كمشى الشُّيوخ العاجزين .

وقال ابن مكرَّم (فى لسان العرب [١]) : أراد ما كان مِشْيَتِي [٢] رقصا ، أى كنت أتوقَّص [٣] فى مشيتى ، واليوم قد أسَنَنْت حتّى صارت مِشيتى ترقُّصاً [٤] . والتوقُّص : مقاربة الخطو . انتهى .

وروى ابن الشجرى ، وصاحب العباب ، وصاحب لسان العرب أوَّله كذا : « يا دَهْنَ أم ما كان » وقال : دهن ترخيم دَهْناء . ولم يفسِّراه . وكأنّ دهناء من أسماء النِّساء ، كما أنّ هندا فى رواية الجوهرى من أسمائهنّ .

وكذا رواه الأزهريُّ عن أبى زيدٍ وقال : أراد يا دهناء ، فرخّم . وأم زائدة . أراد : ماكانَ مشيى رَقَصاً ، أى كنت أتوقَّصُ [٥] وأثِبُ فى مشيتى ، واليوم قد أسننت حتّى صارت [٦] مشيتى رَقَصا . انتهى .

ولم أقفْ على قائل هذا الرجز ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثمانمائة [٧] :

٨٩٥ (بدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فى رَوْنَقِ الضُّحيِ
وصورتِها ، أو أنتِ فى العَيْن أملحُ)

---

(١) لم أجد النص التالى فى لسان العرب بمادتيه (رقص) ، (وقص) ، ولكنى عثرت عليه فى مادة (أمم ٣١) .

(٢) ط : « مشيى » .

(٣) ط : « أترقص » ، صوابه بالواو فى ش واللسان . والترقص : ضرب من الخبب والإسراع .

(٤) فى النسختين : « توقصا » . وفى اللسان « رقصا » . والرَّقَص والترقُّص بالراء فيهما : الاضطراب فى السير .

(٥) ط : « أترقص » ، بالراء ، صوابه بالواو كما فى ش .

(٦) ش . « صار » .

(٧) معانى الفراء ١ : ٧٢ والمحتسب ١ : ٩٩ والخصائص ٢ : ٤٥٨ والأزهية ١٢٨ والإنصاف ٤٧٨ . وليس فى ديوان ذى الرمة ، كما قال البغدادى . وهو فى ملحقات الديوان ٦٦٤ عن اللسان والتاج والصحاح .

على أنَّ (أو) فيه حرف استئناف للإضراب ، ولا يحتمل أن تكون عاطفة ، إذ لا يصحُّ قيام الجملة بعدها مقام قوله « مثلَ قرن الشمس » كما هو حق المعطوف .

قال الفراء (فى تفسير سورة البقرة) : العربُ تجعل أوْ نسَقاً ، مفرِّقة لمعنَى ما صلحت فيه أحَد [١] ، كقولك : اضربْ أحدهما زيداً أو عمراً . فإذا وقعت فى كلامٍ لا يُراد به أحدٌ وإنْ صلَحتْ جعلوها على جهةِ بَلْ ، كقولك فى الكلام : اذهب إلى فلان ، أو دَعْ فلا تبرحِ اليومِ . فقد دَلَّك [٢] هذا على أنَّ الرجلَ قد رجَع عن أمره الأوَّل ، وجعل أوْ فى معنى بل . ومنه قول الله : ﴿ وأرسلناهُ إلى مائةِ ألفٍ أوْ يَزِيدُون [٣] ﴾ . وأنشدنى بعض العرب :

بدَت مِثْل قرن الشمس ... البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (فى المحتسب) : أو هذه التى بمعنى أم المنقطعة ، وكلتاهما بمعنى بل ، موجودةٌ فى الكلام كثيراً . وإلى نحو هذا ذهب الفرّاء فى قول ذى الرمة :

بَدَتْ مثلَ قَرْنِ الشمسِ ... البيت .

قال : معناه بل أنتِ فى العين أملَحُ . وكذلك قال فى قول الله : ﴿ وأرسَلْنَاهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدُون [٤] ﴾ قال : معناه بلَ يَزيدون . وإن كان مذهبُنا نحن فى هذا غيرَ هذا ، فإنَّ هذا طريقٌ مذهوب فيه على هذا الوجه . انتهى .

---

(١) فى معانى الفراء : « أحد وإحدى » .

(٢) ش فقط : « فقد دل » .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات . وفى ط فقط : « فأرسلناه » بالفاء ، تحريف .

(٤) اتفقت النسختان على الصواب هنا . وانظر الحاشية السابقة .

وأشار بقوله : « فإنَّ هذا طريقٌ مذهوب فيه » إلخ ، إلى ما قاله الشارح المحقّق من أن أو فى البيت والآية متمحِّضة للإضراب ، لا يُتصوَّر معنى العطفِ فيها لِمَا ذكره . وفيه ردٌّ على ابن عصفور ، فى غفلته عن صحَّة العطف ، فزعَم أنّها للشَّكّ ، فقال : وزاد الكوفيُّون فى معانى أوْ أن تكون بمعنى بَلْ ، واستدلُّوا عليه بقوله :

بدت مثلَ قرنِ الشمس .... إلخ

قالوا : المعنى بل أنتِ . ولا مدخلَ للشّكِّ هنا . والصحيح أنَّها فيه للشكّ ، ويكون المعنى أبدع ، كأنّه قال : لإفراط شبهها بقَرن الشمس لا أدرى ، هل هى مثلُها أو أملح . وإذا خرج التشبيه مخرج الشكّ كان فيه الدلالة على إفراط الشَّبَه ، فيكون كقول ذى الرمة :

أيَا ظَبيةَ الوَعْساءِ بين جُلاجلٍ وبين النَّقا أأنتِ أم أُمُّ سالمِ[1]

ألا ترى أنّ قوله : « أأنت أم أمّ سالم » أبلغ من أن يقول : هى كأمِّ سالم ، لأنّ الشك يَقتضى إفراط الشَّبه حتّى يلتبس أحدُ الشَّيئين بالآخَر . وكذلك أيضاً استدلُّوا بقوله تعالى : ﴿ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزيدُون ﴾ قالوا : معناه بل يزيدون . ولا يُتصوَّر أن تكون هنا للشَّكّ ، لأنّ الشكَّ من الله مستحيل . والجواب : أنّ الشَّكَّ قد يرد من الله بالنظر للمخاطبين ، لا أنّه يشُكّ ، فكأنه قال : وأرسلناه إلى جمعٍ تشكُّون فى مَبلغه ، فيكون من مُقتضى حالكم أن تقولوا : هم مائة ألف أو يزيدون . ويحتمل أيضاً أن تكون أوْ فى الآية للإبهام . هذا كلامه .

٤٢٤

وقول الشاعر : (بدَتْ) بمعنى ظهرت ، وفاعله ضمير الحبيبة ؛ ومثلَ حالٌ من الضمير ، ولا يستفيد من إضافته إلى المعرفة تعريفاً ، لتوغُّلِه فى الإبهام . و (قرن

---

(١) ديوان ذى الرمة ٦٢٢ وكتاب سيبويه ٢ : ١٦٨ . وانظر معجم الشواهد .

الشَّمس) بفتح القاف ، قال الجوهرى : هو أعلاها وأوَّل ما يبدو منها فى الطُّلوع . ولا يصحّ هنا المعنى الثانى ، لقوله (فى رونق الضحى) . وقولُه : (وصوُرتِها) بالجرّ عطف على قرن . و (أملحُ) من مَلُح الشئ بالضم مَلاحةً ، أى بَهُجَ وحَسُن منظره ، فهو مليح ، والأنثى مليحة .

والبيت نسبه ابن جنى إلى ذى الرمة . ولم أجدْه فى ديوانه . والله أعلم .

* * *

صاحب الشاهد

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٦ (وهَلْ أنا إلاّ مِن رَبيعةَ أو مُضَرْ)

على أن (أوْ) فيه للإبهام على السامع . وقصَد به الردَّ على الكوفيِّين فى زعْمهم أنَّ أوْ فيه بمعنى الواو .

قال ابن الشجرى (فى أماليه) : كون أوْ بمعنى الواو من أقوال الكوفيِّين ، ولهم فيه احتجاجاتٌ من القرآنِ ومن الشّعر القديم . فممَّا احتجُّوا به من القرآن قولُه تعالى : ﴿ لعلَّه يتذكَّرُ أو يخشى [٢] ﴾ ، و ﴿ لعلّهم يتَّقوُن أو يُحدِثُ لَهُمْ [٣] ﴾ ، ومن الشعر قول تَوبة بن الحُميِّر :

وقد زعمَتْ ليلى بأنِّىَ فاجـرٌ لنفسى تُقاها أوْ عليها فجورُها[٤]

---

(١) الأزهية ١٢٢ وابن الشجرى ٢ : ٣١٧ وابن يعيش ٨ : ٩٩ وشواهد التوضيح لابن مالك ٨٨ والمغنى ٥٦٩ ، ٦٧٠ والشذور ١٧٠ وديوان لبيد ٢١٣ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

(٣) الآية ١١٣ من سورة طه .

(٤) أمالى القالى ١ : ٨٨ والمغنى ٦٢ والهمع ٢ : ١٣٤ .

وقولُ جرير :

أثَعلبةَ الفوارسَ أو رِياحاً عَدلْتَ بهم طُهَيَّةَ والخِشَابا[١]

أى عدلْتَ هاتين القبيلتين بهاتين القبيلتين . وقولُ جرير :

نالَ الخِلافةَ أو كانت له قدَراً كما أتى ربَّهُ مُوسَى على قَدَرِ[٢]

وقولُ لبيد :

تمنَّى ابنتَاىَ أنْ يعيش أبوهُما وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ

قالوا : أوْ هنا بمعنى الواو ، لأنّه لا يشُكّ فى نسبهِ حتّى لا يدرىَ أمن ربيعة هو أم من مضر ؟ ولكنّه أراد بربيعة أباه الذى ولده ، لأنّه لبيد بن ربيعة . ثم قال : أو مضر ، يريد : ومضر ، يعنى مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

واختلفوا فى قوله تعالى : ﴿ وأرسَلْناه إلى مائةِ ألفٍ أو يَزيدون [٣] ﴾ فقال بعض الكوفيين : بمعنى الواو ، وقال آخرون منهم : المعنى بل يزيدون . وهذا القول ليس بشئٍ عند البَصريِّين .

وللبصريِّين فى أوْ هذه ثلاثة أقوال :

أحدها قول سيبويه أنَّها للتخيير . والمعنى إذا رآهم الرائى يُخَيَّر[٤] فى أن يقول : هم مائة ألف وأن يقول: أو يزيدون .

والقول الثانى عن البصريين : أنّها لأحد الأمرَين على الإبهام .

(١) ديوان جرير ٦٦ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ والمقتضب ١ : ٧٥/ ٢ : ١٢١ .

(٢) ديوان جرير ٢٧٥ والمغنى ٦٢ والتصريح ١ : ٢٨٣ والهمع ٢ : ١٣٤ والأشمونى ٢ : ٥٨ .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات .

(٤) ط : « يخير » ، صوابه فى ش وابن الشجرى .

والثالث لابن جنى ، وهو أنّها للشك . والمعنى : أنَّ الرائىَ إذا رآهم شكَّ
٤٢٥ فى عِدّتهم لكثرتهم . ومن زعم أنّ المعنى بل يزيدون ، قال مثلَ ذلك فى قوله تعالى : ﴿ فهى كالحِجارة أو أشدُّ قسْوَةً [١] ﴾ ، وفى قوله : ﴿ ومَا أمْرُ السَّاعةِ إلاّ كلَمْح البصر أو هُو أقرب [٢] ﴾ ، وقولِه : ﴿ فكان قاب قَوْسينِ أو أدنى [٣] ﴾. ومَن قال : إن المعنى ويزيدون قال مثل ذلك فى هذه الآى . والوجه أن تكون أوْ فيهنَّ للتخيير . ويجوز أن تكون أوْ فيهن للإبهام . انتهى كلامه باختصار .

صاحب الشاهد
والبيت الشاهد أولُ أبياتٍ للبيدِ بن ربيعة الصحابى ، تقدَّم شرحُها فى الشاهد الخامس بعد الثلثمائة [٤] .

* * *

وأنشد بعده :

(وكانَ سِيّانِ أن لا يُسْرِحوا نَعَماً أو يُسرِحوُه بها واغبرَّت السُّوحُ)

على أنَّ (أوْ) فيه بمعنى الواو .

وقد تقدَّم شرحُه فى الشاهد الخامس والخمسين بعد الثلثمائة من باب العطفّ [٥] .

* * *

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٧٧ من سورة النحل .
(٣) الآية ٩ من سورة النجم .
(٤) الخزانة ٤ : ٣٣٧ – ٣٤٢ .
(٥) الخزانة ٥ : ١٣٤ – ١٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثمانمائة [١] :

٨٩٧ (سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِهِ أو كَسْرُ عظمٍ مِن عِظامِه)

على أنّ (أو) فيه بمعنى الواو .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) : كان القياس أن يكون العطفُ فيه بالواو دون أوْ ، لأنّ العطف بأوْ فى هذا الموضع فى المعنى: سِيَّانِ أحدُهما ، وهو كلام مستحيل ، كما أنّ سواءٌ زيد أو عمرو كذلك ، لأنَّ سواءً وسِيّانِ واحدٌ فى المعنى ، وإنمّا سِىٌّ من سواء كقِىّ من قَواء . فكما لا يستقيم سواء زيدٌ أو عمرٌو لأنّ المعنى سواء أحدُهما ، والتسوية إنَّما تكون بين شيئين فصاعداً ، كذلك ينبغى أن لا يستقيم . والذى حسَّن ذلك للشاعر أنّه يرى : جالس الحسنَ أو ابنَ سيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعاً ، وكلُ الخُبز أو التمر ، فيجوز أن يجمعَهما فى الأكل . فلمَّا صارت تجرى مجرى الواو فى هذه المواضع استجاز أن يستعملَها بَعْدَ سِىّ . ولم نعلم أنَّه جاء ذلك فى سواء ، وقياسهُ قياس سِيّان . وقد قال بعض المحدَثين :

سِيَّانِ كَسْرُ رَغيفِهِ أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ

فهذا فى القياس كما جاء فى الشعر القديم . فأمَّا قوله :

ألاَ فالبثا شهرينِ أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكُما ما غيَّبَتْنى غَيَابيا [٢]

---

(١) العقد ٦ : ١٩١ وغرر الخصائص للوطواط ٢٠٥ والوفيات ٢ : ٢٣٢ .

(٢) لابن أحمر فى ديوانه ١٧١ . وانظر المحتسب ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ والخصائص ٢ : ٤٦٠ وابن الشجرى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ٤٨٣ . وفى النسختين : « إلى ذاك ما قد غيبتنى » صوابه من الديوان والمراجع السابقة . وفى اللسان : « غيّبه غَيابُه : أى دفن فى قبره » .

فهو من باب جالِس الحسن أو ابن سِيرين . ألا ترى أنّه إن لبث شهرين فقط ، أو شهرين وبعضَ ثالث ، فقد ائتمر . وليس الموضعُ مقتضياً لوقوع الواو كما يقتضى الواوَ بعدسِيِّ وسواءٍ . انتهى كلامه .

وبعض المحْدَثين الذى ذكره أبو على ، هو أبو محمّدٍ يحيى اليزيدى .

صاحب الشاهد

والبيت من جملة أبياتٍ هجا بها أبا المُقاتل ، وهى :

أبيات الشاهد

(استبْقِ وُدَّ أبى المُقا ... تِل حينَ تدنُو مِنْ طعامِه

سِيّانِ كسرُ رغيفِهِ ... أو كسرُ عظمٍ من عظامِه

ويَصُوم كَرهاً ضيفُه ... لم يَنْوِ أجراً مِنْ صيامِه)

كذا نسبها إليهِ صاحب الأغانى [١] ، وابن خلكان فى ترجمته [٢] .

٤٢٦

ورواها ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) كذا :

اكفُفْ يمينَك عن طعامِه ... إن كنت ترغَبُ فى كلامِه

سِيَّانِ كسر رغيفه ... . البيت

وأورد الوطواط إبراهيمُ الكُتبىّ (فى كتابهِ غُرر الخصائص الواضحة ، وعُرَر النقائص الفاضحة) بعدَهما بيتين آخرَين ، وهما :

(فالموتُ أهوَنُ عنده ... مِن مَضغ ضيفٍ والتقامِه

وإذا مررتَ ببابِه ... فاحفَظْ رغيفَك من غُلامه)

---

(١) لم أجده فى الأغانى . فهو مما لم تورده النسخ المطبوعة .

(٢) ابن خلكان ٢ : ٢٣٢ .

أبو محمد اليزيدىّ

وأبو محمد [هذا (١)] هو يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أحد بنى عدِىٍّ بن عبد شمس بن زيدِ مَنَاةَ (٢) بن تميم . ويعرف أبو محمّد باليزيدىّ ، نسبةً إلى يزيد بن منصور الحميرىّ خالِ المهدىّ لأنّه كان يؤدبِّ أولاده فنُسِب إليه .

قال صاحب الأغانى (٣) : قيل له اليزيدىّ لأنّه كان فيمن خرج مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتَّى استتر أمرُهُ ، ثمَّ اتصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصورٍ خالِ المهدىّ ، فوصله بالرّشيد فلم يَزلْ معه . وأدَّب المأمونَ خاصّةً .

وهو مقْرِئٌ نحوىٌّ لغوىّ ، صاحبُ أبى عمرو بْن العلاء ، وهو الذى خَلفَه فى القيام بالقراءة بعده . سكنَ بغدادَ وحدَّث بها عن أبى عمرو بن العلاء ، وابنِ جُرِيج وغيرهما . وروى عنه ابنُه محمّد ، وأبو عُبيدٍ القاسم بنُ سَلاّم ، وإسحاق بنُ إبراهيم الموصلىّ ، وجماعةٌ من أولادِه وحَفَدته ، وأبو عَمرٍو الدُّورىّ ، وأبو شُعيب السُّوسى وغيرُهم . وخالف أبا عَمْرٍو فى حروفٍ كثيرة من القراءةِ اختارَها لنفسه . وأخذَ عِلم العربيَّة عن أبى عمرو ، والخليل بن أحمد (٤) .

قال ابن المبارك : أكثَرتُ السُّؤال عن أبى محمد ومحلِّه من الصّدق ، ومنزِلته من الثّقة ، فقالوا : هو ثقةٌ صدوقٌ ، لا يُدفَع عن سماع ، ولا يُرغبَ عنه فى شئ ، غيرَ ما يُتوهَّم عليه من الميل إلى المعتزلة . وقد روى عنه الغرائبَ أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سَلاَّم ، وكفى به . وما ذاك إلاّ عن معرفةٍ منه به . وكان مؤدِّبَ المأمون ابنِ هارون الرشيد .

(١) التكملة من ش .
(٢) فى النسختين : « زيد بن مناة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) الأغانى ١٨ : ٧٢ – ٨٧ .
(٤) انظر معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ ووفيات الأعيان .

قال الأثرم : دخل اليزيديُّ يوماً على الخليل بن أحمد ، وهو جالسٌ على وِسادة ، فأوسعَ لهُ وأجلسه معه ، فقال له اليزيدى : أحسَبُنى ضيَّقت عليك . فقال الخليل : ما ضاق موضعٌ على اثنينِ متحابَّين ، والدُّنيا لا تسَعُ متباغضَين [1] .

ومن هنا أخذ ابنُ عبدِ ربِّهِ قولَه :

صِلْ مَن هَوِيتَ وإنْ أبدى مُعاتبةً   فأطيبُ العيش وصلٌ بين اِثْنينِ [2]
واقطَعْ حبائلَ خِدْنٍ لا تلائمُه   فقلَّما تسَعُ الدُّنيا بَغِيضَينِ [3]

وقال أبو محمَّدٍ غانمُ بن الوليد المالَقىّ :

صَيِّرْ فؤادَك للمحبوبِ منزلةً   سَمُّ الخِياطِ مَجالٌ للمحبَّينِ
ولا تُسامحْ بغيضاً فى مُخاصمةٍ   فقلّما تسَعُ الدُّنيا بغيضينِ

وقال ابن الزَّقّاق [4] :

يَضيق الفضَا عن صاحبينِ تباغَضَا   وسَمُّ الخياط بالحبيبَيْنِ واسعُ

وقال التِّهامى :

بيَن المحبِّينَ مجلسٌ واسِعْ   والوُدُّ حالٌ يقرِّب الشاسعْ
والبيتُ إن ضاقَ عن ثمانيةٍ   متَّسِعٌ بالوُدِّ للتاسِعْ

(١) انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٣٠ فى ترجمته والعقد ٢ : ٣١٦ .

(٢) فى العقد : « بين إلفين » .

(٣) فى العقد : « فربما ضاقت الدنيا بإثنين » .

(٤) فى النسختين : « ابن الرقاق » ، صوابه ما أثبت . وهو الشاعر الأندلسى البلنسى على بن عطية ابن مطرف ، المتوفى سنة ٥٢٨ . فوات الوفيات ٢ : ١٢٥ — ١٢٨ .

وروى الأصبهانى (فى الأغانى) أن قتيبة الخُراسانىَّ صاحب عيسى بن عمر ، كان يأتى اليزيدىَّ فيسأله عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجابه عنها انصرف منكسراً ، فقال فيه :

إذا عافَى مليكُ النّاسِ عبداً ... فلا عافاك ربُّك يا قُتيبَهْ (١)

طلبتَ النَّحوَ مذْ أن كنتَ طِفلاً ... إلى أن جلَّلَتْكَ قُبِحْتَ شَيبهْ (٢)

فما تزدادُ إلاّ النَّقصَ فيه ... فأنت لدَى الإياب بِشَرٍّ أوبهْ (٣)

وكنتَ كغائبٍ قد غاب حيناً ... فطال مُقامه وأتى بخَيبهْ

وروى عنه أنّه قال : كان عيسى بن عمر أعلَم النّاسِ بالغريب ، فأتانى قُتيبة الخُراسانىُّ فقال : أفِدنى شيئاً من الغريب أُعايى به عيسى بنَ عمر (٤) . فقلت له : أجودُ المساويكِ عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتمئرًّا عُجارِمًا جيّدا . وقد قال الشاعر :

إذا استَكتَ يوماً بالأراكِ فلا يكُنْ ... سِواكُك إلاّ المتمئرَّ العُجارِما

يعنى الأَير . يقال : اتْمأَرَّ الشىء ، إذا اشتَّد . والعُجارِم : الأَيْر الغليظ (٥) .

---

(١) الأغانى ١٨ : ٧٥ مع شعر آخر لليزيدىّ فى هجائه .

(٢) قُبِحتَ ، من قولهم : قبحه الله ، أى أبعده عن كل خير . وفى التنزيل العزيز : « ويوم القيامة هم من المقبوحين » .

(٣) فأنت ، كذا وردت بخط البغدادى كما أثبته الناسخ . وفى الأغانى أيضا : « وأنت » ، والوجه فيهما : « وأبت » ، من الإياب والأوبة ، أى الرجوع .

(٤) أعايى من المعاياة ، وهى أن يأتى المتكلم بكلامٍ لا يُهتَدى له . والأُعيَّة : ما عاييت به . وفى الأغانى : « أعانى » ، وما هنا صوابه .

(٥) أو المتمئر : الغليظ المستقيم . والعجارم ، كعلابط : الشديد .

قال : فكتب قتيبة ما قلتُ له وكتبَ البيت ، ثم أتى عيسى بنَ عُمرَ فى مجلسِهِ ، فقال يا أبا عمر ، ما أجود المساويكِ عند العرب ؟ فقال : الأراك . فقال له قتيبة : أفلا أُهدى إليك منه شيئاً متمئرًا عُجارِما ؟ فقال : أهدِهِ إلى نفسك . وغَضِبَ وضحِك كلُّ مَن كان فى مجلسه ، وبَقِى قتيبةُ متحيِّراً ، فعلم عيسى أنَّه قد وقع عليه بلاء . فقال له : ويلَكَ مَن فضحك وسَخِر منك بهذه المسألة !

قال أبو محمد اليزيدىّ : فضحك عيسى حتَّى فَحصَ برجله ، فقال : هذه والله من مَزَحاته ، أراه عنك منحرفاً فقد فضَحك ! فقال قتيبة : لا أعاود مسألته عن شئ .

وقد أطنب الأصفهانىُّ فى أخباره ونوادره وأشعارِهِ ، وأخبار أولاده وحَفَدته .

ومات اليزيدىُّ فى سنة اثنتين ومائتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثمانمائة [1] :

٨٩٨ (تُلِمُّ بدارٍ قد تقادَم عَهْدُها وإمَّا بأمواتٍ ألَمَّ خيالُها)

على أنّ (إمّا) قد تجئ بالشعر غير مسبوقة بمثلها فتقدَّر كما فى هذا البيت الذى أنشده الفراء ، والتقدير : تلمّ إمّا بدارٍ وإمّا بأموات .

كذا قال أبو على (فى كتاب الشعر) .

(١) معانى الفراء ١ : ٣٩٠ والمنصف ٣ : ١١٥ والأزهية ١٤١ وابن الشجرى ٢ : ٣٤٥ وابن يعيش ٨ : ١٠٢ والمقرب ١ : ١٣٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٥٠ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١١٠ وديوان الفرزدق ٦١٨ .

ولم ينشده الفرّاء لهذا ، بل جعل إمّا نائبة عن أوْ ، ولا حذف فى الكلام ، وهذا نصُّه نقلناه برُمّته لكثرة فوائده ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إمّا أنْ تُلقِىَ وإمَّا أنْ نَكونَ نحنُ المُلْقِين [١] ﴾ : أدخَل أنْ فى إمَّا لأنّها فى موضع أمرٍ بالاختيار ، فهى فى موضع نصب كقول القائل : اختر ذا أو ذا [٢] . فإنْ قلت : أنْ فى المعنى بمنزلة إمّا فهل يجوز أن تقول : يا زيد أن تقوم أو تقعد ، تريد اختر أنْ تقوم أو تقعد ؟ قلت : لا يجوز ذلك ، لأنَّ أوّل الاسمين فى أوْ يكون خبراً يجوز السكوتُ عليه ، ثم تستدرك الشكَّ فى الاسم الآخر فتُمضى الكلاَم على الخبر . ألا ترى أنَّك تقول : قام أخوك ، وتسكت . وإن بدا لك قلت : أو أبوك . فأدخلت الشكَّ والاسم الأوّل مكتفٍ يَصلُح السكوتُ عليه . وليس يجوز أن تقول : ضربت إمّا عبدَ الله ، وتسكت . فلما آذنَتْ إمّا بالتخيير من أوّل الكلام أحدَثتَ لها أنْ . ولو وقعت إمّا وإمّا مع فعلين قد وُصِلا باسم معرفة أو نكرة ، ولم يصلحُ الأمر بالتخيير فى موضع إمّا ، لم يحدُث فيها أنْ ، كقوله تعالى : ﴿ و آخرُون مُرْجَوْنَ لأمْرِ اللهِ إمّا يُعذِّبُهم وإمّا يَتُوبُ عليهم [٣] ﴾ . ولو جَعلْتَ أنْ فى مذهِب كَىْ وصيَّرتها صلةً لمرجَوْن ، تريد : أُرجِئُوا لأَنْ يعذَّبوا أو يُتابَ عليهم ، صلح ذلك فى كلِّ فعل تام ، ولا يصلح فى كان وأخواتها ، ولا فى ظَننت وأخواتها . من ذلك أن تقول : آتيك ، إمّا أن تُعطِىَ وإمّا أنْ تمنع . وخطأٌ أن تقول : أظنُّك إمَّا أن تعطىَ وإمّا أن تمنع ، ولا أُصبحتَ إمّا أن تُعطِىَ وإمّا أن تمنع .

٤٢٨

ولا تدخل أوْ على إمّا ، ولا إمَّا على أوْ . وربمَّا فعلت العربُ ذلك لتآخيهما

---

(١) الآية ١١٥ من الأعراف .

(٢) بعده فى معانى القرآن : « ألا ترى أن الأمر بالاختيار قد صلح فى موضع إما » . والنص فى المعانى مغاير لما هنا مع أن المؤدى واحد .

(٣) الآية ١٠٦ من سورة التوبة .

فى المعنى ، على التوهُّم ، فيقولون : عبد الله إمّا جالسٌ أو ناهض . ويقولون : عبد الله يقوم وإمَّا يقعد . وفى قراءة أُبَيّ : ﴿ وإنّا وإيّاكم لإمَّا على هُدًى أو فى ضلالٍ [1] ﴾ ، فوضع أو فى موضع إمّا . وقال الشاعر :

فقلت لهنَّ آمشِينَ إمّا نُلاقِهِ   كما قال أو نَشْفِ النُّفوسَ فنُعذَرا

وقال آخَر :

فكيف بنفسٍ كلَّما قلتُ أشرَفَتْ   على البُرء من دَهماءَ هِيضَ اندمالُها
تُهاضُ بدارٍ قد تقادَم عهدها   وإمّا بأمواتٍ ألَمّ خيالُها

فوضع إمّا فى موضع أوْ . وهو على التوهُّم ، إذا طالت الكلمةُ بعضَ الطُّول أو فرَقتَ بينهما بشيءٍ هنالك يجوز التوهُّم ، كما تقول : أنت ضاربُ زيدٍ ظالماً وأخاه ، حين فرَقت بينهما بظالم جاز نصبُ الأخِ وما قبلَه مخفوض . انتهى كلام الفراء .

فجعل إمّا نائبةً عن أوْ ، لا أنَّ مثلَها محذوفٌ من أوَّل الكلام .

وما قاله غيره أجود ، لأنَّه حملٌ على الكثير الشائع .

صاحب الشاهد

وخصَّ ابن عصفورٍ حذْفَها بالشعر كأبى عليٍّ والشارح المحقّق . ونسبهما أبو علىّ إلى الفرزدق ، وهو الصحيح .

وقال المرادى (فى شرح التسهيل) ، والعينى : هما لذى الرمة . ولم أرَهُما فى ديوانه .

وقوله : « فكيف بنفسٍ » أى كيف نأمل بصحَّة نفسٍ هذه صفتُها . وقيل الباء زائدة ونفس مبتدأ وكيف خبره . وأشرفت : أقبلَتْ . والبُرء ، بالضم :

---

(١) الآية ٥٤ من سورة سبأ . وانظر القراءات الشاذة ١٢٣ .

الخَلاصُ من المرض . وقوله : « من دهماء » أى من مرضٍ حُبِّها ، ففيه حذف مضافين ، أو مِنْ تعليليَّةٌ فلا حذف . ودَهْماء : اسم امرأة . وروى العينى بدله : « حَوْصاء » بالحاء والصَّاد المهملتين ، وقال : هو فَعْلاء من الحَوَص بالتحريك ، وهو ضيقٌ فى مُؤْخِر العين . وهِيضَ : مجهولُ هاض العظمَ يَهيضه هَيْضاً إذا كسره بعد الجَبْر . وقوله : « اندمالها » أى اندمال جُرحها ، والضَّمير للنفس . والاندمال : تراجُع الجرح إلى البرء . يريد : كلَّما قارب الجرح إلى الالتحام أُصيب بشىءٍ فدَمِىَ فصار جُرحا كالأوّل أو أشدَّ .

وقوله : (تُهاض) بالمثناة الفوقية ، والضمير لتلك النفس . أى يتجدَّدُ جُرحها . والباء فى قوله (بِدار) و (بأمواتٍ) سببيَّة . وجعلها العينى ظرفيَّة وقدَّر لمجرورها صفة وقال : أى فى دارٍ تَخْرَب . وهذا لا حاجةَ إليه . وجملة (قد تقادم) صفة دار . قال الجوهرى : وقَدُم الشىء قِدَما ، أى بكسر ففتح ، فهو قديم . وتقادَم مثلُه . انتهى . وفى المصباح : قَدُم الشىء قِدَماً كعنب : خلاف حَدُث ، فهو قديم . وعيبٌ قديم ، أى سابقٌ زمانَه متقدِّم الوقوع على وقتِه . و (العَهْد) قال صاحب المصباح: يقال هو قريب العهد بكذا ، أى قريب العلم والحالِ . والأمرُ كما عهدت ، أى كما عَرفت .

٤٢٩

وقوله : (وإمّا بأمواتٍ) قال العينى : أى بموت أموات . وليس المعنى عليه كما لا يخفى . و (ألَمَّ) قال صاحب المصباح : ألَمَّ الشىءُ إلماماً أى قرُب . وفى الصحاح : الإلمام : النزول ، وقد ألَمَّ به أى نزلَ به . وغلام مُلِمٌّ : قارَبَ البلوغ . وفى الحديث : « وإنَّ ممَّا يُنبِتُ الرَّبيعُ ما يَقتُل حَبَطاً أو يُلِمُّ » ، أى يقرُب من ذلك . انتهى . فيكون التقدير : ألَمَّ خيالُها بنا . والجملة صفة أموات . و (الخيال) بالفتح : صورة الشىء فى الذهن . وروى أيضا : « تُلِمُّ بدار » كما فى الشرح وغيره ، وهو من الإلمام ، وقد ذكَرناه ، وفاعله ضمير النفس .

وهذا البيت بيانٌ لسبب عدم بُرء النّفس .

وترجمة الفرزدق تقدَّمت فى الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب [١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثمانمائة [٢] :

٨٩٩ (فإمّا أنْ تكونَ أخى بِحَقٍّ   فأعرِفَ منكَ غَثِّى أو سَمينِي
وإلاّ فاطَّرِحْنـــى واتَّخِـــذنى   عَدُوًّا أتَّقيكَ وتتَّقينِـــى [٣])

على أنّه قد تخلف (إمّا الثانية) إلاّ ، وهى إن الشرطيَّةُ المدغَمة بلا النافية ، أى وإلاّ تكن أخى بحّقٍ فاطَّرِحْنى . وقد تخلفها (أوْ) أيضاً كما قال الشارح وغيرُه ، كقوله :

فقلت لهنَّ آمشِينَ إمّا نُلاقِـه   كما قال أو نَشْفِ النُّفوس فنعذَرا

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدةٍ طويلة للمثقِّب العبدىّ ، أوردها المفضَّل (فى المفضَّليات) : وبعدهما :

(وما أدرِى إذا يمَّمْتُ أمراً   أُريدُ الخيرَ أيُّهمَـا يَلينِـى
أألخيرُ الذى أنــا أبتغيـــهِ   أم الشَّرُّ الذى هُو يبتغِينِى)

وهذا آخر القصيدة ، ولم يذكر فيها المخاطب بهما مَن هو ، وكأنّه محذوف منها [٤] .

---

(١) الخزانة ١ : ٢١٧ – ٢٢٣ .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢٣١ /٢ : ٣٧٢ والأزهية ١٥٠ وابن الشجري ٢ : ٣٤٤ والمقرب ١ : ٢٣٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٤٩ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١١٠ والمفضليات ٢٩٢ وديوان المثقب ٢١١ – ٢١٣ .

(٣) قيل إنه يخاطب عمرو بنَ هند ، لقوله قبل ذلك :

إلى عمرو ومِنْ عمرو أتتنى   أخى النجَدات والحلْم الرصينِ

وقال الأصمعي : « أراه غير الملك لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام » .

(٤) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

وقوله : (فإمّا أن تكون) بتأويل مصدرٍ منصوب على أنّه مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : بيِّنْ إمّا كونَكَ أخا وإمّا كوَنك عدوًّا . و (إمَّا) لأحد الشيئين . وجعل بعضُهم ذلك المصدرَ مبتدأً محذوف الخبر تقديره : فإمّا أُخوَّتُك الصَّادقة حاصلةٌ . هذا كلامه . والجيِّد أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : إمّا شأنك كونُك أخاً صادقا ، كما قال سيبويه فى قوله :

* فإنْ جزعٌ وإنْ إجمالُ صَبْرِ *

كما يأتى (١) .

وجعل مثلَه أبو على (فى البغداديات) مبتدأً محذوف الخبر ، قال فى قوله تعالى : ﴿ ياذا القَرنَينِ إمَّا أنْ تُعذِّبَ (٢) ﴾ ينبغى أن يكون رفعاً ، وارتفاعه على الابتداء ، أى إمّا العذابُ شأنك أو أمْرك ، أو اتِّخاذُ الحُسْن . انتهى .

قال العينى : قوله : (بحقٍّ) فى محل نصب صفة لأخى .

ولا يخفى أنَّ الظرف بعد المعرفة حال وبعد النكرة صفة بحسب الاقتضاء ، وهنا وقع بعد معرفة فكيف يكون صفة ؟ على أنّه لا اقتضاء هنا بحسب المعنى ، وإنمّا هو نائب عن المفعول المطلق ، والتقدير : تكون أخى كوناً ملتبسا بحقّ .

وقوله : (فأعرفَ) بالنصب معطوف على تكون . وقوله:(غثى أو سمينى) كذا هو بِأوْ ، فى المفضليات وغيرها . قال ابن الأنبارى : أى فأعرف نُصحك من غِشّك . وهى نسخةٌ قديمة مضبوطةٌ صحيحة جدًّا .

ورُوِى (فى الشرح) ، و (مغنى اللبيب) ، و (شروح الألفيّة) : « غثِّى مِنْ سمينى » فمِن الأُولى ابتدائية فى الرِّوايتين ، ومن الثانية للبدل ، كقوله تعالى : ٤٣٠

(١) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

(٢) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

﴿ أرضِيتم بالحياةِ الدُّنيا من الآخِرة [١] ﴾ . وأنكره قومٌ فقالوا : التقدير : أرضيتم بالحياة الدُّنيا بدلاً من الآخرة ، فالمفيدُ للبدليّة [٢] متعلَّقها المحذوف . وأمّا هى فللابتداء .

وقال ابن مالك : من الداخلة على ثانى المتضادَّين معناها الفصل ، نحو : ﴿ والله يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِن المُصْلِح [٣] ﴾ . قال ابن هشام : فيه نظرٌ ؛ لأنَّ الفصل مستفاد من العامل ، والظاهر أنّ مِنْ للابتداء أو بمعنى عَنْ . انتهى .

قال العينى : قوله : « غَثِّى » بفتح الغين المعجمة وتشديد الثاء المثلثة ، مِن غَثَّ اللحمُ يَغِثُّ ويَغَثّ بكسر الغين وفتحها ، غَثاثة وغثُوثة ، فهو غثٌّ وغثيث ، إذا كان مهزولاً . وكذلك غثَّ حديثُ القوم وأغَثّ ، أى رَدُؤ وفَسَد . والمعنى ههنا : أعرف مِنك ما يَفسُد مِمّا يَصلُح [٤] . انتهى .

وقال الدمامينى : الغثُّ : الردىء . والسَّمين : الجيّد . أى فأعرفَ منك مساوِئَ من محاسنى ، فإنّ المؤمنَ مرآةُ أخيه . أو فأعرفَ ما يضرُّنى منك ممَّا ينفعنى وأميِّزَ بينهما . انتهى .

وقوله : (وإلاّ فاطَّرِحْنى) أى اتركْنِى . وهو بتشديد الطاء افتعال من الطَّرح .

وقوله : « وما أدرى إذا يمّمتُ » إلخ ما نافية ، وأدرى : أعلم ، وجملة أيُّهما يلينى فى محلِّ المفعولين لأدرى ، لأنَّه معلَّق عن العمل باسم الاستفهام . وإذا ظرفٌ لأدرى . ويمَّمت : قصدت . و « أمرا » كذا فى المفضليات ، وفى غيرها : « وَجهاً » . وروى أيضا : « أرضاً » . وجملة أريد حال من فاعل يمّمت .

---

(١) الآية ٣٨ من سورة التوبة .

(٢) ط : « من البدلية » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٤) فى النسختين : « عما يصلح » ، صوابه من العينى ٤ : ١٥٠ .

وأورده الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سواءً مِنْ أهلِ الكتابِ أُمّةٌ قائمةٌ (١) ﴾ قال : ذكَرَ أمّةً ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبنىٌّ على أخرى ، لأنّ سواء لابدَّ لها من اثنين فما زاد ، كأنّك قلت : لا تستوى أمّةٌ صالحة وأخرى كافرة . وقد تستجيز العرب إضمار أحدِ الشيئين إذا كان فى الكلام دليلٌ عليه .

ثم أنشدَ هذين البيتين وغيرَهما .

وكذا أنشدهما عند قوله تعالى : ﴿ إنّا جَعلْنَا فى أعناقِهِم أغلالاً فهى إلى الأذْقانِ (٢) ﴾ ، قال : كنَى عن هى ، وهى للأيمان ولم تُذكر . وذلك أنَّ الغُلّ لا يكون إلاّ فى اليمين والعُنقِ ، جامعاً لليمين والعنق ، فيكفِى ذكرُ أحدِهما من صاحبه . ثم أنشدهما فقال : كنى عن الشَّرّ ، وإنمّا ذكر الخير وحدَه . وذلك أنّ الشَّرّ يذكُر مع الخير . انتهى .

وكأنّه يريد أنّ التقدير : أريد الخير لا الشرّ . ولا يجوز أن يكون التقدير : أريد الخير والشر ، لأنّه غير مرادٍ له ، بدليل ما بعده ، فيكون من حذف المعطوف بلا النافية ، وهو غريب .

وقوله : « أألخيرُ الذى » إلخ هذا بدلٌ من أىّ ، ولهذا قرن بحرف الاستفهام . والهمزةُ الثانية من أألخير همزة وصل دخلَتْ عليها همزة الاستفهام ، وكان القياس أن يُستغنَى عنها ، لكنَّها لم تحذف وخفّفت بتسهيلها بينَ بين ، إذ لولا ذلك لم يتَّزن البيت . ولا سبيلَ إلى دعوى تحقيقها ، لأنّه لا قائل به .

وهمزة بينَ بينَ عند البصريِّين متحركة بحركة ضعيفة يُنحَى بها نحوَ

---

(١) الآية ١١٣ من آل عمران .

(٢) الآية ٨ من سورة يّس .

السُّكون ، ولذلك لا تقع إلاّ حيث يقع الساكن غالباً ، ولا تقع فى أوّل الكلام بحال .

وفيه ردٌّ على الكوفيين فى دعوى سكونها لأنَّها فى مقابلة ثانى حروفِ وتدٍ مجموع ، وهو لا يكون ساكنا . ولأنّها لو كانت ساكنة لزم التقاء الساكنين على غير حَدِّه . وروىَ :

* أم الشَّرُّ الذى لا يَأْتلينى *

٤٣١ قال ابن الأنبارى : أى لا يألو فى طلبى ، أى لا يقصِّر فى طلبى .

المثقِّب العَبْدىّ

والمثقّب العبدىُّ : شاعر جاهلىٌّ قديم ، كان فى زمن عَمرو بن هند . قاله ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [1]) ، وقال : اسمه مِحْصَن بن ثعلبة ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة ، سمِّى المثقِّب لقوله فى هذه القصيدة :

رَدَدْنَ تحيّةً وكنَنَّ أخرى وثقَّبنَ الوَصَاوصَ للعُيونِ

وكان أبو عمرِو بنُ العلاء يقول : لو كان الشعر كلُّه على هذه القصيدة لوجبَ على الناس أنْ يتعلّموه . انتهى .

وقال ابن الأنبارى : اسمه : عائذ بن مِحصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدى ابن عَوف بن دُهن بن عُذرة بن منبِّه بن نُكرة بن لُكيز بن أفْصَى بن عبد القيس ابن أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعدِّ بن عدنان . انتهى .

والمثقِّب : اسم فاعل من ثَقّب بالثاء المثلثة وتشديد القاف . وصحَّفه الدَّمامينى بالنون . وهو لقبٌ له ، لقوله ذاك البيت .

والعَبدىُّ : نسبة إلى عبد القيس ، ويقال فى النسبة إليه : عَبْقَسِىٌّ أيضا .

---

(١) الشعراء ٣٩٥ – ٣٩٨ .

وقوله : « رددْنَ تحيَّة » إلخ قال ابن الأنباريّ : أى أظهرن السَّلام وردَدنه . وكتمن ، أى سترن ، وهو ما يُردُّ من السلام بعينٍ أو بيد . وروى :

* ظهرنَ بِكِلّةٍ وسَدلْنَ أخرى *

والكِلَّة : ما يُرى على الهَودج ، وهو شبيهٌ بالستور . والوصاوص : البراقع الصِّغار . أراد أنَّهن حديثاتُ الأسنان فبراقعهنَّ صغار .

ومن شِعر المثقِّبِ من أول قصيدة أخرى :

لا تَقُولــــنَّ إذا مالم تُرِدْ	أن تُتمَّ الوعدَ فى شىءٍ نَعَمْ[1]
حَسنٌ قولُ نَعَمْ من بعدِ لا	وقبيحٌ قولُ لا بعــدَ نعــمْ
إنَّ لا بَعــدَ نعَــمْ فاحشةٌ	فبلا فابدأْ إذا خفتَ النَّدَمْ
فإذا قلتَ نعمْ فاصبِــرْ لها	بنَجاح القَولِ إنَّ الخُلفَ ذَمّْ
واعلَمَ أنَّ الذّمَّ نقصٌ للفتى	ومَتى لا يتّقى الــذَّمَّ يُذمّْ
أكرِمُ الجارَ وأرعــى حَقَّــه	إنَّ عرفانَ الفتى الحقَّ كرمْ
لا تَرانى رَاتعــاً فى مجلس	فى لُحوم النَّاسِ كالسَّبْعِ الضَّرِمْ
إنّ شرَّ الناسِ مَن يَكشِرُ لى	حِينَ يلقانى وإنْ غبتُ شتمْ
وكـلامٍ سَيِّــئٍ قد وُقِــرَتْ	أذُنى عنه وما بى مِنْ صَمَمْ
فتصبَّرتُ امتعــاضاً أنْ يَرى	جاهـلٌ أنّى كما كانَ زعــمْ
ولَبعضُ الصَّفحِ والإعراضِ عَنْ	ذى الخنا أبقَى وإن كان ظَلَمْ

والضَّرِم : الشديد النَّهَم ، أخذاً من ضَرَم النار ، وهو التهابها . والسَّبع ، بضم الموحَّدة ، لكن سكّنه للضرورة . ويَكشِر : يضحك . ووُقِرت أذنه بالبناء للمفعول تُوقَر وَقْرًا ، فهى مُوقَرة من الصَّمم .

* * *

(١) انظر الأبيات وتخريجها وتفسيرها فى المفضليات طبع دار المعارف ٢٩٣ – ٢٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للتسعمائة [(١)] :

٩٠٠ (يا ليتَما أُمَّنا شالَتْ نَعامتُها أَمّا إلى جنّةٍ أَمَّا إلى نارِ)

على أنّ (أمَّا) الثانية تلزم الواو ، وربَّما ترد بلا واو ، كهذا البيت ، وهو غير الغالب .

٤٣٢ قال ابن هشام (فى حواشى التسهيل) : لا أحفظ حذفَ الواو إلاّ مع تخفيف إمّا بالبدَل ، كقوله :

لا تُفْسِدُوا آبالَكُـــمْ إيمَا لَنا إيمَـا لكُـمْ [(٢)]

قال الشارح : « ويروى أَيْمَا إلى جنة » وهى لغةٌ فى إمَّا . هذا هو المشهور فى رواية البيت .

وكذا أنشده أبو تمام (فى الحماسة) وهو بفتح الهمزة وسكون الياء .

قال ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) : قوله أَيْما إلى جنّة ، يدلُّ على أنّ إبدال الراء والنون ياءين فى قيراط ودينار ، ليس للكسرة ، إنّما هو للإدغام . ألاَ ترى أنّ أيْمَا قد أبدل فيها من ميم أمَّا ولا كسرة قبلها . انتهى .

وكذا ذكره ابن هشام (فى المغنى) قال : وفى البيت شاهدٌ ثان ، وهو فتح الهمزة ، وثالث وهو الإبدال . انتهى . فيكون الإبدال من أمّا بفتح الهمزة .

قال الدمامينىُّ (فى المزج) عند قول ابن هشام : وقد تبدل ميمُها الأولى

(١) ش : « التسعمائة » . وانظر المحتسب ١ : ٤١ ، ٢٨٤ وابن يعيش ٦ : ٧٥ والمغنى ٥٩ والعينى ٤ : ١٥٣ والتصريح ٢ : ١٤٦ والهمع ٢ : ١٣٥ والأشمونى ٣ : ١٠٩ .

(٢) المحتسب ١ : ٢٨٤ والهمع ٢ : ١٣٥ .

ياء ، أى مع فتح الهمزة وكسرها كما نصَّ عليه غير واحد ، لكنَّهم فيما رأيتُ لم يستشهدُوا على الإبدال إلاّ مع فتح الهمزة . انتهى .

وقال المرادىُّ (فى شرح التسهيل) : حُكىَ الإبدالُ مع كسر الهمزة وفتحها . فمثالُه مع الكسر قوله :

* يا ليتما أمَّنا شالت نعامتها * ... البيت .

ومع الفتح قولُ أبى القَمْقام :

تنفِّحُها أيْماً شَمالٌ عريّةٌ وأيْما صَباً جُنْحَ الظَّلامِ هَبوبُ[١]

رواه الفراء بالياء وفتح الهمزة .

هذا كلامه ، وفيه نظر ، فإنَّ البيت الشاهد نصُّوا على فتح همزته مع الإبدال ، ولو كان الكسر فيه روايةً أيضا لكان اللائق عَزْوَه إلى ناقلِه .

صاحب الشاهد

والبيت أوّل أبيات أربعة أوردها أبو تمام (فى أواخر الحماسة) قال : وقالت أمُّ النُّحَيف[٢] وهو سَعْد بن قُرط ، أحد بنى جَذيمة ، وكان تزوَّجَ امرأةً نَهتْهُ أمُّه عنها :

أبيات الشاهد

لعَمرِى لقد أخلَفْتَ ظَنِّى وسُوْءَتَنِى فحُزْتَ بعِصيانى النَّدامةَ فاصبرِ
ولاتَكُ مِطْلاقاً مَلولاً وسامِحِ الـ ـقرينةَ وافعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مشهَّرِ
فقد حُزْتَ بالورهاء أخبَثَ خِبْثَةٍ فدَعْ عنك ما قد قلتُ يا سعدُ واحذَرِ

(١) المقرب ١ : ٢٣١ والهمع ٢ : ١٣٥ . وفى ط : « تنفخها » بالخاء المعجمة ، صوابه فى ش والدرر اللوامع ٢ : ١٨٢ . ويروى : « تلقحها » .

(٢) فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٨٦٢ : « النحيف » بفتح النون فى مخطوطاتها . لكن ضبطه التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٣٥٢ بالتصغير وقال : « يجوز أن يكون النحيف تحقير ترخيم النحيف » . وقد اقتبس التبريزى هذا من المبهج لابن جنى ٦٨ دون أن ينبه على ذلك .

تربَّصْ بها الأيّامَ عَلَّ صروفَها ستَرمِي بها فى جاحِمٍ متسعِّرِ
فكم من كريمٍ قَدْ مَنَاهُ إلَهُهُ بمذمومةِ الأخلاق واسعةِ الحِرِ
فطاوَلَها حتَّى أتتْها منيَّةٌ فصارت سَفاةً جُثوةً بين أقبُرِ
فأُعقِبَ لمّا كان بالصَّبر مُعْصِماً فتاةً تَمَشَّى بين إتْبٍ ومئزرِ
مُهفهفةَ الكشحين مَحطوطةَ المَطَا كهمِّ الفتى فى كلِّ مَبدًى ومَحضَرِ [١]
لها كَفَلٌ كالدِّعص لبَّدهُ النّدَى وثَغْرٌ نقىٌّ كالأُقَاحِ المنوِّرِ

فاجابها ابُنها [٢] :

يا ليتما أُمَّنا شالت نعامتُها أيْما إلى جنّةٍ أيما إلى نارِ
تلتهمُ الوَسْقَ مشدوداً أشِظَّتُه كأنّما وجهُها قد سُفْعَ بالقارِ [٣]
ليست بِشَبْعَى ولو أوردْتَها هَجَراً ولا بريًّا ولو صافَتْ بذى قارِ [٤]
خرقاءُ بالخير لا تَهدِى لوجهتهِ وهْىَ صَنَاعُ الأذَى فى الأهلِ والجارِ [٥]

٤٣٣ قال الخطيب التبريزى : الورهاء : الحمقاء . وأخبث خِبْثة نعتُ كلِّ فاسد [٦] . « فدع عنك ما قد قلت » كأنّه كانَ همَّ بمباينتها فأنكرَتْ ذلك

---

(١) وكذا عند التبريزى . وفى المرزوقى : « محطوطة الحشا » .

(٢) لم ترد هذه المقطوعة عند المرزوقى . ووردت عند التبريزى مسبوقة بقوله : « وقال سعد ، وليس من الكتاب » . وسعد هذا هو النحيف ، وهو سعد بن قرط . والمقطوعة رواها السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧ عن ثعلب فى أماليه . وقد أثبتُّها فى ملحقات المجالس ٨٠٨ .

(٣) عند التبريزى : « قد طُلِىَ بالنار » . وإسكان عين الثلاثى المبنى للمجهول لغة لبكر بن وائل وناس كثير من بنى تميم . انظر سيبويه ٤ : ١١٣ — ١١٤ .

(٤) عند التبريزى : « ولو قاظت » .

(٥) هذا البيت لم يرد فى شرح التبريزى .

(٦) بعده عند التبريزى ٤ : ٣٥٣ : « وكذلك الخابث . وقد استعمل الخبثة فى العجوز أيضا » .

وقالت : تربَّص بها . والجاحم ، بتقديم الجيم على المهملة : النار الشديدة التأجُّج . والسَّفاة ، بفتح المهملة : الكُبَّة من التراب . وأعصَمَ من الشر واعتصَم واستعصم : التجأ وامتنع . ومَحْطوطة المطا ، أى كأنَّها قد صُقلت بالمِحَطّ بالكسر ، وهو ما يُصقَل به السيفُ والجلْد . والمهفهفة : الخميصة البطن . وكهَمٍّ الفتى : كما يهواه ويَهُمُّه حيثما تصرَّف . والنُّحيف : تصغير مرخّم نحيف . انتهى كلامه .

وبقى فيه كلماتٌ تحتاج إلى الشرح فنقول : القرينة : زوجة الرجل . ومَناه : ابتلاه ، ومضارِعُه يَمْنُوه ويَمِنيه . والحِرُ بكسر المهملة : الفَرْج . وفى السَّفَا : التُّراب ، والسَّفاة أخصّ منه . والجِثْوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة . وأقبُر : جمع قَبْر . وأُعقِب بالبناء للمفعول . ومُعصِم : اسم فاعل : ملتجِئ . وفتاةً مفعول ثان لأُعقب . والإِتْب ، بكسر الهمزة وسكون المثناة الفوقيَّة : ثوبٌ أو بُردٌ يُشَقُّ فى وسَطه ، فتلقيه المرأة فى عنقها من غير كُمٍّ ولا جَيب . والكَشْح : الخاصرة . والدِّعص ، بالكسر : الكثيب من الرَّمل .

وقول سعد : (يا ليتما أمَّنا) البيت ، يا : حرف تنبيه ، وأمَّنا بالنصب اسم ليت ، وجملة شالت نعامتُها خبرها . و (شالت) : ارتفعت . و (النَّعامة) قيل باطنُ القدم ، وقيل عَظْم السَّاق . وقولهم : شالت نعامتُه : كنايةٌ عن الموت والهَلاك ، فإنَّ من مات ارتفعتْ رجلاه وانتكسَ رأسُه وظهرت نعامةُ قدمِه شائلة . وقيل معناه ارتفعت جِنازته . وفى الصحاح : النَّعامة : الخشَبة المعترِضة على الزُّرنوقين . ويقال للقوم إذا ارتحلوا عن مَنْهَلهم أو تفرَّقوا : شالت نعامتُهم .

وقال ابن برى (فى أماليه عليه) : وشاهدُه قول أميَّة بن أبى الصَّلت :

اشرب هنيئاً فقد شَالَتْ نعامتُهُمْ وأسبِلِ اليومَ فى بُرديكَ إسبالاَ(١)

وقال آخر :

إنّى قضيتُ قضاءً غيرَ ذى جَنَفٍ لمَّا سمِعتُ ولمَّا جاءنى الخبرُ(٢)
أنّ الفرزدق قد شالت نعامتُه وعَضّه حيّةٌ من قومه ذَكَرُ انتهى

والزُّرنوقان : مَنارتان تُبنيَان على رأس البئر(٣) فتوضع عليهما النَّعامة . وقال بعضهم : العرب تريد بقولها « شالت نعامته » الدعاءَ عليه ، تعنى هَزَمه الله وراعَه حتَّى يذهبَ على وجهه ، كما نَفَرَ النعام . ولشدَّةِ هَرب النَّعام وذُعرِهِ ضُرب به المثَلُ للمهزوم .

وقوله : (أيما إلى جَنّة) إلخ أورده صاحب الصحاح فى مادّة (أمو) فقال : وإمّا بالكسر والتشديد حرف عطف بمنزله أوْ . إلى أن قال : وقولهم : أيما وأيما ، يريدون : إمّا وإمّا فيبدلون من إحدى الميمين ياء . قال الأحوص :

* أَيْمَا إلى جنّةٍ أيْمَا إلى نارِ *

وقد يكسر . انتهى .

وفيه نظر من وجوه :

الأوّل : أنها ليست من هذه المادّة .

---

(١) وكذا فى اللسان (نعم ٦٣) . ونحوه فى مستقصى الزمخشرى ٢ : ١٢٦ . لكن فى ديوان أمية بن أبى الصلت ٥٢ نجد البيت ملفقا من بيتين هما :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا فى رأس غُمدانَ دارا منك محلالا
واطْلِ بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبِلِ اليومَ فى برديك إسبالا

(٢) للأخطل فى النقائض ٤٩٤ وابن سلام ٣٨٧ . وهما فى اللسان (نعم ٦٣) بدون نسبة . ولم يردا فى ديوانه ولا فى تكملته .

(٣) ط : « البعير » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

الثانى : ليست حرف عطف .

الثالث : فى نسبة الشعر للأحوص ، وإنمّا هو للنُّحيف المذكور .

ولم يتنبّه لهذا ابنُ برّيٍّ ولا الصفَدىّ .

وفى قوله : « وقد يكسر » ردٌّ على الدمامينى فى قوله : لم يستشهدوا على الإبدال إلاّ مع فتح الهمزة .

فتلخَّص لنا فى هذه الكلمة أن أيما بالفتح أصلها أمَّا المفتوحة وهى لغة فى المكسورة ، وأنّ إيما بالكسر أصلها إمّا بالكسر ، لكن كثُر استعمال أَيْمَا بالفتح . ٤٣٤

وقد خفِىَ على ابن برىٍّ مجىء الفتح فى إمَّا المكسورة ، فاعترض على صاحب الصحاح فى تجويزه الوجهين فى أيما فى هذا الشعر وغيرِه ، فقال : صوابه إيما بالكسر ، لأنَّ الأصل إمّا . فأمَّا أيما فالأصل فيها أمّا . وذلك فى مثل قولك : أمَّا زيد فمنطلق ، بخلاف إمّا التى فى العطف فإنّها مكسورة لا غير . انتهى .

وقوله : « تلتهم الوَسْق » إلخ الالتهام : الابتلاع . والوَسْق : حِمْلُ البعير . والأشظَّة : جمع شِظاظ بالمعجمات وكسر أوّله ، وهو العود الذى يُدخلَ فى عُروة الجُوالق . وقوله : « قد سُفْع » بضم السين وسكون الفاء مخفّفُ مكسورِها ، وهو ماضٍ مجهول ، من السَّفْع بالفتح ، والاسم السُّفْعة بالضم ، وهو سوادٌ مُشربٌ حمرة . والقار : الزِّفت .

وقوله : « ليست بشَبْعَى » هو مؤنث شَبْعان . وهَجَر بفتحتين ، قال السيوطى : قريةٌ بالحجاز معروفة بكثرة التمر . ورَيًّا : مؤنّث ريّان . وصَافت : فعلٌ ماضٍ من الصَّيف . وروى : « قاظت » مِن القَيْظ ، وهو مُدّة شدّة الحرّ . وذو قار : موضع .

وقوله . « خرقاءُ بالخير » هو مؤنث أخرق ، وهو الذى لا يُحسِن أن يصنع شيئاً . والصَّناع ، بالفتح : المرأة الحاذقة بعمل اليدين وتُحسِن كلَّ شئ .

التُّحيف

والنُّحَيف ، بضم النون وفتح الحاء المهملة وسكون الياء بعدها فاء : مصغَّر نَحِيف تصغير ترخيم ، وإلاّ لقيل نُحَيِّف بتشديد الياء المكسورة . وهو لقب سعد بن قُرط ، بضم القاف وسكون الراء بعدها الراء بعدها طاء مهملة . وهو من عبد القيس ، والنِّسبة إليه عَبْدىٌّ وعَبْقَسِىٌّ كما تقدَّم .

وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قال ثعلب فى (أماليه) : قال أبو رِزْمَةَ الفزارىّ : كانت امرأةٌ من عبد القيس لها ابنٌ يقال له سَعد بن قُرط بن سيَّار ، يلقَّب النُّحيف، يعقُّها ، وكان شِرِّيراً ، فقال يهجوها :

* ياليتما أمَّنا شالت نعامتُها *

الأبياتَ الأربعة . وساق حكايةً مع أبيات . ولم أر شيئاً مما نقله (فى أمالى ثَعلب) مع أن نسختى منها كانت نسختَه وعليها خطُّه .

واستمدَّ ابن المُلاّ مما نقله ، فصحَّف نسبة الشاعر فقال : سعد بن قَرَظ بفتحتين ومعجمتين بينهما مهملة ، ابن سيَّار الملقب بالتُّحيت . هكذا بخطه ونقلته منه ، وهو تصحيفٌ فى الاسمين لا شَّك فيه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س [١]] :

٩٠١ (سَقَتهُ الرَّواعـد مِن صَيِّـفٍ   وإنْ مِنْ ربيعٍ فلن يَعْدَمـا)

على أنَّ الأصلَ فيه : سقتهُ الرَّواعِدُ إمَّا من صَيِّفٍ وإمَّا مِن خريف .
فحذف لضرورة الشعر (إمَّا) الأولى ، و (ما) من إمَّا الثانية . وكان أصلُ إمَّا : إنْ ما ، فلمَّا حذفت (ما) رجعت النون المنقلبة ميماً للإدغام إلى أصلها .

قال سيبويه (فى باب ما يُضمَر فيه الفعلُ المستعملُ إظهارُه بعد حرف) : وأمَّا قول الشاعر :

لقد كَذَبْتكَ نفسُكَ فاكذِبَنْها   فإنْ جزَعاً وإنْ إجمال صبرِ [٢]

فهذا على إمَّا ، وليس على إنِ الجزاءِ كقولك : إنْ حَقًّا وإن كذباً . فهذا على إمَّا محمولٌ . ألاَ ترى أنَّكَ تُدخِل الفاء . ولو كانت على إنِ الجزاءِ وقد استقبلت الكلامَ لاحتجتَ إلى الجواب [٣] . فليس قوله : فإن جزعاً كقوله : إن حَقًّا وإنْ كذبا ، ولكن على قوله : ﴿ فإمَّا مَنًّا بعدُ وإمَّا فداءً [٤] ﴾ .

٤٣٥ وإن قلت : فإنْ جزعٌ وإن إجمالُ صبرٍ ،كان جائزاً ، كأنَّك قلت : فإمّا أمرى جزعٌ وإما إجمالُ صبر ؛ لأنَّك لو صحَّحتها فقلتَ : إمّا ، جاز ذلك فيها . ولا يجوز طرحُ (ما) من إمّا إلاّ فى الشعر . قال النمر بن تَوْلب :

---

(١) فى كتابه ١ : ١٣٥ ، ٤٧١ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١١٥ ومختارات ابن الشجرى ٢٠ وابن يعيش ٨ : ١٠٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ١٥١ والأشباه ١ : ٩٤ وديوان النمر ١٠٤ .

(٢) هو الشاهد التالى برقم ٩٠٢ . وانظر سيبويه ١ : ١٣٤ ، ٤٧١ بولاق .

(٣) قطعة من بيت منسوب للنعمان بن المنذر علقت عليه فى حواشى سيبويه ١ : ٢٦٠ :

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا   فما اعتذارك من شئ إذا قيلا

(٤) الآية ٤ من سورة محمد .

سَقتهُ الرَّواعـدُ من صيِّـفٍ وإنْ من خريف فلن يَعْدَما

وإنّما يريد : وإمّا من خريف . ومَن أجاز ذلك فى الكلام دخل عليه أن يقول : مررت برجل إنْ صالح وإنْ طالحٍ،يريد إمَّا . وإن أراد إن الجزاءِ فهو جائز لأنّه يضمر فيها الفعل . انتهى كلامه .

قال ابن خلف : يعنى سيبويه أنّ إنْ فى هذا البيت محذوف منها ما ، وأصل إمّا عنده إنْ ما ، فجُعِل الحرفان حرفاً واحدا . وإذا اضطُرَّ شاعر حذف ما من إمّا . واستدلّ على أنّها ليست بإن التى للشرط بأنّ الفاء دخلت على إنْ فى : « فإنْ جزعا » . فلو كانت للشرط لاحتاجت إلى جواب . وذلك أنّ جواب إنْ فيما بعدها ، وقد يكون ما قبلَها مغنياً عن الجواب إذا لم يدخلْ عليه شئٌ من حروف العطف ، كقولك : أُكرمُك إن جئتنى . فإن أدخلتَ عليها فاءً أو ثمّ بطل أن يكون ما قبلها مُغنيا عن الجواب . لا يجوز : أكرمُك فإن جئتنى ، ولا أكرمُك ثم إنْ جئتنى ، حتّى تأتى بالجواب فتقول : أكرمك فإن جئتنى زدتُ فى الإكرام . فلذلك بطل أن يكون فإنْ جزعاً على معنى المجازاة وصارت بمعنى إمّا لأنّها تحسُن فى هذا الموضع ، وحذف ما للضَّرورة .

وقال فى البيت الثانى [١] : يريد : وإمّا من خريف ، كأنَّه قال : إمّا من صَيِّفٍ وإمَّا من خريف فلن يَعدَم السَّقْى .

واعترض عليه محمد بن يزيد المبرِّد فقال : « ما » لا يجوز إلقاؤها من إنْ إلاّ فى غاية الضرورة [٢]، وإمّا يلزمها أن تكون مكرّرة ، وإنمّا جاءت هنا مرّة واحدة .

---

(١) يعنى سيبويه .

(٢) ط : « إلقاء ما من إما » ، والوجه ما أثبت من ش . على أن نص المبرد هو : « ما لا يجوز إلقاؤها من إن إلا فى غاية الضرورة » كما سبق .

ولا ينبغى أن تَحمِلَ الكلامَ على الضرورة وأنتَ تجد إلى غيرها سبيلا ، ولكنَّ الوجهَ فى ذلك ما قال الأصمعىّ ، قال : هى إن الجزاء ، وإنما أراد : وإن سقته من خريف فلن يعدم الرّىّ . ولم يحتجْ إلى ذكر سقَتْه لقوله : سقته الرّواعد من صيِّف .

قال أحمد بن محمد بن ولّاد : هذا الوجه الذى حكاه المبرّد عن الأصمعىّ مِنْ جعلِ إنْ فى البيت للجزاء قد أجازه سيبويه بعقب البيت ، وذلك فى قوله فى إثره : وإن أراد إن الجزاءِ فهو جائزٌ لأنّه يُضمر فيها الفعل . إلاّ أنّه أخّره لأنّه لم يكن الوجهَ عنده ، ولا مرادُ الشاعر عليه . ألا تراه قال فى تفسير البيت : « وإنمّا يريد : وإمّا من خريف » . فحمل معنى البيت على إرادة أنّ الشاعَر ذكر وَعِلاً يرِدُ هذا الماءَ متى شاء ، فقال :

إذا شاء طالع مَسجورةً يرى حولها النَّبعَ والسَّاسَما
سقته الرواعدُ من صيِّفٍ .... البيت

فقال : مسجورة أى مملوءة ، من صيِّفٍ أو من خريفٍ ، فلن يَعدَم الوعلُ ريًّا على كلِّ حال . فأعلمَ أنّ ذلك ثابتٌ له . وليس للجزاء فى هذا البيت معنىً يحسُن فى الشعر ، ويليقُ بمراد الشاعر ، لأنّه إذا حملَها على الجزاء فإنمّا يريد إنْ سقته لم يَعدَم الرِّىّ ، وإن لم تسقه عَدِمَ . فلا فائدة فى هذا يحسُن معها الشعر ، ولا يشبه قوله : « إذا شاء طالع مسجورة » . فقد جعلَ ذلك له متى شاء ، وجعلها مملوءة . فلهذا أخّر سيبويه معنى الجزاء ولم يُرد أن الجزاء مرادُ الشاعر ، وإنمّا أراد أنَّ مثل هذا لو وقع فى كلامٍ غير هذا البيت لجاز فيه هذا التأويل ، لأنّه مراد الشاعر .

٤٣٦

وأمَّا قوله : « لا يجوز إلقاؤها من إمَّا إلاّ فى غاية الضرورة » فكذا قال سيبويه ، أنه لا يجوز إلاّ فى الشِّعر للضرورة . وقد وافقه على ذلك ، وليس بين

القولين فرق غير زيادته غاية [١] . ومع هذا فالعرب تحذف من نفس الكلمة للضرورة مع زوال اللَّبس ، فما بالُها لا تحذف الزوائد للضرورة مع زواله . وما هنا زائدة فى إمّا ، وقد دلّ على صحّة ذلك وجوازه فى الشّعر بالبيت الذى قبله ، وهو :

* فإنْ جزعاً وإن إجمالَ صبر *

وأما قوله : « إنّ التكريرَ يلزمُها » فليس الأمر على ذلك ، لأنَّ الأُولى إنَّما هى زائدة ليبادر المخاطب إلى أنّ الكلامَ مبنىٌّ على الشك أو التخيير ، والعمل على الثانية ، والأُولى زائدة وليست توجبُ فى الكلام معنىً غيرَ معنى الثانية ، وسبيلُها فى ذلك سبيل لا إذا قلت ما قام لا زيد ولا عمرو . فإن شئتَ أكّدت النفى وزدت لا ، وإن شئتَ حذفَتها ، إلاّ أنَّ الحذف فى لا الأولى أكثر فى كلامهم منه فى إمّا . ولا أعلمُ أحداً من النحويِّين المتقدمين يمنع من إجازة حذفها فى قولك : خذ الدراهم وإمّا الدينار ؛ وجالسْ زيداً وإمّا عمراً . فقياسها ما ذكرت لك فى لا ، والكلامُ لا يلتبس بطرحها ، ومعناهُ بنقصانها كمعناه بزيادتها ، فما الذى منعَ مع هذا كلِّه من تجويز طرحها . وقد يُطرح من الكلام ما هو أولى بالاثبات منها . انتهى .

ولا يخفى أنّ حذفها خاصٌّ بالشعر ، وجواز حذفها فى الكلام لا قائل به .

وأمّا قوله : « ولا أعلم أحداً من النحويين المتقدّمين » إلخ فالمنقولُ عنهم خلافُ ما نقله . فالأولَى تعليل حذفِها بالضرورة أيضاً .

وقال النحاس بعد نَقل كلام المبّرد : ولم يحتجَّ أبو الحسن لسيبويه فى هذا بشىء ، وكان القول عنده ما قال الأصمعىّ ، وكان شديدَ الميل إلى ما قاله

(١) ط : « على زيادته غاية » ، صوابه فى ش . والمراد غير زيادة المبرد كلمة « غاية » فى قوله : « فى غاية الضرورة » . فهذا هذا .

الأصمعى فى اللُّغة . ألاَ ترى أنّ أبا زيد قد حكم للأصمعىِّ على سيبويه فى اللغة ، وقال : « هذا أعلمُ باللغة وهذا أعلم بالنحو » يعنى سيبويه . وأنّ أستاذ سيبويه الخليلَ قد أخذ عن الأصمعىِّ شيئا من اللغة ، ولم يكن أبو إسحاق الزجّاج يميل إلى شىءٍ من هذا ، وقال : من نظر إلى كتاب سيبويه وما ذُكر فيه من الأبنية وقَفَ على تقدُّمه على الجماعة فى اللغة . قال : والقول ما قاله سيبويه ، لأنّه وصَفَها بالخِصب وأنّها لا تَعدَم الرىَّ ما سقتها الرواعدُ إمّا من صيِّف وإمّا من خريف ، فلن تعدَم الرىّ . وعلى مذهب الأصمعى والمبرد أنّه إنْ لم يسقها الخريف عَدِمَتْه ، لأنّه قال : وإن سقَتْها لن تعدَمَ الرىّ . وإن أراد أنّها لا تعدم الرىَّ البتّة فهذا قول سيبويه . ألا ترى أنّ قبْله :

* إذا شاء طالع مسجورة *... البيت انتهى .

وأمّا قول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا نسلِّم أنّ المقصود وصفُ هذا الوعل بالرىّ على كلّ حال ، وإنمّا الغرضُ وصفُ حالهِ بحسب الواقع ، فأَخبَرَ أوّلاً بما وقع من سَقى سحائبِ الصَّيِف له ، وذلك مقتضٍ لريِّه منها . ثم أخبرَ بأنّ سحائب الخريف إن سقته بعد ذلك حَصَل له الرىُّ المستمر . ولو سُلّم أنّ المقصود ما ذَكر من وصفه بالرىّ دائما فمع الإتْيانِ بإمّا التى هى لأحد الشيئين لا يلزم ذلك . انتهى .

فقد ردَّ عليه ابن المُلاّ بوجوه :

٤٣٧ أحدها : كيف لا يكون الغرضُ ذلك ، وهو بصدد بيانِ نجاته من الحتْف ، إذ المراد أنّه لو نجا حيوانٌ من الموت لنجا هذا الوَعِل الذى تكفّل له ربُّه برزقه ، وأسكنَه أخصبَ أرضِه ، فهو فى رىٍّ لا ينقطع ، وطِيبِ عيشٍ مستمرّ ، من غير حيلةٍ منه . ولو كان المرادُ وصفَ حاله بحسَب الواقع لم يكن فى تخصيصه بالذكر فائدة ، إذْ كلُّ مخلوق شأنُه من اللُّطف الالهى مثلُ ذلك .

ثانيها : أنّه لا يلزم من إخباره بأنّ سحائب الخريف سقتَه بعد ذلك ، حصولُ الرى المستمرِّ له ، وإنمّا يلزم حصولُ الرى المستمرّ أنْ لو أخبره أنّ سحائبَ الخرِيف إذا سقته بعد ذلك يَروَى .

ثالثها : أنّ دعواه أنّ الإتيان بإمّا التى لأحدِ الشيئين لا يتأتّى معه الوصفُ بالرىّ على الدوام ، محصَّلها دَعْوَى المنافاة بين دوام الرىّ والسَّقى من أحد الشيئين ، وهى ممنوعة ، لصحّة قولنا دائما : الرىُّ حاصل إمّا من سقى سحائب الصيف ، وإمَّا من سقى سحائب الخريف . فالقضيّةُ وإن كان حمليَّة لكنّها شبيهةٌ بمنفصلةٍ مانعة الخلوّ ، فهى فى حكمها . وقيد الدَّوام عندهم سور الإيجاب الكلّى فى باب المنفصلات . وأمَّا الجواب بمنع أنّها لمجرد أحد الشيئين بل هى لتفصيل المسقىِّ منه ، وحينئذٍ مع الإتيان بها يلزم الرىّ دائماً . ففيه أنّ المختار فيها وفى أوْ أنَّهما لأحد الشيئين أو الأشياء .

هذا كلامه ، ومن خطّه نقلت . والوجه الثانى لا معنَى له . وكأنَّ الدمامينى فهم من قولهم : المراد وصف الوعل بالرىّ على كلّ حال ، أنّ ريَّه إنَّما يكون بمجموع المطرين لا بأحدهما ، فقال : ولو سلّم أنَّ المقصود ريُّه دائما ، فمعَ الإتيان بإمّا إلخ . وليس مرادهم ما فهموا . وإنمَّا أرادوا أنّ الرى يحصُل بكلٍّ واحدٍ منهما ، سواء كان مطر الصيف فقط أو مطر الخريف فقط ، فهو على كلّ حالٍ منهما مرتو . فلو كان المعنى على الشَّرطِ فلا يتحقق الرىُّ له على كلِّ حال ، بل إن حصل مطر الخريف ارتوى ، وإنْ لم يحصل فلم يرتو ، فإنَّ الشرط قد يتخلَّف كما هو ظاهر . وبقى احتمالٌ آخرُ فى البيت على مذهب سيبويه . وهو أن يكون تقديره : إن من صيِّفٍ وإن من خريف ، فحذِفت إن الأولى لدلالة الثانية عليها ، وأصلهما إمّا ، فحذفت منهما ما ، كما فى قوله :

* فإنْ جزعا وإن إجمالَ صبر *

بقىَ قولٌ آخر أورده أبو على (فى كتاب الشعر) ، ونقله ابنُ هشام (فى المغنى) قال : وزعم أبو عبيدة أنّ إن زائدة وجاءت زيادتها هنا كما جاءت زيادتُها فى نحو : ما إن فعلت . وهذا كقولك : ضرب القومُ زيداً من داخل ومن خارج . انتهى .

ولا يخفى أنّ زيادتها بعد العاطف غير موجود .

هذا وقد قال أبو على (فى البغداديات) : أقول إنّ الشاعر قال هذا البيت فى أبيات يصف فيها وعلاً ، وقبله :

إذا شاء طالعَ مسجورةٍ ... يرى حَولها النَّبعَ والسَّاسَما
تكون لأعدائه مَجهلاً ... مَضِلاًّ وكانت له مَعلَما
سَقتها الرواعد .... البيت

قوله : « مسجورة » يريد : عيناً كثيرة الماء ، إذا شاء هذا الوعل طالع مسجورة . فقوله « تكون » صفةٌ لمسجورة ، وكذلك « سقتها » تكون [1] صفة لمسجورة .

وكذلك رواه ثعلبٌ عن سعدانَ عن الأصمعىّ . وفى كتابنا كتاب سيبويه : « سقته » فيجوز أن يكون رجع إلى الوعِلِ أو حَمَله على المعنى . والوجه أن يكون للعَين فيكون المعنى : سقت الرواعد من السَّحاب هذه المسجورةَ إمّا من صيِّف وإمَّا من خريف ، أى فهى [2] على كلِّ حالٍ لا تعدم السقى إمّا صيِّفا وإمّا خريفا . وذلك فى صفة هذه العينِ أرخى لبال هذا الوعِل . وفاعل يَعدم على هذا العين . انتهى .

٤٣٨

(١) ط : « يكون » .
(٢) ش : « فهى » باسقاط « أى » .

أقول : إذا كان فاعل يعدم العينَ المسجورة ، يجب أن يكون « تعدم » بالمثناة الفوقية ، والمشهور إنّما هو بالمثنّاة التحتية .

ثم جوَّز أن تكون إن شرطية والألف فى « يَعْدَما » ضمير مثنًّى فقال : ويحتمل أن يكون المعنى : سقت الرواعد من السحاب هذه العينَ أو هذا الوعلَ ، وإن سقت العينَ أو الوعلَ من الخريف فلن تعدم العَينُ السَّقىَ والوعلُ الرِّىَّ . ودفع بعضُهم هذا وقال : لا معنى له . وليس كذلك لأنّه غير ممتنِع ، إلاّ أنّ التأويل الأوَّل أسهلُ فى المعنَى ، وأدخَلُ فيما يعترضه الشاعر ، وإن اعترض فى لفظه حذف إمّا الأولَى لأنّ الثانية تدلُّ عليها . والفاءُ فى فلن على هذا التأويل جوابُ الجزاء ، وفى التأويل الأوّل عاطفة جملةً على جملة . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للنّمر بن تولبٍ [1] الصّحابى ، فيها عدّة أبياتٍ شواهد ، فلا بأس بإيرادها وشرحها . وهى هذه :

أبيات الشاهد

(سَلاَ عن تذكُّرِهِ تُكتَما ... وكان رهينـــاً بها مُغرَمـــا

وأقصَرَ عنها وآياتُهـــــــا ... يذكِّرنَـــهُ داءَه الأقدمـــا [2]

فأُوصِى الفَتَى بابتناء العَلاءِ ... وأن لا يخون ولا يأثما [3]

ويلبسَ للدَّهـــر أجلالَـــه ... فلن يبتنىَ الناسُ ما هدّما [4]

وإن أنتَ لاقيتَ فى نجدةٍ ... فلا تتهيَّبْكَ أن تُقدِمـــا [5]

---

(١) فى اللسان (تلب) : « وحكى عن سيبويه أنه مصروف لأنه فوعل » . والمعاجم تذكر التولب فى (تلب) . ولو كانت مادته (ولب) لمنع الصرف .

(٢) فى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٥ : « تذكره » .

(٣) ش والديوان : « العلى » .

(٤) فى الأغانى ١٩ : ١٦١ : « تلبس لدهرك أثوابه » .وفى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى : « فلن يبنى الناس » .

(٥) الديوان : « فلا يتهيبك » .

فإنّ المنيَّـةَ من يخشَهـا فسوف تُصادفُـه أينَمـا
وإنْ تتخطـاكَ أسبـابها فإنَّ قُصاراك أن تَهرَمـا[١]
فأحبِبْ حبيبَكَ حُبّاً رويداً فليس يَعُولكَ أن تصرِمـا[٢]
فتصرِمَ بالـودِّ مَنْ وصلُـه رقيـقٌ فتسفَـه أو تندمـا[٣]
وأبغض بغيضَكَ بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكُما
ولو أنّ مِنْ حَتفِه ناجيـاً لألفَيتَه الصدَّعَ الأعصمَا[٤]
بإسبِيـلَ ألـقت به أمُّـه على رأسِ ذى حُبُكٍ أيهما
إذا شاء طالـعَ مسجورةً تَرى حولها النَّبعَ والسَّاسَما
تكـون لأعدائـه مَجْهَـلاً مَضِلاً وكانت له مَعلَمـا
سَقتها رواعـدُ من صيِّـف وإنْ من خريفٍ فلن يَعدَما
أتـاح له الدهـر ذا وَفْضةٍ يقلِّبُ فى كفِّـه أسهُمـا[٥]
فأرسَلَ سهمـاً على غرَّةٍ وما كان يرهب أن يُكْلَما[٦]
فأَخـرج سَهمـاً له أهْزَعـاً فشكّ نَواهِقَـه والفَمـا
فظـلّ يَشِبُّ كأنَّ الوَلـو ع كان بصُحبتـهِ مُغرَمـا
فأدركَـه ما أتى تُبّعـاً وأبرهـةَ الملكَ الأعظَمـا[٧]

---

(١) فى جميع المراجع : « وإن تتخطاك » ، وكذا فى الشرح . والوجه أن يكون بالهمز يقال أخطأه وتخطأه ، أى لم يصبه .

(٢) ابن الشجرى : « لئلا يعولك » . الأغانى : « فليس يهولك » . شرح الشواهد : « فقد لا يعولك » .

(٣) السيوطى : « فتظلم بالود من وصله » .

(٤) السيوطى : « فلو أن » و « لكان هو الصدع » .

(٥) ابن الشجرى : « فساق له الدهر » .

(٦) الديوان : « فراقبه وهو فى فترة » ، وكذا فى مختارات ابن الشجرى وشرح شواهد المغنى .

(٧) فى المختارات : « وأدركه » وفى الديوان : « أتى حصنه ما أتى تبعا » ، وكذا شرح شواهد المغنى .

٤٣٩

لقيمُ بن لُقمان من أُخته ... فكان ابنَ أختٍ له وابنَمَا
ليالِيَ حُمِّق فاستحصَنَتْ ... إليه فغُرَّ بها مُظلِما
فأحبلَها رجُلٌ نابِهٌ ... فجاءت به رجلاً مُحكَما)

هذه القصيدة بتمامها من رواية محمد بن حبيب ، ولم يكتب على البيتين الأوّلين شيئًا سوى قوله : « الآيات : الآثار والعلامات » .

وقال السيوطى : سلا : أمرٌ من السؤال للاثنين . وشرحه شارحُ ديوانه على أنه ماضٍ من السلوّ . قال ابن الملا : وما عليه هذا الشارح هو الظاهر لمُلايَمته لقوله فى البيت الثانى : « وأقصر عنها » . وأيضاً تذكيره بالداء الأقدَم إنّما يناسب أن يكون خالياً عنه الآن . على أنّه لو كان من السؤال لكان حقُّ العبارة : فقد كان رهيفا بالفاء ، كما لا يخفى . انتهى .

وفاعل سلا على هذا ضمير العاشق ، وإليه تعودُ الهاء فى تذكُّره ، وعن متعلِّقة بلا . والتذكُّر مصدرٌ مضاف إلى الفاعل ، وتكتم بمثنّاتين فوقيَّتين ، أولاهما مضمومة : علَم امرأة ، ونصبه بالمصدر المضافِ إلى فاعله . والرهين : المرتهَن . والمُغْرَم : اسمٌ مفعولٍ من أُغرِمَ بالشئ ، أى أولع به . كذا فى الصحاح .

وأقصَرَ عن الشئ : كفّ عنه ونزعَ مع القُدرة عليه . فإن عَجَز عنه قيل قصَّر عنه . كذا فيه أيضا . والداء الأقدم ، أى القديم ، هو الحبُّ ، أو هو أقدم من كلِّ داء .

وقوله : « فأوصى الفتى » إلخ أوصى : فعلٌ مضارع من الوصيّة . والعلاء بالفتح والمد : الشَّرف والرِّفعة . وأن لا يخون ، معطوف على ابتناء .

وقوله : « ويلبس للدّهر أجلاله » ، هو كقول بَيْهسٍ الفَزارىّ :

البَسْ لكلِّ حالـةٍ لبوسَهـا   إمَّا نعيمَها وإمَّا بُوسَها [١]

وقوله : « فلن يبتنى الناسُ ما هدَّما » يقول : إذا ضيَّع الفتى مجدَه لم يبنِه له النّاس .

٤٤٠

وقوله : « وإنْ أنتَ لاقيتَ فى نجدةٍ » إلخ قال محمد بن حبيب : النَّجدة : القتال . وقوله « لا تتهَّيْبك » معناه لا تتهيَّبْها . يريد أنّ فيه قَلْبا . وبه استشهد (فى آخر المغنى) .

وقوله : « فإنّ المنية مَنْ يخشَها » إلخ هو من أبيات الجمل الزجّاجية . وأورده ابن جرير (فى تفسيره) على أنّ فى أينما اكتفاءً ، وأينما ظرفٌ مضمَّن لمعنى الشرط ، وحذف شرطُه ، وجوابه : أينما توَّجَه تصادفْه . وسَوف للتأكيد ، وقيل إنمّا أُتى به لإخراج الكلام على مقتضى طَبْع النفس فى إذعانها للموت [٢] مع أملَ طول الحياة . قال اللَّخمى (فى شرح أبيات الجُمل) : إن قيل : كيف قال من يخشها ، والمنية تصادف مَنْ خشِيَهَا ومن لم يخشَها ، فأىُّ معنىً للشرط ؟ قلت : هو خطابٌ لمن ظنّ أنّ خشيتَه تُنجيه من الموت ، على جهةِ الردِّ عليهِ ، وإبطالِ ظنّه ومُعتقَده . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب [٣]) : النَّجدة : الشجاعة والبأس والقُوّة ، وحذف مفعول لاقيت ، يريد إذا لاقيتَ قوماً ذوِى نجدةٍ فى حرب ونحوِها فلا تتهيَّب الإقدامَ عليهم ، فإنّ الذى يخشى المنيّة تلقاه أين ذهب من الأرض . فهو من المقلوب .

---

(١) شرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ : ٣٩٣ وجمهرة العسكرى ١ : ١٩٧ والمستقصى ١ : ٣٠٤ والحماسة بشرح المرزوقى ٦٥٩ واللسان (لبس) .

(٢) ش : « ادعائها للموت » ، صوابه فى ط .

(٣) شرح الجواليقى ٢٥٩ .

وقوله : « وإنْ تتخطَّاك أسبابُها » إلخ التخطّى : التجاوز [١] . وأسباب المنيَّة : ما يؤدِّى إليها من مرضٍ وغيره . وقُصاراك بضم القاف : غايتك . والهَرَم : انحطاط القوى من طول العمر . يقول : إن تتجاوزْك أسبابُ المنيَّة فإنّ غايتك الهَرَمُ ، وتبديل وجودك بالعدمِ .

٤٤٠

وقوله : « فليس يَعُولك أن تصرما » قال محمد بن حبيب : يعولُك : يشقُّ عليك . وعالنى الأمر : شق علىَّ . والعَوْل المصدر . قالت الخنساء :

* يحمِّله القومُ ما عالَهْم [٢] *

قال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : هذا مأخوذ من قوله ﷺ : « أحببْ حبيبَك هونًا ما عسى أن يكون بَغيضَك يومًا ما ، وأبغِضْ بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً » ، ما أخرجه الترمِذىُّ من حديث أبى هريرة ، والطبرانىُّ من حديث ابن عَمرو ، وابن عدىٍّ من حديث على بن أبى طالب . وكأنَّ النَّمِرَ سمعه من النبى ﷺ فعقده فى نظمه . وتَسْفَه : تَجهَل . وتَظْلِم : تضع وُدَّك فى غير موضعه [٣] . وتَحكُم ، أى تكون حكيمًا . انتهى .

وقوله : « ولو أنَّ مِن حتفِهِ ناجياً » إلخ ناجياً : اسم أنّ ، والمجرور قبله متعلِّق به ، وخبرها محذوف ، أى ولو أنَّ شخصاً ناجيا من موته موجوداً لكان

---

(١) الوجه عندى أن تكون الرواية « تتخطَّاك » بالهمز ، ليستقيم إعراب الجزم ، وإلا لكانت « تتخطَّك » مع كسر الوزن . يقال تخطَّأه ، أى أخطأه ، كما فى اللسان . وأنشد لأوفى بن مطر المازنى :

تخطَّــأت النبـــلُ أحشاءه وأخَّـر يومى فلـم يعْجَـلِ

(٢) فى ديوان الخنساء ٣٠ .

يكلفــه القـــوم ما عالهم وإن كان أصغرَهُـمْ مَولِـدا

وفى اللسان (عول ٥١١) : « ويكفى العشيرة ما عالها » .

(٣) هذا مبنى على رواية السيوطى للبيت : « فتظلم بالود من وصله رقيق » .

ذلك الناجي هو الصَّدَع . وهو : ضمير فصل [١] . والحتف : الهَلاَك . وألفيته : وجدته . والصَّدَع ، بفتح الصاد المهملة والدال بعدها عين مهملة ، قال ابن حبيب : هو الوعِل بين الجَسِيم والضئيل ، وهو الوسَطُ من كلِّ شيء . يقال رجلٌ صَدَعٌ وفرسٌ صدع . والعُصْمة ، بالضم : بياضٌ فى يده . انتهى .

والوعل : تيس الجبَل .

وقوله : « بإسبيلَ ألقَتْ به أُمُّه » إلخ إسبِيل ، كقنديل ، قال ابن حبيب : هو بلد . وأنشدَ لبعض اليمانين :

لا أرضَ إلا إسبيـــــلْ وكـــلُّ أرضٍ تضليـــلُ [٢]

والأيهم : أعمى الطَّريق لا يُهتدَى طريقُه ولا يعرفه أحد . انتهى . والحُبُك ، بضمتين : الطرائق . يريد أنّ أمه ولدَتْه فى جبلٍ ذى طرائق لا يُهتدَى إليها من أرض إسبيل . وذى حبك صفةٌ لموصوف محذوف ، وهو جبلٍ . وأيْهَمُ كذلك .

وقوله : « إذا شاء طالعَ مَسجورةً » إلخ فى الصحاح : طالعت الشيء أى اطّلعت عليه . والاطِّلاع على الشيء : الإشراف عليه . وقال السيوطى : طالَعَ : أتى ، يقال فلان يطالع قرينَه أى يأتيه . ومَسجورة ، بالسين المهملة والجيم ، قال ابن حبيب : أى مملُوّة ، يريد أنَّها صفة العين ، كما قال الدينورى (فى كتاب النبات) وأنشد هذا البيت : « المسجورة : العَيْن المملوءة » . ويَرَى بالتحتية فاعله ضمير الصَّدَع ، ويروى بالمثنَّاة الفوقية ، أى أنْتَ . والنَّبع ، بفتح النون وسكون الموحَّدة : شجرٌ يتّخذ منه القَوْسُ . والسَّاسَمُ ، بسينين مهملتين ، قال ابن حبيب : يقال إنّه الآبِنوس . قال الدينورى : زعموا أنّ القوسَ يتخذ من

---

(١) هذا مبنى على رواية السيوطى : « لكان هو الصدع الأعصما » كما سبق فى الحواشى .

(٢) الرجز لخلف الأحمر ، كما فى اللسان (سبل ٣١٣) .

السَاسَم (١) ، ومنابته الشَّواهق حيثُ منابتُ النبع . وقد وصفَه حميدٌ فى شعره باللِّين . وزعم قومٌ أنّ السَّاسَم الشِّيز . ولا أعلم فى الشِّيز ما يدعو إلى اتخاذ القسىِّ منه . انتهى . والشِّيز : الآبِنُوس .

وقوله : « تكون لأعدائه » أى تكون تلك العين المسجورة لأعداء الصَّدَع ؛ وأعداؤه النَّاس . ومَجْهَل بفتح الميم والهاء : أرضٌ يَجهَل سالكُها الطَّريقَ ، ويَضيع فيها . ومَضِلّ بفتح الميم وكسر الضاد : أرض يضلُّ فيها سالكها لعدم معرفتِه طُرقَها . ومَعْلَم بفتح الميم واللام : أرضٌ يهتَدِى فيها سالكُها بعلاماتها .

٤٤١ وقوله : (سقَتْه الرَّواعد) الهاء ضمير مسجورة . كذا رواية محمد بن حبيب وغيره ، كما مرَّ عن أبى علىّ . و (الرَّواعد) : جمع راعدة ، وهى السحابة الماطرة وفيها صوتُ الرعد غالباً . و (الصَّيِّف) بتشديد الياء المكسورة : المطر الذى يجىء فى الصَّيف . و(الخريف) : الفصلُ المشهور ، إلاّ أنّه أُطلِق وأريد به مطره ، كما أُطلق الربيعُ وأُريد به مطرُه مع الصيِّف أيضاً فى قوله :

* سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيِّفٍ (٢) *

وقوله : « أتاح له الدهر » إلخ قال ابن حبيب : أتاح : قَدَّر . والوَفْضة : الكنانة (٣) التى تكون فيها السِّهام . انتهى .

والدهر فاعل أتاحَ ، ومفعوله ذا وَفْضة ، وأراد به الصَّيَّاد .

---

(١) كذا وردت : « يتخذ » بالياء فى النسختين ، وهى صحيحة ، إذْ أن القوس يذكر ويؤنث .

(٢) نسبه ياقوت فى معجم البلدان (نجد) إلى بعض الأعراب . وعجزه :

* وماذا ترجّى من ربيع سقى نجدا *

(٣) فى النسختين : « والكنانة » مع حذف الواو تصحيحا فى ش .

وقوله : « فأرسل سهماً » إلخ أي رَماه ذو الوفْضة بسهمٍ ، « على غِرّة » بكسر الغين المعجمة ، وهى الغفلة . وفاعل يرهب ضمير الصَّدَع . ويُكْلَم بالبناء للمفعول ، أى يجرح . وقوله : « وأخرج سهماً له أهزعا » ، قال ابن حبيب : الأهزَع : آخِر سهمٍ يبقَي فى الكِنانة . يقال ما فى كِنانته أهزعُ ، أى سهمٌ واحد . قال ابن السِّكِّيت : هذا ممّا لا يُتكلّم به إلاّ مع الجحد . وقد أتى النَّمر به من غير جَحد . انتهى .

والنواهق ، قال السيوطى : العظمان فى الوجه فى مجرى الدمع .

وقوله : « فظل يَشِبُّ » بكسر الشين ، قال ابن حبيب : يَشِبُّ : يرفع يديه حينَ أصابه السهم . والوَلوع بفتح الواو : القَدَر والحَيْن . انتهى .

وقوله : « فأدركَه ما أتَى تبَّعا » أى أدرك الصَّدَعَ ما أتى تُبَّعا ، وهو الموت . وتُبَّعٌ : ملك اليَمن . وأبرهةُ الأشرمُ : ملك الحبشة .

وقوله : « لقيم بن لقمانَ من أخته » . إلخ ، ترك ما كان فيه وسلكَ طريقاً أخرى بلا مناسبة ، وهو المسمَّى فى البديع بالاقتضاب . وهو من أبيات ابن الناظم . قال ابن حبيب : ذكروا أنّ أخت لقمان كانت عند رجلٍ ، فكانت تلد له أولاداً ضِعافا ، فقالت لامرأة لقمان : هل لكِ أن أجعلَ لك جُعْلاً وتأذنى أنْ آتىَ لقُمانَ الليلة ؟ فأسكرَتْه واندسَّت له أختُه ، فوقع عليها لقمان ، فلمَّا كانت الليلةُ القابلة أتته امرأته فوقَعَ عليها فقال : هذا حِرٌّ معروف . وكأنَّه استنكره . انتهى .

ومثله للجاحظ (فى البيان والتبيين [١]) قال : كانت العرب تعظِّم شأنَ لقمانَ بنِ عادٍ الأكبر ، والأصغرِ لقيم بن لقمان ، فى النباهة والقَدْر ، وفى العلم

(١) البيان ١ : ١٨٤ .

وفى الحُكْم ، وفى اللسان وفى الحِلم . وهذانِ غير لقمانَ المذكورِ فى القرآن على ما يقول المفسِّرون . ولارتفاع قدِره وعِظَم شأنه قال النَّمر بن تولب . وأنشدَ هذه الأبياتَ الثلاثة ، وقال : وذلك أنّ أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إنِّى امرأةٌ مُحْمِقة ، ولقمان رجلٌ مُحكَمٌ مُنْجِب ، وأنا فى ليلة طُهْرى فهَبِى لى ليلتَك . ففعلَتْ فباتت فى بيت امرأة لقمان ، فوقعَ عليها فأحبَلَها بلقيم ، فلذل قال النمر ابن تولب ما قال . والمرأة إذا ولدتِ الحَمقَى فهى مُحْمقة ، ولا يُعلم ذلك حتّى يُرى ولدُ زوجها من غيرها أكياساً . انتهى .

قال العينى : ويروى أنّ لقمان كان لا يُولد له ، فقالت امرأته لاخته : أمَا ترين لقمان فى قوتّه وعِظَمِ خَلقه لا يولد له ؟ قالت : فما الحيلة ؟ قالت امرأته لأخته : تلبسين ثيابى حتَّى يقع عليك فى الظُّلمة ، ففعلت فواقَعها فولدتْ منه ، وسُمِّىَ لقَيماً ، بضم اللام وفتح القاف . وكان من أحزم الناس .

ولقيم مبتدأ ، وقوله من أخته خبره ، وفى قوله : « فكان ابن أختٍ له وابْنِما » دليلٌ على جواز تعاطف الخبرين المستقِّل [كلٌّ (١)] منهما بنفسه . وابنُمٌ هو ابن زِيدت عليه الميم . ٤٤٢

وقوله : « ليالى حُمِّق » إلخ بضم الحاء وتشديد الميم ، قال ابن حبيب : أى أُسكِر حتَّى ذهب عقلُه . انتهى . ويرويه المفضَّل : « حَمَّقَ » بفتحتين ، وزعم أنّه يقال حَمَّق ، إذا شرب الخمر ، والخمر يقال لها الحُمْق (٢) .

وقوله : « استحصَنَتْ » بالبناء للفاعل ، قال ابن حبيب : أى أتته وكأنَّها حَصَانٌ ، كما تأتى المرأة زوجَها . وقوله:« فغُرَّ بها » غُرّ بضم الغين ، من الغِرّة ، وهى الغفلة . وقوله : « مُظلِما » بكسر اللام ، أى فى ظُلمة .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) فى اللسان (حمق) : « وأنكر أبو القاسم ذلك ، قال : ولم يذكر أحد أن الحمق من أسماء الخمر » .

وقوله : « فأحبَلَها رجلٌ نابه » من النَّباهة ، وهو ارتفاع الذِّكر ، وهو لقمان . « فجاءت » أى أخته . به ، أى بلقيم . مُحْكَما بفتح الكاف [١] أى حكيما .

وترجمة النمر بن تولب تقدمت فى الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٩٠٢ (لَقد كذَبَتْكَ نفسُك فاكْذِبَنْها فإنْ جزعاً وإنْ إجمالَ صَبْرِ)

على أن سيبويه قال : الأصل فإمّا جزعا وإمّا إجمالَ صبر ، فحذف (ما) منهما وبقىَ إنْ .

قاله سيبويه فى موضعين من كتابه :

الأوّل (فى باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل) ، وتقدّم نقله فيما قبلَ هذا [٤] ، وهو قوله بعد إنشاد البيت : هذا على إمَّا وليس على إن الجزاءِ ،

---

(١) الحق أنه يقال بفتح الكاف وكسرها أيضا ، كما أن الرجل « المجرب » بتشديد الراء يقال بفتح الراء وكسرها . ووجه الفتح أنه يقال أحكمته التجارب وجعلته حكيما ، ووجه الكسر أنه صار حكيما محكما لأموره . وكذلك المجرب بفتح الراء الذى جربه الناس ، وبكسرها : الذى جرب الأمور واختبرها . عن حواشى اللسان (حكم ٣٢) .

(٢) الخزانة ١ : ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٣) فى كتابه ١ : ١٣٤ ، ٢/٤٧١ : ٦٧ وشرح أبياته لابن السيرافى ١ : ٢٠٩ والكامل ١٦٤ والمقتضب ٣ : ٢٨ وابن يعيش ٨ : ١٠١ ، ١٠٤ ورصف المبانى ١٠٢ والعينى ٤ : ١٤٨ .

(٤) انظر ما مضى فى ص ٩٣ .

كقولك : إنْ حقًّا وإن كذبا . فهذا على إمّا محمول . ألاَ ترى أنّك تدخل الفاء ولو كانت على إن الجزاء وقد استقبلت الكلامَ لاحتجت إلى الجواب . فإن قلت : فإن جزعٌ وإن إجمالُ صبر كان جائزا ، كأنّك قلت : فإمّا أمرى جَزعٌ وإمّا إجمالُ صبر . إلى آخر ما نقلْناه هناك .

والثانى (فى باب الحكاية لا يُغيَّر فيها الأسماءُ عن حالها فى الكلام) وقال فيه : والدَّليل على أنَّ ما مضمومةٌ إلى إنْ ، قولُ الشّاعر :

لقد كذَبَتْك نفسُك ... البيت .

فإنمّا يريد إمَّا ، وهى بمنزلة ما مع أَنْ فى قولك : أمَّا أنتَ منطلقاً انطلقتُ . انتهى .

قال أبو على (فى كتاب الشعر) تقديره : فإمّا جزعتَ جزعاً وإمّا أجملت صبراً . يدلُّ على ذلك أنّه لا يخلو من أن تكون إن الجزاءِ أو غيرَها ، فلو كانت للجزاء وألحقتَ الفاء فى قولك : فإمَّا جزعت جزعاً للزمك أن تذكر الجواب . ألا ترى أنّك لو قلت : أنت ظالم إن فعلتَ ، لسدَّ ما تقدَّم مسَدَّ الجواب . ولو ألحقتَ الفاء فقلت : أنت ظالم فإن فعلتَ ، لزمك أن تذكر للشَّرط جوابا ، ولا يجزىء ما تقدَّم عما يقتضيه الشَّرط من الجزاء . فكما أنّ إنْ فى قوله فإنْ جزعاً ، فى معنى إمّا ، كذلك فى :

* وإنْ من خريفٍ فلن يَعْدَما * انتهى .

وقال أيضا (فى البغداديات) : لا يصلح أن تكون إن فى قوله فإنْ جزعاً للجزاء ، لدخول الفاء عليها ، وأنَّها لو كانت للجزاء للزمها الجواب . فلمَّا لم تصلُحْ أن تكون للجزاء حُمِلتْ على أنَّها المحذوفة من إمَّا . فهذا وجهُ استدلالِ سيبويه بدخول الفاء . وذهب بعضُهم إلى أنّ مذهب سيبويه فى إمّا هو أنّها إن

التى للجزاء ضُمَّت إليها ما . وهذا عندى غلطٌ عليه ، وقد قال مالا يجوز معَه ظَنٌّ هذا به . ألا تَراه قال : ولو قلت إن جزعٌ وإن إجمالُ صبر كان جائزاً ، كأنك قلت : فإمَّا أمرى جزع وإمّا إجمال صبر . لأنَّك لو صحَّحتها فقلت إمّا ، جاز ذلك فيها . وقال أيضاً : إمّا يجرى ما بعدها على الابتداء . ففيما قالَه فى هذين الموضعين إجازةُ وقوعِ المبتدإِ بعد إمَّا . ومن مذهبه الذى لا يُدفع أنّ لا يقع الابتداء بعدها ، فكيف يكون عنده أنّ إمّا إنمّا هى إن الجزاء ؟ وذلك لا يسوغ . ألا ترى أنّك تقول : ضربت إمّا زيداً وإمَّا عمراً ، وتقول : ذهَبَ إمّا زيد وإمّا عمرو ، فلو كانت إن الجزاءِ لما عملَ ما قبلها فيما بعدها ، ولكان ذهبَ فعلاً فارغا لا فاعل له . ٤٤٣

فإن قال : يكون انتصابُ الاسم بعده بفعلٍ مضمر ، كأنّه قيل : ضربتُ إن ضربت زيدا . فليس هذا الغرضَ الموضوعَ لهذا المعنى ، ولا المفهومَ من هذا اللفظ . ألا ترى أنَّ المراد إنَّما هو ضربت أحدهما . على أنّ ذلك فاسد ، لأنَّ ذهب يبقى بلا فاعل ، ولا يجوز أن يضمر . ويدلُّ أيضاً على فساده قولك : إمّا أن تقوم وإمّا أن لا تقوم ، وقوله : ﴿ ياذا القَرْنَينِ إمَّا أن تُعذِّبَ وإمَّا أنْ تتَّخِذَ فيهِمْ حُسْنا [1] ﴾ . ألا ترى أنَّ هذا لو كان إنْ فيه [2] للجزاء لم يجز وقوع المبتدأ بعده ، وللزم أن يجازَى بما يجازى به إن ، ولم يتقدَّم ما يغنى عن الجواب . فهذا التوهُّم على سيبويه فاسد .

فإنْ قال : ما أنكرت أن يكونَ ما ذهبتُ إليه ، من أنّ إنْ فى إمَّا للشرط ، مذهَب سيبويه ، لأنّه قد ذكر أنّ إنْ على أربعة أوجه : المخفَّفة وليس هذا من مواضعها ، والنافية ولا نَفْىَ هنا ، وزائدة بعد ما النافية ، فلمَّا لم يجز أن تكون

---

(١) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

(٢) ط : « فيه إن » ، وأثبت ما فى ش .

واحدةً من الثلاث وجَبَ أن تكون الشرطيَّة ، لأنَّك فى إمّا لا تبُتُّ على الشئ كما لا تبُتُّ فى الجزاء ، فلمَّا شابَهَتْها فى هذا الموضع ولم تكن واحدةً من الثلاث لزم أن تكون إيّاها .

فالجواب : ليس فى قوله إنّ إنْ تكون على أربعة أوجه ما يوجبِ أن تكون إن هذه إن الجزاءِ ، لمَا قدَّمنا من الدليل فى امتناع ذلك أنْ تكون إيّاها ؛ وإنَّما لم يذكر إن هذه فيجعلَه قسماً خامسا ، لأنّه لا يستعمل فى الكلام إلاَّ فى الشعر .

فإن قلت : فما جهة الفائدة فى إعلامه أنّ إنْ من إمّا ؟

قلت : يُعلم منه أنَّ الحرف المدغم نون وليس بميم ، لأنّ الشاعر لما اضطُرَّ فحذف (ما) وأظهر النون عُلم به أنّ ذلك أصلهُ وأنّها مركبة ، وأنْ أرادَ أنَّ إمّا أصلُها إنْ ثم ضمّ إليها ما ، كما ضمت إلى لو فى لوْمَا . فذلك لا يمتنع ، ولا دلالة على أنّها الجزاء . انتهى .

وقد أطال من غير أن يُعيِّن نوعها ، وما المانع من كونها فى الأُصل للشرط ثمَّ لما ركِّبت مع ما انسلخَتْ عن الشَّرْط وصارت مع ما لمعنىً آخر . وإليه أشار الشارح المحقّق بقوله : « ولا منع من تغيُّر معنى الكلمة وحالِها بالتركيب [(١)] » إلخ .

وقول الشارح : « وقال غيره – أى غير سيبويه : هو مفرد غير مركب [(٢)] وتأوَّلَ البيتين بإن الشرطية ، وشرطُها كانَ المحذوفة ، أى فإن كان جزعاً »،أقول : البيت الأوّل :

* وإن من خريف فلن يَعْدَمَا *

(١) الرضى ٢ : ٣٤٦ .

(٢) بعده فى الرضى : « إذ الإفراد أصل فى الحروف » .

قال الأصمعى وتبعه المبرد : إنّ إنْ فيه شرطية والشرط محذوف ، أى وإنْ سقته من خريف ، فحذَفَ لدلالة ما قبله عليه ، وجملة فلن يَعْدَما هو الجزاءُ ، كما تقدَّم . فالمحذوف فعلٌ مدلولٌ عليه ، لا كان .

وأما البيت الثانى فقد قال بعضهم : يحتمل أن تكون إن فيه شرطية حُذف جوابها لفهم المعنى ، والتقدير : فإن كنت ذا جزع فلا تجزَعْ ، وإنْ كنتَ مُجمِلَ صَبرٍ فأجمِلِ الصبر . حكاه المرادى (فى الجنى الدانى ، وشرح التسهيل) . فكان المناسب لتقدير الشارح أوّلا : إمّا تجزعُ جزعا ، أنْ يقدّره هنا بالخطاب ، كما حكاه المرادى .

ونقْلُه عن سيبويه أنَّ التقدير عنده [1] : إمَّا تجزع جزعا ، خلافُ الواقع ، كما يعلم من نقلنا كلامه فى الموضعين . وإنمَّا قدَّر سيبويه إنْ بإمَّا ، فأراد الشارح أن يُدرجَ فى نقل هذا أنَّ جزعاً منصوب بفعل مقدَّر ، فقدَّر تجزع بالخطاب ، بناءً منه على أنّ المصراع الأوّل خطابٌ لمذكّر ، بدليل فاكذِبَنْها بنون التوكيد الخفيفة

٤٤٤

وهذا تحريفٌ من النُّسَّاخ ، وإنمّا الرواية (فاكذِبِيها) بالياء ، والكافان مكسورتان ، لأنّه خطابٌ مع امرأته . والمصراعُ الثانى فيه التفاتٌ من خطابها إلى التكلُّم ، ولهذا قدَّره سيبويه فى وجه الرفع بالتكلُّم قال : وإنْ قلت : فإن جزعٌ وإنْ إجمالُ صبر كان جائزاً ، كأنّك قلت : فإمَّا أمرى جزعٌ وإمَّا إجمالُ صبر ، كما تقدَّم . فكان الواجب أن يقدِّر على مذهب سيبويه : فإمّا أجزعُ جزعا وإمّا

(١) فى النسختين : « فإن التقدير عنده » صوابه ما أثبت . يريد البغدادى أن ما نقله الرضى من تقدير سيبويه إما تجزع جزعا ، موضع اعتراض ، لخلافه للواقع .

أُجمِلُ الصَّبرَ إجمالا . وأنْ يقدِّرَ على مذهب غيره : فإنْ أجزع جزعاً فأنا معذور ، وإنْ أُجملِ الصبرَ إجمالاً فأنا ممدوح .

والرفعُ فى هذا روايةٌ رواها صاحبُ الأغانى [١] ، والأسود بن محمّد الأعرابىّ .

صاحب الشاهد

وينبغى أن نورد الأبياتَ التى رَوَيَاها ليتضّح ما ذكرناه ، قالا : قال دريد بن الصِّمَّة يرثى معاوية أخا الخنساء . وقتلته بنو مُرّة :

أبيات الشاهد

(ألاَ بكرَتْ تَلومُ بغير قَدْرِ	فقد أحفَيتِني ودَخلْتِ سترى [٢]
فإن لم تتركى عَذْلى سَفَاهاً	تَلُمْكِ علىّ نفسُك أىَّ عصرِ
أسرَّكِ أن يكون الدهرُ سَدَّى	علىَّ بشرِّهِ يَغدُو ويَسرِى
وإلاّ تُرزَئى نَفْساً ومالاً	يضرُّك هُلكُه فى طول عُمرِى
فقد كذَبتْكِ نفسُكِ فاكذِبيها	فإنْ جزعٌ وإنْ إجمالُ صبْرِ
فإنَّ الرزْءَ يوم وقفتُ أدعو	فلم يَسمَعْ معاويةُ بنُ عمرِو
رأيتَ مكانَه فعطفتَ زَوْراً	وأىُّ مكانِ زَوْرٍ يا ابنَ بكر
على إرَمٍ وأحجارٍ وصِيرٍ	وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمْرِ
وبنيانُ القبورِ أتى عليها	طَوَالُ الدّهرِ من سنةٍ وشهرِ
ولو أسمعتَه لأتاك ركضاً	سريعَ السَّعى أو لأتاك يجرِى
بشِكّة حازمٍ لا عَيبَ فيه	إذا لبسَ الكُماةُ جُلودَ نُمْرِ
فإمّا تُمسِ فى جَدثٍ مُقيما	بِمَسْهَكةٍ من الأرواح قَفرِ
فعزَّ علىَّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرو	ومالى عنكَ من عَزْمٍ وصبر)

---

(١) روى أبو الفرج أبياتا من القصيدة فى ٩ : ١٣ و ١٣ : ١٣٨ ، ولم يرد من بينها البيت الذى أوله : « فقد كذبتك نفسك » ، فلعله فى نسخة البغدادى من الأغانى .

(٢) فى الأغانى ٩ : ١٣ : « وقد أحفظتنى » ، وفى ١٣ : ١٣٨ : « فقد أحفيتنى » .

قوله : « ألاَ بكَرْت » إلخ فاعله ضمير امرأته . وبَكَر : أسرعَ أىَّ وقتٍ كان . والقَدْر ، بسكون الدال : المَبْلغ والمقدار . وقوله « فقد أحفَيتنى » إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى خطابها . والإحفاء ، بالحاء المهملة : الاستقصاء فى الكلام والمنازعةِ . وروى بدله : « فقد أحفظتِنى » ،يُقالُ : أحفظَهُ بمعنى أغضبَه . وقوله : « ودخلتِ سِترى » أى هجمتِ علىَّ فى خلوتى وبالغتِ فى اللَّوم .

وسَفاهاً : مصدر سَافَهه [1] ، والمراد سَفَها ، وهو نقصٌ فى العقل . وقوله : « تلُمْكِ علىَّ » جواب إنّ ، من اللَّوْمِ . ونفسُك فاعله ، أى تلمك نفسُكِ بسببى عصراً طويلا أىَّ عصرٍ ، وهو الدَّهر . وروى بدله « غير عَصر » . يعنى دعينى أبكى عليه [2] ليخفَّ ما بى الوجد ، وإنْ تمنعينى أمُتْ وجداً عليه ، فتلمكِ نفسُك بسبب ما حلَّ بى . ٤٤٥

وقوله : « أسَرَّكِ استفهامٌ إنكارّى . وسَدَّى بمعنى أسدَى ، من السَّدَى بالفتح ، وهو ما يُمدُّ فى النسج .

وقوله : « وإلاَّ تُرزئِى » ، إلخ أى وإن لم تتركى عَذْلى ترزئى . والرُّزء : المصيبة والنَّقص ، وفعله من باب منع ، يتعدَّى إلى مفعولين : أحدهما هنا نائب الفاعل . يقال : ما رزأته ماله ، أى ما نقصته . وجملة يضرُّك هلكُه صفة لمال .

وقوله : (وقد كذَبتْك نفسك) إلخ فى النهاية لابن الأثير عن الزمخشرى : وقول العرب : كذَبتْه نفسُه أى منَّته الأمانىَّ وخيَّلَتْ إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك مما يرغِّب الرجلَ فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى

---

(١) مقتضى هذا التفسير أن يضبط « السفاه » بكسر السين ، والمعاجم مجمعة على أن السفاه بفتح السين والسفاهة كذلك والسفه ، كلها بمعنى واحد .

(٢) ط : « أبك عليه » .

عكسه : صدقَتْه نفسُه ، [إذا ثَبَّطتْه [1]] وخيَّلتْ [2] إليه العَجز [3] والنَّكَد فى الطلب [4] . ومن ثَمَّ قالوا للنفس الكَذوب . انتهى .

وكذَب بفتح الذال ، وفى فاكذِبها بكسرها .

فَظهر بهذه الأبيات أنّ الخطاب لمؤنّث . ولم يتنبَّه له من شُرّاح أبياتِ سيبويه غير ابن السِّيرافى ، وأنشد البيتين قبله كذا :

(أسرَّكِ أن يكون الدَّهر وجهاً   عليكِ بسَيْبه يَغدُو ويسرِى
وإلاّ تُرزَئى أهلاً ومالاً   يضرُّكِ هُلكُه ويطولُ عمرى
فقد كذبتكِ نفسُك فاكذبيها   .... البيت

وقال : يُخاطب امرأته .

ولمَّا لم يقف الأعلمُ على الأبيات وسببِها ظنَّ أنّه خطابٌ لمذكر ، فقال – وتبعه ابن خلف – قاله دريدٌ معزِّياً لنفسه عن أخيه عبدِ الله بن الصِّمَّة ، وكان قد قُتِل : لقد كذبتكَ نفسُكَ فيما منَّتْك به من الاستمتاع بحياة أخيك فاكذبَنْهَا [5] فى كل ما تمنِّيك به بعد ، فإمَّا أن تجزَع [6] لفقد أخيك وذلك لا يجدى عليكَ شيئًا ، وإمّا أن تُجمِلِ الصَّبر [7] فذلك أجدى عليك . هذا كلامه . والرواية إنمّا هى « فقد » إلى آخر ما ذكرنا .

---

(١) التكملة من الفائق للزمخشرى ٢ : ٤٠٢ .

(٢) وكذا بالواو فى النهاية (كذب) ، وهو ما يؤيِّد ضرورة التكملة .

(٣) فى الفائق : « المعجزة » .

(٤) كذا فى ش والفائق . وفى ط : « والنكد والطلب » ، محرفة . وفى النهاية : « والكد فى الطلب » ولهذه وجه ، لكن المراد النكد ، بالتحريك أو بالفتح أو بالضم ، وهو قلة العطاء ، ومنه قراءة أهل المدينة : « لا يخرجُ إلاّ نَكَدا » بفتح الكاف .

(٥) هذا الصواب من ش . وعند الشنتمرى : « فاكذبها » وفى ط : « فاكذبيها » ، وهذه محرفة .

(٦) ط : « تجزعى » صوابه فى ش والشنتمرى .

(٧) ط : « أن تجملى الصبر » ، صوابه فى ش والشنتمرى .

وأنشد العينى البيت بالتذكير ، وروى أوله : « وقد كذبَتْكَ » وقال : الواو للعطف إنْ تقدَّمه شئ . وعلى هذا النمط شرح البيت .

وإنمَّا قلنا إنّ المصراعَ الثانىَ التفاتٌ إلى التكلم ، لقول سيبويه فى رفعه : أمرى جَزِعٌ . وإلاّ فالظاهر أنّه من بقية الخطاب ، وأنّ تقديره فإمّا تجزعين جزعاً وذلك لا فائدة فيه ، وإمّا تجمِلين الصَّبر إجمالا ، وهو أجْدَى .

وقوله : « فلم يسمع معاوية » فعل وفاعل ، وروى : « فلم أُسمِع » من الإسماع ، ومعاوية مفعوله .

وقوله : « رأيت مكانه فعطفتُ زَوراً » أى لأجل الزيارة . وقوله : « وأىُّ مكان زَوْر » أستفهام أراد به النفى . و« يا ابنَ بكر » خطابٌ لنفسه . وبكرٌ جدُّه كما يأتى .

وقوله : « على إرَمٍ » متعلق بزور الثانى . وإرَم بكسر الهمزة وفتح الراء ، وهى حجارةٌ تنصَب علماً فى المفاوز . شبَّهَ أحجار قبرِه بها . وصِير : جمع صِيرَة بكسر الصاد المهملة ، وهى حظيرةُ الغنم ، شبَّه ما حولَ قبرِه بها . وروى بدله : « وأحجار ثقال » . والسَّلَمات : جمع سَلَمة ، وهى شجر من أشجار البادية ، تُقطع أغصانُها وتوضع على القبر ، ووصفها بالسُّمر ليبسها .

وقوله : « وبنيانُ القبور » مبتدأ وجملة أتى إلخ خبره . وطَوَال بالفتح بمعنى طول فاعل أتى .

وقوله : « بشكّة حازم » متعلق بأتاك . والشِّكَّة بالكسر : السِّلاح . والحازم : المتيقّظ . وقوله : « لا عيبَ فيه » روى بدله « لا غمز فيه [1] » أى

---

(١) ط : « لا غمر فيه » ، صوابه فى ش .

لا مطعن فيه . والكُماة : الشُّجعان ، جمع كميٍّ بوزن فعيل . قال صاحب الأغانى : أى كأنّ ألوانَهم ألوان النُّمر : سوادٌ وبياض ، من السلاح . ٤٤٦

والجَدَث بفتح الجيم والدال : القبر . والمَسْهَكة ، بفتح الميم والهاء وسكون السين المهملة بينهما : ممَرُّ الرِّيح .

وإنما رثاه بهذه القصيدة مع أنّه لم يكنْ من قومه ، لمَا رواه صاحب الأغانى قال : تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو وتواثَقا [1] : إن هلك أحدُهما أن يَرْثِيَه الباقى ، وإن قُتل أن يُطلَب بثأره ، فقُتِل معاويةُ بن عمرٍو ، وقتَلَه هاشمُ بن حَرمَلة المُرِّى . فرثاه دريدٌ بهذه القصيدة .

دُريد بن الصِّمَّة

ودُريد : مصغَّر أدرد ، يقال رجل أَدردُ وامرأةٌ درداء ، وهو الذى كبِر حتَّى سقطت أسنانه فصار يَعضُّ على دُردُرِه . ومنه أبو الدَّرداء . والصِّمَّة ، بكسر الصاد وتشديد الميم ، معناه الشجاع . قال أبو حاتم السجستانى (فى كتاب المعمَّرين) : عاش دريد بن الصمة الجُشَمىُّ نحواً من مائتى سنة ، حتَّى سقط حاجباه على عينيه ، وأدرك الإسلام ولم يُسلِمْ ، وقُتل يوم حُنينٍ كافراً .

وقال صاحب الأغانى : دريد بن الصمة اسمُه معاوية بن الحارث بن بكر ابن عَلقمة بن جُداعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ودريد بن الصمة شجاعٌ شاعرٌ فحل . وجعله محمد بن سلام أوّلَ شعراء الفُرسان ، أطولَ الفُرسان الشُّعراء غزواً ، وأكثرَهم ظفراً ، وأيمنهَم نقيبةً عند العرب وأشعرَهم . وقال أبو عبيدة : كان دُريدٌ سيِّد بنى جُشَمَ وفارسَهم وقائدَهم ، وكان مظفَّراً ميمون النقيبة ، غزا نحو مائة غزاة وما أخفقَ فى واحدةٍ منها ، وأدرك الإسلام ولم يُسلِم ، وخرجَ مع قومه يوم حُنين مظاهراً للمشركين ولا فضْلَ فيه للحرب ، وإنمَّا أخرجوه

(١) ط : « توافقا » صوابه من الأغانى و ش مع أثر تصحيح .

تيمُّنا به ، وليقتبسوا من رأيه ، فقُتل على شِركه . وكان لدريد إخوة وهم : عبد الله الذى قتلته غطفان ، وعبد يغوث وقتله بنو مُرّة ، وقيسٌ وقتلَه بنو أبى بكر بن كلاب ، وخالدٌ وقتله بنو الحارث بن كعب . وأُمُّهمْ جميعاً : ريحانةُ بنت مَعديكربَ الزُّبيدى ، أخت عمرو بن معديكرِب ، كان الصِّمَّة سباها ثم تزوَّجها ، فأولدها بنيه . وإيّاها عنى عمروٌ أخوها :

أمن ريحانةَ الداعى السَّميعُ ... يؤرِّقنى وأصحابى هجوعُ
إذا لم تستطع شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

ولما افتتح رسول الله ﷺ مكّة لعشر ليالٍ بقين من رمضان سَمِعت به هوازن [(١)] ، فجمعها مالك بن عمرٍو النَّصْرى ، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيسٍ إلاّ هوازنُ وناسٌ قليل من بنى هلال ، وغابت عنها كعبٌ وكلاب ، فجمعت نصرٌ وجُشم وسعدٌ : بنو بكر ، وثقيفٌ ، واحتشدت ، وفى بنى جُشم دُريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شئ إلاّ التيمُّنُ برأيه ، ومعرفتُه بالحرب ، وكان شجاعاً مجرّبا ، وجِماعُ أمرِ الناسِ إلى مالك بن عوف ، فلما أجمع مالكٌ المسير حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم ، فلمَّا نزلوا بأوطاسٍ اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصمة ، فى شِجارٍ له يُقاد [(٢)] ، فقال لهم دريد : بأىِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعمَ مجالُ الخيل ، مالى أسمع رُغاءَ البعير ، ونُهاقَ الحمير ، وبكاء الصَّغير ، وثُغاء الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . فقال : أينَ مالك ؟ فدُعِىَ له ، فقال : إنَّك قد أصبحتَ رئيسَ قومِك ، وإنَّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بَعدَه من الأيّام ، مالى أسمع رُغاء البعير ونَهيقَ الحمير وبكاء الصبيان وثُغاء الشاء ؟ قال :

٤٤٧

(١) الأغانى ٩ : ١٤ .
(٢) الشجار ، بالكسر : مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس .

سقتُ مع الناس نساءَهم وأبناءهم وأموالهم : قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أنْ أجعلَ خلفَ كلِّ رجل أهلَه ومالَه ، ليقاتل عنهم . فوبَّخه ولامه ثم قال : راعى ضأنٍ والله — أىْ أحمق — وهل يردُّ المنهزمَ شىء ؟ إنّها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفهِ ورُمحه ، وإنْ كانت عليك فُضحتَ فى أهلك ومالِك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهد منهم أحد . قال : غاب الجَدُّ والحَدّ ، لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم يَغيبوا عنك ، ولوَدِدتُ أنّكم فعلتم مثلَ ما فعلوا ، فمَن شَهِد منهم ؟ قال : بنو عمرو بن عامر ، وبنو عوف بن عامر . قال : ذانِك الجَذَعانِ من عامر ، لا يضُرَّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالكُ لم تصنع شيئاً بتقديم بيضةِ هوازنَ إلى نحور الخيل ، ارفعْهَا [إلى (١)] أعلَى بلادها وعَلياء قومها (٢) ، ثم الْقَ القومَ بالرِّجال على مُتون الخَيل ، فإن كانت لك لحِق بك مَنْ وراءَك ، وإن كانت عليك كنتَ أحرزت مالَكَ وأهلك ، ولم تُفضَح فى حريمك . فقال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ، قد خَرِفتَ ، وخَرِف رأيُك ، والله لتطيعُنَّنى يا معاشر هوازن ، أو لأتَّكئَنَّ على هذا السَّيف حتّى يخرجَ من ظهرى . وحَسَد دريداً أن يكون له فى ذلك اليومِ ذكرٌ ورأى . فقالوا : أطعناكَ وخالفْنا دريداً . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهَدْه ولم أغِبْ عنه :

يالبتنى فيها جَذَع (٣) أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقُودُ وطفاء الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صدَعْ

فلما لقيَهم رسولُ الله ﷺ انهزم المشركون ، فأتوا الطائفَ ومعهم مالك ابن عوف النَّصرى ، وعسكر بعضُهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضُهم نحو نَخلة ،

---

(١) التكملة من ش والأغانى .

(٢) الأغانى : « إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم .

(٣) ط : « جزع » ، صوابه فى ش والأغانى والسيرة ٤٨١ والمحتسب ١ : ٢٩٣ والعمدة ١ : ١٢٢.

وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَنْ سَلك نخلة ، فأدرك ربيعة بن رُفَيع السُّلَمى (١) دريدَ بنَ الصِّمّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنّه امرأة ، وذلك فى شِجَارٍ له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخٍ كبير ، ولم يعرفْه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتلُك . قال : ومن أنت ؟ قال : ربيعة بن رُفَيع السُّلَمى . فأنشأ دريدٌ يقول :

ويحَ ابـن شَكْمَـةَ ماذا يريـدُ ... من المُرعَشِ الذّاهبِ الأدْرَدِ (٢)

فأقسمُ لو أنَّ بى قوّة ... لظـلّت فَرائصُهُ تُرعَـدُ (٣)

ويـالهفَ نفسىَ أن لا تكـو ... ن معى قُوّةُ الشامخ الأمردِ (٤)

ثم ضربه السُّلَمىُّ بسيفِه فلم يُغْنِ شيئاً ، فقال : بئسما سَلَحتك أُمُّك ، خذْ سيفى من مُؤخِّرة رحلى فاضرْب به ، وارفَعْ عن العظام واخفِضْ عن الدِّماغ ، فإنِّى كذلك كنتُ أضرِب الرجال ، ثمَّ إذا أتيت أمَّك فأخبرْها أنَّك قتلت دُريدَ ابن الصِّمَّة ، فربَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءَكَ . فلمَّا ضرَبُه سقط ، فإذا عجانُه وبطنُ فخِذَيه مثلُ القراطيس ، من ركوب الخيل . فلمَّا رجع ربيعة أخبر أمَّه بقتْلِه إيَّاه ، فقالت : قد أعتق قتيلُكَ ثلاثاً من أمَّهاتك !

* * *

---

(١) رفيع ، بالتصغير ، كما فى ترجمة ربيعة بن رفيع فى الإصابة ٢٥٩٤ .

(٢) ط : « ابن مشكمة ما يريد » ، صوابه فى ش . وفى الأغانى : « ويح ابن أكمة ماذا يريد » .

(٣) فى الأغانى : « لولت فرائصه » . وفى البيت إقواء .

(٤) ط : « أن لا يكون مع » ، صوابه فى ش والأغانى . والشامخ : الرافع رأسه عزة وتكبرا ، ولعلها « الشارخ » ، بمعنى الشابّ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩٠٣ (لَعمرِىَ ما أدرِى وإنْ كنتُ دارياً   بسبعٍ رَمَيْن الجمرَ أمْ بثَمانِ)

على أنَّ الهمزة قد تُحذف فى الشِّعر قبل أم المتَّصلة ، فإنَّ التقدير : أبسبعٍ رَمَينَ الجمر أم بثمانٍ . ولم يرد المنقطعة ، لأنَّ المعنى على : ما أدرى أيُّهما كان .

قال سيبويه (فى باب المنقطعة) : زعم الخليلُ أنّ قولَ الأخطل :

* كذبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ * ... البيت .

كقولك : إنّها لإبلٌ أم شاءٌ . ويجوز فى الشِّعر أن تريد بكذبَتْكَ الاستفهام وتحذف الألف . قال الأسودُ بن يَعفُر :

لعمُركَ ما أدرِى وإنْ كنتُ دارياً   شُعيثُ ابنُ سهم أم شُعيثُ ابنُ مِنقَرِ

وقال أبو الحسن ، لعمر بن أبى ربيعة [٢] :

لعمركَ ما أدرِى وإن كنت دارياً   بسبع رمينَ الجمـرَ أمْ بثمانِ[٣] انتهى

٤٤٨

قال الأعلم : الشاهد فى الأخيرين حذف ألف الاستفهام ضرورة ، لدلالة أم عليها . ولا يكون هذا إلاَّ على تقدير الألف ، لأنَّ قوله « ما أدرى » يقتضى وقوع الألف ، وأم مساوية لها . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٥ وانظر شرح الأبيات لابن السِّيرافى ٢ : ١٥١ والمقتضب ٣ : ٢٩٤ والمحتسب ١ : ٥٠ والأزهية ١٣٥ وابن الشجرى ١ : ٢/٢٦٦ : ٣٣٥ وابن يعيش ٨ : ١٥٤ والضرائر ١٥٨ والمغنى ١٤ والعينى ٤ : ١٤٢ والهمع ٢ : ١٣٢ وديوان عمر بن أبى ربيعة ٢٥٨ .

(٢) الاستشهاد هنا لأبى الحسن الأخفش ، من تعليقه على الكتاب . انظر حواشى سيبويه ٣ : ١٧٥ هارون .

(٣) الرواية فى ديوان عمر :

فوالله ما أدرى وإنى لحاسب   بسبـع رميتُ الجمـر أم بثمانِ

وكذا جعله ابن عصفور ضرورةً ، وعمَّم سواء كانت مع أم أم لا . قال : ومنه حذف همزة الاستفهام إذا أُمِن اللَّبْسِ للضَّرورة ، كقول الكُميت :

طرِبتُ وما شوقاً إلى البِيض أطربُ ولا لعباً منِّى وذو الشَّيبِ يلعبُ

يريد : أَوَ ذو الشيب يلعب . ثم أنشد البيتين وقال : وقد حذفت مع أم فى الشاذِّ فى قراءة ابن مُحَيْصِن : ﴿ سواءٌ عليهِمْ أنذَرْتهم أم لم تُنذِرْهم [(١)] ﴾ بهمزة واحدة من غير مَدّ . وكأنَّ الذى سهَّل حذفَهَا كراهيةُ اجتماعِ همزتين مع قُوّة الدَّلالة عليها . ألا ترى أنّ سواء تدلُّ عليها بما فيها من معنى التسوية ، إذ التسوية لا تكون إلاّ بين اثنين ، ويدلُّ عليها مجىء أمْ بعد ذلك . انتهى .

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ الهمزة يجوز حذفها إن كانت مع أم ، وإلاّ فلا .

وذهب الأخفشُ وتبعه طائفةٌ إلى جواز حذفِها مطلقاً . وهو ظاهرُ كلام ابن مالك (فى التوضيح) قال : قد كثُر حذف الهمزةِ إذا كان معنى ما حُذِفت منه لا يستقيم إلاَّ بتقديرها ، كقوله تعالى : ﴿ وتلكَ نِعمةٌ [(٢)] ﴾ . قال أبو الفتح وغيره : أراد :أوَ تلك نعمةٌ . ومن ذلك قراءة ابن مُحيصِنٍ : ﴿ سواءٌ عليهم أنذرتهم ﴾ بهمزة واحدة . ومن ذلك قراءة أبى جعفر : ﴿ سواءٌ عليهم استغفرتَ لهم [(٣)] ﴾ بهمزة وصل . ومِنْ حَذِفها فى الكلام الفصيح قولُه ﷺ : « يا أبا ذَرٍّ عيَّرتَه بأمِّه [(٤)] » أراد : أعيَّرته ؟ ومنه قوله ﷺ : « أتانى جبريلُ فبشَّرنى أنَّه مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخَلَ الجنة . قلت : وإنْ سرَقَ وزنى ؟ قال : وإن سَرَق

(١) الآية ٦ من البقرة .

(٢) الآية ٢٢ من الشعراء .

(٣) الآية : ٦ من سورة المنافقون .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ١ : ١١ . وانظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ص ٨٩ .

وزنى [١] » . أراد رسولُ الله ﷺ : أَوَ إنْ سَرَق وزنى . ومنه حديث ابن عباس أنَّ رجلا قال : « إن أُمِّى ماتت وعليها صومُ شهرٍ أفَأَقضيه [٢] » وفى بعض النسخ : « فأقضِيهِ ؟ » . ومنه أنَّ الحسنَ أو الحُسين أخذ تمرةً من تمر الصَّدقة فجعلها فى فيه ، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ فأخرجَها من فيه وقال : أمَا علمت [٣] ؟ » وفى بعض النسخ : « ما علمت ؟ » . انتهى .

٤٤٩

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعمر بن أبى ربيعةَ المخزوميِّ قالها فى عائشة بنتِ طلحة ابن عُبيد الله التَّيْمىّ الصَّحابى . وقبله :

أبيات الشاهد

(لقد عرضَتْ لى بالمحصَّبِ من مِنًى ... مع الحجِّ شَمْسٌ سُيِّرتْ بيَمانِ[٤]
فلما التقَينا بالثَّنِيَّةِ سَلَّمت ... ونازَعنى البغلُ اللَّعِينُ عِنانى[٥]
بدا لىَ منها مِعصمٌ حيثُ جَمَّرتْ ... وكفٌّ خضيبٌ زُيِّنت ببَنانِ
فواللهِ ما أدرى وإنْ كنت داريا ... . البيت[٦]

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ٢ : ٧١

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الصوم ٣ : ٣٥

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة ٢ : ١٢٦ – ١٢٧ . وتمام الحديث : « أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة » .

(٤) فى ديوان عمر ٢٥٧ : « لحينىَ شمس » . لحينى ، أى لهلاكى . وأراد بالشمس صاحبته عائشة . وفى الديوان : « ستِّرت » من الستر ، يعنى ثيابها اليمنية ، ومن اليمن كانت تجلب أجود الثياب . وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٥) الثنية : موضع بمكة عند بئر الأسود بن سفيان المخزومى ، وهى ثنية أم قردان .

(٦) كذا ورد برفع الاسمين بعد « كان » . وقد جوز الجمهور رفع الاسمين بعد كان بتقدير ضمير الشأن ، وأنكره الفراء ، ورد بالسماع فى قول العُجَير :

إذا مِتُّ كان الناس صنفان شامتٌ ... وآخر مُثْنٍ بالذى كنتُ أصنعُ

وقول هشام أخى ذى الرمة :

هى الشفاء لدائى لو ظفرت بها ... وليس منها شفاء الداء مبذول

وانظر همع الهوامع ١ : ١١١ وسيبويه ١ : ٧١ هارون .

فقلتُ لها عُوجِى فقد كان مِنزلى خصيبٌ لكم ناءٍ عن الحدثانِ
فعُجْنا فعاجت ساعةً فتكلّمت فظلَّت لها العينانِ تبتدرانِ (١)

عَرَضَتْ : ظهرَتْ . والمُحصَّب ، بالحاء وتشديد الصاد المفتوحة المهملتين : موضعُ رَمي الجمار بمنىً . والحَجّ : قصْدُ مكّة للنُّسك ، على حذف مضاف ، أى ذووه . وشمسٌ ، أى امرأة كالشَّمس سُيِّرت فى طرَفٍ يمان ، بخلاف الشمس الحقيقيّة فإنّها تسير نحو المغرب . وحرَّفه ابن المُلاّ فكتبه « شُبِّهت بيمان » ، وقال : هو صفةُ محذوفٍ ، أى بسيفٍ يمان ، شبَّهها به فى البريق واللَّمَعان . هذا كلامه .

والثنيَّة عند جَمْرة العقبة . ولا يبعد أن يكون سُيِّرت بثمان ، أى مع نسوةٍ ثمان ، وبه يظهر وجه قوله : بسبع رمينَ الجمر بالنون ، إلاّ أنّه يكون فى ثمانٍ الآتى إيطاء . وقوله : « ونازعنى » أى جاذَبنى . والنَّزع : الجَذب .

وبدا : ظهر . والمعصم ، بكسر الميم : موضع السِّوار من الساعد . وجَمَّرت بالجيم وتشديد الميم : رمت جمار المَنْسِك ، وهى ثلاث جَمَرات : الجمرة الأولى ، والوسطى ، وجمرة العقبة . وخضيب : [مخضوبة (٢)] بالحِنّاء أو بغَيرها . والبنان : أطراف الاصابع ، وقيل الأصابع . فإن قيل : ما معنى تَزَيُّنِ الكفّ بالبنان ، وهى من تمام الخلقة ، والزِّينة إنمّا تكون بما زاد عليها ؟ فالجواب : أنّ تلك الكفَّ زيِّنت بلطافة البنان وحُسْنها ، أو بمغايرة خِضابِها فى اللّونِ خضابَ الكفّ . على أنّا نقول : لو أريد أنَّ الزينة حصلت بذات البنان لاستقام ،

(١) فى الديوان : « فظلت بها » .
(٢) التكملة من ش .

ويكون إشارةً إلى ما خَصّ الله به النوع الإنسانيَّ من الأعضاء المتناسبة ، بالنسبة إلى سائر الحيوان . كذا (فى شرح المغنى لابن المُلاّ) .

وروى ابن المستوفي المصراعَ هكذا :

* وكفّ لها مخضوبة ببنانِ *

فلا يَرِدُ السؤال والجواب .

وقوله : (لعمرىَ ما أدرى) روى كذا بالياء وبالكاف . وروى أيضا (فوالله ما أدرى) . والدراية : علمٌ يُتخيَّل . وجملة ما أدرى جواب القسم . وأدرى يتعدَّى لمفعولين ، وهو هنا معلَّق بالاستفهام المقدَّر فى بسبع ، وجملة (وإنْ كنت دارياً) اعتراضٌ بين أدرى وبين معموله ، وإن وَصْلِيَّة .

فإن قلت : كيف ينفى الدراية عنه ثم يُثبتُها له ؟ قلت : اختلافُ زمانِهما نَفَى التناقض . وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قوله وإن كنت يحتمل أن تكون إن نافية ، أى وما كنت داريا ، تأكيداً للجملة قبلها . ويحتمل أن تكون مخفَّفة من الثقيلة ، أى وإنّى كنت قبلَ ذلك من أهل الدِّراية والمعرفة حتَّى بدا لى ما ذُكر ، فسُلِبت الدراية . وهذا الاحتمال عندى أظهر . انتهى . ٤٥٠

قلت : أمّا الأوّل فبعيد مع أنّ الحمْلَ على التأسيس خيرٌ من التأكيد . وأمَّا الثانى فكان يلزمه أن يقول : لَدارياً ، باللام الفارقة .

وقوله : (رمين) بنون النسوة ، وهو واضح مع ما قدَّمنا . وقال ابن الملا : فإن قلت : كان الظاهر رمَتْ ، فلمَ أتى بضمير الجمع ؟ قلت : للتعظيم الذى يليق بأهل الودِّ السليم . انتهى .

أقول : تعظيم الغائب الواحدِ بضمير الجمع غير موجودٍ فى لغة العرب .

وقال الدماميني : الضمير عائد إلى البنان أو إلى المرأة وصواحبها .

قال السيوطى : هذا البيت أنشده الزُّبير بن بكّار بلفظ :

فوالله ما أدرى وإنّى لحاسبٌ بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمانِ

بتاء المتكلم فى رميتُ . وهذا الوجه أوجَهُ بلا شكّ ، فإنّ الأخبار بذهوله عن فعله لشُغل قلبِه بما رأى ، أبلغُ من الإخبار بذهوله عن فعل الغير . وفيه سلامةٌ من التأويل المذكور .

قال ابن الملا : ولقائل أن يقول : هذا الكلام فى حيِّز المنع ، إذ ليس فى ذهول الإنسان عن فعل نفسه وإن كان ذا خطرٍ كبيرُ أمر ، سيَّما والشاغلُ ما ذكر ، كيف وإنّ وقوعه أكثر من أن يُحصَى ، بخلاف ذُهول الإنسان عن فعل الغير المتصدِّى لمراقبته شهوداً وغَيبة ، فإنّ العادة تقتضى ، والمذهبَ الغرامىَّ يوجِب أنّ من تصدى لمراقبة فِعل الأحباب ، كان أبعدَ من أن يُذهَل عنه ، فإذا ذُهل عنه كان فى حَيِّز التعجُّب . وأما دعواه السَّلامةَ من التأويل فظاهر المنع ، لأنَّ معنى البيت على روايته : فوالله ما أدرى الحسابَ وإنِّى لحاسب ، لأنَّ نفيه لِدرايةِ جوابِ أبسبعٍ رمين أم بثمان ، إنمّا هو لانتفاء كونِه داريا إذ ذاك بالحساب ، كما يشهد به التخيُّل الصحيح . ويعود الإشكال فيُحتاج إلى التأويل ، اللهمَّ إلاّ أن يكون أراد التأويل فى رَمَين . انتهى كلامه .

وقال ابن المستوفِي : أراد أنّه شُغِل بهنَّ فلم يدرِ عددَ ما رمينه من الجمرات . وهذا معنىً مبتذل إلاّ أنه عكسُ ما ذكره غيره . وذلك أنَّ الشعراء ذكروا أنّهم شُغِلوا وبُهِتوا بما جرى عليهم ، فلم يعلموا ما فعَلوا بأنفسهم ، كقول جران العَوْد :

ثم ارتحلتُ برحلى قبلَ بَرْذَعتى والعقل مُتَّلِهٌ والقلبُ مشغولُ[١]

ويمكن أن يُعتذر لعمر فيقال إنّه شُغل بهنَّ عن نفسه ، فلم ينظر إلاّ إليهنّ لا إلى ما يفعلن . انتهى .

وقوله : « فقلت لها عوجى » عاج بالمكانَ يعُوج عَوْجا من باب قال ، أى أقام به . وعجت غيرى بالمكان أُعُوجه ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وعجت البعيرَ ، إذا عطفتَ رأسَه بالزمام . كذا فى الصحاح .

وتقدمت ترجمة عمر بن أبى ربيعة فى الشاهد السابع والثمانين من أوائل الكتاب [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [٣] :

٩٠٤ (لعمرك ما أدرى وإنْ كنتُ دارياً
شُعيثُ ابنُ سهمٍ أم شعيثُ ابنُ مِنْقرِ)

لما تقدَّم قبله ، وتقدم فيه نصّ سيبويه وإعرابه .

---

(١) ديوان جران العود ٣٥ من قصيدة تروى أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلى ، ولحكيم الخضرى . ويروى : « والقلب مستوهل » .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٢ — ٣٤ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٨٥ . وانظر البيان ٤ : ٤١ المقتضب ٣ : ٢٩٤ والكامل ٣٨٠ ، ٣٥٧ والتصحيف ٤٩٤ والمحتسب ١ : ٥٠ والضرائر ١٥٩ والمغنى ٤٢ والعينى ٤ : ١٣٨ والتصريح ٢ : ١٤٣ والهمع ٢ : ١٣٢ والأشمونى ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

وأورده ابن هشام (فى بحث أمْ من المغنى) وقال : الأصل أشعيث ، بالهمزة فى أوله والتنوين فى آخره ، فحذَفهما للضرورة . والمعنى : ما أدرى أىُّ النَّسَبين هو الصحيح .

٤٥١

أقول : حكمه هنا بأنّ حذف الهمزة ضرورةٌ ينافيه ما تقدَّم منه فى بحث الألف من إطلاق جواز حذفها ، تقدَّمَتْ على أمْ أم لم تتقدَّم . وإنمَّا اعتبره منوَّنا حُذِف تنوينُه للضَّرورة لأنّه أخبر عنه بابن ، والعلم المنوّن إنمّا يحذف تنوينه إذا وصف بابن لا إذا أُخبر عنه ، ومن ثَمّ يكتب ألف ابن أيضاً وإنْ كان واقعاً بين علمين .

قال ابن المُلاّ : ويجوز أن يكون ممنوعاً من الصرف ولا ضرورة ، باعتبار القبيلة ، والإخبار عنه بابن لا يمنع ذلك ، لجواز رعاية التذكير والتأنيث باعتبارين .

قال السيرافى : يهجو هذه القبيلة ، يقول : إنَّها لم تستقرَّ على أبٍ لأنَّ بعضاً يعزُوها إلى منقر ، [وبعضاً إلى سهم . وسيأتى أنه اسمُ رجل لا قبيلة . وقال الأعلم : المعنى ما أدرِى : أشعيث من بنى سهمٍ أم هم من بنى مِنقر . وشعيث : حىٌّ من تميم ، من بنى منقر [1]] ، فجعلهم أدْعياء ، وشكَّ فى كونهم منهم أو من بنى سهم . وسهمٌ هنا : حىٌّ من قيس . انتهى .

وصحَّف ابن الملا سَهْما بغَنْم فقال : قال الأعلم : شعيث : حىٌّ من غَنْم . انتهى .

وشعيث فى الموضعين بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وآخرهُ ثاء مثلثة ، قال العسكرى (فى كتاب التصحيف) والأعلم : وروايته بالباء الموحَّدة تصحيف .

(١) التكملة من ش .

ومِنْقَر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ، هو منقر بن عُبَيد ، بالتصغير، ابن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سَعد بن زيدِ مناة بن تميم . كذا فى الجمهرة .

وقوله : وسَهم : حيٌّ من قيس ، أى من قيس عيلان . وهو سهم بن عمرو ابن ثعلبة بن غَنْم بن قتيبة بن باهلة . وينتهى نسبه إلى غطفانَ بنِ سعد بن قَيس ابن عيلان بن مُضَر . وفى قريش أيضاً : سَهم أبو حيّ ، وهو سهم بن عمرو بن هُصَيص بالتصغير ، ابن عمرو بن جُمَح ، بضم الجيم ففتح الميم ، ابن كعب بن لؤى . ومنهم قيس بن عدىّ بن سَعد بن سهم .

وزعم ابن الحنبلى (فيما كتبه على المغنى) أنَّ قول الأعلم حيٌّ من قيس هو قيسٌ السَّهمى . وهذا غلطٌ منه لا يصحّ . وشعيث المذكور لم أر له ذكراً فى جمهرة الأنساب ، ولا فى الصِّحاح ولا فى العباب . وذكره صاحب القاموس ، وقال : شعيث كزبير : ابن مُحرز .

والبيت أنشده سيبويه للأسود بن يعفر . وتقدمت ترجمته فى الشاهد الرابع والستين من أول الكتاب [1] .

وأنشده المبرِّدُ فى موضعين (من الكامل) للَّعين المنقرى . والله أعلم .

ونقل أبو الوليد الوَقْشى (عن البيان للجاحظ) فيما كتبه على كامل المبرد ، أنّه قال : ذكروا أنّ شعيث بنَ سهم بن مُحرز [2] بن حَزْن أُغِير على إبله ، فأتى أوسَ ابن حَجَر يستنجدُه ، فقال أوس : أوَ خيرٌ من ذلك أحضِّضُ لك قيسَ ابن عاصم ؟ وكان يقال إنّ حزن بن الحارث هو حَزْن بن مِنقر ، فقال أوس :

---

(١) الخزانة ١ : ٤٠٥ — ٤٠٦ .

(٢) فى البيان ٤ : ٤٠ : « بن محجن » .

سائل بها مولاك قيسَ بنَ عاصمٍ فمَولاك مولى السَّوء إنْ لم يُغَيِّرِ [١]
لعمرك ما أدرى أمن حَزْن مُحرزٍ شعيثُ بن سهم أم لحزن بن مِنْقرِ [٢]

وكتب الوَقْشى على الموضع الثانى من الكامل بعد إنشاد البيت الثانى : قال الجاحظ : كان يقال أن حزن بن الحارث يكون أبا جدِّ شُعيث بن سهم بن محرز [٣] بن حزن بن الحارث ، أحد بلعنبر بن عَمرو بن تميم ، وهو حزن بن منقر . ولشُعيث بن سهمٍ وقولِ أوسٍ هذا فيه خبرٌ أثبته الجاحظ فى البيان . انتهى .

فظهر ممّا ذكرنا أنّ شعيثاً ليس بأبى قبيلة ، [وثبتَ [٤]] قول ابن هشام إنَّ تنوينه حذف للضَّرورة . ولا يتأتّى دعوى منع صرفِه للعلمية والتأنيث باعتبار القبيلة ، والله أعلم .

٤٥٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد التسعمائة وهو من شواهد س [٥] :

٩٠٥ (كذَبَتكَ عَيْنُكَ أم رأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّباب خَيالاَ)

لما تقدَم من أنّ الهمزة المعادِلة لأمْ محذوفةٌ منه للضَّرورة ، والتقدير : أكذبتك عينك أم رأيت .

---

(١) البيتان مما لم يرو فى ديوان أوس (فينا ١٨٩٢) ، وإن ورد فى ديوانه نسخة يوسف نجم عن البيان والتبيين ، ونسبا إلى الأسود بن يعفر أو اللعين المنقرى فى معجم الشواهد . وفى ط : « إن لم يعير » ، بالعين المهملة . صوابه فى ش . والمراد بالتغيير التعويض عن تلك الإبل المسلوبة . وفى اللسان (غير ٣٤٦) : « غيّره ، إذا أعطاه الدية ، وأصلها من المغايرة ، وهى المبادلة لأنها بدل من القتل » .

(٢) كذا فى النسختين . والذى فى البيان : « أمن حزن محجن » .

(٣) فى البيان : « محجن » .

(٤) التكملة من ش .

(٥) فى كتابه ١ : ٤٨٤ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ٦٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٥ والمغنى ٤٥ والتصريح ٢ : ١٤٤ وديوان الأخطل ٤١ .

ونقل سيبويه عن الخليل أنّ أم فيه منقطعة ، وجوَّز أن تكون متَّصلة بتقدير الهمزة كما تقدم .

قال الأعلم : الشاهد فيه إتيانه بأمْ منقطعة بعد الخبر ، حملاً على قولهم : إنّها لإبلٌ أم شاء . ويجوز أن تُحذف ألفُ الاستفهام ضرورةً لدلالة أمْ عليها ، والتقدير : أكذبتك عينك أم رأيت ؟ ونظير إضرابه عن الخبر الأوّلِ وتكذيبه لنفسه بقوله : « أم رأيت بواسط » قولُ زهير :

قِفْ بالدِّيار التى لم يَعفُها القِدَمُ بلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيَـمُ [1]

فقال : لم يعفُها القدم بلى وغيَّرها الأوراح . فكذلك قال : كذبتكَ عينُك فيما تخيَّلُ له ، ثم قال : أمْ رأيتَ بواسطٍ خيالا . والمعنى بل هل رأيتَه ولم تشكَّ فيه . انتهى .

وذكَرَ الوجهين المبرِّد (فى الكامل) قال : فيه قولان : أحدهما كذبتك عينُك ، كما قيل فى :

* بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ [2] *

وليس هذا بالأجود ، ولكنَّه ابتدأ متيقِّنا ، ثم شكَّ فأدخلَ أمْ كقولك : إنّها لإبلٌ ، ثم تشُكّ فتقول : أم شاءٌ يا قومِ . انتهى .

قال ابن الحنبلى : إن جعل الخليلُ التقديرَ فى المثال : أهى شاء ، كان مرادُ الأخطل : كذبتك عينُك فى رؤيَة الرَّباب نفسِها ، بل لم تر خيالاً منها فضلاً عن أنْ تراها نفسَها ، على أنّ أم بمعنى بل وهمزة الإنكار . وإنْ جعلَه : بل هى شاء ، كان مرادُه كذبتك عينُك فلم تكن رأيتَها ، بل رأيتَ خيالاً منها . انتهى .

---

(١) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ .

(٢) انظر الشاهد ٩٠٣ ص ١٢٢ .

ونقل ابن هشام (فى المغنى) عن أبى عبيدة أنّه زعم أنّ أم تأتى بمعنى الاستفهام المجرَّد من الإضراب ، فقال فى قول الأخطل :

* كذبتك عينُك أم رأيت بواسطٍ *

إنّ المعْنَى : هل رأيت .

صاحب الشاهد

والبيت مطلع قصيدةٍ للأخطل النَّصرانىّ ، هجا بها جريراً . وبعده :

أبيات الشاهد

وتَغَـوَّلت لِترُوعَنَـــا جِنِّيَّـــةٌ	والغانيـات يُرِيــنَكَ الأهـــوالا
يَمدُدن من هَفَواتِهنَّ إلى الصِّبا	سببًا يَصِدنَ به الغُـواةَ طُوَالا
ما إنْ رأيتُ كمكرهِنَّ إذا جَرى	فينـا ، ولا كحبـالهنَّ حِبـالا
المُهديـاتُ لمن هَوِيـن مَسَبَّةً	والمحسنـاتُ لمن قَلَين مَقـــالا
يرعَينَ عهدَك ما رأينَك شاهداً	وإذا مَذِلتَ يَصِرْن عنك مِذالا
وإذا وعـدنَك نائـلاً أخلفْنَـه	ووجدتَ عند عِدَاتهنَّ مِطـالا
فإذا دعـونَكَ عمَّهـنَّ فإنّـــه	نسبٌ يزيدُك عندهـنَّ خَبـالا
وإذا وزَنْتَ حلومهنَّ إلى الصِّبا	رَجَح الصِّبـا بحلومهـنِّ فمـالا

ومنها :

فانْعِقْ بضأنك يا جريرُ فإنمّا	مَنّتكَ نفسُك فى الخلاءِ ضَلالا
منَّتكَ نفسُك أن تُسامِىَ دارماً	أو أنْ تُوازِنَ حاجباً وعِقـالا

٤٥٣

دارم : قبيلةُ الفرزدق . وحاجبٌ وعِقال من أشراف قومه .

ورُوى عن جرير أنّه قال : ما غلبنى الأخطلُ إلاّ فى هذه القصيدة ، ولقد قلت بيتاً فى القصيدة التى عارضتُ قصيدته بها ، لو أنَّ أحدَهم نهشَتْهُ أفْعًى فى استه ما حَكَّها ، وهو :

والتغلبىُّ إذا تنحنحَ للقِرَى حَكَّ آستَه وتمثَّلَ الأمثالا (١)

كذا فى نوادر ابن الأعرابىّ .

وقوله : « فانعَقْ بضأنك » ، استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ ومَثَل الذين كَفَروا كمثَلِ الذى يَنعِقُ (٢) ﴾ على أنّ النعيق التصويت ، يقال نَعَق المؤذِّن والراعى بغنمه يَنْعِق بالكسر (٣) نعيقا ونُعاقاً : صاحَ بها وزجَرها . والمعنى : إنّك من رعاة الغنم لا من الأشراف ، وما منَّتك نفسُك به فى الخلاء أنّك من العظماء فضَلالٌ باطل ، لأنّك لا تقدِر على إظهارِه فى الملأ (٤) .

وقوله : (كذبَتْكَ نفسُك أم رأيتَ بواسطٍ) هذا خطابٌ لنفسه على طريق التجريد . قال ابن الأثير فى النهاية : قد استعملت العربُ الكذبَ فى موضع الخطأ . قال الأخطل : « كذبَتْكَ نفسُك » ومنه حديث عُروة ، قيل له أنّ ابن عبّاسٍ يقول : إنّ النبى ﷺ لبث بمكّة بضعَ عشرةَ سنة . فقال : كذبَ ، أى أخطأ . ومنه قول عمر [لسَمُرَةَ (٥)] حينَ قال : المُغمَى عليه يصلّى مع كلِّ صلاةٍ صلاةً حتّى يقضيَها . فقال : كذبْتَ ولكنّه يصلّيهنَّ معاً . أى أخطأت . وقد تكرّر فى الحديث . انتهى .

---

(١) ديوان جرير ٤٥١ .

(٢) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٣) فى القاموس أن (نعق) من بابى منع وضرب .

(٤) الملأ ، بالهمز : الجماعة والعِلْية والأشراف . وبالقصر : الصحراء والمتسع من الأرض ، والمقصود هنا هو الأول وإن ورد فى النسختين مرسوما بالقصر .

(٥) التكملة من نهاية ابن الأثير ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وفى اللسان : « ومنه قول عمران لسمرة » ، وفيه تحريف .

و (الغَلَس) : بفتحتين : ظُلمة آخرِ اللَّيل ، و (الرَّباب) بفتح الراء من أسماء النساء . و (الخيال) : الطَّيف . و (واسط) هنا : موضعٌ بجزيرة ابن عُمر فى الموصل ، وهو من مواضع بنى تَغلب التى ينزِلون بها . وقال ابن السيرافى : واسط هنا : موضعٌ بنواحى الشام . وغلَّطه الأسود أبو محمد الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) فقال : ليس بنواحى الشام موضع يقال له واسط ، والذى فى البيت واسط الجزيرة . أخبرنى أبو النَّدَى قال : للعرب سبعةُ أواسط : واسط نجد وهو الذى ذكره خِداش بن زُهير :

عفا واسطٌ أَكلاؤه فمَحَاضرُهُ ... إلى حيث نِهْيَا سيلُه فصدائرُه [١]

وواسطُ الحجاز ، وهو الذى ذكره كثيِّر :

أجَدُّوا فأمّا آلُ عَزّةَ غدوةً ... فبانوا وأمّا واسطٌ فمُقيمُ [٢]

وواسط الجزيرة ، وهو الذى ذكره الأخطل فى ذاك البيتِ وفى بيته الآخر :

عفا واسطٌ من آل رَضْوى فنبتلُ ... فمُجتمع الحُرَّينِ فالصَّبْرُ أجملُ [٣]

وواسط اليمامة وهو الذى ذكره الأعشى فى شعره [٤] ، وواسط العراق . وقد أُنسِيت اثنين . انتهى كلامه .

---

(١) معجم البلدان (واسط) . ونهيا ، بالكسر : اسم ماء . والصدائر : أعالى الوادى ومَقادمه : جمع صدارة وصديرة ، كما فى القاموس . وفى اللسان أنه جمع صادرة وصديرة .

(٢) ديوان كثير ١٢٧ والأغانى ١١ : ٥٠ ومعجم البلدان (واسط) .

(٣) ديوان الأخطل ٢ ومعجم البلدان.وهو أول بيت فى ديوان الأخطل .

(٤) لم أجد له ذكرا . لكن قال أبو عبيدة فى شرح قول الأعشى :

فى مجدل شيد بنيانه ... يزل عنه ظفر الطائر

إن « مجدل » : حصن لبنى السمين من بنى حنيفة ، يقال له واسط . وانظر (واسط) فى معجم البلدان .

وقد أبعد السيوطى فى قوله : واسط : بلد بالعراق اختطَّها الحجاج . وتبعه ابن المُلاّ . وقال ياقوت (فى معجم البلدان) قال أبو حاتم : واسط التى بنجدٍ والتى بالجزيرة يُصرَف ولا يصرف . وأما واسطٌ البلد المعروف فمُذكّر ، لأنَّهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكانا واسطا ، فهو منصرفٌ على كلٍّ حال . والدليل على ذلك قولهم : واسط بالتذكير ، ولو ذهب به إلى التأنيث لقالوا واسطة . قالوا : وقد يُذهَب به مذهب البُقعة والمدينة فيترك صرفه . وأنشد سيبويه فى ترك الصرف :

٤٥٤ منهنَّ أيامُ صدقٍ قد عُرِفتُ بها أيّامُ واسط والأيامُ مِنْ هَجَرا [١]

ولقائل أن يقول : إنّه لم يرد واسطَ هذه . فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم : وسمِّيت مدينة الحَجّاج واسطاً لأنّها متوسِّطة بين البصرة والكوفة ، لأنّ منها إلى كل واحدٍ منهما خمسين فرسخاً ، لا قولَ فيه غيرُ ذلك إلاّ ما ذهب إليه بعضُ أهل اللُّغة حكايةً عن ابن الكلبى ، أنّه كان قبل عمارة واسط هنا موضعٌ يسمىّ واسطَ قَصَب [٢] فلمَّا عمَّر الحجّاج مدينتَه سمَّاها باسمها . والله أعلم .

وشرع الحَجَّاج فى عمارة واسط سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها فى سنة ست وثمانين ، فكان عمارتُها فى عامين ، فى العام الذى مات فيه عبد الملك بن مروان ، ولمَّا فرغ منها كتب إلى عبد الملك : إنِّى اتّخذتُ مدينةً فى كِرْش من الأرض [٣] ، بين الجبَل والمصرين ، وسَّميتها واسط . فلذلك سمِّىَ أهلُ واسط الكِرْشِيِّين . وفى الأمثال : « تغافُلُ واسِطِيّ [٤] » ، قال المبرِّد : سألت عنه التَّوّزى فقال : الحجّاج لمَّا بناها قال : بنيتُ المدينةَ فى كِرْشٍ من الأرض . فسمِّىَ

---

(١) للفرزدق فى ديوانه ٢٩١ وسيبويه ٢ : ٢٣ .

(٢) فى معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « واسط القصيب » .

(٣) الكرش ، بالكسر : التَّلعة من الأرض ، كما فى القاموس .

(٤) انظر أمثال الميدانى فى باب التاء برقم ٧٣٩ .

أهلها الكِرْشِيِّين ، فكان إذا مرّ أحدهم بالبصرة نادَوْا : يا كِرشيّ ! فتغافَلَ [١] ويُرِى أنّه يَسْمع ، وأنَّ الخطابَ ليس معه [٢] . ولقد جاءنى بخوارزم أحدُ أعيانِ أدبائها وسألنى عن هذا المَثَل ، وقال لى : قد أطلتُ السؤال عنه فلم أظفَرْ به ، ولم يكن لى فى ذلك الوقت علمٌ به حتَّى وجدتُه بعد ذلك فأثبتُّه [٣] .

وأنشد التنوخيُّ لفضلٍ الرَّقاشى :

تركتَ عيادتى ونَسِيتَ بِرِّى ... وقدماً كنتَ بى بَرًّا حفيًّا

فما هذا التغافلُ يا ابنَ عيسى ... أظنُّك صرتَ بعدى واسطيّا انتهى

وقال ابن الملا : المثل : « تغافَلْ كأنّك واسطىّ » ، لأنّه كان يتسخَّرهم فى البناء فيهرُبون وينامون بين الغُرباءِ فى المسجد ، فيجئ الشُّرطى ويقول : يا واسطىُّ . فمن رفَعَ رأسَه أخذه ، فلذلك كانوا يتغافلون . هذا كلامه . وهو بَعيد .

ثم قال ياقوت : واسط أيضا قريةٌ متوسِّطة بين بطن مَرٍّ ووادى نَخْلة .

وواسِط أيضا : قرية مشهورة ببلخ .

وواسط أيضا : قريةٌ بحلب قربُ بزاعة [٤] مشهورةً عندهم ، بالقُرب منها قريةٌ يقال لها الكوفة .

وواسط أيضا : قرية بالخابور قرب قَرقِيساءُ ، وإيّاها عنى الأخطلُ فيما أحسب ، لأنَّ الجزيرةَ مَنازِلُ تغلب :

(١) الكلام بعده لياقوت نفسه ، بعد حكايته لقول المبرد .

(٢) كذا فى النسختين ومعجم البلدان ، والأَوْلَى « فيتغافل » .

(٣) عبارة ياقوت : « حتى وجدته بعد ذلك فأخبرته ثم وضعته أنا ههنا » .

(٤) بزاعة ، بضم الباء : بلدة من أعمال حلب .

* عفا واسطٌ من أرض رَضْوى فنبتلُ *

وواسط أيضا : قريةٌ بدُجَيل ، على ثلاث فراسخ من بغداد .

وواسطٌ أيضا : موضع بين العُذيب والصَّفراء .

وواسط أيضا من منازل بنى قُشَير لبنى أُسَيْدة (١) .

وواسط أيضا بمكة ، قال الفاكهى (٢) : واسط : قرن كان أسفلَ من جمرة العقبة بين المأزِمين ، فضُرِب حتّى ذهب . ويقال إنّ واسطاً هو الجبلان اللذان دون العَقَبة .

وواسط أيضا : بُلَيدة بالأندلس من أعمال قَبْرة .

وواسط أيضا : قرية كانت قَبْلَ واسط فى موضعها ، كانت تسمَّى واسطَ القصب ، أخربَها الحجّاج وبنى مدينته واسطاً .

وواسط أيضا : قرب حِلّة بنى مَزْيد ، يقال لها واسط مرزاباد .

وواسط أيضا : قرية باليمن بسواحل زَبيد ، قربَ العَنْبَرة (٣) .

وواسط أيضا : مواضع فى بلاد بنى تميم .

وقوله : « وتغوَّلت » أى تهوَّلت . والغانية : التى استغنت بحُسنها عن الزِّينة . والهَفْوة : الجهل . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال بالضم : الطويل .

---

(١) فى معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « وهم بنو مالك بن سلمة بن قشير . وأُسيدة ووحيدة من بنى سعد بن زيد مناة » .

(٢) عند ياقوت : « وذكر محمد بن إسحاق الفاكهى فى كتاب مكة » .

(٣) ش : « العنيزة » ، تحريف صوابه فى ط ومعجم البلدان . وقد رسم ياقوت للعَنْبرة وقال : قرية بسواحل زبيد ، منها خرج على بن مهدى الحميرى .

٤٥٥ ومَذِلْتُ من كلامه : قَلِقت وضَجِرت . والمَذِيل : المريض الذى لا يَتَقارُّ وهو ضعيف . ومذلَ بسرِّه ، أى أفشاه (١) . ومِذال : جمع مَذْلَى كعطاش جمع عطشَى .

وترجمة الأخطل تقدَّمت فى الشاهد الثامن والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

ومن هذه القصيدة قوله :

أَبَنِى كُليبٍ إنَّ عمَّىَّ اللذا قَتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

وتقدم شرحه فى الشاهد الثالث والعشرين بعد الأربعمائة من باب اسم الفاعل (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد التسعمائة (٤) :

٩٠٦ (أم كَيف يَنفَعُ ما تُعْطِي العَلوقُ به رِئمانَ أُنِفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ)

على أنّ (أم) فيه بمعنى بل وحدَها ، بدون همزة الاستفهام ، إذ الاستفهام موجودٌ ، فلا وجه لجمع استفهامين إلاَّ على وجه التأكيد ، ولا يُضطرّ إليه مع إمكان التأسيس .

---

(١) يقال مذل يمذل مذلا ، ومذل يمذل مذلا ، من بابى فرح ونصر .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ – ٤٦١ .

(٣) الخزانة ٦ : ٦ – ١٣ .

(٤) الكامل ٦٢ ومجالس العلماء ٤٢ وأمالى الزجاجى ٥١ والقالى ٢ : ٥١ والخصائص ٢ : ١٨٤ والمستقصى ٢ : ٢٤٢ وابن الشجرى ١ : ٣٧ وابن يعيش ٤ : ١٨ والمغنى ٤٥ . والهمع ٢ : ١٣٣ والأشباه والنظائر ١ : ٢٠٣ ٣٢١ / ٣ : ٢٢٤ / ٤ : ٧ والمفضليات ٢٦٣ .

وفيما ذهب إليه مخالفةٌ للبصريِّين وميلٌ لقول الكوفيِّين لقوَّته .

وإليه ذهب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) قال : نقل ابنُ الشجرىِّ عن جميع البصريين أنّها أبداً بمعنى بل والهمزةِ جميعا ، وأنّ الكوفيِّين خالفوُهم فى ذلك . والذى يظهر قولُهم ، إذ المعنى فى : ﴿ أم جَعَلوا لله شركاءَ [١] ﴾ ليس على الاستفهام ، ولأنّه يلزم البصريِّين دعوى التأكيد فى نحو : ﴿ أم هل تستوى الظلمات [٢] ﴾ ونحو : ﴿ أمْ ماذا كنتم تَعْمَلون [٣] ﴾ ، ﴿ أمْ مَنْ هذا الذى هو جُندٌ لكم [٤] ﴾ . انتهى .

وسبقهما إلى هذا أبو على ، قال (فى المسائل المنثورة) بعد إنشاد هذا البيت : هذه المسألة فيها إشكال ، وهو أنّ أمْ للاستفهام ، دخلت على كيف . فوجه ذلك أنّ أمْ هنا عاطفة ، وكيف للاستفهام . كما أنّك إذا قلت : ما جاءنى زيدٌ ولكن عمرو ، فالواوُ فيه عاطفة ، وخرجت لكنْ من معنى العطف لدخول الواو . فكذلك إذا قيل أم هل ، تخرج هل مِن معنى الاستفهام لدخول أمْ ، فكذلك تخرج أمْ من معنى الاستفهام إلى العطف . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى الخصائص) فقال : فإن قلت : فما تقول فى قوله : « أم كيف ينفع » البيت ، وجمعِهِ بين أم وكيف ؟ فالقول أنّهما ليسا لمعنىً واحد . وذلك أنَّ أمْ هنا جُرِّدتْ لمعنى الترك والتحوُّل ، وجرِّدت من معنى الاستفهام ، وأفيد ذلك من كيف لا منْها . فإنْ قيل : فهلاَّ وكِّدت إحداهما بالأخرى توكيداً ، كتوكيد اللام لمعنى الإضافة ، وياءى النّسبِ لمعنى الصفة ؟ قيل : يمنع من ذلك

---

(١) الآية ١٦ من سورة الرعد .
(٢) الآية ١٦ من سورة الرعد .
(٣) الآية ٨٤ من سورة النمل .
(٤) الآية ٢٠ من سورة الملك .

أنّ كيف لما بُنيت واقتُصر بها على الاستفهام البتّة جرت مجرى الحرف البتة . وليس فى الكلام اجتماع حرفين لمعنىً واحد ، لأنَّ فى ذلك نَقضاً لما اعتُزم عليه من الاختصار فى استعمال الحروف . وليس كذلك يا بؤس للحرب [1] ، وأحمرىّ . وذلك أنّ هنا إنَّما انضمَّ الحرفُ إلى اسم ، فهما مختلفان ، فجاز أن يترادَفا فى موضعِهما لاختلافِ جنسِهما . فإن قلت : فقد قال :

* وما إنْ طبُّنا جُبْنٌ [2] *

فجمع بين ما وإن ، [و [3]] كلاهما بمعنى النفى ، وهما كما ترى حرفان . قيل : ليس إن حرفَ نفى ، وإنمّا هى حرفٌ يؤكَّد به ، بمنزلة ما ولا والباء ومن ، وغير ذلك . وأمَّا قوله :

طعامهم لَئِنْ أكَلُوا مُعَدٌّ وما إن لا تُحاكُ لهم ثِيابُ [4]

فإنّ ما وحْدَها للنفى ، وإنْ ولا جميعاً للتوكيد . ولا يُنكر اجتماعُ حرفينِ للتوكيد لجملة الكلام . انتهى كلامُه باختصار .

٤٥٦

فعلم ممّا نقلنا إنّ ما ادَّعاه ابن الشجرى من اجماع البصريِّين ليس بصحيح . ودعوى ابن جِنّى عدمَ اجتماع حرفين لمعنىً واحدٍ يبطلها قولُ الشاعر :

* ولا لِلِما بهم أبدا دواءُ *

---

(١) من قول سعد بن مالك فى الحماسة ٥٠٠ بشرح المرزوقى وسيبويه ١ : ٣١٥ :

يا بؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

(٢) قطعة من بيت لفروة بن مسيك أو الكميت ، كما فى معجم الشواهد . وهو بتمامه :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

(٣) تكملة من الخصائص ٣ : ١٠٨ .

(٤) نسب إلى أمية بن أبى الصلت فى معجم الشواهد . وليس فى ديوانه .

وقوله :

* فأصبحْنَ لا يسألنَه عن بما به *

وقد تقدّم شرحهما فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة وفى غيره .

صاحب الشاهد

والبيت آخر أبياتٍ تسعة لأُفنونٍ التَّغلبى ، أوردها له أبو عمرٍو الشَّيبانى (فى أشعار تغلب) ، والمفضل (فى المفضَّليات) ، وهى :

أبيات الشاهد

(أبلغْ حُبَيْبًا وخَلِّلْ فى سَرَاتِهِمُ ... أنَّ الفؤادَ انطوى منهمْ على حَزَنِ

قد كنت أسبِقُ من جارَوْا على مَهَلٍ ... من وُلد آدمَ مالم يَخلعُوا رَسَنِي

فَالَوا علىَّ ولم أمِلكْ فِيالتَهُمْ ... حتّى انتحيتُ على الأرساغِ والثُّنَنِ

لو أنّنى كنتُ من عادٍ ومن إرم ... رَبيتُ فيهم ولُقمانٍ ومن جَدَنِ

لَمَا فدَوْا بأخيهمْ من مهوّلة ... أخا السَّكون ولا جارَوْا على السُّنَنِ

سألتُ قومى وقد سَدّت أباعرُهمْ ... ما بين رَحْبَةَ ذاتِ العِيص والعَدَنِ[1]

إذْ قرَّبوا لابن سَوّارٍ أباعِرَهم ... للهِ دَرُّ عطاءٍ كان ذا غَبَنِ

أنّى جزَوْا عامراً سُوءَى بفعلِهِم ... أم كيف يَجزُوننى السُّوءَى من الحَسَنِ

أم كيف ينفع ما تعطى .... البيت

قوله : « أبلغْ حُبَيبا » بضم المهملة وفتح الموحَّدة الأولى ، وهو قبيلةُ أُفنون . وقوله : « وخلِّل » إلخ قال ابن الأنبارى (فى شرحه) : سرَاتهم : خيارهم ، جمع سَرِىّ . وخَلِّل ، أى خُصَّهم بالبلاغ ، أى اجعل بلاغَك يتخلَّلهم . وقوله : « أنَّ الفؤادَ » إلخ ، هذا هو المبلَّغ . يريد أنّه قد تألّم منهم لمَّا طلب منهم أباعِرَ فخيَّبوا أملَه منهم ، ولم يتحمَّلوا عنه دياتِ مَنْ قتلهم .

---

(١) ضبطت « رحبة » هنا طبقا لما سيأتى فى تفسير البغدادى . وانظر ما سيأتى من تعليق على هذا التفسير .

وقوله : « قد كنتُ أسبِقُ » إلخ على متعلّقة بأسبِق ، ومِنْ بيانٌ لمَنْ ، وما مصدريّة ظرفية . قال ابن الأنبارى : أى كنتُ أناضل عنهم ، وأدفع ، وأسبِق مَن جاراهم . وقوله : « من وُلد آدم » أى من الناس كلِّهم . وقوله : « مالم يَخلعوا » إلخ ، أى كنت أسبِق من فاخَرهم وطَلَبَ مغالبتهم (١) مالم يهملونى ويتخَلَّوْا عَنّى . وجعلَ خلعَ الرَّسَنِ مثَلاً ، كأنهّم تبرءوا منه لكثرة جرائره .

وقوله : « فالُوا علىّ » إلخ بالفاء ، من الفيلولة ، وهى ضَعْف الرأى . والفَيَالة بالفتح الاسم . قال ابن الأنبارى : أى اخطئُوا علىَّ فى رأيهم ، يقال : فال الرّجلُ فى رأيه ، وهو فِيلُ الرأى بالكسر . وقوله : « انتحيت » : اعتمدت . والأرساغ : جمع رُسغ ، وهو من الدوابِّ الموضعُ المستدِقّ بين الحافر ، ومَوصلِ الوظيف من اليد أو الرجل . والثُّنَن : جمع ثُنَّة ، بضم المثلثة وتشديد النون ، وهو الشَّعر فى مؤخّر الرُّسغ . وحتّى بمعنى إلى متعلّقة بفالُوا . وضربهما مثلاً لأسافل الناس . يريد : لمّا اخطئوا فى أمرى وأَصرُّوا قصدتُ أراذلَ الناس .

وقوله : « لو أنّنى كنت » إلخ من عادٍ : خبر كنت ، ورَبيت حال من الضمير المستقرّ فى الخبر . قال صاحب الصحاح : وربوت فى بنى فلان ورَبِيت ، أى نشأتُ فيهم . وإرم بكسر ففتح : قبيلة مشهورةٌ بالقوَّة وعِظَم الأبدان . وعاد : اسم أبيهم . ولقمان ، أى ومن نسل لقمانَ صاحبِ النُّسور ، وهو منسوبٌ إلى عاد ، كما قال الشاعر (٢) :

تراهُ يطـــوِّف الآفاقَ حِرصاً ليأكلَ رأسَ لقمـانَ بنِ عادِ ٤٥٧

(١) ش : « وأطلب مغالبتهم » ، صوابه فى ط وشرح المفضليات .

(٢) هو أبو مهوِّش الفقعسى ، أو يزيد بن الصَّعِق . كما فى الخزانة ٣ : ١٤٢ وحواشى الحيوان ٣ : ٦٦ .

وجَدَن بفتح الجيم ، قال ابن الأنبارى : قبيلة باليمن . انتهى . وقيل هو قَيْلٌ من أقيال اليمن ، والمشهور فيه ذو جدن ، فيكون التقدير أيضا : ومن نسل ذِى جدن .

وقوله : « لمَا فَدَوْا » اللام فى جواب لو ، ودخولها على حرف النفى نادر . والسَّكون ، بفتح السين : قبيلة من كِندةَ فى اليمن . وأخا السَّكون مفعول فدَوْا ، وهو رجلٌ من السَّكون ، كان أسيراً عند قومٍ أُفنون . وأراد بأخيهم نفسَه ، والباء للبدل . ومن مهوِّلة : من أجل مصيبة هائلة . و « لا جازَوْا » من المجازاة . والسَّنَن : جمع سُنّة ، وهى النسيرة . بالَغَ فى ذكر تبرُّئهم منه ، وجفائهم له .

وقوله : « سألتُ قومى » السؤال هنا الاستعطاء . وجملة « وقد سَدّت » إلخ حاليّة . والرَّحْبة : الفضاء [1] .

وقوله : « إذْ قَربوا » متعلق بسألت . وقوله : « لله درُّ » إلخ تهكّمٌ فى صورة المدح . والغَبَن بفتحتين : ضعف الرأى ، يتهكَّم بهم فى رأيهم الضعيف حيثُ منعوه الإعطَاء مع السُّؤالِ وهو منهم ، وأعطَوا الأجنبىَّ ولم يسألهم .

وقوله : « أنَّى جَزَوْا عامرًا » إلخ استفهامٌ تعجُّبىٌّ وأنَّى بمعنى كيف ، والواو فى جَزَوْا ضمير عشيرتِه . وعامر هو عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة ، والمراد هنا القبيلة ، وصرفَه باعتبار الحىّ ، ولو منعه الصرف لكان باعتبار القبيلة . والباء للمقابلة ، والهاء والميم ضمير عامر . والسُّوءى : فُعلَى ، نقيض الحُسنَى ، وهما مؤنث الأسوأ والأحسن . ولأجل القافية قابل السُّوءى بالحَسَن ، ولولاها لكان

---

(١) كذا ورد فى ضبط البغدادى وتفسيره . والحق أنها « رُحبة » بضم الراء وهى ماء بصنعاء . وأن العيص هو الشجر الملتف النابت بعضه فى أصول بعض ، كالسدر والسَّلَم والعوسج . والعدن أراد مدينة عدن ، أدخل عليها الألف واللام كما نص ياقوت عليه ، عند إنشاده هذا البيت فى عدن .

يقول الحُسْنى . ورُوِىَ فى الأوّل السّوء [١] وهو اسمٌ من ساءه يسوءه سَوْءاً ومساءة [٢] : نقيض سَرّه . يقول : العجبُ لقومى [٣] كيف عاملوا بنى عامرٍ بالسُّوء فى مقابلة فعلهم الجميل . وقوله : « أم كيف يَجْزُوننى » أمْ للإضراب عن الأوّل . و « من الحسَن » قال ابن الشجرىّ : متعلق بحالٍ محذوفة ، والتقدير : كيف يجزوننى السُّوءى بدلاً من الحَسَن . مثلُه فى التنزيل : ﴿ أرضِيتُمْ بالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخرة [٤] ﴾ أى بدلاً من الآخرة . يقول : بل أتعجَّب من قومى كيف يعاملوننى بالسُّوء حالَ كونه بدلاً من الفعل الحسَن والصُّنع الجميل . وأضْربَ عن الأوّل للإشارة إلى أنَّ إساءتهم لبنى عامر سهلٌ بالنسبة إلى إساءتهم به ، بادِّعاء أنّه ربما كان لهم عذرٌ فى الإساءة لأولئك ، وأمَّا فى الاساءة إليه فلا عُذرَ لهم أصلاً . ولمَّا تَخَيَّل أنّهم ربَّما غالَطُوا فاعتذروا ، ترقَّى بقوله : أم كيف يَنفَع .. البيت ، كأنَّه يقول : هو ظاهرٌ لا يُساعِده باطن ، وقالٌ لا يُصدِّقُه حال .

وقوله : (أم كَيْفَ يَنفَع) إلخ أم هذه أيضا للإضراب . و (العَلوق) بفتح العين المهملة ، قال ابن الأنبارى (فى شرحه) : العَلوق من الإبل : التى لا ترأم ولدَها ولا تدِرُّ عليه . جعله ههنا مثلاً . و (رئمانها) هنا : عطفُها ومحبَّتها . وقال القالى (فى أماليه) : هى الناقة التى ترأم بأنفها وتمنع دَرَّها . يقول : فأنتم تحسنون القَول ولا تعطون شيئاً فكيف ينفعُنى ذلك . انتهى .

---

(١) يعنى « سَوءًا » ، رواية فى : « سُوءى بفعلهم » .

(٢) يقال ساءه يسوءه سَوءا بالفتح وسواء وسواءة وسَوَاية وسَوَائية ومَسَاء ومساءة ومسائيَةً ومسائيَّة ومَسَاية ، والاسم السوء بالضم .

(٣) ط : « أتعجب لقومى » ، وأثبت ما فى ش .

(٤) الآية ٢٨ من سورة التوبة .

وقال الزجاجى (فى أماليه الصغرى) : هذا البيت مثلٌ يضرب لكلِّ من يَعِدُ بلسانه كلَّ جميل ولا يفعل منه [١] ؛ لأنّ قلبَه منطوٍ على ضِدِّه . كأنّه قيل : كيف ينفعنى قولُك الجميلُ إذا كنتَ لا تفى به . وأصله أنَّ العَلوقَ هى الناقةُ التى تَفقِد ولدَها بنحرٍ أو موت ، فيُسلخ جلدُه ويُحشَى تبناً أو حشيشا ، ويُقدَّم إليها لترأمه ، أى تعطفَ عليه ويدرَّ لبنُها فينتفع به . فهى تشَمُّه بأنفها ويُنكره قلبُها فتعطفُ عليه ولا تُرسل اللَّبن . فشبَّه ذاك بهذا . انتهى .

٤٥٨

وقال المبرِّد (فى الكامل) : الناقة إذا ألقت سَقْبها أو نُحرِ فخيف انقطاعُ لبنها أخذُوا جلد حُوارٍ فحشَوه تبناً ولَطَخوه بشىءٍ من سَلاها ثم حَشَوا أنفها ، فتجد لذلك كَرْبا . ويقال للخِرقة التى تُجعل فى أنفها غِمَامة ، ثم تسلُّ تلك الخِرقة من أنفها فتجد رَوْحاً ، وترى ذلك البوَّ تحتها ، وهو جلد الحُوَار المحشوّ فترأمه ، فإنْ درَّت عليه قيل ناقَةٌ دَرُور . وترأمه : تشَمّه . ويقال فى هذا المعنى : ناقة ظَئُورٌ ، فيُنتفع بلبنها . ويقال ناقة رائم ورءومٌ ، إذا كانت ترأم ولدها أو بَوَّها . فإنْ رئِمَتْه [٢] ولم تدرَّ عليه فتلك العَلُوق ، ولا خيرَ عندها . انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش : يقال للناقة إذا مات ولدُها أو ذُبح : سَلوب ، فإنْ عُطِفت على غير ولدِها فرئمته فهى رائم ، وإن لم ترأمْه ولم تَدِرَّ عليه فهى عَلوق . ويقال العَلوق : التى قد عَلِقت فذهب لبنُها .

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : العَلوق من النوق : التى تأبى أنْ ترأم ولدها أوبَوَّها . والبَوُّ : جلدُ الحُوار يُحشى ثُماماً أو حشيشا ، ويقدَّم إليها لترأمه فتدرّ عليه فتُحلب . فهى ترأمه بأنفها ويُنكره قلبُها . فرأمُها : أنْ تشمَّه فقط ولا تُرسِلَ لبنها . وهذا يُضرب مثلاً لمن يَعِدُ بكلِّ جميل ولا يفعل منه شيئاً .

---

(١) فى أمالى الزجاجى : « لمن يعدك بلسانه كل جميل ، ولم يفعل منه شيئا » .

(٢) فى النسختين : « رأمته » ، صوابه فى الكامل ٦٢ .

و (الرئمان) بكسر الراء والهمزة: مصدر رئمت الناقةُ ولدَها من باب فرح ، إذا أحبَّته وعطفَتْ عليه . وفى الأمثال : « لا أحِبُّ رئمان أنف وأُمنَعَ الضَّرْع » ، يضرب لمن يُظهر الشَّفقة ويمنع خيره . كذا فى أمثال الزمخشرى [١] .

وقوله : (إذا ما ضُنّ) بضم الضاد المعجمة ، أى حصل الضَّنّ ، وهو الشُّحّ والبخل . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ألحَقَ الباء فى به لِمَا كان تُعطِى فى معنى تسمح به . ألا تراه قال فى آخر البيت : إذا ما ضُنّ باللبن . فالضنّ : نقيض السَّماحة والبذل . انتهى .

والهاء فى « به » راجعة إلى ما ، ولولا التضمين لقيل تعطيه . وما وإن كانت فى اللفظ فاعل ينفع فهى فى المعنى مفعول ، وهى الشئ المعطَى ، وهى اسم موصول بمعنى الذى ، واقع على الرئمان كما يأتى بيانه . وزعم ابن الشجرى أنّه واقع على البوّ ، وهو غير جيِّد كما سيتّضح . وقد أجاز الكسائىُّ فى « رئمان أنف » الرفع والنصب والجر ، قال الزجاجى (فى أماليه) : أخبرنا أحمد بن الحسين المعروف بابن شُقير النحوىّ ، وعلىُّ بن سليمان ، قالا : أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : اجتمع الكسائىُّ والأصمعىُّ بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له ، يقيمان بإقامته ويَظْعَنانِ بظَعْنه . فأنشد الكسائى :

* أنّى جَزْوا عامراً سُوءاً بفعلهم * البيتين

فقال الأصمعى : إنمّا هو رئمانَ أنفٍ بالنصب . فقال له الكسائى : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز بالرفع ، والنصب ، والخفض . أمّا الرفع فعلى الردّ على ما ، لأنّها فى موضع رفع بينفع ، فيصير التقدير : أم كيف ينفع رئمان أنف . والنصب بتعطى ، والخفض على الردِّ على الهاء التى فى به . قال : فسكت

---

(١) المستقصى ٢ : ٢٤٢ .

الأصمعىُّ ولم يكن له علمٌ بالعربية ، كان صاحب لغة ولم يكن صاحب إعراب .
انتهى ما أورده الزجاجى .

وقوله : « أمّا الرفع فعلى الردِّ على ما » ، يريد به الإبدال ، وهى عبارة الكوفيِّين ، وهو بدلُ كلّ من كلّ . ويجوز رفعه أيضاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو رئمان . وقد جوَّز هذين الوجهين أبو على الفارسىُّ (فى البغداديات) قال فيها : حُكِىَ لنا أنّ أبا العباس محمداً ، وأبا العباس أحمدَ ، كان يُلقِيان هذا البيتَ ويسألان عن وجه الإعراب فيه . ورئمان بالرفع والنصب والجر . والمعنى : ما ينفع عطفُها عليه إذا لم يدرَّ لبنُها . وأقول : إنّ الرفع فى رئمان يجوز فيه من وجهين : فأحدهما : أنْ تبدل رئمان من الموصول فتجعله إيَّاه فى المعنى . ألا ترى أنَّ رئمان أنف هو ما تُعطيه العلوق . والآخر : أنْ تجعله خبر مبتدإ محذوف ، كأنّه لمّا قال : أم كيف ينفع ما تعطى العلوق ؟ قيل له : وما تعطى العلوق ؟ فقال : رئمان أنف ، أى هو . كقوله تعالى : ﴿ بِشَرٍّ من ذَلِكُمُ النَّارُ (١) ﴾ أى هى . انتهى .

٤٥٩

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : ما بمعنى الذى واقعة على البوّ ، وانتصاب الرئمان هو الوجه الذى يصحُّ به المَعْنَى والإعراب ، وإنكار الأصمعىّ لرفعِه إنكارٌ فى موضعه ، لأنَّ رئمان العلَوق (٢) للبوِّ بأنفها ، هو عطيَّتها ، ليس لها عطيّةٌ غيره . فإذا أنت رفعتَه لم يبق لها عطيّة فى البيت لفظاً ولا تقديرا . ورفعه على البدل من ما ، لأنها فاعل ينفع ، وهو بدل الاشتمال . ويُحتاج إلى تقدير ضمير يعود منه على المبدل منه ، كأنّك قلت : رئمان أنِفها إياه . وتقديرُ مثلِ هذا الضميرِ قد ورد فى كلام العرب ، ولكن فى رفعه ما ذكرتُ لك من إخلاء تعطِى من مفعولٍ فى اللفظ والتقدير . وجرُّ (رئمان) على البدل أقربُ إلى الصحيح قليلاً .

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج .
(٢) ط : « الرئمان العلوق » ، صوابه فى ش وابن الشجرى ١ : ٣٨ .

وإعطاء الكلام حقَّه من المعنى والإعرابِ إنمّا هو بنصب الرئمان . ولنحاة الكوفيِّين فى أكثر كلامهم تهاويلُ فارغة من حقيقة (١) . هذا كلامه .

وقد نقله ابن هشام (فى المغنى) وأقرَّه . ومنشؤه حَمْلُ ما على البوّ . ولو حمله على الرئمان لم يَرِدْ شئٌ من هذا .

ولقد أجاد الدمامينى فى الاعتراض على ابن الشجرى بقوله : ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون الضمير من به عائداً على ما ، لا على البوّ ، وبه يتعلَّق بتُعطى على أنّه مضمن معنى تجود ، فلا يكون مُخْلًى (٢) من مفعول مع [رفع (٣)] رئمان . انتهى . ويكون نصب رئمان على أحد ثلاثة أوجه غير ما ذكره .

قال أبو على بعد ذاك . وأمّا نصب رئمان فعلى ثلاث جهات : أحدها : على معنى أم كيف ينفع ما تعطيه من رئمان ، فحذفَ الحرفَ وأوصل الفعل .

ثانيها : أن يكون من باب صُنْعَ الله ، ووَعْدَ الله ؛ كأنّه لما قيل تعطى العَلوق دلّ على ترأم ، لأنَّ إعطاءها رئمانٌ ، فنصبَه على هذا الحدّ لمَا دلَّ عليه تعطى .

ثالثها : أن ينتصب على الحال ، مثل جاء رَكْضاً ، على قياس إجازة أبى العباس فى هذا الباب ، ويجعل تعطى بمنزلة تعطف ، كأنّه قيل : أم كيف ينفع ما تعطف به العلوق رئمانا ، أى كيف (٤) ينفع تعطُّفها رائمةً مع مَنْعها لبنها . فهذه ثلاثة أجوبة فى النَّصب . انتهى .

---

(١) فى أمالى ابن الشجرى : « من الحقيقة » .

(٢) مخلى ، أى خاليا . ورسمت فى النسختين : « مخلا » .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ش : « أم كيف » صوابه فى ط .

وأشار فى الوجه الثالث إلى أنَّ ما مصدرية ، وعليه يكون ضمير به عائداً إلى البوّ المفهوم من المقام .

وقد اعترض الدَّمامينى على مستند ابن الشجرىّ فى إنكار الرفع بأنّه قد يُلتزَم ولا محذور فيه ، لأنَّ الفعل المتعدِّى قد يكون الغرض إثباتَه لفاعله أو نفيَه عنه فقط ، فينزَّل منزلة اللازم ، ولا يقدَّرُ له مفعول ، تقول : فلان يعطى ، أى يفعل الإعطاء ، فلا تذكر للفعل مفعولاً ولا تقدّره ، لأنّ ذلك يُخلّ بالغرض . واعتبارُ هذا المعنى فى البيت ممكن .

واعترض عليه ابن الحنبلىّ بأنّ اعتبار هذا المعنى ممكنٌ فى نفسه ، وأمَّا فى البيت فلا ، لأنّه مخلٌّ بالغرض ، إذ الغرض إثبات عطيّةٍ لها لا وصفُها بالإعطاء فقط . على أنّا نقول : المتعدِّى وإنْ نزِّل منزلةَ اللازم لا يتحقق مضمونُه إلاّ بمفعولٍ فى نفس الأمر ، فإذا لم يكن لها عطيّةٌ إلاّ الرئمان ، وقد صار مُعطًى به لإبداله من ما أو ضميرها ، لم يتحقَّق الإعطاء فضلاً عن أن يُنزَّلَ فعلُه منزلةَ اللازم . إلاّ أن يقال هو ممكنٌ إذا فرض مفعولُ تعطى اللبن ، لتحقُّق سبب إعطائها إيَّاه . وإنْ لم تعتبر هى ذلك السببَ حتّى ضنَّت به ، كمن توفَّرت لديه دواعِى الكرم فلم يلتفت إليها وبقىَ على بُخله . فلمَّا ضنّت به ظهر إنّ عطيَّتها لم تكن فى الحقيقة إلاّ الرئمان . انتهى . ٤٦٠

وقد منع هو الإخلاء المذكور بتقدير مفعول لتعطى ، وهو رئمان آخر . والتقدير : أم كيف يَنفع بَوٌّ تعطى العَلوقُ بسببه الرئمانَ رئمانَهُ . ولا يخفى أنّ هذا تكلُّف . ودعوى تضمين تعطى بتجود ، كما صنع ابن جنى ، صحيح المَحمِل قليل المئُونة .

وقول ابن الشجرى : وهو بدل الاشتمال ويحتاج إلى تقدير ضمير . أقول : إذا جُرّ على البدلية من الهاء يكون أيضاً محتاجا إلى الضمير .

وقول الدماميني : لا يتعيَّن بدل الاشتمال بل هو بدل كلّ فلا يحتاج إلى ضمير ، لا يصحّ ؛ لأنَّ ما عند ابن الشجرى عبارة عن البوّ ، وإنمّا يصحُّ على جعل ما واقعة على الرئمان .

ووجه كونِ الجرّ أقربَ إلى الصواب عند ابن الشجريّ : أنّه يصير معمولاً لتعطى بالبدلية ، وقيل لكونه غيرَ محتاج إلى الضمير الرابط . وفيه أنّه لا بدَّ منه كما ذكرنا ، فلا يصحُّ هذا التوجيه .

أُفنون التغلبيّ

وأُفْنُونٌ شاعر جاهلى ، يروى بضم الهمزة وفتحها وسكون الفاء ونونين . قال أبو عمرو الشّيبانى : أفنون لقبٌ له ، لقوله من قطعة :

مَنَّيتِنا الوُدَّ يامضنونُ مضنونا أيّامَنا إنّ للشُّبّانِ أُفنونا[1]

واسمه كما قال أبو عمرٍو، وابنُ الأنبارى[2] ، وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء[3]) : صريم بن معشر بن ذُهْل بن تَيم بن مالك بن حُبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، وقالوا :

كان من خبره أنّه لقىَ كاهناً فسأله عن مَوته ؛ فقال : تموتُ بمكانٍ يقال له إلاه بكسر الهمزة . فمكثَ ما شاء الله ثم سار إلى الشام فى تجارَة ، ثم رَجع فى ركبٍ من بنى تغلب فضلُّوا الطريق ، فلَقُوا إنساناً فاستخبروه ، فنَعَتَ لهم ، فقال فى نعته : إذا رأيتم إلاهة حَيَّ[4] لكم الطَّريق – وإلاهة : قارَةٌ بالسَّماوة – فلَّما أتَوْها نزل أصحابُه وقالَوا له : انزِلْ . فقال أفنون : والله لا أنزل . فجعلت ناقته

---

(١) وكذا فى سمط اللآلى ٦٨٥ والمزهر ٢ : ٤٣٥.وفى المؤتلف ١٥١ : « يا مضمون مضمونا » .

(٢) ط : « أبو عمرو بن الأنبارى » ، صوابه فى ش .

(٣) الشعراء ٤١٩ .

(٤) حيّ يَحَيّ ويحيا ، أى ظهر واستبان هنا . وفى ط : « حبا » صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

ترتعى عَرْفجاً ، فلدغتها أفعى فى مِشفرها ، فاحتكَّت بساقه والحيَّة متعلقة بمشفرها ، فلدغته فى ساقه ، فقال لأخٍ معه : احفِر لى قبراً فإنِّى ميِّت . ثم رفع صوتَه بأبياتٍ منها (١) :

لعمرك ما يدرى امرؤٌ كيف يتَّقى إذا هو لم يجعلْ له اللهُ واقيا
كفى حَزَنًا أن يَرحَلَ الحىُّ غُدْوةً وأُصبِحَ فى أعلى الإهَـةَ ثاويـا

* * *

وأنشد بعده :

(لو بِغَيرِ الماءِ حَلْقِى شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارِى)

على أنَّ الجملة الاسمية وهى (حلقى شرق بِغَير الماء) واقعةٌ موضع الجملة الفعلية ، وهى شرِقَ حَلْقى ، لأنّ لو مختصة بالفعل .

وقد تقدَّم الكلامُ عليه مفصَّلا فى الشاهد التاسع والخمسين بعد الستمائة (٢) .

* * *

٤٦١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد التسعمائة (٣) :

٩٠٧(سواءٌ عليكَ اليومَ أَنصاعَتِ النَّوى
بخرقاءَ أم أَنْحَى لك السَّيفَ ذابحُ (٤))

---

(١) الشعراء والمفضليات ٢٦١ والمؤتلف ١٥١ .

(٢) الخزانة ٨ : ٥٠٨ — ٥١٣ .

(٣) المقتضب ٣ : ٢٩٨ وديوان ذى الرمة ٩٩ .

(٤) كتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « قلت صوابه بصيداء ، لا بخرقاء » . وانظر ما سيأتى من تعليق البغدادى . على أن الذى فى الديوان هو « بصيداء » التى تكرر اسمها فى هذه القصيدة أكثر من خمس مرات .

على أنَّ الفعل بعد همزة التسوية وأمْ ، يُستهَجن أن لا يكون ماضيا ، كما فى البيت . ومن المستهجن وقوع الجملة الاسميَّة كقول الشاعر .

وقد أنشد الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ سَواءٌ عليكُمْ أَدَعَوْتُموهمْ أم أنتم صامتون [1] ﴾ :

سواءٌ إذا ما أصلح الله أمرَهم علينا أدَثْرٌ مالُهمْ أم أَصارمُ [2]

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لذى الرُّمَّة مطلعها :

أبيات الشاهد

(أمِن دِمنةٍ جَرّتْ بها ذيلَها الصَّبا لصَيداءَ ، مهلاً ، ماءُ عينيكَ سافحُ)

قال شارح ديوانه : يريد أماء عينيك سافح ، أى سائلٌ من أجل دمنةٍ لصيداء . ثم قال : مَهْلاً ، أى لا تبك . وذَيل الرِّيح : أواخرها . إلى أنْ قال :

(أصَيداءُ هَل قَيْظُ الرَّمادةِ راجعٌ لياليهِ أوْ أيَّامُهنَّ الصَّوالحُ)

يقول : هل ذاك القيظ الذى قِظْناه بالرَّمادة راجعٌ ، لأنّه رأى فيه ما يسرُّه .

(عَدا النَّأىُ عَنْ صَيداءَ حِيناً وقُرْبُها لدينا ، ولكن لا إلى ذاك ، رابحُ)

وقوله:« عدا النَّأىُ » ، أى صرَفَ وجوهَنا عن صيداء . ومنه : عدانى عنه كذا وكذا ، أى صرفنى . ثم قال : وقُرْبها لدينا رابحٌ ، أى ذو ربح ، ولكنْ لا إلى ذلك سَبيلٌ .

(سَواءٌ عَلَيْكَ ايومَ أنصاعَت النَّوى بصَيداءَ أم أنحى لَكَ السَّيفَ ذابحُ)

---

(١) الآية ١٩٣ من سورة الأعراف . وانظر معانى الفراء ١ : ٤٠١ .

(٢) الأصارم : جمع أصرام ، وأصله أصاريم فحذف الياء للشعر . والأصرام : جمع صرم بالكسر وهى القطعة من الإبل القليلة . وأما الدثر ، بالفتح ، فهو المال الكثير .

قال شارحه : أنصاعت النَّوى ، أى انشقت وذهبت بها النِّيَّة (١) إلى مكان بعيد ، أم أنحى لك السَّيفَ ذابحٌ ، يريد : أم قصد لكَ بالسَّيف ذابحٌ . فهو سواءٌ عليك . انتهى . وعليك متعلِّق بسواء . وفى الصحاح : وانصاعَ ، أى انفتل راجعاً ومرَّ مُسرِعا . وقوله « أنصاعت » بفتح الهمزة ، وهى همزة الاستفهام ، وأصله أاِنصاعت ، فحذفت الثانية لكونها همزةَ وصل . والنَّوى والنِّيّة : الوجه الذى يَنوِيه المسافر من قُربٍ أو بُعْد . وهى مؤنَّثة لا غير . وقوله : « بصيداء » متعلَّق بانصاعت .

وصَيداء : اسم امرأةٍ شبَّب بها ذو الرمة فى هذه القصيدة ، وصرَّح باسمها فى عدَّة أبيات . وكذا رأيته فى نسختين من ديوانه . وذكرهَا الصَّاغانى (فى العباب) وأورد البيت . وقد وقع فى نسخ الشرح : « بخَرقاء » بدلَها . وخرقاء : لقب مَيِّة التى غالِبُ شعرِه فيها . وكأنَّ الشارح نقله من (كتاب الشعر لأبى على) فإنّه أنشده فيه كما هنا .

و (أنحى لكَ) ، أى قصد نحوَك وجانِبَكَ . و (ذابح) : اسم فاعل من الذَّبح ، وهو قطع الحلقوم .

وترجمة ذى الرُّمّة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوّل الكتاب (٢) .

* * *

(١) ط : « المنية » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ويؤيده الشرح التالى .

(٢) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد التسعمائة وهو من شواهد س [1] :

٩٠٨ (ما أُبالِي أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحَانى بظَهْر غَيبٍ لئيمُ)

لما تقدَّم قبله . وأنشده (فى باب أو) ، على أنَّ أم فى البيت واقعة فى موقعها ، ولا يجوز أوْ .

وقال : وتقول أتضرب زيداً أو تشتمُ عَمراً ؟ إذا أردت : هل يكون شيءٌ من هذه الأفعال . وإنْ شئتَ قلت : أتضرب عمراً أم تشتم زيدا ؟ على معنى أيُّهما . قال حسَّان :

٤٦٢

* ما أبالى أنبَّ بالحزن تيس * ... البيت .

كأنه قال:أيُّ الفعلين كان . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فى دخول أم عديلةً للألف . ولا يجوز أن تدخل أوْ هنا ، لأنّ قوله « ما أبالى » يقتضى التسوية بين شيئين . والمعنى : قد استوى عندى نبيبُ التَّيسِ بالحَزْن ونَيْلُ اللئيم من عِرضى بظَهر الغَيب . ونَبِيبُ التيس : صوتُه عند هِياجه . والحزنُ : مَا غلُظ من الأرض . وخصَّه لأنَّ الجبال أخصبُ للمَعْز من السُّهول . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لحسَّانَ بن ثابتٍ الصَّحابى ، قالها فى غَزوة أُحد . قال السهيلى (فى الروض الأنف) : وهذه القصيدة من أجود شعره ، وقالها حسَّانٌ ليلاً ونادى قومَه : أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ! وهما كُنْيتانِ له ، ثمّ أمرَهم أن يرَوُوها

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٨ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٨ والأزهية ١٣٣ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ والعينى ٤ : ١٣٥ والأشباه والنظائر ٤ : ٦ وديوان حسان ٣٧٨ .

عنه قبلَ النَّهار مخافة أن يَعوقَه عائقٌ [١] . فخَرَ فيها على ابن الزِّبعَرى بمقاماتٍ له عند ملوك الشام من أبناء جَفْنة ، افْتكَّ فيها عُناةً من قومه ، وذكر مَقام خالِه عند النُّعمان الغسَّانيِّ من آل جَفنِة ، وذكر فيها حُماةَ اللِّواء من بنى عبد الدار ، وأنَّهم صرِّعوا حولَه حتَّى أخذتْه امرأةٌ منهم ، وهى عَمرة بنتُ علقمة ، فلذلك قال :

لم تُطِقْ حَمْلَهُ العَواتِقُ منهمْ ... إنمَّا يحمِلُ اللواءَ النُّجـــومُ انتهى

وهذا أول القصيدة :

(مَنَع النَّومَ بالعِشاءِ الهُمـومُ ... وخيـالٌ إذَا تَغُــور النُّجــومُ
مِن حبيبٍ أصابَ قلبَك منه ... سَقَـمٌ فهـو داخـلٌ مكتــومُ
يا لَقومِى هل يَقتُل المرءَ مثلى ... واهنُ البـطش والعظـامِ سَئُومُ
هَمُّها العِطـرُ والفِـراشُ ويعلـو ... هَا لُجَيْــنٌ ولؤلــؤٌ منظــومُ
لو يَدِبُّ الدَّبيبُ من وَلَدِ الذَّ ... رِّ عليها لأندَبتْهـا الكلــومُ[٢]
لم تَفُقْها شمسُ النَّهـارِ بشيءٍ ... غير أنَّ الشَّبـابَ ليس يدومُ
إنّ خالى خطيبُ جابية الجَوْ ... لاَنِ عند النُّعمان حين يقومُ
وأبِي فى سُمَيجة القائلُ الفـا ... صلُ يوم التفَّتْ عليه الخصومُ[٣]
وأنا الصَّقر عند باب ابن سَلمى ... يومَ نعُمانُ فى الكُبول مقيـمُ
وأُبــىٌّ ووافــدٌ أُطلِقــا لى ... ثم رُحْنـا وقُفْلُهــمْ محطــومُ

(١) الروض الأنف ٢ : ١٦١ . لكن فى اللسان (غطا ٣٦٦) عن ابن الأعرابى أن حسان إنما نادى قومه ، لرواية بيت واحد من هذه القصيدة ، وهو :

رب حلم أضاعه عدم المال ... وجهل غطَّى عليه النعيم

(٢) فى الديوان ٣٧٧ : « لو يدب الحولى » ، وهو ما أتى عليه حول .

(٣) فى الديوان : « فى سميحة » بالحاء ، وهو الصواب كما فى المعاجم اللغوية والبلدانية ، لكن البغدادى قيدها بالجيم فى الشرح ، فلذا أبقيتها على خطئها .

وَسَطتْ نسبتى الدَّوائبَ منهم ‏ ‏ كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ
ربَّ حلمٍ أضاعه عدمُ الما ‏ ‏ ل وجهلٍ غَطَى عليه النَّعيمُ[1]
ما أبالى أنبَّ بالحَزْن تيسٌ ‏ ‏ أم لحانى بظهرٍ غيبٍ لئيمُ
تلك أفعالُنا وفعِلُ الزِّبعرَى ‏ ‏ خاملٌ فى صديقه مذمومُ

قال جامع ديوانه محمد بن حبيب (برواية السكرى عنه) : الجَوْلان بالجيم من عمل دِمَشق على طريق مصر . وسُمَيجة بضم السين وفتح الميم والجيم : بئر بالمدينة كانت للأوسِ والخزرج ، تحاكمت عندَها إلى جدِّه المنذر بن حَرَام . وأراد بابنِ سلمى النُّعمان بن المنذر اللَّخمى . ونُعمان هذا الذى ذكره نعمان بن مالك ، كان حبسَه النعمانُ بن المنذر ، فوفَد فيه وفى غيره حسّان فأُطلِقُوا له . وأبىٌّ هو ابن كعب ، من بنى النَّجار : و « وافد » هو ابن عَمرو بن الإطنابة ، من بنى الخزرج .وقوله : « وجهَلٍ غَطَى عليه النَّعيمُ » غطَى يَغْطِى غَطْياً . ومنه يقال غَطَى الليل ، إذا ستر كلَّ شئ فهو غاطٍ . و « الزِّبْعْرَى » هو السَّهمى . وكان ابن الزِّبعرَى يُهاجِى حَسّان . انتهى .

٤٦٣

قال السُّهيلى : غَطَى بتخفيفٍ ، أنشده يونس بن حبيب ، ومعناه علا وارتفع[2] .

وكذا أنشد هذه القصيدة عبدُ الملك بن هشام فى غزوة أحد من سيرته[3] وزاد بيتاً بين قوله : « ربّ حلم » ... البيت ، وبين قوله : « ما أبالى أنبَّ » البيت . وهو :

---

(١) غطى ، بالطاء المفتوحة الخفيفة ، كما قيده البغدادى فى الشرح اعتمادا على نقل السهيلى عن يونس بن حبيب .

(٢) الروض الأنف ٢ : ١٦١ وأنشد لذلك عن ابن قتيبة :

ومِن تعاجيبِ خَلقِ الله غاطيةٌ ‏ ‏ يُعصَر منها مُلاحىٌّ وغِربيبُ

(٣) السيرة ٦٢٥ — ٦٢٦ فى غزوة أحد .

لا تُسبَّنَّني فلسْتَ بسِبِّى ‏ ‏ ‏ ‏ إن سِبِّى من الرجالِ الكريمُ

والسِّبُّ ، بالكسر : الذى يُسابُّك ، وهو نظيرُك فى المنزلة .

وزعم الأسودُ أبو محمّد الأعْرابىّ أنَّ هذا البيتَ مع ما بعده ليسا من شعره ، وإنَّما هما لابنه عبدِ الرحمن بن حسّان ، وقال : هجا عبدُ الرحمن بنُ حسّان ، مسكينَ بنَ عامرٍ الدارمىَّ ، بثلاثة أبياتٍ وهى :

أيُّها الشَّاتمى ليُحسَبَ مِثلى ‏ ‏ ‏ ‏ إنمّا أنتَ فى الضَّلالِ تَهيمُ

لا تسبَّنَّنى فلست بسِبِّى ‏ ‏ ‏ ‏ .... البيت

ما أبالى أنَبَّ بالحزنِ تيس ‏ ‏ ‏ ‏ .... البيت

وأورد ابن الحاجب (فى أماليه على أبيات المفصل) هذه الأبيات الثلاثة كذا عن ابن الأعرابى ، غيرَ معزوَّة إلى أحد ، وقال : هجا الشاعر بهذا الشعر مسكين بن عامرٍ الدّارمى . ومعناه : إنّك عالم بأنَّ قدرَك دون قَدرى ، وأنَّكَ لستَ ممن يسابُّنى ، وإنمّا تفعل ذلك لتُظْهِرَ بالمشاتمة أنَّ هناك مُماثَلةً ، مع علمك بخلافِه . ثم ردَّ فى عجز البيت هذا الغرض الذى قصدَه ، فقال : إنَّما أنت فى الضلال تهيم . يعنى أنَّ المشاتمة إنمَّا يُستَدَلُّ بها على المماثلة عند تقارُبِ الشخصين ، فأمَّا عند التباعُد فَلاَ . فجعله فى فعله الذى لا يتمُّ به الغرضُ المقصودُ عند العقلاء ، كركوبِه التعاسيفَ التى تضرُّ ولا تنفع ، ولذلك قال : « تهيم » يقال : هامَ على وجهه ، إذا سلك غيرَ الطريق .

وموضع استشهاد الزمخشرى فى قوله : « الشّاتمى » فى صحة إضافة ما فيه الألف واللام إلى المضمر المتَّصل . ومفعول ما لم يسمَّ فاعله مضمرٌ مستتر يعود على الشّاتمى ، لأنّه بمعنى الذى يشتُمنى . وهو وإن كان مخاطَباً إلاّ أنّه لمَّا وصفه

بالموصول أجرى الضميرَ على لفظ الغيبة ، كقولك : أنت الذى ضرب . وهو أحسن من : أنت الذى ضربت . انتهى .

وتقدّمت ترجمة حسان فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب .

تتمة

فى قولهم : لا أبالى ، قال صاحب المجمل : اشتبه علىَّ اشتقاق أبالِي ، حتّى قرأت فى شعر ليلى الأخيليَّة :

تَبَالَى رَوَاياهم هُبَالةَ بعدما وَرَدْن وجُول الماءِ بالجَمِّ يرتمِى [1]

فسَّروا التَّبالِيَ بالتبادُر إلى الاستقاء [2] من قلَّة الماء . فلعلَّه منه ، أى لا أُبادرَ إلى اقتنائه ولا أعتدُّ به .

وقال المرزوقى : هو مفاعلةٌ من البلاء ، أى لا أحتفل به حتّى أُعادَّه بلائى وبلاءَه وأُفاخِرَه . وحكى سيبويه : ما أباليهِ بَالةً كحالةٍ ، وأصله بالية ، فحذفت ياؤه . وذهب غيره إلى أنّه مقلوب ، وألفه منقلبة عن واو وأصله أُباوِل ، أى أكاثر ، من قولهم : فلانٌ كثير البول ، أى الولد .

و (فى النّهاية لابن الأثير) : ويقال : ما باليته وما باليت به ، أى لمْ أكترِثْ به . ومنه الحديث : « هؤلاء فى الجنّةِ ولا أُبالِي » .

(١) المجمل ١ : ٩٣ ومعجم ما استعجم ١٣٤٤ ومزهر السيوطى ١ : ٣٥٢ . وقد أثبت البيت فى ديوان ليلى ١١٧ . وفى ط : « تبالة » صوابه فى ش والمراجع السابقة . وهبالة ، بالضم : ماء لبنى عقيل . وفى النسختين والديوان والمزهر : « وحول » بالحاء المهملة ، صوابه فى المجمل ومعجم ما استعجم . والجول بالضم والجال أيضا : جانب الوادى والبئر والبحر . وجالا الوادى : جانباه . وفى النسختين أيضا : « ترتمى » صوابه بالياء كما فى المجمل ومعجم ما استعجم ، والمزهر ، والديوان . وفى المجمل أيضا : « ويروى : وجول البئر » .

(٢) ونحوه فى المزهر ، لكن الذى فى المجمل : « التبالى : المباراة بالاستسقاء ، يقال تبالى القوم ، إذا تباروا الماء فاستقوا » .

حكى الأزهريُّ عن جماعة من العلماء أنَّ معناه لا أكره . ومنه حديث ابن عباس : « ما أباليه بالة » ، وأصله باليَة مثل عافاه الله عافية ، فحذفوا الياءَ منها تخفيفا ، كما حذفوا من لم أُبَلْ . انتهى .

فجملة « أنَبٌّ بالحزن تيس » معلَّق عنها العامل بالاستفهام . وهى إمَّا فى موضع المفعول المسرَّح أو المقيَّد بحرف الجر .

* * *

وأنشد بعده :

(فإنَّك لا تُبالِى بَعْدَ حول أظبىٌ كانَ أُمَّكَ أم حِمارُ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة [(١)] وفى الشاهد الثانى والاربعين بعد السبعمائة [(٢)] .

* * *

وأنشد بعده قولَ ابن سيناء ، وهو الشاهد التاسع بعد التسعمائة :

٩٠٩ (سِيَّانِ عندىَ إنْ بَرُّوا وإنْ فجرُوا فليس يَجرِى على أمثالِهِمْ قَلَمُ)

على أنّ قوله : (سِيَّانِ عندِى) دليلُ جواب الشرط الذى بعده ، أى إنْ برُّوا وإنْ فَجَروا فهما سِيَّان .

وفى هذا التركيب تقويةٌ لقولهم : سواء أقمتَ أم قعدت ، وقولهم : لا أبالى أقمت أم قعدت ، فى تقدير الشرط ودليل الجواب . والمعنى : إنْ قمتَ أو قعدت فالأمْرانِ سواءٌ ، وإن قمت أو قعدت فلا أُبالِي بهما .

---

(١) الخزانة ٧ : ١٩٢ – ١٩٧ .

(٢) الخزانة ٩ : ٢٩٢ – ٢٩٤ .

ولا يخفى أنّ كلام ابن سِيناءَ كما لا يصحُّ الاستشهاد به لا يصحُّ التقويَة به . على أنّه لا يلزم من كون شيئين متفقين معنىً اتفاقُهما إعرابا .

وكأنّ الشارح المحقّق لم يستحضر قولَ الفرزدق :

لا ينقُص العسر بَسطاً من أكفِّهمُ سِيَّانِ ذلك إن أثْرَوْا وإنْ عَدِموا

ولو استحضره ما عَدَل عنه .

وهو بيت من قصيدة مشهورة مدح بها الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

روى السيِّد الأجلّ عَلَمُ الهدى المرتضَى (فى أماليه) ، أنَّ هشامَ بن عبد الملك حجّ فى خلافة عبد الملك أو الوليد ، فطاف بالبيت وأراد أنْ يستلم الحجر ، فلم يقدِر عليه من الزِّحام ، فنُصِب له منبرٌ فجلسَ عليه ، وأطاف به أهل الشام ، فبينا هو كذلك إذْ أقبلَ زينُ العابدين علىُّ بن الحسين ، وعليه إزارٌ ورداء ، أحسَنَ الناس وجهاً ، وأطيبَهُمْ رائحة [(١)] ، فجعل يطوُف بالبيت ، ولمَّا بلغ إلى موضع الحجَر الأسود تنحَّى الناسُ عنه حتّى يستلمَه ، هيبةً منه وإجلالا له ، فغاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذى هابه الناس ؟ فقال هشام : لا أعرفُه ! لئلا يرغِّب فيه أهلَ الشام . فقال الفرزدق وكان حاضراً : أنا أعرفُه . فقال الشامى : من هو يَأبا فراس ؟ فقال مرتجلا [(٢)] :

هذا ابنُ خير عبادِ اللهِ كلِّهـمُ هذا التَّقىُّ النَّقىُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا الذى تعرِف البطحاءُ وطأته والبيتُ يَعرفـه والحِـلُّ والحَـرَمُ
إذا رأتْـه قريشٌ قال قائلُهـا إلى مكـارم هذا ينتهى الكـرَمُ

(١) فى أمالى المرتضى ١ : ٦٩ : « وأطيبهم ريحا ، بين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز » .
(٢) هذا التعبير ليس من كلام المرتضى بل هو استنباط من البغدادى .

يكـاد يُمسِكُـه عِرفانَ راحتِـــهِ رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يَستِلمُ

يُغْضِى حياءً ويُغضَى من مَهابتهِ فمـا يُكلَّـمُ إلاّ حين يــــتسمُ

مشتقّـة من رسول الله نَبْعتُـــه طابت عَناصرُه والخِيمُ والشِّيَمُ (١)

الله شرَّفــه قِدمـــاً وفضّلـــه جَرَى بذاك له فى لَوحِه القلمُ

٤٦٥ ينشقُّ ثوبُ الدُّجَى عن نُور غُرَّته كالشَّمس يَنْجاب عن إشراقها القَتَمُ

سَهل الخليقـة لا تُخشَى بوادِرُه يَزِينُه اثنانِ : حُسْنُ الخُلْقِ والكرَمُ

ما قال لا قَطُّ إلاّ فى تشهُّدِه لولا التشهُّدُ لم يَنطق بذاك فمُ

مِن معشرٍ حبُّهمْ دينٌ ، وبُغضهمُ كُفرٌ ، وقربُهمُ مَنجىً ومُعتَصَمُ

مقـدَّمٌ بعـد ذكـر الله ذِكرهـمُ فى كلِّ بدءٍ ومختـومٍ به الكلـمُ

إنْ عُدّ أهلُ التقى كانوا أئمَّتَهم أو قيل مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ قيل هُمُ

لا يستطيـع جَوَادٌ بُعْـدَ غايتِهمْ ولا يدانيهمُ قومٌ وإنْ كرُمـــوا

لا يَنقصُ العُسر بَسطاً من أكفِّهم سِيّانِ ذلك إن أثْرَوا وإنْ عَدِمُوا

هذا ابن فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَه بجدِّه أنبيـــاءُ الله قد خُتِمـــوا

فلـيس قولُك من هذا بضائـرِهِ العربُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجَمُ

مَن يشكرِ اللهَ يشكرْ أوّلـيَّةَ ذا فالدِّين من بيتِ هذا ناله الأُممُ

وهى أكثر مما كتبته . قال : فغضب هشامٌ وأمر بحبس الفرزدق بعُسْفان ،

---

(١) هذا البيت وتاليه لم يردا فى الأمالى ، وروى مكانهما :

أى القبائـــل ليست فى رقـــابهم لأوّليـــة هذا أولـــه نِعَــــمُ

من يعـــرف الله يعـــرف أوليَّـــةَ ذا فالديـــن من بيتِ هذا نالـــه الأمم

وهما البيتان الأخيران من هذه القصيدة . فلعل ماوراه البغدادى قد سقط من بعض نسخ الأمالى .

بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك زينَ العابدين [١] ، فبعث إليه باثنَىْ عشرَ ألفَ درهم ، وقال : اعذِر يَأبا فراس ، لو كان عندنا هنا أكثرُ منها لوصَلْناكَ بها . فردَّها الفرزدق وقال : يا ابن رسولِ الله ، ما قلتُ الذى قلتُه إلاّ محبةً فى الله ورسوله ، لا طمعاً فى شئ . فردَّها إليه زينُ العابدين ، وأقسم عليه بقَبولها ، وقال له : قد رأى الله مكانَك وعَلِمَ نيَّتَك ، ونحنُ أهل بيتٍ إذا أنفذْنا شيا لم نرجعْ فيه . فقبلها وهجا هشاماً وهو فى الحبس ، فمِمَّا هجاه به قولُه :

ويحَبسنى بين المدينة والتى … إليها رقابُ القومَ يهوِى مُنيبُها [٢]
يقلِّب رأساً لم يكن رأسَ سيِّدٍ … وعيناً له حَولاءَ بادٍ عيوبُها

وكتبتُ هذه الأبياتَ رغبةً فى الثواب ، وإنما الأعمالُ بالنيّات .

وأمّا بيتُ ابن سِيناءَ فهو من قصيدةٍ طويلة مطلعها :

(يا ربعُ نكّرك الأحداثُ والقِدَمُ … فصار عينُك كالآثارِ تُتَّهمُ
كأنَّما رسمُك السرُّ الذى لهمُ … عندى ونؤْيُك صَبرى الدارسُ الهرِمُ [٣]
كأنّما سُفعة الأُثْفِىِّ باقيةً … بين الرياض قَطاً جُونيَّةٌ جُثُمُ [٤]
ألاّ بَكاه سَحابٌ دمعُه هَمِعٌ … بالرَّعد مُزدَفِر ، بالبرق مبتسمُ

(١) فى أمالى المرتضى : « على بن الحسين عليهما السلام » . وزين العابدين لقب له كما أن كنيته « أبو الحسن » . وهو المعروف بعلى الأصغر ، تمييزا بينه وبين أخيه الأكبر على بن الحسين الذى قتل مع أبيه الحسين بكربلاء . وعلى الأصغر هذا توفى سنة ٩٤ . وليس للحسين السبط عقبٌ إلا منه . وفيات الأعيان ١ : ٣٢٠ .

(٢) فى الأمالى : « تحبّسنى » و : « إليها رقاب الناس » . وفى الأغانى ١٤ : ٧٦ : « أيحبسنى » ، و : « إليها قلوب الناس » .

(٣) النؤى : حفرة حول الخباء تمنع ماء المطر أو السيل . ط : « وثوبك » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة ٤٤٧ فى ترجمة ابن سينا .

(٤) الأثفى : جمع أثفية ، وهى أحد الأحجار الثلاثة التى تنصب عليها القدر . ولم أجد لجمعها إلا الأثافى . ط : « الأثفاء » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة .

لِمْ لا يجودُ سحابٌ جوده دِيَمٌ — من الدُّموع الهوامى كلُّهنَّ دمُ
ليتَ الطّلول أجابت مَن به أبداً — فى حبِّهمْ صِحّةٌ فى حبِّهم سقَمُ
أو علَّها بلسانِ الحال ناطقـةٌ — قد يُفهِم الحالُ مالا يُفهِمُ الكلِمُ
مالى أرى حِكَم الأفعال ساقطةً — وأسمعُ الدّهرَ قولاً كلُّه حِكَمُ
مالى أرى الفَضْلَ فضلاً يُستهان به — قد أُكرِمَ النَّقصُ لما استُنْقِصَ الكرمُ
جوّلت فى هذه الدنيا وزُخرُفِها — عَينى فمَا لقيَتْ داراً بها أرَمُ [١]
الواجدون غنًى العادمون نُهًى — ليس الذى وَجَدوا مثل الذى عَدِموا
ليسوا وإنْ نَعِمُوا عيشاً سوى نَعَمٍ — ورُبَّما نَعِمَتْ فى عَيشها النَّعَمُ
كجيفةٍ دَوَّدَتْ فالدُّود منشؤه — فيها ، ومنها لَهُ الأذراءُ والطُّعُم [٢]
سيّانِ عندى إنْ بَرُّوا وإنْ فجروا — فليس يجرى على أمثالهم قَلَمُ
لا تحسُدَنّهُمُ إنْ جَدَّ جِدُّهم — فالجَدّ يُجدِى ولكن ماله عُصُم
أُسكِنتُ بينهمُ كاللَّيث فى أجَمٍ — رأيتَ ليثاً لهُ من جنسهِ أجمُ
بأىِّ مأثُرةٍ ينقاس بى أحدٌ — بأىِّ مكرمةٍ تحكينىَ الأمم
إنِّى وإنْ كانت الأقلام تخدُمنى — كذاك يخدمُ كفِّى الصَّارمُ الخذِمُ
قد أشهدُ الرَّوعَ مرتاعاً فأكشفُه — إذا تناكَر عن تيَّاره البُهَمُ [٣]
الضَّربُ محتدمٌ والطّعنُ منتظم — والدَّمُّ مرتكمٌ والبأسُ مغتلم [٤]

٤٦٦

---

(١) يقال مابالدار أرم على وزن حذر ، وبالتحريك أيضا ، وآرم على زنة فاعل ، وأريم وارمى كعِنبىّ ويحرك ، وأيرمى ، أى ما بها أحد . وعند ابن أبى أصيبعة : « فألفيت دارا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الأذراء : جمع ذَرًى ، وهو الكِنُّ . وفى النسختين : « الأزراء » بالزاى ، تحريف . وعند ابن أبى أصيبعة : « الأرزاء » : جمع رُزء ، وهو مقدار ما يصيبه من طعام .

(٣) تناكر الأمر : كرهه . والبهم : جمع بهمة ، بالضم ، وهو الشجاع والفارس الذى لا يدرى من أين يؤتى له ، لشدة بأسه . وعند ابن أبى أصيبعة : « مرتاحا فأكشفه » .

(٤) الدم ، بتشديد الميم : لغة فى الدم بتخفيفها . ومنه قول أبى خراش (سكرى ١٢٢٣) :

إذا ذكرته العين أغرقها البكا — وتشرق من تهمالها العين بالدمّ

والجوُّ يافوخُه من نقعه قَتَرٌ والأفق فُسطاطهُ من سَفكِهمْ قَتَم
والبيض والسمر حُمرٌ تحت عِثْيَرِهِ والموتُ يَحكُمُ والأبطالُ تختصمُ
وأعدلُ القَسْم فى حربِى وحربِهمُ مِنهمْ لنا غُنمٌ ، منّا لهم غُرُمُ
أمّا البلاغةُ فاسألْنِى الخَبيرَ بها أنا اللسانُ قويماً ، والزّمانُ فَمُ
لا يَعلمُ العلمَ غيرِى مَعْلَماً عَلَمًا لأهله ، أنا ذاك العالم العَلَمُ
كانت فتاةُ عُلومِ الحقِّ عاطلةً حتّى جلاها بشرحِى الفَهمُ والقلمُ

وهى طويلة ، ولكنْ يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

ابن سينا

وابن سينا [١] هو الرئيس أبو على ، واسمه الحسين بن عبد الله بن سِينا الحكيم المشهور . وكان أبوه من أهل بَلْخ ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمّال والكُفاة ، وتولّى العملَ بقريةٍ من ضياع بُخارى يقال لها خَرْمَيْثَن [٢] من أمّهات قُراها ، وبها وُلِدَ الرئيس فى سنة سبعين وثلثمائة ، فى شهر صفر . وتُوُفِّىَ بهَمَذَان فى يوم الجمعة من شهر رمضان ، من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، ودفن بها . وقال ابن الأثير (فى تاريخه الكبير) : بأصبهان . والأول أشهر . ثم انتقل أبوه إلى بخارى . وانتقل الرئيس فى البلاد ، واشتغل بالعلوم وحَصَّل الفنون . ولمَّا بلغ عشر سنين كان قد أتقنَ علم القرآن العزيز والأدب ، وحفظ أشياءَ من أصول الدين ، وحِساب الهندسة ، والجبر والمقابلة ، ثم توجَّه نحوهم الحكيمُ أبو عبد الله الناتلىّ ، فانزله أبو الرئيس عندَه ، فقرأ عليه الرئيس إيساغُوجى ، وأحكم عليه علم

---

(١) ش : « سيناء » بالمد فى هذا الموضع وتاليه ، وهو يطابق ضبط ابن خلكان له فى الوفيات ١ : ١٥٤ حيث ذكر أنه آخره ألف ممدودة .

(٢) خرميثن ، بفتح الخاء والميم والثاء وآخره نون ، ذكر ياقوت أنها من قرى بخارى . وهى عند ابن خلكان ١ : ١٥٢ « خرميثنا » . وذكر ابن خلكان والقفطى أن والدة ابن سينا من قرية يقال لها « أفشنة » — بوزن أربعة — بالقرب من خرميثنا . وفى النسختين هنا « خربش » ، صوابها من معجم البلدان وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٤٣٧.وقد حرفت فى إخبار العلماء للقفطى ٢٦٩ إلى « خرميشن » بالشين .

المنطق ، وأُقلِيدِس (١) ، والمِجَسطى (٢) ، وفاقَه حتَّى أوضح له رموزاً وفهَّمه إشكالات لم يكن الناتلىُّ يَدريها (٣) . وكان مع ذلك يختلف فى الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، ويبحث ويناظر . ولما توجَّه الناتلى نحو خُوارزمشاه اشتغل أبو على بتحصيل العلوم ، الطبيعىّ والإلهىّ وغير ذلك ، وفتح الله عليه أبوابَ العلوم ، ثم رَغِب بعد ذلك فى علم الطبّ ، وعالج تأدُّبا لا تكسُّبا حتى فاق فيه الأوائل والأواخر فى أقلِّ مدة . واختلف إليه فضلاء هذا الفنّ يقرءون عليه أنواعَه ، وسنُّه إذ ذاك ستَّ عشرةَ سنة . وفى مدة اشتغاله لم يَنَمْ ليلةً واحدة بكمالِهَا ، ولا اشتغلَ فى النهار بسوى المطالعة . وكان اذا أشكلت (٤) عليه مسألة توضَّأ وقصدَ المسجد الجامع وصلَّى ، ودعا الله أن يسهِّلها ويفتح لهُ مغلَقَها . ٤٦٧

وذكر عند الأمير نوحِ بن نصر السَّامانى فى مرضٍ مرِضَه ، فأحضره وعالجه حتى بَرَأ (٥) واتَّصل به وقرُب منه ، ودخلَ إلى دار كتبه ، وكان فيها من كلِّ فن ممَّا لا يوجد فى سواها ، ولا سُمع باسمه . فظفر أبو علىّ بعلوم الأوائل . واتَّفق

---

(١) أى كتاب أقليدس اليونانى فى الهندسة ، وهو كتاب الأركان الذى سماه الروم الاستقصات ، وسماه الإسلاميون « الأصول » . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه جمال الدين القفطى فى إخبار العلماء ٤٥ – ٤٨ . وهو فى ثلاث عشرة مقالة .

(٢) المجسطى ، بكسر الميم وفتح الجيم هو كتاب بطليموس القلوذى ، وهو فى علم هيئة الفلك وحركات النجوم . وهو فى ثلاث عشرة مقالة كسابقه . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه فى إخبار العلماء ٦٧ – ٧٠ . وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكانت أرصاد علمائه أول أرصاد فى الإسلام وسموا أرصادهم « الرصد المأمونىّ » .

(٣) الناتلى كذا ورد بالتاء هنا وفى وفيات الأعيان والقفطى ، وهو نسبة إلى « ناتلة » بالتاء المكسورة ، ويقال لها أيضا « ناتل » ، وهى مدينة بطبرستان ، بينها وبين آمل خمسة فراسخ ، وبينها وبين شالوس مثلها . وفى طبقات ابن أبى أصيبعة : « النائلى » بالهمز ، تحريف .

(٤) ط : « أشكل » .

(٥) ط : « برئ » . ويقال برأ المريض يبرأ ويبرؤ ، بُرءا بالضم وبروءاً . وبرؤ أيضا ككرم وفرح بَرءا بالفتح وبُرءاً بالضم وبروءاً أيضا : نقه بعد المرض .

بعد ذلك احتراقُ تلك الخزانة ، فتفرَّد أبو على بما حصَّله . ولم يستكمل ثمانىَ عشرة سنةً من عمره إلاَّ وقد فرَغ من تحصيل العلوم بأسرها التى عاناها . وتوفى أبوه وسنُّ أبى علىٍّ اثنتان وعشرون سنة ، وكان هو وأبوه فى الأعمال السلطانيَّة .

ولمَّا اضطربت أحوال السَّامانية خرج أبو على إلى كُركانْج [١] وهى قصبة خُوارزم ، واختلف إلى خُوارِزمشاه [٢] ، وكان أبو علىّ على زىّ الفقهاء ويَلبس الطَّيلَسان ، فقرَّر له فى كلِّ شهر ما يقوم به .

ثم انتقل إلى نَسَا ، وأبيوَردَ ، وطُوس وغيرها ، ثم إلى قَزْوِين . وتولَّى الوزارة لشمس الدولة . ثم تشوَّش العسكرُ عليه فأغَاروا على داره فنَهبُوها وقَبَضوا عليه ، وسألوا شمسَ الدَّولةِ قتلَه فامتنع ، ثم أُطلِقَ فتوارى . ثمَّ مرض شمسُ الدولة بالقُولَنْج فأحضَرَه لمداواته واعتذر إليه وأعاده وزيراً . ثم ماتَ شمس الدولة وتولَّى تاجُ الدولة فلَمْ يستوزِرْه ، فتوجه إلى أصبهان وبها عَلاءُ الدين أبو جعفر بن كاكويه ، فأحسنَ إليه .

وكان أبو علىّ قوىَّ المزاج ، وتغلِب عليه قوّة النكاح حتَّى أنهكته ، وعرض له قُولنج فحقنَ نفَسه فى يومٍ واحد ثمانىَ مرّات [٣] فقرح بعضُ أمعائه ، وظهر له سَحَج [٤]. واتّفق سفره مع علاء الدولة فعرض له الصَّرْعَ عِقيب القُولنج ، فأَمَر

---

(١) كركانج ، ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون وكاف أخرى ، وبعد الألف نون ساكنة بالتقاء الساكنين .

(٢) عند ابن خلكان : « خوارزمشاه على بن مأمون بن محمد » . وخوارزمشاه لقب لملوك خوارزم .

(٣) ط ووفيات الأعيان : « ثمان مرات » ، وأثبت ما فى ش ، وكلاهما صحيح فى العربية ، فإن « ثمان » إذا أفردت عن العشرة يجوز حذف يائها . وإجراء الإعراب فيها على النون ، كما فى الأشمونى ٤ : ٧٢ . ومن شواهده :

لها ثنايا أربعٌ حسانُ وأربعٌ فثغرها ثمانُ

(٤) السَّحَج ، بالتحريك : داء فى البطن قاشر منه ، كما فى اللسان .

بأخْذِ دانقين من كَرَفْسٍ فى جملةٍ ما يُحقَن به ، فجعل الطبيبُ الذى يعالجه فيه خمسَ دَرَاهِم ، فازداد السَّحَج به من حدّة الكَرفس ، وطرح بعضُ غلمانه فى بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أنَّ غلمانه خانوه فى شئٍ من ماله فخافوا عاقبةَ أمره عند برئه . وكان يصلُحُ أسبوعاً ويمَرض أسبوعا ، ولا يحتمى ويجامع ، حتَّى قصد علاءَ الدولة بهَمَذَان ، فلما وصل إلى هَمذَان [(١)] ضعُف جدًّا ، وأشرفت قوّتُه على السُّقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبِّر الذى فى بدنى قد عَجَز فلا تنفعنى المعالجة . ثم اغتسَلَ وتاب ، وتصدَّق بما معه على الفقراء ، ورَدَّ المظالم على مَنْ عرفه ، وأعتَقَ مماليكه ، وجعل يَختم فى كلِّ ثلاثةِ أيامٍ خَتمةً ، إلى أن مات فى ذلك التاريخ .

وصنَّف كتاب الشفاء فى الحكمة ، والنّجاة ، والإشارات ، والقانون ، وغير ذلك مما يقارب [(٢)] مائة مصنَّف فى فنون شتّى . وله رسائل بديعة . وهو أحد فلاسفة الإسلام ، وله شعر جيِّد باللسانين ، ومنه قصيدته فى النَّفس ومطلعها :

* هبطَتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ [(٣)] *

ولها شروح ، أحسَنُهَا شرح الحكيم أفضلِ الحكماء : داودَ الضريرِ الأنطاكىّ .

* * *

(١) ط : « همدان » فى هذا الموضع وسابقه ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ما يقاربه » .

(٣) أوردها ابن خلكان وابن أبى أصيبعة وغيرهما فى ترجمته . وتمام هذا الشطر :

* ورقاء ذات تعزز وتمنع *

وقد طبعت القصيدة مع شرح المناوى بالقاهرة سنة ١٣١٨ ، كما طبعها أيضا كاراده فو مع ترجمة فرنسية وشرح لمجهول فى المجلة الاسيوية أغسطس سنة ١٨٩٩ م . وتجدها أيضا فى الكشكول للعاملى ٢٣٦ — ٢٣٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١٠ (ولستُ أبالى بعد مَوتِ مطرِّفٍ حُتوفَ المنايا أكثرَتْ أوْ أقلَّتِ)

على أنه يجوز الإتيان بأوْ مجرّداً عن الهمزة بعد سواء ، ولا أبالى ، بتقدير حرف الشرط كما فى البيت . فإنّ أوْ لم تسبقْ بهمزة ، والتقدير : إن أكثرَتْ أو أقلَّت فلستُ أبالى .

٤٦٨ وهذا قول السيرافى ، قال (فى شرح الكتاب) : وسواء ، إذا أدخلتَ بعدها ألفَ الاستفهام لزمت أمْ بعدها ، كقولك : سواءٌ علىَّ أقمتَ أم قعدت . وإذا كان بعد سواء فعلانِ بغير استفهامٍ جاز عطفُ أحدِهما على الآخر بأوْ ، كقولك : سواءٌ علىَّ قمتَ أو قعدت ؛ فإنَّ الكلام محمولٌ على معنى المجازاة . فإذا قلت : سواء علىَّ قمتَ أو قعدتَ فتقديره : إن قمت أو قعدتَ فهما علىَّ سواء . انتهى .

وفيه ردٌّ على أبى علىّ فى منعه ، وعلى ابن هشام فى قوله (فى المغنى) : إذا عطفتَ بعد الهمزة بأوْ فإن كانت همزة التَّسوية لم يجزْ . وقد أولع الفقهاءُ وغيرهم بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم : يجِبُ أقلُّ الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف فى الأوّل بأم ، وفى الثانى بالواو . وفى الصحاح : سواء علىَّ قمت أو قعدت . انتهى . ولم يذكر غيرَ ذلك . وهو سهو .

وفى كامل الهذلى أنَّ ابن مُحيصِنٍ قرأ من طريق الزَّعفرانى : ﴿ سَوَاءٌ عليهمْ أنذرتَهُمْ أم لم تُنْذرْهم [٢] ﴾ وهذا من الشُّذوذ بمكان . انتهى كلامه .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح الأبيات لابن السيرافى ٢ : ١٤٩ والموشح ٣٠١ والأزهية ١٣٥ .

(٢) الآية ٦ من سورة البقرة .

وهو فى هذا تابعٌ لأبى علىّ .

وكلامُ السِّيرافىِّ والشارح المحقِّق صريحٌ فى جوازه وصحَّته . قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : ثم العجب من إيراد المصنِّف ما ذكره فى المعطوف بعد همزة التسوية ، والفرْض أنَّه لا همزة فى شئ من ذلك ، وكأنَّه توهَّم أنّ الهمزة لازمةٌ بعد كلمة سواء فى أوَّل جملتيها فقدَّر الهمزة إذْ لم تكن مذكورة ، وتوصَّل بذلك إلى تخطئة الفقهاء وغيرهم . وقراءة ابن محيصنٍ : ﴿ أنذرتَهُمْ أو لم تُنذِرْهم [1] ﴾ ، بهمزة واحدة وبأوْ ، كما دلَّ عليه مجموع كلامه (فى الألِف المفردة،وهنا) . ووجهُها صحيح كما قال السيرافى . ولا يتأتَّى الاستشهاد بقراءته على حذف الهمزة كما ادَّعاه المصنف فى أول الكتاب .

وأمَّا تخطئة الفقهاء فى الثانى فمبنىٌّ على أنّ المبيّن هو الأمران جميعا ، بل المبيَّن أقلُّهما ، والأقلُّ هو أحدهما ، فجاز العطف بأوْ ، بل تعيَّنَ والحالةُ هذه . انتهى .

هذا وقد قال سيبويه (فى باب أوْ فى غير الاستفهام) : وتقول : لأضربنَّه ذهب أو مكث ، كأنَّه قال : لأضربنَّه ذاهباً أو ماكثًا ، ولأضربنَّه إنْ ذهبَ أو مكث . وقال زيادة بن زيد العُذْرىّ :

إذا ما انتهَى عِلمِى تناهيتُ عِندَه   أطال فأملَى أو تناهَى فأقصَرا

وقال :

فلستُ أبالى بعد موتِ مطرِّفٍ   حتوفَ المنايا أكثرَتْ أو أقلَّتِ

وزعم الخليل أنّه يجوز : لأضربنَّه أذهَبَ أم مكث . وقال : الدليل على ذلك أنّك تقول : لأَضربنَّه أىُّ ذلك كان . وإنمّا فارق هذا سواءً وما أبالى لأنَّك

---

(١) ط : « أم لم تنذرهم » ، صوابه فى ش .

إذا قلت : سواءٌ على أذهبتَ أم مكثت فهذا الكلام فى موضع : سواء علىَّ هذان . وإذا قلت : ما أبالى أذهبتَ أم مكثت ، فهو فى موضع : ما أبالى واحداً من هذين . وأنت لا تريد أنْ تقول فى الأوّل : لأضربَنَّ هذين ، ولا تريد أن تقول : تناهيتُ هذين ، ولكنَّك إنمّا تريد أنّ الأمر يقع على إحدى الحالتين . وإنْ قلت : لأضربنَّه أذهَبَ أو مكَث لم يجز ، لأنَّك لو أردت معنى أيّهما قلت أم مكث ، ولا يجوز لأضربنَّه مَكَث [1] . فلهذا لا يجوز لأضربنَّه أذهب أو مكث ، كما يجوز : ما أدرى أقام زيد أو قعد . ألاَ ترى أنَّك تقول : ما أدرى أقام ، كما تقول : أذهبَ ، وكما تقول : أعلَمُ أقام زيد ، ولا يجوز أن تقول : لأضربنه أذهَبَ . وكلُّ حقٍّ له سمَّيناه أو لم نُسمِّه ، كأنّه قال : وكلُّ حق له علمناه أو جَهِلناه ، وكذلك كلُّ حقٍّ هو لها داخلٌ فيها أو خارجٌ منها ، كأنّه قال : إن كان داخلا أو خارجا . وإنْ شاء أدخل الواو . وقد تدخل أم فى : علمناهُ أم جهلناه [2] كما دخلت فى : أذهَبَ أم مكث . وتدخله أم على وجهين على أنّه صفة للحقّ ، وعلى أنْ يكون حالا ، كما قال : لأضربنه ذهب أو مكث ، أى لأضْربنَّه كائنا ما كان . فبعُدَت أم ههنا حيث كان خبَراً يقع فى موضع ما ينتصب حالا [و [3]] فى موضع الصفة . انتهى كلام سيبويه .

٤٦٩

وقال ابن الحاجب (فى أماليه فى البيت الشاهد) : لا يجوز فيه إلاّ أوْ من غير همزة ، على ما قال سيبويه ، لأنَّه لما أعطى أُبَالِى مفعولَها وجب أن يكون ما بعدَها المذكور فى موضع الحال ، فيصير المعنى : ما أبالى حتوفَ المنايا مُكثِرةً أو مُقِلَّة . وهذا معنى أوْ . ولو قلته بأمْ لفسَدَ من وجهين : أحدهما أنَّ المعنى

(١) فى النسختين : « أمكث » صوابه من سيبويه ١ : ٤٩٠ .

(٢) فى النسختين : « أعلمناه أم جهلناه » صوابه فى سيبويه بالأسلوب الخبرى .

(٣) التكملة من سيبويه .

يكون : ما أبالى حتوف المنايا كَثرةً وقلّة . وذلك غيرُ مستقيمٍ فى قصده . والآخَر : أنْ يكون : ما أبالى حتوف المنايا كثيرةً وقليلة . وذلك فاسدٌ لأنّه يؤدّى إلى اجتماع الحالين ، وهو محال . فوجب استعمالُ أوْ ، بخلاف قوله :

ما أبالى أنَبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... البيت .

فإنَّ أمْ فيه واجبٌ مع همزة الاستفهام ، قال سيبويه : لأنّ المعنى ما أبالى بنبيب التيس وجفاء اللئيم . وهذا لا يستقيم إلاّ بأم ، ولو كان بأو لفَسَد بوجهين ، لأن المعنى يكون : ما أبالى نبيباً أو جفاء . ولم يقصد المتكلّم إلى معنى مبالاة أحد الأمرين ، وإنّما أراد نفى المبالاة عنهما جميعا ، فيفْسُد لمجئ أوْ . والآخر أنَّ المعنى يكون : ما أبالى نابًّا أو جافيا ، ويكون استعمالاً للفظ فى غير موضوعه [١] لأنّ المراد ههنا الحاليّة ، وتلك إنمَّا تكون بالمصدر لا باسم الفاعل . انتهى .

وقوله : (بعد موتِ مُطرِّفِ) فى رواية سيبويه : « يوم مطرِّف » ، والمعنى واحد . ومُطرِّف بكسر الراء المشددة . يقول : لا أبالى بعد فقده كثرةَ من أفقِده أو قلَّته ، لعِظَم رزيَّته ، وصِغَر كلِّ مصيبة عنده . وأضاف الحتوفَ إلى المنايا توكيداً ، وسوَّغ ذلك اختلاف اللفظين . قاله الأعلم .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يعرف أصحابها . والله أعلم [٢] .

* * *

---

(١) كذا فى النسختين ، وهو تعبير جائز .

(٢) أقول : نسبه ابن السيرافى فى شرح الأبيات ٢ : ١٤٩ إلى مليح بن علاّق القعينى يرثى ابنه . وانظر معجم الشعراء ٤٧٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١١ (إذا ما انتَهَى عِلمِى تناهبتُ بعدَه أطال فأمْلَى أو تناهَىَ فأقصَرَا)

على أنّه روى بأوْ وبأمْ . فعلى الأولى قوله (أطَال) الهمزة للصَّيرورة ، ومصدره الإطالة . ولا يجوز أن تكون همزةَ الاستفهام ، لقول الشارح المحقّق : ولا تجىء بالهمزة قبل أو [٢] .

وهذه رواية سيبويه . قال الأعلم : الشاهد دخولُ أوْ لأحد الأمرين على حدِّ قولك : لأضربنه ذهب أو مكثَ ، أى لأضربنَّه على إحدى الحالتين ذاهبا أو ماكثا . وكذلك معنى :

* أطال فأملَى أو تناهَى فأقصرا *

أى أنْتَهِي حيث [انتَهَى [٣]] بِيَ العلم ، ولا أتخطَّاه ، مُطِيلاً كان أو مُقْصِرا . ومعنى أطال : صار إلى طول المدّة . وأقصَرَ : صار إلى قِصَرها . وأمْلَى من المَلِيِّ ، وهو الزمَن الطويل . انتهى .

وقال ابن الحاجب : أو هنا واجبة ، لأنّه لو قال بأم لفسَد على الوجهين المذكورين فى قوله

ولست أبالى بعد موت مطرِّفِ ... البيت . انتهى .

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٨ والبيان ٣ : ٢٤٤ والمقتضب ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١٧٦ وأدب الدنيا والدين ٥٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٢١٦ .

(٢) شرح الرضى للكافية ٢ : ٣٥٠ س ٢٥ .

(٣) التكملة من هامش ش ومن الأعلم ١ : ٤٩٠ . وقد بيض للكلمة فى ط ، كما أن بعدها فى ط : « فى العلم » ، تحريف .

٤٧٠ وكذا رواه صاحب اللباب ، وقال شارحُه الفالى [١] : قوله (إذا ما انْتَهَى علمى) إلخ أى إذا بلغ علمى إلى موضعٍ بلغتُ إليه ، ولم أتجاوزه ، أى لا أتكلَّم بما لا أعلُمه ، سواء كان علمى مُطِيلاً أو متناهيا . فيكون أطال بوزن أفعَلَ . وقيل الهمزة للاستفهام والفعل هو طال ، ولا ينافى الاستفهامَ كونُ الجملة حالاً ، لما ذكرنا من أنّ الهمزة وأم مجرَّدتان لمعنى الاستواء ، من غير اعتبار الاستفهام فيه ، كما قلنا فى : سواءٌ علىَّ أقمتَ أم قعدت . والمعنى : تناهيت عندَه فى حالِ طوله فإملائه ، وفى حالِ تَناهيه فقِصَره . و (أمْلَى) أى امتدَّ فى الزمان ، من المُلاوة [٢] . أى إذا امتدَّ علمه حيناً طويلا تبعه ، وإنْ تناهى وانقطع أقصَرَ ولم يتكلَّم .

هذا كلامه ، وهو ناشئٌ عن غَفلةٍ ، فإنّه لا يجوز أن تكون فيه الهمزة للاستفهام مع أوْ كما تقدَّم . ومن قال إنّها للاستفهام روى (أم) بدل (أو) . فتأمَّلْ .

وعلى الرواية الثانية تكون الهمزة للاستفهام ، والفعل طال ، ويكون البيت شاهداً للخليل فى تجويزه فى غيرِ « سواءٌ » و « لا أبالى » ، أن يَجرِىَ مجراهما فيُذكر بعدَه أمْ والهمزة .

صاحب الشاهد

وهذه الرواية هى رواية ابن الأعرابىّ (فى نوادره) ، ورواية المَرْزُبانىّ (فى الموشَّح) . وأنشده ابن الأعرابى لزيادة صاحب هُدبَة ، أوّلَ أبياتٍ أربعة ، وهى :

أبيات الشاهد

(إذا ما انتهَى عِلمِى تناهيتُ عندَه — أطالَ فأملَى أم تَناهَى فأقصَرَا
ويُخْبِرنى عن غائب المرءِ هَدْيُه — كفى الهَدْىُ عَمّا غَيَّبَ المرءُ مُخبِرا

---

(١) ط فقط : « القالى » بالقاف ، وهو تصحيف يكثر وروده .
(٢) الملاوة ، بتثليث الميم كما سيأتى .

ولا أركبُ الأمرَ المُدَوِّىَ سادراً بعمياءَ حتّى أستبينَ وأُبْصِرا
كما تفعلُ العشواءُ تركبُ رأسَها وتُبرز جَنْباً للمُعادِينَ مُعْوِرا)

وقوله : « اذا ما انتهى » إلخ ما زائدة بعد إذا . وقد نظمه بعضُهم فقال :

خُذْ لك ذى الفائده ما بعدَ إذا زائدهْ

و (انتهى) من انتهى الأمرُ ، أى بلغ النهاية ، وهى أقصى ما يمكن أن يبلغَه . والمَلِىُّ ، بتشديد الياء كغَنىٍّ ، كما فسَّره الأعلم . والملاوة بتلثيث الميم : الحين والبُرْهة .

قال المرزُبانىّ (فى الموشَّح) : أخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى يحيى بن على قال : [قال [1]] أبو جعفر محمد بن موسى المنجم : كنت أحبّ أن أرى شاعِرَين فأؤدِّبَ أحدَهما ، وهو عدىُّ بن الرِّقاع ، لقوله :

وعلمتُ حتّى ما أسائِلُ عالماً عَن علمِ واحدةٍ لكى أزدادها

ثمَّ أسائلَه عن جميع العلوم ، فإذا لم يجب أدَّبته على قوله . وأُقبِّلَ رأسَ الآخَر ، وهو زيادة بن زيد ، لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيتُ عنده أطال فأملَى أم تناهىَ فأقصرَا . انتهى .

وقوله : « ويُخبرُنى عن غائب المرءِ » إلخ الهَدْىُ ، كفلس : السِّيرة ، يقال : ما أحسنَ هَدْىَ فلان ، أى سيرته . وما أحسن قولَ الصفىِّ الحِلّىّ رحمه الله :

إذا غاب أصلُ المرء فاستقْرِ فعلَه فإنَّ دليل الفرعِ ينبي عن الأصل
فقد يَشْهد الفعلُ الجميلُ لربِّه كَذَاكَ مَضاءُ الحدِّ من شاهد النَّصلِ [2]

---

(١) التكملة من الموشح ٣٠٠ .

(٢) ديوان صفى الدين الحلى ٦٥٤ .

وقوله : « ولا أركب الأمر المدَوِّىَ » إلخ أى لا ألابِسه : والمُدَوِّى ، بكسر الواو المشددة : المبهَم ، والمستتر ، مأخوذ من دَوَّى اللبنُ تدويَةً ، إذا ركبَتْه الدُّواية بضم الدال ، وهى القشرة الرقيقة تعلُوه فيستتر ما تحتها . و « السادر » كما فى الصحاح هو المتحيِّر ، والذى لا يهتمُّ ولا يبالِي ما صنع . والسَّدَر : تحيرُّ البصر . يقال : سَدِر البعيرُ يَسدَرُ سدَرًا ، من باب فرح ، إذا تحيَّر من شدّة الحر . وقوله : « بعمياء » ، أى بحالةٍ عمياء ، من عَمِيَ عليه الأمر ، إذا التبَس . وحتّى بمعنى إلى .

٤٧١

وقوله : « كما تفعَلُ العشواء » وهى الناقة التى لا تبصر أمامَها فهى تخبِط بيدها كلَّ شىء . وقوله : « تركبُ رأسها » ، فى المصباح : وركب الشخصُ رأسَه ، إذا مضى على وجهه لغير قصد . ومنه راكبُ التَّعاسِيف وهو الذى ليس له مَقصِدٌ معلوم [١] .

والمُعْوِر : اسم فاعل من أعورَ لك الصيدُ ، إذا أمكنك . وأعور الفارسُ ، إذا بدا فيه موضعُ خَللٍ للضَّرب ، وهو بالعين المهملة . قال ابن الأعرابى : أى هى عَشواء تُبرز جنباً مكشوفا لأعدائها فيرمُونها . انتهى .

زيادة بن زيد

وزيادة بن زيد شاعرٌ إسلامى من بادية الحجاز ، من بنى عُذْرة ، كان فى أيام مُعاوية بن أبى سفيان ، وقتله هُدْبَةُ بن خَشْرم العُذْرىّ ، وقُتل به هدبةُ بسببٍ ذكرناه فى ترجمة هدبة ، فى الشاهد الخمسين بعد السبعمائة [٢] .

* * *

(١) إلى هنا ينتهى نص المصباح (ركب) .
(٢) الخزانة ٩ : ٣٣٥ — ٣٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانىَ عشرَ بعد التِّسعمائة [١] :

٩١٢ (كأنَّ دِثاراً حَلَّقَتْ بلَبونِـه عُقابَ تَنُوفَى لا عُقابُ القَوَاعِلِ)

على أنَّ فيه ردًّا على الزَّجّاجيِّ فى منعه مجىء (لا العاطفة) بعد الفعل الماضى .

قال الخفّاف [٢] (فى شرح الجمل الزَّجاجيَّة) : اختلفوا فى العطف بلا بعد الماضى نحو قولك : قام زيد لا عمرو ، فمنهم من أجازَ ذلك وهم جُلُّ النحويِّين . ومَنهم مَن منع ذلك ، وإليه ذهب أبو القاسم الزجّاجى (فى معانى الحروف) ، واستدَلَّ على ذلك بأنّ لا لا يُنفَى الماضى بها ، وإذا عطف بها بعده كانت نافيةً له فى المعنى ، فلذلك لم يجز العطفُ بها بعد الماضى ، لأنَّك إذا قلت : قام زيد لا عمرو ، كأنك قلت : لا قام زيد ولا عمرو ، وهذا لا يجوز ، فكذلك ما فى معناه . والذى يدلُّ على فساد ما ذهَبَ إليه أنّه قد يُنفَى بها الماضى قليلاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ فلا صَدَّق ولا صَلَّى [٣] ﴾ يريد : لم يصدِّق ولم يُصلِّ . فإذا جاز أن يُنفى بها الماضى فى اللفظ فالأحرَى أن تكون نافيةً له فى المعنى . وممَّا ورد من العطف بها بعد الماضى قولُه :

* كأنّ دِثاراً حلَّقت بلبونه * ... البيت .

فعطف بها بعد حَلّقت وهو ماضٍ . انتهى .

والبيت من أبياتٍ لامرىء القيس الكِندىّ ، وهى : صاحب الشاهد

(١) مجالس ثعلب ٤٦٦ والخصائص ٣ : ١٩١ والمغنى ٢٤٢ ، ٥٣٢ والعينى ٤ : ١٥٤ والتصريح ٢ : ١٥٠ والأشمونى ٣ : ١١١ وديوان امرىء القيس ٩٤ .

(٢) هو أبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامى المالقى ، تلميذ الشلوبين ، له شرح كتاب سيبويه ، وشرح إيضاح الفارسى ولمع ابن جنى وغير ذلك . توفى بالقاهرة سنة ٦٥٧ . بغية الوعاة ٢٠٧ .

(٣) الآية ٣١ من سورة القيامة .

أبيات الشاهد

(دَع عنكَ نَهْباً صِيحَ فى حَجَراتِهِ ولكنْ حديثاً ما حديثَ الرَّواحلِ
كأنَّ دِثاراً حلّقت بلَبُونـــهِ عُقابُ تنوفَى لاعقابُ القواعِلِ
تلعَّبَ باعثٌ بذمَّة خالــد وأودى دِثارٌ فى الخطوب الأوائلِ (١)
وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّة خالدٍ كمَشى الأتان حُلِّئت بالمناهلِ
أبَتْ أجأ أنْ تُسلِم العامَ جَارَها فمن شاء فلينهضْ لها من مُقاتلِ
تَبِيتُ لَبُونى بالقُرَيَّة أُمَّنـــاً وأَسْرَحُها غِبًّا بأكناف حائـلِ
بنـو ثُعَـلٍ جيرانُهـا وحُماتُهـا وتُمنَعُ من رجالِ سعد ونائل (٢)
تُلاعِبُ أولادَ الوُعـول رِباعُهـا دُوَينَ السَّماء فى رءُوسِ المَجادِلِ
مُكلَّلـــةً حمراءَ ذاتَ أسِرّةٍ لها حُبُكٌ كأنَّها من وصائلِ)

٤٧٢

وسببها أنّ امرأ القيس بعد أن قُتِلَ أبوه ، ذهب يستجير بالعرب ، فبعضٌ يقْبله وبعضٌ يردُّه ، فطمعت فيه العرب . وفى أثناء ذلك نزل على خالد بن سَدوس ابن أصمع (٣) النَّبهانى الطائى ، فأغار عليه باعث بن حُوَيْصٍ الطائىُّ وذهبَ بإبله ، فقال له جاره خالد : أعطِنى صنائعك ورَواحلَكَ حتَّى أطلب عليها مالَكَ . ففعل امرؤ القيسِ ، فانطوَى عليها ، ويقال بل لحق بالقوم فقال لهم : أغرتم على جارى يا بنى جديلة . قالوا : والله ما هو لك بِجار . قال : بلى والله ، ما هذه الإبل التى معكم إلاّ كالرواحل التى تحتى . فقالوا : هو كذلك . فأنزلوه ، وذهَبوا بها . فقال امرؤ القيس فيما هجاه به : « دع عنك نهباً » البيت . يقول لخالد : دع النَّهب الذى نَهَبَه باعث ، ولكن حدِّثنى عن الرَّواحِلِ التى ذهَبْتَ بها

(١) فى الديوان : « وأودى عصام » .

(٢) فى الديوان : « من رماة سعد » .

(٣) فى هامش ش مع علامة تصحيح : « أصبغ » ، لكن الصواب ما فى ط ، وهو المطابق لما فى الجمهرة ٤٠٤ والاشتقاق ٢٣٦ ومختلف القبائل ٤ .

أنت . وهذا البيت صار مثلاً يُضرَب لمن ذهب من ماله شيءٌ ، ثم ذهبَ بعده ما هو أجلُّ منه .

وهذا البيت أورده ابن هشام (فى موضعين من المغنى) :

أحدهما : فى عن ، قال : إنّها تأتِي اسماً بمعنى جانب فى ثلاثة مواضعَ ، ثالثُها : أن يكون مجرورها وفاعل متعلَّقها ضميرين لمسمًّى واحد . قاله الأخفش ، وذلك كقول امرئ القيس : « دعْ عنك نهباً » ، البيت ، وذلك لئلاّ يؤدِّىَ إلى تعدِّى فعل المضمر المتّصل إلى ضميره المتّصل . وقد تقدَّم الجواب عن هذا . ومما يدلّ على أنّها ليست هنا اسماً أنّها لا يصحُّ حلول الجانب محلَّها . انتهى . يريد تقدَّمَ الجواب فى على بأنّه متعلِّق بمحذوف ، أو فيه مضاف محذوف ، أى عن نفسكَ .

والموضع الثانى فى أوّل الباب الخامس ، أورده كالأوّل .

والنهب : الغنيمةُ وكلُّ ما انتِهب . وهو على حذف مضاف ، أى ذِكْر نَهبٍ . و « صِيحَ » : مجهول صاح ، وفى حَجراته نائب الفاعل [1] . والحجَرات ، بفتح الحاء المهملة والجيم : جمع حَجْرة بسكون الجيم ، كتَمَرات جمع تَمْرة . والحَجْرة : الناحية ، والجملة صفة نَهْب ، أى صِيَح عليه فى حجراته . و « حديثاً » عامله محذوف ، أى ولكنْ حدِّثنى حديثا . وما استفهامية مبتدأ وحديثُ خبره . يقول : اترك ذكر الذى انتهبه باعثٌ وحدِّثنى عن الرواحل التى أنتَ ذهبت بها . وقد أخطأ ابن المُلاَّ من جهة المعنى والإعراب فى قوله : أى اتركْ نهبَ المال واشتغلْ بأمر النساء ذوات الرواحل . وما زائدة ، وحديثَ الرواحل بدل من حديثاً بدلَ معرفة من نكرة . انتهى .

---

(١) ش : « نائب فاعل »

وقوله : (كأنَّ دثاراً حلَّقت) إلخ دِثار هو راعى امرئ القيس ، وهو دثار ابن فَقْعَس بن طَريف ، من بنى أسد . وحَلّقت من التحليق ، وهو ارتفاع الطَّير فى الجوّ . و (اللَّبون) بفتح اللام وضم الموحدة من الإبل والشاة : ذات اللبن . وأراد الإبلَ التى لها ألبانٌ ، وهو اسم جنسٍ مضافٌ فيعمّ ، فيكون المراد الأفراد . قال الدماميني : قلت : وبتقدير أن يكون اضافةُ اسمِ الجنس تفيد العموم لم يتعيَّنْ أن يكون هذا مرادَ الشاعر ، إذْ يحتمل أن يكون المراد بلبونه واحِدةً [١] لا غير ، وليس فى اللفظ ما يدفعه ، فأين الجزْم بالعموم ؟ انتهى .

وهذا إيرادٌ منه على قول ابن هشام (فى المغنى) على البيت : « واللبون : نوقٌ ذات لبن [٢] » . وهذا ناشئٌ من عدم الاطِّلاع على منشأ الشعر .

٤٧٣ و (العُقاب) بالضم : طائر معروف . و (تَنُوفَى) بفتح المثناة الفوقية وضم النون وبعد الواو فاء فألف مقصورة . وروى أيضا (ينوفى) بالمثناة التحتية من أوله . وروى أيضا (تنوف) بالوجهين من أوَّله [٣] وبلا ألف فى آخره . هكذا ضبطه أبو عبيدٍ البكرى (فى معجم ما استعجم) عند ذكره القواعل ، وقال : تنوفى ، أى جبل مشرف ، وقال الأصمعى : هو موضع ببلاد طيّئ . وقال ابن جنّى : عقَبة مشهورة ، سمِّيت بالنَّوف وهو ما علا من الأرض ، وامرأة نِيَافٌ أى طويلة ، قلبت الواو ياء . والقواعل بفتح القاف وكسر العين المهملة على لفظ الجمع : أجبُلٌ من سَلْمَى فى بلاد طيِّئ . انتهى .

و (فى معجم البلدان لياقوت) قال ابن الكلبى : القَواعل : موضع فى جبل . وكان قد أغير على إبل امرئ القيس ممَّا يلى تَنُوف . وروى أبو عبيد :

---

(١) ط : « واخده » صوابه فى ش .

(٢) فى المغنى ٢٤٢ : « ذوات لبن » .

(٣) أى بالتاء والياء أيضا .

تنوفا . وقالوا : هو موضعٌ ، وهو جبل عال . قال الأصمعى : القواعل واحدتها قاعلة ، وهى جبال صغار . وقيل : القواعل جبل دُونَ تَنُوفى . انتهى .

وفى (شرح أبيات المغنى للسيوطى) : تنوفى بفتح المثناة الفوقية : جبل عال . والقواعل : جبال صغار . وفى أمالى ثعلب القَوعلة والقيعلة والجمع قواعل ، وأنشد البيتَ . قال ابن الكلبى : أخبث العِقبان ما أوَى فى الجبال المشرفة . وهذا مثلٌ . أراد كأنَّ دثارا ذهبت بلبونه ذاهبةٌ ، أى آفة . وأراد أنّه أُغِيرَ عليه من قِبَلِ تنوفى . انتهى .

وكذا قال العينى .

وقضيّة صاحب القاموس أنّه بالمدّ ، لأنّه قال : وتنوفاء كجلولاء : ثنيَّةٌ مشرِفة قُربَ القواعل . ويقال ينوفاء بالتحتيَّة ، فيكون محله ن و ف . وقال فيها : وينوفى أو تنوفي أو تنوف : موضع بجبلَىْ طيىء . انتهى .

ولم يضبطه أحدٌ بالمدّ ، وإنمّا هو شيءٌ قاله ابن جنِّى بحثاً كما يأتى .

وتنوفى من الأوزان التى استدرِكت على سيبويه بأنّه لم يذكرها . والأوزان التى استُدْرِكَتْ عليه ثمانية وخمسون وزناً ، على ما ذكرها ابن جنى (فى الخصائص) ، وأجاب عنها واحداً بعد واحد . قال : وأمّا تنوفى فمختلَفٌ فى أمرها ، وأكثر أحوالها ضعفُ روايتها والاختلافُ الواقع فى لفظها ، وإنّما رواها السكرى وأسنَدَها إلى امرىءِ القيس [1] فى قوله :

* عُقاب تنوفَى لا عُقابُ القواعِلِ *

والذى رويته عن أحمد بن يحيى :

---

(١) ط : « وأنشدها لامرىء القيس » ، وصواب النص من ش والخصائص ٣ : ١٩١ .

* عُقاب تنوفٍ لا عقابُ القواعلِ *

وقال : القواعل : آكام حولها . وقال أبو حاتم : هى [١] ثنية طىّ . وكذا رواها ابنُ الأعرابىّ ، وأبو عمرٍو الشَّيْبَانى . وروايةُ أبى عبيدةَ « تنوفى » . وأنا أرى أنّ تنوف ليست فعولاً بل هى تَفعُل من النَّوف ، وهو الارتفاع ، وسمِّيت بذلك لعلوّها . ومنه : أناف على الشئ ، إذا ارتفع عليه . والنيِّف فى العدد من هذا . وتنوفُ فى أنّه علَمٌ على تَفعُل بمنزلة يشكر ويَعصُر . وقلت مرّةً لأبى على ، وهذا الموضعُ يُقرَأ عليه (من كتاب أصول أبى بكر) : يجوز أن يكون تَنوفى مقصورة من تَنوفاء ، بمنزلة بَرُوكاء . فسَمِع ذلك وعرف صحَّته . وكذلك القول عندى فى مَسُولَى فى بيت المرَّار :

فأصبحتُ مهموماً كأنَّ مطيَّتِي بجيثُ مَسُولى أو بَوجْرَةَ ظالع [٢]

ينبغى أن تكون مقصورة من مَسُولاء بمنزلة جَلُولاء . فإن قلت : فإنَّا لم نسمع بتنوفى ولا بمَسُولى ممدودين ، ولو كانَا أو أحدُهما ممدوداً لخرج ذلك إلى الاستعمال . قيل : ولم يكثُر أيضا استعمالُ هذين الاسمين ، وإنما جاءا [٣] فى هذين الموضعين . بل لو كَثَر استعمالهما مقصورين لصحَّ ما أوردته [٤] ، فإنّه يجوز أن يكون ألف تنوفى إشباعاً للفتحة ، لا سيما وقد رويناه تَنوفَ مفتوحاً كما ترى ، وتكون هذه الألف ملحقةً مع الإشباع لإقامة الوزن . ألا تراها مُعادِلةً لياء مفاعيلن ، كما أنّ الألف فى قوله :

٤٧٤

---

(١) ط : « فى » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) فى النسختين : « طالع » بالطاء المهملة ، والصواب من الخصائص ومعجم ياقوت ، ومن ش مع أثر تصحيح . والبيت رابع أبيات ثلاثة فى معجم البلدان . والظالع من الظلع ، بالفتح ، وهو عرج يسير .

(٣) ط : « جاء » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٤) فى الخصائص : « لصح ما أردته ولزم ما أوردته » .

* يَنْباعُ من ذِفْرَى غَضوب جَسْرَةٍ [١] *

إنَّما هى إشباعٌ للفتحة طلباً لإقامة الوزن . ألا ترى [٢] أنَّه لو قال يَنبَع من ذِفرَى لصحَّ الوزن ، إلاَّ أنّ فيه زحافاً هو الخَزْل . كما أنّه لو قال تنوف لكان الجزء مقبوضاً . فالإشباع فى الموضعين إذَنْ إنَّما هو مخافةَ الزحاف الذى مثلُه جائزٌ . انتهى كلامه . هذا وقد رُوِى أيضا:

* عُقاب مَلاعٍ لاعقابُ القواعِلِ *

والمَلاَع بفتح الميم وبالعين المهملة ، قال صاحب الصحاح : هى المفازة التى لا نباتَ بها . ومن أمثالهم : « أودت به عُقابُ مَلاَع [٣] » ، قال أبو عبيدة : يقال ذلك فى الواحد والجمع ، وهو شبيه بقولهم : « طارت به العَنْقاء » ، و « حلَّقت به عَنْقاء مغرب » . وفى القاموس : المَلاَع كسحاب : المفازة لا نبات بها ، وكقطام وسحاب ، وقد يمنع . وأرض أُضيفت إليها عقاب فى قولهم : أودت به عقاب مَلاعِ ، أو مَلاعٌ من نعت العقاب ، أو عقاب ملاع هى العُقَيِّب التى تصيد الجُرذان ، فارسيَّته : موش خوار . انتهى .

وقال ابن دريد : الملع : السرعة . وعقاب مَلاع : سريع [٤] ، وأنشد :

* عُقاب مَلاعٍ لا عقاب القواعل *

(١) صدر بيت لعنترة فى معلقته . وعجزه :

* زيافة مثل الفنيق المكدم *

(٢) ط : « تراه » ، وصواب النص من ش والخصائص .

(٣) الدرة الفاخرة لحمزة ١ : ٧٧ وجمهرة العسكرى ١ : ٢٣٩ والميدانى والمستقصى ١ : ٢١ واللسان (ملع ٢١٩ قعل ٧٧) .

(٤) فى اللسان : « العُقاب مؤنثة وقيل العُقاب يقع على الذكر والأنثى ، إلا أن يقولوا : هذا عُقابٌ ذَكَرٌ » .

قال : وتفسير هذا البيت أنّ العقاب كلَّما عَلتْ فى الجبل كان أسرعَ لانقضاضها . يقول : هذه عقاب ملاع ، إذ العالى يَهوِى من علوِّه ، وليست بعقاب القواعل ، وهى الجبال الصغار . انتهى .

وقال حمزة الأصفهانى (فى أمثاله) : أبصر من عُقاب مَلاع ، قال محمد ابن حبيب : مَلاَع : اسم هَضْبة . وقال غيره : اسم الصَّحراء . ويقال للأرض المستوية الواسعة : مَلاع [١] . قال الشاعر :

كأنَّ دِثاراً حلّقت بلبونه * ... البيت .

وقال الزمخشرى (فى مستقصى الأمثال) : أبصر من عُقابٍ مَلاعٍ ، بالوصف ، ويروى : من عُقابِ مَلاعٍ بالإضافة . ومَلاعِ كقطام : الصَّحراء . وعقابُها أبصر من عُقاب الجبل . قال امرؤ القيس : « كأنّ دِثاراً حلَّقت » البيت . والقواعل : رءُوس الجبال . وقيل : مَلاع صفةٌ لها من المَلْع وهو السُّرعة . وليس بوجهٍ فى البيت ، لقوله : « لا عقاب القواعل » . ويجوز أن تكون غير منصرفة ، وعلى هذا تنوَّن فى البيت ، لأنّ غير المنصرف سائغٌ صرفهُ فى الشِّعْر ، ولا يستحسن إيثار منع الصرف مع القبض على سلامة الجُزء مع الصَّرف [٢] وبصَرُ العُقاب أنهّا تعرف من الجوّ أنثى الأرانب [٣] من ذكرها فتخطفُها ، لأنّ الذكر يَلتوى على عُنقها فيقتلُها . ومدح أعرابىٌّ رجلا فقال : « هو أصحُّ بصراً من العقاب ، وأيقَظُ عيناً من الغراب ، وأصدَق حسًّا من الأعراب » . انتهى .

---

(١) هذا تصرف من البغدادى . والذى فى كتاب حمزة : « ويقال للأرض المستوية الواسعة ميلع وصيلع أيضا » .

(٢) فى المستقصى : « مع الصرف هاهنا » .

(٣) هذا ما فى المستقصى . وفى النسختين : « الأرنب » .

وقوله : « وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّةِ خالدٍ » إلخ الحُزُقّة بضم الحاء المهملة والزاى المعجمة وتشديد القاف ، وهو القصير العظيمُ البطن . وخالدٍ بالجرّ : عطفُ بيانٍ له .

وقال العينى : الحُزُقّة لقبٌ ، ويقال ضَرْبٌ من المشْى . فمن جعله ضربا من المشى نصبَه ، ومن جعله لقباً رفَعه . انتهى .

ولم أفهم معناه ، على أنّ الحزقّة لم أره بمعنى المَشْى .

وحُلِّئَتْ بالبناء للمفعول،من حُلّئت الإبل عن الماء تَحلِئةً بالهمز ، إذا طرَدْتَها عنه ومنعتَها أن ترِدَه . والأَتان : أنثى الحمار شبَّهه بها تحقيراً له . والمناهل : جمع منهل كجعفر : المورد ، وهو عينُ ماءٍ ترده الإبل . كذا فى المصباح .

٤٧٥

وقوله : « أبَتْ أجأ » إلخ أجَأٌ بالهمز : جبل . وجاء فى الشعر غير مهموز . قال العجّاج :

فانْ تصِرْ لَيْلَى بسَلْمَى أو أجا أو باللِّوى أو ذى حُسًا أو ياجَجا [(١)]

وقال آخر [(٢)] :

إلى نَضَد من عبد شمس كأنّهم هِضابُ أجاً أركانُهُ لم تَقَصَّفِ [(٣)]

---

(١) ديوان العجاج ٣٥٧ – ٣٥٨ . وفى الديوان : « يأججا » بالهمز . وضبطه ياقوت بالهمزة وجيمين .

(٢) أنشده ياقوت فى (أجأ) لبعض الأعراب .

(٣) البيت مع قرين له بعده فى معجم ياقوت ، وهو :

قَلامِسةٌ سادوا الأمور فأحكموا سياستها حتى أقرت لمردف

والنضد ، بالتحريك : جماعة القوم وأعدادهم ، وكذا الأعمام والأخوال المتقدمون فى الشرف ، والجمع أنضاد .

ومن العجائب قول العينى (١) : أجأ (٢) أحد جبلى طيئ ، وهو مؤنّث ، ومن العرب من لا يهمزه ، وكذا هنا للضّرورة . انتهى . ولا يخفى أنّه لا يتّزِنُ البيتُ إلاّ بالهمزِ .

قال ياقوت (فى معجم البلدان) : أَجأ بوزن فَعَل بالتحريك مهموز مقصور ، والنسبةِ إليه أجَئِىٌّ بوزن أجَعِىّ . وهو عَلَم مرتَجَلٌ لاسمِ رجل سمِّى به الجبل . ويجوز أن يكون منقولا ، ومعناه الفِرار ، كما حكى ابنُ الأعرابىّ : أجأَ الرجلُ ، إذا فرّ (٣) . قال الزّمخشرى : أجأ وسلمى : جبلان عن يسار سَمِيرَاء . وقد رأيتُهما ، شاهقان . ولم يَقُلْ عن يسار القاصد إلى مكة أو المنصرِف عنها . وقال أبو عُبيدٍ السَّكونى : أجأ : أحد جبلَىْ طَيِّئ ، وهو غربىٌّ فيدٍ إلى أقصى أجأ وإلى القُرَيَّات من ناحية الشام . وبين المدينة والجبلين على غير الجادَّة ثلاثُ مراحِل . وبين الجبلين وتَيماءَ جبالٌ ، منها دَبَر ، وعِرْنان (٤) ، وغَسَل (٥) وبين كل جبلين يومٌ ، وبين الجبلين وفَدَك ليلة ، وبينهما وبين خَيبر خمسُ ليال .

---

(١) تجد هذا القول للعينى فى كتابه ٣ : ٣١٠ عند الكلام على هذا البيت بخاصة .

(٢) وليزيد العجبُ ، أذكر أن نص العينى « أجاء بالمد » فى بعض أصول العينى ، وفى بعضها الآخر : « أجا بالمد » ، وهو صواب نص العينى . ويقصد به مدّ الجيم بالألف التى بعدها .

(٣) فى النسختين : « معناه القرار ، كما حكى ابن الأعرابى : أجا الرجل إذا قر » ، صوابه فى معجم البلدان . وانظر اللسان (أجأ) .

(٤) عرنان ، بالكسر : جبل بين تيماء وجبلى طيئ . وكذا « دبر » بالفتح جبل بين تيماء وجبلى طيئ ، فيما روى السكونى فيهما . وفى ط : « وعنانى » صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وفى معجم البلدان محرفا : « وغريان » .

(٥) غسل ، بالتحريك : جبل بين تيماء وجبلى طيئ ، كما فى معجم ياقوت . وفى النسختين : « عسل » وضبطها الشنقيطى بكسر العين . والصواب ما أثبت من معجم ياقوت فى (أجأ) . و « غسل » بالغين المعجمة لا بالعين المهملة .

ذكر العلماء بأخبار العرب أنّ أجأ سمِّى باسم رجل ، وسلمى سمِّىَ باسم امرأة . وكان من خبرهما أنَّ رجلا من العماليق يقال له أجأ بن عبد الحَى ، عشِق امرأة يقال لها سَلمى ، وكان لها حاضنةٌ يقال لها العوجاء ، فكانا يجتمعان فى منزلها حتى نَذِرَ بهما إخوةُ سلمى [١] وهم : الغميم ، والمُضِلّ ، وفدك ، وقائد [٢] والحدَثَان ، وزوجُهَا . فخافت سَلمى وهربت هى وأجأ والعَوجاء ، وتبعهم زوجُها وإخوتُها فلحقوا سَلمى على الجبل المسمَّى سلمى ، فقتلوهَا هناك ، فسمِّىَ الجبلُ باسمها . ولحقوا العَوجاء على هَضْبة بين الجبلين فقتلوها هناك ، فسمِّى المكانُ بها ، ولحقوا أجأ فى الجبل المسمِّى باجأً فقتلوه فيه فسمِّى به ، وأنِفُوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فصار [٣] كلُّ واحدٍ إلى مكانٍ فأقام به ، فسمِّى ذلك المكانُ باسمه .

قال عبيد الله ياقوت : وهذا أحدُ ما استدَلَلْنا به على بُطلان ما ذكره النحويُّون من أنّ أجأ مؤنثّة غير منصرفة ، لأنَّه جبل مذكور سمِّىَ باسم رجل ، وهو مذكّر . وكان غاية ما التزموا به قولُ امرىء القيس :

أَبَتْ أجأٌ أن تُسلِمَ العامَ ... البيت .

وهذا لا حجَّة لهم فيه ، لأنّ الجبل نفسَه لا يُسلِم أحدًا ولا يُسْلَم ، إنَّما يمنع [مَنْ [٤]] فيه من الرجال . فالمراد : أبت قبائل أجأ أو سُكّان أجأ ، وما أشبهه ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه . يدلُّ على ذلك عجزُ البيت ، وهو قوله :

---

(١) نَذِروا بهما ، أى علموا . يقال أنذرتهم فنذروا بفتح النون وكسر الذال .

(٢) فى النسختين : « قائد » بالقاف ، صوابه فى معجم البلدان فى (أجأ) وفى (فائد) فى باب الفاء .

(٣) ياقوت : « فسار » .

(٤) التكملة من ش ومعجم ياقوت .

* فمن شاء فلينَهضْ لها من مُقاتِلِ *

والجبل نفسُه لا يُقاتِل ، والمقاتَلة مفاعَلة ، ولا تكون من واحد . ووقف على هذا مِنْ كلامنا نحويٌّ من أصدقائنا ، وأراد الاحتجاج والانتصارَ لقولهم ، فكان غايةُ ما قاله أنَّ المعاملة فى التذكير والتأنيث مع الظاهر ، وأنت تراه قال : « أبَتْ أجأ » فالتأنيث لهذا الظاهر ، ولا يجوز أن يكون للقبائل المحذوفة . فقلت له : هذا خلافُ كلامِ العرب ، ألا ترى إلى قول حَسّان :

٤٧٦ يَسقُونَ مَن وَرَدَ البريصَ عليهم بَرَدَى يُصفَّقُ بالرَّحيق السَّلسَلِ[١]

لَم يرْوِ أحدٌ قطُّ « يصفَّق » إلاّ بالياء آخرِ الحروف ، لأنّه يريد يُصفق ماء بَرَدَى ، فردَّه إلى المحذوف وهو الماء ، ولم يردَّه إلى الظاهر وهو بَرَدَى . ولو كان الأمر على ما ذكرتَ لقال تصفّق ، لأنَّ بَرَدَى مؤنّث لم يجئ على زِنته مؤنّث قطّ . وقد جاء الردُّ على المحذوف تارة وعلى الظاهر أخرى ، فى قوله عز وجل : ﴿ وكَم مِنْ قَريةٍ أهلكناها فجاءَها بأسُنا بياتاً أو هُمْ قائلون[٢] ﴾ ألا تراه قال : فجاءها ، فردّ على الظاهر ، وهو القرية ، ثم قال : أو هم قائلون ، فردَّ على أهلها وهو محذوف . وبعدُ فليس ههنا ما يتأوَّل به التأنيث إلاّ أنْ يقال إنّه أراد البقعة ، فيصير من باب التحكّم ، لأنَّ تأويله بالمذكَّرِ ضرورى ، لأنّه جبل ، والجبل مذكّر ، وإنّما سمِّى باسم رجلٍ بإجماع . ولو سألتَ كلَّ أعرابّي عن أجأ لم يقل إلاّ : إنَّه جبل ، ولم يقل بقعة . ولا مستنَد للقائِل بتأنيثه البتّة . ومع هذا فإنَّنى إلى هذه الغاية لم أقفْ للعرب على شعرٍ جاء فيه أجأ غير منصرف ، مع كثرة استعمالهم لتركِ صرفِ ما ينصرف فى الشعر ، ثم إنّى وقفتُ بعد ما سَطَرته على جامع شعر امرئ القيس

---

(١) ديوان حسان ٣٠٩ . وقد سبق فى ٤ : ٣٨١ وهو الشاهد ٣١٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الأعراف .

وقد نصَّ على ما قلته ، وهو أنّه قال : أجأ موضع ، وهو أحد جبلَى طَيِّئ ، والآخر سَلْمَى . وإنمّا أراد أهل أجأ كقول الله : ﴿ واسئَل القريَةَ [(١)] ﴾ ، يريد أهل القرية . ثم وقفتُ على نسخة أخرى فيها :

* أرى أجأ لم يُسلِم العامَ جاره *

قال : المعنى أصحابُ الجبل لن يسلموا جارَهم [(٢)] . انتهى كلام ياقوت .

وقوله : « أنْ تُسلِم » من أسلمه أى خذله . والجار هنا : المستجير والنزيل . وهذا حثّ منه وإغراءٌ للقيام بنصـرته وتخليصِ ما ذَهَب من إبله . و « مِن مقاتل » بيان لمن شاء .

وقوله : « تبيت لَبونى » إلخ هذا تصويرٌ لما إليه تَئُولُ حالُ إبله بعد إعانتهم له . و « القُرَيَّة » على لفظ مصغر القرية ، وهو موضع . و « أُمَّن » : جمع آمنة . هذا إن كان بضم الهمزة وتشديد الميم ، وإن كان بوزن اسم الفاعل فالمعنى إنّا أمِنّا عليها . و « أسرحُها » من سَرَحت الإبل ، من باب نفع ، أى جعَلتُها [(٣)] ترعى . ومثله سرَّحتها تسريحا . ويقال : سرَحَت الإبلُ سَرْحا وسُروحا ، إذا رعَتْ بنفسها ، يتعدّى ولا يتعدّى . وغِبًّا : يوما بعد يوم . والأكناف : النَّواحى . وحائل بالحاء المهملة والهمزة : اسم جبل .

وقوله : « بنو ثُعَل جيرانُها » ثُعَلُ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة : حىٌّ من طيئ . و « نابل » بالنون والموحَّدة . وروى بالهمزة . ونابلٌ وسعدٌ : حيَّان من طيئ .

---

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) فى معجم البلدان : « لم يسلموا جارهم » .

(٣) ط : « جعلها » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « تلاعبُ أولادَ الوعول » مفعول ، و « رباعُها » فاعل ، وهو جمعُ رُبَع بضم ففتح ، وهو ما نُتج فى الربيع . والوَعِل : تيسُ الجبل . يريد أنّ أولاد إبله تلاعب أولادَ الوعول وتَرعى معها للأَمْن . و « المعاقل » : الجبال ، وروى بدله : « المجادل » بالجيم ، الواحد مِجْدل ، وهو القَصْر (١) ، وأراد بها الجبال . قاله العينى .

وقوله : « مكلَّلة » أى هذه المعاقل والجبال مكلَّلة بالصخور . والأَسِرَّةُ : الطُّرُق ، جمع سِرار بالكسر . والحُبُك بضمتين : الطرائق . والوصائل : جمع وصيلة ، وهو ثَوْب أمعر الغَزْل (٢) فيه خطوط . وقال السُّيوطىُّ : المَجَادل : الجبال العالية . ومكلَّلة : مغطّاة . والأَسرَّة : الطرائق ، وكذلك الحُبُك . والوسائل : ثيابٌ حُمر مخطَّطة .

وترجمة امرىء القيس تقدَّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (٣) .

* * *

٤٧٧ وأنشد بعده :

(إنمَّـا يَجـزِى الفَتـى ليسَ الجَمَـلْ)

هو عجز وصدره :

(فإذا أقــــرضْتَ قَرضاً فاجـــزِهِ)

---

(١) القصر المُشرِف . والمِجدل بكسر الميم .

(٢) يريد بالأمعر أنه أملس لا زِئبَر له . ومن قولهم : رجل أمعر قليل الشعر ، ومكان أمعر : قليل النبات .

(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

على أنَّ بعضهم قال : (ليس) فيه عاطفة . والظاهر أنَّها على أصلها ، أى ليس الجمل جازياً . والأول مذهب البغداديِّين ، احتجُّوا بهذا البيت على أنَّ ليس عاطفة ، قالوا : كما تقول : قام زيدٌ ليس عمرو ، فعمرو معطوف على زيد بليس ، كما تقول : قام زيدٌ لا عمرو . فليس محمولة على لا فى العطف .

قال أبو حيان : وحكى النَّحَّاس وابن بابشاذَ هذا المذهب عن الكوفيِّين . وحكاه ابن عصفور عن البغدادِّيين. قال أبو العباس ثعلب (فى أماليه) : مررت بزيد ليس عمروٍ ، قال الكسائى : لا نُجيزه إلاَّ مع الباء . والفراء [لا [1]] يلزَمُه أن يقوله ، لأنَّ الكسائى يقول : الثانى محذوف مطلوب ، وإذا جاء الخفض لم يُحذف الخافض والفعل . والفرّاء يقول : إذا حسُنت ليس موضعَ لا جاز . وأنشد :

* إنّما يَجزِى الفَتَى ليس الجَمَلْ *

قال سيبويه : يقول [2] : ليس الجمل يجزى . فجعله فعلاً محذوفا واستراح . قال أبو العبّاس : وأول ما ينبغى أن نَقول للكسائى : لم حذفتَ الثانىَ وطلبتَه . انتهى كلامه .

ولا عندهم مخصوصة بعطف الاسم كما مُثّل . قال صاحب اللباب : ولا لتنفيَ ما وَجب للأوّل ، وتختصُّ بالاسم . وقد جعل ليس مرادفاً لها فى قوله :

* إنما يجزِى الفتى ليس الجَمَلْ *

والصحيح أنّه على أصله . انتهى .

وبقاؤها على أصلها يكون بأحد شيئين :

---

(١) التكملة من مجالس ثعلب ٥١٤ .

(٢) يقول ، أى الشاعر . ط : « تقول » ، صوابه فى ش .

الأوّل : ما أجاب بِه الشارح المحقق ، من أنّ الجَمَل اسمُها والخبر محذوف ، أى ليس الجمل جازياً ، أو ليس الجمل يَجزِى . والعرب قد تحذف خبر ليس فى الشعر ، كقوله :

لَهْفَى عليك لِلَهفةٍ من خائِفٍ   يَبغى جِوارَكَ حين ليس مُجيرُ (١)

فليس فى هذا البيت ليست عاطفة باتفاق ، ولا يُتصوَّر العطف فيها ، وخبرها محذوف ، أى ليس مجيرٌ فى الدنيا .

والثانى : أن يكون الجَمَل خبر ليس ، وسكن للقافية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يَجزى ، أى ليس الجازى الجمل . كذا فى شرح اللباب للفالى (٢) .

وهذا البيت من قصيدة للبيد ، وقد شرحنا منها جملةً فى الشاهد الرابع والأربعين بعد السبعمائة (٣) .

---

(١) لعبد الله بن أيوب التيمى ، فى رثاء منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى ، ويروى أيضا لشمردل الليثى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣١٣ . وانظر الخزانة ٤ : ١٧١ .

(٢) ط : « للقالى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخزانة ٩ : ٢٩٧ – ٣٠٤ .

حـروف التنبيه

أنشد فيها :

(ألا رجلاً جَزَاهُ اللهُ خيراً)

على أنَّ (ألاَ) قد تجيء عند الخليل حرفَ تحضيض .

قال سيبويه [١] : وسألت الخليلَ رحمه الله عن قوله :

ألاَ رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً يدُلُّ على محصِّلةٍ تبيتُ

فزعم أنَّه ليس على التمنّى ، ولكنه بمنزلة قول الرجل : فهلاَّ خيراً من ذلك ، كأنّه . قال : ألاَ تُرونَنى رجلاَ جزاه الله خيرا . وأمّا يونس فزعم أنّه نوَّنَ مضطرّاً . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ رجل وتنوينه ، لأنّه حُمل على إضمار فعل وجَعْلِ ألاَ حرفَ تحضِيضٍ ، والتقدير : ألاَ تُروننى رجلاً . ولو جعلها ألاَ التى للتمَنِّى لنصَبَ ما بعدها بغير تنوين . هذا تقدير الخليل وسيبويه . ويونس يرى أنّه منصوب بالتمنى ، ونُوِّن ضرورة . والأوّل أولى لأنّه لا ضرورة فيه . وحروف التحضيض مما يحسُن إضمار الفعل بعدها . والمحصِّلة : الامرأة [٢] التى تحصِّل الذهب من تراب المعدِن وتخلِّصه منه ، طَلَبها للمبيت .

٤٧٨

---

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ .

(٢) كذا فى النسختين . والذى فى الأعلم : « وأراد بالمحصلة امرأة تحصل الذهب » . وفى اللسان بعد الكلام على « امرؤ » : « وألحقُوا ألف الوصل فى المؤنث أيضا فقالوا امرأة ، فإذا عرّفوها قالوا : المرأة . وقد حكى أبو على : الامرأة » .

وفى البيت تضمينٌ ، لأنَّ خبر تُبيت فى بيتٍ بعده ، وهو :

تُرجِّـل لِمَّتـى وتقُـمُّ بيتـى   وأعِطيها الإتاوةَ إن رَضِيتُ

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الثالث والستين بعد المائة [١] .

* * *

وأنشد بعده :

(تَعَلَّمَنْ ها لَعمرُ اللهِ ذا قسماً   فاقدُرْ بِذَرعِكَ وانظُرْ أين تنسلكُ)

على أنّه يفصل كثيراً بين ها التنبيه وبين اسم الإشارة بجملة القسم .

وهذا خلافُ ما تقدَّم منه فى باب اسم الاشارة ، قال هناك : ويُفصَل ها التنبيه عن اسم الاشارة بأنا وأخواتِه كثيراً ، نحو : هأنَذَا ، وبغيرها قليلٌ وذلك إمّا قَسَم ، كقوله :

* تعلمَنْ ها لعمرُ اللهِ ذا قسماً *

أو غيرُ قسم كقوله :

* ها إنّ تا عِذرةٌ [٢] *

ونحو :

* فقلت لهم : هذا لها ها وذاليا [٣] * ... انتهى .

---

(١) الخزانة ٣ : ٥١ — ٥٥ .

(٢) هو الشاهد ٤١٣ فى الخزانة ٥ : ٤٥٩ ، وهو للنابغة . والبيت بتمامه :

ها إن تا عذرة إن لم تكن نفعت   فإنَّ صاحبها قد تاه فى البلدِ

(٣) هو الشاهد ٤١٤ فى الخزانة ٥ : ٤٦١ . وصدره :

* ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا *

وتقدّم هناك فى الشاهد الثانى عشر بعد الأربعمائة [١] نقلُ كلام سيبويه عند هذا البيت ، وليس فيه ما يدلُّ على كثرة وقلة .

قال الأعلم : الشاهد فيه تقديم ها التى للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما بقوله لعمر الله ، والمعنى لعمر الله هذا ما أقسم به . ونصب قسَمًا على المصدر المؤكِّد لما قبله ، لأنّ معناه [أُقسِمُ [٢]] ، فكأنه قال : أُقسِم لعمر الله قَسَماً . فذا عند الخليل هو المحلوف عليه ، فكأنّه قال : واللهِ الأمرُ هذا ، فحذف الأمر وقدَّم ها . وعند غيرِهِ المعنى : هذا ما أقسم به .

وتعلَّم بمعنى اعلَمْ ، لا يستعمل إلاَّ فى الأمر . وقوله : « فاقدُر بذرعك » أى قدِّر لخَطْوك . والذَّرْع : قَدرُ الخطو . وهذا مثَل ، والمعنى : لا تَكَلَّفْ ما لا تطيقُ منِّى . يتوعَّده بذلك ، وكذلك قوله : « وانظر أين تنسلك » . والانسلاك : الدُّخول فى الأمر . والمعنى : لا تُدْخِلْ نفَسك فيما لا يعنيك ولا يُجدِى عليك

* * *

وأنشد بعده :

(ها إنَّ تَاعِذرةٌ)

على أنّ الفصل بين ها وبين تا بإنَّ ، وهى غير قسم وغير ضمير مرفوعٍ منفصلٍ ، قليلٌ .

وهو قطعة من بيت ، وهُو :

(ها إنّ تا عِذرةٌ إن لم تكن نفعَتْ   فإنَّ صاحبَها قد تاهَ فى البلدِ)

---

(١) الخزانة ٥ : ٤٥١

(٢) التكملة من الشنتمرى ٢ : ١٤٥ . والنص مع هذا مبتور فى شرح الشنتمرى المطبوع على هامش سيبويه .

وتا اسم اشارة بمعنى هذه ، لمَا ذكره قبله فى القصيدة ، من يمينِه على أنَّه لم يأت بشيء يكرهه .

و (تا) مبتدأ و (عِذرةٌ) خبرها . وهى بكسر العين اسم للعُذر بضمها . وقوله : (إنْ لم تكن) إلخ صاحبها أى صاحب العِذرة ، ويعنى به نفسَه . يريد إن لم تقبل عُذرى وترضَ عنِّى فإنِّى أختلُّ حتى إنّى أضِلُّ فى البلدة التى أنا فيها ، لعظم الخَوف الذى حصلَ من وعيدك .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فقلتُ لهمْ هذا لها ها وذَالِيَا)

لما تقدَّم قبله . وهذا عجزٌ وصدره :

(ونحن اقتسْمَنا المالَ نِصفَينِ بيننا)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابعَ عشر بعد الأربعِمائة (٢) . ٤٧٩

* * *

وأنشد بعده :

(يا ربَّتما غارةٍ)

هو قطعة من بيت وهو :

(مَاوِىَّ يا رُبَّتَمَـــا غارةٍ شَعواءَ كاللَّذعَةِ بالمِيسَمِ)

---

(١) انظر ما سبق قريبا فى الحواشى .

(٢) الخزانة ٥ : ٤٦١ .

على أنَّ « يا » فيه عند ابن مالك للتنبيه ، لدخولها على ما يفيد التقليل ، وهو ربّ [١] .

وفيه نظر ، لأنّ ربَّ فى البيت للتكثير لا للتقليل ، لأنّه فى مقام الافتخار والتمدُّح ، كما يأتى بيانه .

وما نَقَل عن ابن مالك هنا قاله فى باب تتميم الكلام على كلماتٍ مفتقِرةٍ [٢] إلى ذلك ، (من التسهيل) ، قال : وأكثر ما يلى يا نداءٌ أو أمرٌ أو تمنّ أو تقليل .

قال شارحه المرادىّ : يعنى بالنداء المنادى ، وأطلق المصنف على التى للنداء أنّها حرف تنبيه ، لأنَّها تنبيهٌ للمخاطب . وقد أشار إليه سيبويه . وكلامه هنا يدلُّ على أنّها إذا وليَها فعلُ أمر لا تكون للنداء ، بل لمجرد التنبيه . وهو خلاف ما قدَّمه فى باب النداء . وقد تدخل على الدعاء كقوله :

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهمُ ... والصَّالحينَ على سِمْعانَ مِنْ جارِ [٣]

وعلى حبَّذا كقوله :

* يا حبَّذا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِن جبلٍ [٤] * ...انتهى .

وكلامه فى باب النداء أجْوَد ، قال فيه : وقد يحذف المنادى قبل الأمر

---

(١) الذى فى الرضى ٢ : ٢٥٤ : « وقد عد ابن مالك يا من حروف التنبيه وقال : وأكثر ما يليها منادى ، أو أمر نحو ألا يا اسجدوا ، أو تمن نحو : ياليتنى كنت معهم ، أو تقليل نحو : يا ربتما غارة . وقد يليها فعل المدح والذم والتعجب » .

(٢) أى مفتقرة ومحتاجة إلى تتميم الكلام عليها . وفى ط : « متفرقة » ، صوابه فى ش والتسهيل لابن مالك ٢٤٢ .

(٣) من شواهد سيبويه ١ : ٣٢٠ بولاق والكامل ٤٧ ، ٤٨ والإنصاف ١١٨ والمغنى ٣٧٣ . وهو مجهول القائل .

(٤) لجرير فى ديوانه ٥٩٦ . وهو من شواهد ابن يعيش ٧ : ١٤٠ والهمع ٢ : ٨٨ . وعجزه :

* وحبذا ساكن الريان من كانا *

والدعاء فتلزم يا . وإنْ وليَها ليت أو ربَّ أو حبَّذا فهى للتنبيه لا للنداء . انتهى .

فيا إنَّما تكون عنده حرف تنبيه إذا وليَها أحدُ الثلاثة الأخيرة .

وقد شرح كلامه هذا (فى التوضيح [١]) شرحاً شافيا ، قال عند قول ورقة بن نوفل : « يا ليتنى أكون حَيّاً إذْ يُخرِجُك قومُك » : يظنُّ أكثرُ الناس أنَّ يا التى تليها ليت حرف نداء ، والمنادى محذوف ، فتقدير قول ورقة : يا محمدُ ليتنى كنت حيّاً ، وتقدير قوله تعالى : ﴿ ياليتَنى كنتُ مَعهُم [٢] ﴾ : يا قوم ليتنى . وهذا الرأى عندى ضعيف ، لأنَّ قائل يا ليتنى قد يكون وحدَهُ ، فلا يكون معه منادى لا ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتَنى مِتّ قَبْلَ هذا [٣] ﴾ ، ولأنّ الشيء إنَّما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضعُ الذى ادُّعى فيه حذفُه مستعملاً فيه ثبوتُه ، كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء ، فإنّه يجوز حذفُه لكثرة ثبوته ، فإنَّ الآمِر والدَّاعىَ يحتاجان إلى توكيد اسم المأمور والمدعوّ ، بتقديمه على الأمرِ والدعاء . واستُعمِلَ ذلكَ [٤] كثيرا حتَّى صار موضعُه منبِّهاً عليه إذا حُذِف . فحسُنَ حذفُه لذلك .

فمن ثبوته قبل الأمر : ﴿ يآدمُ اسكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجَنّة [٥] ﴾ و ﴿ يا بنى إسرائيلَ اذكُروا نِعْمَتِىَ [٦] ، ﴾ و ﴿ يا بنى آدم خُذوا زِينَتَكم [٧] ﴾ ،

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ٤ – ٩ .
(٢) الآية ٧٣ من سورة النساء .
(٣) الآية ٢٣ من سورة مريم .
(٤) ط : « بذلك » ، صوابه فى ش والتوضيح .
(٥) الآية ٣٥ من سورة البقرة .
(٦) الآية ٤٠ من سورة البقرة .
(٧) الآية ٣١ من سورة الأعراف .

و ﴿ يإبراهيمُ أعْرِضْ عن هذا [١] ﴾ ، و ﴿ يا يحيى خُذِ الكتابَ [٢] ﴾ و ﴿ يا بُنَىّ أقِمِ الصّلاة [٣] ﴾ ، و ﴿ يأيُّها النبىُّ اتّقِ الله [٤] ﴾ .

ومن ثبوته قبل الدعاء : ﴿ يا موسى ادْعُ لنا رَبّكَ [٥] ﴾ ، و ﴿ يأبانا استغفِرْ لنا [٦] ﴾ ، و ﴿ يا مالِكُ لِيَقْضِ علينا ربُّك [٧] ﴾ .

ومن حذف المنادى المأمور فى قراءة الكسائى : ﴿ ألاَ يا اسْجُدوا [٨] ﴾ أراد : ألا يا هؤلاء اسجُدوا . فحسَّنَ حذفَ المنادى قبل الأمر والدعاء اعتيادُ ثبوته فى محلّ ادعاء الحذف ، بخلاف ليت فإنّ المنادى لم تستعمله العربُ قبلها ثابتا . فادِّعاء حذفِه باطل ، لخلوِّهِ من دليل ، فيتعيَّن كون لا التى تقع قبلها لمجرد التنبيه ، مثل ألاَ وهَا ، ومثلُ يا الواقعة قبل ليت فى تجرُّدها للتنبيه الواقعةُ قبلَ حبَّذا ، فى قول الشاعر [٩] : ٤٨٠

يا حبَّذا جبلُ الرّيّانِ مِنْ جبلٍ وَحبّذا ساكُن الرّيّانِ مَنْ كانا

وقبل ربِّ فى قول الراجز :

يا ربَّ سارٍ باتَ ما توسَّدا إلاّ ذراعَ العِيسِ أو كفَّ اليَدَا [١٠]

---

(١) الآية ٧٦ من سورة هود .

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم .

(٣) الآية ١٧ من سورة لقمان .

(٤) الآية الأولى من سورة الأحزاب .

(٥) الآية ١٣٤ من سورة الأعراف .

(٦) الآية ٩٧ من سورة يوسف .

(٧) الآية ٧٧ من سورة الزخرف .

(٨) الآية ٢٥ من سورة النمل . وهى قراءة ابن عباس ، وجعفر ، والزهرى ، والسلمى ، والحسن ، وحميد ، والكسائى من السبعة . وقراءة باقى السبعة : « ألاّ يسجدوا » باللام المشددة والمضارع المنصوب بعدها بأن المدغمة فى اللام . وانظر باقى القراءات فى تفسير أبى حيان ٧ : ٦٨ .

(٩) هو جرير فى ديوانه ٥٩٦ من قصيدة طويلة يهجو بها الأخطل

(١٠) الرجز مجهول القائل ، وهو فى معجم الشواهد . وقد سبق فى ٧ : ٤٩٨ . وهو الشاهد ٥٦٧ . ويروى : « ذراع العنس » بالنون ، وهما روايتان صحيحتان .

انتهى كلامه باختصار .

وقوله : (ماوىَّ يا رُبَّتما غارةٍ) منادى مرخّم ماويَّة ، اسم امرأة . وما فى ربَّتما زائدة ، وغارةٍ مجرورة برُبّت . و (الشَّعْواء) بالعين المهملة : الغارة المنْتشِرة . واللَّذْعة بالذال المعجمة والعين المهملة : مصدر لذعَتْه النار ، أى أحرقَتْه . و (الميسم) : ما يُوسَم به البعير بالنار . وجواب رُبَّ فى البيت الذى بعده ، وهو :

ناهَبْتُها الغُنْمَ على طَيِّع أجردَ كالقِدْح من السَّاسَمِ)

أى نهبتُ بالغارةِ الغنيمةَ على فرسٍ طيِّع مُنقادٍ لراكبه . والقدح بالكسر : السهمُ قبل أن يُراش . والساسَمُ : خشب الآبِنوس . وهذا كما ترى افتخارٌ لا يليق به القِلَّة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الستين بعد السبعمائة (١) .

---

(١) الخزانة ٩ : ٣٨٤ – ٣٨٦ .

حروف الإيجاب

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد التسعمائة [١]:

٩١٣ (أليسَ اللَّيلُ يجمعُ أُمَّ عَمرٍو وإيّانــا فذاكَ بنــا تَدانــي

نَعَـمْ وتَـــرَى الهلالَ كما أراهُ ويَعلُوهـا النَّهـارُ كما عَلاَني)

على أنّ (نَعَمْ) هنا لتصديق الخبر المُثْبَت المؤوَّل به الاستفهام مع النفى ، فكأنّه قيل : إن اللَّيل يجمع أمَّ عمرٍو وإيّانا نَعَمْ ، فإنّ الهمزة إذا دخلت على النافى تكون لمحض التقرير ، أى حَمْلِ المخاطَب على أن يقرَّ بأمرٍ يَعرفهُ ، وهى فى الحقيقة للإنكار . وإنكارُ النَّفيِ إثبات .

ومراد الشارح المحقِّق بهذا التوجيهِ والشاهدِ ، الردُّ على ابن الطَّراوة ، فى زعمه أنّ مجىء نعم بعد الاستفهام الداخل على النافى لحنٌ ، والواجبُ مجىء بَلَى ، فإنّه قد لحَّن سيبويه بمثله (فى باب ما يجرى عليه صفةُ ما كان من سببه) ، قال فيه : وإنْ زعم زاعمٌ أنّه يقول : مررت برجل مخالط بدنِهِ داءٌ ، ففرَقَ بينه وبين المنَوَّن . قيل له : ألستَ قد علمت أنّ الصّفة إذا كانت للأوّل فالتنوين وغير التنوين سواءٌ إذا أردتَ بإسقاط التنوين معنى التنوين ، نحو قولك : مررت برجل ملازمٍ أباك ، ومررت برجلٍ ملازمِ أبيك أو مُلازِمِك ، فإنّه لا يجد بُدّاً من أن يقول : نعم ، وإلاّ خالفَ جميعَ العرب والنَّحويِّين . فإذا قال ذلك قلت : أفَلستَ

(١) الشعراء ٤٤٢ وأمالى القالى ١ : ٢٨٠ والسمط ٦١٧ والمقرب ١ : ٢٩٤ والمغنى ٣٤٧ .

تجعَل هذا العملَ إذا كان منوّنا وكان لشيء من سبب الأوّل أو التبَسَ [١] به بمنزلته إذا كان للأوّل ، فإنّه قائلٌ : نعم . انتهى كلامه [٢] .

قال أبو حيان (فى تذكرته) بعد أن نقل كلام سيبويه : قد لحَّن ابنُ الطَّراوة سيبويه فى استعماله نعم فى هذين الموضعين ، وقال إنمّا هو موضع بَلَى لا موضع نَعم . وهو كما قال فى أكثرِ ما يُوجَد من كلام النحاة ، وهو لا شكَّ أكثر فى الاستعمال ، وعلى ذلك جاء ما يروُون عن ابن عبّاس ، من قوله فى قول الله تعالى : ﴿ ألسْتُ بربِّكم [٣] ﴾ إنّهم لو قالوا نعم لكفَرُوا . ولكنْ قد يوجد مع ذلك خلافه . قال الشاعر :

٤٨١

* أليس اللَّيلُ يجَمعُ أُمَّ عمروٍ * ..البيتين .

ويفتقر كلام ابن عبّاس مع وجود قول هذا القائل إلى فَضْلِ نظر ، وهو أن يقول : (نعم) فى قول الشاعر ليس بجواب ، لأنَّ الجواب بنعم إذا جاء بعد الاستفهام إنمَّا يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام . ولم يرد الشاعر أن يصدِّق أنّه لا يجمعه اللَّيلُ مع أمِّ عمرو ، فلذلك يكون بنو آدم إذا قالوا فى جواب : ألست بربِّكم : نعم ، كفّاراً ، لأنَّ الجواب بنعم يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام من النَّفى ، وهو الأكثر فى الاستعمال ، ولكنَّه لا يمتنع مع ذلك أنْ يقولوا نعم ، لا على الجواب ، ولكن على التَّصديق ، لأنّ الاستفهام فى ألست بربكم تقرير ، والتقرير خبر موجب ، فإذا كان التقرير خبراً معناه الإيجاب جاز أن يأتى نعم ، كما يأتى بعد الخبر الموجَب للتصديق . وإذا كان الأمر كذلك لم يكن فى

(١) هذا نص سيبويه ١ : ٢٢٧ بولاق ٢ : ١٩ هارون . وفى ط : « والتلبس به » تحريف . وفى ش : « والتبس به » .

(٢) الكلام مبتور ، وإنما قصد بالاقتباس أن سيبويه استعمل « نعم » فى جواب النفى .

(٣) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

إجازة نعم فى الآية وفى الشِّعر مخالَفةٌ لابن عباس فيما قاله ، لأنَّهما لم يتواردا على معنىً واحد ، فإن الذى منعه إنمَّا منعه على أنّ نعم جواب ، وإذا كان جواباً إنَّما يكون تصديقا لما بعد ألف الاستفهام ، والذى أجازه إنَّما أجازه على أن تكون نعم غيرَ جواب . وإتمام نعم فيه على وجه التصديق ، كما فى قولك : نعم ، لمن قال قام زيدٌ . انتهى كلامه . واختصره المراديُّ (فى الجنى الدانى) .

فقد اتفق الشارحُ المحقِّق وأبو حيَّان فى هذا التوجيه .

وقد جاء فى الحديث مثلُ ذلك الشعر ، وهو قول الأنصار للنبى ﷺ [وقد قال لهم [1]] : ألستم ترون [لهم] ذلك ؟ قالوا : نَعَم .

وهذا التوجيه نسبه ابن هشام (فى بحث نَعَمْ من المغنى) إلى جماعة من المتقدِّمين والمتأخِّرين ، منهم الشَّلَوبين ، قال الشَّلَوْبين : إذا كان قبل النفى استفهامٌ فإنْ كان على حقيقته فجوابه كجواب النَّفى المجرد ، وإن كان مراداً به التقرير فالأكثر أن يجاب بما يجاب به النَّفى ، رعياً للفظه . ويجوز عند أَمْن اللَّبس أن يجاب بما يجاب به الإيجاب ، رعياً لمعناه . ألا ترى أنّه لا يجوز بعده دخولُ أحدٍ ، ولا الاستثناءُ المفرَّغ ؛ لا يقال : أليسَ [2] أحدٌ فى الدار ، ولا أليس فى الدَّارِ إلاّ زيد . وعلى ذلك جاء قولُ الأنصار وقولُ الشاعر : نعم ، بعد النفى المقرون بهمزة الاستفهام .

قال ابن هشام : وعلى هذا جرى كلامُ سيبويه ، والمخطِّىء مُخْطِىء .

وقال (فى بحث بلى) : أجْرَو النفىَ مع التقرير مُجرَى النفى المجرَّد فى ردِّه ببلى ، ولذلك قال ابن عباس وغيره : لو قالوا نَعَم لكفروا . ووجُهه أنّ نعم تصديقٌ

---

(١) هذه التكملة وتاليتها من المغنى ٣٤٧ .

(٢) ط : « ليس » ، صوابه فى ش والمغنى .

للمخبر بنفى أو إيجاب ، ولذلك قال جماعة من الفقهاء : لو قال : أليس لى عندك ألفٌ . فقال : بلى ، لزمته . ولو قال : نعم ، لم تلزمْهُ . وقال آخرون : تلزمه فيهما . وجَرَوا فى ذلك على مقتضى العُرف لا اللغة . ونازع السُّهيلىُّ وغيرُه فى المحكىّ عن ابن عبّاس وغيرِه فى الآية ، مستمسِكينَ [١] بأنّ الاستفهام التقريرى خبرٌ موجَبٌ ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أمْ متَّصلة فى قوله تعالى ﴿ : أفَلاَ تُبصِرُونَ أم أنا خيْر [٢] ﴾ ، لأنَّها لا تقع بعد الإيجاب . وإذا ثبت أنه إيجابٌ فنَعمْ بعد الإيجاب تصديقٌ له . انتهى .

ويشكل عليهم أنّ بلى لا يجاب بها الإيجاب ، وذلك متَّفق عليه .

٤٨٢ قال الدمامينى : لا إشكال ، فإنَّ هؤلاء راعَوْا صورة النفى المنطوق به ، فيجاب ببلى حيث يراد إبطال النفى الواقعِ بعد الهمزة ، وجوَّزُوا الجوابَ بنَعَمْ على أنّه تصديق لمضمون الكلام جميعه : الهمزةِ ومدخولها ، وهو إيجاب . ودعواه الاتّفاقَ منازَعٌ فيها . أمّا إنْ أراد الإيجابَ المجرَّدَ من النفى أصلاً ورأساً فقد حكى فيه الرضىُّ الخِلافَ . وأمّا إن أراد ما هو أعمُّ حتّى يشمل التقرير المصاحِبَ للنفى فالخلاف موجود مشهور ، ذكره المصنِّف عن الشَّلوبين وغيره فى نَعَمْ وهنا أيضاً ، بقوله : إنَّهم أجرَوْا النَّفَى مع التقرير مُجرى النفى المجرَّد فى ردِّه ببلى . انتهى .

هذا وقد قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأمَّا قول جَحْدر :

* أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرٍو * ... البيتين .

فليس نصّاً فى أنّ التقرير يجاب بنعم . انتهى .

---

(١) هذا ما فى ش والمغنى . وفى ط فقط : « متمسكين » .

(٢) الآيتين ٥١ ، ٥٢ من سورة الزخرف .

فلا يُدفَعُ التناقضُ بين كلام ابن عباس وكلام غيره بما ذكره الشارح المحقِّق ، فلا بدَّ من دليل سمعيٍّ يبين جواز ذلك . قال أبو حيان : ولم يُذكَر سِوَى بيتَىْ جحدر ، وقد ذُكر له عدَّةُ تأويلات ، فلا يقوم بمثله حُجّة على اثبات ما ثبت فى اللسان العربىِّ خلافُه . انتهى .

وقد أُوِّل بثلاثة تأويلات :

أحدها : لابنِ عصفور [١] ، وهو أن تكون نعم فيه جواباً لغير مذكور ، قال : أجْرت العرب التقرير فى الجواب مجرى النَّفى المحض وإن كان إيجاباً فى المعنى . فإذا قيل : ألم أُعطك درهما ، قيلَ فى تصديقه : نعم ، وفى تكذيبه : بلى ، وذلك لأنّ المقرِّر قد يوافقك فيما تدَّعيه وقد يخالفك ، فإذا قال نعم لم تعلم هل أراد نعم لم تُعطِنى على اللفظ ، أو نعم أعطيتنى على المعنى ، فلذلك أجابوه على اللفظ ولم يلتفِتوا إلى المعنى . وأمَّا نعم فى بيت جَحْدر فجوابٌ لغير مذكورٍ ، وهو ما قدَّره فى اعتقاده أنّ الليلَ يجمعه وأمَّ عمرو . وجاز ذلك لأمْنِ اللَّبس ، لعلمه أنَّ كلَّ أحدٍ يعلم أنَّ الليل يجمعه وأُمّ عمرو . وأمَّا قول الأنصار فجاز لزوال اللَّبْس ، لأنّه قد علم أنَّهم يريدون نعمْ نَعْرِف لهم ذلك . وعلى هذا يُحمَل استعمالُ سيبويه لها بعد التقرير . انتهى .

ثانِيها : لابن عصفور أيضا : أنّه جوابٌ لما بعده ، كقولهم : نعمْ هذه أطلالهم . قال : ويجوز أن تكون جواباً لقوله : « وترى الهلال » البيت . وفيه نظر ، لأنّ قوله : « وترى الهلال » عطفٌ على ما قبله ، فهو داخل تحت التقرير .

ثالثها : لأبى حَيّان ، وتبعه ابن هشام ، قال : الأحسن أن تكون جواباً لقوله : « فذاك بنا تدانى » ، فتكون الجملة معترضةً بين المتعاطفين ، وليست داخلة تحت التقرير، وتقدَّمَتْ على نَعَمْ لفظا ومعنىً .

---

(١) النص لم يرد فى المقرب ولا فى الضرائر ، ولعل ابن هشام فى المغنى ٣٤٧ قد نقله من مصدر آخر .

ورأيت فى ترجمة جميل بن مَعْمرٍ العُذرىّ (من كتاب الشعراء لابن قتيبة) روايةَ البيت الثانى كذا :

* أرى وضَحَ الهلال كما تراه [١] *

وقد رواه السُّكّرى (فى كتاب اللصوص ، فى نسخة قديمة صحيحة) .

* بلى وترى الهلال كما أراه *

وعليهما لا شاهدَ فيه .

قال ابن هشام : ويتحرَّر على هذا أنه لو أُجِيب ألستُ بربِّكم بنعم لم يكْفِ فى الإقرار ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أوجَبَ فى الإقرار بما يتعلّق بالرُّبوبية العبارةَ [٢] التى لا تحتمِل غيرَ المعنى المراد من المقِرّ ، ولهذا لا يدخل فى الإسلام بقوله : لا إله إلاّ اللهُ برفع إله ،لاحتماله لنفى الوَحْدة فقط . ولعلّ ابن عبّاس رضى الله عنهما إنمّا قال:إنهّم لو قالوا نعم لم يكن إقراراً كافيا . وجَوَّز الشَّلوبينُ أن يكون مراده أنّهم لو قالوا نعم ، جواباً للملفوظ به على ما هو الأفصح لكان كُفراً ، إذِ الأصل تطابقُ الجوابِ والسؤال لفظاً . وفيه نظر ، لأنَّ التكفير لا يكون بالاحتمال . ٤٨٣

وقوله : « ولعلَّ ابن عباس » ، يريد أنَّ النقل المشهور عنه نقلٌ بالمعنى قال الدمامينى : وهذا لا وجه له ؛ فإنّه معارضةٌ للنّقلِ الثابت المشهور بمجرد احتمال عدمِه من غير ثَبَتٍ . انتهى .

---

(١) الحق أنه فى عيون الأخبار ٢ : ١٩٤ برواية : « ترى وضح النهار كما أراه » ، والذى فى الشعراء : ٤٤٢ :

بلى وترى السماء كما أراها ويعلوهـــا النهار كما علانى

(٢) ط : « والعبارة » ، صوابه فى ش والمغنى .

وقد أورد الدمامينى حكايةً عن الوجه الأوّل من التأويلات لا بأس بإيرادها قال : أُخبِرت بمكّة سنةَ ثمانىَ عشرة [١] وثمانمائة ، أنّ مولانا قاضى القضاة أبا الفضل النُّويرىَّ الشافعى ، الناظرَ فى الحُكْم للعزيز [٢] بمكة المشرفة ، سأل الشيخَ جمالَ الدين ابنَ هشام مصنِّفَ هذا الكتاب عمَّا جرى به العرفُ فى هذه الأزمنة ، من أنّ الانسان إذا طرق بابَ صاحبه يقول : نَعَمْ نَعَم ، يريد الإعلام بحضوره ، وهل لهذا أصلٌ فى لسان العرب ؟ فقال : نعم ، وقد ذكرت ذلك فى كتابى (مغنى اللبيب) . فقال لى ذلك المخبر : لم أظفر بذلك فى المغنى ، وسألت عنه جماعةً فلم يحصل جواب .

قلت له : هو فى موضعين : أحدهما قوله قبلَ هذا : إنّ نعم تقع جواباً لسؤال مقدَّر . والثانى قول ابن عصفور إنّ نعم فى بيت جحدر جوابٌ لغير مذكور . وكذلك قول هذا الطارق : نعم نعم ، جوابٌ لما قدَّره فى اعتقاده من أنَّ صاحبَ المنزل لشدّة احتفاله والتفاته إليه يَسْأل : هل حَضر فلانٌ ؟

وقاضى مكة المشار إليه هذا هو أحد مشايخى ، أخبرنى بمغنى اللبيب عن مصنّفه ، وأجازَنى إجازةً عامّة ، وكتب لى خَطَّهُ بذلك . انتهى .

وقول الشاعر : (وذاك بنا تَدَانى) ذاك إشارةٌ إلى جمْع الليل إيّاهما . والتدانى : التّقارُب .

والبيتان أبرد ما قيل فى باب القناعة من لقاء الأحباب . وقال ابن قتيبة : وجميلٌ ممن رضى بالقليل فقال :

---

(١) ط : « ثمان عشرة » ، وأثبت ما فى ش . وهما وجهان جائزان فى العربية . الأشمونى ٤ : ٧٢ ، قال : « فى ثمانى إذا ركب أربع لغات : فتح الياء ، وسكونها ، وحذفها مع كسر النون وفتحها » .

(٢) ط : « فى الحكم العزيز » ، وأثبت ما فى ش .

أقلّب طرفى فى السماء لعلّه يوافق طرفى طرفَها حين تنظرُ [١]

ومنهما أخذَتْ قولَها عُلَيّةُ بنتُ المهدىِّ العباسىّ ، أورده الصولى (فى ترجمتها من كتاب الأوراق [٢]) :

أليست سُليمى تحت سَقفٍ يُكِنُّها وإيَّاىَ هذا فى الهوى لىَ نافعُ
ويُلبِسُها الليلُ البهيمُ إذَا دجا وتُبصِرُ ضَوءَ الصُّبح والفجرُ ساطعُ
تَدُوس بِساطاً قد أراه وأنثنِى أطَاهُ برجلِى كلُّ ذا لىَ شافعُ

صاحب الشاهد

والبيتان من قصيدَة لجحدر بن مالك الحنفى ، قالها وهو فى سِجن الحجاج وأرسلها إلى اليمامة . وقد تقدَّم سببُ حبسه مع ترجمته فى الشاهد الحادى والستين بعد الخمسمائة [٣] ، وهى هذه من رواية السكرى (فى كتاب اللُّصوص) :

أبيات الشاهد

تأوَّبنــى فبتُّ لها كَبِيعًــا همومٌ لا تُفارِقُنى حَوَانـىِ [٤]
هى العُوَّاد لا عُوَّادُ قومـى أطَلْنَ عيادتى فى ذا المكـانِ
إذا ما قلت قد أُجلَيْنَ عنّى ثَنـى رَيْعَانَهـنّ علــىَّ ثانى
وكان مقـرُّ منـزلهنَّ قلبــى فقـد أنْفَهْنَـهُ فالقــلبُ آنى
أليس الله يعلـم أنّ قلبـى يُحـــبُّكَ أيُّهـــا البرقُ اليمانى
وأهوَى أن أُعِيدَ إليك طرْفى على عُدَواءَ من شُغُلٍ وشانِ

---

(١) الشعراء ٤٤٢ وديوان جميل ٩٢ . وانظر مراجع البيت فى حواشيه .

(٢) الأوراق للصولى ٦٩ قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٣) الخزانة ٧ : ٤٦٣ — ٤٦٦ .

(٤) كبيعا ، كذا بالباء باتفاق النسختين وما سيأتى من تفسير البغدادى . والوجه : « كنيعا » كما فى اللسان (كنع) ، حيث أنشد هذا البيت . ومنه قول لقيط بن يعمر فى مختارات ابن الشجرى ٥ :

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا إذا يقال له افرِجْ غُمَّة كَنَعا

٤٨٤

نظرتُ وناقتـاى على تَعـادٍ مُطاوِعتا الأزِمَّـة ترحـلانِ [١]
إلى ناريهمـــا وهما قريبٌ تَشُوقـــان المحبَّ وتُوقَـــدانِ
وهيَّجَنِـى بلحـنٍ أعجمّـيٍ على غُصْنين من غَرَبٍ وبانِ [٢]
فكان البانُ أن بانت سُليَمى وفى الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانى
أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرٍو وإيّانـا فذاك بنـــا تَدانِـــى
بَلَى ، وترى الهِلال كما أراه ويَعلوهـا النَّهـارُ كما عَلانِـى
فما بين التفرُّق غيرُ سبعٍ بَقِيـنَ من المحرَّم ، أو ثمانِ
فَيَا أخَوَىَّ من جُشَمَ بنِ سعدٍ أقِـلاَّ اللـوَم إنْ لم تَنفعـانى
إذا جَاوزْتما سَعَفاتِ حَجْرٍ وأوديـةَ اليمامـة فانْعَيـــانى [٣]
إلى قومٍ إذا سمعوا بنعيـى بكى شُبَّانُهم وبكى الغَوانى
وقولا جَحدرٌ أمسى رهينـاً يحاذرُ وقْـعَ مصقـولٍ يمانى
يحاذر صَولةَ الحَجَّاج ظُلْماً وما الحَجَّاجُ ظَلاّما لجانى !
ألم ترنى غُذِيتُ أخا حُروبٍ إذا لم أَجنِ كنتُ مجِنَّ جانى [٤]
فإنْ أهْلِكْ فربَّ فتًى سيبكى علىَّ مخضَّبٍ رَخْصِ البنـانِ
ولم أكُ قد قضيتُ دُيونَ نفسى ولا حقَّ المهنَّـدِ والسِّنـــان

قوله : « تأوَّبنى فبت لها كبيعا [٥] » أى أتانى ليلاً همومٌ ، من الأوْبِ وهو

(١) التعادى ، من العدْو ، تُتابعُ إحداهما الأخرى فى العدْو . وفى ش : « على عتاد » . والعتاد ، كسحاب : الأهبة .

(٢) البيت وتاليه فى الحيوان ٣ : ٤٤٠ – ٤٤١ مع نسبتهما إلى سوَّار بن المضرَّب . وانظر ما فى حواشيه من تعليق . ورواية الحيوان : « تغنَّى الطائران ببينِ ليلى » .

(٣) ط : « إذا جاوزتما » بالزاى .

(٤) البيت فى الحماسة ١٣٢ بشرح المرزوقى برواية : « وأنى لا أزال أخا حروب » .

(٥) انظر ما سبق من تعليق .

الرُّجوع . والكَبِيع ، بفتح الكاف وكسر الموحّدة ، قال السكرى : كبيع وكابع بمعنىً ، أى مشدود . وقال السُّيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : وكنيعا من كنَع الرجلُ ، إذا خضعَ ولانَ . انتهى . وكأنّ نسخته التى نَقَل منها كانت بالنون . وحَوانى : جمع حانٍ ، من حَنَى عليه حنوًّا ، أى تعطَّف ، بدليل ما بعده ، وهو قوله « هى العُوَّاد ». وزعم السيوطى أنّه من الحَين بالفتح ، وهو الهلاك .

قال السكرى : ورَيْعانهن : أوائلهنّ . وأنفهْنَه قال صاحب الصحاح : نَفِهَت نفسُه بالكسرِ : أعيت وكَلَّت ، وقد أنْفَهَ فلانٌ إبلَه ونَفَّهها ، إذا أكلَّها وأعياها . انتهى . وهو بالنون والفاء والهاء .

قال السكرىُّ : الآنِي : المُنتِهى فى الغَلَيان . وعُدَواءُ الشُّغل ، بضم العين وفتح الدال المهملتين والواو والمدّ ، أى موانعه .

وقوله : « فإنْ أهلِكْ فربَّ فتىً سيبكى » إلخ ، أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنّه يجوز أن يكون الفعل بعد رُبَّ مستقبلا كما فى البيت [١] . وروى بدل : « مخضَّب » : « مُهذّب » ، وهو المطهِّر الأخلاق . والرَّخْص : الناعم . والبَنَانُ : أطراف الأصابع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد التسعمائة [٢] :

٩١٤ (وقد بَعُدَتْ بالوَصْلِ بينى وبينَها بلى إنّ مَن زار القُبُورَ لَيَبْعُدا)

---

(١) مغنى اللبيب ١٣٧ . وانظر القالى ١ : ٢٨٢ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٠٦ ورصف المبانى ١٩٤ وتفسير أبى حيان ٥ : ٤٤٤ .

(٢) لم أجد له تخريجا فى غير هذا الموضع .

على أنّ بعضهم زعم أنّ (بلى) تستعمل بعد الإيجاب كما فى البيت . وهو شاذّ ، وكان القياس نعم .

وإنّما قال شاذّ ولم يقل ضرورة لأنّه جاء مثلُه فى الحديث الصحيح : أخرج البخارى (فى كتاب الأيمان والنذور من صحيحه) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « بينما رسولُ الله ﷺ مُضيفٌ إلى قُبّة من أَدَمٍ يمانٍ إذ قال لأصحابه : أترضَوْن أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجنّة ؟ قالوا : بلَى . قال : أفلم ترضَوْا أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنّة ؟ قالوا : بلَى . قال : فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة » .

٤٨٥

وقوله:« مُضِيف » أى مُسنِد ظهره الشريف . وبلَى الأُولى أُجيب بها الاستفهام المجرّد عن النفى ، وهو موضعُ نعَمْ ، كما ورد فيه عنه ، فإنّ البخارى قد أخرجَه عنه (فى الرِّقاق أيضاً) قال : « كنّا مع النبى ﷺ فى قُبَّةٍ فقال : أترضون أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنّة ؟ قلنا:نعم . قال : والذى نفسُ محمدٍ بيده إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنّة . وذلك أنّ الجنّةَ لا يدخلُها إلا نفسٌ مُسْلِمة ، وما أنتم فى أهل الشِّرك إلاّ كالشَّعرة البيضاء فى جلِد الثّور الأسْود ، أو كالشَّعرة السَّوداء فى جلد الثَّور الأبيض » .

وكذا جاء (فى صحيح مسلم) أخرج مُسلم (فى كتاب الهِبَة) ، عن النُّعمان بن بشير قال : « انطلق بى أبى يحملُنى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله اشهَدْ أنّى قد نَحَلْتُ النُّعمانَ كذا وكذا من مالى . فقال : أكُلَّ بَنِيك قد نحَلْتَ مثلَ ما نحلْتَ النُّعمان ؟ قال : لا . قال : فأَشهِدْ على هذا غيرى . ثم قال : أيسرُّك أن يكونوا إليك فى البِرِّ سواءً ؟ قال : بلى . قال : فلا إِذَنْ » .

و (فى صحيح مسلم أيضا) : « أأنت الذى لقيتَنى بمكّة ؟ فقال له المجيب : بَلَى » .

ففى الموضعين أيضاً وقعت بلى فى جواب الاستفهام المجرَّدِ ، وهو موضعُ نعم .

ومثله فى الشعر قول الكميت بن ثَعلبة :

نشدتُك يا فزارَ وأنت شيخٌ إذا خُيِّرت تُخْطئُ فى الخِيارِ
أصَيْحانِيَّةٌ أُدِمَتْ بسمنٍ أحبُّ إليكَ أم أير الحمارِ
بلى ، أيرُ الحمار وخُصيتاه أحبُّ إلى فزَارةَ من فَزارِ[1]

والتَّمر الصَّيْحانىّ : تمرٌ معروف بالمدينة المنوَّرة .

وهذا من التقارضُ ؛ فإنَّ نعم استُعمِلت استعمالَ بلى فى بيتى جَحدرٍ ونحوه ، وبلى استُعملت استعمالَ نعمْ فى هذه الأحاديث وهذين الشعرين .

وقوله : (وقد بعُدت بالوَصْل) إلخ بعدُ الشيء بضمّ العين ، ويُعدَّى بالباء. وفاعل بعدت ضمير الحبيبة ، وبُعدُها عنه هنا إنمّا هو موتُها وزيارتُها القَبر . ولهذا قال : (بلى إنّ من زار القبور) إلخ . وبينى وبينها ظرف متعلّق بمحذوف حالٌ من الوصل . وقوله (لَيَبعُدا) اللام للتأكيد ، وهى التى تجىء فى خبر إنّ ، وتسمَّى المزحلقة ، والألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة فإنّها تُبدل ألفاً فى الوقف . وفاعل يَبعُد ضمير من .

وهذا البيت لم أعرفْه ولم أنظره إلاّ فى هذا الشرح . والله أعلم .

وجاء فى شعر الطُّهوىّ :

فلا تبعَدنْ يا خيرَ عمرِو بن جُندبٍ بلى إنَّ مَن زار القبـور لَيبعُـدا

* * *

---

(١) الدرة الفاخرة ٨٧ وجمهرة العسكرى ٢ : ١٦ والميدانى ١ : ١٠٠ والمحاسن للبيهقى ١ : ٤٠٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد سيبويه [١] :

٩١٥ (ويقُلْـــنَ شيبٌ قد عَلاَ ـــكَ وقَدْ كَبِرتَ فقلتُ : إنّه)

على أنّ سيبويه قال:(إنّ) فيه حرفُ تصديقٍ للخبر ، بمنزلة أَجَلْ . والهاء للسكت ، قال سيبويه (فى باب ما تلحقه الهاء لتَبَيُّن الحركة) : « ومثل ما ذكرت قولُ العرب إنَّه ، وهم يريدون إنّ ، ومعناها أجَلْ » . وأنشد هذا البيت . قال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة النون بهاء السَّكت ، لأنّها حركةُ بناءٍ لا تتغيّر لإعرابٍ ، فكرهوا تسكينَها لأنّها حركة مبنيٍّ لازمة . ومعنى إنّ ههنا نَعَم . انتهى .

٤٨٦

وقال النحاس : وفى نسخة أبى الحسَن الأخفش هذا البيت ، وليس عندى عن أبى إسحاق . وفى النسخة : « أىْ فقلت أجَل » . وسألت عنه أبا الحسن فقال : إنّ بمعنى نعم ، والهاء لبيان الحركة ، وكانت خطباء قريش تفتتح خطبتها بنَعَمْ . انتهى .

وقال أبو على (فى البغداديات) بعد نقل قول سيبويه فى البيت : وكان أبو بكرٍ أجازَ فيه مرّةً أن تكون إنَّ المحذوفة الخبرِ ، كأنّه قال : إنَّ الشيب قد علانى ، فأضمره فجرى بذلك ذكره ، وحذف خبره للدّلالة عليه . قال : وحذف الخبرَ فى هذا أحسنُ ، لأنّ عنايته بإثبات الشَّيب نفسِه ، كما أنّه يُحذف معها الخبرُ لما كان غَرَضَهُ ووُكدَهُ [٢] ، كإثبات المحلّ فى قوله :

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٥ / ٢ : ٢٧٩ . وانظر البيان ٢ : ٢٧٩ وابن يعيش ٣ : ١٣ / ٨ : ٧٨ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ورصف المبانى ١١٩ ، ١٢٤ ، ٤٤٤ والمغنى ٣٨ ، ٦٤٩ واللسان (أنن ١٧٢) وديوان ابن قيس الرقيات ٦٦ .

(٢) وكده ، أى قصده ومراده وغرضه ، وفى اللسان : « ويقال ما زال ذلك وكدى بضم الواو ، أى فِعْلى ودأبى وقصدى » . وفى النسختين هنا : « غرضة » صوابه ما أثبت .

* إنّ محلاً وإنّ مرتَحَلا [١] *

قال : وهذا أحدُ ما تُشْبه فيه إنّ لا النافية العاملة النَّصب . انتهى .

وزعم أبو عبيدٍ أنّ إنّ بمعنى نعم غير موجودة ، وهى فى البيت مؤكِّدة ، الهاء اسمها وخبرها محذوف ، أى إنّه قد كان كما يقلن .

قال الجوهرى : قال أبو عبيدٍ : وهذا اختصارٌ من كلام العرب يُكتفى منه بالضّمير ، لأنّه قد عُلم معناه . وأمّا قول الأخفش إنّه بمعنى نَعَم ، فإنّما يريد تأويله ، ليس أنّه موضوعٌ فى أصل اللُّغة لذلك . انتهى .

قال ابن الشَّجرى (فى أماليه) بعد نقل هذا الكلام عن أبى عبيد : « والهاء فى تفسير أبى عبيدٍ للشَّأن » . ولم يتعقَّبْه بشىء . ولا يخفى أنَّ ضمير الشأن لا يجوز حذف خبره ، بل يجبُ التصريح بجزأى الجملة من خبره .

وقول الشارح المحقّق تبعاً لغيره : « الخبر محذوف أى إنّه كذلك » ، ليس الضمير فيه للشَّأن لأنّ شرط خبره أن يكون فى الأصل جملة مستقلّة . و « كذلك » ليس جملة وإنّما هو شبه جملة ، بل الضّمير فيه راجعٌ إلى القول المفهوم من يقُلْن ، أى إنَّ قولَهن كذلك .

وكالشارح المحقّق نقل ابن هشام (فى المغنى) أنّ التقدير : إنّه كذلك .

ولَفّق له شارحه ابن الملا من هُنا ومن هُنا كلاماً مختلَّ النظام ، أعرضْنا عنه لعدم جَدْواه فى المقام ، ولقَلاقتهِ على الأفهام .

---

(١) من الشاهد رقم ٨٨١ ، وهو للأعشى فى ديوانه ١٥٨ :

إنَّ محلا وإنَّ مرتحلا وإن فى السفر إذْ مضوا مهلا

وقول الشارح المحقق فى « إنّ وراكبَها »:إنّه لتقدير مضمون الدُّعاء وهو خلاف تصديق الخبر ، أقول : لا يخالفه ، فإنّ جملة لعن الله ناقةً حملتنى إليك هى خبريَّة لفظاً ، فالتصديق راجعٌ إليها باعتبار لفظها ووضعِها ، وقَصْدُ الدُّعاءِ فيها أمرٌ معنوىّ طارٍ عليها [1] . وقد جاءت فى هذا البيت لتصديق الخبر المنفىّ ، قال ساَعدة الهذلىّ :

ولا أقيـمُ بدار الـذُّل ، إنَّ وَلا آتى إلى الغدر أخشَى دونه الخَمَجا

قال السّكرى (فى شرحه) : إنّ هنا بمعنى نَعَمْ . والخَمَج بفتح الخاء المعجمة والميم والجيم : سوءُ الذِّكر .

وجاءت لتصديق الخبر المثبَت أيضا فيما أنشده ابنُ الشجرىّ ، وهو :

قالوا غدرتَ فقلتُ إنَّ وربَّما نالَ المنى وشِفَا الغليلِ الغادرُ [2]

وجاءت بعد الاستفهام أيضاً فيما أنشده ابن هشام (فى أواخر الباب الخامس من المغنى) ، وهو

قالوا أَخِفتَ فقلت إنّ ، وخيفتى ما إنْ تزالَ مَنُوطةً برجائى [3]

ونقل ابن المُلاّ عن أبى حيَّان أنّ إنَّ فى هذه المواضع هى المؤكّدة حُذِف معمولاها ، فإنّه قال : إنَّ كلام ابنِ الزَّبِير لا ينتهِض دليلاً لابن مالكٍ على أنّ إنّ فيه بمعنى نَعَمْ ، لأنّه مما حُذِفَ فيه الاسم والخبر ، ولا يجوز حذفهما معاً إلاّ مع ٤٨٧

(١) كذا فى النسختين بالتسهيل ، أى طارئ ودخيل عليها .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٨ ، ٣٢٣٢ وفيها : « وشفى الغليل » بجعل « شفى » فعلا . وانظر أيضا ابن يعيش ٣ : ١٣٠ . وفيه : « نال العلا » .

(٣) المغنى ٦٤٨ .

إنّ . وقد حذفت العربُ الجملةَ إلاّ حرفا منها كما فى قولهم : قاربت المدينة ولَمَّا ، وقوله :

.... وإنْ كانَ فقيراً مُعدِماً قالت وإنْ

فإنّ التقدير : ولمَّا أدخلْها ، وإن كان فقيراً مُعْدِماً قبلتُه .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ المنصوص فى إنّ وأخواتها جوازُ حذفِ أحَدِ معمولَيها فقط ، ولم يُجِزْ أحدٌ حذفَهما معاً . والفرق بينها وبين لَمَّا وإنّ ظاهر ؛ فإنّ إنَّ لتأكيد نسبة الكلام ، فجىء لمزيد الاعتناء به ، فلا يجوز حذفه ، لئلاّ يبطل الغرض .

وأجاب ابن المُلاّ بأنّه إنَّما حذف فيهما لسبق القرينة ، وما نحن فيه ليس من ذلك إلاّ أن يُدَّعى أنَّ وقوع إنّ فى جواب قوله قرينةٌ ، ويكون التقدير إنّها ملعونة . وهو تكلُّف . ويُشكِل عليه عطفُ جملة الدعاء على جملة الخبر وإنْ صحَّحه بعضُهم . هذا كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت الشاهد من جملة أبيات أوردها صاحب الأغانى ، لعبيد الله بن قيس الرُّقيَّات ، وهى [(١)] :

أبيات الشاهد

بَكَرَ العواذلُ فى الصَّبا ... حِ يُلمْنَنــى وألومُهنَّــه

ويَقُلـنَ شيبٌ قد علا ... لَ وقَدْ كَبِرتَ فقلت إنّه

لابـدَّ من شيبٍ فَدَعْــ ... ـنَ ولا تُطِلنَ مَلامَكنَّـه

ولقـد عَصَيتُ الناهيــا ... تِ الناشزاتِ جُيوبهنَّه [(٢)]

---

(١) الأغانى ٤ : ٧٠ ، ٧١ وديوان ابن قيس الرقيات ٦٦ – ٦٧ .

(٢) البيت وتاليه فى الديوان ٦٧ . والذى فى الأغانى بدلهما :

يمشين كالبقــر الثقــا ... ل عمدن نحو مَراجِهنَّه

يخفين فى الممشى القر يـ ... ـب إذا يُردن صديقهنّه

حتّى ارعويتُ إلى الرَّشا ... دِ ومَا ارعـويتُ لنهيهِنَّه

وروى : « الصبوح » بدل الصَّبَاح ، وهو ما يشرب فى وقت الصباح . وبَكَر : جاءَ بكرةً ، هذا أصله ثم استُعمِل فى كلّ وقت . والعواذل : جمع عاذلة . ورواه صاحب الصحاح :

بكرت علـىّ عواذلى ... يَلْحَيْنَنـى وألُومُهنَّـــه

قال ابن السيرافى : يلحيننى : يلمننى على اللّهو والغَزَل . وألومهنَّ على لومهنَّ لى ، ويقلن : قد شبت وكبرتَ فقلت : نعم . يريد أنّه يأتى ما يأتى على علمٍ منه بأمر نفسِه . والمعنى واضح . انتهى .

والجيوب : جمع جَيب ، وهو طَوق القميص . والارعواء : النُّزوع عن الجهل وحُسن الرجوع عنه . وقد ارعوى : رجَع عن غيّه . وكبِرتَ بكسر الباء بمعنى صرتَ كبيرًا . والهاء فى القوافى للسكت .

وابن قيس الرُّقَيَّات اسمهُ عبيد الله بالتصغير ، وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة [١] .

قال حماد الراوية : إذا أردتَ أن تقول الشّعر فارْوِ شعَر ابن قيس الرقيات ، فإنّه أرقُّ الناس حواشىَ شعر .

وسئل بعضهم فى التمييز بينه وبين عمر بن أبى ربيعة فأجاب بأنَّ ابن أبى ربيعة أشهر بالغَزل ، وابنَ قيس أكثرُ أفانينِ شِعْر .

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٨٤ – ٢٨٩ .

حروف الزيادة

أنشد فيها :

(وما إنْ طَبُّنا جُبْنٌ)

هو قطعة من بيت وهو :

(وما أنْ طبّنا جُبْنٌ ولكنْ مَنايانَا ودولةُ آخَرِينا)

على أن (إنْ) تزاد بعد ما النافية . وتقدَّم شرحُه فى الشَّاهد السبعين بعد المائتين [١] .

* * *

٤٨٨ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد التسعمائة :

٩١٦ (ما إنْ جزِعْتُ ولا هَلِعْـ ـتُ ولا يردُّ بُكاىَ زَنْدًا)

لما تقدَّم قبله . ومثَّل بمثالين ، إشارة إلى أنّها تزادُ بعد ما النافية مطلقًا ، سواءٌ كانت الداخلةَ على الجمل الاسميَّة وتكفُّها عن عملها عمل ليس ، وتسمَّى إن الزائدة الكافة ، أم كانت الداخلةَ على الجملة الفعليَّة كما فى هذا البيت ، وتسمَّى إن الزائدة فقط .

صاحب الشاهد والبيت من قصيدةٍ لعمرو بن معديكَرِبَ ، أوردها أبو تمّامٍ (فى أوائل الحماسة) . وقبله :

---

(١) الخزانة ٤ : ١١٢ — ١١٩ .

أبيات الشاهد

(كَمْ من أخٍ لِىَ صالحٍ ... بوّأتُه بيدىّ لَحْدا
ما إنْ جزِعْتُ ولا هَلِعـ ... ـتُ ولا يردُّ بُكاىَ زَنْدا
ألبستُه أثوابَه ... وخُلقِت يومَ خُلِقْتُ جَلْدا
أُغنِى غَناءَ الذَّاهبيـ ... ـنَ ، أُعَدُّ للأعداء عَدّا
ذهبَ الذين أُحِبُّهُمْ ... وبقِيتُ مثلَ السَّيفِ فَرْدا (١))

قوله : « كم من أخ » إلخ ذكر قبلَ هذا تبجُّحه بالشّجاعة ، وذكر بهذا إلى آخرِهِ صَبرَه على البلاء ، أى كم من أخٍ موثوقٍ به فُجِعت به . وبوّأته : أنزلْته . والمَبَاءة : المنزل .

وقوله : (ما إن جَزِعتُ ولا هَلِعْت) إلخ الهلَعُ : أفحش الجزَع ، لأنّه جزعٌ مع قلّة صبر ، وفعلُهما من باب فرِح ، فكأنَّه قال : ما حزِنت عليه حُزنا شديداً ولا هيِّنا . وهذا نفىُ الحزْن رأساً . وقد أعطى الترتيبَ حقَّه لأنّه ارتقى فيه من الأدوَنِ إلى الأعلى . والزَّند ، بفتح المعجمة وسكون النون ، يستعمل فى معنى القِلّة (٢) . ويروى بدله (رَدًّا) أى مردودا . والمعنى : لا يُغنى بكاىَ شيئًا . وإنَّما عَقَّبَ نفىَ الجزع بهذا تنبيهاً على أنّ صَبْره عن تأدُّب وتبصُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، فى حسن التأمُّل .

وقوله : « أغنى غَناء » إلخ قال التبريزى : يجوز أن يريد بالذاهبين مَن انقرض من عشيرته ، ويكون المعنى أنّه المعتَمَدُ عليه بعدَهم . ويجوز أنْ يريد المتغيِّبينَ عن المشاهد والمعارك . وأُعَدُّ بالبناء للمفعول ، يجوز أن يكون المعنى : يقول فىَّ الأعداءُ : خُذُوا فلاناً فإنّه يُعدُّ بكذا من الفرسان . ويقال إنّ عَمراً كان

---

(١) الحماسة بشرح المرزوق ١٧٩ وبشرح التبريزى ١ : ١٧٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٣ .

(٢) بعده فى التبريزى : « كما يستعملون الفُوفَ والنقير والقطمير . وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قلّلوا مالَ الرجل : « زَندانِ فى مرقّعة » . ثم قال : « ويروى : زيداً ، وقالوا : يعنى أخاً له » .

يعدُّ بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أُهيَّأ للأعداء معدودا . فَعدًّا حالٌ وُضِعَ موضعَ المعدود . وروى : « أُعِدّ » بالبناء للفاعل ، أى أعِدّ لهم السلاح . وروى : « أَعُدّ » بفتح الهمزة ، ويحتمل معنيين : أحدهما أن يقول أعُدُّ لهم وَقَعاتى وأيَّامى عند المفاخرة . والثانى أن يقول : أَعُدّ لهم كلَّ ما يُحتاج إليه من عَدد وعُدّة . فعدًّا مفعول به ، والمعنى أعدُّ لهم مَعدوداتِها .

وقوله : « وبقيتُ مثلَ السَّيف فَرْدا . قال الطَّبَرْسىّ (١) : أى بقيت منْفردا بالسِّيادة كالسيف ، لا يُجمَع اثنان منه فى غمد . ويجوز أن يريد : بقيت كالسَّيف لنفاذى ومضائى فى الأمور .

وعمرو بن معد يكرب صحابىٌّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الرَّابع والخمسين بعد المائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

٤٨٩ (كأنْ ظَبيةٍ تَعْطُو)

هو قطعة من بيت ، وهو :

(ويوماً توافينـا بوجـهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظَبيةٍ تَعْطُو إلى وارقِ السَّلَمْ)

على أن (أنْ) زائدة بين الكاف ومجرورها ، وهو ظبية .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الرابع والسبعين بعد الثمانمائة (٣) .

* * *

(١) فى النسختين هنا : « الطيبرسى » ، صوابه ما أثبت . وانظر ترجمته فى ٨ : ٣٨٥ وما سبق فى ٨ : ٣١٥ . ونسبته إلى طبرستان .

(٢) الخزانة ٢ : ٤٤٤ – ٤٤٦ .

(٣) الخزانة ١٠ : ٤١١ – ٤١٧ .

وأنشد بعده :

(ومن عِضَةٍ ما ينبُتَنَّ شَكِيرُها)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد المائتين [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد التسعمائة [٢] :

٩١٧ (لا وأبيكِ ابنةَ العامرىِّ لا يدَّعِي القومُ أنّى أفِرّ)

على أنَّ (لا) تجىء كثيراً زائدة قبلَ المقْسَم به ، للإعلام بأنَّ جواب القسم منْفىٌّ ، فإنَّ الواو حرفُ قسم ، وجملة : « لا يدَّعى القوم » جواب القسم ، وهى منفيّة ، فأتى بالنافى قبلْ القَسَم للإشعار ابتداءً بأنّ جوابَه منفىّ ، كقوله تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يُؤْمِنُون حتّى يُحكِّموك [٣] ﴾ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : ورُدّ بقوله تعالى : ﴿ لا أُقسِمُ بهذا البَلَد [٤] ﴾ الآيات ، فإنَّ جوابه مثْبت ، وهو : ﴿ لقد خَلَقْنا الإنسانَ فى كَبَد [٥] ﴾ . ومثله : ﴿ فلا أُقسِمُ بمَوَاقِعِ النُّجُوم [٦] ﴾ الآية . وقيل زيدت لمجرد التوكيدِ وتقويةِ الكلام ، كما فى : ﴿ لئلاّ يَعْلَمَ أهلُ الكتاب [٧] ﴾ وردّ بأنها لا تزاد لذلك صدراً بل حَشْواً . انتهى .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المحتسب ٢ : ٢٧٣ وابن يعيش ١ : ١٠ وضرائر ابن عصفور ١٣٢ والمغنى ٢٤٩ وديوان امرىء القيس ٢٤٩ وشروح المعلقات .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٤) الآية الأولى من سورة البلد .

(٥) الآية ٤ من سورة البلد .

(٦) الآية ٧٥ من سورة الواقعة .

(٧) الآية ٢٩ من سورة الحديد .

ويجاب بأنّ زيادتها ، فى صدر القسم المنفىّ جوابه أغلبىٌّ لا كُلّىّ .
والكاف من (أبيكِ) مكسورة ، لأنّه خطابُ مؤنّث . أقسمَ بأبيها تعظيماً لها .
و (ابنةَ العامرىّ) منادًى ، وحرف النداء محذوف ، وهو يا . وابنة العامرى اسمها هِرّ ، بكسر الهاء وتشديد الراء . وقد أوردها امرؤ القيس فى هذه القصيدة بقوله :

وهِرٌّ تصيدُ قلوبَ الرِّجـالِ   وأفْلَتَ منها ابنُ عمرٍو حُجُرْ

والعامرىُّ هو من بنى عمرو بن عامر من الأزد ، واسمه سلامة بن عبد الله .
وقال الخطيب التبريزى فى شرح معلقته ، عند قوله :

أفاطمُ مهـلاً بعضَ هذا التدلُّـل   وإنْ كنت قد أزمَعْتِ صُرْمى فأجمِلى

قال الكلبى : فاطمة هى بنت عُبيد بن ثعلبة بن عامر . قال : وعامر هو ابن عوف [1] بنِ عُذْرة ، ولها يقول .

لا وأبيك ابنة العامر   ىّ .... البيت

و (أنّى) بفتح الهمزة و (أفِرّ) من الفِرار ، وهو الهروب ، وخفَّف راءَهُ للشعر .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومنه تخفيف المشدَّد فى القوافى ، نحو قول امرئ القيس :

* لا يدَّعى القومُ أنّى أفرّْ [2] *

وقد خفّف عدّة قوافٍ من هذه القصيدة ، وإنمّا خفّف ليستوى له بذلك الوزنُ وتطابُقُ أبياتِ القصيدة . ألاَ ترى أنّه لو شدّد « أفرّْ » لكان آخر أجزائه على فعولن من الضرب الثانى من المتقارب ، وهو يقول بعد هذا :

تميم بن مرٍّ وأشياعُهـــا   وكِندةُ حولى جميعاً صُبُر

---

(١) فى شرح التبريزى : « هو الأجدار بن عوف » .
(٢) تقرأ الراء بالسكون ولكنها تكتب مع علامة الشدة تنبيها على أن أصلها التضعيف .

وآخر جزء من هذا البيت فَعُل وهو من الضرب الثالث من المتقارب ، وليس بالجائزِ له أن يأتى فى قصيدةٍ واحدة بأبياتٍ من ضربين ، فخفّف لتكون الأبيات كلُّها من ضربٍ واحد . وسواء فى ذلك الصحيح والمعتلّ . انتهى كلامه .

٤٩٠

وبهذا تعلم أنّه لم يُصِبْ من قال : إنّ (أفر) فيه مشدّدٌ اجتمع فيه ساكنان ، واجتماعهما فى القافية جائز ، وهو أبو الفرج بن المعافَى ، قال (فى أماليه) حدّثنا صديقُنا الحسن بن خَالَوْيه قال : كتب الأخفش إلى صديقٍ له يستعير منه دابّة ، ودابّةٌ لا يقع فى الشّعر ، لأنّه لا يجمع فيه بين ساكنين ، فقال :

أردتُ الرُّكوب إلى حاجةٍ فمُرْ لى بفاعلةٍ من دَببتُ

وإنّما امتنع دخول دابّة ونحوها فى الشعر لئلا يلتقى فيه ساكنان فى غير القافية كقوله :

* لا يدَّعى القوم أنى أفرْ *

وقد جاء فى الشعر فى مزاحَف للمتقارب ، وذلك قوله :

فقالوا : القصاصَ وكان التقا صُّ حقًّا وعَدلاً على المسلمينا [(١)]

ورواه بعضهم : و « وكان القِصاص » . هذا كلامه .

واعلم أنّ هذه القصيدة من بحر المتقارِب ، وهو فعولن ثمانِ مرات ، وفيه الحذف ، فإنّ أفر وزنه فَعُو ، وحذف منه لُنْ ، فأتى بدله فَعُل . وفى أوّل هذا

---

(١) انظر الكامل ١٧ والعقد ٥ : ٤٩٤ واللسان (قصص) والعيون الغامزة للدمامينى ١٢٩ . وفى الكامل : « فذاك القصاص » . وفى العقد : « رمينا قصاصا » . وفى اللسان : « فرُمنا القصاص » وفى العيون الغامزة : « ورمنا قصاصاً » . وفى الكامل والعيون : « فرضا وحتما » ، وفى اللسان : « حكما وعدلا » . وفى اللسان بعد إنشاد البيت : قال ابن سيده : قوله التقاصّ شاذ ، لأنه جمع بين الساكنين فى الشعر ، ولذلك رواه بعضهم : وكان القصاص . ولا نظير له إلا بيت واحد أنشده الأخفش :

ولــولا خداشُ أخـــذتُ دَوَا بَّ سعدٍ ولم أُعطه ما عليها »

وانظر بقية الكلام فيه .

البيت ثرم ، فإنّ وزن قوله (لا وَ) فَعْلُ ، وأصله فَعُولُنْ ، فلحقه الثَّرم فصار وزنه ما ذكر [١] .

صاحب الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة لامرىء القيس على الصحيح ، عند المفضل وأبى عمرو الشيبانى ، كما تقدم التنبيه عليه فى شرح بيتٍ منها فى الشاهد الثامن والخمسين [٢] من أوائل الكتاب ، وتقدم أيضا شرح أبياتٍ منها فى الشاهد العشرين بعد السبعمائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده :

(فى بئرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ)

على أنّ زيادة (لا) بين المتضايفين شاذّة ، والأصل فى بئر حور ، فزيدت (لا) بينهما لفظاً ومعنى ، كما نصَّ عليه الشارح المحقق فى باب لا النافية للجنس . أى سَرَى فى بئر هلاكٍ وما شَعَر بسقوطه فيها .

وهذا قول جماعةٍ . وذَهب الفرّاء وتبعه جماعة إلى أنّ لا هنا نافية وليست بزائدة قال : لأنّ المعنى فى بئر ماءٍ لا يُحِيرُ عليه شيئاً ، كأنّك قلت : إلى غير رشَدٍ توجَّهَ وما دَرَى ، ووقعَ على مالا يتبيَّن فيه عملَهُ ، فهو جحدٌ محض .

وتقدَّم الكلامُ عليه مفصَّلا فى الشاهد الستين بعد المائتين [٤] .

---

(١) الأثرم من أجزاء العروض : ما اجتمع فيه القبض والخرم ، يكون ذلك فى الطويل والمتقارب . فالخرم : إسقاط أول الوتد المجموع فى أول الشطر من البيت . والقبض : حذف الخامس الساكن . فإذا كان الخرم وحده فى فعولن فهو ثلم باللام . وانظر حاشية الدمنهورى ٣٧ ، فقد تكفل ببيان مصطلحات الخرم فى تفعيلات العروض المختلفة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٧٤ .

(٣) الخزانة ٩ : ١٧٥ — ١٨٢ .

(٤) الخزانة ٤ : ٥١ — ٥٦ .

حرفا التفسير

أنشد فيهما ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد التسعمائة [(١)] :

٩١٨ (وتَرمِينَنِي بالطَّرْفِ أىْ أنتَ مُذْنِبٌ   وتَقلِينَنى لكنَّ إيَّاكِ لا أَقلِي)

على أنّ (أىْ) فيه حرف تفسير للجملة قبله .

قال ابن يعيش : قوله أى أنتَ مذنب تفسير لقوله ترمينني بالطرف ، إذ كان معنى ترمينِي بالطرف : تنظر إلىَّ نظرَ مُغْضَب . ولا يكون ذلك إلاّ عن ذَنْب . انتهى .

وقال (صاحب التخمير) : الرمى بالطرف عبارةٌ عن النظر ، يقال رماه بطرْفه ، إذا نظر إليه ، كأنه قال : تفسير رَمْيها بالطرف إيّاىَ : أنت مذنب ، أى أشارت إلىَّ بطرفها إشارةً دلَّت على أنّى مذنبٌ فى حقّها .

هذا كلامه ، والمعْنَى هو الأوّل .

وفسَّر الدمامينىّ والسيوطى ترميننى بتُشيرِينَ إلىّ .   ٤٩١

وتعقَّبه ابن الحنبلىّ وقال : الطَّرف : نظر العين ، أى وترميننى بالطَّرف ، كأنّه سهم . فكثيراً ما يستعار السهم لطرْف العين . كما قال الشافعىّ [(٢)] :

خُذوا بدِمِى هذا الغزالَ فإنّه   رمانى بسهْمَىْ مُقلتيهِ على عَمْدِ

---

(١) معانى الفراء ٢ : ١٤٤ . وشرح شواهد التوضيح لابن مالك ٨٣ وابن يعيش ٨ : ١٤٠ والمغنى ٧٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ والهمع ١ : ١٤٨ / ٢ : ٧١ .

(٢) ط : « قال الشاعر » ، وأثبت ما فى ش .

وقال : أى أنت مذنب على التفسير . الرمىُ بالشئ قد يكون على عمدٍ وقد لا يكون ، والمراد الأوّل ، لكون المرمىّ ذا ذنبٍ ولو فى ظنّ الرامى . والإشارة وإن كانت قد تكون بالطرف ، كما قال :

* أشارَتْ بطرف العينِ خِيفةَ أهْلِها [١] *

وقلنا إنّ الرمى به بهذا المعنى يستلزم الإشارة به ، فالأولى أن لا تكون الإشارة به مقصودةً للشاعر منه ، وأن ليست معنى ترميننى وحدَه ولا لازِمه ، بل لازم مجموع ترميننى بالطَّرف .

هذا ما قرَّره . والحاصل أنّ أى تفسِّر الجملةَ وغيرها ، وهى أعمّ من أنْ ، لأنّه يفسَّر بها المفرد والجملة ، والقولُ الصريح وغيرُه . تقول : رأيت غضنفراً ، أى أسداً ، وأمرت زيداً أى اضرب ، وقلت له قولاً ، أى عبد الله منطلق ، وخرج زيد بسيفه ، أى خرج وسيفُه معه . وإنّما يحتاج إلى التفسير إذا كان فى الكلام غرابة أو إبْهام أو حذفُ شئ . وما بعدَ أىْ عطفُ بيان على ما قبلَها أو بدلٌ منه . كذا قال ابنُ هشامٍ وغيرُه . وهذا ظاهرٌ فيما إذا فسَّرت مفردا ، وأمّا إذا فسَّرَتْ جملةً كما فى البيت فلا . وذهب الكوفيُّون وتبعهم المبرّد إلى أنّها حرف عطف إذا فسَّرت مفردا ، وردَّ عليهم بأنَّها تفسِّر الضمير المرفوع المتصل بلا تأكيد ولا فَصْل ، وتفسِّر الضمير المجرور بلا إعادةِ الجارّ ، ولو كان ما بعدها معطوفاً بها لم يستقم الأوّل بدون تأكيد أو فاصل ، ولا الثانى بدون إعادة الجارّ . ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القولَ إليهم وإلى صاحبَي (المستوفى ، والمفتاح) ، وردَّه بأنّا لم نر عاطفاً يصلُح للسقوط دائماً ولا عطفاً ملازما لعطف الشئ على مرادفه .

---

(١) لم أعثر له على نسبة ، وعجزه كما فى البيان ١ : ٧٨ والعمدة ١ : ٧٨ :

* إشارة مذعور ولم تتكلم *

وبعده :

فأيقنت أنَّ الطرف قد قال مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّم

وقال أبو حيّان (فى الارتشاف) : وأمّا أىْ فذهب الكوفيُّون وتبعهم ابن السَّكَّاكى الخوارزمى (١) من أهل المشرق ، وأبو جعفر بن صابر من أهل المغرب ، إلى أنَّها حرف عطف ، تقول : رأيت الغضنفر أى الأسد ، وضربت بالعضْب أى السَّيف ، والصَّحيح أنها حرفُ تفسير يتبع بعدَها الأجلَى للأخفى ، عطفَ بيانٍ يوافق فى التعريف والتَّنْكير ما قبله . انتهى .

واستفيد منهما أنَّ ابن السَّكاكى (٢) هو السَّكاكىُّ صاحب المفتاح .

وإذا فسِّر بأى فعلٌ أسند إلى ضميرٍ حُكى ذلك الضمير بعدَها ، نحو : استكتمتُه الحديث ، أى سألتُه كتمانه ، فالتاء من سألتُه مضمومة . واستكتمه زيدٌ الحديثَ ، أى سأله كتمانه . واستكتْمِهُ يا زيدُ الحديثَ ، أى سَلْه كتمانه . فيجب أنْ يطابق الضميرُ بعدها لما قبلها فى التكلُّم والغيبة والخطاب .

وإن فسَّرتَ الجملَة بالمرادِ منها لم يُحكَ فاعلها ، كالبيت الشاهد . وإذا تقدّم (تقول) على فعل مسند إلى تاء المتكلم وجئتَ بإذا مكان أىْ وجبَ فتح التاء ، لأنّه ظرف لتقول . ونظم بعضهم هذا فقال :

إذا كنيتَ بأىْ فعلاً تفسِّرُهُ ... فضُمَّ تاءك فيه ضمَّ معترِفِ(٣)

وإن تكنْ بإذا يوماً تفسِّره ... ففتحك التاءَ أمر غير مختلِفِ

(١) ش : « ابن السكاك » فى هذا الموضع ، صوابه فى ط وبغية الوعاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) ابن السكاكى ، باتفاق النسختين هنا ، وشهرته « السكاكى » فقط . وهو أبو يعقوب يوسف ابن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى ، البلاغى المشهور ، صاحب مفتاح العلوم الذى حوى مداخل لستة من علوم العربية ، لا اثنى عشر ، كما ذكر السيوطى فى ترجمته من البغية ٤٢٥ تابعا لمعجم الأدباء ١٩ : ٥٩.وهذه العلوم هى : الصرف ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والاستدلال ، والشعر ، ستة فقط . ولد سنة ٥٥٤ وتوفى سنة ٦٢٦ . وكان معاصراً لياقوت الحموى ، قال فى ترجمته : « وهو اليوم حىٌّ ببلده خوارزم » .

(٣) معنى اللبيب ٧٧ .

٤٩٢ وقوله : إذا كنَيت بأى ، معناه إذا جئت بضمير مع أىْ حال كونِك تفسِّره فعلا ، فإنّ الضمير يقال له الكناية ، وكنيتُ أى أتيت بكناية .

وقال ابن الملا (فى شرح المغنى) : كنَى عن الأمر أى تكلَّم بغيره ممّا يُستدلّ به عليه ، نحو : فلان كثير الرَّماد ، تريد أنَّه كريم . وكنيت عن الشيء : سترته ، وهذا المعنى هو المراد هنا . وفعلاً مفعول كنيتَ ، على التوسُّع بحذف الجار . وتفسِّره نعتٌ له ، أى إذا كنيت عن فعل تريد تفسيره حال كونك مصاحباً لأى . هذا كلامه .

وأجاز التفتازانى (فى حاشية الكشاف) أنْ يتقدّم (يُقَال) أيضاً على ذلك الفعل ، مع قبح ، قال : إذا أريد تفسير الفعل المسند إلى ضمير المتكلم فإنْ أُتِيَ بكلمةِ (أىْ) كان ما بعدها تفسيراً لما قبلها ، فيجب تطابقُهما . ويجوز فى صدر الكلام (تقولُ) على الخطاب ، و (يُقال) على البناء للمفعول . وإن أتى بكلمة (إذا) كان صدر الكلام فى موضع الجزاء فيجب أن يكون ما بعد إذا على لفظ الخطاب . ولا يستقيم فى صدر الكلام (يُقال) إلاّ إذا قُدّر أنّ القائل هو المخاطب ، لكنّها عبارة قلقة . انتهى .

وفيه مخالفة لغيره فى جعل إذا شرطيّة لا ظرفيّة .

وقوله : (ترمِينَنى) خطابٌ لامرأة ، والياء الأولى ضميرُ خطابٍ لها ، فاعل الفعل ، والياء الثانية ضمير المتكلّم مفعوله ، والنون الأولى علامة الرفع لا تُحذَف إلاّ فى الجزم والنصب ، والنون الثانية نون الوقاية .

قال الزمخشرى (فى الأساس) : رماه بالطَّرف والفاحشة . والطَّرف : العين ، ولا يجمع ، لأنّه فى الأصل مصدر ، وقيل هو اسمٌ جامع للبَصر لا يثنَّى ولا يجمع ، وقيل هو نظر العين .

وقوله : (وتَقْلينني) هو من القِلَى . قال ابن الشجرى (فى أماليه [١]) : القِلَى : البُغض ، مكسور . وقد صرَّفت العرب منه مثالين : قلاه يقليه مثل رماه يرميه ، وقليَه يَقلاه مثل رضِيَه يرضاه . وهو من الياء بدلالة يَقلى ، ولو كان من الواو كان يقلو . وأُنْشِدَ فى يَقْلِى :

وترميننى بالطرف .... البيت .

وفى التنزيل : ﴿ ما ودَّعَك ربُّك وما قَلَى [٢] ﴾ . وروى أبو الفتح لغة ثالثة قلاه يقلوه قَلاءً ، مثل رجاه يرجوه رَجاء . وأنشد :

إن تَقْلُ بعد الودّ أمُّ محلِّم فسيّانِ عندى وُدّها وقَلاؤُها [٣]

انتهى . و (فى القاموس) : قلاه كرماه ورضِيَه ، قِلىً وقَلاء ومَقلِيَةً : أبغضَه وكرِهَه غايةَ الكراهة فتركه . أو قلاه فى الهَجْر ، وقَلِيه فى البغض .

وقوله : (لكنَّ إيّاكِ) فيه أقوال : أحدها للفرّاء : أصلها عنده لكنْ الخفيفة النون ، والنون الثانية بقية أنا ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لكنّا هو الله ربى [٤] ﴾ معناه لكنْ أنا هو الله ربّى ، ترك همز الألف من أنا ، وكثُر بها الكلامُ فأدغمت النون من أنا مع النون من لكنْ . ومن العرب من يقول : أنا قلت بتمام الألف ، فقرئت (لكنّا) على تلك اللغة ، وأثبتوا الألف فى اللغتين فى المصحف . ويجوز الوقوف بغير ألف فى غير القرآن فى أنا . من العرب من يقول إذا وقف : أنَه ، وهى لغة جيِّدة ، وهى فى عُليا تميم وسُفلى قيس . أنشدنى أبو ثَرْوان :

وترميننى بالطرف ... البيت .

---

(١) النص التالى مما سقط من النسخة المطبوعة من أمالى ابن الشجرى .

(٢) الآية ٣ من سورة الضحى .

(٣) أنشد بدله فى اللسان (قلى ٦٠) قول نصيب :

عليكِ السلام لاَ مُلِلتِ قريبةً وماللِك عندى إن نأيتِ قَلاءُ

(٤) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

يريد : لكنْ أنا إيّاكِ لا أقلى ، فترَكَ الهمزة [١] فصار كالحرف الواحد . وزعم الكسائى أنه سمع بعض العرب يقول : إنّ قائمٌ ، يريد : إنَّ أنا قائم فترك الهَمْز وأدغم ، وهى نظيرةٌ للكِنّ . انتهى كلامه .

٤٩٣ وقد تبعه صاحب الكشَّاف (فى تفسير هذه الآية) ، وأبو حيان (فى تذكرته) وغَيرُهما .

ثانيها : أن تكون من أخوات إنّ واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة بعدها خبرها ، وعليه اقتصر ابن يعيش ، وصاحب اللباب وشُرّاحه . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشرى (فى مناهيه [٢] على المفصّل) أنّه قال : وجهه أن يكون الأصل لكنَّه إياك لا أقلى ، الضمير ضمير الشأن ، ثم حذفه كما حذفه مَنْ قال :

إنّ مَن لام فى بنى بنت حَسّا نَ أَلُمْهُ وأعصِهِ فى الخطوبِ [٣]

ولو روى لَكنِّ بكسر النون اجتزاءً من الياء بالكسر ، لكان وجهاً سديدًا .

ثالثها : أنّ اسمها ضمير متكلم محذوف لضرورة الشعر ، أى ولكنِّى ، كما حذف اسمُها فى قول الآخر [٤] :

* ولكنّ زنجيٌّ عظيمُ المشافِرِ [٥] *

أى ولكنّك زنجيٌّ . وهو قول الخوارزمى ، نقله عنه ابن المستوفى .

---

(١) ط فقط : « الهمزة » ، وأثبت ما فى ش ومعانى القرآن .

(٢) كذا فى النسختين هنا ، والظاهر أنها من حواشي الزمخشرى ، وسيأتى فى ص ٢٣٧ مثل هذا بعبارة : « فى كتب الزمخشرى فى الحواشى » .

(٣) للأعشى فى ديوانه ٢١٩ . وانظر تخريجه فى معجم الشواهد .

(٤) للفرزدق فى ديوانه ٤٨١ . وانظر معجم الشواهد .

(٥) صواب إنشاده « مشافره » كما فى معجم الشواهد .

فإن قلت : إيّاك ضمير نصب ، فهل يجوز أن يكون اسم لكنّ ؟ قلت : لا يجوز ، لأنّه لو كان اسمَها لوجب أن يقال ولكنّك ، فإنّه متى أمكن اتّصالُ الضمير لا يُعدَل إلى انفصاله ، اللهمَّ إلاّ أن يُدَّعى فصلُه لضرورة الشعر . قال الأندلسيّ (فى شرح المفصل) : ولو قلتَ : أجعلُ الضمير المنفصل اسماً ولا أقلى خبرا ، وأرتكبُ إجراءَ المنفصل مجرى المتّصل ، وأحذف الراجع إلى اسم لكنّ ، والأصل لكنّك لا أقليك ، لكنتَ لعمرى متعسِّفا . انتهى .

فإنْ قلتَ : حيث امتنع فى الفصيح جعلُ إيّاك اسمَ لكنّ ما وجه فصله عن عامله وتقديمِه عليه ؟ قلت : وجهه الحصر ، فإنّ تقديمَ ما حقُّه التأخير يُفيد ذلك . فأفاد أنّها هى التى لا تقلى ، بخلاف غيرها فإنّه يقلى .

وهذا البيت لم أقف على تتمتِه وقائِله ، مع أنّه مشهورٌ قلَّما خلا منه كتابٌ نحوىّ . والله أعلم .

حروف المصدر

أنشد فيها ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه (١) :

٩١٩ (أعَلاقةً أُمَّ الوليِّدِ بعدَما أفنانُ رأسِكَ كالثَّغامِ المُخْلِسِ)

على أن (ما) فيه مصدرية على قول بعضهم ، خلافا لسيبويه فإنّه جعلَ ما كافّةً لِبَعْدَ عن الإضافة .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وكونها فيه مصدريّة هو الظاهر ، لأنّ فيه بقاءَ بعد على أصلِها من الإضافة ، ولأنّها لو لم تكن مضافة لنوِّنت . انتهى .

وسيبويه أورده (فى باب الحروف المشبَّهة بالفعلِ) فإنّه بعد أن ذكر أنّ (ما) تكفُّها عن العمل قال : ونظير إنمّا قول المرّار الفقعسى : « أعلاقةً أمَّ الوليِّد » البيت ، جعل بَعْدَ مع ما بمنزلة حرفٍ واحد ، وابتدأ ما بعده .

قال الأعلم ، وتبعه ابن خلف : بعدَ لا يليها الجمل ، وجاز ذلك لأنّ ما وصلت بها لتتهيّأ للجملة بعدها ، كما فعل بقلّما وربَّما ، وما مع الجملة فى موضع جرٍّ بإضافتها إليها ، والمعنى بعد شَبه رأسِك بالثَّغام المخْلس . فما مع ما بعدها بمنزلة المصدر .

---

(١) فى كتابه ١ : ٦٠ ، ٢٨٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٤ والأصول ١ : ٢٨٣ / ٢ : ٢٦٨ والأزهية ٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٢ وابن يعيش ٨ : ١٣١ ، ١٣٤ والمقرب ١ : ١٢٩ ورصف المبانى ٣١٤ والمغنى ٣١١ والهمع ١ : ٢١٠ .

هذا كلامهما ، وهو خلاف كلام سيبويه . فتأمَّلْ ، فإنّه جعل ما كافّة وهما جعلاها مصدرية .

وإليه ذهب صاحب اللباب قال : وليست ما فى البيت بكافة لبَعْدَ عن الإضافة ، بل مهيِّئة للإضافة إلى الجملة . وقال (فى التعليقة) : وما فى البيت وإنْ حُكم بأنّها كافّة ، إلاّ أنَّ ذلك لا يعجبنى ، فإنَّ بَعْدَ فى البيت على معناه الأصلىّ ، من اقتضاء الإضافة إلى شئ ، وهو فى المعنى مضافٌ لما بعده ، كأنّه قيل : بعدَ حصولِ رأسِك أشمطَ كالثغام المُخْلِس . فما ذكرت أقربُ إلى الصَّوابِ إن شاء الله تعالى . انتهى . ٤٩٤

وأوردهُ سيبويه (فى باب ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل) من أوائل كتابه أيضا . قال ابن خلف : الشاهد فيه إعمال المصدر عملَ الفعل ، ونصبُ أمِّ الوليد بعلاَقة ، لأنّها بدلٌ من اللفظ بالفِعْلِ ، فعَمِلت عملَه ، كأنّه قال : أتَعْلَق أُمَّ الوليِّد بعدَ الكِبَر . يُقال : عَلِقَ الرجلُ المرأةَ يَعْلَقها علَقاً من باب فرح ، وعلاقة ، إذا أحبَّها ، وتعلَّقها تعلُّقا . و (العَلاقة) : الحُبّ ، وتكون العلاقة أيضاً الارتباطَ فى الأمور المعنويَّة ، كعلاقة الخصومة . والعِلاَقة ، بالكسر هى عِلاقة السَّوط ونحوِهِ من الأمور الحسّية . وفى القاموس : العَلاقة وتكسر : الحُبُّ اللازم للقلب ؛ أو بالفتح فى المحبَّة ونحِوها ، وبالكسر فى السَّوط ونحوه . و (الوليِّد) : مصغر وَلَدٍ بفتح الواو . قال الأعلم وابن خَلَف : وصغّر الوليد ليدلَّ على شباب المرأة ، لأنَّ صِغَر ولدِها لا يكون إلاّ فى عَصْرِ شبابها وما يتّصل به مِن زمان ولادتها . انتهى .

وهذا الحصر غير صحيح ، فإنّها قد تكون مُسِنّة ولها ولد صغير . والأولَى أن يكون التصغير للتحبيب ، ونُكتة إضافتها إليه دون البِنْت للمدح ، فإنَّ قولَهم أُمّ الوليد وأمّ الصَّبيِّين صَفةٌ مادحة للمرأة .

وقال السِّيرافى : الرواية الصحيحة (أُمّ الوَلِيد) بالتكبير ، ويكون مزاحفا أى بالوَقْص ، وهو إسقاط الحرف الثانى من متفاعلن بعد إسكانه [١] قال : وإنَّما جُعلت الرواية بالتّصغير لأنّه أحسَنُ فى الوزن . والوَلِيد : الصبىّ . انتهى .

و (الأفنان) : جمع فَنَن بفتحتين ، وهو الغُصْن ، وأراد بها ذوائبَ شَعرِهِ ، على سبيل الاستعارة . و (الثَّغَام) بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات):أخبرَنى بعضُ الأعراب قال : تَنْبُتُ الثَّغامةُ خيوطاً طِوالاً دِقاقاً من أصلٍ واحد ، وإذا جفَّت ابيضَّت كلُّها . وهو مرعًى تُعلَفُه الخيل . وإذا أمحلَ الثَّغام كان أشدَّ ما يكونُ بياضاً ، ويشبَّه به الشَّيب . قال حسَّان :

إمَّـا ترَىْ رأسى تغيَّـر لونُـــه   شَمَطاً فأصبحَ كالثَّغام المُمْحِلِ [٢]

وإذا كان الثَّغام مُخْلِسا شُبِّه به الشَّعَر الشَّمِيط ، وهو الذى اختلط بياضُه بالسَّواد . والخليس من النبات : الذى ينبت الأخضرُ منه فى خلال يبيسِهِ . قال المرَّار الفقعَسىّ :

* أعلاقةً أمَّ الوليّد ... البيت .

أى بعد ما شَمِطْتَ . والرأس الشَّميط : الذى نصفُه أبيض ونصفه أسود . وقال بعض الرُّواة : إنَّ رأسه لثاغِمٌ ، إذا ابيضَّ كلُّه .

وقال الدينورىّ (فى موضع آخر من كتابه) : الخَلْس [٣] والخَليس ،

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى : « قوله بعد إسكانه ، كذا بالأصل ، ولا حاجة إليه » . أقول : وما قاله السيرافى فى الوقص يطابق ما ورد فى اللسان (وقص ٣٧٦) ؛ إذ جعل الوقص على مرتبتين كما هنا ، إسكان الثانى ثم حذفه .

(٢) ديوان حسان ٣١٠ برواية : « كالثغام المحوِل » : الذى أتى عليه حَول .

(٣) الخلس ، وردت فى القاموس ولم ترد فى اللسان ، وهى بفتح الخاء وسكون اللام .

وهما جميعا : الكلأ اليابس ينبُت فى أصله الرَّطبُ فيختلط به . قال أبو زياد : يقال أخلَسَتِ الأرض ، وهو الخليس . ومنه قيل أخلَسَ رأسُه ، إذا شاب فاختلط بالسواد .

وقال فى موضع آخر : وإذا كان العشبُ منه الرَّطبُ الأخضرُ ومنه الأصفر الهائج ، قيل : أخلسَ النبتُ يُخلِس إخلاساً . والنبت خَليسٌ ومُخْلِس . ومنه قيل للشعر إذا شَمِطَ واختلط بياضُه بسواده : خليس . انتهى .

٤٩٥ والاستفهام فى البيت ، للتوبيخ . يخاطب الشاعر نفسه ويقول : أتَعلَقُ أُمَّ الوليِّد وتحبُّها وقد كبِرتَ وشِبْتَ .

والمرَّار بن سعيد الفقعسى : شاعرٌ إسلاميٌّ تقدّمت ترجمتُه فى الشاهد التاسع والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَعَنْ ترسَّمْتَ مِنْ خَرقاءَ مَنزِلَةً　　　ماءُ الصَّبابةِ من عَينَيكَ مَسْجومُ)

على أن (عن) أصلها أَنْ ، قلَبَ بنو تميم وبنو أسدٍ همزتَها عينا .

قال ابن يعيش (فى شرح المفصل) : وذلك فى أنْ وأنَّ خاصّةً ، إيثاراً للتخفيف ، لكثرة استعمالهما وطولهما بالصِّلة ، قالوا (٢) : أشهد عَنَّ محمّدًا رسول الله . ولا يجوز مثل ذلك فى المكسورة . انتهى .

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) فى النسختين : « بالصلة بالواو يقولون » وفى العبارة إقحام وتحريف ، أثبت صوابه من ابن يعيش ٨ : ١٤٩ .

وقال ابن المستوفى : إنّما قلبوها إلى العين كراهيةَ اجتماع مِثْلين ، وقلبُها إلى الهاء أكثر من قلبها إلى العين . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّ أنْ وأنّ غير لازم استعمالُهُما مع ألف الاستفهام .

وهى لغة مرجوحة . قال ثعلب (فى أماليه) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هَوَازن ، وتضجُّع قيس ، وعَجْرفيَّة ضبّة ، [وتلتَلَةِ بَهْراء [1]] . فأمّا عنعنة تميم فإنّ تميما تقول فى موضع أنّ عَنَّ عبد الله قائم . قال : وسمعتُ ذا الرمّة ينشد عبدَ الملك [2] :

* أَعَنْ ترسَّمت مِن خَرقاءَ منزلةً *

قال : وسمعت ابن هَرْمة ينشد هارون ، وكان ابن هَرْمة رَبِىَ فى ديار تميم :

أعن تغنَّتْ على ساقٍ مطوَّقةٌ ... ورقاءُ تدعو هَديلاً فوقَ أعوادِ [3]

وأمّا تلتلة بهراء فإنّهم يقولون : تِعلَمون وتِفعلون وتِصنَعون ، بكسر أوائل الحروف . انتهى .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) بعد نقله ما تقدَّم : فأمّا كشكشة ربيعة [4] فإنّما يريد بها قولَها مع كاف ضمير المؤنث : إنَّكِشْ ، ورأيتُكِش

---

(١) التكملة من مجالس ثعلب ١٠٠ . وقد تنبه لهذا السقط مصحح طبعة بولاق .

(٢) علقت على هذا فى حواشى مجالس ثعلب ، بأنه قد سقط هنا اسم القائل ؛ فإن ثعلبا لا يصح أن يكون القائل ؛ فإنه لم يدرك ذا الرمة ، فإن مولده سنة ٢٠٠ . والظاهر أن الأصمعى هو القائل والسامع . انظر الخصائص ٢ : ١١ . وقد تنبه لذلك قديما ابن جنى فى سر الصناعة ١ : ٢٣٤ فقال فى سياق هذا السند بعينه : « عن أبى العباس أحمد بن يحيى أحسبه أنا عن الأصمعى » .

(٣) ديوان ابن هرمة ١٠٧ عن مجالس ثعلب والخصائص وسر الصناعة ١ : ٢٣٥ .

(٤) نسبت الكشكشة عند الجوهرى فى الصحاح إلى بنى أسد ، ونسبت كذلك إلى تميم فى اللسان (كشش ٢٣٤) ، قال : « وفى حديث معاوية : تياسروا عن كشكشة تميم ، أى إبدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث فيقولون : أبوشِ وأُمُّشِ » .

وأعطيتُكِشْ ، تفعل هذا فى الوقف ، فإذا وصلَتْ أسقطت الشين . وأما كسكسة هَوازن [١] فقولهم أيضا : أعطيتُكِسْ ، ومِنْكِسْ ، وعَنْكِسْ . وهذا أيضاً فى الوقف دونَ الوصل . انتهى .

والهمزة للاستفهام التقريرىّ خاطبَ نفسَه على طريق التجريد . و (أن ترسَّمْتَ) فى تأويل مصدرٍ مجرور بلام مضمَرة متعلّقة بمسجوم ، والتقدير : لأجلِ ترسُّمك ونظَرِك دارَها التى نزلَتْ بها أسالت عينُك دموعَها ؟

وقال ابن المستوفى : فى كتب الزمخشرى فى الحواشى : المعنى أمِن أنْ ترسَّمت ، أى ألأَنْ ترسَّمت ، أى تخيَّلتَ ، منصوب لأنّه مفعول به ، والتقدير : ألترسُّمك من خرقاء منزلةً سُجِم ماءُ عينيك ، كقوله تعالى : ﴿ أن تَحبَطَ أعمالُكم [٢] ﴾ . انتهى . وهذا غلطٌ من الكاتب ، والصَّواب مفعول له . انتهى . وليس بغَلط كما زعم ، فإنّ حرف الجرِّ إذا حُذف انتصب ما بعده على المفعول به . وهو معروف شائع .

قال : وترسَّمت الدار : تأمّلت رسمَها ، وكذلك إذا نظرتَ وتفرّستَ أين تُحفَر أو تبنىَ . قاله الجوهرى [٣] . وخرقاء : صاحبته ، وهى من بنى عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . والخرقاء : [غير [٤]] الصَّنّاع . انتهى .

---

(١) فى اللسان (كسس) : « وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كسكسة بكر . يعنى إبدالهم السين من كاف الخطاب تقول أبوسَ وأُمُّسَ ، أى أبوكَ وأُمّك . وقيل هو خاص بمخاطبة المؤنث . ومنهم من يدع الكاف بحالها ويزيد بعدها سينا فى الوقف فيقول : مررت بكِسْ ، أى بِك » .

ويبدو أن بكراً هذه ليست بكر بن وائل ، بل هى بكر بن هوازن ، وهم قبيل كبير أيضا ، منهم سعد بن بكر بن هوازن أظآر النبى ﷺ . جمهرة ابن حزم ٢٦٥ .

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات .

(٣) الصحاح (رسم ١٩٣٢) .

(٤) بمثل هذه التكملة يصح الكلام . وفى اللسان (خرق ٣٦٢) : « أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعا » .

أقول : قد تقدّم فى ترجمة ذى الرمة فى الشاهد الثامن من أول الكتاب [١] أنّ خَرقاءَ هى مَيَّة ، وهو قول ثعلب ، وقيل غيرها ، وهو قول ابن قتيبة .

والبيت مطلع قصيدة طويلة لذى الرمة . ٤٩٦

وقال أبو العباس الأحول (فى شرح ديوانه) : حدّثنا بعض أصحابنا عن النُّسَيْر بن قُسَيم ، أبى جَهْمة العدوىّ قال : سمعت ذا الرمة يقول : من شعرى ما ساعدَنى فيه القول ، ومنه ما أجهدتُ نفسى فيه ، وفيه ما جُننت فيه جنوناً . فأمَّا الذى جننت فيه جنونا فقولى :

* ما بالُ عينِكَ منها الماءُ ينسكبُ *

وأمَّا ما طاوعنى فيه القول فقولى :

* خليلىّ عُوجا من صدور الرواحل *

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى :

* أأن تَرسَّمْتَ مِن خَرقاء منزلةً *

وتقدَّم شرحه مجملاً فى الشاهد الحادى والخمسين بعد الثمانمائة [٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد التسعمائة [٣] :

٩٢٠ (عَلَىَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقتلِى)

هو عجزٌ [من [٤]] بيتٍ لامرىء القيس ، وهو :

---

(١) الخزانة ١ : ١٠٦ — ١١٠ .

(٢) الخزانة ١٠ : ٢٩٢ .

(٣) رصف المبانى ٢٩٢ ، والمغنى ٢٦٦ .

(٤) التكملة من ش .

(تجاوَزْتُ أحراساً إليها ومعشراً   عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي)

على أنّ (لو) فيه مصدريّة .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : علامتها أن يصلح فى موضعَها أنْ ، كقوله تعالى : ﴿ يودّ أحدُهُمْ لو يُعَمَّر [١] ﴾ . ولم يذكر الجمهور أنّ لو تكون مصدريّة ، وذكر ذلك الفراء ، وأبو علىّ ، والتِّبريزى ، وأبو البقاء ، وتبعهم ابن مالك . ومَنْ أنكرها تأوّلَ الآيةَ ونحوها على حذف مفعولِ يودّ وجوابِ لو ، أى يودُّ أحدُهم طولَ العمر لو يعمَّر بذلك ألفَ سنة لسُرَّ بذلك . ولا تقع لو المصدريّة غالباً إلاّ بعد مفهمِ تَمَنٍّ . وقلّ وقوعُها بعد غيرِ ذلك ، كقول قُتَيلة بنت النَّضْر :

ما كان ضَرَّكَ لو مننْتَ وربَّما   مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحنَقُ [٢] . انتهى

قال ابن هشام (فى المغنى) : ولا خَفاءَ بما فى ذلك الجواب من التكلّف . ويشهد للمُثْبِتين قراءةُ بعضهم [٣] : ﴿ ودوا لو تُدهِنُ فيُدهِنُوا [٤] ﴾ بحذف النون ، فعطف يدهنوا بالنَّصب على تدهن ، لمَّا كان معناه أن تدهن . ويُشكل عليهم دخولُها على أنَّ فى نحو : ﴿ وما عَمِلَتْ من سُوءٍ تودُّ لو أنَّ بينَها وبَينَهُ أَمَداً بعيداً [٥] ﴾ . وجوابه : أنّ لو إنمّا دخلت على فعل مقدَّر ، تقديره : تودّ لو ثبت أنّ بينها وبينه .

(١) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٢) السيرة ٥٣٩ والأصول ٢ : ٢٦٨ والمغنى ٢٦٥ والعينى ٤ : ٤٧١ والتصريح ٢ : ٢٥٤ والأشمونى ٤ : ٣٤ .

(٣) لم أجد نسبة لهذه القراءة . وفى تفسير أبى حيان ٨ : ٣٠٩ : « وقال هارون : إنه فى بعض المصاحف : فيدهنوا . ولنصبه وجهان : أحدهما : أنه جواب ودُّوا ، لتضمنه معنى ليت . والثانى : أنه على توهم أنه نُطق بأنْ ، أى ودوا أن تدهن فيدهنوا ، فيكون عطفا على التوهم . ولا يجئ هذا الوجه إلا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى أنْ » .

(٤) الآية ٩ من سورة القلم .

(٥) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وأورد ابن مالك السُّؤال فى : ﴿ لو أنَّ لنا كَرَّة [(١)] ﴾ ، وأجاب بما ذكرناه ، وبأنّ هذا من توكيد اللفظ بمرادفِه نحو : ﴿ فِجَاجاً سُبُلاً [(٢)] ﴾.والسؤال فى الآية مدفوعٌ من أصله ، لأنّ لو فيها ليست مصدرية . وفى الجواب الثانى نظر ، لأنَّ تأكيد الموصول قبل مجىء صلته شاذّ ، كقراءة زيد بن على : ﴿ والذين مَنْ قَبلكم [(٣)] ﴾ بفتح الميم . انتهى .

وقد أورد الشارح هذه الآية هنا تبعاً لابن مالك ، فيَرِدُ عليه أنّها لو التى للتمنّى ، لا مصدرية .

وقد ناقش الدمامينى فى توجيه دليل المثبتين بأنَّ « يُدهنوا » منصوبٌ بأنْ مضمرة جوازاً ، والمجموع منها ومن صلتها ، معطوف على المجموع من لو وصلتها ، فهو من باب عطف مصدرٍ على آخر . وهذا ماشٍ على القواعد ، بخلاف تخريج ابن هشام . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من معلَّقة امرىء القيس المشهورة ، وقبله :

وبيضةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها ... تمَتَّعْتُ من لهوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ)

---

(١) الآية ١٦٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٢١ من سورة البقرة . وقد أثبت الزمخشرى هذه القراءة ، ونقلها عنه أبو حيان فى البحر ١ : ٩٥ . قال الزمخشرى : « وهى قراءة مشكلة ، ووجهُها على إشكالها أن يقال : أقحم الموصول الثانى بين الأول وصلتِه تأكيدا ، كما أقحم جرير فى قوله :

* يا تيم تيم عدى لا أبالكم *

تيما الثانى بين الأول وما أضيف إليه . وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه فى : لا أبالك » . قال أبو حيان : وهذا التخريج مذهب لبعض النحويين ، زعم أنك إذا أتَيتَ بعد الموصول بموصول آخر فى معناه مؤكِّد له لم يَحتج الموصول الثانى إلى صلة ، نحو قوله :

من النفر اللائى الذين إذا هم ... يهاب اللئامُ حَلْقة البابِ قعقعوا

وانظر اعتراض أبى حيان على هذا المذهب .

٤٩٧ قوله : (وبيضةِ خِدْرٍ) إلخ الواو واو رب ، والبيضة استعارة للمرأة الحسناء . قال الزّوزنى : تشبَّه النِّساء بالبَيْض مِن ثلاثة أوجه : أحدها بالصَّحة والسَّلامة عن الطَّمْث ، ومنه قول الفرزدق :

خَرجْنَ إلىّ لم يُطمَثْنَ قبلى وهنَّ أصَحُّ من بيضِ النَّعامِ (١)

الثانى : الصِّيانة والسَّتر ، لأنَّ الطائر يصون بيضَه ويحضُنه .

الثالث : فى صفاء اللون ونقائه . وربمَّا شُبِّهت النساء ببيض النَّعامةِ وأرِيدَ أنّهن بِيضٌ يشُوب ألوانَهنّ صُفرة . وكذلك بيض النعامة . ومنه قول ذى الرمة :

* كأنَّها فِضَّةٌ قد مسَّها ذهَبُ (٢) * انتهى .

والخِدر ، بالكسر : السِّتر ، ويطلق الخِدر على البيْت إن كان فيه امرأة . وأَخدَرت الجاريةُ : لزِمت الخِدرَ . وأخدَرها أهلُها ، يتعدَّى ولا يتعدّى ، كخدَّرُوها ، بالتشديد والتخفيف . والمعنى : سَتروها وصانوها عن الامتهانِ والخروج لقضاء الحوائج .

وقوله : (لا يُرام) أى لا يُطلَب . والرَّوم : الطَّلَب . و (الخِباء) بكسر المعجمة بعدها موحّدة : بيت يُعمل من وبر أو صوف أو شَعَر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . والبيت أكبر منه ، على ستّة أعمدة إلى تسعة .

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ برواية : « مشينَ إلىّ » ، واللسان (طمث) برواية : « وقعن إلىّ » و : « فهن أصح » . وطمثت المرأة ، بالبناء للمفعول ، أى أدمِيَتْ بالافتضاض . أى هن عذارى غير مفترَعات . وفى النسختين هنا : « قلبى » ، تحريف .

(٢) صدره فى ديوان ذى الرمة ٥ :

* كَحلاء فى بَرَجٍ صفراء فى نَعَجٍ *

وانظر الكامل ٤٥٢ والخصائص ١ : ٣٢٥ والوساطة ٢٩٣ والعمدة ٢ : ٢٤ ، ٧٩ .

و (تمتَّعت) جواب ربّ . والتمتّع : التلذُّذ بالمتاع ، وهو كل ما يُنتفع به [١] كالطّعام والبزّ وأثاث البيت . و (اللَّهوُ) : ترويح النفس بما لا تقتضيه الحكمة . و (غَير [٢]) روى بالجر على أنّه صفة للهو ، وبالنصب على أنّه حال من التاء فى تمتَّعت .

و (مُعجَل) : اسم مفعول من أعجله ، أى حمله على أن يَعْجَل : قال التِّبريزى : غير مُعْجَل أى غير خائف ، أى لم يكن ذلك ممّا كنت أفعله مرّة . وقال أبو جعفر : أى غير خائف . وقال الإمام الباقلاّنى (فى إعجاز القرآن) : قالوا:إنّها كبيضة خِدرٍ فى صفائها [٣] . وهذه كلمة حسنة ، ولكنْ لم يَسبِقْ إليها ، بل هى دائرةٌ فى أفواه العرب ، وتشبيهٌ سائر . وعنى بقوله « غيرَ معجَل » ، أنّه ليس ذلك ممّا يتّفق قليلاً وأحيانا ، بل يتكرَّرُ له بها [٤] . وقد يُحمَل على أنّه رابط الجاش ، فلا يَستعجله [٥] إذا دخلها خوفُ حصانتها ومَنَعتها . وليس فى هذا البيت كبير فائدة ، لأنَّ الذى فى سائر أبياته قد تضمَّن مطاولتَه فى المغازلة واشتغالَه بها ، فتكريره فى هذا البيت مثلَ ذلك قليلُ المعنى ، إلاّ الزيادة التى ذكر من مَنعتها . وهو مع ذلك سليمُ اللَّفظ فى المصراع الأوّل دون الثانى . انتهى .

وقوله : « تجاوزت أحراساً » إلخ قال التِّبريزى : هو جمع حَرَس . انتهى . وهو كحجر وأحجار . وحَرَس : جمع حارس ، كخدم جمع خادم ، كذا قال الزوزنى . وأجاز أيضاً أن يكون الأحراس جمع حارس كصاحب وأصحاب ،

(١) يُنْتفع به ، واضحة فى ط عسرة القراءة فى المخطوطة .

(٢) ط : « وغيره » ، صوابه فى ش .

(٣) فى إعجاز القرآن ٢٦١ : « فى صفائها ورقتها » .

(٤) فى النسختين : « بل يتكلف للاستمتاع بها » ، صوابه فى إعجاز القرآن .

(٥) فى الإعجاز : « فلا يستعجل » .

وناصر وأنصار ، وشاهد وأشهاد . ومنعه بعضُهم ، لأنَّ جمع فاعل على أفعال لم يثبت . قال : وأصحابٌ إنَّما هو جمع صَحِب بكسر الحاء ، كنمِر وأنمار [1] .
وصَحْب بسكون الحاء : اسم جمع ، كنَهْرٍ وأنهار . قال الجوهريّ : فأمَّا الأشهاد والأصحاب فهو جمع شهيد وصَحْب . و « إليها » متعلّق بتجاوزت . وعنَى بالمعشر قومَها ، وهو الجماعة من الناس . و « على » متعلّق بحِراص ، وهو صفة معشر . وروى أيضا :

تجاوزت أحراساً وأهوالَ معشرٍ   عليَّ حراصٍ ....

فحِراص وصف معشر فى النصب والجر ، وهو جمع حريص ككرام جمع كريم . وفعله يتعدّى بعَلَى ، يقال : حَرَص عليه حَرْصا من باب ضرب ، إذا اجتهد ؛ والاسم الحِرْص . وقوله : « لو يُشِرُّون » إلخ المصدر المؤوّل من لو وما بعدها بدل اشتمال من الياء فى عليّ . وإلىَ مصدريَّةِ (لوْ) ذهب التِّبريزى ، قال : يريد أن يُشرُّوا . وأنْ تضارع لو فى مثلِ هذا الموضع ، يقال : وددت أن يقوم زيد ، وددت لو قام ، إلاّ أنّ لو يرتفع المستقبل بعدها وأنْ تنصبُه . قال تعالى : ﴿ أيودُّ أحدُكم أن تكونَ له جنّةٌ من نَخِيلٍ وأعنابٍ [2] ﴾ وقال فى موضع آخر : ﴿ ودُّوا لو تُدهِنُ فيُدْهِنون [3] ﴾ . انتهى .

٤٩٨

و (المقتل) : اسم مصدر بمعنى القَتل . وقوله : (يُشِرُّون) قال العسكريّ (فى كتاب التصحيف [4]) : وممَّا يُروى على وجهَين هذا البيت . روى

---

(١) لم أجد هذا النص فى الأصحاب عند الزوزنى ، ولا هو عند التبريزى أو ابن الأنبارى ، ولا هو مما ورد فى الصحاح . كما أنه لم يرد فى اللسان ولا القاموس .

(٢) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٩ من سورة القلم .

(٤) تصحيف العسكرى ٢٢١ .

الأصمعيُّ : « يُشِرُّون » بالشين المعجمة ومعناهُ يُظهِرون ، يُقال أشررت الشيء ، إذا بسطتَه . وقال الشاعر [١] :

* وحتّى أُشِرَّتْ بالأكفِّ المصاحفُ [٢] *

أى أُظهِرَت . ومعناه ليس يُقتَل مثلى خفاءً .فيكون قتلهم إيَّاه هو الإظهار . ورواه غيره : « لو يُسِرُّون مقتلِي » من غيظهم علىّ . وهذا مثل قول القائل : هو حريص علىَّ لو يقتلُنى . يقال أسررت الشيء ، إذا أظهرتَه ، وهو من الأضداد . ومعنى يُسِرُّون ، أى هم حِراصٌ على إسرار قتلى ، وذلك غير كائنٍ ، لنباهتى وذكرى . انتهى .

وقال فى موضع آخر : قال أبو عبيدة فى قوله لو يُسِرُّون مقتلى : أى يظهرونه . ورواية الأصمعى : « لو يُشِرُّون » أى يظهرون ، يقال أشررت الثوبَ ، إذَا نشرته ، وشَرَرتُهُ أيضا . انتهى .

فمعنى الروايتين متَّفق . وهذا أحسن من قول التِّبريزىِّ تبعاً لغيره : من رواه بسين غير معجمة احتمل أن يكون معناه يكتمون ، ويحتمل أن يكون معناه يُظهرون ، وهو من الأضداد . انتهى .

قال الزوزنى : يقول تجاوزتُ فى زيارتى إليها أهْوالاً كثيرة ، وقوماً يحرسُونها ، حِراصًا علَى قتلِي جهارًا .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب [٣] .

---

(١) هو كعب بن جعيل ، أو الحصين بن حمام المرى ، كما فى اللسان (شرر ٦٩) . وهو لكعب بن جعيل فى رثاء عبيد الله بن عمر فى وقعة صفين ٢٩٩ .

(٢) صدره فى اللسان ووقعة صفين :

* فما برحوا حتى رأى الله صبرهم *

(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ – ٣٣٥ .

حروف التحضيض

أنشد فيها :

(تَعُدُّون عَقْر النِّيبِ أفْضَلَ مَجدِكُمْ بنى ضَوْطَرى لولا الكميَّ المُقَنَّعا)

على أنَّ الفعل مقدَّر بعد لولا التحضيضية ، أىّ لولا تعدُّون .

و (الكمىّ) : الشُّجاع ، مفعول أوّل لهذا المقدّر ، بتقدير مضاف .
والمفعول الثانى محذوف ، والتقدير : لولا تعدُّون عقرَ الكمىّ أفضلَ مجدكم .
و (المقنَّع) : الذى وضع على رأسه البيضة والمِغفر . و (بنى ضَوْطَرَى) :
منادًى ، وهى كلمة سبّ وذمّ . وتقدّم شرح البيت فى الشاهد الرابع والستين بعد
المائة [1] .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولون : لَيلَى أرسلَتْ بشفاعة إلىَّ ، فهلاَّ نفسُ لَيْلَى شَفِيعُها)

على أنّ مجىء الجملة الاسمية بعدهَلّاضرورة .

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة [2] .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٥٥ — ٦٠ .
(٢) الخزانة ٣ : ٦٠ — ٦٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد التسعمائة [(١)] :

٩٢١ (ألا زعمَتْ أسماءُ أنْ لا أحبُّها فَقُلتُ : بَلَى ، لولا ينازعُنِى شُغلى)

على أنه قد تجىء الجملة الفعلية بعد لولا غير التحضيضيَّة .

٤٩٩ وإنَّما كانت هنا غير تحضيضية لأنّ الحضَّ طلبٌ بحَثٍّ وإزعاج . والشاعر لم يردْ أن يحثَّ نفسَه على منازعة الشغل ، وإنمّا يريد الاعتذار عن القيام بمحبّتها بهذا المانع ، وهو مجاذبتُه الشُّغل .

وإنَّما لم يقل الشارح المحقق : « وغير الامتناعيَّة » لأنَّها لا تدخل على الفعل . وأجاب عنها بجوابين :

أحدهما أنّ لولا ليست كلمةً واحدةً رُكِّبتْ من كلمتين ، وإنمّا هى كلمتان . قال ابن الأنبارىّ : لولا هنا غير مركّبة ، بل لا نافية على حالها ، ولَوْ على حالها . وإنمّا أوّل لا بلمْ ليبيِّن أنّها مستقلَّة فى إفادة النفى كلم فى : لو لم .

والجواب الثانى : أنّ لولا هى الامتناعيَّة ، لكن كان الأصل : لولا أن ينازعنى شغلى ، فلمَّا حُذفت أن ارتفع الفعل كما فى قولهم : « تَسمَعُ بالمعَيْدِىِّ لا أنْ تَراه » فيكون أن المحذوفة مع الفعل فى تأويل مبتدأ ، أى لولا منازعتى شغلى . ولا يخفى أنَّ هذا ليس من مواضع حذف أنْ .

والجواب الجيّد هو الأول ، ولذا قدَّمه الشارح .

وقد أشار إليهما ابن مالك (فى التسهيل) فقال : « وقد يلى الفعل لولا غير مُفهِمة تحضيضاً فيؤوَّل بلو لم ، أو تجعل المختصَّة بالأسماء والفعل صلة أن » . قال

(١) ابن يعيش ٨ : ١٤٦ والمغنى ٢٧٦ والهمع ١ : ١٠٥ والهذليين ١ : ٣٤ والسكرى ٨٨ .

شارحه ابن عقيل : يشير بهذا إلى تأويل ما استشهد به الكسائىّ على ما ذهَبَ إليه من أنَّ المرفوع بعد لولا الامتناعية مرفوعٌ بفعل مضمر ، لظهوره فى قوله :

* ألاَ زعمت أسماءُ أن لا أحبّها * ... البيت

وقولِه :

لا درَّ دَرُّكِ إنِّى قد رميتهمُ لولا حُدِدتُ ولا عُذْرَى لمحدودِ [1]

والتأويل هو أنَّ لو حرف امتناع لامتناع ، ولا نافية بمعنى لم ، أى لو لم ينازعنى ولو لم أُحَدّ . ولا قد نُفى بها الماضى نحو : ﴿ فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى [2] ﴾ أى لم يصدِّق ولم يصلّ . أو لولا حرف امتناع لوجود ، وما بعدها مبتدأ بإضمار أنْ ، أى لولا أن ينازعنى ، ولولا أنْ حُدِدتُ . ولمَّا حذفت بطل عملُها فى تنازعنى فارتفع . انتهى .

ولا حاجة إلى قوله : « ولا قد نُفِىَ بها الماضى » إلخ ، بالنسبة إلى البيت الأوّل ، لأنَّ « لا » إنمّا تؤوّل بلم إذا دخلتْ على الماضى كالبيت الثانى . وأمّا إذا دخلت على المضارع كالبيت الشاهد فلا تؤوَّل به . وإنمّا قالوا عند إيرادِه وَحْدَه : إنّ لولا بمعنى لو لم ، لِمَا ذكرنا .

وذهب الإمام المرزوقىُّ إلى أنَّ لولا الامتناعية قد يليها الفعلُ بقِلَّة ، ولا حاجة إلى التأويل ، كالبيتين .

واعلم أنَّ لولا فيهما سواء كانت لو الشرطية مع لا ، أو امتناعية لابُدَّ لها من جواب ، فجوابها إمّا فى ما أوجبه بلى قبلها ، أو البيت الذى يليها ، وهو :

(جَزيتُكِ ضِعف الوُدِّ لمَّا اشتكيتِهِ وما إنْ جزاكِ الضّعفَ من أحدٍ قبلى)

---

(١) للجموح الظفرى . وانظر الخزانة ١ : ٤٦٢ .

(٢) الآية ٣١ من سورة القيامة .

صاحب الشاهد

والبيتان أوّلا قصيدةٍ لأبى ذؤيب الهذلىّ . قال الإمام المرزوقى فى شرحها : قوله : « ألاّ زعمت أسماء » إلخ الزعم يستعمل فيما يُرتاب ولا يتحقّق [١] ، ويتعدّى إلى مفعولين ، وأن لا أحبُّها قد سدّ مَسَدَّهما وأنْ هذِه مخفّفة من الثقيلة . أراد أنّى لا أحبّها . أوْ أنَّ الأمر والحديث لا أحبُّها ، كأنّها استزادت زيارته لها وتوفُّرَه عليها ، واستقصرت تهالكه فيها وشغفَه بها ، وادَّعت عليه أنّه قد حالَ عن العهد ، وتحوَّل متراجعاً فى درجات الودّ ، فقال مجيبا لها ، ومبطلاً لدعواها : بلى أحبُّك ، وأرى من المثابرة عليك والسَّعى فى تحصيل بعضِ المراد بالنَّيل منك ، ما هو الهوى والمُنَى ، لولا الشغل المنازع ، والعائقُ المانع . ولولا يدخل لامتناع الشئ لوجودِ غيره ، وهو يربط جملة من مبتدأ وَخبر بجملةٍ من فعل وفاعل ، إلاّ أنّ خبر المبتدأ يحذف تخفيفا ويُكتَفى بجواب لولا عنه . وقد يؤتى بالفعل والفاعل بدلاً من المبتدأ والخبر ، وهذا كما نحن فيه . ألا ترى أنّه قال : لولا ينازعنى شغلى . وجواب لولا ، فى قوله : بلى ، وقد تقدَّم ، والتقدير لولا مجاذبَة الشُّغل الذى أنا بصدده لقمتِ فيكِ مقام المحبّ ، فإنّى أحبُّك . ومثلُ هذا فى تقدّم الجوابِ وكونِ الفعل والفاعل مكانَ المبتدأ والخبر ، قولُ الآخر :

٥٠٠

لادرّ درّكِ إنّــى قد رمــيتهمُ لولا حُدِدتُ ولا عُذرَى لمحدودِ [٢]

وذكر بعضُهم أنَّ جواب لولا فيما بعده ، وهو « جزيتك ضِعْفَ الودّ » البيت . والضّعف هنا بمعنى المضاعَف ، كقوله تعالى : ﴿ فآتِهِمْ عذاباً ضِعْفاً من النار [٣] ﴾ ، أى مضاعَفا . وبعده :

---

(١) ش : « ولا يحقق » .

(٢) مضى قبل هذا بصفحتين .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأعراف .

(فإنْ تك أنثَى فى معدٍّ كريمةً   علينا فقد أُعطِيتِ نافلَةَ الفَضْلِ)

والنافلة : الغنيمة وبه سمِّى ما لا يَجِبُ من الطاعات نَوافل . وقيل لمن فعَلَ إحساناً لا يلزمُه : تنفَّلَ به . والمعنى : إنْ تكرمْ علينا امرأة فى نساءِ معدٍّ فقد جُعِلَ للِكِ عليها بعد الواجب فى إيثارك وتَكرِمَتك زيادةٌ تفضُلين بها . وإنَّما أضاف النافلة إلى الفضل لما كانت تفضُل على مَنْ سواها بتلك النافلة .

ثم قال بعد أربعة أبيات [١] :

أبيات الشاهد

(فإنْ تزعُمِينى كنتُ أجهَلُ فيكمُ   فإنِّى شَرَيْتُ الحلمَ بَعْدَكِ بالجهلِ
وقال صِحابى : قد غُبِنْتَ ، وخِلتُنى   غُبِنتُ فما أدرى أشكلُهمُ شكلى
على أنَّها قالت : رأيْتُ خويلداً   تَنكَّرَ حتَّى عاد أسودَ كالجِذْلِ
فتلك خطوبٌ قدْ تملَّتْ شَبابَنا   زماناً ، فتُبلينا المَنونُ وما نُبْلِي
وتُبلى الأُلَى يستلئمون على الأُلى   تراهنَّ يوم الرَّوع كالحَدَإِ القُبْلِ)

وقوله : « فإنْ تزعُمينى » إلخ قال المرزوقى : الأكثر زعمت أنّه كان يفعل كذا . وقد جاء : زعمته كان يفعل ، فلهذا قال تَزْعمينى . وقال الله تعالى : ﴿ زعَمَ الذين كَفَرُوا أنْ لن يُبْعَثوا [٢] ﴾ وقال عز ذكره : ﴿ بل زعَمْتُم أنْ لن نَجْعَلَ لَكُمُ مَوْعِداً [٣] ﴾ ويَسْتشهد أصحابنا بدخوله على أن المخفّفة والمثقلة ، على حدِّ ما يدخل حسبت وظننت عليهما ، أنّه يتعدَّى لمفعولين . وقد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضاً . وأراد أبو ذؤيب الاعتذارَ إلى المرأة لمّا قالت : إنّك لا تحبُّنى ، فقال متنصِّلاً إليها ، وذاكراً الوجهَ الذى تداخَلَها منه ما أشكَلَها وأخرجها إلى عَتْبِهِ وسُوءِ الظَّنّ به : إن احتَجَجْتِ فى دعواكِ علىَّ بأنِّى كنتُ أُستعمل الجهلَ فى

---

(١) ط : « أربع أبيات » صوابه فى ش .
(٢) الآية ٧ من سورة التغابن .
(٣) الآية ٤٨ من سورة الكهف .

حُبِّكم فأقدمُ على الأمور المنكَرة ، وأركب الأهوالَ المردِيَة ، والآن قد كففت وكنتُ أتعاطى من اللَّهو والصِّبا ما قد اطَّرحته الساعة ، فدَلَّكِ ذلكِ على زوالِ الحُبّ ، فليس استدلالُكِ بصحيح ، وما حدَثَ لىَ استغناءٌ عنكِ ، ولا استبدلتُ بحبِّكِ قِلاك ، ولكنّى تحلَّمتُ ، فجميعُ ما تَرَيْنَه وتُنكِرِينَه من العادات المستجَدَّة نتائجُ الحلم والعقل . فأمّا الحبُّ فكما كان ، والأيّام تزيدُه استحكاماً . وشَرَيت واشتريت بمعنىً ، وهو هنا مثل . انتهى كلامه .

أقول : وأورده سيبويه (فى باب ظننت وأخواتِها من أوائل كتابه) فإنّه بعد أن ذكر عملها قال : ومما جاء فى الشعر معمَلاً قول أبى ذؤيب . وأنشد البيت . ولم يُرد أنَّ عملها إنمّا يكون فى الشّعر ، وإنمّا أراد : وممَّا جاء فى الشعر شاهداً على إعمالها هذا البيت . والياءِ المفعول الأوّل ، وجملة « كنت أجهل فيكم » فى موضع المفعول الثانى .

٥٠١

وأورده ابن هشام (فى المغنى ، فى الجملة التى تقع مفعولا ثانيا من الباب الثانى) . قال : وقد اجتمع وقوعُ خبرَىْ كان وإنّ ، والثانى من مفعولَىْ باب ظنّ ، جملةً فى قول أبى ذؤيب . وأنشد البيت .

وأورده صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿ ولا تشْتَرُوا بآياتى ثَمَناً قَلِيلاً[1] ﴾ على أنّ الاشتراء فيه مستعارٌ للاستبدال ، كما فى البيت .

وزعم بعضُ من كتب عليه أنّ أجهلَ ، فيه،أفعل تفضيل ، فرواهُ بالنّصب ، وقال : أى إن تزعمينى أنّى أجهلُ الناس فيكم لارتكاب بَطَالات الهوى فتحَوَّلِي عن هذا الزعم ، فإنّى أخذتُ الحلم بعدك بالجهل . وهذا وإن كان معناه صحيحاً إلاّ أنّه ليس برواية .

---

(١) الآية ٤١ من سورة البقرة ، و ٤٤ من المائدة .

وقوله : « وقال صحابى قد غُبِنت » إلخ قال المرزوقى : يقول : أنكَرَ أصحابى منّى ما تمسَّكتُ به من ارعواءٍ وحلم ، حتّى قالوا : إنّك مغبونٌ فيما قايضت عليه من صِباً وجهل . وأظُنُّنِي الغابن الرابح ، لا المخدوعَ الخاسر . فلا أعلم أمَقصِدهم مَقصِدى ، وطريقُهم طريقى ، ثم غَلِط أحدُنا حتّى افترقنا ، أم اختلفنا فى أصلِ ما نظَرْنا فيه وأخَذْنا بهِ ، فلذلك لم يتَّفق معتبَرُنا . وقال هذا وهو يعلم اختلافَ أحوالهم وتبايُنَ طرقهم ، زاريا عليهم وموبِّخا لهم . ومن هذا الباب قولُ الله تعالى : ﴿ وإنّا أَوْإيّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو فى ضَلالٍ مُبين (١) ﴾ . وعلى هذا التفسير يكون « أمْ لا » مضمراً بعد قوله : أشكلهم شكلى ، وساغ حذفُه لِمَا فى الكلام من الدَّلالة عليه ، وتكون الألف للتسوية . ويجوز أن يُكتفَى بقوله : أشكلهمُ شَكلى ، فلا يقصد إلى معادلة ولا تسوية . وذلك أنَّ أدرِى من أخوات أعلم ، وقد يجوز أنْ تقول : قد علمت أزيدٌ فى الدار . وحكى ذلك سيبويه . ولو قلت : سواء علىَّ أو ما أبالى ، لم يكن بُدٌّ من ذكر أم . ومثل الأوّل قولُ أبى ذؤيب فى أخرى :

* فما أدرى أرُشْدٌ طِلابُها (٢) *

وقد سمعت من يقول : إنّ الأمر فى الكل سواء ، وإنّ أمْ حيث لم يُنطَق به مقدَّر ، وإنّ أبا الحسن حكى أنّ بعضهم قال : علمت أزيدٌ عِندك ، لا يكتفَى به إلاّ بعد إضمار . وهو قولٌ قوىٌّ . وفى هذا كلامٌ ليس هذا موضعَ بَسطِه . انتهى .

وقوله : « على أنَّها قالت » إلخ يريد أنّ هذه المرأة كما أنكرَتْ عادتى أنكرَتْ حالتى ، فقالت : رأيتُ أبا ذؤيب ، وهو خُويلدٌ ، تغيَّر عن المعهود ، واسودَّ حتّى

---

(١) الآية ٢٤ من سورة سبأ .

(٢) صدره فى ديوان الهذليين ١ : ٧١ والسكرى ٤٣ :

* عصانى إليها القلب إنى لأمره * سميع

صار كالجِذْل ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو الخشَبة التى تُنَصب للإبل الجَرْبَى فتحتكّ بها وتسوَدُّ بما يعلَقُها من طِلائها . ثم أخذ يعتذر مِنْ تغيُّر هيئته ولونِه ، وتأثير الزمان فيه ، كما اعتذر من تغيُّر شيمته ، فقال : « فتلك خطوبٌ » البيت . يقول : إنّ الذى غيَّرنا خطوبٌ تناولَتْ من قوانا واستمتعت بنا من لَدُن شبابنا إلى يومنا . والدهر يُبْلى جِدَّةَ أهلِه وهم لا يُبْلونه ، ويأكلهم ويشربُ عليهم ، ولا ينتقمون منه . وأشارَ إلى أنواع المنايَا وأجناس الحوادث بقوله « المنون » . وقوله : « وتُبلِي الأُلى » البيت ، يقول : وتُبلى حوادثُ الدَّهرِ الرجالَ الذين يستلئمون اللّأْماتِ ، وهى الدُّروع ، راكبين الخيل ، التى تَراهُنَّ فى يوم الفزع لطموحِ أبصارهنّ وتقليب أعينهنَّ ذكاءً وشهامةً ، كأنّهنَّ الحِدأ القُبْل . ويستلئمون صلة الأُلَى ، لأنّه فى معنى الذين . وعلى الأُلى فى موضع الحال ، لأنّك إذا قلت : رأيت زيداً على فرس ، فالمعنى راكباً فرسا . وتَراهنَّ مع ما بعده صلة الأُلى الثانية . والحِدَأ : جمع حِدَأة كعِنَب جمع عنبة ، وهى طائرٌ تصيد الجُرْذان . قال الخليل : وقد تفتح حاؤه . والقُبْل : جمع أقبل وقَبْلاء ، وهو من صفة الحِدأ . والقَبَل : أن تُقبل كلُّ واحدةٍ من العينين على الأخرى ، وهو أشدُّ من الحَوَل ، وإذا كان خلقة كان مذموما . وهم يَصِفون الخيلَ بالشَّوَس والخَوَص ، والقَبَل ، يريدون أنّها تفعل ذلك لعزّة أنفُسِها .

وقد استشهد شُرّاح الألفيّة وغيرهم بهذا البيت ، على استعمال الأُلَى لجمع المذكر والمؤنث ، وهو الذى واللاتى ، بدليل ما عاد على كلٍّ منهما من ضميره .

وترجمة أبى ذؤيب تقدَّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل الكتاب [١] .

٥٠٢

---

(١) الخزانة ١ : ٤٢٢ – ٤٢٣ .

حرف التوقع

أنشَدَ فيه ، وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٢٢ (قَدْ أَترُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُهُ)

هو صدر ، وعجزُه :

* كأنَّ أثوابَهُ مُجَّتْ بِفِرصادِ *

على أنّ (قد) مع المضارع تكون للتكثير فى مقامِ التمدُّح والافتخار .

قال سيبويه . وتكون قد بمنزلة ربّما . وأنشد البيت ، وقال : كأنَّه قال : ربَّما . وأراد بربَّما التكثير .

ونقله عنه ابن هشام (فى المغنى) وقال : الرابع من معانى قد التكثير ، قاله سيبويه فى قولِ الهذلى :

* قد أترك القِرنَ مُصْفَرًّا أنامله *

وقاله الزمخشرى فى : ﴿ قد نرى تقلُّبَ وَجْهِكَ فى السَّماء [٢] ﴾ قال : أى ربَّما ، ومعناه تكثير الرؤية . ثم استشهد بالبيت . واستشهد جماعةٌ على ذلك ببيت العروض :

قد أشهد الغارةَ الشَّعواء تحملنى جرداءُ معروقة اللَّحيينِ سُرْحوبُ [٣] . انتهى

---

(١) فى كتابه ٢ : ٣٠٧ . وانظر شرح الأبيات للسيرافى ٢ : ٣٦٨ والمقتضب ١ : ٤٣ والأزهية ٢٢١ وابن الشجرى ١ : ٢١٢ وابن يعيش ٨ : ١٤٧ ورصف المبانى ٢٩٣ والمغنى ١٧٤ والهمع ٢ : ٧٣ وديوان عبيد بن الأبرص ٧١ .

(٢) الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد جعل الزمخشرى (فى تفسير سورة التكوير) : أصل مُفاد قَدْ وربَّما التقليل والتكثير ، إنمّا جاء من عكس الكلام . قال عند قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نفسٌ ما أَحْضَرَت [(١)] ﴾ : فإن قلت : كلُّ نفس تعلم ما أُحضَرتْ كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تجِدُ كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ من خَيْرٍ مُحضَراً [(٢)] ﴾ والأنفسُ واحدة ، فما معنى قوله علمت نفس ؟ قلت : هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه . ومنه قوله تعالى : ﴿ ربَّما يَودُّ الذين كَفَرُوا لو كانوا مُسْلِمِينَ [(٣)] ﴾ ومعناه معنى كَمْ وأبلغ . ومنه قول القائل :

* قد أترك القِرْنَ مُصْفرًّا أنامله *

وتقول لبعض قُوّاد العسكر : كم عندَك من الفُرسان ؟ فيقول : رُبَّ فارسٍ عندى ، أو لا تعدَم فارساً عندى . وعنده المقانب ، وقصدُه بذلك التَّمادى فى كثرة فرسانه ، ولكنَّه أراد إظهار براءته من التزيُّد ، وأنّه ممن يُقَلِّل كثيرَ ما عنده فضلاً أن يتزَّيد ، فجاء بلفظ التقليل ففُهِم منه معنى الكثرة على الصِّحة واليقين . انتهى كلامه .

وزعم ابنُ مالك أنّ مراد سيبويه أنّ قَدْ مِثلُ ربَّما فى التقليل ، لا فى التكثير . وردَّ عليه أبو حيّان ، وانتصر بعضُهم لابن مالك . وقد نقل الجميعَ الدمامينيُّ (فى الحاشية الهندية) ، وصحَّح كلامَ أبى حيّان ، ولا بأس بإيراده فنقول :

---

(١) الآية ١٤ من سورة التكوير .

(٢) الآية ٣٠ من آل عمران .

(٣) الآية ٢ من سورة الحجر . وقرأ بتخفيف « ربما » نافع وعاصم من السبعة ، وأبو جعفر من العشرة . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

٥٠٣ قال ابن مالك : إطلاق سيبويه القولَ بأنَّها بمنزلة ربَّما ، موجبٌ للتسوية بينهما فى التقليل والصرف إلى المضىّ . واعترضه أبو حيان فقال : لم يبيِّن سيبويه الجهة التى فيها قد بمنزلة ربَّما ، ولا يدلُّ على التسوية فى كلِّ الأحكام ، بل يُستدَلّ بكلام سيبويه على نقيض ما فهمه ابن مالك ، وهو أنّ قد بمنزلة ربَّما فى التكثير فقط . ويدلُّ عليه إنشاد البيت ، لأنّ الإنسان لا يفخر بما يقع منه على سبيل النُّدرة والقِلّة ، وإنَّما يفتخر بما يقع منه على سبيل الكثرة ، فيكون قد بمنزلة ربَّما فى التكثير . انتهى .

وانتصر بعض الفضلاء لابن مالك رادًّا كلامَ أبى حيان فقال : أمّا قوله : « لم يبيِّن سيبويه الجهة » إلخ فإطلاق التسوية كافٍ فى الأحكام كلِّها ، إلاَّ ما تعيَّن خروجُه . وأمَّا قوله : « لأنّ الإنسان » إلخ فجوابه أنّ فخر الإنسان بما يقع منه كثيراً إنَّما يكون فيما يقع قليلاً وكثيراً فيفخر بالكثير منه ، أمَّا مالا يقع إلاّ نادراً فقط فإنّه يفخر بالقليل منه لاستحالة الكثرة فيه . وتركُ المرءِ قرنَهُ مصفرَّ الأنامل يستحيل وقوعُه كثيراً ، وإنمَّا يتفق نادراً ، فلذلك يفتخر به ؛ لأنّ القِرن هو المقاوم للشخص ، الكفءُ له فى شجاعته ، فلو فُرِضَ مغلوباً معه فى الكثير من الأوقات لم يكن قِرناً له ، إذْ لا يكون قِرناً إلاّ عند المكافأة غالبا . إذا تقرَّر هذا فنقول : لما كان قوله القرن يقتضى أنّه لا يغلب قِرنه ، لأنّ القرنين غالبُ أمرهما التعارض ، ثم قضَى بأنّه قد يغلبه ، حملْنا ذلك على القلّة صوناً للكلام عن التدافع ، وقلنا : المراد أنّه بتركه كذلك تَركاً لا يُخرجه عن كونه قِرْنا . وذلك هو التَّرك النادر ، لئلاّ يدفع آخرُ الكلام أولَه . والزمخشريُّ فهم ما فهِمه أبو حيان من أنَّ قد فى البيت للتكثير ، فقد اتَّجهت المؤاخَذة على ابن هشام فى نقله هذا المعنى عن سيبويه ؛ فإنَّ سيبويه لم يَقُلْه نصًّا ، وإنمّا فهمه أبو حيّان عنه . ثم أبو حيّان ليس جازماً به ، وإنمّا قاله معارضاً لفهم ابن مالك ، ومثلُ هذا لا يكفى فى تسويغ النقل عن

سيبويه ، وغايته فهمٌ جوَّزه أبو حيّان ، وسبقه الزمخشريُّ إليه ، وهو معارِضٌ لفهم ابن مالكٍ أحدِ المجتهدين فى النحو .

كذا قال ذلك الفاضل .

قلت : حاصل كلامه على البيت أنّ التكثير فيه ملزمٌ للتناقض بناءً على أنّ القِرْن هو الكفء ، وكثرة مغلوبيَّته تمنع كونه قرنا ، وقد فُرِض أنّه قرن . هذا خَلْف (١) . وإنمّا يتمّ ذلك أنْ لو كان المراد بالقرن واحدًا ، وهو ممنوع ، بل الظاهر أنّ المراد به الجنس . فإذا فرضْنا أنّه غلبَ جميعَ أقرانه ، وهم مائة مثلاً ، كلَّ واحدٍ مرّة ، حصلت كثرة الغلبة مع انتفاء التناقض لتعدُّد المحالّ ، وهذا هو اللائق بمقام الافتخار . وظهر بهذا أنّ قوله : « لاستحالة الكثرة فيه » مستدرَك ، وأنّ قوله : « إنّ ذلك فيما يمكن وقوعه قليلاً وكثيرا فلا يُفتَخَر منه إلاّ بالكثير » لا يُجْديه نفعا فى مَرامه ، بل هو عليه كما عرفتَه . هذا آخر ما أورده الدماميني .

وقد أجاد فى ردّه ، على هذا الفاضل . وقد أورد كلام هذا الفاضلِ (فى شرح التسهيل) مسلّما ، وشنّع على ابن هشام غاية التشنيع .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لعَبيد بن الأبرص الأسديّ ، أوردها الأصمعيُّ (فى الأصمعيات (٢)) وهذا مطلعها :

---

(١) الخلف ، بالفتح : الرديء من القول ، والخطأ كذلك ، ومنه فى المثل : « سكت ألفًا ونطق خَلفا » يضرب للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . ولا عبرة بما جاء فى المعجم الوسيط من ضبطه بالضم .

(٢) ليست فى نسخ الأصمعيات المطبوعة . وقد سبق مثل هذا من نسبة قصيدة مضرس الأسدى إلى الأصمعيات فى الشاهد ٨٢١ الذى سبق فى ١٠ : ١٠٣ . والقصيدة فى مختارات ابن الشجرى ٩٩ – ١٠٠ وجمهرة القرشى ١٧ من المقدمة والأغانى ١٩ : ٨٩ ، وديوان عبيد ٤٧ – ٤٩ .

أبيات الشاهد

(طاف الخَيَالُ علينا ليلةَ الوادى من آل أسماءَ لم يُلْمِمْ بميعادِ
أنّى اهتديتِ لركبٍ طال ليلُهمُ فى سَبْسَبٍ بين دَكداكٍ وأعقادِ
يُطوِّفُونَ الفلاَ فى كلِّ هاجرةٍ مثلَ الفنيقِ إذا ما حثّه الحادى[1])

٥٠٤

إلى أن قال :

(اذهبْ إليكَ فإنِّى من بنى أسدٍ أهلِ القِبابِ وأهلِ المَجْدِ والنَّادى[2]
قد أترك القِرْنَ مصفرّا أناملُه كأنّ أثْوابَه مُجّتْ بفرصادِ
أبلغْ أبا كربٍ عَنِّى وإخوتَه قولاً سيذهبُ غَوْراً بعد إنجادِ
لا أعرفنَّكَ بعدَ اليوم تندُبنى وفى حياتِىَ ما زوّدتَنِى زادى
فإنْ حَيِيتُ فلا أحسبْكَ فى بلدى وإن مرضتُ فلا أحسبْكَ عَوَّادى
فانظرْ إلى ظلِّ مُلكٍ أنت تاركُه هل تُرسَيَنَّ أوَاخِيهِ بأوتادِ[3]
الخيرُ يبقَى وإنْ طال الزّمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ)

وقوله : « أنّى اهتديتِ » التفات من الغيبة إلى الخطاب . والسَّبسَب : المفازة والقفر . والدّكداك بفتح الدال ، هو من الرّمل : ما التبَدَ ولم يرتفعْ . وأعقاد : جمع عَقِدٍ بفتح فكسر ، هو ما تعقّد من الرّمل ، أى تراكم . وطَوَّفَ : مبالغة طاف . والفَنيق بفتح الفاء وكسر النون : الفحل المُكْرم من الإبل .

وقوله : « اذهبْ إليك » ، أى اذهبْ إلى قومك بدليل قوله : « فإنّى من بنى أسد » ، فلا يَرِدُ أنَّ مجرور إلى وفاعلَ متعلّقها ضميرانِ لشىء واحد .

---

(١) ويروى :

يكلفون سراها كل يَعْمَلَةٍ مثل المهاة إذا ما احتثّها الحادى

(٢) ويروى : « وأهل الجُرد والنادى » .

(٣) ويروى : « إلى فىء ملك » .

وقوله : « قد أترك القِرْن » هو بكسر القاف : المِثْل فى الشَّجاعة . والأنامل : رءوس الأصابع . وأترك يحتمل أن يكون من التَّرك بمعنى التخلية ويتعدَّى إلى مفعول واحد ، فمُصْفرًا حال من قرن . ويحتمل أن يكون من الترك بمعنى التصيير ، فيتعدَّى لمفعولين ثانيهما مصفرّا . والمعنى أقتله فينزِف دمُه فتصفرّ أنامله . وقال الأعلم : خصَّ الأنامَل لأنّ الصُّفرةَ إليها أسرع ، وفيها أظهر . وقال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنّف) : يريد أنّه يقتل القِرن فتصفرُّ أنامله . ويقال إنّه إذا مات الميِّتُ اصفرَّت أنامله . وأثواب : جمع ثوب . ومُجَّت : دَمِيت ، والمراد صُبِغت . والفرصاد ، بكسر الفاء ، قال الأعلم : هو التُّوت ، شبَّه الدم بحمرة عُصارته . وفى القاموس : الفِرصاد : التُّوث أو أحمره ، أو صِبغٌ أحمر . والتوث [1] فيه لغتان ، يجوز فى آخره بالثاء المثلثة ، وبالمثناة . وأنكر صاحب الصحاح الأوّل ، ورُدَّ عليه . حكى أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) أنّه بالمثلثة ، وقال : لم يسمع فى الشعر إلاَّ به . وأنشد لمحبوبِ النَّهشَلىّ :

لَروضةٌ مِن رياضِ الحَزْن أو طَرَفٌ ... من القُرَيَّة حَزنٌ غيـرُ محروثِ

أشهى وأحلى لعينى إنْ مررتُ به ... من كَرخ بغدادَ ذِى الرمان والتُّوثِ

وقوله : « لا أعرفنّك » لا ناهية . ونهىُ المتكلم نفسَه قليل . والأَوَاخى : جمع آخيَّة بالمد والتشديد ، وهو حبلٌ يدفن طَرَفاهُ فى الأرض وفيه عُصَيّة أو حُجَير ، فتُظهَر منه مثلُ عروة تشدّ إليه الدابة .

والبيت الشاهد قد تداوله الشعراء ، فبعضُهم أخذ المصراع ، وبعضهم أخذه تماماً بلفظه ، وبعضهم أخذ معناه . قال أبو المُثَلَّم الهذلىّ ، يرثى صَخر الغىِّ الهذلى :

ويتـرُكُ القِـرنَ مصفـرًّا أناملـه ... كأن فى رَيْطتَيْهِ نَضحَ إرْقانِ [2]

---

(١) ش : « والتُّوت » بتاءين .

(٢) شرح السكرى ٢٨٦ . وروى : « نضخ أرقان » . والأرقان ، بالفتح : اليرقان .

والإرقان بكسر الهمزة ، وبالقاف : الزَّعفران .

وقال المتنخِّل الهذلى ، يرثى ابن أُثيلة :

والتارك القِرنَ مصفرًّا أنامله كأنَّه من عُقارٍ قَهوةٍ ثَمِلُ [(١)]

وقال زُهير بن مسعودٍ الضبّىّ :

هَلاّ سألتِ هَدَاكِ الله ما حسَبِى عند الطِّعان إذا ما احمَّرت الحَدَقُ [(٢)]

هل أترك القِرنَ مصفرًّا أناملُه قد بَلَّ أثوابَهُ من جَوفِهِ العَلَقُ

وقالت رَيْطة الهذلية ترثى أخاها عَمْراً ذا الكلب :

الطاعِنُ الطعنةَ النَّجلاءَ يَتْبَعُها مُثعنجرٌ من نجيع الجَوْفِ أُسكوبُ [(٣)]

والتَّارك القِرْنَ مصفرًّا أناملـه كأنَّه من نجيع الجَوفِ مخضوبُ

وقال زهير بن أبى سُلمى :

قد أترك القرن مُصْفرًّا أناملـه يَمِيد فى الرُّمح مَيْدَ المائح الأَسِنِ [(٤)]

المائح : الذى يملأ الدَّلو فى أسفل البئر عند قِلّة مائها . والأسِن ، بفتح الهمزة وكسر السين : الذى أصابته ريحٌ منتنةٌ من ريح البئر أو غيرِ ذلك ، فغُشِيَ عليه أو دار رأسُه . وقال أحدُ بنى جَرْم :

---

(١) شرح السكرى ١٢٨٢ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٣ . من أبيات . وبين البيتين :

وجالت الخيلُ بالأبطال مُعلمةً شُعثَ النَّواصى عليها البَيْض تأتلق

(٣) شرح السكرى ٥٨٠ برواية : « أثعوب » .

(٤) ديوان زهير ١٣١ برواية :

يغادر القرن مصفرا أناملـه يميل فى الرمح ميل المائح الأسن

وأتـركُ القِـرْنَ مصفــرًّا أناملُــــه دامى المَرادِعِ منكبًّا على العَفَرِ [(١)]

وقالت عَمرة بنت شدَّاد الكلبيَّة ، ترْثى أخاها مسعودَ بنَ شدَّاد :

قد يَطعُن الطَّعنةَ النَّجلاءَ يتبعُها مُضَرّج بعدَها تغلى بإزبادِ [(٢)]

ويَتـرك القـرن مصفـرًّا أناملُـه كأنَّ أثوابَـه مُجّت بِفِــرصادِ

وتقدمت ترجمة عبيد بن الأبرص فى الشاهد السادسَ عَشَرَ بعد المائة [(٣)] ، ووقع نسبةُ البيت الشاهد فى كتاب سيبويه إلى بعض الهذليِّين ، ولم أره فى أشعارهم من رواية السكرى . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

* (لمَّا تَزُلْ برحالِنا وكأنْ قَدِ) *

على أنّه قد يحذف الفعل بعد (قد) لِدليلٍ ، والتقدير : وكأن قد زالت ، فحذف زالت لدلالة ما قبله عليه ، وكسرت الدال من قد للقافية .

وأراد الشارح الفعل الماضىَ كما مثّل ، فإنّ حذف المضارع بعدها غير مسموع . وهذا عجزٌ وصدره :

(أفِدَ الترحُّلُ غير أنَّ رِكابَنا)

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة [(٤)] .

---

(١) ط : « المدارع » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ٨١ . أبيات على هذا الروى لفارعة بنت شداد المرية ، ترثى أخاها مسعود بن شداد ، وكان أغار على جرم فأسروه ثم لم يسقوه حتى مات عطشا .

(٣) الخزانة ٢ : ٢١٥ – ٢١٩ .

(٤) الخزانة ٧ : ١٩٧ – ٢٠٥ .

حرفا الاستفهام

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد التسعمائة [١] :

٩٢٣ (أهَلْ عرفتَ الدّارَ بالغرِيَّيْنْ)

على أنّ (هل) فى الأصل بمعنى قد كما فى ا لبيت ، فكون قد حرف استفهام إنّما تكون بهمزة الاستفهام ، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال إقامةً لها مُقامها . وقد جاءت على الأصل فى قوله تعالى : ﴿ هَلْ أتى على الانسان [٢] ﴾ ، أى قد أتى . ٥٠٦

هذا أحد مذاهبَ أربعةٍ ، وهو مذهب الزمخشرىّ ، فهل عنده أبداً بمعنى قَدْ ، وأنّ الاستفهام إنَّما هو مستفادٌ من همزة مقدّرة . قال (فى المفصل) : وعند سيبويه أنّ هل بمعنى قد ، إلاّ أنَّهم تركوا الألف قبلها لأنّها لا تقع إلاّ فى الاستفهام . وقد جاء دخولُها عليها فى قوله :

سائلْ فوارسَ يَرْبوعٍ بشَِدَّتنا   أهَلْ رَأَوْنا بسَفحِ القاعِ ذى الأَكَمِ [٣] انتهى

قال ابن يعيش (فى شرحه) : هذا هو الظاهر من كلام سيبويه ، وذلك أنَّه قال عند الكلام على مَنْ ومتى : وكذلك هل إنّما هى بمنزلة قد ، ولكنّهم تركوا الألف إذْ كانت هل إنما تقع فى الاستفهام ، كأنَّه يريد أنّ هل [٤] تكون بمعنى

---

(١) اللسان (غرا ٣٥٨) . وانظر ما سبق فى ٢ : ٢١٣ .

(٢) الآية الأولى من سورة الإنسان .

(٣) لزيد الخيل كما فى معجم الشواهد ، وهو من شواهد الزمخشرى ، ولم يستشهد سيبويه به . وانظر ابن يعيش ٨ : ١٥٢ – ١٥٣ .

(٤) عند ابن يعيش : « أن أصل هل » .

قد ، والاستفهام فيها بتقدير ألف الاستفهام ، كما كان ذلك فى مَنْ ومَتْى ، والأصل أَمَن ، أمتى [١] ، ولمَّا كثر استعمالُها فى الاستفهام حُذِفت الألف وتضمَّنت معناها . وكذلك هل الأصل فيها : أَهَلْ ، وكثر استعمالُها فى الاستفهام ، فحذفت الألف للعلم بمكانها . انتهى .

وما نقله عن سيبويه مذكورٌ فى باب بيان أم لِمَ تَدخل على حروف الاستفهام ولم تدخلْ على الألف [٢] . وقد وقعَ مثلُ هذا فى أوائل كتاب سيبويه (فى باب ما يختار فيه النصب من أبواب الاشتغال أيضا [٣]) : وتقول أم هل فإنّها بمنزلة قد ، ولكنهم تركوا الألف استغناءً ، إذْ كان هذا الكلام لا يقع إلاّ فى استفهام . انتهى .

ولم يقف ابن هشام على هذين النَّصَّين من كلام سيبويه ، فاعترض على الزمخشرى بقوله : ولم أر فى كتاب سيبويه ما نقله عنه ، وإنَّما قال (فى باب عدّة ما يكون عليه الكلم) ما نصُّه : « وهل هى للاستفهام » لم يزد على ذلك . انتهى .

وقد ردَّ عليه الدَّمامينىُّ بأنّه لا يلزم من عدم رؤيته هو لذلك عدمُ وقوعه ، وكان الأَولَى به تحسينَ الظنّ بالزمخشرى ، فإنّه أمامٌ فى هذا الفنّ ، ثَبْت فى النّقل ، وما نقله عن سيبويه مَسطورٌ فى موضعين من كتابه . ثم نقل كلاميه من كتابه ، وقال : فإن قلت فما تصنع فى دفع المعارضة التى أشار إليها ، وهى مخالفةُ قولِ سيبويه فى باب عِدّة ما يكون عليه الكلام ، لقوله فى غيره : إنّ هل إنَّما تكون بمنزلة قد ؟ قلت : أحمِلُ ذلك على أنّها للاستفهام باعتبار قيامها مقام الهمزة

---

(١) عند ابن يعيش : « كما كان ذلك فى من ومتى وما ، والأصل : أمن وأمتى وأما » .

(٢) سيبويه ٣ : ١٨٩ .

(٣) سيبويه ١ : ١٠٠ .

المحذوفة المفيدة للاستفهام ، لا أنّها موضوعة للاستفهام بنفسها ، جمعاً بين كلاميه . انتهى .

وكلام الزمخشرى (فى كشافه) ، كالمفصَّل قال : هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصّة ، والأصل أَهَلْ ، بدليل قوله :

* أهل رأونا بسَفح القاعِ ذِى الأكمِ *

والمعنى أقد أتى ، على التقرير والتقريب جميعاً ، أى أتى على الإنسان قبلَ زمانٍ قريب حينٌ من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكورا ، أى كان شيئاً منسيا غير مذكور . انتهى .

وتبعه البيضاوى فقال : هو استفهامُ تقرير وتقريب ، ولذلك فسِّرَ بقد ، وأصله أهَلْ ، كقوله : أهل رأونا البيت ..... انتهى .

ومعنى قول الزمخشرى : « فى الاستفهام خاصّة » أنّ هل لا تكون بمعنى قد إلاّ ومعها استفهام لفظاً كالبيت المتقدِّم ، أو تقديراً كالآية الكريمة . فلو قلت : هل جاء زيد بمعنى قد جاء ، من غير استفهامٍ لم يجزْ . وقوله : « على التقرير » أى المفهوم من الاستفهام المقدَّر . وقوله : « والتقريب » أى المفهوم من هل بمعنى قد .

٥٠٧ وإنّما استشهد الشارح بالبيت الذى أورده دون بيت المفصَّل فإنّه طَعَنَ فى ثبوته . قال ابن هشام : وقد رأيت عن السيرافى أنّ الرواية الصحيحة : « أم هل رأونا » وأم هذه منقطعة بمعنى بل ، فلا دليل فيه . انتهى . ولهذا عدَل الشارح عنه ، فللّهِ درُّه ما أدقَّ نظره .

المذهب (الثانى) أنّ هل بمعنى قد دون استفهام مقدّر ، وهو مذهب الفرَّاء [1] . قال فى تفسير الآية : المعنى قد أتى على الإنسان حينٌ من الدهر .

---

(١) معانى القرآن للفراء ٣ : ٢١٣ .

وهل قد تكون جحداً وتكون خبرًا . فهذا من الخبر . وقوله : لم يكن شيئا مذكوراً ، يريد كَانَ شيئاً ولم يكن مذكورا ، وذلك حين خَلَقه من طينٍ إلى أنْ نفخَ فيه الرُّوح . انتهى .

وتبعه الإمام الواحديُّ (فى الوسيط) فقال : قال المفسِّرُونَ وأهلُ المعانى : قد أتى ، فهل ههنا خبر وليس باستفهام . وقوله : (على الإنسان) يعنى آدم (حينٌ من الدهر) : قدرُ أربعين سنة ، (لم يكن شيئاً مذكوراً) لاَ فى السماء ولا فى الأرض ، يعنى أنّه كان جسداً مُلْقًى من طين قبل أن يُنفخ فيه الرُّوح . قال عطاءٌ عن ابن عبّاس : إنَّما تم خلْقُه بعد عشرين ومائة سنة . انتهى . وقال ابن هشام : إنّ هل تأتى بمعنى قد ، وذلك مع الفعل ، وبذلك فسَّر قولَه تعالى : ﴿ هل أتَى على الإنسانِ حِينٌ ﴾ جماعةٌ منهم ابن عبّاسٍ رضى الله عنهما ، والكسائىُّ ، والفراء ، والمبَرِّد . قال (فى مُقتَضَبِه [١]) : هل للاستفهام نحو : هل جاء زيد ، وتكون بمنزلة قد نحو قوله تعالى : ﴿ هل أتَى على الإنسان ﴾ . انتهى .

وبالغ الزمخشرى فزعم أنَّها أبدا بمعنى قد ، وأنّ الاستفهام إنّما هو مستفاد من همزةٍ مقدّرة معها . وفسَّرها غيرُه بقدْ خاصّة ولم يحملوا قد على معنى التقريب ، بل على معنى التحقيق . وقال بعضهم : معناها التوقُّع ، وكأنّه قيل لقومٍ يتوقّعون الخبر عمّا أتى على الإنسان ، وهو آدم عليه السلام . قال : والحين هو زمنُ كونِه طيناً . انتهى .

المذهب (الثالث) لابن مالك أنّها تتعيَّن لمعنى قَدْ إن دخلت عليها همزة الاستفهام ، وإن لم تدخل فقد تكون بمعنى قد ، وقد تكون للاستفهام : قال (فى

---

(١) المقتضب ١ : ٤٣ — ٤٤ .

التسهيل) : وقد تدخل عليها الهمزة فيتعيَّن مرادفة قد [١] . انتهى . ومفهومُه أنّها لا تتعيَّنُ لذلك إذا لم تدخل عليها الهمزة ، بل قد تأتى لذلك كما فى الآية ، وقد لا تأتى له .

المذهب (الرابع) أنّها لا تأتى بمعنى قد ، وإنَّما هى للاستفهام . وذهب إليه جماعةٌ . ثم اختلفوا فى الآية فقال أبو حيّان : هى على بابها من الاستفهام ، أى هو ممن يُسأل عنه لغرابته ، أأتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا ، فإنه يكون الجواب : أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة . وقال مكّىٌّ فى تقرير كونها على بابها من الاستفهام : والأحسن أن تكون على بابها للاستفهام الذى معناه التقرير ، وإنَّما هو تقريرٌ لمن أنكر البعث ، فلابُدَّ أن يقول : نعم قد مضَى دهرٌ طويل لا إنسانَ فيه ، فيقال له : من أحدثه بَعْدَ أن لم يكن ، وكوَّنه بعدَ عدمِه ، كيف يمتنع عليه بعثُه وإحياؤه بعد موته ؟ وهو معنى قوله : ﴿ ولقد عَلمتُم النَّشأَةَ الأُولَى فلولا تَذَكَّرُون [٢] ﴾ أى فهلا تذكَرون فتَعلمون أنَّ من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن ، قادرٌ على اعادته بعد موته وعدمه . انتهى . قال السمين (فى الدر المصون) : قد جعلها لاستفهام التقرير خلافاً لأبى حيّان ، فى جعله استفهاماً محضًا ، لأنَّ التقرير هو الذى يجب أن يكُون ، لأنَّ الاستفهام لا يردُ من البارى تعالى إلاّ على هذا النَّحو . انتهى .

وإلى التقرير ذهب الزجاج أيضا قال : معنى ﴿ هل أَتى على الإنسان ﴾ أى ألم يأت على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكنْ شيئاً مذكورا . والمعنى قد كان شيئاً إلاّ أنّه كان تراباً وطينا إلى أن نُفخ فيه الروح ، فلم يكن قبل نفخ الروح فيه شيئاً

٥٠٨

---

(١) الذى فى التسهيل ٢٤٣ : « فتترجح مرادفة قد » ، وأشير فى حواشيه إلى أنها فى بعض النسخ : « فتتعين » .

(٢) الآية ٦٢ من سورة الواقعة .

مذكورا . ويجوز أن يكون يُعنَى به جميعُ الناس ، ويكون أنّهم كانوا نُطَفا ، ثم عَلَقا ، ثم مُضغًا ، إلى أن صاروا شيئاً مذكورا . انتهى .

وقد اختار هذا المذهبَ ابنُ جنى فقال (فى باب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأُوَل من كتاب الخصائص [١]) : وأما هل فقد أُخرجَتْ عن بابها إلى معنى قد ، نحو قول الله : ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك . وقد يمكن عندى أن تكون مُبْقاةً فى هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنه قال ، والله أعلم : هل أتى على الإنسان هذا . فلا بدّ فى جوابه من نَعَمْ ملفوظاً بها أو مقدرة ، أى فكما أنّ ذلك كذلك فينبغى للإنسان أن يحتقر نفسه . وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه : بالله هل سألتنى فأعطيتك ، أم هل زرتنى فأكرمتك ؟ أى فكما أنَّ ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقّى عليك . ويؤكّد هذا قولُه تعالى : ﴿ إنّا خَلَقْنا الإنسان [٢] ﴾ إلى ﴿ هدَيناهُ السَّبيلَ ﴾ أفلا تراه عزّ اسمه كيف عدَّد عليه أياديَهُ وألطافه له . فإن قلتَ : فما تصنع بقول الشاعر :

* أهَلْ رأونا بسَفْحِ القُفِّ ذى الأكِمِ *

ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل ، ولو كانت للاستفهام لم تُلاقِ همزتَه ، لاستحالة اجتماع حرفين لمعنىً واحد . وهذا يدلُّ على خروجها عن الاستفهام إلى الخبر . فالجواب أنَّ هذا يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب . ومثله خروج همزة الاستفهام إلى التقرير . ألا ترى أنَّ التقرير ضربٌ من الخبر وذلك ضدُّ الاستفهام . ويدلّ على أنّه قد فارق الاستفهامَ امتناعُ النصب بالفاء فى جوابه والجزم بغير الفاء . ألا تراك لا تقول : ألست صاحبنا فنكرمَك كما تقول : لست صاحبنا فنكرمَك ، ولا تقول فى التقرير : أأنت فى الجيش أثبتْ اسمك ، كما تقول فى

(١) الخصائص ٢ : ٤٦٢ - ٤٦٣ .

(٢) الآية ٢ - ٣ من سورة الإنسان .

الاستفهام الصريح أأنت فى الجيش أُثبتْ اسمك ، كما تقول : ما اسمك أذكرْك ، أى إن أعرفْه أذكرْك . ولأجْلِ ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النَّفْىَ إلى الإثبات ، والإثباتَ إلى النفى . وذلك كقوله :

ألستم خيرَ مَنْ ركِبَ المطايا وأندَى العالَمِينَ بُطونَ راحِ (١)

أى أنتم كذلك . انتهى كلامه .

وقوله : « لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد » على نمط ما تقدَّم عنه فى الشاهد السادس بعد التسعمائة ، وتقدَّم ردّه .

وصوَّب أبو حيان هذا المذهب ، وردَّ ما عداه ، قال (فى شرح التسهيل) : إنَّ مرادَفَةَ هل لقدْ لم يَقُمْ عليها دليلٌ واضح ، إنمَّا هو شىءٌ قاله المفسِّرون فى قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين ﴾ : إنّ معناه قد أتى . وهذا تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعراب ، ولا يُرجَعُ إليهم فى مثل هذا ، وإنَّما يُرجع فى ذلك إلى أئمة النحو واللُّغة ، لا إلى المفسِّرين . وإمَّا البيت فيحتمل أن يكون من الجمع بين أداتين لمعنًى واحد على سبيل التوكيد ، كقوله :

* ولا لِلِمَا بهم أبداً دواءُ (٢) *

بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف لفظهما .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى (٣)) فقال : وقد عكس قومٌ ما قاله الزمخشرى فزعموا أنَّ هل لا تأتى بمعنى قد أصلا . وهذا هو الصواب عندى ، إذْ لا مُتَمَسَّكَ لمن أثبت ذلك إلاّ أحدُ ثلاثةِ أمور :

---

(١) لجرير فى ديوانه ٩٨ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) لمسلم بن معبد الوالبى ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) المغنى ٣٥٢ .

أحدها تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، ولعلَّه إنمّا أراد أنّ الاستفهام فى الآية للتقرير وليس باستفهامٍ حقيقىّ . وقد صرح به جماعةٌ من المفسرين ، وقال ٥٠٩ بعضهم [(١)] : لا تكون هل للاستفهام التقريرى وإنمّا ذلك من خواصّ الهمزة . وليس كما قال .

والثانى : قول سيبويه الذى شافَهَ العربَ وفهِمَ مقاصدهم . وقد مضَى أنّ سيبويه لم يقل ذلك .

والثالث : دخول الهمزة عليها فى البيت ، والحرفُ لايدخل على مثله فى المعنى ، وهو شاذٌّ ويمكن تخريجه على أنّه من الجمع بين حرفين بمعنىً واحد على سبيل التوكيد . انتهى باختصار .

ويَرِدُ عليهما أنّ ما ردَّاه هو قول سيبويه إمام البصريِّين والمبرّدِ ، وقولُ إمام الكوفيِّين الكسائىِّ وتلميذِه الفراء ، وكلُّهم أئمَّة النحو والتفسير واللغة ، وقد خالطوا العرب الفُصَحاء ، وسَمِعوا كلامهم ، وفهموا مقاصدَهم ، وثبت النقلُ عنهم ، فيتعيَّن الأخذ به وردُّ مَنْ خالفهم فى هذا الباب . والله أعلم بالصواب .

وقوله : (أهل عَرَفت الدَّارَ بالغَرِيَّيْن) هو من قصيدةٍ لخِطامٍ المُجاشِعىّ ، تقدَّم شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ، مع ترجمته [(٢)] قال اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) : هذه القصيدة من بحر السريع وربمّا حَسِب من لا يُحِسن العروضَ أنها من الرّجز . وليس كذلك ، لأنّ الرجز لا يكون فيه مَعُولان فيردّ إلى فعولان . ومثله :

---

(١) فى المغنى : « فقال بعضهم » .

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٣ – ٣١٨ .

* قد عرَّضت أروَى بقولِ إفنادْ (١) *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولان. انتهى .

والغريّانِ : موضع بالكوفة نحو فرسَخين عنها . وهو مثنى الغَرِيّ ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديد الياء . قال البكرى (فى معجم ما استعجم) : قال المفجَّع (٢) : الغرىّ : موضع بالكوفة ، ويقال إنّ قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه بالغرىّ . ويقال الغريَّان . ويقال إنَّ النُّعمان بناهما على قبرَىْ عمرِو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلةَ لمَّا قتلهما . قالت بنت معبد بن نضلة ترْثِيهما :

ألاَ بكَرَ النّاعى بخيرَىْ بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسَّيِّدِ الصمدْ (٣) انتهى

وقوله : « النعمان » خطأ ، وصوابه « المنذر » . والغريان فى الأصل : مَنارتان على قبرَىْ عَمرو بن مسعود ، وخالد بن نَضْلة الأسدِيَّين ، كان المنذرُ

---

(١) الإفناد : مصدر أفند ، إذا خرف وأُنكر عقلُه من هرم أو مرض . وفى النسختين : « بقولى انجاد » صوابه من ديوان رؤبة ٣٨ واللسان (فند ٣٣٥) ومما سبق فى ٢ : ٣١٣ . ومقتضى تعليق البغدادى أن يكون : « بقول » بكسرة واحدة مضافا إلى ما بعده ، ليكون الوزن « فعولات » . وهو المطابق لضبط ابن جنى فى كتاب العروض له ص ٨١ . لكن ضبط بالتنوين فى كل من الديوان واللسان الذى فسره بقوله : « إنما أراد : بقولٍ ذى إفناد ، وقول فيه إفناد » .

(٢) هو محمد بن أحمد – وقيل محمد – بن عبد الله البصرى النحوى ، المعروف بالمفجع . قال ياقوت : كان من كبار النحاة ، شاعرا مفلقا شيعيا . وبينه وبين ابن دريد مهاجاة . صنف كتاب الترجمان فى الشعر ومعانيه ، المنقذ فى الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، عرائس المجالس ، وغيرها. مات سنة ٣٢٠ . معجم الأدباء ١٧ : ١٩٠ – ٢٠٥ وإنباه الرواة ٣ : ٣١٣ وبغية الوعاة ١ : ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . وفى حواشى البغية نقلا عن النجاشى فى كتاب الرجال المطبوع فى بمباى سنة ١٣١٧ : « وله شعر كبير فى أهل البيت ، يذكر فيه أسماء الأئمة ويتفجع على قتلهم حتى سمى المفجَّع . وقال فى بعض شعره :

إن يكن قيل لى المفجَّع نبزاً فلعمرى أنا المفجَّع همّا » .

(٣) البيان ١ : ١٠٨ ومعجم ما استعجم ٩٩٦ وشروح سقط الزند ١٨١٦ . وقد ورد بدون نسبة فى أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات ٢ : ١٣٤) وذيل الأمالى ٣ : ١٩٥ والأغانى ١٩ : ٨٨ .

الأكبر اللخميُّ يغرِّيهما بالدّماء ، أى يَطْلِيهما بها . كذا (فى كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لابن حبيب) ، وفى (ذيل الأمالى للقالى) ، وفى (الأغانى) ، وفى (الأوائل) لأبى الضِّياء الموصلىّ .

وزعم الجوهرى ، وتبعه جماعة منهم ابن نُباتة (فى شرح رسالة ابن زيدون [1]) أنّهما قبرَا مالِكٍ وعَقِيل : نديمَىْ جَذيمة الأبرش ، وسُمِّيا غريَّين لأنّ النُّعمان كان يُغَرِّيهما بدمٍ من يقتلُه فى يوم بؤسه .

وهذا غلطٌ واشتباهٌ من وجهين :

أحدهما : أنّ بينَ جذيمةَ الأبرش وبين النعمان بن المنذر ستّةَ ملوك ، أحدُهم:عمرٌو اللخمّى ، وهو ابن أخت جَذيمة الأبرش . ثانيهم : امرؤ القيس بن عَمرو المذكور . ثالثهم : النعمان بن امرئ القيس المذكور ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوَرْنق . رابعهم المنذر بن امرئ القيس صاحبُ الغريَّين ، وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر . خامسهم : المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر . سادسهم : أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند . ثم النعمان بن المنذر الذى ذكره الجوهرى . وكلّهم ملوك الحِيرة ، وهى أرضٌ بالكوفة . وإذا كان الأمر على ما ذُكِر فما معنى تغريتهما النّعمانُ بن المنذر بالدم ، مع كونهما نديمَىْ جذيمة الأبرش . ٥١٠

الثانى : أنّ الذى كان له يوم بؤس إنّما هو المنذر الأكبر . ولم يتنَّبْه لهذا ابن برّىّ (فى حاشيته على الصحاح) ولا الصفدىّ (فيما كتبه عليه) .

وهذ قصّة الغريَّين من عدّة طرقٍ أحدها لابن حبيب ، قال (فى كتاب المغتالين) :

---

(١) شرح الرسالة ص ٨٠ .

ومنهم عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسَديَّان ، وكان يَفِدانِ على المنذر الأكبر فى كلِّ سنة ، فيقيمان عنده وينادِمانه ، وكانت أسدٌ وغطفان لا يدينون للملوك ويُغِيرون عليهم ، فوفَدَا سنةً من السنينَ فقال المنذر لخالد يوماً ، وهم على الشراب : يا خالد ، مَنْ رَبُّك ؟ فقال خالد : عمرو بن مسعودٍ ربِّى وربُّك ! فأمسك عليهما ثم قال لهما : ما يمنعُكما من الدُّخول فى طاعتى وأن تَدنُوَا منِّى كما دَنَتْ تميمٌ وربيعة ؟ فقالا : أبَيْتَ اللعنَ ، هذه البلادُ لا تلائم مواشيَنَا ، ونحن مع هذا قريبٌ منك بهذا الرمل ، فإذا شئت أجبْناك . فعلم أنّهم لا يَدِينون له ، وقد سمع من خالدٍ الكلمة الأولى ، فأوحى إلى الساقى فسَقاهما سُمًّا ، فانصرفا من عنده بالسُّكر على خلاف ما كانا ينصرفان ، فلمَّا كان فى بعض اللَّيل أحسَّ حبيبُ بن خالدٍ بالأمر ، لما رأى من شدّه سكرهما ، فنادى خالدًا فلم يُجِبْه ، فقام إليه فحرَّكه فسقط بعضُ جسده ، وفعل بعمرٍو مثلَ ذلك فكان حاله كحالِ خالد [١] ، وأصبح المنذر نادماً على قتلهما . فغدا عليه حبيبُ بن خالد فقال : أبيتَ اللعنَ ، أسعَدَك الأهل ، نديماك وخليلاك تتابَعا [٢] فى ساعةٍ واحدة ، فقال له : يا حبيب ، أعَلى الموت تستعدينى ، وهل ترى إلاّ ابنَ ميّت وأخا ميت ؟ ثم أمر فحُفِر لهما قبرانِ بظاهرِ الكوفة ، فدفنا فيهما ، وبَنَى عليهما منارتين ، فهما الغريَّان ، وعَقَرَ على كلِّ قبرٍ خمسين فرساً وخمسين بعيرًا ، وغرَّاهما بدمائهما ، وجعل يوم نادَمَهُما يومَ نعيم ، ويوم دَفَنهُما يومَ بؤس. هذا ما أورده ابن حبيب .

وقال القالىُّ (فى ذيل أماليه) : حدّثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قال لى عمى : سمعتُ يونس بنَ حبيب يقول : كان

---

(١) ط : « حاله كحاله » ، وأثبت ما فى ش وأسماء المغتالين ٢ : ١٣٤ .

(٢) كذا فى نسختَى الخزانة ونسختَى أسماء المغتالين اللذين هما أصل ما فى النوادر . وأراها « تتايعا » ، بالياء المثناة التحتية أى تساقطا .

المنذر بن ماء السماء جَدُّ النُّعمان بن المنذر ، ينادمه رجلان من العرب : خالد بن المضلَّل ، وعمرو بن مسعود الأسديّان ، فشرب ليلةً معهما فراجعاه الكلاَم فأغضباه ، فأمر بهما فجُعلا فى تابوتين (١) ودُفنا بظاهر الكوفة : فلمّا أصبَحَ سأل عنهما فأُخبِرَ بذلك ، فندِم وركب حتّى وقف عليهما ، وأمر ببناء الغريَّين (٢) وجعل لنفسه يومين : يومَ بؤس ويومَ نعيم ، فى كلِّ عام (٣) ، فكان يضَعُ سريره بينهما ، فإذا كان يوم نعيمه فأوّلُ من يطلُع عليه وهو على سريره يعطيه مائةً من إبل الملوك ، وأوّلُ من يطلع عليه فى يوم بؤسه يُعطيه رأسَ ظَرِبان ، ويأمر به فيُذبَح ويغرَّى بدمه الغَرِيَّان . انتهى .

وكذا روى هذه الحكاية إسماعيل بن هبة الله المَوْصلى (فى كتاب الأوائل) عن الشَّرْقىّ بن القُطامىّ .

وقد رجَعَ المنذر عن هذه السُّنّة السَّيِّئة . روى الموصلى (فى أوائله) أنّ المنذر استمَّر على ذلك زماناً حتّى مر به رجل من طيّء ، يقال له حَنظلة بن عَفراء ، فقال له : أبيتَ اللعْنَ ، أتيتُك زائراً ، ولِأهلي من خيرك مائراً ، فلا تكن مِيرتهم قَتْلى (٤) . فقال : لابدَّ من ذلك ، وسَلْنى حاجة قبلَه اقْضِها لك . قال : تؤجِّلنى سنةً أرجعُ فيها إلى أهلى وأُحْكِمُ أمرَهم ثمّ أرجعُ إليك فى حكمك . قال : ومن يتكفَل بك (٥) حتّى تعود ؟ فنظر فى وجوه جلسائه فعَرف منهم شَرِيكَ

(١) فى ذيل الأمالى ٣ : ١٩٥ : « فقتلا وجعلا فى تابوتين » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « ببنيان الغريين » .

(٣) فى كل عام ، ساقط من الأمالى .

(٤) مار أهله بميرهم ميرا : جلب إليهم الميرة ، وهى الطعام .

(٥) ش : « يكفل بك » . يقال كفل به كفلا وكفولا وتكفل به أيضا : ضمنه .

ابن عمرٍو ، أبَا الحوفزان [بن شريك [1]] ، فانشأ يقول :

٥١١

يا شريكاً يا ابنَ عمرٍو ... هل مِن الموت مَحاله
يا أخا كلِّ مُصابٍ ... يا أخا مَنْ لا أخا له
يا أخا شيبان فُكّ الـ ... ـيومَ رهناً قد أنَى له [2]
إنّ شيبـانَ قبيـلٌ ... أكـرمَ اللهُ رجالـه
وأبـوك الخيـرُ عمـرٌو ... وشَراحيلُ الحَمَاله [3]
وفتَاكَ اليـومَ فى المجـ ... ـدِ وفى حُسْن المقاله

فوثب شريك وقال : أبيتَ اللَّعنَ ، يدُه يدى ، ودمه دِمى إن لم يَعُدْ إلى أجَله . فأطلقه المنذر ، فلمَّا كان القابلُ جلس فى مجلسه ، وإذا ركبٌ قد طلَع عليهم ، فتأمَّلوه فإذا هو حنظلةُ قد أقبل متكفِّنًا متحنِّطا ، معه نادِبتُه ، وقد قامت نادِبَةُ شريكٍ تندُبه ، فلمَّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطلَ تلك السُّنّة .

وقد ذُكِرَ فى إبطال المنذر هذه السُّنّة غيرُ هذا . وأورده الموصلىُّ والميدانىُّ فى مثلٍ ، وهو :

* إنّ غداً لناظره قريبُ *

(١) التكملة من ش . والحوفزان اسمه الحارث بن شريك بن عمرو الشيبانى ، كما فى النقائض ٧٨٢ . ومما يجدر ذكره أن كنية شريك هى « أبو الحوفزان » وعلى ذلك جاء فى أمثال الميدانى : « فالتفت الطائىُ إلى شريك بن عمرو بن قيس بن شيبان ، وكان يكنى أبا الحوفزان » .

(٢) أنى له الأمر يأنى : حان يحين ، أى حان له أن يُفْتَكّ . وفى النسختين : « قد أناله » تحريف ، صوابه ما أثبت . وفى أمثال الميدانى ١ : ١٢٣ : « قد أتى له » بالتاء ، تحريف أيضا . كما أن رواية الميدانى : « فك اليوم ضيفا » .

(٣) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وهو قطعةٌ من بيت :

وإنْ يكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى فإنَّ غداً لناظِـــرِه قريبُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س [1]]

٩٢٤ (أطَرَباً وأنتَ قِنَّسرىٌّ)

على أنّ همزة الاستفهام فيه للإنكار .

قال ابن هشام (فى المغنى) : هى فيه للإنكار التوبيخىّ ، فيقتضى أنّ ما بعدها واقع ، وأنّ فاعله مَلُومٌ ، نحو : ﴿ أتعبُدُون ما تَنحِتون [2] ﴾ . انتهى .

وأورده سيبويه (فى باب ما ينتصب فيه على المصدر) ، قال : وأمَّا ما ينتصب فى الاستفهام من هذا البابِ فقولُك : أقياماً يا فلانُ والناسُ قعود ، وأجلوساً والناس يفرُّون . لا يريد أنّه يخبر أنّه يجلس ، ولا أنّه قد جَلَس وانقضى جلوسه ، ولكنَّه مخبرٌ أنّه فى تلك الحال فى جلوسٍ وفى قيام . وقال العجَّاج :

* أطَرَباً وأنت قِنَّسرىٌّ *

وإنمّا أراد : أتَطْرَب ؟ أى أنت فى حال تطرُّب ؟ ولم يرد أن يخبر عمَّا مضى ولا عمَّا يستقبل . انتهى .

---

(١) تكملة ساقطة من النسختين . وانظر سيبويه ١ : ١٧٠ ، ٤٨٥ وشرح أبياته لابن السيرافى ١ : ١٥٢ والمخصص ١ : ٤٥ وابن الشجرى ١ : ١٦٢ وابن يعيش ١ : ١٢٣ والمقرب ٢ : ٥٤ والمغنى ١٨ والهمع ١ : ١٩٢ والأشمونى ٤ : ٢٠٣ واللسان (قسر ٤٠٣ قنسر ٤٣٠) وديوان العجاج ٦٦ .

(٢) الآية ٩٥ من سورة الصافات .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب طرب على المصدر الموضوع موضعَ الفعل ، والتقدير : أتطرب طربًا . والمعنى : أتطرب وأنت شيخ . والطَّرَب : خِفّة الشوق هنا . والطرب أيضا : خِفّة السُّرور . و (القِنَّسرىُّ) : الشيخ ، وهو معروف فى اللغة ، ولم يُسمَع إلاّ فى هذا البيت . انتهى .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة للعجّاج أوّلها :

أبيات الشاهد

بكيتَ والمحتَزِنُ البَكِىُّ وإنّما يأتى الصِّبَا الصبىُّ

أطرَباً وأنت قِنّسرىُّ والدَّهرُ بالإنسان دَوَّارىُّ

مِنْ أنْ شجاكَ مَنزِلٌ عامىٌّ قِدْماً يُرَى من بعده الكِرسىُّ

* مُحرنْجَمُ الجامِلِ والنؤِىّ *

وهذه القصيدة من مشطور السريع ، وضربها كعروضها مشطور مكشوف [١] وهو الضرب الخامس منه [٢] .

قال ابن المُلاّ : زعَم السُّيوطى (فى شرح الأبيات) أنّها أرجوزة . وفيه نظر ؛ لأنّ جعْلَها من الرجز يؤدّى إلى أن يكون فى ضربها سوى الشطر تغييرانِ : حذف نون مستفعلن وتسكين لامه ، وإنْ أطلق على مجموعهما اسم القطع . وجعْلُها من السَّريع إنمّا يؤدِّى إلى أن يكون فيها تغييرٌ واحد ، وهو حذف تاء

٥١٢

(١) الكشف : حذف السابع المتحرك ، وهو تاء مفعولات . وكذا وردت « مكشوف » بالشين فى النسختين . وقد اختلف العروضيون ، فالأكثر على أنه بالشين المعجمة ، لكن الزمخشرى وصاحب القاموس جعلاه تصحيفا صوابه بالسين المهملة ، وهو ظاهر الاشتقاق من الكسف وهو القطع ، يقال كسف عرقوب راحلته ، أى قطعه بالسيف . وهو معارض بأن للكشف وجها لأن إزالة الحرف الأخير مشبه بإزالة الغطاء عن الشئ . انظر الدمنهورى ٣٦ . ولم يعرف الدمامينى فى العيون الغامزة إلا الكشف بالمعجمة . انظر ١٠٤ ، ١١١ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ .

(٢) صوابه « السادس » ، لأنه من العرض الرابعة المكسوفة المشطورة التى ضربها مثلها ، وهى سادسة الضروب كما فى متن الكافى وغيره . وقد تنبه لهذا الخطأ مصحح الطبعة الأولى .

مفعولات المسمَّى بالكشف (١) وتغييرٌ واحدٌ أولى من تغييرين ، اللهمَّ إلاّ أن يقال : أُطْلِقَ عليها الأرجوزة وإن كانت من السريع لشبهها بما كان مشطور الرجز ، وزوحِفَ بالقطع . وأما ضَرْب مطلعِها فَمُزَاحَفٌ بالخَبْن ، الذى هو حذف الثانى الساكن ، فوزنه فعولن . وإن جُعِلَ من الرجز وجب أن يكون فيه ثلاث تغييرات (٢) . انتهى .

وقوله : « بكيتَ » هو خطابٌ لنفسه . و « المحتزِن » : مُفتعِل من الحزن . قال الجوهريّ : احتزَن وتحزّن بمعنىً . وأنشد البيت . و « البكِيّ » : الكثير البكاء ، فعيلٌ من بَكى يبكى . و « الصِّبا » بكسر أوّله والقصر : التّصابى والميلُ إلى الجهل ، وحقيقته أن يفعل كالصِّبيان . والصَّبىُّ : فعيل ، قال صاحب الصحاح : يقال صبىٌّ بين الصِّبا والصَّباء ، إذا فتحت الصاد مددت ، وإذا كسرت قصرت . وصَبِىَ صَباءً كسِمع سَماعا : لعب مع الصِّبيان .

وقوله : (أطرَباً) تقدّم إعرابه عن سيبويه . قال ابن خَلَف : انتصب طرباً بفعل مضمر دلّ عليه الاستفهام ، لأنّه بالفعل أولى ، والتقدير : أتطرب طرباً . وإنمّا ذكر المصدرَ دون الفعل لأنّه أعمُّ وأبلغ فى المراد . وقد استشهد به ابنُ مالكٍ على وجوب حذف عامل المصدر الواقع فى توبيخ . قال السُّيوطىّ : والمشهور أنّه منصوب على أنّه مفعول مطلق ، وقيل إنّه على الحال المؤكِّدة ، أى أتطرب فى حال طرب . حكى ذلك أبو حَيَّان . انتهى .

---

(١) انظر ما سبق من تحقيق .

(٢) الحق أنه قد جرى العرف على تسميةِ ما كان من مشطورات الرجز والسريع والمنسرح أراجيز ، وجاءت أراجيز العرب منسوجة على ذلك . وإنما يكون الخلاف فى تسمية بحر الأرجوزة من الرجز أو السريع أو المنسرح .

ولا يخفى ركاكته . وقيل : نُصِب بفعل مقدَّر : أتأتِى طرباً ، كما يقال : أتأتِى معصيةً ، على أنّه مفعول به . والطَّرَب هنا : خِفَّةٌ من حُزن ، كما يدلّ عليه السِّياق ، خلافاً للأعلم . وبَّخَ نفسَه على وقوع الحزن منه ، مع حالة الشَّيخوخة ، على ديارِ أحبَّته الخاليَة ، وحقُّه أن لا يستفزّه الحزن ، وأن يكون متثبتا [١] لكونه ممّن حنّكته التجارب .

و (الدَّوَّارِىُّ) : مبالغة دائر ، والياء لتأكيد المبالغة ، كالياء فى أحمرىّ . وفى الصحاح : الدوّارىّ : الدّهر يَدُور بالإنسان أحوالاً . وأنشد البيت .

وقوله : « من أنْ شَجَاك » مِن تعليلية متعلّقة بطربا ، أو ببكيتَ . وشجاه بالجيم ، يَشْجوُه [٢] شجواً ، إذا حَزَنه . و « العامِىّ » : منسوب إلى العام ، وهو الحَوْل والسَّنَة . والمنزل العامّى : الذى أتى عليه حَول . و « الكِرسىُّ » : منسوب إلى الكِرْس بكسر الكاف ، وهى الأبوال والأبعار يتلبَّد بعضُها إلى بعض .

و « قِدمًا » بالكسر : ظرف ليُرَى بالبناء للمفعول ، ونائبه ضمير طَلَل أو منزل ، وجملة من عهده الكِرسىّ حال منه .

و « مُحْرَنْجَم » بفتح الجيم : مكان الاحرنجام ، وهو الازدحام ، وهو معطوف على الكِرسىّ ، وواو العطف محذوفة . و « الجامل » بالجيم : الجِمال والإبل ، وهو اسمُ جمع . والنُّؤِىُّ : جمع نؤى بضم النون وسكون الهمزة بعدها ياء ، جمع على فُعول ، وهو حُفرة تحفَر حول الخباء تمنع من دخول المطر .

وهذا المصراع أورده الزمخشرىُّ (فى المفصل [٣]) ، قال : أسماء المكان والزمان ما بنى من الثلاثىِّ المزيدِ فيه والرباعىِّ فعَلَى لفظ اسم المفعول . وأنشدهُ .

---

(١) ط : « مثبتا » وأثبت ما فى ش .

(٢) ط : « يشجو » ، وأثبت ما فى ش .

(٣) المفصل وابن يعيش ٦ : ١٠٩ .

والمعنى أنّ العجّاج يُنكر على نفسه الطربَ فى كِبَر سنّه ، فيقول : أتَطرب طرباً وتخفُّ خِفّة ، والحال أنت مسنٌّ كبير لا يَليق بك الطرب ، والدهر دوّارٌ بالإنسان يُديرُهُ من حالٍ إلى حال ، ويقلّبه من الشباب إلى الشَّيب ، وفيه تسلية .

٥١٣ وذلك الطربُ من أجل أنْ حَزَنَك منزلٌ مضَى عليه عام ، وقد خلا أهلُه منه فاندرس ، وكنتَ قديماً تعهدُه ، فيه الأكراسُ ومكانُ ازدحام الإبل والنوىّ ، والآن اندْرسَ ولم يبقَ منه شئ .

وقال بعضُ فضلاء العجم : قوله : قِدْمًا يُرى إلخ صفة منزل . ومُحرَنْجَم الجامل بدلٌ من الكِرسىّ بدلَ الاشتمال ، والنؤىُّ عطف عليه ، ويجوز أن يكون صفة منزل . هذا كلامه .

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو ا لشاهد الخامس والعشرون بعد التسعمائة (٢) :

٩٢٥ (وهل أنا إلاّ من غَزِيّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإنَ تَرشُد غَزِيَّةُ أَرشُدِ)

على أن (هل) هنا استفهامٌ صورىٌّ بمعنى النفى .

وقد روى أيضا : « وما أنا إلاّ من غَزِيَّة » .

---

(١) الخزانة ١ : ١٧٠ .

(٢) العقد ٥ : ١٦٩ والأغانى ٩ : ٤ ، ٥ والمغنى ٦٥٠ والحماسة بشرح المرزوقى ٨١٥ والأصمعيات ١٠٧ .

قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وتنفرد هل دون الهمزة بأن يراد بالاستفهام بها الجحد ، نحو : هل يقدر على هذا غيرى ، أى ما يقدر . ويعيِّنه دخولُ إلاّ نحو : ﴿ وهَلْ يُجازَى إلاّ الكَفُور [1] ﴾ ، وهل أنا إلا من غَزِيَّة ، أى ما يجازى إلاّ الكفور ، وما أنا إلاّ من غَزِيّة . ولا يجوز : أزيد لا قائم ولا أقام إلاّ زيد . وتقول : هل يكون زيد إلاّ عالما ، ولا يجوز : ألم يكن زيد إلاّ عالما ، ولا أليس زيد إلاّ عالما . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة لدريد بن الصمة ، رثَى بها أخاه عبد الله بن الصمة ، أوردها أبو تمام فى الحماسة وانتقى منها أبياتاً (فى مختار أشعار القبائل) . وأوردها الأصبهانى أيضا (فى الأغانى) ، وكذلك ابن عبدِ ربّه أوردها (فى العقد الفريد) .

وهذه أبياتٌ منها ، وهو أول ما أورده أبو تمام :

أبيات الشاهد

نَصَحتُ لعارضٍ وأصحاب عارضٍ	ورهطِ بنى السَّوداء والقوْمُ شهَّدى [2]
فقلت لهم ظُنُّوا بألفَىْ مدجّجٍ	سَرَاتُهــمُ فى الفــارسىِّ المسرَّدِ
فلمَّا عصَوْنى كنت منهم وقد أُرى	غَوَايتهُـمْ وأنَّنـي غيــرُ مهتـدِ
أمرتُهـمُ أمـرى بمنْعَـرَج اللِّــوى	فلم يَسْتبينُوا الرُّشدَ إلاّ ضُحَى الغدِ
وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ	غويتُ وإنْ ترشد غَزِيّـةُ أرشُدِ [3]
دعانى أخى والخيـلُ بينى وبينَـه	فلمَّا دعانى لم يجَدْنى بقُعدُدِ [4]
تعادَوْا فقالوا : أرْدَتِ الخيلُ فارساً	فقلت : أعبدُ الله ذلكُمُ الرَّدِى
فجئتُ إليـه والرمـاحُ تَنُـوشُه	كوَقْعِ الصَّياصى فى النَّسيج المُمدَّدِ

(١) الآية ١٧ من سورة سبأ . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر . وقرئ أيضا : « نُجازِى » .

(٢) العقد : « وقلت لعارض » . وعارض : قوم من بنى جشم ، كما يأتى .

(٣) العقد : « وما أنا » .

(٤) لم يرد هذا البيت فى العقد .

فكنتُ كذات البَوِّ ريعَتْ فأقبلَتْ ... إلى قِطَعٍ من مَسْك سَقْبٍ مقدَّدَ (١)
فطاعنتُ عنه الخيل حتّى تبدَّدت ... وحَتّى علانى حالكُ اللَّون أسودُ (٢)
قتالَ امرىءٍ آسى أخاه بنفسِهِ ... ويَعلَمُ أنّ المرء غير مخلَّدِ (٣))

إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

(وطيَّب نفسى أنّنى لم أقل له ... كذَبتَ ولم أبخَلْ بما ملكت يدى (٤)
وهوّنَ وجدى أنَّ ما هو فارطٌ ... أمامى ، وأنِّى هامةُ اليوم أوغد (٥))

قال صاحب الأغانى : كان السبب فى مقتل عبد الله بن الصِّمَّة أنّه كان غزا غَطَفان ، ومعه بنو جشمَ وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفِرَ بهم وساقَ أموالَهم فى يومٍ يقال له يوم اللِّوَى ، ومضى بها فلمّا كان منهم غير بعيدٍ قال : انزلوا بنا . فقال له أخوه دُريد : نشَدتُكَ اللهَ أن لا تنزل ، فإنّ غطفانَ ليست بغافلةٍ عن أموالها . فأقسَم لا يذهب حتّى يأخذ مِرباعَه وينتقِعَ نقيعةً فيأكُلَ ويُطعِم . والنقيعة : ناقةٌ ينحرها من وَسَط الإبل ، ثم يقسم بعد ذلك ما أصاب على أصحابه . فأقام وعَصَى أخاه دُريدا ، فبينَما هم كذلك إذْ سطعت الدَّواخن ، إذا بغبارٍ قد ارتفع (٦) أشدَّ من دُخانهم ، وإذا عبسٌ وفزارةُ وأشجعُ قد أقبلَتْ ، فتلاحَقُوا

٥١٤

(١) لم يرد فى العقد ولا فى الأغانى ولا فى الحماسة . وفى الأصمعيات :

* إلى جِذَمٍ من مَسْكِ سَقْبٍ مُجلَّدِ *

(٢) لم يرد فى العقد . وفى الأغانى : « أشقر اللون مزبد » . وفى القافية إقواء ، وروى فى أسود : « أسودى » كم يقال أحمرى وأصفرى . عن شرح المرزوقى .

(٣) لم يرد فى العقد . وفى الأصمعيات : « طعان امرئ » ، و « وأعلم » . الأغانى : « واسى أخاه » ، و « أيقن » .

(٤) الحماسة ٨٢١ . وفى العقد والأصمعيات : « وهوَّن وجدى أننى لم أقل له » .

(٥) فى الأصمعيات : « وارد اليوم أو غد » . وهذا البيت لم يرد فى الحماسة .

(٦) وكذا فى الأغانى ٩ : ٣ « إذا » بغير واو قبلها .

بالمُنْعَرَج من رملة اللوى (١) ، فقَتَلَ رجلٌ من بنى قارب ، وهم بنو عبس (٢) ، عبدَ الله بن الصِّمَّة ، فتنادوا : قُتِلَ عبدُ الله : فعَطَف دريدٌ فذبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً ، وجُرِح دريدٌ فسقط ، فكفُّوا عنه وهم يُرَوْنَ أنّه قد قُتِل . واستنقذوا المال ونجا مَن هرب ، فمرَّ الزَّهدَمانِ ، وهما من عبس : زهدمٌ وقيسٌ : ابنا حَزن بن وهب ابن رَوَاحة . قال دريد : فسمعت زَهدَمًا العبسيَّ يقول لكَرْدمٍ الفزارى : إنّنى أحسَب دريدًا حيًّا فانزِلْ فأَجهِزْ عليه . قال : قد مات . قال : انظر إلى سَبَّتِه هل ترِمُز (٣) ؟ فشدَدْتُ من حَتَارها (٤). قال : فنظر فقال : قَد مات . فولَّى عنه ومال بالزُّجّ إلى سَبّته فطعنه فيها ، فسال دمٌ كان قد احتقنَ فى جوفه . قال دريد : فعرَفْتُ الخِفَّةِ حينئذ ، حتَّى إذا كان الليل مشيَت وأنا ضعيفٌ قد نزفنى الدَّمُ حتَّى ما أكاد أُبصِر ، فمرّت بى جماعةٌ تَسِير ، فدخلتُ فيهم فوقعت بين عرقوبَىْ بعيرٍ ظَعينة (٥) ، فنفر البعير فنادت : أعوذ بالله منك ! فأَنتسِبُ لها ، فأعلمَتِ الحيَّ بمكانى ، فغُسِل عنِّى الدم ، وزُوِّدت زادًا وسِقاءً فنَجَوْت . ورثاه بهذه القصيدة . ثم حجّ كردَمٌ بعد ذلك فى نفرٍ من بنى عَبْس ، فلما قاربوا دِيارَ دُريد (٦) تنكَّروا خوفاً ، ومرَّ بهم دريدٌ فأنكرَهم ، ثم عَرَف كردماً فعانقه ، وأهدى له (٧) فرساً وسِلاحا وقال له : هذا ما فعلتَ بى يوم اللِّوى . انتهى .

---

(١) الأغانى : « من رميلة اللوى » .

(٢) الأغانى : « وهم من بنى عبس » ، وهو الأوفق .

(٣) ترمز : تتحرك . والسبة ، بالفتح : الاست .

(٤) ط : « فشت » تحريف ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغانى : « فسددت » . والحتار ، كسحاب : أطراف جلدة الاست ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج . ط : « ظعينته » ، صوابه فى الأغانى و ش مع أثر تصحيح فيها .

(٦) ط : « دار دريد » ، وأثبت ما فى ش والأغانى .

(٧) فى الأغانى : « فأهدَى إليه » .

وقوله : « نصحتُ لعارض » إلخ عارضٌ : قومٌ من بنى جشم ، كان دُريد نهاهُم عن النزول حيث نزلوا فعَصَوه ، و « رهط بنى السَّوداء » فيهم . و « القوم شُهّدى » أى حاضرين مقامى ، أو شُهودى أنّى قد نهيْتهم .

وقوله : « فقلتُ لهم ظُنُّوا » إلخ استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وإنى لأظنُّه كاذبًا [1] ﴾ على أنّ الظنَّ بمعنى اليقين .

وأنشده الزجّاجى أيضا (فى باب من مسائل إنِ الخفيفة من الجُمَل).قال اللخمى : ظُنُّوا هنا معناه أيقِنُوا ، وهو من الأضداد ، يكون شكًّا ويكون يقينا .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : المعنى أيقنوا أنْ سيأتيكم ألفا فارس مقنَّعين فى الحديد . ويجوز أن يكون معناه : ظنُّوا كلَّ ظنٍّ قبيح بهم . قال الإمام عبد القاهر : يشبه أن تكون الباء هنا مثلها فى قوله : ظننتُ بهم خيرًا وما ظُنَّ به أنّه يفعل كذا . ثم يكون قد حُذِف من الكلام شئ ، كأنّه قال : ظُنُّوا بألفَىْ مدجّج هذه صفتُهم ما يكون من أمرهم وأمركم معهم إذا هُمْ أتوكم . ويكون من باب التعليق كقولك : ظُنّ بزيد أىَّ شئ يصنع إذا قلتَ له كذا وكذا ؟ انتهى .

والمدجَّج ، بفتح الجيم وكسرها : الكامل السلاح ، وقيل : لابس السِّلاح وإن لم يكمُل . وقيل بالكسر للفارس ، وبالفتح الفرس ، وإنّهم كانوا يدرِّعون الخيل . وسَرَاتهم بالفتح : أشرافهم ، مبتدأ ، وبالفارسىِّ خبره ، والباء بمعنى فى . والدِّرع الفارسىُّ يصنع بفارس . والمسرَّد : المحْكَم النَّسج ، وقيل هو الدَّقيق الثّقب . ٥١٥

وقوله : « فلما عَصَونى » إلخ الغَوَاية بالفتح ، يقول : لما أصرُّوا على ما كانوا عليه تَبِعتُ رأيَهم وأنا أرى عُدولَهم عن الصَّواب ، وأنّنى غير مصيبٍ مثلُهم .

---

(١) الآية ٣٧ من سورة غافر .

وقوله : « أمرتهمُ أمرى » يجوز أن يريد به المأمور به ، والأصل : أمرتهم بأمرى ، فحذف الباء . ويجوز أن يكون مصدر أمرت ، وجاء به لتوكيد الفعل . ومُنعَرج اللوى ، بفتح الراء : منعَطَفُه . واللِّوى : موضع الوَقْعة . و « لم يستبينوا » أى لم يتبيَّنوا الرشد فى الحال حتَّى جاء الوقتُ المقدَّر له . وذِكر الغَدِ يكثُرُ فيما يتراخَى من عواقب الأمور ، والمعنى فى المستأنَف من الوقت . وهذا زاد عليه ضُحًى لأنّه من النهار أضوأ ، فكأنَّ المعنى : لم يتبيَّن لهم ما دعوتُهم إليه إلاّ فى الوقت الذى لا لَبْس فيه . وقد تمثَّل بهذا البيت أمير المؤمنين علىٌّ رضى الله عنه ، بعد ما ظهر من أمر الخوارج ما ظهَرَ من التحكيم فى قوله : « وقد كنت أمرتُكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخَلْتُ لكم مخزونَ رأيى ، لو كان يُطاع لقصيرٍ أمر ، فأبيتم علىّ إباءَ المخالفين الجُفاة ، والمنابذين العُصاة ، حتّى ارتاب النَّاصحُ بنُصحِه ، وضَنَّ الزَّند بِقَدْحه ، فكنت وإيّاكم كما قال أخو هَوازن : أمرتهم أمرى ... البيت [1] » .

وقوله : (وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ) أى ما أنا إلاّ من غَزيَّة فى حالة الغَىّ والرشاد ، فإنْ عدلوا عن الصواب عدلت معهم ، وإن اقتحموه اقتحْمتُ معهم . وغَزِيَّة بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين : رهط دريد . وقال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : غَزيَّة : جدُّ دريد : يقول : أنا تابعٌ لقومى ، على رُشْدٍ كانوا أم غَىّ . قال صاحب الصحاح : الغَىّ : الضلال ، والخَيْبة أيضاً . وقد غَوَى بالفتح يَغوِى بالكسر غَيًّا وغَواية . وأنشد البيت . والرُّشْد جاء فعله من باب فَرِح ومن باب نصر .

وقوله : « دعانى أخى » إلخ لم يروه أبو تمام . واستشهد به ابن الناظم وغيرُه فى دخول الباء الزائدة فى المفعول الثانى لوجد . والقُعدد بضم القاف والدال ، ويجوز

(١) الخطبة فى نهج البلاغة ٣٨ – ٣٩ .

فتح الدال أيضا . قال ابن سيده (فى المحكم) : هو الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم . وقال صاحب الصحاح : ورجل قُعْدُد وقُعدَدٌ ، إذا كان قريبَ الآباء إلى الجدّ الأكبر . ويُمدَح به من وجه ، لأنَّ الوَلَاء للكُبْر [١] . ويُذمّ به من وجهٍ ، لأنّه من أولاد الهَرْمَى ، ويُنسَب إلى الضَّعف . وأنشد البيت .

وقوله : « تنادَوْا فقالوا » إلخ يريد بالخيل الفرسان . يقول : نادَى بعضُهم بعضاً : أهْلَكَ الفرسان فارساً ! فقلت : أعبد الله ذلكم الهالك ؟ وإنّما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوءُ ظن الشَّقيق ، والآخر أنّه علم إقدامَه فى الحرب .

وقوله : « فجئت إليه » أى لأَقِيَه بنفسى ، فلحقتُه والرِّماحُ تنوُشه ، أى تتناوله . والصَّياصى : جمع صِيصِيَة ، وهى شوكة الحائك فى نسجه الممدود ، إذا أراد تمييز طاقاتِ السَّدَى بعضَها من بعض . وسمِّيت بذلك تشبيهاً بصيصيَة الديك ، وهى دابرته فى ساقه ، وبصِيصيَة الثَّور ، وهو قرنه .

وأما قوله تعالى : ﴿ من صَيَاصِيهِم [٢] ﴾ فمعناه : من حصونهم وقلاعهم .

وقوله : « فكنت كذات البوّ » إلخ قال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : ذات البَوّ : ناقة . وريعت : أفزِعَتْ . والمَسْك ، بالفتح : الجِلد . والبَوّ : جلد الحُوارِ يُحشَى بالتبن ، فإذا لم تَدرَّ الناقةُ ألقَوْه إليها فدَّرت . انتهى . يقول : فكنت كناقةٍ لها ولد ، فأفزعت فيه لمَّا تباعدت عنه فى مرعاها ، فأقبلَتْ نحوه فإذا هو جلدٌ مقطَّع . كأنّه انتهى إلى أخيه وقد فُرِغَ من قتله [٣] وقُدِّد ، أى قُطِّع . والسَّقب بالفتح : الذكر من أولاد الابل .

٥١٦

---

(١) الكبر ، بضم : أكبر ذرية الرجل . ويقال أيضا فلان كُبر قومه ، أى أقعدهم فى النسب .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأحزاب .

(٣) ط : « فزع من قتله » .

وقوله : « فطاعنتُ عنه الخَيل » إلخ أى دفعت الفُرسانَ عنه حتَّى تكشَّفوا ، وإلى أن جُرحت فسالَ الدم علىّ . وقوله : « حالك اللون أسودُ » فيه إقواء ، وهو من عيوب القوافى [(١)] .

وقوله : « قِتالَ امرئ » إلخ يقول : قاتلت عنه قِتالَ رجل جعلَ نفسه أُسوةَ أخيه ، أى مثلَه فيما نابه من خَيرٍ أو شرّ ، وعلم أنّه سيموت ، فاختارَ مواساة أخيه ليَسْلَما معاً ، أو يموتا معاً .

وقوله : « وطيِّب نفسى » إلخ أى طيّب نفسى كونى لم أخالفْه فى شىء رآه ، ولا قبَّحت عليه ما أتاه ، ولم أبخل عليه بشىءٍ من مالى ، أى أعظمته فى القول عند مخاطبته ، وفى الفعل عند معاملته . فأشار إلى القول بقوله : لم أقل له كذبت ، وإلى الفعل بقوله : ولم أبخَلْ الخ .

وقوله : « وهوَّنَ وجدى » إلخ الوجد : الحُزن . والفارط : الذى يتقدَّم الواردين فيهيِّئُ الدِّلاء والحوض ، ويستقى الماء . أى هوَّنَ وجدى علىَّ بأنّ لَحاقي به قريب ، كما يقرب لَحاقُ الواردين بالفارط . والهامة هنا : الذاهب ، مِن هامَ على وجهه يهيم هَيْما ، إذا ذهب من العِشْقِ أو غيره [(٢)] .

وترجمة دريد بن الصمة تقدمت فى الشاهد الثانى بعد التسعمائة [(٣)] .

* * *

(١) فى شرح المرزوقى ٨١٨ : « ويروى علانى حالكٌ لونُ أسود ، والضعفُ فيه ظاهر .... وأجود من هذا أن يروى : حالك اللون أسودى ، وهو يريد أسودىّ ، كما قيل فى الأحمر أحمرىّ » .

(٢) كذا ظنه البغدادى من هام يهيم . ولم أجد من فسره بذلك غيره . والحق أنه بمعنى الميت ، يقال فلان هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غدا ، كما فى اللسان هوم ٢٠٩) حيث أنشد بيت كثير :

وكل خليل راءنى فهو قائل   من آجلكِ هذا هامة اليوم أو غد

(٣) انظر هذا الجزء الحادى عشر ص ١١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٩٢٦ (أمْ هَلْ كبيرٌ بكَى لم يَقضِ عَبرتَه   إثرَ الأَحبَّة يومَ البينِ مَشكومُ)

على أنّه يجوز أن تأتى (هل) بعد أم .

وليس فيه جمع استفهامين ، فإنّ أم عند الشارح كما تقدّم فى حروف العطف مجردة عن الاستفهام إذا وقع بعدها أداة استفهام ، حرفاً كانت أم اسما . وأم المنقطعة عند الشارح حرفُ استئناف بمعنى بل فقط ، أو مع الهمزة بحسب المعنى ، وذلك فيما إذا لم يُوجَد بعدها أداة استئناف . وليست عاطفةً عنده ، وفاقاً للمغاربة .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : إن قلتَ:أم المنقطعة هل هى عاطفة أو ليست بعاطفة ؟ قلت : المغاربة يقولون : إنّها ليست بعاطفة ، لا فى مفردٍ ، ولا فى جملة . وذكر ابنُ مالك أنّها قد تعطف المفرد ، كقول العرب : إنّها لإبلٌ أم شاء . قال : فأم هنا لمجرد الإضراب عاطفةٌ ما بعدها على ما قبلها ، كما يكون ما بعد بل فإنّها بمعناها . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : لا تدخل أم المنقطعة على مفرد ، ولهذا قدَّروا المبتدأ فى : إنّها لابل أم شاء . وخرَق ابن مالك فى بعض كتبه إجماعَ النحويّين فقال : لا حاجة لتقدير مبتدأ . وزعم أنّها تعطف المفردات كبل ، وقدَّرها ببل دون

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩٠ وأصول ابن السراج ٢ : ٦٠ وابن يعيش ٤ : ٨/١٨ : ١٥٣ والهمع ٢ : ٧٧ ، ١٣٣ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ . والأغانى ٢١ : ١١٢ والضرائر ٢٠٨ .

الهمزة . واستدلَّ بقولِ بعضهم : إنّ هناكَ لإبلاً أم شاءً بالنصب . فإنْ صحَّت روايته فالأوْلَى أن يقدّر لشاء ناصب ، أى أم أرى شاء . انتهى .

وممن ذهب إلى أنّ أم عاطفة ابنُ يعيش ، ثم اضطرب كلامُه فى نحو : أم هل ، وفى : أم كيف . فتارة ادَّعى تجريد أم عن الاستفهام ، وتارة ادَّعى التجريد عن هل . قال فى فصل حرفى الاستفهام : من المحال اجتماعُ حرفين بمعنى واحد . فإن قيل : فقد تدخل على هل أم وهى استفهام ، نحو : أم هل كبيرٌ بكى .... البيت ؟ فالجواب أنَّ أم فيها معنيان : أحدهما الاستفهام ، والآخر العطف ، فلمَّا احتيج إلى معنى العطف فيها مع هل خُلع منها دلالة الاستفهام وبقى العطف بمعنى بل للترك ، ولذلك قال سيبويه : إنَّ أمْ تجىء بمعنى لا بل ، للتحويل من شىء إلى شىء . وليس كذلك الهمزة ، لأنَّها ليس فيها إلاّ دلالةٌ واحدة (١) . انتهى كلامُه .

٥١٧

وقوله : « من المحال اجتماع حرفين بمعنىً واحد » هو فى هذا تابع لابن جنى ، وقد ذكرنا فى الشاهد السادس بعد التسعمائة أنّه لا مانع من اجتماعهما للتأكيد ، كقوله :

* ولا لِلِما بهمْ أبداً دواءُ *

والعطف هنا على قوله من عطف الجمل ، وليس لها تشريك فى غير الوجود .

وقال ابن يعيش أيضا فى فصل الحكاية : وأما ما حكاه أبو على من قولهم : [ضَرَبَ (٢)] مَنٌ مَنًا ، فهى حكاية نادرة.ووجهها أنها جردت من الدلالة على

---

(١) ابن يعيش ٨ : ١٥٢ – ١٥٣ .

(٢) التكملة من ابن يعيش ، مع سقوط كلمة « أبو على » من ابن يعيش .

الاستفهام حتى صارت اسما كسائر الأسماء ، يجوز اعرابها وتثنيتها وجمعها ، كما جرَّدوا أيًّا من الاستفهام حيثُ وصفوا بها فقالوا : مررت برجلٍ أيِّ رجل . وقد فَعَلوا ذلك فى مواضع . فمن ذلك قولُ الآخَر :

أم هل كبيرٌ بكَى ...البيت

فقد خلع الاستفهام من هل دون أم ، لأنَّ هل قد استعمل فى غير الاستفهام نحو : ﴿ هَلْ أتى على الإنسانِ حِينٌ [1] ﴾ أى قد أتى . ونحو : ﴿ هل جزاءُ الإحسان إلاّ الإحسان [2] ﴾ أى ما جزاء الإحسان ، فكان اعتقادُ نزع الاستفهام منها أسهلَ من اعتقاد نزعِهِ من أم . فأمَّا قول الشاعر :

* أم كيف يَنفعُ ما تُعطِى العَلوقُ به * ... البيت .

فإنه ينبغى أن يَعتقِد نزع دليل الاستفهام من أم وقَصْرَها على العطف لا غير . ألا تَرى أنّا لو نزعنا الاستفهام من كيف للزم إعرابُها كما أعربت مَنْ . هذا كلامه ، وأنت ترى اضطرابه .

فلّلهِ در الشارح المحقق ما أبعد مَرامه ، وأدقَّ كلامه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ طويلة عِدَّتها سبعة وخمسون بيتا ، لعَلقَمة الفحل . وقبله :

(هَلْ ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ أم حبلُها إذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ)

وهو مطلع القصيدة ، وقد أوردها المفضَّل (فى المفضَّليات) ، وشرحَها ابنُ الأنباريّ وأورد له قصيدةً أخرى طويلةً مطلعها :

---

(١) الآية الأولى من سورة الإنسان .

(٢) الآية ٦٠ من سورة الرحمن .

(طحا بكَ قلبٌ فى الحِسانِ طَروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشيبُ
يكَلِّفُنى ليلَى وقد شَطَّ وَلْيُها وعادَتْ عوادٍ بينَنَا وخطوبُ)

وهما من أبيات تلخيص المفتاح . والقصيدتان جيدتان .

روى صاحبُ الأغانى بسنده إلى حمّادٍ الرواية قال : كانت العرب تَعرِض أشْعارها على قريشٍ ، فما قبلوهُ منها كان مقبولاً ، وما ردُّوه منها كان مردودا ، فقَدِمَ عليهم عَلقمة بن عَبَدة فأنشدهم قصيدتَه التى يقول فيها :

* هل ما عَلمتَ وما استوُدِعتَ مكتومُ *

فقالوا : هذه سِمط الدُّرّ [1]. ثم عاد إليهم فى العام المقبل فأنشدهم :

* طحا بك قلبٌ فى الحسانِ طروبُ *

فقالوا : هاتان سِمْطا الدُّرّ [2].

وقوله : « هل ما علمت » إلخ هل هنا دخلت على الجملة الاسمية ، فإنّ ما موصولة مبتدأ ، وما الثانية معطوف عليها ، ومكتوم خبر المبتدأ ، والفعلان بالخِطاب ، الأوّل بالبناء للمعلوم ، والثانى بالبناء للمجهول . والمكتوم : المستور . وأم عند الشارح حرف استئناف بمعنى بل ، لأنّها منقطعة وفيها معنى الهمزة كما يأتى ، وجملة حبلها مصروم من المبتدأ والخبر استئنافيّة ، وإذ تعليليّة متعلقة بمصروم بمعنى مقطوع . والحبل استعارةٌ للوصل والمحبَّة . ونَأَتْكَ أصلُه نَأت عنك ، فحذف عن ووصل الضمير بالفعل ، ونأت بمعنى بَعُدت . والمعنى : هل تكتم الحبيبةَ وتحتفظُ ما علمتَ من ودِّها لك [3] وما استُودِعتَه منها من قولها : أنا على

٥١٨

(١) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ٢١ : ١١٢ وديوان علقمة ١٣١ من مجموع خمسة دواوين : « سمط الدهر » .

(٢) فى الأغانى والديوان : « سمطا الدهر » .

(٣) يقال احتفظ الشىءَ لنفسه : اختصَّها به .

العهد لا أُحُول عنك ، وشيمتى الوفاء لك . بل انصرمَ حبلُها منك لبعدها عنك ؛ فإنَّ من غاب عن العين غاب عن القلب . وهذه شِيمة الغوانى ، كما قال الشاعر (١) :

وإنْ حلفَتْ لا ينقض النَّأْىُ عهدَها فليس لمخضوبِ البنـانِ يميـنُ

وقدَّرنا الهمزة مع أمْ لأنَّ المعنى يقتضيها ، كما تقدَّم من الشارح من أنّها لا يجب تقديرها مع أم المنقطعة ، وإنمّا هى بحسب المعنى ، فإن اقتضاها قُدِّرت وإلاّ فلا .

وقد قدَّرها ابن جنى (فى المحتسب) على طريقة البصريِّين ، قال فى سورة الطُّور : ومن ذلك قراءة الناس : ﴿ أم هُمْ قومٌ طاغون (٢) ﴾ ، وقرأ مجاهد : (بل هُم (٣)) وهذا هو الموضع الذى يقول أصحابنا فيه : إنّ أم المنقطعة بمعنى بل ، للترك والتحوُّل ، إلاّ أنَّ ما بعد بل متيقّن ، وما بعد أم مشكوك فيه مسئولٌ عنه . وذلك كقول علقمة بن عَبَدة : هل « ما علمت » البيت ، كأنه قال : بل أحَبْلها (٤) اذ نأتك مصروم . ويؤكّده قولُه بعده : أم هل كبير بكى ..... البيت . ألا ترى إلى ظهور حرف الاستفهام ، وهو هل ، فى قوله : أم هل كبير بكى ، حتّى كأنه قال : بل هو كبير . تركَ الكلام الأول وأخذَ فى استفهامٍ مستأنف . انتهى .

---

(١) هو كثير عزة ، كما فى زهر الآداب ١٧ وديوانه ١٧٦ . وقبل البيت :

وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخَرَ من خُلاَّنها ستـلين

(٢) الآية ٣٢ من سورة الطور .

(٣) قرأها وحده فى الآية من سورة الطور . وقرءوا جميعا فى الآية ٥٣ من سورة الذاريات : « أتواصوا به بل هم قوم طاغُون » .

(٤) هذا ما فى ش والمحتسب ٢ : ٢٩١ . وفى ط : « بل حبلها » .

ولم يذكر ابن الأنبارى فى شرحه من هذا شيئاً ، وإنَّما نقل ما يتعلَّق بمعناه ، قال : قال الضَّبّى : أى هل ما علمت وما استُودِعتَ من حبِّها مكتوم عندها أم منتشر . وغيرُه قال : معناه هل ما علمتَ ممَّا كان بينك وبينها وما استُودِعتَ من حبِّها مكتوم عندها ، فهى على الوفاء ، أم قد صرمَتْك . وقال الرُّستَمىّ : المعنى هل تكتم السرَّ الذى علمتَ وما كان بينها وبينك وتكتمُ ما استَودَعتْك من حبِّها إرادةَ الوفاء لها ، أم تصرمها إذْ نأت عنك .

هذا ما أورده . وقول الرستمىّ غير مناسب للنَّسيب والمذهبِ الغرامىّ . وقد تبعه الأعلم فقال : هل تبوح بما استودَعَتْك من سرِّها يأساً منها ، أم تصرم حبلَها لنأيها عنك وبُعدِها . انتهى .

وقوله : (أم هل كبير بكى) إلخ أم هنا منقطعة أيضاً بمعنى بل ، ومجرَّدة عن الاستفهام لدخولها على هل ، كما تقدَّم عن الشارح . قال ابن عصفور (فى الضرائر) : تقدّم كبير على بكى ضرورة . وإذا وقع بعد أدوات الاستفهام ما عدا الهمزة اسمٌ وفعل فإنّك تقدِّم الفعلَ على الاسم فى سَعَة الكلام ، ولا يجوز تقديم الاسم على الفعل إلاّ فى ضرورة شعرٍ كالبيت ، ولولا الضرورةُ لقال : أم هل بكى كبير .

هذا كلامه ، وتبعه ابن عَقيلٍ والمرادىُّ (فى شرح التسهيل) .

وأقول : هذا ليس منه ، فإنّ هل داخلةٌ على جملة اسمية نحو : هل زيد قائم ، أى هل كبير موصوفٌ بهذه الصفة مشكوم . فكبير مبتدأ ، وبكى صفته ، ومشكوم خبره ، فإنّ المحدَّثَ به مشكوم لا بكى ، كما يشهد به المَعْنَى . ولو كان بكى هو المحدَّث به نحو : هل زيد قام ، لكان كما قال ، ضرورةً فى الشعر قبيحاً فى الكلام .

وقال الأعلم : أراد بالكبير نفسَه ، أى هل تجازيك ببكائك على إثرها وأنت شيخ . والمشكوم : المجازَى . والشُّكم : العطيّةُ جزاءً ، فإن كانت ابتدائيّةً فهى الشُّكد [(١)] . انتهى .

وقال العينى : أراد بالكبير قيس بن الخطيم . ولا أعلم له وجها ومناسَبَةً هنا .

وقال ابن الأنبارى : المشكوم : المجزىّ ، وقد شكمته أشكُمه شَكْما من باب نصرته نصراً ، والاسم الشُّكم بالضم ، وهو المكافأة بحسن الصَّنيع . وإثْرَ الأحبّة ، بكسر الهمزة وسكون المثلثة ، وفتحهُما لغة . والبين : الفراق . وإثْرَ ويومَ متعلِّقان ببكى . وقوله : « لم يقض عَبرتَه » هو صفة ثانية لِكبير . والعَبرة بالفتح : الدَّمعة . قال الضّبّىّ : لم يَقضِ عَبرته ، أى لم يشتف من البكاءِ ، لأنَّ فى ذلك راحةً ، كما قال امرؤ القيس : ٥١٩

* وإنَّ شِفائى عبرةٌ لو صببتُها [(٢)] *

وقال غيره : أى لم ينفِذْ [(٣)] ماء شئونه ، ولم يُخرِجْ دمعَه كلَّه ، لأنّه إذا لم يخرجه كان أشدَّ لأسفه واحتراقِ قلبِه . وحُكى عن أبى بكر بن عيّاش أنّه كان يشتدُّ حزنه حتّى يكاد يحترق قلبُه ولا يقدر على إظهار قطرةٍ من دموعه ، فوقف ذو الرمة بكُناسة الكوفة يُنشِد وحَضَره أبو بكر ، وهو ينشد :

لعلَّ انحدارَ الدَّمع يُعقِب راحـةً من الوجدِ أو يَشْفى نجىَّ البلابلِ [(٤)]

---

(١) الشكد ، بالفتح : المصدر ، وبالضم : العطاء نفسه .

(٢) ويروى : « عبرة مهراقة » ، وهو من معلقة امرئ القيس . وعجزه :

* وهل عند رسم دارس من معوَّل *

(٣) ط : « ينفذ » بالذال المعجمة ، صوابه فى ش .

(٤) ديوان ذى الرمة ٤٩٢ والعقد ٣ : ٢٣٥ .

فتعاطى البكاءَ بعد ذلك ، فكان إذا حزن واشتدَّ حزنه يتعاطَى البكاء فيبكى ويسيل دمعه ، فيستريح لذلك .

روى صاحبُ الأغانى بسَنده إلى العباس بن هشام عن أبيه قال :

مرَّ رجلٌ من مُزينة على باب رجلٍ من الأنصار وكان يُتَّهم بامرأته ، فلما حاذى بابه تنفَّس ثم تمثَّل :

هل ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ ... أم حبلُها إذْ نأتْكَ اليومَ مصرومُ

قال : فعَلِقَ به الرجلُ فرفَعه إلى عمر رضى الله عنه فاستعداه عليه ، فقال له المتمثِّل : وما علىّ أن أنشدتُ بيتَ شعر ؟ فقال له عمر : مالك لم تُنْشِده قبل أن تبلغ إلى بابه ؟ ولكنّك عرَّضتَ به مع ما تعلمه من القالة فيك . ثمّ أمر به فضُرِب عشرين سوطا . انتهى .

وعلقمة بن عَبَدة شاعر جاهلى تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى عشر بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أم كيفَ يَنفعُ ما تُعطِى العَلوقُ به ... رئمان أنفٍ إذا ما ضُنّ باللَّبَنِ)

على أنّ الاستفهام يجوز أن يقع بعد أم المجردة من الاستفهام كما ذكرنا .

وتقدّم شرحه مفصَّلا فى الشاهد السادس بعد التسعمائة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٢٨٢ — ٢٨٤ .

(٢) الخزانة ١١ : ١٣٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٢٧ (هل ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ أم حبلُها إذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ
أم هل كبيرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ إثرَ الأحبَّةِ يومَ البينِ مَشكومُ)

على أنّ (أمْ) إذا جاءت بعد (هل) يجوز أن يُعاد معها هل ويجوز أن لا يعادُ ، بخلاف أم إذا جاءت بعد اسم استفهام فإنه يجب أن يعاد معها ذلك الاسم ، كما بيَّنه الشارح . وقد اجتمع فى البيتين إعادة هل وتركها ، فإنّ أم الأولى جاءت بعد هل ولم تُعَدْ هل معها ، وقد أعادها مع أم الثانية فى البيت الثانى .

وقد مضى شرحهما . وقد أوردهما سيبويه (فى باب أو) بعد باب أم المنقطعة ، وأنشد فيه قول مالك بن الرَّيْبِ :

ألا ليتَ شعرى هل تغيَّرَتِ الرَّحا رَحَا الحَزْن أو أضْحَتْ بفَلْجٍ كما هيا (٢)

وقال : وكذلك سمعناه ممن يُنشِده من بنى عمّه . وقال : قال أناس أم أضحت ، علَى كلامين ، كما قال علقمة : هل ما علمت وما استُودِعتَ .... البيتين . ٥٢٠

قال الأعلم : الشاهد فيه دخول أم المنقطعة فى البيتين . انتهى .

وفى هذه القصيدة بيتٌ من شواهد المفصّل وغيرِه ، فينبغى أن نشرحه هنا مسبوقاً بأبيات ثلاثة ، وهى :

---

(١) فى كتابه ١ : ٤٧٨ والمقتضب ٣ : ٢٩٠ والأغانى ٢١ : ١١١ ، ١١٣ والمحتسب ٢ : ٢٩١ والأزهية ١٣٧ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ ورصف المبانى ٩٤ ، ٤٠٦ والهمع ٢ : ٢٣٣ والأشباه والنظائر ٤ : ٩ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ .

(٢) أمالى القالى ٣ : ١٣٧ . وقد سبق فى ٢ : ٢٠٥ .

أبيات الشاهد

(كأنَّها خاضبٌ زُعْرٌ قوادِمُه أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وتَنُّومُ
يظلُّ فى الحَنظل الخُطبانِ ينقُفه وما استطفَّ من التَّنُّومِ مخذومُ
فُوه كشَقِّ العصا لأياً تَبَيَّنُه أسكُّ ما يَسمعُ الأصواتَ مصلومُ
حتَّى تذكر بَيْضاتٍ وهيَّجه يومُ رذاذٍ عليه الدَّجْنُ مغيومُ)

وقوله : (كأنّها خاضبٌ) إلخ قال ابن الأنبارىّ أى كأنَّ الناقة فى سرعتها ظليم (١) وهو ذكر النعام . والزُّعر بالضم : القليلة الرِّيش ، والاسمُ الزَّعَرِ بفتحتين . والقوادم العشر : ريشات فى مقدّم الجناح . قال الكلابى : الخاضب : الظليم يَخضِبُ فى الشِّتاء ، وهو أنْ يحَمرَّ جلده وساقاهُ ويظهرَ عليه قِشرٌ أحمر ، ويكتنِزَ (٢) لحمه ويشتدّ عصبُه ويعفو ريشُه ، أى يكثر . قال : ولا تطلب الخيلُ الظليمَ إذا خَضَب فى الشتاء ، فإذا قاظ استرخى فانتشر ريشُه وسمن وبَطِن ، فطلَبتْه الخيل . وقوله : (أجنَى له) أى أدركَ أن يُجتنَى ، يقال : قد أجنت الشجرةُ ، أى أدرك ثمرُها وآنَ له أن يُجتنَى . و (الشَّرْى) بفتح فسكون : شجر الحنظل ، واحدته شَرْيةٌ ، والظَّليم يأكل حبَّ الحنظل . و (التَّنُّوم) شجر ينبُت فى بلادٍ دمِثة ، يطول ذراعا ، وورقة أُغيبِر يشبه ورق الآس ، وله ثمرٌ مثل الشَّهْدَانج (٣) .

وقوله : « يظل فى الحنظل » إلخ إذا صار للحنظلَ خطوطٌ تضرِب إلى السواد ولم يدخلْه بياض ولا صُفرة فهو الخُطْبان ، الواحدة خُطْبانة بضم الخاء المعجمة . يقال : قد أخطَب الحنظل . وقال الرُّستَمىّ : الخُطبان من الحنظل إذا صار فيه خطوطٌ خضر وصُفر ، فهو أشدُّ ما يكون مرارةً . وينقُفُه : يستخرج

---

(١) الكلام بعده إلى « الظليم » التالية ، ساقط من ش .
(٢) كذا فى النسختين ، والمعروف « يكتنز » أى يجتمع ويمتلئ .
(٣) الشَّهدانِج ، بكسر النون : حب القِنّب .

حبَّه . يقال نقفْتُ الحنظَلَ أنقُفه نقفا بتقديم القاف على الفاء ، من باب نصر ، إذا كسرتَه واستخرجت حبَّه . وقوله : « وما استطفَّ » أى وما ارتفع وأمكن . و « مخذوم » بمعجمتين : مقطوع ومأكول ، يقال خُذِمت الدَّلو ، إذا انقطعت عُراها .

وقوله : « فوه كشَقِّ العصا » إلخ أى فمه كشَقّ العصا ، والضمير للخاضب ، أى فمُه لاصقٌ ليس مفتوحا ، لا تكاد ترى شِدقه . ولأياً ، بسكون الهمزة ، وهو البطء منصوب بنزع الخافض ، أى بلَأْيٍ . وتَبَيَّنُه ، مضارعٌ أصله بتاءين ، ويجوز أن يكون مصدرًا وذلك إذا قرأته بضم ما قبل النون . قال الرستمى : قوله كشقّ العصا ، أى لا يستبين ما بين مِنْقاريه ولا يُرَى خَرقهما إذا ضَمَّهُما ، فكأنَّه من خفائه شَقٌّ فى عصا . والشَّقّ : مصدر شققت العصا والشئَ شقًّا . والأسكّ : الصغير الأذن . وقوله : « أسك ما يَسمع » موضع ما خفض ، وإن شئت ابتدِأت ما فكأنّك قلت : الذى يسمع به الصوت مصلوم ، وهو الأذنُ بعينها . وإن شئت كانت ما نافية . والمصلوم : المقطوع الأُذنين ، يقال صَلَم أُذنه واصطلمَها [1] ، إذا استأصل قَطعَها . والنَّعام كلّها صُلْخٌ : والأصلخ : الأصمّ الذى لا يَسمع .

وقوله : « حتّى تَذكَّر » إلخ حتى بمعنى إلى متعلِّقة بيظلّ . يقول : هذا الظليم يرعى الخُطبانَ والتنُّوم ، ثم تذكَّرَ بيضَه فى أدحيِّهِ فراح إلى بيضهِ قبل أوان الرَّواح . والرَّذاذ : المطر الخفيف . وعليه : على اليوم . والدَّجْن بسكون الجيم : إلباسُ الغَيم وظُلمته . وروى أيضا : « عليه الريح » ، وروى أيضاً: « عَلَتْه الريح » أى علت الريحُ ذلك الظَّليم بشدّتها ، فزاد ذلك الظليمُ سُرعةً فى عدوه . قال الرستَمىّ : يعنى أنَّ الظليم ذكر بيضَهُ فبادر إليه ، فهو أشدُّ لعَدْوه . ومغيوم : فيه

٥٢١

(١) ط : « واصطلها » ، صوابه فى ش .

غيم . يقال غامت السماء وأغامت وغيَّمت ، وأكثر ما يجئ هذا مُعَلاًّ ، وكان القياس مغيم كمَبيع ، فجاء مغيوم على خلاف القياس ، وهو محلُّ الشاهد .

واستشهد به ابن الناظم والمرادى (فى شرح الألفية) .

ومن أبيات هذه القصيدة :

أبيات الشاهد

(بل كلُّ قومٍ وإنْ عزُّوا وإن كثُروا   عريفُهم بأثافى الشَّرِّ مرجومُ)

عريفُهم : سيِّدهم وعظيمهم . وأثافِى الشّر هنا : عظائمه . وإنّما أراد الدَّواهى ، أى هى كأمثال الجبال . قال الشاعر :

فلمَّا أنْ طَغَوْا وبغَوْا علينا   رميناهم بثالثة الأثافي

وثالثة الأثافى هى الجبل .

(والحمدُ لا يُشترَى إلّاله ثمنٌ   مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلومُ)

قال الضبى : إلاّ له ثمنٌ يشُقُّ على مشتريه . وقال الرستَمىّ : يقول لا يُحمَد المرء إلاّ ببذل المضنون من ماله . وقال أحمد : معناه لا يُشترَى الحمد إلاَّ بأثمانٍ تضنُّ بها النفوس ، أى يغالَى به فيبذل فيه المضنونُ به .

(والجودُ نافيةٌ للمال مَهْلَكةٌ   والبُخل باقٍ لأهْلِيهِ ومذمومُ

والجهلُ ذو عَرَض لا يُستَرادُ له   والحلم آونةً فى الناس معدومُ)

لا يُستراد : لا يراد ولا يطلب ، أى يَعرِض لك وأنت لا تريده . يقول : الناس يُسرعون إلى الشرّ فمتَى أرادوهُ وجَدُوه .

(ومَنْ تعرَّضَ للغِربان يزجُرها   على سلامته لابدَّ مشؤمُ)

يقول : من يزجر الطير ، وإنْ سَلِمَ ، فلابد أن يصيبه شؤم . والغِربان يُتشاءم بها . فمن تعرَّض لها يزُجرها ويطرُدها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلابدَّ أن يقع بما يخاف ويحذر .

(وكلُّ حِصنٍ وإن طالت سلامتُه   على دعائمه لابدَّ مهدومُ)

حروف الشرط

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد التسعمائة [١] :

٩٢٨ (لو يَشأْ طارَ به ذُو مَيعةٍ   لاحِقُ الآطالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ)

على أنّ الجزم بلو ضرورة ، لأنّ لو موضوعة للشرط فى الماضى .

قال ابن الناظم : أكثر المحقِّقين أنّها لا تستعمل فى غير المضىّ . وذهب قومٌ إلى أنّها تأتى للمستقبل بمعنى إنْ ، كقوله تعالى : ﴿ وليخْشَ الذين لو تَرَكُوا مِن خَلْفهمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً [٢] ﴾ . وليس ما استدلَّ به بحجّة ، لأنَّ غاية ما فيه أنّ ما جُعِل شرطاً للو مستقبلٌ فى نفسه أو مقيَّد بمستقبل ، وذلك لا ينافى امتناعه فيما مضى لامتناع غيره . انتهى .

وفيه ردٌّ لقول والده (فى الألفيَّة والتسهيل) ، قال (فى التسهيل) : واستعمالها فى المضى غالباً ، فلذلك لم يجزم بها إلاّ اضطراراً . وزعم اطّرادَ ذلك على لغة . انتهى .   ٥٢٢

وقال (فى شرح الكافية الشافية) : أجاز الجزمَ بها فى الشعر جماعةٌ منهم ابنُ الشجرى ، واحتجَّ بقوله « لو يشأ طار به » البيت . وهذا لا حجّة فيه ، لأنّ من العرب من يقول : جا يجى ، وشا يَشَا ، بترك الهمزة ، فيمكن قائلَ هذا البيت أن

---

(١) أسرار البلاغة ٦٥ وابن الشجرى ١ : ١٨٧ ، ٣٣٣ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٩ والمغنى ٢٧١ ، ٦٩٨ والهمع ٢ : ٦٤ والأشمونى ٤ : ١٤ ، ٤٢ والحماسة ١١٠٨ وديوان علقمة ١٣٤ تحقيق الصقال ودرية .

(٢) الآية ٩ من سورة النساء .

يكون من لغته ترك همزة يشاء ، ثم أبدل الألف همزة [(١)] كما قيل فى عَالَم وخاتَم : عأْلم وخأْتم . قال : وكما فعل ابن ذَكْوان فى ﴿ تأكل مِنْسَأْتَهُ [(٢)] ﴾ حين قرأ بهمزة ساكنة ، والأصل مِنسأة مِفعلة من نسأته ، أى زجرته بالعصا ، فأُبدلت الهمزة ألفا ثم أُبدلت الألف همزةً ساكنة .

قال المرادىّ : فظاهر هذا الكلام أنّه لا يُجيز ذلك فى السَّعة ولا فى الضرورة أيضاً ، وهو ظاهر كلامه فى آخر باب عوامل الجزم . وقد أجازه هنا فى الضَّرورة وحَكَى هنا أنَّ منهم مَن زعمَ اطِّرادَ ذلك على لغةٍ . قيل : فعلى هذا يكون ثلاثة مذاهب . انتهى .

وقد أجاب ابن هشام (فى المغنى) عن البيت بكلام ابن مالك (فى شرح الكافية) ، وأجاب عن قوله :

تامَتْ فؤادك لو يَحزُنْكَ ما صنَعَتْ   إحدى نساءِ بنى ذُهْلِ بن شيبانا [(٣)]

بأنّه قد خُرِّج على أنّ ضمة الاعراب سكنّت تخفيفا كقراءة أبى عمرو : ﴿ وينصرْكم عليهم [(٤)] ﴾ و ﴿ يُشعِرْكم [(٥)] ﴾ و ﴿ يأمُرْكم [(٦)] ﴾ . انتهى .

وما نقلوه عن ابن الشجَرىّ من أنّه جوَّز الجزم بلو فى الشعر غيرُ موجود فى أماليه ، وإنَّما أخبرَنا بأنَّها جزَمتْ فى بيت ، وقد تكلَّم عليه فى مجلسين (من

---

(١) فى النسختين : « ثم أبدل الهمزة ألفا » ووجهه ما أثبت . وانظر ما سيأتى .

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ . وعزا هذه القراءة أبو حيان فى تفسيره ٧ : ٢٦٧ إلى ابن ذكوان وجماعة ، منهم بكار والوليدان : ابن عتبة وابن مسلم .

(٣) البيت للقيط بن زرارة ، فى شواهد التوضيح ٢٠ والمغنى ٢٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان (تيم ٣٤٢) .

(٤) من الآية ١٤ من سورة التوبة .

(٥) من الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٦) من الآية ٦٧ من سورة البقرة وآيات أخرى كثيرة .

أماليه) الأول هو المجلس الثامن والعشرون ، قال : بيتٌ للشريف الرضيّ من قصيدةٍ رثَى بها أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابئ :

إنَّ الوفاءَ كما اقترحت فلو تكنْ حيًّا إذَنْ ما كنتَ بالمزداد [١]

جزَم بلو وليس حقُّها إن يُجزَم بها ، لأنّها مفارقةٌ لحروف الشرط وان اقتضت جواباً كما تقتضيه إن الشرطيَّة . وذلك أنّ حرف الشرط يَنقُل الماضىَ إلى الاستقبال ، كقولك : إن خرجْتَ غداً خرجْنا ، ولا تفعَلُ ذلك لو ، وإنَّما تقول : لو خرجتَ أمسِ خَرجْنا . وقد جاء الجزم بلو فى مقطوعةٍ لامرأةٍ من بنى الحارث بن كعب :

فارساً ما غادَرُوه مُلحَمًـــا غيرَ زُمَّيْلٍ ولا نِكْسٍ وَكَلْ
لو يَشأ طارَ بها ذُو مَيعةٍ لاحِقُ الآطالِ نَهْدٌ ذو خُصَلْ
غير أنّ البأس منه شِيمةٌ وصروف الدهر تجرى بالأَجَلْ . اهـ

وكتب على هامش النسخة تلميذُه أبو اليُمْن الكندى بخطّه : ليس للرضىِّ ولا لأمثاله ، أن يرتكب ما يخالف الأصول ، ولكن لو جاء مثلُ هذا عن العرب فى ضرورات شعرهم لاحتُمِل منهم ، وذلك أنّ لو وإن كانت تطلب جواباً كما يطلبه حرف الشرط ، ليست موجبةً للاستقبال كإذا ، بل يقع بعدها الماضى للماضى ، كما يقع المستقبل للمستقبل ، فلا يُجزم بها البتّة . وليس فى قوله يشا شاهدٌ على الجزم بلو ، ولكنّه مقصور غير مهموز ، كما يقصر الممدود فى الشعر . انتهى .

وفيه نظرٌ ، فإنّه مصادَمةٌ للمنقول .

٥٢٣ والمجلس الثانى هو المجلس الأربعون [٢] قال فيه : ولو من الحروف التى

---

(١) أمالى ابن الشجرى ١ : ١٨٦ . وانظر ديوان الشريف الرضى ١ : ٢٩٨ .
(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٣٣ .

تقتضى الأجوبة ، وتختصّ بالفعل ، ولكنّهم لم يجزموا به ، لأنّه لا ينقل الماضى إلى الاستقبال كما يفعل ذلك حروفُ الشرط . وربمَّا جزموا به فى الضَّرورة . ثم أنشد هذه المقطوعة وبيتَ الشريف الرضىّ .

وكتب تلميذه أبو اليُمْن الكندىّ هنا على هامشه أيضاً : قد تقدَّمت هذه الأبيات ، وذِكرُه فى يشا الجزم وجعلُه إيّاها حُجّة للرضىِّ فى الجزم بلو . وقد رددتُ ذلك هناك بما يُغنى عن الإعادة . انتهى .

وهذه المقطوعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وأوردها الأعلم (فى حماسته) أيضاً . وكذا أوردَها صاحب (الحماسة البصرية [1]) وكلُّهم قالوا : إنّها لامرأةٍ من بنى الحارث .

قال ابن الشجَرىّ : الرواية نصب فارس بمضمر يفسّره الظَّاهر ، وما صلة ، والمفسَّر من لفظ المفسِّر لأنّ المفسِّر متعدّ بنفسه إلى ضمير المنصوب . ولكن لو تعدَّى بحرف جرّ أضمرتَ له من معناه دون لفظه ، كقولك : أزيداً مررت به ، والتقدير : أجُزْت زيداً ، لأنكّ إنْ أضمرتَ مررت أضمرت الجارَّ ، وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التى هى غادروه وصف له ، وغير زُمَّيِلٍ خبره ، ولا موضع من الإعراب فى وجه النصب للجملة التى هى غادروه ، لأنَّها مفسِّرة ، فحكمها حكم الجملة المفسِّرة . وحسن رفعُه بالابتداء وإن كان نكرةً لأنّه تخصَّص بالصفة ، وإذا نصبتَه نصبت غير زُمَّيل وصفًا له ، ويجوز أن يكون وصفا للحال التى هى ملحما . والمُلحَم : الذى ألحَمَتْه الحرب ، وذلك أن ينشَبَ فى المعركة فلا يتَّجه له منها مخرج . ويقال للحَرب : المَلْحَمة . والزُّمَّيل : الجبان الضعيف . والنِّكس من

الرجال : الذى لا خير فيه ، مشبّه بالنِّكس من السهام ، وهو الذى ينكسر فُوقه فيجعل أعلاه أسفلَه . والوَكَل : الذى يكل أمرَه إلى غيره. والمَيْعة : النَّشاط ، وأوّلُ جَرْى الفرَس ، وأوّل الشّباب . والآطال : الخواصر ، واحدها إطِلٌ وقد يخفّف . وهو أحد ما جاء من الأسماء على فِعِل ، ومنه إبل . ولاحق الآطال ، أى قد لصِقت إطِلُه بأختها من الضُّمر . وجَمَعَت الإطِل فى موضع التثنية ، وذلك أسهل من الجمع فى موضع الوَحْدة ، كقولهم : شابت مفارقه . ولو قالت : « لاحق الإطْلين » بسكون الطاء أعطت الوزن والمعنى حقَّهما . والنَّهد من الخيل : الجسيم المشرف . وقولها : « غيرَ أنَّ البأس » نصبُ غير على الاستثناء المنقطع . والبأس : الشِّدَّة فى الحرب . والشِّيمة : الطبيعة . وصرُوف الدهر : أحداثه . انتهى كلام ابن الشجرى .

وقد أورد ابن الناظم وابن عقيل البيت الأوَّل فى باب الاشتغال (من شرح الألفيّة) .

وقال الكندى فيما كتبه : الرواية برفع فارس ، كذا رواه أبو زكريا [١] عن المعرّىّ وغيره ، وكذا قرأناه على الشيوخ عنه . انتهى .

ولا مانع من كون نصبِ فارس روايةَ غير المعرّىّ ، فقد رواه بالنصب شُرَّاح الحماسة . والملحم : اسم مفعول من ألحمه ، إذا تركهُ طعمةً لعَوافِى السِّباع. وغادروه : تركوه . والزُّمّيل بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة . والنِّكس بكسر النون وسكون الكاف. والوَكَل بفتحتين ، وهو مجرور سُكّن آخره للقافية .

وقولها : (لو يَشأْ) حكت الحال ، والمراد : لو يشاء لأنجاه فرسٌ له ذو نشاط ، أى لو اختار الفِرار لأمكنَه ، لكنّه كان سجيَّته البأس والأنفة من العار

---

(١) ش : « أبو زكرياء » . ويعنى الخطيبَ أبا زكريا يحيى بن على التبريزى . وانظر شرح التبريزى للحماسة ٣ : ١٢١ - ١٢٢ .

بالفرار . و (الميعة) بفتح الميم.و (النَّهد) بفتح النون وسكون الهاء : وصف من نَهُدَ الفرسُ بالضم نُهودةً . و (خُصَل) : جمع خُصلة ، وهى من الشعر معروفة ، والمراد ذيله الكثير الشعر .

* * *

وأنشد بعده :

(لو بِغير الماءِ حَلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد التاسع والخمسين بعد الستمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فهلاَّ نَفْسُ لَيْلَى شفيعُها)

وتقدَّم شرحه أيضا فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة (٢) ، وأصله :

(يقولون ليلَى أرسلَتْ بشفاعةٍ إلَيَّ فهلاَّ نفسُ لَيْلَى شفيعُها)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد التسعمائة (٣) :

٩٢٩ (هما خَيَّبانى كلَّ يومٍ غَنيمةٍ وأهلكْتُهُمْ لو أنَّ ذلك نافعُ)

على أنّ خبر أنَّ الواقعةِ بعد لو قد يجيء بقلّة وصفاً مشتقّا ، ولم يُشترَط أن يكون فعلاً ، وإنّما الفعل أكثرىّ .

---

(١) الخزانة ٨ : ٥٠٨ – ٥١٣ .

(٢) الخزانة ٣ : ٦٠ – ٦٢ .

(٣) الأغانى ١١ : ١٣٢ .

وقال ابن هشام (فى المغنى [١]) : قال الزمخشرى : يجب كون خبر أنَّ فعلا ليكون عوضًا من الفعل المحذوف . وردَّه ابن الحاجب وغيرُه بقوله تعالى : ﴿ ولو أنَّ ما فى الأرضِ من شجرةٍ أقلام [٢] ﴾ ، قالوا : إنّما ذلك فى الخبر المشتقّ ، لا الجامد كالذى فى الآيةِ وفى قوله :

ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حجرٌ   تنبو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ [٣]

وردَّ ابن مالك قولَ هؤلاء بأنّه قد جاء اسماً مشتقًّا ، كقوله :

لو أنّ حيًّا مُدرِكُ الفَـلاحِ   أدركَـهُ مُلاعِبُ الرِّمـاحِ [٤]

وقد وجَدْتُ آيةً فى التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقا ولم يتنبَّه لها الزمخشريُّ كما لم يتنبَّه لآية لقمان . ولا ابنُ الحاجب ، وإلاّ لما منع من ذلك . ولا ابن مالك ، وإلاَّ لما استدلّ بالشعر . وهى قوله تعالى : ﴿ يودُّوا لو أنَّهم بادُونَ فى الأعراب [٥] ﴾ . وقد وجدتُ آيةً الخبر فيها ظرف ، وهى : ﴿ لو أنَّ عِندَنا ذكرًا منَ الأوّلِين لكُنّا [٦] ﴾ . انتهى .

وقد خطَّأه الدَّمامينى فى هذا فقال : هوَّلَ المصنف بقصور نظر هؤلاء الأئمة ، وتبجَّح بالاهتداء إلى مالم يهتدوا إليه . ثم إنَّ ما اهتدى إليه دونهم ليس بشىء ، وذلك أنَّ لو فى هذه الآية ليست ممَّا الكلامُ فيه ، لأنَّها مصدريّة أو للتمنّى ، والكلام إنمّا هو فى « لَو » الشرطية . وقد كنت قديما ممَّا يزيد [٧]

---

(١) المغنى ٢٧٠ .
(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٣) لتميم بن مقبل فى ديوانه ٢٧٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٤) للبيد فى ديوانه ٣٣٣ . وانظر معجم الشواهد .
(٥) الآية ٢٠ من سورة الأحزاب .
(٦) الآية ١٦٨ ، ١٦٩ من سورة الصافات .
(٧) ط : « ما يزيد » .

على ثلاثين سنة فى ابتداء مطالعتى لهذا الكتاب ذكرتُ ذلك لشيخنا ، وكتَبه على حاشية نسخته . ثم رأيتُ (فى شرح الحاجبيَّة للرضى) أنَّ لو فيها مصدريّة . وقد وجدتُ المسألة أيضاً فى كلام ابن الحاجب نفْسِه ، وذلك أنّه قال فى منظومته :

لو أنَّهمْ بادُونَ فى الأعرابِ لو للتمنِّى ليس من ذا الباب . انتهى

٥٢٥ وأجاب بعض مشايخنا : قد يُدَّعى أنّ لو التى للتمنّى شرطية أُشربَتْ معنى التمنّى ، كما نقله فى المغنى عن بعضهم ، وصحَّحه أبو حيان (فى الارتشاف) ، وذلك لأنَّهم جمعوا لها بين جوابين : جواب منصوب بعد الفاء ، وجوابٌ باللام ، كقوله :

فلو نُبِشَ المقابرُ عن كليبٍ فيُخبِرَ بالذَّنائب أىُّ زيرِ (١)
بيوم الشَّعثَمينِ لقَرَّ عيناً وكيفَ لقاءُ مَنْ تحتَ القبورِ

فلعلَّه يختار هذا القول ، فتبجُّحه على مختاره . فقول ابن الحاجب : ليس من ذا الباب ، أى من باب لو الشرطية ، ممنوعٌ عنده . انتهى .

أقول : لا يصح تبجُّحُه بشئ لا يعترفون به . ولو فى الشاهد أيضا ليست شرطيّة كما يأتى .

صاحب الشاهد — والبيت من قصيدة للأسود بن يعفُر ، أوردها أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) ، وأبو الفرج الأصبهانى (فى كتاب الأغانى) ، وهذا مطلعها :

أبيات الشاهد

(أتانى ولم أخشَ الذى ابتُعِثَا به خَفيرَا بَنِى سَلْمَى : حُرَيْرٌ ورافعُ
هما خيَّبانى كلَّ يومٍ غَنيمةٍ وأهلكْتُهمْ لو أنّ ذلك نافعُ
وأتبعتُ أُخراهمْ طريقَ أُلاهُمُ كما قيلَ نجمٌ قد خَوَى متتائعُ

(١) لمهلهل بن ربيعة فى الأصمعيات ١٥٤ وأمالى القالى ١ : ٢/٢٤ : ١٣١ ... وانظر معجم الشواهد .

وخير الذى أعطيكمُ هى شِرَّةٌ مُهوِّلة فيها سُيوفٌ لوامـــعُ
فلا أنا مُعطيكمْ علىَّ ظُلامةً ولا الحقَّ معرُوفاً لكم أنا مانعُ
وإنِّى لأقرِى الضيِّفَ وَصَّى به أبى وجارُ أبى التَّيْحانِ ظمآنُ جائعُ
فقولا لتَيْحانَ ابنِ عاقرةٍ آستِها أُمجرٍ فلاقِى الغىِّ أم أنت نازعُ
ولو أنّ تيحانَ بن بلْجٍ أطاعَنى لأرشدْتُه إنّ الأمـورَ مَطالــعُ
وإنْ يكُ مدلولاً علىَّ فإنّنـى أخو الحربِ لا قَحْمٌ ولا متجازعُ)

وبقى أبياتٌ منها . والسَّبب فيها أنّ أبا جُعَل البُرجُمىَّ جمعَ جمعاً من أسدٍ وتميم وغيرهم ، فَغَزَوْا بنى الحارِث (١) بن تيم الله بن ثَعلبة ، [فنذِرُوا بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمْعَهم ، فلحق رجلٌ من بنى الحارث بن تيم الله بن ثعلبة (٢)] جماعةً من بنى نهشل ، منهم الجرَّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرَير (٣) ابن شَمِر بن هِزّان بن زُهير بن جندل ، ورافع بن صُهيب بن حارثة بن جندل ، وعمرو بن حُرَير،والحارث بن حُرير بن سَلمى بن جندل (٤) وهو فارسُ العَصْماء ، فقال لهم : هلّم إلىّ أنتم طلقاءُ فقد أعجَبَنِي قتالُكم ، وأنا خيرٌ لكم من العَطَش . فنزل إليهم ليُوثِقَهم (٥) ، وتفرَّس الجراح فى فرسِه الجودةَ فوثب عليها ونجا . فقال التيمىُّ لرافع وحُرَير وأصحابِهما : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، ونحن لك خُفراءُ بفرسِك . فلما أتى الجرّاحُ أباه أمره أن ينطلق بها فى بنى سعد ، فابتَطَنها ثلاثة

---

(١) ط : « ففر مع بنى الحارث » ش : « فغزوا مع بنى الحارث » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى ١١ : ١٢١ وما سبق فى ١ : ٤٠٤ عن الأغانى .

(٢) التكملة من الأغانى ومما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٣) فى الأغانى : « والحر » وما هنا صوابه كما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٤) فى الأغانى : « وعمرو والحارث ابنا حدين بن سلمى بن جندل » . وبعده فى النسختين : « فلحقهم رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة » وموضع هذه العبارة هو ما أثبت فى التكملة السابقة .

(٥) فى الأغانى : « ليجزّ نواصيهم » ، وكذلك فى الخزانة ١ : ٤٠٤ .

أبطن ، فلمَّا رجع رافع وحُرير وأصحابُهما إلى بنى نهشل قالوا : إنّا خفراءُ فارسِ العَصْماء . وأوعَدُوا الجرَّاح . وكان بنو جَرول حلفاءَ بنى سلمى بن جندل ، على بنى حارثة بن جندل . وأعان تَيحانُ بن بَلْج رافعاً وحريرا على الجرّاح حتَّى ردُّوا إلى التيمىِّ فرسَه ، فقال الأسود بن يعفر فى ذلك هذه القصيدة يهجوهم .

وقوله : « أتانى » فاعله خفيرَا بنى سلمى ، وجملة « ولم أخش الذى ابتُعِثا به » معترضة . وابتعثا بالبناء للمفعول . وخفيرا : مثنّى خفير ، حذفت نونه للإضافة . والخفير ، بالخاء المعجمة والفاء ، هو الذى يأخذ الشىء فى ذمّته ويتعهَّده ، من الخِفُارة ، بضم الخاء وكسرها ، وهى الذِّمَّة ، ومنه الخفير بمعنى المُجير . يقال : خفرتُ بالرجل ، من باب ضرب ، إذا أجرتَه وكنتَ له خفيرًا تمنعهُ . وحُرَير بالتصغير وبإهمال أوّله ، ورافعٌ تقدّم نسبُهما . ٥٢٦

وقوله : « هما خيَّبانى » من الخيبة بالخاء المعجمة ، يقال خاب الرجل خَيبةً ، إذا لم يَنَلْ ما طَلب ، وخيَّبته أنا تخْييبًا . وكلَّ اكتسب الظرفيّة من إضافته إلى الظرف.وجملة « أهلكتهم » معطوفة على جملة أتانى ، يريد أهلكْتهم بالهجو لو أنّ ذلك الإهلاكَ نافعٌ لى . فلو هنا لا يظهر كونُها للشرط ، والمعنى يقتضى كونَها للتمنِّى ، وحينئذٍ تكون ممَّا ليس الكلام فيه .

وقوله : « وأتبعْتُ أُخراهُمْ » إلخ قال أبو على (فى كتاب الشعر) : يريد هجوت آخرهم كما هجوت أوّلَهم ، أى ألحقت آخِرَهم بأوّلهم فى الهجاء لهم . فأراد بقوله : أُلاهم أولاهم ، فحذف الواو التى هى عين ، لأنَّ هذه الحروف وإن كانت من أنفس الكلم فهى تُشبِه الزيادة ، لما يلحقها من الانقلاب والحذْف .
وقوله : « كما قِيل نجمٌ » فى الصحاح : خوت النجم تَخوى خَيًّا: أمحلَتْ ، وذلك إذا سقطت ولم تُمطِر فى نوئها . ومتتائع بالهمز ، لأنّه اسم فاعل من التتايع بالمثناة

التحتية (١) . قال فى الصحاح : التتايع : التَّهافُت فى الشَّرّ واللجاجُ ، ولا يكون التتايُع إلاّ فى الشر .

وقوله : « هى شِرَّةٌ » بكسر الشين ، وهو الشَّرّ بفتحها . والظُّلامة ، بالضم : ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسمُ ما أخذ منك . و « عاقرة استِها » : كلمةُ سبٍّ وشتم . ومُجرٍ : اسم فاعل من أجرى إجراءً ، بمعنى جارى مجاراة . ونزع عن الشيء : كفَّ عنه . وانتهى .

والقَحْم بفتح القاف وسكون المهملة : الشيخ المسنّ العاجز .

والأسود بن يعفر : جاهليٌّ تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى والستين (٢) من أوائل الكتاب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد التسعمائة (٣) :

٩٣٠ (أَكرِمْ بها خُلّةً لو أنّها صَدَقَتْ مَوعودَها أو لَوَ اَنَّ النُّصحَ مقبولُ)

لما تقدَّم قبله . والشاهد فى (لو الثانية) فإنّ خبر أنّ بعدها وصفٌ مشتقٌّ لا فِعلٌ ، بخلاف أنَّ الأولى بعد لو فإنَّ خبرها فعل ماض مع فاعله . وفى هذا

(١) المعهود أن يعامل هذه المعاملة اسم الفاعل من الثلاثى المعتل ، أما نحو المتبايع من التبايع ، والمتساير من التساير ، فلا تقلب فيه الياء همزة . وفى الحديث : « المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا » . وذلك لأن عين الفعل من تبايعا وتتايعا وتسايرا لم تعلّ ، فهى نحو عَيِنَ وعَوِر ، فهو عاين وعاور .

(٢) كذا فى النسختين ، وصوابه « الرابع والستين . انظر الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨٩ برواية : « فيا لها خلة » وديوان كعب بن زهير ٧ برواية : « ياويلها خلة » . وانظر شرح القصيدة لابن هشام ٢٦ - ٣٠ .

أيضاً لا يتعيَّن أن تكون شرطيَّة ، بل يجوز أن تكون لو فى الموضعين للتمنِّى فلا جواب لها ، فلا تكون ممَّا الكلام فيه . ويجوز أن تكون فيهما شرطيَّة والجواب محذوف يدلُّ عليه أوّل الكلام ، تقديره : لو صدقَتْ أو قبلت النصح لكَرُمَتْ [١] وما أشبهه .

وكذا جوّز الوجهين ابن هشام (فى شرح بانت سعاد) قال فى شرح البيت : لو محتملة لوجهين : أحدُهما التمنّى مثلها فى : ﴿ فلو أنَّ لنا كَرَّةً [٢] ﴾. والثانى الشرط ، ويرجِّح الأوّل سلامتهُ من دعوى حذف ، إذ لا يحتاج حينئذٍ لتقدير جواب . ويرجّح الثانى أنّ الغالب على لو كونُها شرطية . ثم الجواب المقدَّر محتمل لأن يكون مدلولا عليه بالمعنى ، أى لو صدقت لتمَّتْ خِلالُها ، فتكون مثلَها فى قوله تعالى : ﴿ ولو تَرَى إذ المجرِمُون ناكِسُو رؤسِهم [٣] ﴾ أى لرأيت أمرًا عظيما . ولِأَنْ يكونَ مدلولاً عليه باللفظ ، أى لكانت كريمة ، فتكون مثلَها فى قوله تعالى : ﴿ ولو أنَّ قُرآناً سُيِّرتْ به الجِبالُ [٤] ﴾ الآية أى لكفروا به ، بدليل : ﴿ وهُمْ يكفُرون بالرحمن [٥] ﴾ . والنحويُّون يقدِّرون لكَانَ هذا القرآن ، فيكون كالآية قبلها . والذى ذكرتُه أولى ، لأنَّ الاستدلال باللفظ أظهُر . ويرجَّح التقدير الثانى فى البيت بأنّه استدلالٌ باللفظ ، وبأنّ فيه ربطاً للو بما قبلها ، لأنَّ دليل الجواب جوابٌ فى المعنى ، حتّى ادَّعى الكوفيون أنّه جوابٌ فى الصناعة أيضاً ، وأنّه لا تقدير . وقد يقال إنّه يبعده أمران :

أحدهما : أنّ فيه استدلالاً بالإنشاء على الخبر .

---

(١) ط : « أكرمت » ، صوابه فى ش .
(٢) الآية ١٠٣ من سورة الشعراء .
(٣) الآية ١٢ من سورة السجدة .
(٤) الآية ٣١ من سورة الرعد .
(٥) الآية ٣٠ من سورة الرعد .

والثانى : أنَّ الكرم وإن كان المراد به الشرف ، مثلَه فى ﴿ إنِّى أُلْقِىَ إلىَّ كتابٌ كريمٌ [١] ﴾ ، فلا يحسن بحالِ المحبِّ تعليقُ كرمِ محبوبه على شرط ، ولا سيّما شرطٌ معلوم الانتفاء ، وهو شرط لَوْ . وإنْ كان المراد به مقابلَ البخلِ لم يكن « أكرِمْ بها [٢] » مناسباً لمقام النَّسيب ، بل لمقام الاستعطاء .

وقد يجاب عن الأوّل بأمرين :

أحدهما : منع كون التعجب إنشاءً ، وإنمّا هو خبر . وإنَّما امتنع وصلُ الموصولِ بما أفعله لإبهامه ، وبأفعِلْ به كذلك مع أنَّه على صيغة الإنشاء ، لا لأنَّهما إنشاء .

الثانى : أنَّ المراد من الدليل كونُه ملوِّحاً بالمعنى المرادِ ، وإنْ لم يصلح لأن يسدَّ مسدَّ المحذوف .

وعن الثانى [٣] أن المراد به ضدُّ البخل ، وهو أعمُّ من الكرم بالمال والوصال . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير بن أبى سلمى فى مَدْح النبى ﷺ . وقبلَه من أوّل القصيدة إليه أبياتٌ خمسة ، وبعده :

(لكنَّها خُلّةٌ قد سِيطَ من دَمِها   فَجعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتَبديلُ
فما تَدُوم على حالٍ تكون بها   كما تلوَّنُ فى أثوابها الغُولُ
ولا تَمسَّكُ بالعَهْدِ الذى زعَمتْ   إلاّ كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّوْا وما وَعَدوا   إنّ الأمانىَّ والأحلامَ تضليلُ

---

(١) الآية ٢٩ من سورة النمل .

(٢) فى النسختين : « الكرم بها » صوابه من شرح ابن هشام ٢٧ .

(٣) أى الثانى من قوله « يبعده أمران » .

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ
أرجو وآمُل أن تدنو مودَّتُها وما إخالُ لدينا مِنْكِ تنويلُ)

وقوله : (أكرِمْ بها خُلَّة) إلخ ضمير بها راجعٌ إلى سعاد فى أوّل القصيدة . وصَفَها فى هذه الأبيات بالصَّدِّ وإخلاف الوعد ، والتلوُّنِ فى الودّ ، وضرب لها عُرقوباً مثلا ، ثم لام نفسَه على التعلُّق بمواعيدها . و (أكرمْ بها) : صيغة تعجُّب ، بمعنى ما أكرمَها ، وخُلّة تمييز . والخُلة بالضم فى الأصل : مصدرٌ بمعنى الصَّداقة ، يطلق على الوصف ، وهو الخليل والخليلة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث . ومن إطلاقه على المذكَّر قولُ الشاعر (١) :

ألا أبلغا خُلَّتى جابـراً بأنَّ خليـلك لم يُقْتَـلِ

وصدقَ يكون لازماً ومتعدِّيا ، يقال : صَدَق فى حديثه وصدق الحديثَ ، إذا لم يكذب . و (موعُودَها) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون اسم مفعول على ظاهره ، ويكون المراد به الشخص الموعود ، وأراد به نفسها . والثانى : أن يكون كذلك ، ويكون المراد به الشئ الموعود به ، وأراد به وصالَها . والثالث : أن يكون مصدرًا كالمعسور والميسور ، أى الوعد والعُسْر واليسر . فإنْ قدَّرته اسماً للشَّخص فانتصابُه على المفعولية ، وإن قدَّرته اسما للموعود به احتَمل أن يكون مفعولا به على المجاز ، وأن يكون على إسقاطِ فى ، والمفعول محذوفٌ أى صدقَتْنى فى موعودها . وإنْ قدَّرته مصدرا كان على التوسُّع . و « أوْ » لِأحَد الشيئين . حاول إحدى هاتين الصفتين منها ، أو بمعنَى الواو فيكون قد حاول حصولَهُما معاً . والنُّصح : مصدر نصح ونصح له ، والاسم النَّصيحة . والمراد : لو أنّ النصح مقبولٌ عندها . وقال ابن هشام : أل عِوَضٌ من المضاف إليه ، والأصل لو أنَّ نُصحِيَها ، من إضافة المصدر إلى المفعول .

(١) هو أوفَى بن مطر المازنى ، كما فى اللسان (خطأ ٥٩ خلل ٢٣١) .

وقوله : « لكنّها خُلّةٌ » إلخ لكنّ هنا لتأكيد مفهوم ما قبلها ، كقولك : لو كان عالماً لأكرمته لكنّه ليس بعالم . وجملة « قد سِيطَ » صفةُ خلّة . وسيطَ : مجهول ساطَه يَسُوطه سوطا ، إذا خَلَطه بغيره . ومنه السَّوط للآلة التى يُضرَب بها ، لأنّها تسوط اللَّحمَ بالدم . وفجعٌ : نائب الفاعل ، ومن بمعنى فى متعلّق بسِيطَ . والفَجْع : مصدر فجعَه ، إذا فاجأه بما يكره . والوَلْع : الكذب ، مصدر وَلَع من باب ضرب . والإخلاف : مصدر أخلفَ يُخلف فهو مُخلف ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله فى المستقبل. فالكذِب يكون فى الماضى ، والإخلاف فى المستقبل . والاسم منه الخُلْف بالضم . والتَّبديل : التغيير ، يقال بدَّل الشىءَ تبديلاً أى غيَّره وإن لم يأت له ببدل . وأبدله بغيره واستبدل به ، إذا أخذَهُ مكانَه . والمعنى أنّها لو كان لها صاحبٌ فجعَتْه بصدِّها ، ولو وعدَتْ بالوصل كذبَتْ فى قولها وأخلفت وعدَها ، تستبدل بالأخِلاّء ، ولا تراعى حقَّ الوفاء . وهذا الكلامُ وأمثالُه من أقاويل العشّاق على سبيل الشكوى مِنْ صدِّ الاحباب ، وبُعدِهم بعد الدنوّ والاقتراب ، ومُرِّ هِجْرانِهم عَقِبَ حُلو الوصال ، وبُخْلهم على مساكين العِشق بطَيف الخيال . ليس بذمٍّ صِرْف ، إنما يُورِدونه لأحد غرضين : إمَّا لإظهار التلذُّذ بالصبر على ما يفعله المعشوق والرضا بأفعاله ، كما قال ابن أبى الحديد :

متغيِّـر متلّـون متعـــنّتٌ ... متعتِّب متمنِّـع متدلِّـلُ

ذكَر عِدّة خصالٍ من جِناية الحبيب وتجنِّيه ، وتلوُّنه وتأبِّيه . ثم قال بعد ذلك :

أستعذِبُ التعذيبَ فيه كأنما ... جُرَعُ الحميم هى البَرُود السَّلسلُ

وإمّا لِتنفير مَن يسمع بحسن معشوقِهم عن عشقه ، بذكر بُخْله بوصاله ، وتعنُّته ودلاله ، فيصفو مَوردُ العِشق من كدَر الغَيرَة والمزاحِم ، ويخلو العاشق بما يجلو بصرَه من المشاهدة .

وقد عرَّض بهذا الغرض ابنُ سناءِ المُلك فى قوله :

أشكو إليها رِقّتى لترقَّ لى ... فتقول تطمع بى وأنت كما تَرَى
وإذا بكيتُ دماً تقول شِمتُّ بى ... يومَ النوى فصبغتَ دمعَك أحمرا
مَن شاء يمنحها الغرامَ فدونه ... هذى خلائقُها بتخيير الشِّرا

وقد صرّح به ابن أبى الحديد فى قوله :

فيارِبِّ بغِّضْها إلى كلِّ عاشق ... سوایَ وقبِّحها إلى كلِّ ناظرِ

وقد بالغ ابن الخيّاط فى تصريحه بغَيْرة العشّاق فأحسَن ، حيث قال :

أغارُ إذا آنستُ فى الحىِّ أنّةً ... حِذارًا وخوفا أن يكون لحبِّهِ

وربمّا عيب على كعبٍ هذا الكلامُ لأنّهُ يشعر بأنّ معشوقتَه تَعِدُ وتُخلف وتُبدِّل . ويجاب بأنّ مراده المبالغةُ فى فرط دلالها ، وبُخْلِها بوصالها ، بحيث لو صاحبت إنسانا لاستبدلت به وفَجعتْه ، ولو وعدَتَ بالوصل لكذبت فى وعدها ومَطَلَتْه.على أنّها لا تصاحب مصادقا ، ولا تعد بوصالها عاشقا . وهو قريبٌ من قول الآخر : ٥٢٩

* ولا تَرى الضَّبَّ بها ينجَحِرْ (١) *

أى لا ضبَّ بها فينجَحِر .

وكلام كعبٍ هذا مناسبٌ لما تسمِّيه علماء البديع تأكيدَ المدح بما يشبه الذّم . وإنمّا أطنبت الكلامَ فيه لأنّ ابن هشامٍ لم يزد على حَلّ ألفاظه .

(١) البيت لعمرو بن أحمر . ديوانه ٦٧ . وصدره :

* لا تفزع الأرنبَ أهوالُها *

وقوله : « فما تدوم على حالٍ » إلخ الفاء سببيَّةٌ أى بسبب ما جُبلَتْ عليه من تلك الأخلاق ، لا تدوم على حال . وما نافية وتدوم فعل تامٌّ لا ناقص . وقوله : « كما تَلَوَّنُ » الكاف نعت لمصدرٍ محذوف ، وما مصدريّة ، أى تتلون سعاد تلوُّناً كتلوُّن الغول ، لأنّ الذى لا يدوم على حالة متلوّن . وتَلوَّنُ أصله تتلوَّن بتاءين . والغُول : جنسٌ من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أنّها تتراءى للنَّاس فى الفلاة ، فتتغوَّل تغوُّلا ، أى تتلوَّنُ تلوُّناً فى صورٍ شتّى ، وتُغوِّلُهم [أى [1]] تُضِلّهم عن الطريق . وقد أبطل النبىّ ﷺ زعمَهم بقوله : « لا غُول [2] » ، أى لا تستطيع أن تُضِلّ أحداً .

وقوله : « ولا تَمسَّكُ بالعهد » إلخ معطوف على « فما تدوم » . وتمسَّك أصله تتمسَّك بتاءين . ويجوز « تُمسِّك » بضم التاء . والعهد هنا : المَوْثِقُ أو اليمين أو الذمّة . والزَّعم : القول على غير صحّة ، ويحتمل أن يكون زعمَتْ هنا بمعنى كفَلت . والمعنى أنّها لا يُوثَق بودِّها ، ولا يُركَن إلى عهدها ، لأنّ إمساكها للعهد كإمساك الغرابيل للماء . فكما أنّ المشبَّه به محال كذلك المشبَّه ، وهذا تشبيه معقولٍ بمحسوس . وما أحسن قولَ ابنِ نُباتة المصرىّ :

لم تُمسِكِ الهُدْبُ دَمْعى حينَ أذكركم إلاّ كما يُمسك الماءَ الغرابيـلُ [3]

وقوله : « فلا يغُرَّنك ما منَّت » إلخ الفاء لِمحضِ السببيَّة كالواقعة فى جواب الشرط ، كقولك : زيد كاذبٌ فلا تغترَّ بقوله . وما موصولة أو موصوفة أو مصدريّة . ومَنّت [4] أصله مَنَّيَتْ على فَعَّلَتْ ، فقلبت الياء المتحركة ألفاً

---

(١) هذه من ش .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة . وقال السيوطى : « صحيح » . الجامع الصغير ٩٩١٣ .

(٣) الهدب ، بالضم : جمع هدبة ، وهى الشعرة النابتة على شفر العين .

(٤) هذا على رواية : « ما منت وما وعدت » ، وهى رواية ابن هشام فى شرحه . أما ما سبق فى رواية البغدادى فهو « ما منّوا وما وعدوا » .

لِانفتاح ما قبلها ، وحذفت للساكنين . يقال تمنّيت الشئ تمنِّياً ، أى اشتهيته وطلبته . ومنّيت غيرى تمنيَة ، إذا أطمعته بشئ . قال ابن هشام : وهو متعدٍّ لمفعولين محذوفين ، والتقديرُ إذا جُعِلت ما اسماً : مَنَّتْكَه ، أو منَّتكَ إياه . وإذا جُعِلتْ حرفا : ما منَّتك الوصل (١) ، أى فلا يغرَّنْك تمنيَتُها إيّاك الوصلَ . وكذا وعدت يتعدَّى لاثنين كقوله تعالى : ﴿ وعدَكُمُ اللهُ مَغَانِم (٢) ﴾ ، والتقدير : ما وعدَتْكَه أو ما وعدتكَ إيّاه ، أو ما وعدتك الوصل . والوعد عنا للخير ، لأنّ الموضع لا يحتمل غيره . وقوله : « إنّ الأمانىَّ تضليل » مستأنف ، والأمانىّ : جمع أُمنيَّة ، وهى ما يتمنّاه الإنسانُ ، أى يطلبُه ويشتهيه . والأحلام : جمع حُلُم بضمتين ، وهو ما يراه النائم . وتضليل : مصدر ضلَّل يضلِّل ، إذا أوقع غيره فى الضَّلال .

وقوله : « كانت مواعيد عُرقوب » إلخ هذه جملة مستأنفة . وكانت يجوز أن تكون على بابها ، وأن تكون بمعنى صارت . ومواعيد : جمع مِيعاد ، كموازين جمع مِيزان ، وعرقوب هو ابن مَعْبَد ، ويقال ابن مُعَيد ، أحد بنى عبد شمس بن ثعلبة . كان من العمالقة ، وقيل كان من الأوس والخزرج . وعدَ رجلاً ثمرةَ نخلةٍ له فجاءه الرجل حين أطلعَتْ،فقال له : دعها حتّى تصير بلحاً ، فلما أبلحت جاءه الرجل ، فقال : دعها حتّى تصير رطبا . فلمَّا أرطبَتْ قال : دعها حتّى تصير تمراً . فلمَّا أتْمَرت قطعها ليلاً ولم يُعطِه منها شيئا . فصار مثلاً فى خلف الوعد . والأباطيل : الأكاذيب ، جمع أبطولة كأحاديث جمع أحدوثة . وقال الصاغانى ، تبعا للجوهرىّ : الباطل : ضدّ الحق ، وجمعه أباطيل على غير قياس . ٥٣٠

وهذا البيت تأكيدٌ للبيت الذى قبله .

(١) ش : « وإذا جعلت حرفا منتك الوصل » ، صوابه فى ط وشرح بانت سعاد ٣٧ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الفتح .

وقوله : « أرجو وآمل » البيتَ ، تقدُّم شرحه مفصَّلا مع ترجمة كعب فى الشاهد الرابع عشر بعد السبعمائة [١] .

ولم يقع فى الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد التسعمائة [٢] :

٩٣١ (تَمُدّ بالأعناق أو تَلْوِيها   وتشتكِى لو أنَّنا نُشْكِيها)

على أنّ مجىء المضارع خبر أنَّ الواقِعة بعد لو قليل ، والكثير الماضى .

وجواب لو محذوف دلّ عليه تشتكى . وبعده :

(مَسّ حوايا قلّما نُجْفيها)

وهذا الرجز أورده أبو زيد فى نوادره ، والأصمعى (فى كتاب الأضداد [٣]) ، وقال : تقول أشكيت الرجلَ ، إذا أتيتَ إليه ما يشكو منه . وأشكيتُه : نزعتُ عنه شكايته .

وكذا قال ابن السكيت (فى أضداده) ، وأنشد هذا الرجز .

وأورده ابن جنى أيضا (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، قال : قد

---

(١) الخزانة ٩ : ١٤٣ – ١٥٥ . وكتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « ولم يقع فى الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

(٢) الأضداد للأصمعى ٥٧ وللسجستانى ١٠٦ ولابن السكيت ٢٠٨ والخصائص ٣ : ٧٧ وسر الصناعة ١ : ٤٣ والمخصص ١٢ : ١٣/١٩٨ : ٣٦٣ واللسان (شكا ١٧٠) .

(٣) لم أجد الرجز فى نوادر أبى زيد بمختلف طبعاتها . ولعل الذى حمل البغدادى على هذا أنه وجد ابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة يعزو الإنشاد إلى أبى زيد . ولا يلزم من هذا أن يكون فى نوادره .

تأتى أفعلْتُ للسَّلب والنفى ، نحو : أشكيتُ زيداً،إذا زُلتَ له [١] عما يشكوه .
وأنشد هذا الرجز وقال : أى لو أنّنا نزوُل لها عما تشكوه .

وأورده ابن السكيت (فى إصلاح المنطق أيضاً) ، قال شارح أبياته ابن السيرافى : وصف إبلاً قد أتعبها ، فهى تمدُّ أعناقها . والإبلُ إذا أعيت ذلَّت ومَدّت أعناقها أو لوَتْها . وقوله : تشتكى ، يقول : قد ظهر بهذه الإبل من الجَهد والكلال والضُّمور ما لو كانت ناطقةً لشكته وذكَرتْه . فظهورُ مثل ذلك بها يقوم مقامَ شكوى اللِّسان . انتهى .

والحوايا : جمع حَوِيَّة ، وهى كساءٌ محشوٌّ حول سَنام البعير ، وهو السَّوِيَّةُ .
والحوِيَّةُ لا تكون إلاّ للجمال ، والسَّوِيَّة قد تكون لغيرها .

وأنشده صاحب الصحاح أيضا (فى مادة جفا) قال : جفا السَّرج عن ظهر الفرس وأجفيته أنا ، إذا رفعتَه عنه . وأنشده وقال : أى قلّما نرفع الحوِيَّة عن ظهرها . ولم يتكلَّم بشيءٍ ابن بَرّيٍّ فى حاشيته على الصحاح ، ولا الصفدى فى حاشيته عليه . ولم أقفْ على اسم الراجز . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد التسعمائة [٣] :

٩٣٢ (واللهِ لولا شيخُنا عَبّادُ لكمَرُونا اليومَ أو لَكَادُوا)

على أنَّ اللام فى (لكمَرُونا) فى جواب القسم لا فى جواب لولا ، عملاً بالقاعدة ، وهى أنّه إذا اجتمع شرطٌ وقسم فالجواب بعدهما للسابقِ منهما ، سواء

---

(١) وكذا فى الخصائص وسر الصناعة .
(٢) إصلاح المنطق ٢٣٨ .
(٣) أدب الكاتب ٣٧٩ والجواليقى ٣٣٣ والاقتضاب ٤١٥ .

كان أداةَ الشرط إنْ ، أم لَوْ ، أم لولا [١] ، وفاقاً لابن جنى وابن عصفور [٢] . قال : ولزم كونه ماضياً لأنّه مغن عن جواب لولا ، وجوابُها لا يكون إلاّ ماضيا .

وفيه ردٌّ على ابن مالك فى زعمه (فى التسهيل) أنّ أداة الشرط إن كانت لو أو لولا فالجواب يتعيَّن أن يكون لهما ، سواء تقدَّم القسم عليهما أو تأخَّر عنهما ، كقوله :

فأقسِمُ لو أبدَى النَّـدِيُّ سَوادَه لمَا مسحت تلك المُسالاتِ عامرُ [٣]

وقول الآخر [٤] :

* واللهِ لولا اللهُ ما اهتدَيْنا *

ويردُّ البيتُ الأوّل على الشارح فى قوله : « وكذا تقول : والله لو جئتنى ما جئتك ، ولا تقول : لمَا جئتك . ولو كان الجواب للو لجاز ذلك [٥] » . ويجاب عنه بأنّ دخول اللام على ما النافية .

٥٣١ وما اختاره الشارح المحقّق هو قول ابن عصفور (فى شرح الإيضاح) قال : وقد يدخلون أَنْ على لو لجعلِ الفعلِ الواقع بعدها جواباً للقسم ، كما يدخلون اللام على إن الشرطيّة ، فيقال أُقسِمُ أنْ لو قام زيد قام عمرو . ومنه قوله :

فأقسم أنْ لو التقينـا وأنتـمُ لكان لكمْ يومٌ منِ الشرّ مظلمُ

انتهى كلامه .

---

(١) ش مع أثر تغيير : « أو لو ، أولولا » .

(٢) ش : « لابن عصفور وابن جنى » .

(٣) العينى ٤ : ٤٥٠ والأشمونى ٤ : ٢٨ واللسان (سيل ٣٧٣) .

(٤) هو عامر بن الأكوع ، أو عبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك . وانظر معجم الشواهد .

(٥) للمسيب بن علس . وقد سبق الكلام عليه فى الشاهد ٨١٦ من الجزء العاشر ص ٨٠ .

وذهب (فى شرح الجمل) إلى خلاف هذا ، فجعل الشرط وجوابَهُ جوابَ القسم ؛ فإنه لمّا أنهى [١] الكلام على روابط الجملة الواقعة جواب قسم قال : إلاّ أن يكون جوابَ القسم لوْ وجوابُها ، فإنَّ الحرف الذى يربط المقسَم به بالمقسَم عليه إذ ذاك إنمّا هو أنْ نحو : والله أنْ لو قام زيدٌ لقام عمرو . ولا يجوز الإتيان باللام كراهة الجمع بين لام القسم ولام لو . قال ناظر الجيش (فى شرح التسهيل) : وقول ابن مالكٍ بعيد ، لأنّه يبعد أنْ يكون للقسم جوابٌ مقدَّر فى نحو : والله لو قام زيد لقام عمرو ، و والله لولا زيد لقام عمرٌو ، بل ربمَّا يستحيل ذلك ، لأنّ المقسَم عليه إنمّا هو قيامُ عمرٍو المعلَّقُ على قيام زيد ، أو على وجوده . وإذا كان المقسَم عليه كذلك فكيف يتّجه تقدير جوابٍ غير الشرط المذكور ؛ إذْ لو قدِّر جوابٌ غير ذلك لكان شيئاً غير معلَّق على غيره ، والفرض أنَّ المقسَم عليه إنمّا هو أمرٌ معلَّقٌ على شئ لا أمرٌ مستقلٌّ بنفسه . وإذا كان الأمر كذلك اتَّجه كلام ابن عصفور (فى شرح الجمل) ، واضمحلَّ كلامه (فى شرح الإيضاح) .

فإن قيل : هذا بعينه موجودٌ فى الشرط غير الامتناعى ، لأنَّ المقسَم عليه أيضاً فى نحو : والله إن قام زيد ليقومنَّ عمرٌو ، إنمّا هو قيام عمرو المعلَّق على قيام زيد ، ومع هذا فقد أتى المقسِم بجوابٍ يخصُّه ، فلم لا يقال إنّ الشرط يكون جوابا للقسم ؟

فالجواب أنَّ جواب الشرط الامتناعىّ ممتنعُ الوقوع ، إمّا إذا كان حرف الشرط لو ، فلأنّه علِّق على حصول أمرٍ قد ثبت أنّ وجوده ممتنع . وأمّا إذا كان لولا ، فلأنَّ الامتناعَ معها علِّق على وجود شئٍ مقطوعٍ بأنّه موجود . وإذا كان

---

(١) هذا ما فى ش . وفى ط : « انتهى » .

جواب الامتناعىّ ممتنعَ الوقوع امتنع تقديرُ جوابِ القسم ، إذْ يلزم من تقديره أن يكون المقدَّر ممتنع الوقوع ، ليتطابق جوابُ الشرط والقسم ، لأنّ جملة القسم إنَّما هى مؤكّدة لجملة الشرط ، فيتعيَّن اتفاق المدلولَين . ولا شكَّ أن جواب القسم إذا قدَّرناه ليس ثمّ ما يدلُّ على أنّه ممتنع ، فيلزم من تقديره حينئذ تخالفُ الجوَابَين ، من حيث إنّ أحدهما مقطوعٌ بامتناعه ، والآخر ليس كذلك . وأمّا جواب الشرط غير الامتناعى فليس ممتنعَ الوقوع ، وإذا لم يكن ممتنع الوقوع فجواب القسم مُساوٍ له فى احتمال الوقوع وعدمِهِ ، فلذلك جاز أن يقدَّر مدلولاً عليه بجواب الشرط ، لأنّ المتساويَينِ يجوز دلالةُ كلّ منهما على الآخر . انتهى كلامه .

والبيتان من رجزٍ أوردهما صاحبُ الصحاح (فى مادة كمر) قال : الكمَر : جمع كمَرة . والمكمور : الرجل الذى اصاب الخاتنُ طرفَ كمَرَته . والكِمِرَّى : العظيم الكمَرة . وكامرته فكمَرته أكمُره ، إذا غلبتَه بعِظَم الكَمَرة . وأنشدَهُما .

ولم يتكلَّم ابن بَرّيٍّ ولا الصَّفَدىّ (فى حاشيتيهما) عليه هنا بشئ . وأوردهما ابنُ قتيبة فى باب ما أُبدل [(١)] من القوافى (من أدب الكاتب) كذا :

والله لولا شيخنا عبّادُ ... لكمَرونا عندها أو كادُوا

فرشَطَ لما كُره الفِرشاطُ ... بفَيشةٍ كأنَّها مِلطاطُ ٥٣٢

قال ابن السِّيد (فى شرح أبياته) : معنى كمرونا غلبونا بعِظَم كَمَرِهم . والكمَر : جمع كَمَرة ، وهى رأس الذكر . والفَرشطة والفِرْشاط : فتح الفخذين . والمِلطاط : شفير الوادى والنهر . وقال ابن دريد : المِلطاط أشدُّ انخفاضا من الوادى وأوسع منه . وقال غيره : الملطاط عَظْم ناتئٌ من رأس

(١) ط : « أبدله » ، صوابه فى ش وأدب الكاتب ٣٧٨ .

البعير . وصَفَ قوماً تفاخروا بعِظَم كمرهم ، فكاد المفاخرون لهم يغلبونهم ، حتّى أخرج شيخهم عَبّادٌ كمرتَه فغلبَهم . انتهى كلامه .

وزاد الجواليقى فى شرحه بيتين بعد البيتين الأولين ، وهما :

يحملُ حَوقاءَ لها أحيادُ لها رئاتٌ ولها أكبادُ

وقال فى شرحه : كمرونا : غلبونا بعظم الكمرة ، والكمَرة : رأس الذَّكر من الإنسان خاصَّةً ، وزعم قوم أنّه لكلِّ ذكرٍ من الحيوان (١) . وحَوقاء : عظيمة الحُوق . والحُوق بضم المهملة حرف الكمَرة ، وهو إطارها . والأحياد : جمع حَيْد ، بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو الحرف النّاتئُ من الشيء ، نحو حُيود القرن . وحَيْدُ الجَبل : نادرٌ ينذُر منه . ولها رئاتٌ : جمع رِئة . وأكباد : جمع كَبِد . وليس ثَمَّ رئةٌ ولا كبد ، وإنّما أراد عظمَها . وقوله : « فرشط » الفرشطة : أن يُلصق الرجل أليته بالأرضِ ويتوسَّط ساقيه . والملطاط ، قال ابن دريد : ملطاط الرأس : جُملته . والفيشة بفتح الفاء : الذكَر . وعبّادٌ هذا رجلٌ من إيادٍ له حديث . وذلك أنّ حيَّينِ كانا قد جعَلا بينهما خطراً فى المُكامَرة ، فغَلب الحىُّ الذى فيه عَبّاد . انتهى .

وكابن قتيبة أورده عبد اللطيف البغدادى (فى شرح نقد الشعر لقدامة) ، قال قدامة : ومن عيوبه الإكفاء ، وهو اختلافُ حروف الروى ، فيكون دالاً وذالاً وسيناً وشينا ، ونحو ذلك من الحروف المتقاربة .

قال عبد اللطيف البغدادى : اختلاف حروف الروىِّ فى قصيدةٍ هو الإكفاء ، من قولك : كفأت الإناءَ ، إذا قلبتَه . ويقال أيضاً أكفأْت الشىء ، إذا أملتَه . فلمّا اختلف حرف الروىّ عن وجهه الذى يجب له قيل لذلك : إكفاء .

(١) فى شرح الجواليقى : « أنه يقال لكل ذكر من الحيوان » .

وأكثر ما يكون هذا فى الحروف المتقاربة . وهذا فى النثر المسجوع ليس بعيب ، وأمَّا فى النظم فأكثر ما يرتكبه الأعراب دونَ الفحول والمشاهير ، ولهذا لا أُجيزه لشعراء زماننا كما أُجيزُ لهم العيوبَ الباقية ، اللهمَّ إلاَّ فى الأرجاز الحربيَّة التى تُقالُ بَدِيهاً ، فإنها تحتمل ما لا يحتمل الشعرُ الكائن عن رويَّة وتمهُّل .

فإن قيل : فهل العربُ تعرف حروفَ المعجم حتَّى تُلْزَمَ بها ؟ قيل : إنَّها وإن لم تعرفْها بأسمائها فإنَّها تعرفها بأجراسها ، وتميِّز بينها بأصدائها . ولهذا يلتزم الشاعر منهم حرفَ الرويِّ فلا يخالفه إلاّ فى الأقلّ ، وإلى ما يقرُب منه . ولهذا قال قائلهم (١) :

لو قد حَداهنّ أبو الجوديِّ ... برجَزٍ مُسْحَنفِرِ الـــرويِّ

* مستوياتٍ كَنَوى البَرْنىِّ *

ولا يبعد أن يشعر الواحدُ منهم بمخارج الحروف ومدارجها ، بل هو الغالبُ من حالهم ، لكن لا يُتقنون تمييزه . وقد أُنشدوا :

* وقافية بين الثنيَّة والضِّرس *

زعم المفسِّرون أنّه أراد الشين أخت الضاد . والحكاية المشهورةُ عن رجلٍ منهم ، أنّه قامر على أن يشرب عُلبة لبن ولا يتنحنح ، فلما كدَّه الأمر قال : كبشٌ أملح : قيل له : ما هذا ؟ تنحْنَحْتَ ! قال : « من تنحنح فلا أفلح » . مع أنّه قد ورد عن بعضهم تسمية بعضِ الحروف ، قال :

٥٣٣

* كما كُتبت كافٌ تَلوح وميمُها (٢) *

(١) هو الراجز أبو الجودى ، كما سبق فى ٧ : ٤٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نسب فى اللسان (كوف) إلى الراعى ، وليس فى ديوانه . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* أهاجتك أطلالٌ تَعفَّتْ رسومُها *

وقال الآخر (١) :

* قلت لها قفى فقالت قافْ *

فإن قيل : فلم أجزْتَ الإكفاءَ للعرب وحظَرْته على أهل زماننا ؟ فنقول : العرب مطبوعون غير متعلِّمين ، وجُفاةٌ لا يعرفون الكتابَ (٢) ، بلْ يقولون بالسليقة . وأمَّا المحدَثُون فأهلُ كتابة وتعلُّم وتعمُّل ، وإن كان العرب أيضا غير خالين مِن تعلُّم وتعمُّل وكتابة . ولهذا قلَّما يقع الإكفاء وغيُره من العيوب إلاّ من الأعراب الأقحاح ، البُعَداءِ عن التعليم والتخريج . ولهذا قال بعض العلماء : اختلاف حروف الرويِّ هو الإكفاء ، وهو غلطٌ من العرب ولا يجوز لغيرهم ، لأنّ الغلط لا يُجعل أصلاً فى العربية يقاسُ عليه ، وإنمّا يَغْلطَون فيه إذا تقاربت الحروف . وأنشد :

إنْ يأتنى لصٌّ فإنّى لصُّ أطلسُ مثلُ الذّئبِ إذْ يعُسُّ

* سَوْقَ حُداىَ وصفيرى النَّسُّ (٣) *

وأنشد الأخفش :

إذا نزلتُ فاجعلانى وَسَطا إنِّى كبيرٌ لا أُطِيقَ العَنَدَا (٤)

---

(١) هو الوليد بن عقبة، كما فى شرح شواهد الشافية ٢٧١ .

(٢) الكتاب : الكتابة . وفى ش : « الكتابة » .

(٣) ط : « قوسى حداى » ، وأثبت ما فى ش مع أثر تصحيح مطابقا لما فى الموشح ٢٠ و اللسان (نسس) . وفى اللسان والموشح أيضا : « حدائى » . وفى ط : « وصعيرى » ، صوابه فى ش والموشح واللسان .

(٤) العند : جمع جمع للعَنود ، وهى الناقة لا تخالط الإبل ، تَبَاعَدُ عنها فترعى ناحية . وضبطه الجواليقى « العندا » بالتحريك ، وقال فى تفسيره : العند : الجانب والناحية . وكان هذا الشاعر قد كبر ، والرجل إذا كبر عاد كالصبى ، والصبيان يخافون بالليل . يقول : اجعلانى وسطكما فإنى لا أطيق أن أكون فى الجانب . ثم قال : ويروى : « العُنَّدا » ، وهو جمع عاند أو عَنود . ونحوه فى الاقتضاب . وفى ط : « العتد » ، صوابه فى ش واللسان (عند) والاقتضاب ٤١٥ .

وأنشد غيره :

كأنّ أصواتَ القطا المنقضّ بالليل أصواتُ الحَصا المنقَزّ (١)

وقال :

والله لولا شيخُنا عبّادُ لَكَمرونا عندها أو كادُوا
فَرشَط لما كُرِه الفرشاطُ بفَيشةٍ كأنّها مِلطاطُ

والمِلطاط : رحى البَزْر . وأنشد ابن الأعرابى :

أزهَرُ لم يولَدْ بنجم الشُّحّ ميمَّم البيتِ كريمُ السِّنخِ (٢)

وما كان من هذا التغيير فى موضع التصريع فقد يمكن أن لا يكون عيبا ، وأن يكون الشاعر لم يقصد التصريع ، لكن أتَى بما يشبه التصريع ، فتُوهِّم عليه العيب . فأمّا ما أنشده ابن قتيبة من قول الشاعر :

حَشْورَة الجنبينِ مَعْطاءُ القَفَا لا تدعُ الدِّمْنَ إذا الدِّمنُ طفَا (٣)
* إلاّ بجرعٍ مثل أثباج القطا (٤) *

---

(١) أدب الكاتب ٣٧٩ والجواليقى ٣٣٣ والاقتضاب ٤١٤ .

(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧١ و سر الصناعة ١ : ١٩٦ . وانظر أدب الكاتب ٣٨٠ والجواليقى ٣٣٧ والاقتضاب ٤١٦ وشرح شواهد الشافية ٤٢٠ ، ٤٢١ . والأزهر : الأبيض . لم يولد بهذا النجم ، هو ما كان يعتقده العرب من أثر الكواكب فى الإنسان حين يولد بمطلع واحد فيها . والمُيَمَّم : المقصود . والسِّنخ : الأصل .

(٣) أدب الكاتب ٣٨١ والجواليقى ٣٣٨ والاقتضاب ٤١٦ . والحَشْوَرة : العظيمة . والمَعْطاء ، بفتح الميم ، من المعط ، بالتحريك ، وهو قلة الشعر . والدمن ، بالكسر : البعر . طفا : علا فوق الماء . يعنى ناقة اشتد بها الظمأ فهى تشرب الماء مَهما شابه من شوائب ولا تعافها . وفى الاقتضاب : « لا تدع الدهن إذا الدهن » تحريف .

(٤) الاثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو الصدر ، أو ما غلظ من الوسط . شبّه جرعاتها فى عظمها بأثباج القطا .

فإنّه ليس إكفاءً كما زعم ، لأنّ الروىّ الألف لا الفاء [١] .

ومن الإكفاء ما أنشدَنا بعضُهم :

بُنىَّ إنَّ البِرَّ شىءٌ هَيّنُ المنطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ [٢]

وأنشدنا أيضاً [٣] :

قبِّحتِ من سالفةٍ ومن صُدُغْ كأنّها كُشيةُ ضَبٍّ فى صُقُعْ [٤]

الصُّقع : شبه مخلاة .

وفى الحديث أنّ سعداً قال : رأيت عليًّا كرم الله وجهه يوم بدر وهو يقول :

بازلُ عامين حديثٌ سنِّى سَنحنَح اللَّيلِ كأنِّى جِنِّى [٥]

* لمثل هذا ولدتنى أُمِّى *

٥٣٤

فأما قول أبى جهل [٦] :

ما تنقمُ الحربُ العَوَانُ منِّى بازلُ عامين حديثٌ سِنِّى

* لمثل هذا ولَدَتْنى أُمِّى *

وقد روَينا نحوه عن علىٍّ كرم الله وجهه ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون إكفاءً وما قبل الياء هو الروى . والثانى : أن يكون أراد أن يُطِلق بالألف فيقول منِّيا

(١) وكذا يرى الجواليقى وابن السيد .

(٢) الرجز منسوب إلى جدة سفيان ، فى تهذيب اللغة ١٥ : ٣٧٠ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) ش : « بعضهم » .

(٤) الرجز لجواس بن هُرَيم ، فى الموشح ١٩ وشرح أدب الكاتب للجواليقى ٣٣٧ والاقتضاب ٤١٧ ، وبدون نسبة فى الحيوان ٦ : ١٠٨ والعمدة ١ : ١١٠ وأدب الكاتب ٣٨١ .

(٥) ديوان على بن أبى طالب ١٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٦) انظر السيرة ٤٥٠ ومعجم الشواهد .

وسِنِّياَ فحذف . والثالث : أن تكون الياء حرفَ الرويّ ويكون مقيَّدا . وهذا هو الأفصح . انتهى .

وهذه جملة منقَّحة كافية فى الإكفاء .

والأبيات التى أوردها من أدب الكاتب . أمّا قوله : « إذا نزلتُ » إلخ فقد قال ابن السِّيد : العَنَد بفتحتين : الجانب ، ورواه ابن دريد « العُنّد » جمع عاند ، وهو المائل المنحرف . وزاد بعده :

* ولا أطيق البَكَرات الشُّرَّدا *

وأما قوله : « كأن أصواتَ القطا » إلخ . فقد قال أيضا : قال أبو علىّ البغدادى : رويته عن ابن قتيبة « المنغصٌ » بالغين المعجمة والصاد المهملة ، وهو من الغصَص ، ومعناه المختنق . ورويته عن غير ابن قتيبة « المنقضِّ » بالضاد المعجمة والقاف ، وهو الصَّواب . شبَّه صوت انقضاض القطاة إذا انقضَّت بأصوات الحصا إذا قرعَ بعضُها بعضا . والمنقَزّ : المتواثب ، يقال قَزَّ ، وانقَزَّ ، إذا وثب .

وأما قوله : « أزهر لم يولد بنجم » إلخ فقد قال أيضا [١] الميمَّم : المقصود لكرمه . والسِّنخ بالخاء المعجمة والجيم [٢] : الأصل . وقد روى السِّنح بالحاء المهملة .

وأما قوله : « حَشْوَرة الجنبين » إلخ فقد قال أيضا : الحشورة : العظيمة . والمَعْطاء : التى تساقط شَعرها . والدِّمْن بالكسر : الزِّبل . والأثباج ، الأوساط . يصف ناقةً قد اشتدَّ عطشُها ، فهى تشرب الماء بما يطفو عليه من الزِّبل ولا تعافه ، وشبَّه جُرعاتِها فى عِظَمها بأثباج القطا .

---

(١) الكلام بعده إلى « أيضا » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا فى الاقتضاب ٤١٦ . ولم يرد فى المعاجم المتداولة .

وأما قوله : « قُبِّحتِ من سالفةٍ » إلخ فقد قال أيضا : هذا الرجز لجوّاس بن هُرَيم . والسَّالفة : صفحة العنق . والكُشْية بالضم : شحمةُ بطن الضّبّ . والصُّقْع : الناحية من الأرض ، ويروى : « صقغ » بالغين معجمة . هجا امرأةً وشبَّه سالَفتها وصُدغها فى اصفرارهما بكُشية ضبٍّ فى صُقع من الأرض . وأراد أن يقول : من سالفتين وصُدغين ، فلم تمكنه التثنية ، فوضع الواحد موضع الاثنين اكتفاءً بفهمِ السامع . وقوله : « كأنّها كُشْيَة » إنمّا أفرد الضمير ولم يقل كأنَّهما لأنه أراد سالفتيها وصُدغَيها ، وهى أربعٌ ، فحمَله على المعنى . انتهى .

ونقلنا شرح هذه الأبياتِ تكميلاً للفائدة .

والبيت الشاهد لم أقفْ على قائله ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد التسعمائة [1] :

٩٣٣ (لَئِنْ مُنيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ لا تُلفِنَا عن دِماء القومِ نَنْتَفِلُ)

على أنّه يجوز بقلّة فى الشعر أنْ يكون الجواب للشرط مع تأخُّره عن القسم ، فإنّ لام لئن موطِّئة للقسم ، وقوله : لا تلفِنا جواب الشرط دون القسم ، بدليل الجزم .

وقد خلا عن ذكر هذه الضرورة كتابُ الضرائر لابن عصفور .

وأجاب ابن هشام (فى المغنى) بأنّ اللام زائدة ، ولم يخصّه بالضرورة . قال : وليست اللام موطِّئةً فى قوله :

(١) ديوان الأعشى ٤٨ . وانظر العينى ٣ : ٢٨٣/ ٤ : ٤٣٧ والأشمونى ٤ : ٢٩ .

لئن كانت الدُّنيا علىّ كما أرى تباريحَ من ليلى فَلَلموتُ أرْوَحُ (١)

٥٣٥ وقوله :

لئن كان ما حُدِّثتهُ اليومَ صادقاً أَصُمْ فى نهارِ القَيظ للشَّمس باديا (٢)

وقوله :

ألمِمْ بزينبَ إنّ البيَن قد أَفِدَا قَلَّ الثواءُ لَئِنْ كانَ الرحيلُ غَدا (٣)

بل هى فى ذلك كلِّه زائدة .

أمّا الأوّلانِ فلأنَّ الشرط قد أُجيب بالجملة المقرونة بالفاء فى البيت الأوّل ، وبالفعل المجزوم فى البيت الثانى ، فلو كانت اللام للتَّوطئة لم يُجَب إلاَّ القسم . هذا هو الصحيح . وخالف فى ذلك الفرّاءُ فزعم أنّ الشرط قد يُجاب مع تقدُّم القسمِ عليه .

وأمَّا الثالث فلأنَّ الجواب قد حُذف مدلولاً عليه بما قبل إنْ ، فلو كان ثَمّ قسمٌ مقدّر لزم الإجحاف بحذف جوابين . انتهى .

والجواب الجيِّد ما قاله الشارح من أنّ هذا ضرورة ، فإنّ جوابه لا يتأتَّى فى قوله :

حلفت له إنْ تدلج الليل لا يزل .... البيت الآتى

---

(١) وكذا فى المغنى ٢٣٦ . والبيت لذى الرمة فى ديوانه ٨٦ برواية : « تَباريح من مى » ، وهى صاحبته . وفى الكامل ٤٢١ : « تباريح من ذكراك للموت أروح » .

(٢) لامرأة من عقيل ، كما سيأتى فى ص ٣٣٦ ، ٣٤٠ .

(٣) لعمر بن أبى ربيعة فى الأغانى ١ : ٤٥ / ٢ : ١٣٢ / ٦ : ١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٨ وملحقات ديوانه ٤٨١ . وأنشده فى المغنى ٢٣٦ . أفد البين ، أى دنا الفراق وأزف .

وقد نقلوا عن الفراء جوازه فى الكلام أيضاً . ورأيت كلامَه مضطرباً فى هذه المسألة ، فتارة أجاز بمرجوحيَّةٍ كما نقلوا ، وتارة جزم بأنّ ما ورد منه فى الشعر ضرورة .

أمّا الأوّلُ فقد قاله فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد عَلِمُوا لَمَنِ اشتراه [١] ﴾ من سورة البقرة ، وهذا نصّه : صَيَّروا جوابَ الجزاء بما يُلقَى به اليمين ، إمّا بلامٍ ، وإمّا بلا ، وإمّا بإنَّ وإمّا بما ، فتقول فى ما : لئن أتيتنى ما ذلك لك بضائع . وفى إنّ : لئن أتيتنى إنّ ذلك لمشكور . وفى لا : ﴿ لئن أُخرِجُوا لاَ يَخْرُجُون معهم [٢] ﴾ . وفى اللام : ﴿ ولئن نَصَروهمْ ليُوَلُّنَّ الأدبارَ [٣] ﴾ . وإنَّما صيَّروا جواب الجزاء كجواب اليمين ، لأنَّ اللام التى دخلت فى : ﴿ولقد علموا لمن اشْتَراه﴾ ، وفى : ﴿ لما آتيتُكُمْ من كتاب [٤] ﴾ ، وفى : ﴿ لئن أخرجوا ﴾ إنَّما هى لام اليمين ، كان موضعها فى آخر الكلام ، فلَّما صارت فى أوّله صارت كاليمين ، فلُقِيت بِما يُلقَى به اليمين . وإن أظهرتَ الفعل بعدَها على يفعل جاز ذلك ، وجزمتَه فقلت : لئن تقم لا يقمْ إليك . وقال الشاعر :

لئن تكُ قد ضاقَتْ عليكم بيوتُكُمْ ... لَيَعْلَـمُ ربِّـى أنّ بيتِـىَ واسعُ [٥]

وأنشدنى بعض بنى عُقيل :

لئن كان ما حدِّثته اليومَ صادِقاً ... أصمْ فى نَهار القَيظِ للشَّمسِ باديا[٦]

وأَركَبْ حماراً بين سرج وفَـروةٍ ... وأُعْرِ من الخاتام صُغْـرى شِماليـا

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء ١ : ٦٥ - ٦٩ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٣) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٤) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٥) البيت للكميت بن معروف ، كما سبق فى الشاهد ٨١٤ . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣١ .

(٦) مضى الكلام عليه قريبا .

فألغَى جواب اليمين من الفعل ، وكان الوجه فى الكلام أن يقول : لئن كان كذا لآتيَّنك ، وتوهّم إلغاء اللام ، كما قال الآخر :

فلا يَدْعُنى قومى صريحاً لحُرَّةٍ   لئن كنت مقتولاً وتسلم عامرُ (١)

فاللام فى لئن ملغاةٌ ، ولكنّها كثُرت فى الكلام حتّى صارت كأنَّها إنْ . ألا ترى أنَّ الشاعر قد قال :

فلئـــن قومٌ أصابـــوا غِرّةً   وأصَبْنا من زمـانَ رققـا (٢)

لَلَقـد كانـوا لدى أزماننـا   لِصنيعَيـنِ : لبـأسٍ وتُقَـى

فأدخل على لقد لاماً أخرى ، لكثرة ما تلزم العرب اللام فى لقد ، حتَّى صارت كأنَّها مِنها . وأنشدنى بعض بنى أسد : ٥٣٦

فلا واللهِ لا يُلفَـى لما بى   ولا لِلما بهم أبداً دواءُ (٣)

ومثله قول الشاعر :

كما مَا امرؤٌ فى معشرٍ غيرِ رهطه   ضعيفُ الكلامِ شخصهُ متضائلُ (٤)

قال : « كما » ثم زاد معها « ما » أخرى ، لكثرةِ كَمَا فى الكلام ، فصارت كأنَّها منها . وقال الأعشى :

* لئن مُنِيتَ بنا عن غبٍّ معركةٍ * البيت .

فجزم « لا تلفِنا » والوجه الرفع ، كما قال تعالى : ﴿ لئن أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُون مَعَهُم (٥) ﴾ ، ولكنّه لما جاء بعد حرفٍ يُنوَى به الجزم صُيِّر مجزوماً جوابا

(١) لقيس بن زهير ، كما فى سيبويه ٣ : ٤٦ هارون . وانظر معجم الشواهد .

(٢) مجهول القائل ، وتخريجه فى معجم الشواهد .

(٣) لمسلم بن معبد الوالبى ، كما فى معجم الشواهد .

(٤) لابن هرمة فى ملحقات ديوانه ٢٧٤ برواية : « فإن امرأ » .

(٥) الآية ١٢ من سورة الحشر .

للمجزوم ، وهو فى معنى رَفْع . وأنشدنى القاسم بن معن عن العرب :

حلفتُ له إنْ تدلج اللَّيلَ لا يزَلْ   أمامَك بيتٌ من بيوتىَ سائرُ (١)

والمعنى : حلفت له لا يزال بيتٌ ، فلما جاء بعد المجزوم صيِّر جوابًا للجزم. ومثله فى العربية : آتيك كى إنْ تحدِّث بحديث أسمعْه منك ، فلما جاء بعد الجزم جُزِم . انتهى نصُّه بحروفه .

وأما كلامه الثانى فقد قاله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لئن اجتمعت الإِنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثْلِ هَذا القرآنِ لا يأتُونَ بمثِلِه (٢) ﴾ من سورة الاسراء ، قال : لا يأتون جوابٌ لقوله لئن ، والعرب إذا أجابت لَئن بلاَ جعلوا ما بعد لا رفعاً ، لأنَّ لئنْ كاليمين ، وجواب اليمين بلا مرفوع . وربمَّا جَزَم الشاعر ، لأنّ (لئن) إن التى يُجازَى بها زيدت عليها لام ، فوجَّه الفعلَ فيها إلى فَعَلَ ، ولو أتى بيفْعَل لجاز جزمُه . وقد جزم بعضُ الشعراء بلئن ، وبعضهم بلا التى هى جوابُها . قال الأعشى :

لئنُ مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ   لا تُلفنا عن دِماءِ القومِ نَنتفِلُ

وتَلْقَنا بالقاف أيضا . وأنشدتنى عُقَيليّة فصيحةٌ :

* لئن كان ما حُدِّثتَه اليومَ صادقاً * .... البيتين

وأنشدنى الكسائى للكُميت بن معروف :

لئن تَكُ قد ضاقت عليكم بلادُكم   لَيعلم ربِّى أنّ بيتِىَ واسعُ

انتهى كلامه .

---

(١) هو الشاهد ٩٣٥ . وهو مجهول القائل كما فى شرح الشاهد .

(٢) الآية ٨٨ من سورة الإسراء . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٠ – ١٣١ .

ووافقه ابن مالك ، قال (فى التسهيل) : « وقد يُغنى جوابُ الأداة مسبوقة بالقسم [١] » . يعنى إنْ لم يتقدَّم مبتدأ أو أُخِّر القسم عن الشرط وجبَ الاستغناء عن جوابه بجواب الشرط ، وإنْ أُخِّر الشرط استغْنِيَ فى أكثر الكلام عن جوابه بجواب القسم ، ولا يمتنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخُّره .

ومن شواهد ذلك عنده [٢] قول الفرزدق :

لئن بَلَّ لى أرضِى بِلالٌ بدفعةٍ من الغَيثِ فى يُمنى يديهِ انسكابُها[٣]
أكنْ كالذى صابَ الحيا أرضَه التى سَقاها وقد كانت جدبياً جَنابُها

مع أبيات أُخَر .

قال ناظر الجيش : وهذه الأبياتُ أدلّةٌ ظاهرة على المدَّعَى ، غير أنّ المصنِّف لم ينسب هذا المذهبَ لبصرىّ ولا كوفىّ ، جريا منه على طريقته المألوفة ، وهى أنّه إذا قام الدليل عنده على شيءٍ اتّبعه ، ثم إنّه قد ينبِّه على خلافٍ فى ذلك إن كان ، وقد لا يتعرَّض إلى ذلك . والجماعة يذكرون أنّ هذا القول إنّما هو قول الفراء . قال ابن عصفور : ولا يجوز جعلُ الفعلِ جواباً للشرط إذا توسَّط بينه وبين القسم ، فأمّا قول الأعشى : « لئن مُنِيتَ بنا » البيت ، وقوله : « لئن كان ما حدِّثتُه » البيت ، فاللام فى لئن ينبغى أن تكون زائدة ، كالتى فى قوله : « أمسى لمَجهودا » . ومن ثَمَّ قال أبو حيان : وهذا الذى أجازه ابن مالك هو مذهب الفرّاء ، وقد منعَه أصحابنا والجمهور . ثمّ نقلَ كلام ابن عصفور . وأقول : إنّ ابن عصفور لم يذكر دليلاً على امتناع ما ذكره المصنِّف ، بل عَمَد إلى

٥٣٧

(١) التسهيل لابن مالك ١٥٣ .

(٢) فى غير التسهيل ، وقد يكون فى شرحه .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٤ من قصيدة يمدح فيها بلال بن أبى بردة ، برواية « بلالٌ بدَفْقةٍ » .

الأدلَّة على هذا الحكم فأخرجها عن ظاهرها بغير مُوجِب ، وحكم بزيادة اللام مع إمكان القول بعدم الزيادة . وبعدُ فلا يخفى على الناظر وجهُ الصَّواب . فالوقوف مع ما ورد عن العرب ، حيثُ لا مانع يمنع من الحمل على ظاهر ما ورَدَ عنهم . انتهى كلام ناظر الجيش .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة مشهورةٍ للأعشى ، تقدَّم شرح أبيات منها فى الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستمائة (١) . وقبله :

أبيات الشاهد

(إنّى لعَمْرُ الذى حَطَّت مَنَاسِمُها تَخدِى وسِيقَ إليه الباقرُ الغُيُلُ
لئن قَتَلتم عميدًا لم يكن صَدَدًا لنقتُلَنْ مثلَهُ منكمْ فنمتثل)
وإن منيت بنا عن غبٍّ معركة .... البيت

يخاطب بها يزيد بن مُسهر الشَّيبانى ، وكان حرَّض بنى سيّارٍ أن يقتلوا سيِّداً مِن رهط الأعشى على ما تقدَّم سببه هناكَ (٢) .

وقوله : « حَطَّت مناسمُها » الحطّ بمهملتين : الاعتماد . والمَنسِم ، كمجلس : طرف خُفّ البعير ، والضمير المؤنَّث ضمير الإبل وإن لم يَجْرِ لها ذكر ، لأنَّ المناسم خاصّة بها تدلّ عليها . والعائد إلى الذى محذوف ، تقديره إليه ، أى إلى بيته . وتَخْدِى بالخاء المعجمة والدال المهملة : تسير سيراً شديداً فيه اضطرابٌ لشِدَّته . وروى « له » بدل تخدى ، فالعائد مذكور . والباقر : اسمُ جمعٍ للبقَر . والغُيُل بضم الغين المعجمة والمثناة التحتية : جمع غَيل بفتح فسكون ، بمعنى الكثير . يقول : أقسم بالله الذى تسرع الإبلُ إلى بيته ، ويُساق إليه الهَدْى .

(١) الخزانة ٨ : ٣٩١ — ٣٩٤ .

(٢) الخزانة ٨ : ٣٩٧ .

وقوله : « لئن قَتَلتم » إلخ اللام موطّئة آذنت أنّ الجواب الآتى ، وهو قوله لنقتُلَنْ ، جوابُ القسم لا جوابُ الشرط . والعميد : الكبير الذى يُعمَد فى الأمور الشّديدةِ ويُقصَد . والصَّدَد ، بفتحتين : المُقارِب . وقوله : « فنمتثل » أى نقتل الأمْثَلَ ، وهو الأفضل . يعنى : والله لئن قتلتم منّا دون السيِّد لنقتلُ أعظَمَكم .

وتقدّم شرحُهما بأكثَرَ من هذا مع أبيات أُخَر فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمائة [١] .

وقوله : (وإن مُنِيتَ) هكذا جاءت الرواية بالعطف على قوله (قَتَلتم) ، والمشهور فى كتب النحويين : (لئن مُنِيت) باللام الموطِّئة . والأمر سهلٌ . ومُنِيتَ بالخطاب والبناء للمفعول ، مِن مُنِىَ له ، أى قُدّر . ومَنَى يَمْنِى كرمى يرمِى بمعنى قدَّر ، والاسم بالفتح والقصر . قال سُويد بن عامر المُصطَلِقىّ :

لا تأمَنِ الموتَ فى حِلٍّ ولا حَرَمٍ ... إنّ المنايا تُوافِى كلَّ إنسانِ [٢]

واسلكْ طريقَك تمشى غيرَ محتشمٍ ... حتّى تَبَيَّنَ ما يَمنى لك المانى

فكلُّ ذى صاحبٍ يوماً يفارقُه ... وكلُّ زادٍ وإنْ أبقيتَه فانى

والخيرُ والشرُّ مقرونانِ فى قَرَنٍ ... بكل ذلك يأتيك الجديدانِ

روى السيد المرتضى (فى أماليه) أنّ مسلماً الخزاعِىّ ثم المُصطلقىَّ قال : شهدت رسول الله ﷺ وقد أنشدهُ مُنْشِدٌ هذه الأبياتَ لسُويدٍ ، فقال ﷺ : « لو أدركْتُهُ لأسلم » . والتاءِ نائبِ الفاعلِ بتقديرِ مضاف ، والأصل مُنِىَ اجتماعُكَ بنا ، فالباءِ مِن بِنا متعلّقة بهذا المضاف ،فلمَّا حُذِف صار الضمير

٥٣٨

---

(١) الخزانة ٩ : ٤٥٤ – ٤٦١ .

(٢) أمالى المرتضى ١ : ٣٦٨ . والأبيات تروى أيضا لأبى قلابة الهذلى فى ديوان الهذليين ٣ : ٣٩ – ٤٠ مع خلاف فى الرواية والترتيب . وانظر اللسان (منى) .

المجرور ضميرَ رفع . وقوله : (عن غِبِّ مَعْركةٍ) عن هنا بمعنى بَعْدَ ، متعلّقة بقوله منيت . وبه استشهد ابنُ الناظم (فى شرح الألفية) . والغِبّ بالكسر والمَغَبّة بالفتح : العاقبة ، وروى أيضًا : « عن جِدِّ معركة » بكسر الجيم بمعنى الشِّدَّة والمجاهدة فيها . والمعركة : موضع الحرب ، يقال عرَكت القومَ فى الحرب عَرْكا ، أى أوقعتُهم فى شِدّة . وعارَكَ معاركةً وعِراكاً : أى قاتل . وأصل العَرْك الدَّلْكُ والفَرْك ، ومِنْ لازمِهِ التليينُ والتذليل . وقوله : (لا تُلِفنا) لا نافية ، وتلفنا مجزوم بإنْ بحذف الياء على أنّه جزاء الشرط . وألفَى كوجَدَ معنىً وعملاً فتتعدَّى [1] إلى مفعولين أصلُهما المبتدأ والخبر ، كقوله :

قد جَرَّبوهُ فألْفَوْه المغِيثَ إذا ما الرَّوع عَمَّ فلا يَلوِى على أحَدِ [2]

كذا قال ابن مالك . فالمفعول الأول لألفَى فى البيت ضمير المتكلّم مع الغير ، وجملة ننتفل هى المفعول الثانى [3] . وذهب ابن عصفور إلى أنّها تتعدى إلى مفعول واحد ، وأن المنصوبَ الثانى حال ، واستدلّ بالتزام تنكيره . ورُدّ بوروده معرفةً كما فى البيت ، ودعوى زيادة اللام ضعيفة . و (عن دماء) متعلّق بقوله (ننتفل) بالفاء . قال صاحب الصحاح : وانتفَلَ من الشئ ، أى انتفَى منه وتنَصَّل ، كأنه إبدالٌ منه . وأنشد البيت .

قال شارح جمهرة الأشعار : يقال انتفل وانتفى بمعنىً واحد ، كما قال :

أمنتفِلاً عن نصر بُهْثَةَ خِلتَنى إلاَ إنّنى منهم وإن كنت أيْنَما [4]

---

(١) ش : « فيتعدى » .

(٢) مجهول القائل . وانظر العينى ٢ : ٣٨٨ والهمع ١ : ١٤٩ .

(٣) ش : « هو المفعول الثانى » .

(٤) مختارات ابن الشجرى ٣١ . وهو فى ديوان المتلمس ٣٩ برواية مخالفة ، وكذلك فى اللسان (نفل ١٩٦) .

وقيل ننتفل : نَجْحد ، والمعنى : إن قُدِّرَ أن تلقانا بعد المعركة لم ننتفِ من قَتْلِنا قومَك ، ولم نجحد . انتهى .

وقال العينى : قوله لئن منيت بنا ، أى لئن ابتليت بنا ، من مُنِى بأمرٍ كذا ، إذا ابتُلِىَ به ، مِن [١] مَنَى يَمْنَى من باب فتح يفتح ، ومَنَا يمنو من باب نصر ينصر . وأمَّامنَى يَمنِى ، إذا أنزل المنىَّ فمصدره مَنْيا على وزن فَعْل ، بفتح الفاء وسكون العين ، وبابه من باب ضرب يضرب . ومَنَى أيضاً بمعنى قدّر ، ومنه المنيَّة ، وهو الموت ، لأنَّه مقدَّر على الخلق كلّهم . ومُنِيتَ على صيغة المجهول ، وبنا جارٌّ ومجرور مفعولٌ ناب عن الفاعل . وقوله : « لا تلفنا » جملة مجزومة لأنّها جواب الشرط ، وننتفل جملةٌ وقعت حالاً من الضمير المنصوب فى لا تُلِفنا . هذا خُلاصة كلامِه فى هذا الباب ، فتأمَّلْه تَرَى [٢] العجبَ العُجاب .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد التسعمائة [٤] :

٩٣٤ (لئن كان ما حُدِّثْتَهُ اليومَ صادقاً أصُمْ فى نهارِ القَيْظ للشَّمْسِ باديا)

على أنّه جاء (أصُمْ) جواباً مجزوما لإن الشرطية ، بعد تقدُّم القسم المشِعر به اللامُ الموطئة ، وهو قليل فى الشعر كالبيت الذى قبله .

---

(١) ط : « ومن » ، صوابه فى ش والعينى .

(٢) كذا فى النسختين غير مجزوم .

(٣) الخزانة ١ : ١٧٥ – ١٧٨ .

(٤) المغنى ٢٣٦ والعينى ٤ : ٢٣٨ والتصريح ٢ : ٢٠٤ والهمع ٢ : ٤٣ والأشمونى ٤ : ٢٩ .

وهذه اللام تدخل على أداة شرطٍ حرفا كانت أم اسماً كما قال الشارح المحقق ، تُؤْذن بأنّ الجواب بعدها مبنيٌّ على قَسم قبلها ، لا على الشَّرط ، ومن ثَمّ تُسمَّى اللامَ المُؤْذِنة ، وتسمّى الموطِّئة أيضاً ، لأنَّها وطَّأت الجوابَ للقسم ، أى مهَّدته له ، سواء كان القسم قبلها مذكوراً ، كقوله تعالى : ﴿ وأقسَمُوا بالله جَهْدَ أيمانِهِم لئن جَاءتْهُم آية ليؤمِنُنَّ بها [1] ﴾ ، أم غير مذكور كقوله تعالى : ﴿ لئن أُخرجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ولئن قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ولئن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَ الأدبار [2] ﴾.وقد يكتفى بنيَّتِها عن لفظها ، كقوله تعالى : ﴿ وإن لم تَغفِرْ لنا وتَرحَمْنا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرِين [3] ﴾ ، والأصل : ولئن لم تغفر لنا . ولولا نيَّتها لقيل : وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكُنْ من الخاسرين ، كما قيل : ﴿ وإلاّ تَغْفِرْ لى وترحَمْنى أكُنْ من الخاسرين [4] ﴾ وكذا قوله تعالى : ﴿ وإنْ أطعتموهم إنّكم لمُشْرِكُون [5]﴾ . وقول بعضهم : ليس هنا قسمٌ مقدرٌ ، وإنّما الجملة الاسميَّة جوابُ الشرط على إضمار الفاء ، فقد قال الشارح وغيره : مردودٌ ، لأنّ حذفَها خاصٌّ بالشعر . قال سيبويه : ولابدَّ من هذه اللامِ مظهرةً أو مضمرة . يعنى اللام التى تقارن أداة الشرط .

٥٣٩

وقال ابن مالك (فى شرح التسهيل) : وأكثر ما تكون اللام مع إنْ . ومن مقارنتها غير إنْ من أخواتها قوله تعالى : ﴿ وإذ أخَذَ الله ميثاقَ النبيِّينَ لَمَا آتيتُكم

(١) الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .
(٣) الآية ٢٣ من سورة الأعراف .
(٤) الآية ٤٧ من سورة هود .
(٥) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .

مِنْ كتابٍ وحكمةٍ ثمَّ جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لما مَعَكُم لتُؤمِنُنَّ به ولَتنصرُنَّه (١) ﴾ . ومثله قول القُطاميّ :

ولَمَا رُزِقْتَ ليأتينَّك سيبُه ... جَلْباً وليس إليك ما لم تُرزَقِ (٢)

ومثله قول الآخر :

لَمتَى صَلَحتَ لَيُقْضَيْن لك صالحٌ ... ولتُجْزَيَنَّ إذا جُزيتَ جَميلا (٣)اهـ .

وكذا (فى المغنى) لابن هشام ، لكنّه قال : وعلى هذا فالأحسن فى قوله تعالى : ﴿ لَمَا آتيتكُمْ من كتابٍ وحكمةٍ ﴾ أن لا تكون موَطِّئة وما شرطيَّة ، بل للابتداء وما موصولة ، لأنّه حملٌ على الأكثر : قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : وقد شبَّه بعضهم إذْ بإنْ فأولاها اللامَ ، فقال :

غَضِبَتْ عليَّ وقد شَرِبتُ بجُزّةٍ ... فَلَإذْ غضِبْتِ لأشرَبَنْ بخروفِ (٤) . اهـ .

ووجه الشبه أنّ إذْ ترد للتعليل ، وإنْ للشَّرط ، وهما متقاربان .

قال ابن هشام : وأغرب ما دخلت عليه اللام إذْ ، وهو نظير دخول الفاء فى : ﴿ فإذْ لم يأتوا بالشُّهداءِ فأولئكِ عِنْد اللهِ هم الكاذِبُون (٥) ﴾ . شبِّهت إذْ بأنْ فدخلت الفاء بعدها ، كما تدخل فى جواب الشرط . انتهى .

قال ابن مالك : ولابد من هذه اللام مظهرةً أو مضمرة . وقد يستغنى بعد لئِنْ عن جوابٍ ، لتقدُّم ما يدلّ عليه ، فيحكم بأنّ اللام زائدة . فمن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٢) ديوان القطامى ٣٦ والهمع ٢ : ٤٤ .

(٣) المغنى ٢٣٥ والهمع ٢ : ٤٤ .

(٤) البيان ٣ : ٣٤٤ والقالى ١ : ١٥٠ والمغنى ٢٣٦ والهمع ٢ : ٤٤ .

(٥) الآية ١٣ من سورة النور .

ألمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفِدَا قَلَّ الثّواءُ لئن كان الرحيلُ غَداَ (١)

ومثله :

فلا يدْعُنى قومٌ صريحاً لحرَّةٍ لئن كنت مقتولاً ويسلمُ عامرُ (٢). انتهى .

وقال (فى شرح الكافية) : لاَقسَمَ فى مثل هذه الصُّورة ، فلا يكونُ إلاّ شرط .

وقال ابن عصفور : وهذه اللام الداخلة على أداة الشرط عند البصريِّين زائدة للتأكيد ، وموطِّئة لدخول اللام على الجواب ، ودالّةٌ على القسم إذا حذف . انتهى .

ومثله لابن جنى (فى سر الصناعة) قال : واللام فى لئن إنمّا هى زائدة مؤكِّدة يدلُّك على أنّها زائدة ، وأنّ اللام الثانية هى التى تلقَّت القسم ، جوازُ سُقوطِها فى نحو قول الشاعر (٣) :

فأقسمتُ أنّى لا أحُلُّ بصهوةٍ حَرامٌ علىَّ رملُه وشقائقُه (٤)
فإن لم تغِّير بعضَ ما قد صنعتُم لَأنتَحِيَنْ للعَظْم ذو أنا عارقُه

ولم يقل فلئن . ويدُّلك أيضا على أنّك إذا قلت : والله لئن قمت لأقومنّ ، أنّ اعتماد القسم على اللام فى لأقومَّن ، وأنَّ اللام فى لئن زائدةٌ مِنْها بُدٌّ ، قولُ كثيرٍّ :

---

(١) سبق الكلام عليه فى ص ٣٢٨ .

(٢) لقيس بن زهير ، كما سبق فى حواشى ٣٣٠ .

(٣) لعارق الطائى ، كما فى الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٤٥ واللسان (صها) .

(٤) ورواية الحماسة : « حرام عليك » ، وهو الصواب . وفى الحماسة واللسان : « فأقسمت لا أحتل » .

لئن عاد لى عبدُ العزيز بمثلها وأمكننى منها إذَنْ لا أقيلها [(١)]

فرفعُه أقيلها يدلُّ على أن اعتماد القسم عليه ، ولو أنَّ اللام فى لئن عاد لى هى جواب القسم لا نجزم لا أقيلها ، كما تقول : إن تقم إذن لا أقم . انتهى كلامه .

وهذا البيت ما بعده :

(وأركَبْ حماراً بين سَرجٍ وفَروةٍ وأُعرِ من الخاتام صُغرَى شِماليَا)

كذا أنشدهما الفراء وقال : أنشدنيهما بعض عُقيل فصيحةٌ [(٢)] ، ولم يصرِّح بقائلهما .

وقوله : (لئن كان ما) إلخ اللام زائدة ، وما عبارةٌ عن الكلام ، وحُدِّثتَه بالبناء للمفعول ، والتاء للخطاب نائب الفاعل ، والهاء ضمير ما . وقد طغى قلم العَينىِّ هنا فقال : حُدِّثته على صيغة المجهول ، والضمير المستتر فيه مفعول نائب عن الفاعل . انتهى . و (اليومَ) ظرفٌ عامله حُدِّثتَه ، وصادقاً خبر كان من الهاء [(٣)] . وفيه إسنادٌ مجازىّ ، لأنّ المتّصف بالصّدق حقيقة قائلُ الكلام لا الكلام . و (أصُمْ) جوابُ الشرط ، وفى متعلِّقة به . و (القيظ) : شِدّة الحرّ ، والفصل الذى يقول له الناس الصَّيف . و (للشَّمس) متعلّق بادياً . والبادى : البارز . ورُوِىَ بدله : (ضاحياً) بمعناه . وبادياً حال من فاعل أصم .

وقوله : (أركَبْ) بالجزم معطوف على أصُمْ . والفَروة معروفة . وركوب الحمار بينَ السَّرج والفَروة هيئةُ مَنْ يُندَّد به ويُفضَح بين الناس . وقوله : (وأُعْرِ)

---

(١) لكثير عزة فى ديوانه ٣٠٥ . وقد سبق فى ٨ : ٤٧٣ بولاق .

(٢) فى معانى الفراء ١ : ٦٧ : « بعض بنى عقيل » ، وفى ٢ : ١٣١ : « وأنشدتنى امرأة عقليّة فصيحة » .

(٣) كذا فى النسختين ، ولعله : « خبر كان أو حال من الهاء » كما توقعه مصحح بولاق . وذلك باعتبار كان تامة عند القول بالحالية .

مجزوم بحذف الياء للعطف على أصمْ أيضاً ، وهو بضم الهمزة وكسر الراء ، مضارع أعراه إعراءً أى جعله عاريا . والخاتام : كالخَيتامِ : لغة فى الخاتم بفتح التاء وكسرها . وأراد بصغرى شِماله خِنصرَها ، فإنَّ الخاتم يكون زينةً للشمال ، فإنّ اليمين لها فضيلة اليُمْن ، فجَعْلُ الخاتَم فى الشِّمال للتعادل . يقول : إن كان ما نُقِل يعنى لك ، من الحديث صحيحاً ، جعلنى الله صائماً فى تلك الصفة ، وأركَبَنِي حماراً للخزيِ والفضيحة والنَّكال ، وجَعَلَ خِنصَر شِمالى عاريةً مِن حُسْنها وزينتها بقَطْعها .

هذا ما ظهر لى فيه . والله أعلم .

وعُقَيل بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد التسعمائة [1] :

٩٣٥ (حَلَفْتُ له إنْ تدلجِ اللَّيلَ لا يزَلْ   أمامَك بيتٌ من بيوتىَ سائرُ)

على أنَّه جزم (لا يَزَلْ) فى ضرورة الشعر بجعله جوابَ الشرط ، وكان القياس أن يُرفع ويُجعل جواباً للقسم ، لكنَّه جزم للضرورة ، فيكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بجواب الشرط .

وقال ابن عصفور : وليس حلفت فيه قسماً كما ذهب إليه الفرَّاء ، بل هو خبرٌ محضٌ غير مرادٍ به معنى القسم ، لأنّ القسم إذا تقدَّم على الشرط بُني الجوابُ عليه ولم يُبنَ على الشرط . انتهى .

---

(١) معانى الفراء ١ : ٦٩ والمقرب لابن عصفور ١ : ٢٠٨ .

ولا يخفى تعسُّفه ، والصوَّاب ما ذهب إليه الشارح المحقق .

قال الفراء : أنشدنى هذا البيتَ القاسمُ بن معنٍ عن العرب ، والمعنى : حلفت له لا يزال [أمامك (١)] بيت . فلمَّا جاء بعد المجزوم صُيِّر جوابا للجزم . ٥٤١

و (تُدْلج) : مضارع أدلج إدلاجا ، ومعناه سار اللَّيلَ كلَّه ، فإنْ سار من آخر اللَّيل فقد أدّلج بتشديد الدال . و (الليلَ) ظرف له . و (يَزَلْ) مضارع زال يزال من أخوات كان . و (أمامَك) بالفتح بمعنى قُدّامك ، خبرها مقدّم . و (بيتٌ) اسمها مؤخّر . و (من بيوتى) صفة له . وكذا (سائر) . وأراد بالبيت جماعةً من أقاربه ، وهذا مشهور . يقول : إنْ سافرتَ فى الليل أرسلتُ جماعةً من أهلى يسيرون أمَامك يخفُرونكَ ويحرُسونك إلى أنْ تصِل إلى مأمَنك .

وهذا البيت لم أقف على قائله ولا تتمَّتِه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(إنّك إنْ يُصَرع أخوكَ تُصْرَعُ)

وتقدم شرحه فى الشاهد الثانى والتسعين بعد الستمائة (٢) ، وفى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة (٣) . فراجِعْه .

* * *

(١) التكملة من معانى الفراء .

(٢) الخزانة ٩ : ٥٢ .

(٣) الخزانة ٨ : ١٩ — ٢٩ .

وأنشد بعده :

(لئن مُنِيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ)

وتقدَّم شرحه قريبا (١)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد التسعمائة (٢) :

٩٣٦ (فإنْ يَكُ مِنْ جنٍّ لَأبرَحَ طارقاً   وإنْ يكُ إنساً ما كها الإنسُ تَفْعَلُ)

على أنّ أداة الشرط إذا لم يكن لها جواب فى الظاهر يجب أن يكون شرطُها ماضياً لفظا ومعنىً ، نحو : أكرمُك إن أتيتنى ، ومعنىً فقط نحو : أكرمك إن لم تقطَعْنى .

وقد يجىء فى الشعر مستقبلاً . قال سيبويه : وقد يجوز فى الشعر آتِى من يأتِنى (٣) . وتقدَّم نقله فى الشاهد الرابع والتسعين بعد الستمائة .

وكذا شَرْطُ إنْ فى هذا البيت جاءمستقبلاً ، مع أنّه لا جزاءَ لها فى الظَّاهر . وهو خاصٌّ بالشعر .

وقد خلا كتاب الضرائر لابن عصفور من ذكر هذه الضرورة .

وبيان أنّ إنْ لا جواب لها هنا : أنّ قوله لَأبرحَ جوابُ قسم مقدَّر ، واللام الموطِّئة محذوفةٌ ، أى والله فلئن يكُ من جنٍّ لأبرحَ . وهذا دليلُ جوابِ الشرطِ المحذوف ، والتقدير : فإن يك من جنٍّ فقد أبرحَ . ولا يجوز أن يكون لأبرحَ جوابَ الشرط ، لاقترانه باللام التى يجاب بها القسَم ، فإنّ إنْ لا تأتى (٤) فى جوابها اللام ، وأبرحَ وإن كان ماضياً إلاّ أنّه فى معنى المستقبل ، لأنّه دليلُ جواب الشرط كما قاله الشارح المحقّق بعد هذه الأبيات . والماضى المتصرِّف إذا وقع جوابَ

(١) انظر ما سبق ٣٢٧ .

(٢) العينى ٣ : ٢٦٩ والهمع ٢ : ٣٠ . والبيت من لامية العرب . وانظر القالى ٣ : ٢٠٦ .

(٣) ط : « أتى من يأتى » صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٢٣٨ أو ٣ : ٧٠ هارون .

(٤) ش : « لا يأتى » .

قسم فالأكثر أن يقترن باللام مع قد ، نحو قوله تعالى : ﴿ تاللهِ لَقدْ آثَرَكَ اللهُ علينا [١] ﴾ ، أو ربَّما ، كقول الشاعر :

لئن نزحَتْ دارٌ لِسَلْمَى لَرُبَّما غَنِينا بخيرٍ والدِّيارُ جميعُ [٢]

أو بما مُرادِفةِ رُبَّما ، كقول آخر :

فلئن بانَ أهلُه لَبِمَا كان يُؤهَل [٣]

وقد يَستغني باللام الماضي المتصرِّف في النظم والنثر ، قال تعالى : ﴿ ولئن أرسَلْنا ريحاً فرأَوْهُ مُصفَرًّا لظَلُّوا مِنْ بَعدِهِ يَكفُرون [٤] ﴾ . وفى الحديث عن امرأةٍ من غِفَارٍ أنَّها قالت : « والله لنزلَ رسول الله ﷺ إلى الصُّبح فأناخ » . وفى حديث سعيد بن زيد : « أشهدُ لسمِعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَن أخذ شِبراً من الأرض ظُلماً [٥] » الحديث .

٥٤٢

وإن وُجِدت استطالةُ قسَمٍ جازَ إفراد الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ والسَّماءِ ذات البُروج . واليَوْمِ الموعُودِ . وشاهِدٍ ومَشْهودٍ . قُتِلَ أصحابُ الأُخدود [٦] ﴾ ، وكقول النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده وَدِدتُ أن أقاتِلَ فى سَبيل الله فأُقتَل » الحديث [٧] . وإن لم توجد استطالةٌ والفعل غير متَصرِّف وجب الاقتران باللام مفردة كقوله :

---

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف .

(٢) للمجنون فى ديوانه ١٩٣ وتزيين الأسواق ٦٨ .

(٣) لعمر بن أبى ربيعة فى ديوانه ٣٣٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٥) انظر الحديث وتخريجه فى الألف المختارة من صحيح البخارى برقم ٣٠٧ وتمام الحديث : « طُوِّقَه من سَبْع أرَضِين » .

(٦) الآيات ١ – ٤ من سورة البروج .

(٧) أخرجه البخارى فى كتاب التمنى . من حديث أبى هريرة . وانظر شواهد التوضيح لابن مالك ١٦٢ – ١٦٣ .

* لعمرى لنِعم الفتى مالكٌ *

كذا فى شرح التسهيل لابن مالك .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من لاميّة العرب للشَّنْفَرَى.وقبله :

أبيات الشاهد

(وليلةِ نحسٍ يَصطلى القوسَ ربُّها وأقطُعَهُ اللاتى بها يتنبَّلُ
دَعَستُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ ، وصُحبتى سُعارٌ وإرزيزٌ ووَجْرٌ وأفكَلُ
فأيَّمتُ نِسواناً وأيتمت إلْدَةً وعُدتُ كما أبدأتُ واللَّيلُ أَلْيَلُ
وأصبحَ عَنِّى بالغُميصَاءِ جالساً فريقان : مسئُولٌ وآخر يَسأَلُ
فقالوا : لقد هَرَّتْ بليلٍ كلابُنا فقلنا : أذِئبٌ عَسَّ أم عَسَّ فُرعُلُ
فلم يك إلاّ نبأةٌ ثمَّ هوَّمَتْ فقلنا : قَطاةٌ رِيعَ أم رِيع أجْدَلُ
فإن يكُ من جنّ لأبرحَ طارقا ....) البيت

قوله : « وليلة نحس » الواو واو ربَّ ، وأراد بالنحس البرد ، ولهذا يَصطلِى بالقَوسِ والسِّهامِ صاحبُها لشدَّةِ البرد .

وقوله : « دعست » إلخ دعست : دفعت دفعاً بإسراعٍ وعجلة ، وهو جوابُ رُبَّ . والغَطْش : الظُّلمة . والبَغْش : المطر الخفيف . وجملة وصحبتى إلخ حال من التاء . والسُّعار بالضم : حَرٌّ يجده الإنسان فى جوفه من شدَّة الجوعِ والبرد . وإرزيزٌ بالكسر : صوتُ أحشائه من الشِّدَّة . والوَجْر ، بالجيم والراء المهملة : الخوف . والأفكَلُ : الرِّعدة .

و « أيَّمتُ نِسواناً » أى جعلتهنَّ أيامَى بقتْلِ أزواجهنّ . و « أيتمتُ إلدةً » أى جعلت الأولاد أيتاماً بقتل آبائهم .

وشرح هذه الأبياتِ الثلاثة تقدَّم بالاستيفاء فى الشاهد الثامن بعد الثمانمائة [١] .

وقوله : « وأصبحَ عنىّ » إلخ الغُميصاء بضم الغين المعجمة وفتح الميم وبعد المثناة التحتية صاد مهملة ، قال أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) : موضع فى ديار بنى جَذيمة من بنى كنانة . وقال الشُّرَّاح : موضع بنجد . وجملة أصبح معطوفة على عُدْت . والجالس : اسم فاعل من جَلس الرجلُ ، إذا أتى الجَلَس ، بفتحتين [٢] ، وهو اسم نَجْد ، كما يقال أتهم الرجلُ ، إذا أتى تِهَامة .

قال الزّمخشرى (فى شرحه) : أصبح تستعمل ناقصة وتامّة ، والوجهان محتملان . أمّا كونها تامّةً فيحتمل أنّه أخبر عن الفريقين بأنّهما دخلا فى الصَّباح فى هذه الحال ، وفريقان الفاعل وجالساً حال وبالغميصاء حالٌ من الضمير فى جالس ، أى أصبح جالساً وهو بالغميصاء . والوجه الآخر : أن تكون ناقصة وفريقان اسمها ، وجالسا خبرها ، والواجب أنْ يطابق الخبر الاسم فى التثنية والجمع ، ولكن اكتفى بالواحد عن الاثنين ، وقد جاء ذلك ، فمنه قوله :

وكأنَّ فى العينين حَبَّ قَرَنفُلٍ ... أو سُنْبُلاً كُحِلت به فانهلَّتِ [٣]

فأفرد كُحِلت وهو يريد كحلتا . وكذلك فانهلَّت أى فانهلَّتا . وأمّا « عَنِّى » فالعامل فيه فعلٌ محذوف يفسِّره يسأل ، تقديره أصبح يسأل فريقان

(١) الخزانة ١٠ : ٣٤ – ٤٠ .

(٢) كذا فى النسختين ، والمعروف أنه بفتحة واحدة ، كما فى اللسان والقاموس ومعجم ياقوت .
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

فإن سكَنَتْ بالغور حنَّ صبابة ... إلى الغور ، أو بالجلس حنّ إلى الجلس

وقول بعض الأعراب :

وكنت امرأ بالغور منّى زمانةٌ ... وبالجَلْس أُخرَى ما تعيد وما تبدى

(٣) لسلمى بن ربيعة كما فى الحماسة ٥٤٧ بشرح المرزوقى . وانظر معجم الشواهد .

عَنِّى . والداعى إلى هذا التقدير أنَّ يسأل ومسؤل صفة لفريقان ، فلو عمل واحد منهما فى عَنّى لأعملت الصفة فيما قبلها ، ولا تعملُ فيما قبلها ، لأنَّها نازلة منزلة الصلة مع الموصول ، فكما أنَّ الصِّلَة لا تعمل فى الموصول ولا فيما قبله ، فكذلك الصِّفة . ويجوز أن يكون « عَنِّى » صفة لجالس فلما قدِّم صار حالاً . وبالغميصاء ظرف ، والعامل فيه جالس ، أى جالساً بالغميصاء ، ولا يعمل فيه ما هو صفةٌ لفريقان لما ذكرنا قبل . ويجوز أن يكون خبر أصبح ، أى أصبح فريقان مستقِرَّينِ بالغميصاء . فعلى هذا يكون جالساً حالا من الضمير المستقرّ . ولم تثنَّ الحالُ لما ذكرنا قبل من الاكتفاء بالواحد . ويجوز أن يكون حالا من فريقان ، لأنّه وإن كان نكرةً فقد وُصِف . ويجوز أن يكون جالساً صفة لفريقين ، وإنّما أُفِرد لما تقدَّم ، فلّما قُدِّم جالسا نُصب على الحال . ومسئول خبر مبتدأ محذوف ، أى أحدهما مسئولٌ والآخر يسأل . وقال شَيْخنا محبُّ الدين : الجيّد أن تقدّر المبتدأ ، هما فريق مسؤل وآخر يسأل . انتهى كلامه .

وقوله : « وقالوا لقد هَرَّت » إلخ قال الزمخشرى : هرير الكلب : صوته ونُباحه من قلَّة صبرِه على البرد . وهَرّ الكلب يَهِرُّ هريرًا . والعَسُّ : الطَّوْف بالليل . وعَسّ الكلبُ ، إذا طاف وطلب ، ومنه سُمِّى العَسَس . والفُرعل بضمّتى الفاء والعين المهملة : ولد الضبع . والفاء رابطة لما بعدها بما قبلها ، واللام فى لقد جواب قسم محذوف ، أى والله لقد . وبليلٍ ظرف لهرَّت ، ويجوز جعله حالاً من كلابنا ، وموضع هذه الجملة نصبٌ بِقالوا . وقوله : « أذئبٌ » يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أى أهو ذئب عَسّ ، فعسَّ على هذا صفة ذئب ، أى عاسٌّ . ويجوز أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره عَسّ ، وعلى هذا لا يكون لعسّ محلٌّ لأنّه مفسِّر . وأم معادِلة لهمزة الاستفهام متّصلة ، لأنّه يصح أن يقدر بأيُّهما فيقال أيّهما عَسّ . وقيل منقطعة ، لأنّ كل واحدٍ من الاسمين وهما ذئب وفرعل قد اختصَّ بخبرٍ أسنِد إليه . انتهى .

وقوله : « فلم يك إلاّ نبأةٌ » إلخ قال الزمخشرى : أصله يكون ، حذفت حركة النون بالجازم فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، ثم حذفت النون لكثرة استعمال هذه الكلمة . ولا يقاس عليها . وكان هنا تامّة ، لأنّها بمعنى الوِجْدان ، ونبأة فاعلها . والنبأة : الصَّوت . والتَّهويم : النَّوم . وفاعل هوّمت ضمير الكلاب . وثُمَّ عطفَتْ جملة هوّمت على جملة لم يك . وريع : أُفزِع . والرَّوع : الإفزاع والأجدل : الصَّقْر . والمعنى أنّه لم يوجد من الأصوات [إلاَّ نبأة [1]] ، فزال نوم الكلاب كما يزول نوم القطاةِ والأجدلِ بأدنى حركة أو صوت . والكلام فى رفع قطاة وأم كما تقدَّم . وترك التأنيث فى ريعت شاذٌّ كقوله :

* ولا أرضَ أبقل إبقالَها (٢) *

وقيل إنّ القطاة طائرٌ ، والطائر اسم جنس فلم تلحق التاء حَمْلاً على الجنس ، فكأنّه قال : أطائر ريع . انتهى .

وقوله : « فإن يك مِن جنٍّ » إلخ اسم يك ضمير يعود على الطارق المفهوم من المقام . والطارق : الذى يأتى ليلا . ومِن جِنٍّ خبره . وقال الزمخشرى : اسم يك مضمَر فيها ، أى إن كان المرء ومن جنّ خبره ، أى جنّيًّا . واللام فى لأبرحَ جواب قسم محذوف ، أى والله لأبرحَ ، وجوابه أغنى عن جواب الشرط . والبَرْح : الشِّدَّة . وطارقاً تمييز ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير فى أبرحَ ، وهو الطارق . والكاف يجوز أن تكون اسماً فموضعها نصبٌ بتفعل ، أى ما تفعل الإنس مثلَها . والضمير عائد إلى الفَعْلة التى وُجِدت . والإنس مبتدأ وتفعل خبره . انتهى .

٥٤٤

ودخول الكاف على الضمير ضرورة ، والضمير عائد إلى المفهوم من المقام ، أى ما تفعل الإنسُ مثلَ هذه الفَعْلة التى فَعلَها هذا الطارق .

---

(١) بمثلها يلتئم الكلام .

(٢) لعامر بن جُوَين الطائى . وهو من شواهد الخزانة ١ : ٤٥ وسيبويه ١ : ٢٤٠ .

وقال التبريزى فى شرحه : أبرحَ بمعنى كَرُمَ وعظُم ، ويجوز أن يكون حكى عن القوم ، فيريد أنّه كان يأتى بالبُرَحاء وهى الداهية . وقال فيه بعض اللغويين : أبرحَ : أتى بالبَرْح وهى الشدة . انتهى .

وترجمة الشنفرى تقدَّمت فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين [١] مع شرح أبيات من هذه القصيدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد التسعمائة [٢] :

٩٣٧ (فإنْ تبتئسْ بالشَّنْفَرَى أمُّ قَسطَلٍ لمَا اغتبطتْ بالشَّنفرَى قبلُ أطوَلُ)

لما تقدَّم قبله ، من أنَّ وقوع المضارع شرطاً لإن التى لا جوابَ لها فى الظاهر ضرورةٌ ، والقياس فإن ابتأست ، فإنّ جملة « لَمَا اغتبطت » إلخ جوابُ قسم مقدَّر ، ولامُ التوطئة قبل إن مقدّرة ، والتقدير : فوالله لئن لم تبتئس . وجواب الشرط محذوفٌ وجوباً مدلول عليه بجواب القسم .

و (تبتئس) : تفتعل من البؤس بالضم وسكون الهمزة ، ويجوز تخفيفها . يقال بئسَ بالكسر ، إذا نزلَ به الضُّرُّ ، فهو بائس . وابتأسَ : لَقِىَ بُؤسا وحُزنا . والباء سببية أى بسبب [٢] فراقِ الشَّنفرَى ، وهو صاحب هذه القصيدة الشهيرة بلاميَّة العرب . وهذا البيت منها ، والذى قبله أيضاً .

و (الشَّنْفَرَى) بالقصر ، قال التِّبريزى (فى شرح الحماسة) قال أبو العلاء : تكلَّم بعضُ الناس فى اشتقاق هذا الاسم ، فزعم قومٌ أنّه يراد به

---

(١) الشاهد من لامية العرب . وانظر أمالى القالى ٣ : ٢٠٥ .

(٢) ط : « سبب » ، صوابه فى ش .

الأسد ، وقيل الجَمل الكثير الشَّعر ، ويجب أن يكون من قولهم شِنفارة ، إذا كان حادًّا . وإن كان النون زائداً فيجوز أن يكون من قولهم : أذنٌ شُفاريّةٌ إذا كانت كثيرة الشعر والوبَر . وقالوا:ضَبٌّ شُفاريٌّ إذا كان طويلا ضخما . وقالوا شَفَر الرجلُ ، إذا أقلَّ العطية . وشَفَر المالُ ، إذا قَلّ . انتهى . وقال فى شرح القصيدة : قال أبو العباس ثعلب : الشَّنفرَى : البعير الضخم ، وقال : الشَّنفرَى : العظيم الشَّفتين . انتهى .

وتقدَّمت ترجمته مع شرح أبيات من أولها فى الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) .

والقَسْطَل : الغُبار . وأمُّ قُسطل : كنية الحرب ، سمِّيت به لأنّها تثير الغبار وتولِّدُه . و (اغتبطت) فاعله ضمير أمّ قسطل . واغتبط : مطاوع غبَطْتُه من الغِبطة ، يقال غبطت الرجل أغبِطُه غَبْطا من باب ضرب ، والاسم الغِبْطة بالكسر ، إذا اشتهيتَ أن يكون لك مِثلُ مالَهُ ، وأنْ يدوم عليه ما هو فيه . وحَسَدته أحسُده حَسَداً ، إذا اشتهيتَ أن يكون لك ما لَهُ وأن يزول عنه ما هو فيه . فغبطْتُهُ : تمنَّيتَ أن أكون مثله . واغتُبطَ صار مغبوطا . والباء للسببيّة ، و (قبْلُ) بالبناء على الضمِّ ، أى قبل موته ، وما مصدريَّة مؤوّلة مع الفعل بالمبتدأ ، بتقدير مضاف و (أطوَلُ) خبره ، والتقدير : لزَمَنُ اغتباطِها بالشَّنفرى قبل موته أطولُ من زمن بُؤسها بموته . وقال شُرّاح القصيدة : ما بمعنى الذى ، وهو مبتدأ ، وأطول خبره . ويجوز أن تكون ما مصدريَّة . فإذا كانت بمعنى الذى كان العائد محذوفا تقديره : للذى اغتبطت به من الشَّنفرى وبِسببه . هذا كلامهم ، ولا يخفى تكلُّفه . ٥٤٥

---

(١) الخزانة ٣ : ٣٤٣ - ٣٤٥ .

وقال المعرب : لمَا اغتبطتْ جواب قسم محذوف ، وهذا الجواب أغنَى عن جواب الشرط ، والشرط هنا موطِّىء للقسم ، وأكثر ما يأتى باللام ، وقد جاء بغير لام . قال تعالى : ﴿ وإنْ لم ينْتَهُوا عَمّا يَقُولونَ ليمسَّنَّ الذين كفروا (١) ﴾ . انتهى .

ولم يتعرَّض أحدٌ منهم لِمَا تعرَّض له الشارح المحقّق .

* * *

وأنشد بعده :

(لئن تكُ قد ضاقَتْ عليكمْ بُيوتُكُمْ لَيَعَلُـم رَبِّى أنَّ بيتِــىَ واسعُ)

على أنَّ فعلَ الشرط المحذوفَ جوابه قد جاء مضارعاً فى ضرورة الشعر ، والقياس : لئن كانت .

وتقدم شرحُه فى الشاهد الرابع عشر بعد الثمانمائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد التسعمائة (٣) :

٩٣٨ (إمَّا تَرَيْنا حُفاةً لا نِعالَ لنا إنّا كذلِكِ ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ)

على أنّ مجىء الشرط فيه مضارعاً كالأبيات التى قبله ضرورةٌ ، والقياس إمَّا رأيتنا .

و (إمّا) أصله إن الشرطيّة وما الزائدة ، ولام التوطئة مقدَّرَةٌ قبل إنْ ، وجملة (إنّا كذلك) إلخ جواب القسم المقدّر ، وهو دليل جواب الشرط . والذى دلَّنا

---

(١) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٢) الخزانة ١٠ : ٦٨ - ٧١ .

(٣) الأزهية ٧٧ ، ١٥٢ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٦ ، ٣٤٥ والمغنى ٣١٤ وديوان الأعشى ٤٥ .

على أنَّ هذه الجملةَ جوابُ القسم عدمُ اقترانها بالفاء . ولا يحسُن جعلها جوابَ الشَّرط بادِّعاء حذْفها ، لأنَّ حذفَها خاصٌّ بالشعر كما يأتى فى الشَّرحِ قريبا .

ولم يصب التِّبريزى وشارحُ جمهرة الأشعارِ فى قولهما : حذف الفاء لعلم السامع ، والتقدير : فإنّا كذلك نحفى وننتعل . انتهى .

وأشارَ إلى أنَّ ما الثانية زائدة أيضا .

ورُوى بدلها : « قد نحفَى وننتعل » . و (ترينا) خطابٌ لامرأة . وحُفاة : جمع حافٍ ، وهو الذى يمشى بلا نعل . وجملة (لا نِعالَ لنا) صفة كاشفة لحفاة . قال الشارحان : المعنى إن ترينا نتبذّل مرّةً ونتنعم أخرى ، فكذلك سبيلُنا . وقيل : المعنى إن تَرَينا نستغنى مرّةً ونفتقر مرّة . وقيل : المعنى إن ترينا نميل إلى النساء مرّة ونتركهنّ أخرى . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ للأعشى مشهورة ، قد ألحقت بالمعلَّقات ، وتقدَّم شرح أبياتٍ منها . وقبله :

(قالت هُريرةُ لمّا جئت زائرها ويَلِى عليكَ وويلى مِنكَ يا رجلُ)

قالوا : هذا البيت أخنثُ بيتٍ قالته العرب . و « زائرها » حال من التاء بتقدير زائرًا لها . وإنمّا قالت له كذا لسوء حاله . وقولها : « ويلى عليك » لفقْرِك ، و « ويلى منك » لعدم استفادتى شيئاً منك . ثم أخذَ فى تبيين سبب سُوء حاله بأنّه قد أفنى مالَه فى ملاذّ نفسِه وشَهَواتها ، فقال مجيباً لها بقولِه : إمّا ترَينا حفاةً ، إلخ ، وهو بتقدير القول ، أى فقلت لها : إمّا ترينا إلخ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وقد أُخالسُ ربَّ البيتِ غَفلتَه وقد يُحاذِر منّى ثم ما يَئِـل
وقد أقودُ الصِّبا يوماً فيتبعنى وقد يصاحبنى ذو الشِّرَّةِ الغزِلُ
وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى شاوٍ مِشَلٌّ شلول شُلشُلٌ شوِلُ

في فتيةٍ كسيُوف الهند قد عَلموا أنْ هالكٌ كلُّ مَن يحفَى وينتعلُ
نازعْتُهمْ قُضُبَ الرَّيحانِ مُتّكِئاً وقهــوةً مُزّةً راووقهــا خَضِلِ
لا يستَفيقونَ منها وهى راهنةٌ إلاَّ بهاتِ وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهلوا
يَسَعى بها ذو زُجاجاتٍ له نَطَفٌ مُقَلّصٌ أسفلَ السِّربالِ مُعتمِلُ
ومستجيبٌ تخال الصَّنْج يسمعه إذا ترجِّع فيه القَينـةُ الـفُضُلُ
والسّاحباتُ ذُيولَ الخزِّ آونـةً والرافلاتُ على أعجازها العِجَلُ
مِن كلِّ ذلك يومٌ قد لهوتُ به وفى التجارب طُولُ اللّهو والغزَلُ)

قوله : « وقد أخالس رَبّ البيت » إلخ أُسارق ، ويروى « أراقب » ، وغفلتَه بالنصب بدل اشتمالٍ من رَبِّ البيت . وإنّما يراقب غفلته ليلهوَ بامرأته . وهذا ممَّا يقتضى بذلَ المال لها حتّى توافقه . وقوله « ما يَئِل » أى ما ينجو منّى ولا يخلص . ووأل يَئِل بمعنى نجا ينجو ، والموئل : موضع النجاة .

وقوله : « وقد أقود » إلخ الصِّبا اسمٌ من صبا يصبو صَبوة ، أى مال إلى الجهل والفتوَّة . وفيه قلبٌ ، أى يقودنى الصبا فأتبعه . والشِّرَّة بالكسر هى شِرَّةُ الشَّباب ، وهو حِرصُه ونشاطه . ويروى بدله : « ذو الشَّارة » وهى الهيئة الحسَنة . والغَزِل بكسر الزاى ، وهو الذى يحبُّ الغزل بفتحتين ، وهو محادثة النساء . وهذا أيضاً مما يوجب بذل الأموال .

وقوله : « وقد غدَوت » إلخ أى ذهبت غُدوة . والحانوت : بيت الخَمَّار . والشَّاوى : الذى يشوى اللحم . والمِشَلّ بكسر الميم وفتح الشين : الخفيف فى الحاجة . والشُّلشُل ، بضم الشينين : المتحرّك والشَّوِل بفتح أوّله وكسر ثانيه : الذى يَحمِل الشيء ، يقال شلت به وأشلته . وقيل هو من قولهم : فلانٌ يَشُول فى حاجته ، أى يُعنَى بها ويتحرَّك فيها . ومن رواه « شُوَل » بضم ففتح فهو معناه ، إلاّ أنّه للتكثير . وهذا أيضاً يحمل على الإسراف فى المال .

وقوله : « فى فتية » إلخ أى مَعَ فتية . وشبَّههم بالسيوف فى الصَّرامة والمضاء . وقوله : « قد علموا » إلخ هذا عذرُهم فى إتلاف المال فى اللذات (١) .

وعدم ادِّخارهم شيئاً لأنّه لا وجه لادِّخارهم ، مع علمهم أنّه لا ينجو شريفٌ ولا وضيع من الموت ، ولا غنىٌّ ولا فقير . وروى بدله :

.... قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحِيَلُ

أى قد علموا أنّ ما قُدِّرَ عليهم فلابد أن يكون . يريد أنّ الفتيان قد علموا أنّ الموت يعم الناسَ جميعاً ، فهم يُبادِرُون إلى اللذاتِ ، قبل حلول الموتِ فيهم .

وهذا البيت من شواهد كتاب سيبويه والمفصَّل وغيره ، وهو تخفيف أنَّ المفتوحة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف . قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الأعرج وغيره : ﴿ أنْ لعنةُ اللهِ ﴾ و ﴿ أن غَضَبُ اللهِ ﴾ : من خَفّف ورفع فأنْ عنده مخفّفة واسمُها ضمير الشأن محذوف ، ولم يكن من إضماره بدٌّ لأنّ المفتوحة إذا خفّفت لم تصر حرفَ ابتداء ، إنمّا تلك إنّ المكسورة ، وعليه قول الشاعر (٢) :

* قد علموا أنْ هالك * .....البيت

أى بأنّه هالك كلُّ من يحفى وينتعل . وسبب ذلك أنّ اتصال المكسورة باسمها وخبرها اتصالُ العامل بالمعمول فيه ، واتصال المفتوحة باسمها وخبرها اتصالانِ : أحدهما اتصال العامل بالمعمول فيه ، والآخر اتصال الصّلة

---

(١) الكلام من هنا إلى « اللذات » التالية ساقط من ش .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٤٥ . وهو بتمامه :

فى فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل

وانظر المحتسب ١ : ٣٠٨ / ٢ : ١٠٢ – ١٠٣ .

بالموصول . ألا ترى أنّ ما بعد المفتوحة صِلةٌ ، فلمّا قوى مع الفتح اتصالُ أنَّ بما بعدها لم يكن لها بدٌّ من اسم مقدّر محذوف تعمل فيه ، ولمّا ضعف اتصال المكسورة بما بعدها جاز إذا خفِّفت أن تفارق العملَ وتخلُصَ حرفَ ابتداء . انتهى .

وقال السيرافى : وفى كتاب مَبْرُمان : هذا البيت معمولٌ . والبيت :

* أن ليس يَدفعُ عن ذى الحِيلة الحِيَلُ *

قال : والشاهد فى كلتا الروايتين واحد ، لأنه فى إضمار الهاء ، وتقديره أنَّه هالك وأنّه ليس . ٥٤٧

قال ابن المستوفي : والذى ذكره السِّيرافى صحيح ، ولا شكّ أن النحويِّين غيَّروه ليقع الاسم بعد أَن المخففة مرفوعا ، وحكمه أنْ يقع بعد أنَّ المثقلة منصوباً ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . وقال سيبويه : أن هالك الرفع فيه على إضمار الهاء . انتهى .

وقوله : « نازعتهم قُضُب الرَّيحان » إلخ نازعْتُهم : جاذبتهم . وقُضُب : جمع قضيب ، يريد : تناولت منهم قُضُب الريحانِ عند التحِيَّة ، فإنّهم يُناوِلون الرّيحانَ عند ما يحيِّى بعضُهم بعضا . وقال الأصمعى : هذا تمثيل ، يريد نازعتهم حَسَن الأحاديث وطرائفَها . والقهوةُ : الخمر . والمُزّة بالضم : المُزَّاء التى فيها مزازة . والرَّاووق : إناء الخمر ، قاله ابن حبيب . وقال أبو عبيدة : الراووق والنّاجود : ما يخرُج من ثَقْب الدَّنّ والمعروف من الكرابيس [1] يروِّق فيه الخمر . والخَضِل ، بفتح فكسر : الدائم النّدَى .

(١) فى اللسان : « والكرباس : راوق الخمر » .

وقوله : « لا يستفيقون » إلخ أى شربُهم دائم ليس لهم وقتٌ معلوم يشربون فيه . والرَّاهنة ، بالنون : الدائمة ، وقيل المُعَدَّة . والراهية بالمثناة التحتيَّة : الساكنة (١) . وقوله : « إلاَّ بهاتِ » ، أى بقولهم : هاتِ ، أى إذا ابطأ عنهم قالوا : هاتِ . وقوله « إنْ عَلُّوا » أى إن شربوا مرّة بعد مرة . والعَلَل : الشُّرب الثانى . وقوله : « نهِلوا » أى شربوا مرة واحدة .

وقوله : « يسعى بها » أى بالقهوة . والنَّطَف ، بفتحتين : القِرَطة ، والواحدة نَطَفةٌ ، وقيل اللؤلؤ العظام . ومُقلِّص بكسر اللام : مشمِّر ، وهو صفة ذو زجاجات . والسِّربال : القميص . والمعتمِل : الذى يعمل ، وهو النشيط . وقيل النُّطَف : التُّبَّان بلغة أهل اليمن ، من جلدٍ أحمر .

وقوله : « ومستجيب » إلخ أى وعندنا مستجيب ، وأراد به العُود ، أى إنّه يجيب الصّنج ، فكأنَّ الصَّنج دعاه فأجابه . قال أبو عمرو : يعنى بالمستجيب العودَ شبَّه صوته بصوت الصَّنج ، فكأنَّ الصنج دعاه فأجابه . وروى بالجر فيكون معطوفا على فتيةٍ قبله بأربعة أبيات . ويَسمَعه روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، والقينة فاعل ترجِّع ، وهى عند العرب الأمَة مغنّيةً كانت أم غير مغنِّية . والفُضُل ، بضمتين ، قال أبو عبيدة : هى التى عليها ثوبٌ بلا درع . وقال أبو عمرو : هى التى لبست فضول ثيابها ، وهى ثياب الخِدمة .

وقوله : « والسَّاحِبات » بالرفع والجر كالذى قبله . والرافلات : النساء اللواتى يرفُلْن بثيابهنّ أى يُجرِّرنها . والعِجَل بكسر ففتح ، هو جمع عِجْلةٍ ، وهى مَزادةٌ كالإداوة . قال أبو عُبيدة : شبّه أعجازهنّ لضِخمها بالعِجَل . وقال الأصمعى : أراد أنّهن يخدُمنهُ معَهنَّ العِجَل فيهنّ الخمر .

---

(١) إشارة إلى رواية « راهبية » ، وهما روايتان ، كما فى اللسان (رها ٦٣) .

وقوله : « مِن كل ذلك » إلخ خبره مقدّم ، ويومٌ مبتدأ مؤخر ، وقد لهوت به صفته ، وفى التجارب خبر مقدم : جمع تجرِبَة ، وطول مبتدأ والغَزَل معطوف عليه . يقول : لهوت فى تجاربى وغازلت النساء .

وترجمة الأعشى تقدَّمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لئن مُنِيتَ بنا)

تمامه :

.... عن غِبٍّ معَركةٍ لا تُلفِنا عن دماء القوم نَنْتفِلُ)

وتقدم شرحه قريبا (٢) .

* * *

وأنشد بعده :

(مَنْ يفعل الحسناتِ اللهُ يشكُرُها)

تمامه :

(والشرُّ بالشرِّ عند الله مثلانِ)

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى والتسعين بعد الستمائة (٣) . ٥٤٨

* * *

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) هو الشاهد ٩٣٣ فى ص ٣٢٧ .

(٣) الخزانة ٩ : ٤٩ – ٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد التسعمائة [١] :

٩٣٩ (فإن عَثَرْتُ بَعْدَهَا إنْ وألَتْ   نفسىَ مِنْ هاتا فقُولاَ لا لَعَا)

على أنَّه إن دخل الشرط على شرط بدون فاء كانَ الجواب للشرَّط الأوّل ، وكان الشرطُ الأوّل مع جوابه جوابَ الشرط الثانى . والتقدير : إن وألت نفسى فإن عثرت بعْدَها فقولا : لا لعا .

وهذا البيت من مقصورة ابن دريد المشهورة ، وهو من المولَّدِين ، فكان الأَوْلَى الاستشهاد بكلامِ مَن يوثق به ، كقوله :

إن تستغيثوا بنا إنْ تُذعَرُوا تَجِدُوا   مِنَّـا معاقـل عَزٍّ زانها كرمُ [٢]

أى إن تُذعَروا فإن تستغيثوا بنا تَجِدُوا إلخ . وفيه ضرورة ، وهو وقوع الشَّرط الثانى المحذوفِ جوابُه مضارعاً ، والقياس مُضِيُّه كما تقدّم .

ونقل شُرَّاح التسهيل عن ابن مالك أنّ الشرطَ الثانىَ مقيِّد للأوّل بمثابة الحال ، فكأنّه قيل فى البيت : إن تستغيثوا بنا مذعورين .

وجعله بعضُهم مؤخّرا فى التقدير ، فكأنه قال : إن تستغيثوا بنا تجدوا معاقل عِزٍّ إن تذعروا ، وما قبله الجوابُ ، فهو على هذا مقدَّم فى المعنى .

قال ابن عقيل : والصَّحيح فى مسألة توالى الشروط أنَّ الجواب للأوّل ، وجواب الثانى محذوفٌ لدلالة الشرط الأوّل وجوابِهِ عليه ، وجواب الثالث محذوفٌ لدلالة الشرط الثانى وجوابِهِ عليه . فإذا قلت : إنْ دخلتُ الدارَ إنْ كلّمت زيدا إن

---

(١) مقصورة ابن دريد والمغنى ٦١٤ .

(٢) سقطت كلمة « منا » من ط . والبيت ، وهو مجهول القائل ، من شواهد المغنى ٤١٦ والعينى ٤ : ٤٥٢ والتصريح ٢ : ٢٥٤ والأشباه والنظائر ٤ : ٣٤ والأشمونى ٤ : ٣١ .

جاء إليك فأنت حرٌّ ، فقولك : فأنت حُرٌّ جوابُ إن دخلْتَ ، وإنْ دخلتَ وجوابُه دليلُ جوابِ إنْ كلّمت ، وجوابُه دليل جواب إن جاء . والدليل على الجواب جوابٌ فى المعنى ، والجواب متأخّر ، فالشرط الثالث مقدَّم ، وكذا الباقى ، وكأنّه قيل : إن جاء فإن كلمت فإنْ دخلت فأنت حُرٌّ. فلا يَعتِقُ إلاّ اذا وقعت هكذا : مجىءٌ ، ثم كلامٌ ، ثم دخول . والسَّماع يشهد لهذا القول ، قال : « إن تستَغيثُوا بنا » البيت . وعليه عملُ فصحاءِ المولَّدين ، وقال ابن دريد :

* فإنْ عثرتُ بعدها إنْ وألَتْ * البيت

وقال بعض الفقهاء : الجواب للأخير ، والشرط الأخير وجوابهُ جواب الثانى ، والشرط الثانى وجوابه جواب الأوَّل . وعلى هذا لا يعتِقُ حتّى يوجد كذلك دخولٌ ثم كلامٌ ثم مجىء . وقال بعضهم : إذا اجتمعت حصل العتق تقدَّم المتأخر أوْ لا . وما ذُكِر محمولٌ على ما إذا كان التوالى بلا عاطف ، فإن عُطِف أحد الشرطين على الآخر فإن كان العطف بأوْ فالجواب لأحدهما من الأوّل والثانى دون تعيين ، نحو : إن جئتنى أو إنْ أكرمتَ زيداً أحسِنْ إليك . وقالوا فيما إذا دخلت الفاء على أداةِ شرطٍ بعد أخرى ، نحو : إن جئتنى فإن أحسنتَ إلىّ جئتك : إنّ الجوابَ للثانى ، وما دخلت عليه الفاء من الشرط وجوابه جوابُ الأوّل . وهذا فيه إخراجُ الفاء عن العطف وجعلُها لربط جملة الجزاء بالشرط .

وقال ابن مالك (فى شرح الكافية):إذا اجتمع شرطانِ بعطفٍ فالجوابُ لهما ، كقوله تعالى : ﴿ وإنْ تؤمنوا وتتّقوا يُؤْتِكم أجورَكم ولا يَسئَلكُمْ أمْوالَكُم إنْ يَسْئَلْكُموها فيُحْفِكُم تبخلوا ويُخرِجْ أضغانَكُمْ [1] ﴾ . وهذا على مقتضى ما سبق فيما إذا كان العطف بالواو وإن تكرَّرت أداة الشرط ، وفيما إذا كان

(١) الآية ٣٧ من سورة محمد .

العطف بالفاء . وإنما تكرر الشّرط بلا أداة فى المكرّر . وأمّا المعطوف بأوْ فلا يدخل فى هذا ، لما عُلِم من أنَّ أوْ لأحد الشيئين أو الأشياء ، فليس المقصود مجموعَ الشرطين بل أحدَهما . وهذا بخلاف ما نحنُ فيه ؛ فإنّ المقصودَ المجموعُ ، فالتوالى على الجواب لم يتحقَّق فى العطف بالواو والفاء .

قال ابن عقيل : وثبت فى نسخة من التسهيل عليها خطّه بعد قوله : « وإنْ توالى شرطان أو قسم وشرط استُغنَى بجواب سابِقِهما » ما نصُّه : « وثانى الشرطين [لفظًا [1]] أوّلُهما معنىً فى نحو : إن تَتُبْ إنْ تذنب تُرحَم » . وظاهر هذا الكلام يقتضى أنّه إنّما يرى تقديم المؤخّر فيما كان نحو هذا ، وهو ما يكون فيه الأوّل مترتّبا على الثانى وقوعاً عادة ، فهو موافقٌ للقول الأوّل الصحيح من وجهٍ ومخالفُهُ من وجه . فالموافقة فى اعتقاد التَّقديم من تأخيره ، والمخالفة فى الإشعار بالتفصيل ، إذْ قَضِيتّه أنّهما إذا لم يكونا كذلك فكلٌّ منهما واقعٌ موقعَه ، نحو : إن جئتَنى أن أحسنتَ إلىّ أكرمتك . وأصحاب القول الأوّل لا يَفرِقون بين المرتبة وغيرها . فالمتأخّر عندهم متقدّم مطلقًا . انتهى .

وبيت ابن دريد قبلَه :

أبيات الشاهد

(ما كنتُ أدرى والزّمانُ مُولَعٌ ... بشَتِّ مَلموِمٍ وتنكيثِ قُوَى
أَنَّ القضاءَ قاذِفِي فى هُوّةٍ ... لا تَستبِلُّ نفسُ مَنْ فيها هوَى)

وبعده :

(وإن تكن مُدّتها موصولةً ... بالحَتْفِ سلّطْتُ الأُسى على الأَسَى)

وقوله : « ما كنت أدرِى إلخ ، المولَع : مِنْ أولع بالشىء على مالم يُسمَّ فاعله ، فهو مُولَع بفتح اللام ، أى مُغرَمٌ به ، والباء متعلّقة به.والشَّتُّ : مصدر

---

(١) التكملة من ش .

شتّ الأمرُ يَشِتُّ بالكسر شتًّا وشتاتا ، أى تفرّق . وجملة « والزمان مولَعٌ » إلى آخر البيت اعتراضٌ بين أدرى وبين ما سدّ مسدّ مفعوليها ، وهو : « أنّ القضاء » البيت الآتى . والملموم : المجتمع . والتنكيث : النقض . والقُوَى : جمع قُوّة ، وهى فى الأصل إحدى طاقات الحبل ، ثم استُعير . ويكتب بالألف عند البصريين لأنّ ألفه منقلبة عن واو . وبالياء عند الكوفيّين لانضمام أوّله . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول جرير :

لا يأمننّ قوىٌّ نقْضَ مِرَّته ... إنّى أرى الدهر ذا نقضٍ وإمرارِ (١)

وقوله : « أنَّ القضاء » إلخ أنّ بفتح الهمزة مع معمولها سدَّت مَسَدَّ المفعولين لأدرى فى البيت السابق . والقاذف : الرامى ، وهو مضاف إلى ياء المتكلم . والهُوّة بضم الهاء : حفرة يَضيق أعلاها ويتَّسع أسفلُها . ولا تَستبِلُّ : لا تبرأ،مِنْ بَلَّ من مرضه وأبلَّ ، إذا بَرأ منه . وكان حقّه أن يقول : لا تنجو ولا تخلص ونحوهما . وجملة لا تستبلّ إلخ صفةُ هوّة . وهَوَى : سَقَط ، يكتب بالياء . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الأفوه الأودىّ (٢) :

فصروفُ الدهر فى أطباقِه ... خِلفةٌ فيها ارتفاعٌ وانحدارُ (٣)

بينما الناسُ على عَليائها ... إذ هَوَوْا فى هُوّةٍ منها فغارُوا

وقوله : (فإن عَثَرتُ) إلخ عثرت : سقطت ، ومصدره العِثار . وأمَّا العثور فهو مصدر عَثَرَت عليه بمعنى اطَّلعت عليه . و (وألت) : نجت وخَلصت ، وفعله وأل يَئِل وَأْلا من باب ضرب . والموئل : موضع النَّجاة . والضمير فى بعدها

٥٥٠

(١) ديوانه ٣١٠ من قصيدة مطلعها :

حيُّوا المَقام وحيُّوا ساكن الدار ... ما كدتَ تَعرِف إلاّ بعد إنكار

(٢) ديوان الأفوه ١١ من الطرائف الأدبية .

(٣) الأطباق : جمع طبق ، وهو الحال . وفى التنزيل العزيز : « لتركبُنَّ طبَقًا عن طَبَق » .

راجعٌ إلى الهُوّة ، وقيل راجع إلى العَثْرة المفهومة من عَثرت . ونفسى فاعل وألت . هاتا [1] بمعنى هذه ، والمشار إليه الهُوّة . وها حرف تنبيه . وتا : اسم إشارة للمؤنث ، وهى ستعمل على أربعة أضرب : إما أنْ تستعمل مفردةً وليس معها ها تنبيهٍ ولا حرفُ خطاب ، كقولك : تا ، وهذا أخصَر ما يكون . وإمّا أن يكون معها حرف التنبيه مثل هاتا . وإمّا أن يكون خطابٌ وتنبيه مثل ها تاكَ ، أو خطاب بلا تنبيه مثل تاك .

وقوله : (لالعاً) قال الخليل : لعاً كلمةٌ تقال عند العثرة . وقال ابن سيده : لعاً كَلمةٌ يدعى بها للعاثر ، معناها الارتفاع . وقال أبو محمد بن السِّيد : لعا من أسماءِ الفعل مبنىٌّ على السكون ، والتنوينُ فيه علامة التنكير كالتنوين فى صهٍ ومهٍ . وهى كلمة يراد بها الانجبار والارتفاع . وقد بيَّن أبو عثمان سعيدُ بن عثمان القَزّاز الفِعلَ الذى لعاً اسمُه فقال : يقال لَعَا لكَ الله ، أى نعَشَكَ الله ورفَعَك . فلعا اسمٌ لنَعَش ، كما أنّ هيهات اسمٌ لبَعُد ، وصَه اسمُ لاسكُتْ . ولا فى قوله لا لعا : نفىٌ للدُّعاء . ولعا تكتب بالألف ، لأنَّها منقلبة عن واو ، ولذلك أدخلها الخليل وغيره فى باب العين واللام والواو .

وحكى أبو عُبيدٍ (فى الأمثال) : « ومن دعائهم لا لعاً لفلان ، أىْ لا أقامه الله » .

فجعلَ لعا اسما لِأَقامَهُ الله . وهو قريبٌ من القول الأوَّل ، لأنّه إذا أقامه فقد رفَعه ، وإذا رفَعَه فقد نَعَشه .

وقد ردَّ عليه ذلك أبو عُبيدٍ البكرىّ وقال : هذا ما قاله أحد ، وإنّما قال

---

(١) ش : « وهاتا » مع كتابه الواو بخط مغاير .

اللُّغويون : لعاً : كلمة تقال للعاثر فى معنى اسْلَم ، وكذلك دَعْدَع (١) . وقد روى فى حديث مرفوع « أنّه كره أنْ يقال للعاثر دَعْدَع ، وليقل له : اللّهُمَّ ارفَعْ وانْفع » . وقال الأعشى ميمون :

بذاتِ لَوْثٍ عَفَرناةٍ إذا عثَرتْ فالتَّعسُ أدنى لها مِنْ أن يُقالَ لَعا (٢)

ومعنى البيت ينظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يُلدَغ المؤمنُ من جُحرٍ مرَّتين (٣) » ، وتأويله : أنّه ينبغى له إذا نُكب من وجهٍ أن لا يعود لمثله . فابن دريد يقول : إن عثرَتُ بعد أن نجَتْ نفسى من هذه فحقٌّى أن يقال لى : لالعاً ، لأنّى خالفتُ قول النبى ﷺ .

وقوله : « وإن تكن مُدَّتُها » إلخ أى مُدّة النكبة ، المفهومةِ من قوله :

* أنَّ القضاءَ قاذِفِى فى هُوّة *

وموصولة : متّصلة . والحتف : الموت ، يقال مات فلانٌ حتفَ أنفِه وحتف أنفَيْه ، إذا مات على فراشه من غير قَتْل . والإِسى الأوّل بكسر الهمزة وضمها والقصر ، جمع إسوة بكسر الهمزة وضمها ، وهو القُدوةُ وما يأتَسِى به الحزين ، أى يتعزَّى ويتسلَّى ، يكتب بالياء على مذهب الكوفيِّين وبالألف عند البصريِّين ، لأنّ ألفه منقلبة عن الواو . والأَسَى الثانى بفتح الهمزة والقصر ، هو الحُزْن ويكتب بهما ، لأنَّ التثنية أَسَيانِ وأسَوَان . وأما الإساء بكسر الهمزة والمدّ

---

(١) ش : « دغدغ » فى هذا الموضع وتاليه ، صوابه فى ط وفصل المقال للبكرى : ١٠١ . وفى القاموس : « ودعْ ودعْدَعْ مبنيين على السكون ، كانت تقال للعاثر ، كدعدعاً ودعاً منوّنتين . أو لم يستعمل إلا كذلك » .

(٢) ديوان الأعشى ٨٣ . والمحتسب ١ : ١٤١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد ، من حديث أبى هريرة . الجامع الصغير ٩٩٨٥ .

فهو الدَّواء . واسم الفاعل الآسى كالقاضى ، وهو المُداوِى والطَّبِيب ، وجمعُهُ الإساءُ ، كراعٍ ورِعاء ، ويجمع على أُساة أيضاً ، كرام ورُماة .

ومعنى البيت مأخوذٌ من قول الخنساء :

وما يبكون مثلَ أخى ولكن أُعزِّى النفس عنه بالتأسِّى [(١)]

وقال الشَّمردَل [(٢)] بن شريك ، وقيل غيره :

ولولا الأُسَى ما عِشت فى الناس ساعةً ولكنْ إذا ما شئت جاوَبَنى مِثْلِي [(٣)]

٥٥١ وترجمة ابن دريد تقدمت مع شرح أبياتٍ من هذه المقصورة فى الشاهد الثامن والسبعين بعد المائة (٤) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد التسعمائة [(٥)] :

٩٤٠ (فأمَّا الصُّدورُ لا صُدُورَ لجعفرٍ)

على أنّه لا تحذف (الفاء) من جواب (أمَّا) إلاَّ فى الضرورة كما هنا ، فإنَّ التقدير : فلا صدور لجعفر .

والصُّدور مبتدأ ، وجملة « لا صدُور لجعفر » من اسم لا النافية للجنس وخبرها فى محلِّ رفع خبر المبتدأ . وهذا كقوله :

---

(١) ديوان الخنساء ٨٥ .

(٢) ش : « الشمرذل » مع طمس نقطة الذال بجعلها فتحة ، والصواب ما فى ط . والشمردل بن شريك : شاعر من شعراء الدولة الأموية ترجم له فى الشعراء ٧٠٤ والأغانى ١٢ : ١١٦ – ١١٧ والمؤتلف ١٣٩ . وهو من شعراء الحماسة .

(٣) نسبه فى اللسان (أسا ٣٨) إلى حريث بن زيد الخيل .

(٤) الخزانة ٣ : ١١٩ – ١٢١ .

(٥) ابن يعيش ٧ : ١٣٤ / ٩ : ١٢ .

* فأمَّا القتالُ لا قتالَ لديكُمُ (١) *

وتقدم الكلام عليه فى الشاهد السادس والسبعين من أوائل الكتاب . ورابط الجملة بالمبتدأ هو العموم المستفادُ من النفى ، فإنّ قوله « لا صدور » عامٌّ يشمل الصدور المتقدِّمة وغيرَها ، فصار بمنزلة الذِّكر العائد . وقد بيِّن هناك .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(ولكنَّ أعجازاً شديداً ضَريرُها)

هكذا أنشده جماعةٌ من النحويِّين ، منهم أبو على (فى التذكرة وغيرها) ، وابن جنى (فى سر الصِّناعة وغيره) ، وابن يعيش وابن خلف وغيرهم . ووقع فى نسخ الشرح : (لديكُم) بدل (لجعفر) . وهو تخليطٌ من النُّسَّاخ . وقبله :

(تُزاحِمُنا عند المكارم جَعفرٌ بأُعجازها إذْ أسْلَمْتَها صدورُها)

كذا أنشدهما يعقوب بن السكيتَ عن المفضَّل ، لرجلٍ من الضِّباب (فى كتاب أبيات المعانى) ، وقال : يقول : بنو جعفرٍ ضعفاءُ عن حربنا ، استعانوا بالنِّساء . وذلك أن قُطَيَّة بنتَ الحارث تزوَّجها بشرُ بن الوليد بن عبد الملك بن مَرْوان ، فكان بين الضِّباب وجعفرٍ حرب ، فأعانت بنو أميّة بنى جعفر على الضِّباب . انتهى كلامه .

وجعفر : أبو قبيلة ، وهو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقوله : « بأعجازها » متعلّق بتُزاحِمُنا . والأعجاز : جمع عَجُز . والعجز من كلِّ شيء : مؤخَّره . والعجز من الرجلِ والمرأة : ما بين الوركين . وأراد

(١) الخزانة ١ : ٤٥٢ — ٤٥٤ . وعجزه :

* ولكنّ سيرًا فى عِراض المواكبِ *

بالأعجاز هنا النِّساء ، لأنَّهن متأخِّرات عن الرجال . وأسلمَتْها : خَذَلَتْها وما أعانتها . و (الصُّدور) : جمع صدر ، وهو من الإنسان وغيره فوقَ البَطْن . وأراد بالصّدور هنا أكابرَهم وأشرافَهم . و (الضَّرير) بالضاد المعجمة : المضَارَّة ، وأكثر ما يستعمل فى الغَيرة ، يقال ما أشدَّ ضرِيرَه عليها . والضَّرير أيضاً : التحمُّل والصَّبر ، يقال إنّه لذو ضريرٍ على الشئ ، إذا كان ذا صبرٍ عليهِ ومقاساةٍ له . وناقةٌ ذات ضرير ، إذا كانت بطيئة التَّعب . والضَّرير أيضا : حرف الوادى ، يقال : نزل فلانٌ على أحد ضريرَى الوادى ، أى على أحد جانبيه . يقول : إنَّ بنى جعفر لا رجالَ فيهم ، فهُمْ كالنِّساء ، وأمَّا نساؤهم فهنَّ شديدات الضَّرَر ، فهُنَّ كالرِّجال فى المقاومة والمدافعة وإيصال الضَّرر .

وقطَيَّة بنت الحارث على لفظ مصغَّر القطاة . والضِّباب بكسر الضاد المعجمة ، هو أخو جعفر بن كلاب المذكور ، واسمه معاوية . وأُمُّهما ذؤيبة بنت عمرو بن مُرّة بن صعصعة . وهو أبو قبيلةٍ أيضا ، سمِّىَ الضِّبابَ بأسماء أولاد ابنه عمرو ، فإنَّ ابنه عمراً وُلِدَ له ضبٌّ ، ومُضِبّ ، وضِباب ، وحِسْلٌ ، وحُسَيل . وبهذه الأسماء سُمُّو الضِّباب .

وقائل البيتين شاعرٌ إسلامّى . والله أعلم .

* * *

٥٥٢ وأنشد بعده :

(لا أرى الموتَ يَسبقُ الموتَ شئٌ)

وتمامه :

(نَغَّصَ الموتَ ذا الغِنَى والفقيرا)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الستين من أوائل الكتاب فى باب المبتدأ والخبر (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وقائلةٍ خَولان فانكِحْ فتاتَهُمْ)

وتمامه :

(وأُكرومةُ الحيَّيْنِ خِلْوٌ كما هيا)

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد التسعمائة (٣) :

٩٤١ (رأتْ رجُلاً أيْمَا إذا الشَّمسُ عارضَتْ

فيَضْحَى وأيْما بالعشىِّ فيَخْصَرُ)

على أنَّ ابن خروف قال : قد يبدل الميم الأول من أمَّا ياءً كما فى البيت .

أقول : أورده أبو العباس المبرد (فى الكامل) فى ثلاثة مواضع ، فرواه فى أول الثلث الثالث بالإبدال فى الأوّل فقط ، ورواه فى الثلث الأوّل على الأصل فى الموضعين بلا إبدال . ورواه فى أوائله بالإبدال فى الموضعين ، فإنّه أورد بعضَ أبياتٍ لجميل بن مَعْمَر ، منها فى وصف قوس :

---

(١) الخزانة ١ : ٣٧٩ – ٣٨٦ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٥ – ٤٥٧ .

(٣) معانى الفراء ٢ : ١٩٤ والكامل ٤٣ ، ١٦٦ ، ٥٧١ والمحتسب ١ : ٢٨٤ والأزهية ١٥٧ والممتع ٣٧٥ والمغنى ٥٦ والهمع ٢ : ٦٧ والأشمونى ٤ : ٤٩ وديوان عمر ٨٦ .

على نبعةٍ زوراءَ أيْما خِطامُها فمَتْنٌ وأيْما عُودُها فعتيقُ [(١)]

وقال : قوله : « أيْما » يريد أمّا ، واستثقل التضعيف فأبدل الياء من أحد الميمين . ويُنشَد بيت ابن أبى ربيعة :

رأت رجلاً أيمْا إذا الشَّمسُ عارضَتْ فيَضْحَى وأيْما بالعَشىِّ فيخصَرُ

وهذا يقع ، وإنمّا بابه أن يكون قبل المضاعف كسرةٌ فيما يكون على فِعّال ، فيكرهون التضعيف والكسرة ، فيبدلون من المضعَّف الأول ياءً للكسرة ، وذلك قولهم : دينار وقيراط وديوان ، وما أشبه ذلك . فإن زالت الكسرة وانفصَل أحد الحرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت : دنانير ، وقراريط ، ودواوين . وكذلك إنْ صغّرت فقلت : قريريط ، ودنينير . انتهى كلامه .

وقوله : « وهذا يقع » ، يريد أنّه نادر .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من قصيدةٍ لعمر بن أبى ربيعة ، وقد سقناها برُمَّتها مع شرح أبياتٍ منها فى الشاهد التسعين بعد الثلثمائة [(٢)] ، وشَرح أبياتٍ أُخر منها فى باب العدد [(٣)] .

قال المبرد فى الموضع الثانى : ومما يُستظرَف [(٤)] فى النَّحافة قول ابن أبى ربيعة :

أبيات الشاهد

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عارضَتْ فيَضْحَى وأما بالعشىِّ فيَخصَرُ
أخا سَفَرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذَفتْ به فَلَواتٌ فهْوَ أشعثُ أغبَرُ
قليلاً على ظهر المطيَّةِ ظِلُّه سوى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المحبَّرُ

---

(١) الكامل ٤٢ وديوان جميل ١٥١ .
(٢) الخزانة ٥ : ٣١٢ – ٣٢٢ .
(٣) الخزانة ٧ : ٣٩٤ – ٤٠٠ .
(٤) وكذا فى الكامل بالظاء المعجمة .

ومن أعجب ما قيل فى النحافة قولُ مجنونِ بنى عامر :

ألاَ إنمّـا غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهَبْ به الرِّيحُ يذهبِ (١)

ومن الإفراط فيه قولُ آخر :

فلو أنَّ ما أبقَيْتِ مِنِّى معلَّقٌ بعُودِ ثُمامٍ ما تأوَّدَ عودُها (٢) . انتهى

٥٥٣ قوله : (رأتْ رجُلا) إلخ فاعل رأت ضمير نُعْم أو أسماءَ ، فى بيتٍ قبله :

(قفى فانظرِى يا أسمَ هل تعرفِينه أهذا المُغِيرِىُّ الذى كان يُذْكَرُ

فقالت : نَعْمَ لا شكَّ غيَّرَ لونَه سُرَى اللّيلِ يُحيى نَصَّه والتهجُّرُ)

والقائلة « قفى » محبوبته نُعم . والمُغِيرِىُّ : نسبة إلى جدِّه المُغيرة بن عبد اللّه ، وتقدَّم شرحُهما هناك . وجملة « أيما إذا الشُّمس » إلخ صفة لرجلا ، والأصل رجلاً يضحَى وقتَ معارضة الشمس إيّاه ويَخصَر بالعشىّ ، فهو أخو سفرٍ يَصلى الحرَّ والبرد بلا ساتر ، فجىء بأيْما للتَّفصيل . و(إذا) ظرفٌ ليَضْحَى ، قُدِّم عليه لوجوب الفصل بين أمّا والفاء . والشّمس فاعل فعلٍ محذوف يفسِّره ما بعدها . و (عارضت) : قابلَتْ ، والمفعول محذوف أى عارضته . ومعارضة الشمس : ارتفاعُها حتّى تصير فى حِيال الرأس . قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : عارَضت : صارتْ قُبالةَ العيون فى القِبْلة . قال صاحب الصحاح : وضَحِيتُ بالكسر ضَحىً : عَرِقْت . وضَحِيت أيضاً للشمس ضَحَاء بالمّد ، إذا برزْتَ . وضَحَيت بالفتح مثله . والمستقبل أَضْحَى فى اللغتين جميعا . انتهى .

وحاصله أنّه جاء من باب فرح ومنع .

---

(١) ديوان المجنون ٨٠ .

(٢) لأبى العوام بن كعب بن زهير ، أو الحُسَين بن مطير ، أو كثيِّر عزة ، كما فى العينى ٤ : ٤٥٧ .

وقال المبرد فى الثلث الثالث : قوله يَضْحَى : يَظهر للشمس . وقوله « فيَخْصَرَ » يقول فى البَردين . وإذا ذكر العشىُّ فقد دل على عَقِيب العشىّ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأنَّكَ لا تَظمَأُ فيها ولا تَضْحى [1] ﴾ . انتهى .

وقال الفراء فى تفسيره : قوله تعالى (ولا تَضحَى) : لا تصيبك شمسٌ مؤذية . وفى بعض التفسير [2] : ولا تضحَى : لا تعرَق . والأوّل أشبَه بالصَّواب . قال الشاعر :

رأتْ رجلا أمَّا إذا الشمسُ ... البيت

فقد بيَّن [3] . انتهى .

وقوله : (وأيْما بالعشىّ فيخصَر) الظرف متعلّق بما بعده ، وقُدِّم عليه وجوبا للفصل بين أمّا والفاء . والعَشِىّ والعِشيّة من صلاة المغرب إلى العَتَمة . كذا فى الصحاح . ويقابله الغَداة . ويقال لهما البَرْدانِ والأبردانِ . وإذا بَرَد الرجلُ فى العشىِّ فمن الضرورة أن يبرُدَ بالغداة ، فهو يُريدهما لاستلزام أحدِهما للآخر كما أشار إليه المبرِّد . ويَخصَر بالخاء المعجمة والصاد المهملة ، قال صاحب الصحاح : الخَصَر بالتحريك : البرد . يقال قد خَصِرَ الرجلُ ، إذا آلمه البَردُ فى أطرافه . يقال خَصِرت يدى . وخَصِر يومُنا : اشتدَّ بردُه ، وماءٌ خَصِرٌ : بارد . انتهى .

وقوله : « أخا سفر » صفة أخرى لرجلا . والجَوّاب : صفة مبالغة من جَابَ الأرضَ يجوبها جَوْبا ، إذا قَطَعها بالسَّير . والتقاذف : الترامِى . والفلاة :

---

(١) الآية ١١٩ من سورة طه .

(٢) وكذا فى معانى الفراء . وفى ش : « التفاسير » .

(٣) بعده فى معانى الفراء : « ويقال ضَحِيتُ » .

الأرض التى لا ماء فيها . والأشعث وصفٌ من شَعِثَ الشَعَر شَعَثاً ، فهو شَعِث من باب تَعبَ ، أى تغيَّر وتلبَّد لقلّة تعهُّده بالدُّهن . ورجلٌ أشعث وامرأة شعثاء . والشَّعَث أيضا : الوسَخ ، ورجل شَعِثٌ : وسِخ الجسَد . وشَعِث الرأسُ أيضاً ، وهو أشعث أغبر ، أى من غير استحدادٍ ولا تنظُّف . والشَّعَث أيضا : الانتشار والتفرُّق كما يتشعَّث رأس المسواك . وفى الدعاء : لَمّ اللهُ شَعَثَكم ، أى جمع أمركم . كذا فى المصباح .

وقوله : « قليلا على ظهر المطيَّةِ » إلخ هذا وصفٌ آخر لرجلا . ومعنى النحافة التى ذكرها المبرد فى هذا البيت وبيانُها أنّ العرب تستعمل القِلّة بمعنى الحقارة ، فيقولون لكلِّ شيءٍ حقير قليل ، ويجعلون القِلَّةَ أيضا بمعنى النَّفْى ، فيقولون : قلّ رجُلٌ يقول ذلك إلاّ زيد . ويقال لِشَخْص كلِّ شيء ظِلّ . فالمعنى أنّه لا شخصَ له من النَّحافة ، إلاّ أنّ رداءه المحبَّر يعظِّم جسمَه فينفى عنه بعضَ النحافة . وهو مثل قول الآخر :

فانظر إلى جسمى الذى مَوَّهْتُهُ   للنّاظِريـــنَ بكثرةِ الأثـــوابِ

وهذا نحو قول المتنبى :

رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مثل الخِلال إذا   أطارتِ الريحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ [١]

وقد يجوز أيضا أن يريد الظلّ بعينه ، أى لولا ظلّ ثوبه لم يكن لِظِلِّ جسمه ظلٌّ يُرَىَ . وقيل معنى ظِلّه استظلاله ، أى لا يأوى إلى ظلّ فلا ينفى عنه حَرّ الشمس إلاّ ما كان من ردائه . والرِّداء : ما يلبس على النصف الأعلى . والإزار :

---

(١) ديوان المتنبى ٢ : ٤٠١ .

ما يُلبَس فى النصف الأسفل . وهما إذا كانا من جنسٍ واحد حُلّة . والمحبَّر ، بالحاء المهملة : المزيَّن والمنقَّش . يقال : حَبَرت الشيء حَبْراً من باب قتَل ، إذا زيَّنته . وحَبّرته بالتشديد مبالغة .

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثماني من أوائل الكتاب [1] .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٢ - ٣٣ .

تاء التأنيث الساكنة

أنشد فيها :

(بحَوْران يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أقارِبُه)

وتقدَّم شرحه والكلامُ عليه فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلثمائة من باب العلم [١] ومر فى باب التأنيث أيضا [٢] .

(١) الخزانة ٥ : ٢٣٤ - ٢٤١ .

(٢) الصواب أنه ذكره فى باب العَلَم . انظر الخزانة ٧ : ٣٤٦ . ولم يذكره فى باب المذكر والمؤنث إلا سردا بدون تعليق . الخزانة ٧ : ٤٤٦ .

التنوين

أنشد فيه :

(وقولى إنْ أَصَبْتُ لقد أصَابَنْ)

وتقدَّم شرحه مفصلاً فى الشاهد الرابع من باب الإعراب من أول الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائىُّ وَهَّابُ المِئى)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة فى باب العدد (٢) وفى باب الجمع أيضا (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٤) :

٩٤٢ (فألفَيتُه غَيْرَ مُسْتَعتِبٍ ولا ذاكِرَ اللّهَ إلاّ قليلا)

---

(١) الخزانة ١ : ٦٩ – ٧٨ .

(٢) الخزانة ٧ : ٣٧٥ – ٣٧٨ .

(٣) الخزانة ٨ : ٣٠ .

(٤) فى كتابه ١ : ٨٥ . وانظر معجم الشواهد .

على أنّ حذف التنوين من (ذاكر الله) لضرورة الشعر ، فإنّ ذاكراً بالنصب والتنوين معطوف على غير ، ولفظ الجلالة منصوب بذاكراً ، ولو كان مضافا إلى الجلالة لكان حذف التنوين واجباً ولا ضرورة . وإنّما آثر حذف التنوين للضرورة على حذفه للإضافة لإرادة تماثل المتعاطِفَين فى التنكير . والتنوين يُحذفُ وجوباً للإضافة ، نحو غلامك ، ولشِبهها نحو : لا مال لزيد ، إذا لم تُقَدَّر اللام مقحمة . فإن قدِّرت فهو مضاف . ولدخول أل كالرجل ، ولمانع الصّرف نحو فاطمة ، وللوقف فى غير النصب ، وللاتصال بالضّمير نحو ضاربك فيمن قال إنّه غير مضاف ، وللبناء فى النِّداء وغيره نحو يا رجلُ ، ولا رجلَ ، ولكونِ الاسم علماً موصوفا بابن كما فى الشرح . وحذفُه فى غير ذلك فإنَّما سببه مجرد التقاء الساكنين ، وهو غير جائز إلاّ فى الشِّعر . وقد نصَّ سيبويه عليه فى الباب الذى ترجمتُه (بابٌ من اسم الفاعل جَرى مجرى الفعل المضارع فى المفعول فى المعنى) ، قال : وزعم عيسى أن بعض العرب يُنشد هذا البيت : ٥٥٥

* فألفيتُه غير مستعتبٍ * .... البيت

لم يَحذِف التنوينَ استخفافاً ليعاقب المجرور ، ولكنّه حذفه لالتقاء الساكنين . وهذا اضطرار . انتهى .

قال الأعلم : الشاهد فيه حذف التنوين من ذاكراً لِالتقاءِ الساكنين ونصبُ ما بعده وإن كان الوجه إضافتَه . وفى حذف تنوينه لالتقاء الساكنين وجهان : أحدهما أن يشبَّه بحذف النون الخفيفة إذا لقيَها ساكن ، كقولك اضربَ الرجل ، يريد اضربَنْ الرجل . والوجه الثانى : أن يشبَّه بما حذف تنوينه من الأسماء الأعلام إذا وصف بابن مضافٍ إلى علم . وأحسن ما يكون حذفُ التنوين للضرورة فى مثل قولك : هذا زيدٌ الطويل ، لأنّ النعت والمنعوت كالشئ الواحد ، يشبه المضافَ والمضافَ إليه . انتهى .

وقال ابن خلف : تحريك التنوين لالتقاء الساكنين أجود من حذفه ، إذ هو حرفٌ يحتمل التحريك ، والذى يَحذِفه يشبِّهه بحروف المدّ واللين . قال المبرد : قد قرأت القُرّاء : ﴿ قل هُوَ الله أحدُ اللهُ الصَّمَد ﴾ وليس الوجه حذفَ التنوين لالتقاء الساكنين ، إنمّا يُحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المدّ واللين ، ويجوز هذا فى التنوين تشبيهاً بهنّ . وقال أبو الحسن : سمعت محمد بن يزيد المبَرِّد يقول : سمعت عُمارةَ يقرأ : ﴿ ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهارَ ﴾ . قال أبو الحسن : والأوْلَى : ﴿ سابقُ النهارِ ﴾ ولا ذاكرَ اللهِ . وإنمَّا الضرورة قوله :

* عمرُو الذى هشم الثريدَ لقومه [1] *

وهو فى النعت أسهل منه فى الخبَرِ كزيدُ الظريفُ قائم . انتهى .

وحذف التنوين فى الاثنين لا شكّ فى شذوذه كما قال الشارح المحقِّق . وجعل ابن هشام (فى المغنى) حذف التنوين لالتقاء الساكنين من القِلّة ، وأورد البيت والآيتين . وهو فى هذا مخالفٌ لسيبويه والجمهورِ . وممّن تبع سيبويه ابنُ الشجرى ، قال (فى أماليه) : ومن حذف التنوين لالتقاء الساكنين ما رُوِى عن أبى عمرٍو فى بعض طُرقِه : ﴿ قل هو الله أحَدُ اللهُ الصَّمَد ﴾ وحذفه على هذا الوجه متَّسع فى الشعر ، وكقوله :

حُميدُ الذى أَمَجٌ دارُهُ ... أخو الخمرِ ذو الشَّيبةِ الأصلعُ [2]

وكقول الآخر :

حَيدُة خالى ولقيطٌ وعَلِى ... وحاتمُ الطائىُّ وهّابُ المِئى [3]

---

(١) لعبد الله بن الزبعرى ، أو مطرود الخزاعى ، كما فى معجم الشواهد . وعمرو هذا هو هاشم بن عبد المطلب .

(٢) لحميد الأمجى ، أو مالك بن حريم ، أو مالك بن عمرو ، كما فى معجم الشواهد . وانظر معجم البلدان (أمج) وابن الشجرى ١ : ٣٨٢ / ٢ : ١٨٢ .

(٣) لامرأة من العرب . وانظر معجم الشواهد فى فصل الياء الساكنة من الأرجاز .

وقال عبد الله بن قيس الرقيّات :

كيفَ نومى على الفِراش ولَمَّا   تَشمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْواءُ (١)

تُذهِل الشَّيخَ عن بنيه وتُبدِى   عن خِدامِ العقيلةُ العـذراءُ

أراد : وتبدى العقيلةُ العذراء لها عَن خِدامٍ . والخِدام : الخَلْخال . أى ترفع المرأة الكريمة ثوبَها للهرب فيبدو خَلخالُها . والجملة التى هى « تبدى العقيلة » موضعها رفع بالعطف على جملة تذهل الواقعةِ نعتاً لغارةٌ ، والعائد إلى الموصوف من الجملة المعطوفة محذوف ، تقديره : وتبدى العقيلة العذراء لها عن خِدام ، أى لأجْلها . والشَّعواء : المتفرِّقة . وحُكى عن القاضى أبى سعيد السيرافى أنّه قال : حضرتُ فى مجلس أبى بكر بن دُريد ولم أكن قبلَ ذلك رأيته ، فجلست فى ذيله (٢) ، فأنشد أحدُ الحاضرين بيتين يُعْزَيانِ إلى آدمَ عليه السلام ، قالهما لمّا قَتَلَ ابنُه قابيلُ هابيلَ ، وهما :

٥٥٦

تغيَّـرت البـلادُ ومَـنْ عليها   فوجـهُ الأرضِ مغبـرٌّ قبيـحُ

تغيَّر كلُّ ذى حُسْنٍ وطيبٍ   وقلّ بشاشةُ الوجـهِ المليـحِ

فقال أبو بكر : هذا شعرٌ قد قيل فى صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء . فقلت : إنّ له وجهاً يُخرجه من الإقواء ، فقال : ما هو ؟ قلت : نصب بشاشةَ وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للإضافة ، فتكون بهذا التقدير نكرةً منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه وصفته بإسناد قلّ إليه ، فيصير اللفظ وقَلَّ بشاشَةَ الوجهُ المليح . فقال : ارتفِعْ . فرفعَنى حتّى أقعدنى إلى جنبه . انتهى كلام ابن الشجرى .

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٩٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) أى ذيل المجلس . وفى ش : « فى ذيل » .

أقول : وتوجيه السيرافى فيه تخلّص من ضرورة إلى ضرورة .

وقد استشهد بالبيت الشاهدِ الزمخشريُّ والبيضاوىّ ، عند قراءة الأعمش : ﴿ كُلُّ نفسٍ ذائقةُ المَوْتَ ﴾ ، بترك التنوين ونصب الموت .

وأورده الفراء قبلهما عند هذه الآية [(١)] قال : لو نَوَّنتَ ذائقةٌ ونصبت الموتَ كان صوابا . وأكثر ما يختار العرب التنوين والنصب فى المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلاَّ بالإضافة ، ويختارون أيضا التنوين إذا كان مع الجحد . من ذلك قولهم : ما هو بتاركٍ حقَّه ، لا يكادون يتركون التنوين ، وتركه كثير جائز ، وينشدون قول أبى الأسود :

فألفيتُه غير مستعتبٍ ولا ذاكرَ اللهَ إلاّ قليلاَ

فمَنْ حذَف النون ونصب قال : النية التنوين مع الجحد ، ولكنّى أسقطت النون للساكن وأعملت معناها . ومن خفض أضاف .

هذا كلامه ، وهو صريحٌ فى جوازه فى الكلام . والصحيح مذهب سيبويه .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لأبى الأسود الدئلى .

وروى الأصبهانى (فى كتاب الأغانى) بسنده عن أبى عَوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فناءِ امرأةٍ بالبصرة فيتحدَّث إليها ، وكانت جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أنْ أتزوَّجَك فإنِّى صَناع الكفِّ حسنة التدبير ، قانعةٌ بالميسور ؟ قال : نعم . فجمعتْ أهلَها وتزوَّجتْه ، فوجدها بخلافِ ما قالت ، وأسرعَتْ فى ماله ، ومدَّتْ يدها إلى جِبايته [(٢)] ، وأفشتْ سِرَّه . فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إيّاها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم :

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنبياء . وانظر معانى القرآن للفراء ٢ : ٢٠٢ .

(٢) فى الأغانى ١١ : ١٠٧ : « إلى خيانته » .

أَرَيْتَ امرأً كنتُ لم أبلُهُ أتانى فقال اتَّخِذْنى خليلا
فخاللتُــــه ثم أكرمْتُـــــه فلم أستفِدْ من لديه فَتِيلا
وألفيتُــــه حين جرَّبْتُــــه كذوبَ الحديث سَروقاً بخيلا
فذكَّرتــــه ثم عاتبتُــــه عِتاباً رفيقاً وقولاً جميلا [١]
فألفيتـه غيــرَ مستعتـبٍ ولا ذاكـرَ اللهَ إلاّ قليـلا
ألستُ حقيقــاً بتوديعــهِ وإتباعِ ذلك صُرْماً طويـلا

٥٥٧

فقالوا له : والله يا أبا الأسود . فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلَّقتُها ، وأنا أحبُّ أن أستُر ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفَتْ معهم . انتهى .

وقد أورد ابن السيرافى (فى شرح أبيات الكتاب) سببا لهذه الأبيات لا يلائمها ، وتبعه ابن خلف وابن المستوفِى وغيرُهما ، وهو ممَّا لا يكاد يُقضَى منه العجب ، قال :

سبب هذا الشعر أنّ رجلا من بنى سُلَيم يقال له نُسَيب بن حُمَيد ، كان يَغشَى أبا الأسود ويُظهر له محبّةً شديدة ، ثم إنّ نُسَيبا قال لأبى الأسود : قد أصبتُ مُستُقةً أصبهانِيّة [٢] ، وهى جُبَّة فراءٍ طويلةُ الكمَّين ، فقال له أبو الأسود : أرسِلْ بها إلىَّ حتى أنظرَ إليها . فأرسَلَ بها فأعجبتْه فقال لنُسيب : بِعنِيها

---

(١) رفيقا ، بالفاء بعد الراء فى ط والأغانى ، وفيما سيورده البغدادى فى الشرح . وفى ش : « رقيقا » وهى رواية أخرى . وانظر ديوان أبى الأسود ١٢٢ فى الملحقات .

(٢) فى اللسان : « أصلها بالفارسية : مُشْتَه » وكذا فى المعرب للجواليقى ٣٠٨ . وقد روى كل منهما حديث أنس بن مالك : « أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله ﷺ مُستقةً من سندس ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فكأنى أنظر إلى يديها تَذبذَبان ، فبعث إلى جعفر ، فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشى » . والحديث رواه أحمد فى مسنده ، كما رواه أبو داود فى سننه . وانظر حواشى المعرب . فالكلمة معربة قديما ، وهى بضم التاء وفتحها .

بقيمتها . فقال لا بل أكسوكَها . فأبى أبو الأسود يقبلُها (١) إلاَّ بشراء ، فقال له : أرِهَا لمن يُبصِرُها ثم هات قيمتها . فأراها أبو الأسود فقيل [له : هى (٢)] ثمنُ مائتى درهم . فذكر ذلك لنُسيب فأبى أن يبيعه (٣) فزاده أبو الأسود حتَّى بلغ بالثمن مائتى درهم وخمسين درهما ، فأبى نسيب أن يبيعها (٤) وقال : خُذْها إذَنْ هبَةً . فيقول : ذكَّرته ما بيننا من المودّة فألفيته ، أى وجدته ، غير مستعتب ، أى غير راجعٍ بالعتاب عن قبيحِ ما يفعل . هذا كلامه .

وقوله « أريْتَ امرأً » إلخ سلك أبو الأسود بهذا الكلام طريقَ التَّعمِيَة على مخاطَبه ليتم ما يريد ، ولو نسب هذه العيوب إليها مصرِّحاً بها لربمَّا دافعوا عنها . وأريْتَ بمعنى أخبِرْنى ، وأصله الهمزة فيه للاستفهام ، وريْت أصله رأيت ، حُذِفت الهمزة وهى عين الفِعل تخفيفاً .

قال صاحب الصِّحاح : وربَّما جاء ماضيه بلا همزة ، قال الشاعر :

صاح هل ريْتَ أو سمعتَ براعٍ ... ردَّ فى الضَّرع ما قرَى فى الحِلابِ(٥)

وكذلك قالوا فى : أرأيتَ ، وأرأيتَكَ ، وأريْتك بلا همزة . قال أبو الأسود :

---

(١) كذا فى النسختين بدخول الفعل على الفعل بتقدير حذف (أن) . انظر لهذا الضرائر لابن عصفور ٢٦٣ - ٢٦٥ . وفى شرح الأبيات لابن السيرافى ١ : ٩١ : « فأبى أبو الأسود أن يقبلها » .

(٢) الكلمة الأولى من هذه التكملة من شرح ابن السيرافى للأبيات ، والآخرة من ش وشرح الأبيات .

(٣) وكذا عند السيرافى فى هذا الموضع ، بتذكير الضمير . وفى الموضع التالى بالتأنيث . فالتذكير بجعل الضمير للمشترى ، وفى اللسان : « يقال باعه الشئَ ، وباعه منه » ، يتعدى إلى اثنين بنفسه وبالحرف أيضا . وقد يكون تذكير الضمير لتأويله بالثوب ، أما التأنيث التالى فللفظ المستقة » .

(٤) انظر الحاشية السابقة .

(٥) ويروى : « فى العلاب » . والبيت لإسماعيل بن يسار ، كما فى معجم الشواهد . والعلاب : جمع عُلبة ، وهى قدح من خشب يُحتلب فيه ، أو جفنة يحلب فيها . أما الحلاب بالحاء فهو الإناء يحلب فيه اللبن .

* أريتَ امرأً كنتُ لم أبْلُه * البيت

وقال الكرمانى (فى شرح البخارى) : أرأيت بمعنى أخبِرْنى ، وفيه تجوُّز إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار ، لأنّ الرؤية سببُ الإخبار . وجُعل الاستفهام بمعنى الأمر ، بجامع الطلب . انتهى .

والرؤية هنا منقولة من رؤية البصر ، ولهذا تعدَّت إلى مفعولٍ واحد . وزعم ابن هشام (فى المغنى) أنَّ أرأيتَك منقولٌ عن الرؤية العِلْمية ، فتقتضى مفعولين ، فيقدَّر الثانى إذا لم يوجد . وهو تكلُّف . وأبلُه من بلاه يبلوهُ بَلْواً ، إذا جرَّبه واختبره . وخاللته : اتَّخذته خليلا . والفتيل : الشىء الحقير ، وأصله ما يوجد فى بطن النَّواة . والرَّفِيق من الرِّفْق : ضدّ العنف .

وقوله : (فألفيته غير مُستعتبٍ) ألفى بمعنى وجد ، يتعدَّى لمفعولين كما تقدَّم ، وعند بعضهم المفعول الثانى حال . ومستعتب : اسم فاعل الراجع بالإعتاب [(١)] . واستعتب وأعتب بمعنىً ، وعتب عليه عَتْبا من بابى ضرب وقتل ، إذا لامه فى تسخُّط . وأعتب : أزال الشَّكوى ، فالهمزة للسلب . واستعتب : طلب الإعتاب . والعُتْبَى اسمٌ للإعتاب . والمعنى ذكّرته ما كان بيننا من العُهود ، وعاتبته على تركها ، فوجدتُه غير طالبٍ رضائى . وقوله (ولا ذاكر الله) روى بنصب ذاكر وجرّه ، فالنصب للعطف على غير . وقال بعض فضلاء العجم (فى شرح أبيات المفصّل) : نصب ذاكرًا على أنّ لا بمعنى غير ، وقد تعذّر فيها الاعراب فأعرب ما بعدها ، كما فى نحو : جاءنى رجلٌ لا عالمٌ ولا عاقل . انتهى .

٥٥٨

(١) ط : « بالعتاب » ، صوابه ما فى ش مع أثر تصحيح .

والجر للعطف على مستعتب ، ولا لتأكيد النفى المستفاد من غير . وعلى هذه الرواية اقتصر ابن الشجرى فقال : عطف نكرة على نكرة مجرورة بإضافة غير إليها ، وانتصاب غير على الحال . انتهى .

والتوديع ، هنا : الفراق . والصُّرْم ، بالضم [١] : الهَجْر .

وترجمة أبى الأسود تقدمت فى الشاهد الأربعين من أوائل الكتاب [٢] .

---

(١) الحق أنه يقال بالضم وبالفتح أيضا .

(٢) الخزانة ١ : ٢٨١ – ٢٨٦ .

نـون التـوكيـد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٣ (أفَبعدَ كِندةَ تمدحَنَّ قبيلاَ)

على أنّه أكّد الفعلَ ، وهو تمدح بالنون ، لوقوعه بعد الاستفهام وهو الهمزة .

قال سيبويه : ومن مواضعها الأفعال غيرُ الواجبة التى تكون بعد حروف الاستفهام ، وذلك لأنّك تريد أعلِمْني إذا استفهمت . وهى أفعالٌ غير واجبة ، فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهى ، فإنْ شِئْتَ أقحمت النون وإن شئت تركت ، كما فعلت ذلك فى الأمر والنهى . وذلك قولك : هل تقولَنّ ، وأتقولَنّ ذاك ؟ وكم تمكُثَنَّ ؟ وانظر متى تفعلَنَّ . وكذلك جميعُ حروف الاستفهام . وقال الأعشى :

فهـل يمنعنِّـى ارتيـادى البـلا ... دَ من حَذَرِ الموتِ أن يأتِيَنْ [٢]

وقال :

فأقِبلْ على رَهطى ورَهْطِكَ نَبتحِثْ ... مَسَاعِيَنا حتّى ترى كيف تفعلا [٣]

فهذه الخفيفة . وقال :

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥١ . وهو لامرئ القيس فى ديوانه ٣٥٨ . وانظر التصريح ٢ : ٢٠٤ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٤ .

(٢) ديوان الأعشى ١٤ : وانظر معجم الشواهد .

(٣) هو الشاهد التالى .

* أفبعدَ كِنَدة تمدحَنَّ قبيلا (١) *

وقال :

* هل تحلِفَنْ يا نُعْمَ لا تدينُها (٢) *

هذه الخفيفة . انتهى .

قال الأعلم فى البيت الأوَّل : الشاهد فيه توكيد يمنعنى بالنون الثقيلة ، لأنّه مستفهَمٌ عنه غير واجب كالأمر ، فيؤكّد كما يؤكّد الأمر . والارتياد : المجىء والذَّهاب ، أى لا يمنع من الموت التحوُّل فى آفاق الأرض حذراً منه ، ولا الإقامةُ فى الديار تقرِّبه قبل وقته . فاستعمال السفر أجمل ، لأنّ الموت بأجَل .

وقال فى الثالث : الشاهد فى قوله تمدحَنّ بالنون الثقيلة . وكندة : قبيلةٌ من اليمن من كهلان بن سبأ . والقبيل : الجماعة من قومٍ مختلفين . والقبيلة : بنو أبٍ واحدٍ . وأراد بالقبيل هنا القبيلةَ لتقاربُ المعنى فيهما . انتهى .

والبيت الرابع ساقطٌ من روايته ، ورواه النحاس قال : قال أبو الحسن : نُعم ترخيم نعمان . انتهى .

وبعد ظرف يتعلّق بتمدح محذوفاً لا بتمدحنّ ، لأن المؤكد بالنون لا يتقدَّم معموله عليه . وقيل إذا كان ظرفاً يجوز . وقد علَّقه به العينى .

وهذا الشعر من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعَرف لها قائل . والله أعلم .

* * *

(١) ش : « تفعلا » ، صوابه فى ط وشرح أبيات الكتاب لابن السيرافى ٢ : ٢٥١ حيث نسبه إلى النابغة الجعدى . وليس فى ديوانه .

(٢) ط : « تدنيها » ، صوابه فى ش وسيبويه ١ : ٣٣٧/ ٢ : ١٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [(١)] :

٩٤٤ (وأقبلْ على رَهطِى ورَهْطِكَ نبتحثْ
مَسَاعِيَنا حتّى ترى كيف يَفْعلا [(٢)])

على أنّه أكد الفعل وهو يفعل بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف ، لوقوعه بعد اسمِ استفهام ، وهو كيف . وتقدَّم قبله نصٌّ سيبويه . ٥٥٩

و (أقبلْ) بفتح الهمزة وكسر الموحدة : فعل أمرٌ من الإقبال . ورهط الرجل : قومه وقبيلتُه الأقربون . والرَّهط بالإضافة فى تعيينه خلافٌ ، قيل هو ما دون عشرةٍ من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقيل من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر . وقال أبو زيد : الرهط والنَّفَر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرَّهط ، والنَّفر ، والقَوم ، والمعشَر ، والعشيرة معناهُم الجمع ، لا واحدَ له من لفظه [(٣)] ، وهو للرجال دونَ النساء . وقال الأصمعى : الرَّهط : ما فوق العشرة إلى الأربعين [(٤)] . كذا فى المصباح .

وقوله (نبتحثْ) مجزوم فى جواب الأمر ، وهو على نفتعل من البَحْث . قال الجوهرى : بحثت عن الشيء وابتحثت عنه ، أى فتَّشت عنه واستقصيت ، فيكون (مساعيَنا) منصوباً [(٥)] بنزع الخافض . والمساعى : جمع مَسعاةٍ ، والأصل

(١) فى كتابه ٢ : ١٥١ . وقد سبق التعليق عليه فى الشاهد السالف . وانظر العينى ٤ : ٣٢٥ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٤ .

(٢) ط : « نفعلا » ، صوابه فى ش .

(٣) فى المصباح : « لا واحد لهم من لفظهم » .

(٤) الذى فى المصباح : « قاله الأصمعى فى كتاب الضاد والظاء » . وهو نص غريب .

(٥) ط : « منصوب » ، صوابه فى ش .

مَسعَية ، مفعَلة من السَّعى . قال صاحب المصباح : أصل السعى التصرُّف فى كلِّ عمل . قال الحَرَّانىّ (١) : السعى:الإسراع فى الأمر حِسًّا أو معنىً . وفى المفردات : السَّعْى : المشى السريعُ دونَ العَدْو ، ويستعمل للجِدّ فى الأمر خيراً كان أو شرًّا . وقال صاحب الصحاح : « المسعاة : واحدةُ المساعى فى الكرَم والجود » . والمراد بها المناقب والمآثر التى حَصلَتْ بسعيهم . قال الشاعر :

ولو قُدِّرت مَسعاتكمْ يا بَنِى الخَنَا على قابِ شبر قَصَّرتْ عن مَدَى الشِّبْرِ (٢)

وحَتّى هنا بمعنى كى التعليلية . وتَرَى بمعنى تنظر بالخطاب . وقال العينى : حتّى بمعنى إلى . وترى من الرأى ، وهو الاجتهاد . انتهى . ويَفْعَلَنْ بالمثناة التحتية (٣) كما يظهر من كلام الأعلم فإنه قال : يقول لمن فاخره : أقبلْ على ذكر مفاخر قومك ، وأُقبلُ على مثل ذلك من مفاخر قومى ، ونبحث عن مساعيهما حتَّى يتبَّينَ فَضلُ بعضهما على بعض ، وترى فِعلى فى مفاخرتك ، وفعلك فى مفاخرتى . انتهى . وزعم ابن الطَّراوة أن النون فى يفعلا هى نون الترنم ، أُبدِلَتْ ألفاً فى الوقف . ورُدّ عليه أن نون الترنم لا تغيِّر حركةَ ما قبلها ، وقد غيِّرت آخره هنا بالفتح . وهذا لا يكون إلاّ لِنُونِ التوكيد .

وهذا البيت أيضا من الأبيات الخمسين التى ما عُرِف أصحابها . والله أعلم .

* * *

(١) فى النسختين : « الحرانى » باللام ، صوابه ما أثبت إن شاء الله ، وفى اللغويين القدماء : أبو شعيب الحرَّانى ، ذكره الأزهرى فى مقدمة التهذيب ٢٣ . وروى عن أبى الفضل المنذرى قال : « سمعت الحرَّانى يقول : كتبت عن يعقوب بن السكيت من سنة خمس وعشرين إلى أن قتل » . وكان مقتل ابن السكيت سنة ٢٤٤ . وفى المشتبه للذهبى ١٥٧ : « وأبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرَّانى ، وأبوه وجده » .

(٢) ط : « يا ابنى الخنا » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٣) هذا وهم من البغدادى رحمه الله ، حمله على ذلك قول الشنتمرى : « حتى يتبيّن فضل بعضهما على بعض » ، وفهم أن المقام مقام تثنية ، وفاته أن التثنية تقتضى نون الإعراب . وانظر ما سبق فى الحواشى .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٥ (فمهما تَشأْ منهُ فَزارةُ تُعطِكُمْ ومهما تَشَأْ منه فَزارةُ تَمنعا)

على أنّه يجوز أن تدخل نون التوكيد اختياراً في جواب الشرط إذا كان الشرطُ مما يجوز دخولُها فيه . وهو أقلُّ من دخولها في الشرط ، وقوله « تمنعا » جواب الشَّرط ، وقد أُكّد دون الشرط بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف .

وقوله : « إذا كان الشرط ممَّا يجوز » إلخ احترز به عما إذا كان الشرطُ ماضياً أو مضارعاً بمعنى الحال ، وحينئذ لا يؤكّد جوابه .

وقوله : « اختيارا » مع قوله : « وهو أقلُّ من دخولها في الشرط » مذهبُ ابن مالك ، وهو مخالفٌ لقول سيبويه : إنّه ضرورة .

قال سيبويه : وقد تدخل النون بغير ما في الجزاء ، وذلك قليلٌ في الشعر ، فشبّهوه بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب . وقال الشاعر :

* نبتُّم نباتَ الخيزُرانيِّ (٢) * البيت .

٥٦٠

وقال ابن الخَرِع :

* فمهما تشأ منه فزارة * البيت .

وقال :

* من يُثْقفَنْ منهم فليسَ بآيبٍ (٣) * البيت .

---

(١) في كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر معاني الفراء ١ : ١٦٢ والضرائر ٣٠ والعيني ٤ : ٣٣٠ والتصريح ٢ : ١٠٦ والهمع ٢ : ٧٩ والأشموني ٢ : ٢٠٠ .

(٢) هو الشاهد التالي لشاهدنا هذا .

(٣) هو الشاهد ٩٤٧ الذي بعد الشاهد التالي . وتمامه :

من يُثقَفَنْ منهم فليس بآئب أبداً وقتل بني قُتيبة شافي

وقال :

* يحسبه الجاهلُ ما لم يعلما (١) * البيت .

شبَّهه بالجزاء حيث كان مجزوماً وكان غير واجب . وهذا لا يجوز إلاّ فى اضطرارٍ ، وهى فى الجزاء أقوى . انتهى .

وكذا قال الفراء إنّه ضرورة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ابعَثْ لنا مَلِكاً نقاتِلْ فى سَبيل الله (٢) ﴾ ما نصُّه : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يأيُّها النَّملُ ادخُلوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحطِمَنَّكم (٣) ﴾ المعنى والله أعلم : إن لم تدْخُلْنَ حُطِّمتُنَّ . وهو نهىٌ محض ، لأنّه لو كان جزاءً لم تدخله النُون الشديدة ولا الخفيفة . ألا ترى أنّك لا تقول : إنْ تضربنى أضربَنّك ، إلاّ فى ضرورة شعر ، كقوله :

* فمهما تشأ منه فزارة * البيت . انتهى .

وكذا (فى المفصل) قال : فإن دخلت فى الجزاء بغير ما ففى الشعر ، تشبيهاً للجزاء بالنهى .

وكذا (فى كتاب الضرائر لابن عصفور) .

وخالف ابن مالك فأجازه فى الكلام ، قال (فى التسهيل) : وقد تلحق جوابَ الشرط اختيارا . وقال قبله : « وتلحق الشرط مجرَّداً من ما » . وكذا قال (فى الألفية) .

قال الشاطبى : فإذا قلت إن تقومنّ أكرمْتك ، ومهما تَطلبَّن أُعطك ، ومهما تأتِينِّى أكرمْك ، وحيثما تكونَنَّ أذهبْ إليك ، وكذلك سائر أدوات الشرط ،

---

(١) هو الشاهد ٩٤٩ فيما سيأتى .

(٢) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة . وانظر معانى الفراء .

(٣) الآية ١٨ من سورة النمل .

فهو جائز ، ولكنّه قليل . ويحتمل أنّ كلام الناظم أَنَّ أدوات الشرط مسوِّغة لدخول النون مطلقاً ، سواء أكان الفعل معها فى جملة الشرط ، أو فى جملة الجزاء . إذْ لم يقيِّد ذلك بفعل الشرط . فيجوز على هذا أن تقول : إن تكرمَنَّنى أكرمنَّك . انتهى .

وقوله : (فمَهْما تَشَأْ) إلخ قال الأعلم : أراد مهما تشأ فزارة إعطاءه تُعطِكم ومهما تشأ منعَه تمنعْكم . فحذف الفعل لعلم السامع . وإدخال النون الخفيفة على تَمنعا وهو جواب الشرط ضرورة ، وليس من مواضع النون ، لأنّه خبر يجوز فيه الصِّدقُ والكذب ، إلاّ أنّ الشاعر إذا اضطُرّ أكّده بالنون تشبيهاً بالفعل فى الاستفهام ، لأنّه مستقبل مثله . انتهى .

والبيت غير موجود فى ديوان ابن الخرِع [1] وإنمّا هو من قصيدةٍ للكميت بن ثعلبة ، أوردها أبو محمدٍ الأعرابىّ (فى ضالَّة الأديب) ، وهى :

(مَن مبلغٌ عُليَا معدٍّ وطيّئاً … وكِندةَ مَنْ أصغَى لها وتسمَّعا
يَمَانِيَّهـــمْ مَنْ حَلَّ نجرانَ منهمُ … ومَن حَلَّ أطرافَ الغَطاط فلَعْلَعا
ألم يأتِهمْ أنَّ الفزارىّ قد أبَى … وإنْ ظلموه أن يُتَلَّ فيُصرعا
ولمَّا رأى أنَّ الحياةَ ذميمةٌ … وأنّ حَكِيَّ الموتِ أدركَ تُبّعا
شَرَى نفسَه مجدَ الحياةِ بضربةٍ … ليرحَضَ خِزْياً أو ليطلُعَ مَطلَعا [2]
أبَتْ أمُّ دينارٍ فأصبح فرجُها … حَصاناً وقلِّدتمْ قلائدَ بَوْزَعا
فيا راكباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ … سُحَيماً وأبلغ باعثاً والمرقَّعا
خُذوا العقلَ إن أعطاكمُ العقلَ قومُكم … وكونوا كمَ سِيمَ الهوانَ فأرتَعا

(١) ط : « أبى الخزع » ، صوابه فى ش .
(٢) فى اللسان أن المصدر الميمى لطلع يجوز فيه فتح اللام وهو القياس ، وكسرها وهو الأشهر .

ولا تُكثِروا فيها الضّجاج فإنّه ... محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعَا [١]
وأقبلَ أقوامٌ بحرّ وجوههم ... وأدبر أقوامٌ بلطمةٍ أسْفَعا
فمهما تشأْ منه فزارةُ تُعطِكُمْ ... ومهما تشأ منه فَزارةُ تمنعا
٥٦١ فزارةُ عوفٌ لا عزيزَ بأرضه ... ويمنع عوفٌ ما أراد ليمنعا
فإن مات زِملٌ فالإله حسيبُهُ ... وإن عاش زِمْلٌ فاسقياهُ المشعشَعا)

قوله : « ألم يأتهم أنّ الفزاريَّ » إلخ أراد بالفزاريّ هنا زُمَيل بن أُبير ، أحد بنى عبد الله بن عبد مناف . ويقال لأمّ زُميل : أمُّ دينار ، كان سالم بن دارة الغطفانى هجاه ، بقصيدة منها :

بلِّغ فزارةَ أنّى لنْ أسالمها ... حتّى ينيكَ زميلٌ أُمَّ دينارِ

وهجا بنى فزارة بقصائد تقدَّم بعضها فى الشاهد الخامس بعد المائة [٢] ، وبعض آخر فى الشاهد السابع بعد المائتين [٣] .

فحلف زميلٌ أن لا يأكل لحماً ، ولا يغسل رأسه ، ولا يأتىَ امرأة حتّى يقتله . ثم بعد مدّة لقيه زُمَيل فضربَه بالسَّيف ضربة كانت سببَ موته ، وافتخر بتخلُّصه من العار بقتله ، وقال :

أنا زميلٌ قاتل ابنِ داره ... وغاسلُ المَخْزاةِ عن فزارهْ

وتقدم شرحه فى الشاهد الخامس بعد المائة [٤] .

فحكى الكميت هذه الحكايةَ وتهكَّمَ بغطفان .

---

(١) الضجاج بفتح الضاد وضمها : الضجيج والصياح والمشاغبة والمجادلة . وهو مصدر ضج يضج . ويقال أيضا ضاجّه يضاجّه مضاجّة وضِجاجا ، إذا شاغبه وشارّه . ففى الضاد لغات ثلاث .

(٢) الخزانة ٢ : ١٣٩ - ١٥٠ .

(٣) الخزانة ٣ : ٢٦٦ .

(٤) الخزانة ٢ : ١٣٩ - ١٥٠ .

وقوله : « أنْ يتَل فيُصرَعا » كلاهما بالبناء للمفعول . والتلُّ : الإلقاء على الوجه . والصَّرع : القتل .

وقوله : « وإنّ حَكِيَّ الموت » بالحاء المهملة ، فعيل بمعنى مفعول ، من أحكيت العُقدة ، إذا قوَّيتها وشدَّتها .

وقوله : « شرَى نفسَه » أى اشترى لنفسه مَجدَ الحياة ، أى شرفها . وقوله : « ليرحض خِزْيا » أى ليغسل عاراً . والرَّحض بالراء والحاء المهملتين والضاد المعجمة ، هو الغَسْل . والخِزْى بالكسر : المذَلّةُ والعار .

والحَصَان بفتح المهملة : العفيف . وقوله « وقُلِّدتُم » بالبناء للمفعول ، والخطاب لبنى غطفان . وبْوزَع بفتح الموحدة والزاى ، قال الأسود أبو محمد الأعرابىّ (فى ضالّة الاديب) : بَوزع هى أمُّ زياد بن الحارث، وهى « ذات القلائد » وكانت أوّلَ من نَصبت رايةً فى بنى مُسلِية ، وفيها تضرب العرب الأمثال فى قولهم : « قلائد بوزع . وقال مَوْءلةُ بن الحارث جدّ المحجّل بن حزن بن مَوءَلة :

من تك أمُّه زانتْه يوماً   فقد شانتك أُمُّك يا زيادُ
عجوزُك بوزعٌ كسبَتك عاراً   فليس برائم حَتّى التنادِى
فلستَ إلى بنى عُلَة بنِ جَلْدٍ   ولا سعدٍ ولا حيَّىْ مرادِ

وقال آخر :

قلائد بوزعٍ جرَّت عليكمْ   مواسمَ مثل أطواقِ الحمام (١)

وقد أخطأ أبو عبد الله بنُ الأعرابىّ فى هذا الشعر من جهتين : أولاَهما أنّه نسب هذا الشعر إلى الكميت بن معروف ، وهو للكميت بن ثعلبة . والكميت ابن ثعلبة مُخضرَم وجدُّ كميت بن مَعروف .

---

(١) المواسم : جمع ميسم ، بكسر الميم ، وهى المكواة التى يوسم بها الدواب ، ويطلق الميسم أيضا على أثر الوسم .

وأخراهما : أنّه صحف فى قوله بوزع بالباء ، فقال قوزع بالقاف وفسَّره على التخمين بالخزى والعار .

انتهى كلام أبى محمد ، وما ادَّعاه من التحريف حقّ لا شبهة فيه . والأبيات التى أنشدها تشهد لما قاله من أنّ بوزع امرأة ، لكنّه لم يشرحْ قلائدها ولم يبيِّنْ وجه كسبِها للعار لابنها . وقد راجعت كتب الأمثال فلم أظفر فيها بشيء ، ولعلَّ الله يُطْلعنى على شَرحها فأُلحقَهُ هنا .

٥٦٢

وما نقله عن ابن الأعرابىّ موجودٌ (فى نوادره) ، وقد نقله عنه أرباب اللغة خلفٌ بعد سلف ، ولم يطَّلعوا على ما قاله أبو محمد الأعرابى ، ولو اطَّلعوا عليه لحكَوه . قال الصاغانى (فى العباب) فى فصل القاف من باب العين : قال ابن الأعرابىّ : يقال « قُلِّدتم قلائدَ قَوزعٍ يا هذا ، ولأُقلِّدنّك قلائد قوَزع » ومعناه طُوِّقْتم أطواقاً لا تُفارِقكم أبداً . وأنشد :

قلائد قوزعٍ جَرّت عليكم مَواسِمَ مثل أطواقِ الحمام

وقال مَرّة « قلائد بَوْزع » ثم رجع إلى القاف . انتهى .

ولخّصَ من هنا صاحبُ القاموس فقال : وقلدتم قلائد قَوزع:طُوِّقتم أطواقا [(١)] لا تفارقُكم أبدا .

ونقله العينى أيضاً .

وقال محمد بنُ المكرَّمِ فى لسان العرب : قوزع اسمُ الخِزى والعار ، عن ثعلب . وقال ابن الأعرابى : « قَلَّدته قلائدَ قَوزع » ، يعنى الفضائح . وأنشد للكميت بن معروف :

(١) ط : « طوقا » ، صوابه فى ش والقاموس .

أبت أمُّ دينارٍ فأصبح فرجُها حَصاناً وقُلّدتم قَلائدَ قَوزعا

وقال مَرّةً : قلائد بوزع ، ثم رجع إلى الفاف [١] . انتهى .

ولو كان اسما للخزى لكان مصروفاً ، ولا وجه لمنعه إلاّ أن يُدَّعَى أنّه علَمُ جنسٍ ، كزوبر علم للكلبة . انتهى .

ولم يتعرَّض الجوهرى لهذه الكلمة بشيء . وأوردها ابن برى (فى أماليه على صحاحه) فقال : قوزع اسم الخزى ، عن ابن الأعرابىّ . وأنشد بيت الكميت .

وقوله : « فيا راكبا إمّا عرَضْت » أى أتيت العَروض ، وهى مكة زادَها الله شرفا . قال أبو محمد : سُحيم وباعث والمرقّع [٢] كلّهم من بنى عبد الله بن غَطَفان .

وقوله : « خذوا العقلَ إن أعطاكم العَقلَ قومُكم » هذا تهكُّم بهم . والعَقْل : الدِّيَة . وإنَّما قال قومُكم لأنّ فزارة هو ابن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفان ، وبنو عبد الله هم بنو عبد العُزّى بن غطفان . ولما وفد عبد الله على النبى ﷺ فقال : من أنتم ؟ قالوا : بنو عَبد العُزّى . قال : « أنتم بنو عبدِ الله » . فلزمهم هذا الاسم .

وقوله : « وكونوا كمن سِيمَ الهوان فأرتعا » سِيمَ : مجهولُ سامه الشيء يَسُومُه سَوما ، أى كلَّفه إيّاه . والهَوَان : الذّل . وأرتعا من أرتع إبله ، وقومٌ مُرتِعُون أى تَرتع إبلُهم. يقال رَتَعت الماشية ترتعُ رتوعا ، أى أَكلت ما شاءت .

---

(١) هنا ينتهى نص ابن منظور ، وقد نص البغدادى على نهايته . أما النص بعده والتعليق عليه بعلامة الانتهاء فليس مصدره واضحاً .

(٢) ط : « المرفع » صوابه بالقاف ، كما فى ش .

وقوله : « ولا تُكثِروا فيها الضّجاج » أى لا تكثروا فى هذه القضيّة ، وهى قتل سالم بن دارة . قال الجوهرى : وضاجَّهُ مضاجّة وضِجاجاً : شاغَبَه وشارَّهُ ، والاسم الضَّجاج بالفتح [١] . وقوله : « محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا » أورده الزمخشريُّ فى أمثاله [٢] قال : هو سالم بن دارة الغَطَفانى ، هجا بعضَ بنى فزارة بقوله :

أبلِغ فزارَةَ أنّى لا أُصالحها حتّى ينيكَ زُميلٌ أُمَّ دينار

فقتلَهُ زُميلٌ الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أنّ الفعل أفضل من القول ، وإنمّا قلتَ أنتَ وفعلنا نحنُ . يضرب للجبان يتوعَّد ولا يفعل . انتهى .

وقوله : « وأقبل أقوامٌ بِحُرٍّ وجوههم » هم قوم زُمَيلٍ الفزارى ، وما بعده قومُ ابن دارة . وقوله : « بلطْمةِ أسفعا » ، أى بلطمة خدّ أسفع ، أىْ لُطِموا على خدودهم حتَّى اسودَّت . والسُّفعة بالضم : سوادٌ يخالطه حمرة . والأسفع هو المتَّصف بالسُّفعة .

وقوله (فمهما تشأْمنه فزارةُ) إلخ معناهُ : كلُّ شيءٍ شاءت منه فزارة أعطَتْ ، وكلُّ شيء شاءت منعت . مفعول تَشَأْ محذوف كما تقدَّم ، ومنه متعلِّقٌ بتُعطِكم ، ومنه الثانى متعلّق بتمنع محذوفاً لا بالمذكور ، لأنّ المؤكَّد بالنون لا يتقدَّم معموله عليه . ويجوز أن يتعلَّق به بناءً على أنّه يُتوسَّع فى الظروف مالا يُتوسَّع فى غيرها . والضمير فى الموضعين راجعٌ إلى مهما ، وقال العينى : راجع إلى ابن دارة ، ومفعول تمنعا محذوف ، أى تمنعكم : يعنى إنْ أرادت فزارةُ إعطاءَ شيء من الدِّية أعْطَت ، وإن أرادت منْعكم من الدِّية فعلَتْ ، لأنّكم أذلاَّءُ معهم ، ٥٦٣

(١) انظر ما سبق فى الحواشى ص ٣٨٩ .
(٢) المستقصى ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢ .

لا تقدِرون على أخْذ قَوَد ، ولا طلَب دِيَة . وقوله : « فزارة عوفٌ » مبتدأ وخبر ، والعَوف ، بالفتح : الأسَد واسم الذّئب أيضا . وعَوفٌ الثانى هو عَوْف بن هلال ابن شَمخ ، بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها خاء معجمة ، ابن فزارة .

وقوله : « فإنْ ماتِ زِمْل » بكسر الزاى ، هو زُميل قاتل ابن دارة ، بالتصغير . والمشعشَع : الشراب الممزوج بالماء . قال أبو محمد الأعرابىّ : كانت هذه القضيّة فى زمن عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه ، ثم حدثَ فى زمن عبد الملك شرٌّ بين بنى رِياب وبين بنى الكميت بن ثعلبة ، فقَتل ذيّالُ بن مقاعسٍ الرِّيابىُّ عبيدَ الله بن صخر ، أخا المَيْدان ، فعرض ذيّالٌ الدية على بنى الكميت فقَبلوا ، فقال فى ذلك عبد الرحمن بن دارة يعيِّر آل الكميت :

ألم تر أنَّ الله لا شيءَ بعده   شَفانىَ من آل الكُميت فأسرعا
وأصبح ذيَّالٌ يَذِيل وقد سَقَى   بكفّيه صَدْرَ الرُّمح حتّى تضلَّعا [1]
خُذوا العقل يا آل الكُمَيت وأقبِلوا   بأنف وإنْ وافَى المواسمَ أجدعا

وترجمة الكميت بن ثعلبة تقدَّمت فى الشاهد السبعين بعد الخمسمائة [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [3] :

٩٤٦ (نَبتُّم نباتَ الخَيزُرانىِّ فى الثّرى   حَدِيثاً متَى ما يأتِكَ الخيرُ يَنْفَعا)

---

(١) ط : « يديل » ، صوابه فى ش . وذال الرجل يذيل ذيلا : تبختر فجرَّ ذيله . قال طرفة :

فذالت كما ذالت وليدة مجلس   تُرى ربَّها أذيال سحل ممدد

(٢) الخزانة ٧ : ٥٢٣ – ٥٢٤ .

(٣) فى كتابه ٢ : ١٥٢ وشرح أبياته للسيرافى ٢ : ٣٠٨ والضرائر لابن عصفور ٣٠ والعينى ٣ : ٣٤٤ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢٢٠ . وانظر العقد ٥ : ٣٩١ .

لما تقدَّم قبله من جواز دخول نون التوكيد اختيارا فى جواب الشرط ، فإنّ ينفعا جواب الشرط ، وقد أُكِّد بالنون المنقلبة ألفا .

وتقدَّم فيما قبله نقلُ كلام سيبويه ، وأنّه مخالف له .

وهذا البيت كذا رواه سيبويه ، وتبعه من جاء بعده ، ولم يذكر خدَمةُ كتابه تتمته ، ولا شرَحُوه شرحا وافياً بمعناه ، وإنّما قال الأعلم : هجا قوماً فوصفهم بحدثان النِّعمة . والخيزرانى : كل نبت ناعم ، وأراد بالخير المال .

هذا كلامه بحروفه . وقد رواهُ غير سيبويه بكسر العين مِنْ (ينفع) . على أنّه جوابٌ مجزوم . وكذا رواه الأصمعىّ بلفظ : « متى ما يدرك الخير ينفع » ، وقال : يقول : نميتم نماءً حسنا كما ينبت الخيزُران فى نَعْمته ولينِه ، أى وإنْ كنتم نبتُّم بأُخَرَةٍ فإنّ الخيزران متى يدركْ ينفعْ . انتهى .

وهذا يقتضى أنّ الخير بمعنى الخيزُران . وهذا غير معهود بهذا المعنى ، وأمّا استعمالُه فى المال فكثير ، قال تعالى : ﴿ إنْ تَرَكَ خيرًا [1] ﴾ أى مالا . وقال تعالى : ﴿ لا يَسأَم الإنسانُ مِن دُعاءِ الخَيْر [2] ﴾ أى لا يفتُر من طلب المالِ . وإن كانت الرواية « متى يدرك الخيزَ » بالزاى المعجمة لغة فى الخيزُران فما قاله صحيح ، لكنّى لم أرها فى كتب اللغة . وممّن رواه كالأصمعىِّ الجاحظُ [3] نقله عنه ابن عبد ربِّه قال (فى كتابه العقد الفريد) فى باب ما غُلِطَ فيه على الشُّعراء : وأكثر ما أُدرِكَ على الشُّعراء له مجازٌ وتوجيهٌ حسن ، ولكنّ أصحاب اللغة لا ينصِفونهم ، وربّما غَلِطُوا عليهم وتأوَّلوا غير معانيهم التى ذهبوا إليها . فمن

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤٩ من سورة فصلت .

(٣) وذلك فى كتابه (فخر قحطان على عدنان) ، كما سيأتى .

ذلك قول سيبويه ، واستشهَد ببيتٍ فى كتابه فى إعراب الشئ على المعنى لا على اللفظ ، وهو :

مُعاوِى إنّنا بشرٌ فأسجِحْ فلسنا بالجبالِ ولا الحديدَا

كذا رواه بالنصب ، وزعم أنّ اعرابه بالعطف على خبر ليس ، وإنّما قاله الشاعر بالخفض ، والشعر كلُّه مخفوض .

ونظير هذا البيت ما ذكره أيضاً فى كتابه ، واحتجّ به فى باب النون الخفيفة :

نبتُّم نباتَ الخَيزُرانىِّ فى الثَّرى حديثاً متى ما يأتِكَ الخيرُ ينفَعا

وهذا البيتُ للنَّجاشى ، وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ (فى فخر قحطان على عدنان) فى شعرٍ كلُّه مخفوضٌ ، وهو قوله :

يا راكباً إمَّا عرضْتَ فبلِّغَنْ بنى عامر عَنِّى وأبناءَ صعصعِ
نبتُّم نباتَ الخيزُرانةِ فى الثّرى حديثاً متى ما يأتك الخيرُ ينفعِ(١)

انتهى كلام ابن عبد ربه .

وقد تقدَّم فى الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة (١) أن البيت الأوّل من أبياتٍ منصوبة القوافى . وكذا يمكن أنْ يكون هذا البيتُ من أبيات منصوبة القوافِى وإنْ جاء من أبياتٍ مجرورة القوافى ، كما جاء فى ذلك البيت كذلك . ولهما نظائر أوردناها فى مواضعَ من هذا الكتاب ، فإنّ البيت الواحدَ قد يجئ فى شعرين لشاعرين فى أحدهما مجرور ، وفى الآخَر مرفوع أو منصوب ، كما تقدَّم فى الشاهد الخامس بعد الخمسمائة من باب الظروف (٢) . وسيبويه إمامٌ ثقة راوية ، لم يُورِدْ

---

(١) فى الخزانة ٢ : ٢٦٢ – ٢٦٤ .

(٢) الخزانة ٧ : ٢٥ – ٣٨ .

فى كتابه شيئاً إلاّ ما يعرفه حَقَّ المعرفة ، ولكنّا لقُصورنا ولعدم المساعدة قد لا نطَّلع على بعض ذلك . والله أعلم بحقائق الأمور .

وقوله : « إمّا عرضت » أى إن أتيت العَرُوض ، وهى مكة زادها الله شرفا . وصعصع : مرخم صعصَعَة للضَّرورة ، وعامر هو ابنه ، وإنما فصَله عن أبنائه لشهرة مَنْ سواه من أولاده بالأبناء . قال ابنُ الأعرابىّ : الأبناء ولد صعصعة ما خلا عامرًا ، وله ستّةَ عشرَ ولدًا ذكرا .

وقوله : (نبتُّم نباتَ) إلخ نبت نَبْتا من باب قتل ، والاسم النَّبات . والمعنى : نبتُّم كما ينبت الخيزُرانىّ . والخَيزُران بفتح الخاء وضم الزاى ، قال الصاغانى (فى العباب) : هو شجرةٌ وليس من نباتِ أرضِ العرب ، وإنمّا ينبُت ببلاد الهند . وهو عروقٌ ممتدَّة فى الأرض.وقد يقال لكلِّ طرىٍّ من النبت ناعمٍ خيزُران . انتهى . ولكونه عُروقا قال (فى الثرى) . و (حديثاً) حال من الخيزرانىّ ، ومعناه القريب : يقال هو حديثُ عهدٍ بكذا . والحديث أيضا : ضدُّ القديم . والحديث أيضاً : الحادث ، يقال حَدَث الشىء بعد أن لم يكن ، أى وُجد . والحديث أيضاً : الطرِىّ . وهذه المعانى كلّها مناسبة . يقول : لستم بأربابِ نعمةٍ قديمة ، وإنَّما حدثت فيكم عَن قُرب ، فقد نَمَيتُم كما ينَمِى الخيزُران بنعومةٍ وطراوة ، فإنَّ المال متى ما جاء نفع . وعلى هذا طريقةُ إرسال المثل . وقال العينى : حديثاً منصوب بفعل محذوف ، تقديره : حدَث حديثا . هذا كلامه .

وتقدمت ترجمة النجاشى فى الشاهد الخامس والسبعين بعد الثمانمائة [١] .

* * *

---

(١) الخزانة ١٠ : ٤٢٠ – ٤٢٢ .

٥٦٥ وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٧ (مَنْ نَثقَفَنْ منهمْ فليسَ بآيبٍ أبداً ، وقتلُ بنى قُتيبة شافِى)

على أنّه ربمّا دخلت النون فى الشرط بلا تقدُّمِ ما الزائدة .

وتقدَّم قبله أنّ هذا التوكيد عند سيبويه ضرورة . وكذا قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : إنّه ضرورة .

قال الأعلم : الشاهد فى إدخال النون على فعل الشرط ، وليس من مواضعها إلاّ أن يوصل حرف الشرط بِما المؤكِّدة . يقول : من ظفِرْنا بهِ من آل قتيبة بن مُسْلِم فليس بآيبٍ إلى أهله ، لما فى قتلهمْ من شفاء النفوس . يصف قتلَه وانتقالَ دولته وإظهارَ الشَّماتة به . انتهى .

وليس قتيبة ما ذكره ، ولو اطَّلَع على الشعر ما قاله .

صاحب الشاهد

والبيت أحد أبياتٍ ثلاثة لبنت مُرّة بن عاهانَ الحارثى ، رواها أبو عبد الله محمد بن عِمران المرزُبانى (فى كتاب أشعار النساء) قال : كتب إلىَّ أحمد بن عبد العزيز ، قال : أخبرنا عمر بن شَبّة قال : قالت بنت مُرّة بن عاهان أبى الحُصَين ، لمّا قتلته باهلة :

(إنّا وباهلَةَ بنَ أعْصَرَ بيننا داءُ الضَّرائر : بِغْضةٌ وتَقافِى
من نثقفن منهمْ فليس بآيبٍ أبداً وقتلُ بنَى قُتيبةَ شافى
ذهبَتْ قتيبةُ فى اللِّقاء بفارسٍ لا طائشٍ رعِشٍ ولا وَقّافِ)

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢ : ٢٦٣ والمقتضب ٣ : ١٤ . والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٣٠ والعينى ٤ : ٣٣٠ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والهمع ٢ : ٧٩ والأشمونى ٢ : ٣/٣١٠ : ٢٢٠ .

وحدثني أحمد بن محمد الجوهريّ قال : حدثنا العَنزيُّ قال : حدَّثنا التَّوَّزيُّ قال : حدثنا أبو عُبيدة قال : كان المنتشر بن وهبٍ الباهليُّ يُغاور أهلَ اليمن ، فقتَلَ مُرّة بن عاهان الحارثي ، فقالت نائحته :

يا عينُ بَكِّى لمرّة بن عاهانا لو كان قاتله من غير مَنْ كانا [(١)]
لو كان قاتلُه قوماً ذوِى حسب لكنّ قاتلَه بَهْلُ بن بَهلانا

قال أبو عبيدة : ما هُجُوا بمثله ، لأنّها صغَّرتْ بهم ، وإنمّا أرادت باهلة . انتهى .

وكذا رواها الأسود أبو محمد الأعرابى (فى فُرحة الأديب) .

قوله : « إنا وباهلةَ بن أعصر » أُريد بباهلة القبيلة المنسوبة إليها ثمّ إلى أعصُر ، لأنّ باهلة هى بنت صَعب بن سعد العشيرة من مَذحِج ، تزوَّجها مالك ابن أعصُر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، فولدت باهلةُ من مالك سَعدَ مناة . ثم تزوَّجها ابن زوجِها معنُ بن مالك بن أعصُر ، فولدت باهلةُ من معنٍ أَوْدًا ، وجِئاوة [(٢)] . وكان لمعن بن مالك أولادٌ من غيرها ، وهم : شيبان ، وزيد ، ووائل ، والحارث ، وحرب ، ووُهَيبة ، وعَمرو ، وأمّهم أرنب بنت شَمْخ بن فزارة . وقتيبة ، وقعنب ، وأمُّهُما سَودة بنت عَمرو بن تميم . فحضنت باهِلة هؤلاء التسعة فغلبَتْ عليهم ، فانتسبوا إليها .

فقتيبة فى هذا الشعر هو ابن زوج باهلة ، وهو قتيبة بن مَعْن بن مالك بن أعصُر . وما ذكره الأعلم باهليٌّ أيضا ، وهو من ولد وائل ، فإنّه قتيبة بن مسلم بن

(١) كذا ورد صدره مضطرب الوزن ، وهما من البحر البسيط .

(٢) فى النسختين : « جعاوة » ، صوابه فى الاشتقاق ٢٧١ ، ٢٧٤ والمعارف ٣٦ وجمهرة ابن حزم ٢٤٥ .

عمرو بن حُصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قُضاعيّ بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل .

فانظر ما بينهما . ولكنْ حصل للأعلم اشتباهٌ من تشارك الاسمين .

وكان قتيبة بن مسلم أمير خراسان لعبد الملك بن مروان ، والمنتشر بن وهبٍ كان من ولد وائلٍ أيضا ، فإنّه ابن وهب بن عَجلان بن سلمة بن كَرَاثَة بن هلال المذكور . ٥٦٦

وكان المنتشر ممن كان يعدُو أشدَّ من عَدو الظّبى ، هو وأوفى بن مَطر المازنى ، وسُلَيك بن السُّلَكة ، وتأبَّط شرًّا ، والشَّنفَرَى .

وقوله : « كان يُغاور أهلَ اليمن » أى يُغير عليهم . وبالآخرةِ قتله بنو الحارث ابن كعب ، كما تقدَّم فى ترجمته فى الشاهد السابع والعشرين من أول الكتاب [(١)] .

والأصمعىّ العالم الراوية المشهور باهلىٌّ أيضا . وهو من ولد قُتيبة بن معن ، واسمه : عبدُ الملك بن قُرَيبٍ ، بالتصغير ، ابن علىّ بن أصمع بن مُظَهِّر [(٢)] بن رِياح بن عَبد شمس بن أعيا بن سَعد بن عبد بن غَنْم بن قتيبة .

وكان الأصمعىّ يقول : لست من باهلة ، لأنّ أمَّ قتيبة بن معن تميميَّة ، ولكنْ حضنتْه فغلبت عليه . وإنما تبرَّأ منها لأنّ باهلة قبيلةٌ مذمومة فى العرب .

وقوله : « بيننا داء الضرائر » جمع ضَرّة بالفتح . وضَرّة المرأة : امرأة زوجها . وهذا الجمع نادرٌ لا يكاد يُوجَد له نظير ، فإنّ فعائل يكون جمع فعيلة لا فَعْلةٍ . وداء الضرائر هو التّباغُض والتضاربُ ، وهو معروف ، فيكون قولها :

(١) الخزانة ١ : ١٨٨ – ١٨٩ .

(٢) ط : « مطهر » ، صوابه فى ش ووفيات الأعيان والقاموس ، بالظاء المعجمة وكسر الهاء المشددة .

« بِغضةٌ وتَقَافى » تفسيراً للداء [١] . وبغضةٌ إمّا بدلٌ من داءُ ، أو خبر لمبتدأ محذوف . والبغضة بالكسر والبغضاء بالمدّ : شدّة البُغض . والتَّقافى : تفاعلٌ من قَفَيته أقفيه قَفْياً ، إذا ضربتَ قَفاه . وروى « نِقاف » بكسر النون ، وهو مصدر ناقَفَه . قال الليث : المناقفة هى المضاربة بالسيوف على الرءوس . وعلى هذا يكون بغضة بالجرّ بدلاً من الضرائر .

وقولها : (من نثقفن منهم) إلخ بنون المتكلّم مع الغير ، يقال ثَقِفْتُ الرجلَ فى الحرب : أدركته . وثَقِفته : ظفِرت به . وثَقِفته : أخذته . وثَقِفت الحديث : فهمتُه بسُرعة . والكلُّ من باب تعب . و (آئب [٢]) : راجع ، مِنْ آب من سفره ، يَؤُوب أوباً : رجَع . والإياب : اسم منه ، أى من نظفر به مِن باهلَة نقتلُه ولا ندعُه يرجع إلى أهله سالماً . فمن مبتدأ ، وجملة الشرط والجزاء خبره ، وجملة ليس بآئب هو الجزاء ، واسم ليس ضمير مَنْ ، والباء زائدةٌ فى خبرها . وروى : (من تثْقَفَنْ مِنّا) بالمثناة الفوقية للتأنيث ، فيكون فاعله ضمير باهلة . وروى أبو محمد الأعرابىّ (فى فرحة الأديب) : « من يثقَفُوا مِنّا فليسَ بوائل » . والوائل : الملتجئ ، من وأل يئل وَأْلاً [٣] ، إذا لجأ . والمَوئل : الملجأ . ولا تناسب هاتان الروايتان ما بعدَهما ولا المقام [٤] .

وقولها : « ذهبت قتيبة فى اللقاء » ، هو الحرب . والطائش : المتحيِّر . والرَّعِش : المرتعش من الخوف . والوقّاف : الذى لا يبارز العدوَّ وجُبنا .

---

(١) ط : « ونقاف » ش : « وتقا فى تفسير » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ش : « وبآيب » .

(٣) يقال وأل يئل وألا ووُءولاً ووَئيلاً .

(٤) فى النسختين : « ولا بالمقام » .

ومُرّة بن عاهان بن الشَّيطَان بن أبى ربيعة بن خيْثمة بن ربيعة بن كعب ابن الحارث بن كعب : أحد قبائل اليمن . وكان عاهان شريفاً عظيما بينهم ، ويقال له هاعان أيضاً . وهو جاهلٌى قديم .

والعينىُّ لم يأت فى شرح هذا البيت بشىء . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(ومن عِضَةٍ ما ينبُتنَّ شكيرُها)

على أنّه يجوز فى الاختيار بقلّة تأكيد الفعل المستقبَل فى غير الشرط ، إذا كان فى أوّله ما الزائدة .

قال سيبويه : ومن مواضعها أفعالُ غير الواجب ، التى فى قولك : بجهدٍ ما تبلغنَّ ، وأشباهِه . وإنما كانَ ذلك لمكان ما . وتصديقُ ذلك قولُهم فى مَثَل :

* ومِن عِضةٍ ما ينبتنَّ شكيرها *

وفى مثل آخر : « بألمٍ ما تُخْتَتِنَّه » وقالوا : « بعينٍ ما أرينَّك » . فما ههنا بمنزلتها فى الجزاء . انتهى .

وقد تقدم الكلام عليه فى الشاهد الحادى والخمسين بعد المائتين [1] .

* * *

(١) الخزانة ٤ : ٢٢ – ٢٣ .

٥٦٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س [١] :

٩٤٨ (رُبَّما أوفَيْتُ فى عَلَمٍ   تَرفَعَنْ ثوبِى شِمالاتُ)

على أنَّ توكيدَ ترفعُ بالنون الخفيفة ضرورة . وإنمّا حسَّن التوكيدَ زيادةُ ما فى ربَّ ، ووقوعُ ترفع فى حيِّز رُبَّما .

قال سيبويه بعد إنشاد البيت للضَّرورة : وزعم يونسُ أنّهم يقولون : رُبمَّا تقولنّ ذاك ، وأكثر ما تقولنَّ [٢] ذاك . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لملك الحِيرةِ جَذيمةَ الأبرش . قال الآمدى (فى المؤتلف والمختلف) : جذيمة الأبرش الملكُ كان شاعراً ، وكان أبوه مالك بن فهم ملكاً على العرب بالعراق عِشرين سنة ، وكان يقال لجذيمة الأبرشِ:الوضّاح ، لبرصٍ كان به . وملَكَ بعد أبيه ستِّين سنة . وكان ينزل الأنبار ، وهو القائل :

رُبمّا أوفَيْتُ فى عَلَم   ترفَعَنْ ثوبى شِمالاتُ
فى فُتُوٍ أنا كالئُهمْ   فى بلايا عَورةٍ باتُوا
ثم أُبنَا غانِمِينَ معاً   وأناسٌ بعدَنا ماتوا
ليت شعرى ما أماتَهمُ   نحنُ أدلجنا وهمْ باتوا)

فى أبياتٍ . ولجذيمة (فى كتاب الأزد) أشعار . انتهى .

---

(١) فى كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ٢ : ٢٨١ ونوادر أبى زيد ٢١٠ والمقتضب ٢ : ١٥ والمؤتلف ٣٤ والأزهية ٩٢ ، ٢٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ والمرتجل ٢٣٢ وابن يعيش ٩ : ٤٠ والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ورصف المبانى ٣٣٥ والمغنى ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٣٠٩ والتصريح ٢ : ٢٢ ، ٢٠٦ ، والهمع ٢ : ٣٨ ، ٧٨ والأشمونى ٢ : ٢٣١ / ٣ : ٢١٧ .

(٢) ط : « يقولن » ، صوابه فى ش وكتاب سيبويه .

يصف سرِيَّة أسرى بها ، أو انقطاعاً عرضَ له من جيشِه فى بعض مغازِيه ، فكان ربيئةً لهم ، ولم يكِلْ ذلك إلى أحدٍ أخذًا بالحزم والثِّقة . قال الأعلم : وصف أنّه يحفظ أصحابَه فى رأسِ جبل إذا خافوا من عدوّ فيكون طليعةً لهم . والعرب تفخر بهذا ، لأنّه دالٌّ على شهامة النَّفْس وحدّة النظر . والعَلَم : الجَبل . والشّمالات : جمع الشَّمال من الرياح ، وخصَّها لأنّها تهبُّ بشدّةٍ فى أكثر أحوالها . وجعلها ترفع ثوبَه لإشراف المرقَبة التى يَربأ فيها لأصحابه . انتهى كلامه .

وليس فى أبياته ما يدلُّ على أنّ أصحابه فى رأس جبل يخافون عدوًّا ، وهذا ذمٌّ . وإنّما المعنى : أنا أنظر لهم وأصعد على موضعٍ عال أرقُبهم ، وأنظرُ مَن يأتيهم .وقوله : « لأنّها تهب بشدّة » يكفى عنه قوله : ترفع ثوبَه ، لإشراف المرقبة ، إذ الرِّيح ولو أنّها الصَّبا إذا هبت على ثوبٍ من مكانٍ عال رفعَتْه . كذا قال ابن المستوفِي . وفى الأوّل نظَر .

و (أوفيت) على الشئ : أشرفتُ عليه ، ففى بمعنى على ، ويجوز أن تكون بمعناها على تقدير أوفيت على مكانٍ عال فى جبل . وقال ابنُ الأعرابّى : يقال أوفيت رأسَ الجبل . قال ابن يَسعون : فعلى هذا فى البيت حذف مفعولٍ تقديرُه ربمّا أوفيت مرقبةً أو شرَفاً فى رأس علم . والعلم بفتحتين : الجَبلُ . والشّمال ، بالفتح ويجوز الكسر بقلّة ، وهى الرِّيح التى تهبُّ من ناحية القُطْب . وفيها لُغاتٌ : شَمل بسكون الميم وفتحها ، وشمأَل بالهمز كجعفر ، وقد يشدّد لامه ، وشَأْمَل مقلوب منه ، وشَيْمل كصَيقل ، وشَوْمل كجوهر ، وشَمُول كصبور ، وشميل كأمير . وجمع الأوّل شِمالات وبه أنشده الجوهرىّ . ويجمع على شمائل أيضاً بخلاف القياس .

وفى قوله : (ترفعن) إلخ إشارةٌ إلى أنّ قميصه لا يلصَق بجلده لخَمصه . وهذا مدحٌ عندهم ، لا سيَّما مَن كان مثلَه من أهل النَّعمة . قال ابن المُلاَّ :

وجملة ترفَعَنْ إلخ حال من تاء أوفيت ، أو صفة لعَلَم ، والعائد محذوف أى فيه .

٥٦٨ واقتصر العينى على الأخير . وفى الأوّل نظر ، فإنَّهم قالوا : يجب تجرُّد الجملة الحاليَّة من عَلَم الاستقبال ، ولهذا غلط من أعرب جملة (سيَهْدِين) حالاً من قوله تعالى : ﴿ إنِّى ذاهبٌ إلى ربِّى سَيْهدِين (١) ﴾

قال شارح أبيات الإيضاح للفارسى (٢) : ترفعَن كلام منقطع مما قبله ، كأنه استأنف الحديث . وليس فى موضع حال ، لأنّ هذه النون لا تدخل على الحال . انتهى .

واستشهد به الفارسىُّ (فى الإيضاح) على وقوع الماضى بعد ربّ إذا كُفّت بما قال : وربَّ موضوعةٌ للإخبار عما مضى ، وهذا موضعٌ التكثيرُ به أولى من التقليل ، لأنّه المناسب للمدح .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّه مسوقٌ للافتخار ، ولا يناسبه التقليل .

قال شارح أبيات الايضاح : يحتمل بقاء ربَّ على معناها من التقليل ، لأنّ جَذيمة ملكٌ جليل لا يحتاج مثلُه إلى أنْ يُبتَذَلَ فى الطلائع ، لكنّه قد يطرأ على الملوك خلافُ العادة فيفخَرون بما ظهر منهم عند ذلك من الصَّبر والجلادة .

وأُورِدَ على ابن هشام بأنّ الافتخار بالقليل قد يقع لا من حيث قلّته ، بل من كونه عزيزَ المنال لا يُوصَل إليه إلاّ بشِقّ الأنفس ، فالظَّفَرُ به مع هذه الحالة يناسب الافتخار .

---

(١) الآية ٩٩ من سورة الصافات .

(٢) فى النسختين : « الفارسى » .

وأجيب بأنّه لم يدَّعِ عدمَ مناسبة القليل ، بل التقليل ، وهو غير مناسب للافتخار ، وإنْ كان القليل قد يناسبه بغير جهة قلّته .

وروى صاحب الأغانى البيتَ كذا « ترفع أثوابى شِمالاتُ » ، ورواه أيضا : ترفع الآثوابَ شمالات [(١)] » .

وقوله : « فى فُتُوٍّ أنا كالئُهم » فى متعلقة بأوفيت ، وفُتُوّ : جمع فتًى ، وهى السخيُّ الكريم ، والشابُّ أيضا ، جمع على فعول . وكالئهم : اسم فاعل مِن كلأهُ اللهُ يكلؤه مهموز بفتحتين ، أى حفِظه وحَرَسه . والبلايا : جمع بليَّة . والعَورة ، بفتح العين المهملة : موضع خللٍ يُتخوَّف منه فى ثغر أو حرب . وباتوا : ماضى يَبيتَ مبيتا ومَباتاً . وله معنيان أشهرهما اختصاصُ ذلك الفعل باللَّيل ، كما اختصّ الفعل فى ظَلَّ بالنهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا ، فمعناه فَعَله بالليل ، ولا يكون إلاّ مع سهر الليل . والثانى بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار ، سواء كان بليلٍ أو نهار . وعليه قوله ﷺ : « فإنّه لا يدرى أين باتت يُده » . والمعنيان هنا محتملان . وروى صاحب الأغانى هذا البيت كذا :

فى شبابٍ أنا رابئُهمْ   هُمْ لدى العَورات صُمَّاتُ

ورابئ : اسم فاعل من ربأت القوم بالهمزة رَبْئًا وارتبأتهم ، أى رَقَبتهم ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوقَ شَرَف . والربئ والربيئة على فعيل وفعيلة : الطَّليعة . والمربأة على مفعلة ، وكذلك المربأ : المرقبة . والعَوْرة تقدّم شرحها . وصُمَّات : جمع صامت ، وصَمْتُهم للحراسة [(٢)] . وروى الجوهرى :

(١) الذى فى الأغانى ١٤ : ٧٣ وهو الموضع الوحيد : « ترفعن ثوبى شمالات » ؛ فقد تكون تلك الروايات فى نسخ أخرى .

(٢) كذا أورد البغدادى شرحه وضبطه . وأراها صِمّات بكسر الميم ، جمع صِمّة بالكسر ، وهو الرجل الشجاع ، ومنه تسمية دريد بن الصمة .

في فُتـوٍّ أنــا رابئُهــم من كَلال غزوةٍ ماتـوا

والكَلال ، بالفتح : التعب . وهو مضاف إلى غزوة . والغَزْوة بمعجمتين . وجملة ماتُوا صفة ثانية لفُتُوّ . وأراد بالموت مقاساةَ الأهوال والشدائد .

وقوله : « ثم أُبنا غانمين » من آب يَئوبُ ، إذا رجع . ورواه صاحب الأغانى كذا :

ثم أُبنـا غانمِيــنَ وكَــمْ منْ أُنـاس قبلنـا ماتـوا (١)

وقوله : نحن أدْلجنا ، يُقالُ : أدلج إدْلاجاً ، إذا سار اللّيلَ كلَّه . وباتوا بالموحَّدة . وروى صاحب الأغانى المصراع الأوّل كذا :

* ليت شعرى ما أطافَ بهم *

وروى غيره :

* ليت شعرى ما أصابهُمُ *

٥٦٩
جذيمة الأبرش

وجذيمة الأبرش بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، قال الجاحظ (فى البيان والتبيين) : عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبى ، أنّ جذيمة الوضّاح هو الأبرش التنوخى الأزدى ، وهو آخر ملوك قُضاعة بالحِيرة ، وهو أوّل من حَذَا النِّعالَ واتَّخذ المَنجنيقَ ووضعَه على الحصون ، وأوّل من أدلج من الملوك ، وأوّل من رُفِع له الشَّمع (٢) .

وكان جَذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدِهمْ مُغاراً ، وأشدِّهم نِكاية ، وأظهرِهم حَزْما . وهو أوّل من استجمع له المُلك بأرض العراق وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برص ، وكانت العرب تكنى عن أن تسمِّيه به وتنسبه إليه ،

---

(١) الذى فى الأغانى : « وكم كَرَّ ناس قبلنا » .
(٢) هنا ينتهى نص البيان والتبيين . أما بقية النص فقد أخذ البغدادى طرفا منه من الأغانى .

إعظاماً له فَقيل له جَذِيمة الوضّاح ، وجذيمة الأبرش . وكانت منازلُه فيما بين الحِيرة والأنبار وبَقّة ، وهِيت وناحيتها ، وعين التّمر وأطراف البرّ ، وتُجبَى إليه الأموالُ وتَفِدُ عليه الوفود . وكان غزا طسماً وجديسا فى منازلهما من جَوٍّ وماحوله . وجَوّ هى اليمامة ، فوافق خُيولَ حسّان بن أسعد أبى كرب قد أغارتْ على طَسم وجديس ، فانكفأ جَذيمةُ راجعاً . انتهى .

وتقدم ذكرُ مقتله فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٩٤٩ (يَحسَبُه الجاهلُ ما لم يَعْلما شيخاً على كُرسيِّهِ مُعَمَّما)

على أنّ نون التوكيد تدخل بعد لم تشبيهاً لها بلا النهي عند سيبويه . وأنشَدَ هذا الشعر .

وتقدّم نقلُ كلامه قبل أربعة أبيات ، وأنّه عنده ضرورة ، وأصله ما لم يعلمَنْ ، فقلبت النون ألفاً للوقف .

قال ابن الأنباريّ (فى مسائل الخلاف) : يدلُّ على أنّ النون الخفيفة ليست مخفّفة من الثقيلة أنّها تتغيَّر فى الوقف ، ويُوقَف عليها بالألف ، قال تعالى :

---

(١) الخزانة ٧ : ٢٩٣ — ٢٩٥ .

(٢) فى كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر نوادر أبى زيد ١٣ ومجالس ثعلب ٦٢٠ والأصول لابن السراج ٢ : ١٧٩ ، ٢٠٩ والاقتضاب ٣٤٥ وابن الشجرى ١ : ٣٨٤ والإنصاف ٦٥٣ وابن يعيش ٩ : ٤٢ والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ، ٤٨ ورصف المبانى ٣٣ ، ٣٣٥ والعيون الغامزة ٢٤١ ، ٢٤٢ والمغنى ٣٢٩ والعينى ٤ : ٣٢٩ والتصريح ٢ : ٢٠٥ والهمع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢١٨ والدمنهورى ٨٩ .

﴿ لنسفعاً بالنَّاصية [(١)] ﴾ وقال تعالى : ﴿ ليُسْجَنَنَّ وليكوناً من الصَّاغرين [(٢)] ﴾ أجمع القراء على أنّ الوقف فيهما [(٣)] بالألف لا غير . وقال الشاعر :

* يحسَبهُ الجاهلُ ما لم يعلما *

ولا يجوز أن يكون ههنا بالنون لمكان قوله « معمَّما » بالألف ، لأنَّ النون لا تكون وصلا مع الألف فى لغة مَنْ يجعلها وصلا ، ولا رَوِيًّا مع الميم إلاّ فى الاكفاء ، وهو عيبٌ فى قوافى الشعر . ولو جاز أنْ تقع رويًّا معها لما جاز ههنا ، لأنّ النون مقيَّدة والميم مُطلقة ، فإنْ أُتِىَ بتنوين الإطلاق على لغة بعض العرب فقال مُعَمَّمَنْ جاز أن يقول : يعلمن ، لأنَّهم يجعلون فى القافية مكان الألف والواو والياء تنويناً ، ولا فرق عندهم فى ذلك بين أن تكون هذه الأحرفُ أصليَّة أو منقلبةً أو زائدة ، فى اسمٍ أو فعل كقوله : « والعِتَابَنْ » ، و « لقد أصابن [(٤)] » ، ونحو ذلك . انتهى .

صاحب الشاهد

وهذا الشعر من قصيدة مرجّزة ، أوردها الأسود أبو محمدٍ الأعرابىّ (فى ضالة الأديب) ، وهى :

أبيات الشاهد

(عَبسيَّة لم تَرْعَ قُفًّا أدْرَما ولم تعجِّم عُرُفطاً معجَّما
كأنَّ صوتَ شَخْبِها إذا هَمَى بين أكُفِّ الحالبَيْنِ كُلَّما
شَدَا عليْهنّ البنانَ المحْكَما سَحيفُ أفعًى فى خَشيٍّ أعشَما [(٥)]
وقد حَلَبْنَ حيثُ كانت قُيَّما مَثْنَى الوِطاب والوطَابَ الزُّمَّما

(١) الآية ١٥ من سورة العلق .

(٢) الآية ٣٢ من سورة يوسف .

(٣) أى فى « لنسفعاً » و « ليكونا » .

(٤) انظر الشاهد الرابع من الخزانة ١ : ٦٩ . وهو لجرير .

(٥) ط : « شد » ، صوابه فى ش . والضمير للحالَبيْن . وفى ش : « سخيف أفعى » ، صوابه بالمهملة كما فى ط والتفسير التالى .

٥٧٠

وقِمَعاً يُكسَى ثِمالاً قَشْعما ... يحسبُه الجاهلُ ما لم يعلما
شيخاً على كُرسيِّه مُعمَّما ... لو أنّه أَبانَ أو تكلَّما
لكان إيّاهُ ولكنْ أعجما ... أتْعَبْنَ ذا ضَبْعيَّةٍ ملوَّما (١)
عند كرامٍ لم يكنْ مكرَّما ... عَذَّبه اللهُ بها وأغْرَما
وُلَيِّداً حتّى عسا واعْرَنْزَما ... قد سالم الحياتُ منه القدَما
الأُفْعُوَانَ والشُّجاعَ الشَّجعَما ... وذاتَ قَرْنينِ ضَروساً ضِرزِما (٢)
يَبِتْن عند عَقِبَيْهِ جُثَّما (٣) ... حَتّى غدون وغَدَا مسلَّما
يَتبع منها الدُّلَّحاتِ الرُّوَّما ... يَعرِفنَ منه الرِّزَّ والتكلُّما)

قوله : « عبسيَّة » أى هذه الإبلُ عبسيّة ، أو لنا إبلٌ عَبْسية ، منسوبة إلى عَبْسٍ ، أبو قبيلة . ولم تَرْعَ ، من الرَّعى . والقُفّ ، بضم القاف وتشديد الفاء : ما ارتفعَ من الأرض وغلُظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً . وقُفًّا : ظرفٌ لِقَوله : لم ترع . والأدرم ، فى القاموس ، هو المستوى . وقال العينى : الذى لا نباتَ فيه .

وقوله : « لم تعجِّم » بالتشديد ، من عجمَت العود أعجُمه بالضم عَجْما ، إذا عَضِضتَه لتعرفَ صلابته من خَوَره . والمراد لم تمضُغ . والمعجَّم : المعضّض . والعُرفط كقنفذ : شجرٌ من أشجار البادية . قال أبو حنيفة الدينَوريُّ (فى كتاب النبات) : العُرفط من العِضاه ، وهو مفترشٌ على الأرضِ لا يذهب فى السماء ، وله ورقةٌ عريضة وشوكةٌ حَجْناء ، وهو ما يلتحى لحاؤُهُ ويُصنَع منه الأرشية ، ويخرج فى بَرَمِهِ غُلْفةٌ كأنّه الباقِلّى ، تأكله الإبل والغنم . وهو خبيث الريح ، وبذلك يُخبث ريحَ راعيتِهِ وأنفاسَها ، حتّى تتنحَّى عنها . وهو من أخبث المراعى . انتهى .

---

(١) ط : « مكوما » صوابه فى ش .
(٢) ط : « ضروس » ، صوابه فى ش .
(٣) ط : « جسما » ، صوابه فى ش .

وقال الأزهريّ : العُرفط : شجرة قصيرة متدانية الأغصان ، ذاتُ شوكٍ كثير ، تنبُت فى الجبال . انتهى .

وقوله : « كأنَّ صوتَ شَخْبها » وصف حَلب الناقة وشبه صوت دِرّتها بصوت أفاعٍ فى خِشيّ . والشَّخْب ، بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين : مصدر شخَب اللبنُ يشخَب بفتحهما ، ويشخُب بالضم ، إذا خرج من الضَّرع . والأشخوب بالضم : صوت الدِّرَّة . وهَمَى يَهمِى ، إذا سال .

وقوله : « شدَا عليهنَّ » إلخ شَدَا ، بالشين المعجمة والدال المهملة ، بمعنى غَنّى ، وفاعله الشَّخب ، والبنان مفعوله بتقدير اللام ، وضمير عليهنَّ للأكفّ . يقال شَدَا شعراً أو غِناءً ، إذا غنَّى به أو ترنَّم به [1] .

وقوله:« سحيفُ أفعى » هو خبر كأنّ . والسَّحيف بمهملتين ، كأمير : الصَّوت ، جعله للأفعى ، وأصله صوت الشَّخب . قال الصَّغانى : السحيف : صوت الشَّخب . وقال أبو مالك : ناقةٌ أسحوف الأحاليل ، إذا كانت كثيرة اللَّبن ، كأنّه يسمع لصوت شخبها سَحفة ، وهى سحيفها . وأنشد الأصمعىّ :

حَسبت أنّ شَخْبها وسَحَفَهْ أفعًى وأفعًى طافياً بِنشَفَه

والنَّشفة : الحجارة المُحْرقَة من حجارة الحَرّة . ويقال أيضا سمعت حفيف الرحى وسحَيفَها ، أى صوتَها إذا طحنت . انتهى .

والأفعى : الحيّة ، والخَشىّ بالخاء المعجمة والمهملة كأمير : الشيء اليابس . وفى القاموس : الخشىُّ بالمعجمتين : يابس النبت . والأعشم ، بإهمالِ

---

(١) كذا أنشده البغدادى وفسره . وأنا أقرؤه : « شَدًّا عَليهنَّ البنان » أىّ شد الحالبان على تلك الإبل البنان المحكم حينما يحتلبانها » . أما السحيف فى الشطر التالى فهو خبر كأنّ ، شبَّهَ صوت الشخب بصوت سحيف الأفعى . وفى ط : « شد » فى الموضعين السابقين ، صوابه فى ش .

العين وإعجام الشين : اليابس من الحُمَّاض ، ويقال العَيْشوم أيضا . وفى القاموس : الأعشم : الشجر اليابس ، وكلُّ شجرة يابسُها أكثر من رَطْبها . ٥٧١ وروى بدله :

* صوت الأفاعى فى خَشىٍّ أخشما *

[والأخشم [١]] والأشخم : الذى ابيضَّ بعد خُضرته . ومثله قولُ الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المرفضِّ كشيشُ أفعًى أجمعَتْ لعضٍّ [٢]

* فهى تحكُّ بعضَها ببعض *

شبَّه صوت شَخْبِها بكشيش الأفعى إذا همّت [٣] بأنْ تثِبَ للعضّ . والمرفَضّ : المتفرّق لكثرته . وأجمعَتْ : عزمت . وقوله « قُيَّما » : جمع قائمة ، والقياس قوَّم .

وقوله : « مثْنَى الوِطاب » هو مفعول حَلبن ، على حذف مضاف ، أى ملء مَثْنَى الوِطاب . والمثنَى هنا بمعنى المكرَّرة ، كما فى قولهم : مَثْنَى الأيادى ، أى يُعِيد معروفَه مرّتين أو ثلاثا . قال أبو عبيدة : مثنى الأيادى : الأنصباء التى كانت تفضُل من الجزورِ فى الميسِر ، فكان الرجلُ الجوادُ يشتريها فيُطعِمُها الفقراء . وقال أبو عمرو : هى أنْ يأخذ القِسْمَ مرّة بعد مرّة . والوطاب : جمع وَطْب ، وهو سِقاء اللَّبنِ خاصّة . قال ابن السكيت : هو جلد الجَذَع فما فوقَه ، وجمعه فى الكثير أوطابٌ ، وفى القليل أوطُب . والزُّمَّم : بضم الزاء وتشديد الميم : جمع زامٍّ ، من زَمّ . قال صاحب القاموس : زمَّ القِربة : ملأها .

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الرجز فى أدب الكاتب ١٣٥ والاقتضاب ٣٤٥ والجواليقى ٢٣٣ والمخصص ٨ : ١١٥ واللسان (كشش) .

(٣) ط : « إذ همت » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « وقِمَعا » ، وروى بدله : « وقِصَعاً يُكسَى » إلخ ، بكسر القاف وفتح الميم : آلة تُجعَل فى فم السقاء ونحوِه ، ويُصَبُّ فيها اللبن ونحوُه . وقَمعْتُ الوَطْب ، أى وضعتُ فى رأسه القِمَع . والثُّمال ، بضم المثلثة ، قال صاحب العباب : هى الرِّغوة ، والقطعة ثُمالة . قال أبو زيد (فى نوادره) : كلُّ شىء يكون ضخما فهو قَشْعَم . وأنشد :

* وقِصَعاً تُكسَى ثُمالاً قَشْعما (١) *

والثُّمَال : الرِّغوة . انتهى . ولم أر القشعم بهذا المعنى إلاّ فيها .

وقوله : « يحسبه » أى يحسب الثُّمال . وما مصدريّة ظرفيّة . ويعلم هنا بمعنى يَعرِف ، ومفعوله محذوف ، وهو ضمير الثمال . و « شيخاً » هو المفعول الثانى ليحسبه ، وما بعده صِفتان له . شبّه الرِّغوة التى تعلو القِمَع بشيخ معمَّم جالس على كرسىّ . وهذا تشبيهٌ ظريف جيّد . ولم يصب الأعلم فى قوله : وصف جبلاً قد عمّه الخصب وحَفَّه النباتُ وعَلاَه ، فجعله كشيخ مزمَّل فى ثيابه ، معصَّب بعمامته ، وخَصّ الشيخ لوَقارَتِهِ فى مجلسه (٢) ، وحاجته إلى الاستكثار من الناس . هذا كلامه ، وكأنّه لم يقفْ على هذه الأبيات .

وقوله : « لو أنّه أبان » أى لو أنّ ذلك الثّمالَ الذى يشبه الشيخ . وأبان ، أى جاء بالبيان ، وهو الإفصاحُ عمَّا فى الضمير . وقوله : « لكان إيّاه » ، أى لكان الثمال ذلك الشيخَ . والأعجم : مَن لا يقدر على الكلام أصلاً . والأعجم أيضا : الذى لا يفصح ولا يُبين كلامَه ، وإن كان من العرب . والأعجم أيضاً : الذى فى لسانه عُجمةٌ وإن أفصح بالعجميَّة ، والمراد هنا الأوّل .

---

(١) ط : « إذ همت » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « لوقاره » ، والوقارة والوقار سيان ، وكذلك القِرة كعِدة ، وهى الحلم والرزانة

وقوله : « أَتَعْبَن ذا ضَبْعيَّة » ، أى أتعبت هذه الإبل راعياً ذا ضَبْعيَّةٍ ، أى ذا قوّة ضَبْعيّة ، نسبة إلى الضَّبْع بفتح الضاد المعجمة وسكون الموحدة ، وهو العضد . والملوَّم : الذى يُلام لوماً كثيراً ، لسوءِ ما يأتى .

وقوله : « عِند كرام » ، بالنون ، وروى أيضاً : « عَبْد كرام » ، بالموحَّدة .

وقوله : « عذّبهُ الله بها » ، أى بخدمة هذه الإبل ، والجملة خبريّة أو دعائية . وأُغْرِمِ من أغرمه الله ، أى جعله الله ذا غَرَام ، فهو مُغْرَم . والغرام : الشَّرُّ الدائم .

وقوله : « وليِّدا » إلخ هو مصغّر وليد ، كأمير . صغّره تحقيراً له . وعَسا هنا من عسا الشيء يعُسو عسُوًّا ، أى يبِس وصلُب . قال الأخفش [1] : عسَتْ يده تَعْسُو : غلُظت من العمل . واعرنزم ، بالعين والراء المهملتين بعدهما نون وزاى ، أى اجتمع واشتدَّ .

٥٧٢

وقوله : « قد سالم الحيّاتُ » إلخ أنشده سيبويه إلى قوله : « ضموزا ضرزما » برفع الحيات ونصب الأفعوانَ وما بعده ، وقال : فإنمّا نصب الأفعوان والشُّجاع لأنّه قد علم أنّ القدم ههنا مُسالِمة كما أنّها مسالَمة ، فحَمَل الكلامَ ، على أنها مسالِمة . انتهى . فيكون الأفعوان وما بعده منصوباً بإضمار فعل ، كأنّه قال : وسالمت القدمُ الأفعوانَ والشّجاعَ . فالمسالمة واقعة منهما . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى ، وفى شرح أبيات الجمل) : كان القياس رفعَ الأفعوان وما بعده على البدل من الحيات ، لكنّه حمله على فعل مضمر يدلُّ عليه سالَمَ ، لأنّ المسالمة إنمّا تكون من اثنين فصاعدا ، فلما اضطُرّ إلى النصب حمل الكلام على المعنى . وقال الفراء : الحيات بالنصب مفعول بها ، والفاعل القدمان ، وهو مثنًّى فحذف نونه للضرورة . انتهى .

---

(١) ش : « قال الأحمر » .

وقال ابن هشام (فى آخر المغنى) : نصبُ الحيات هو على الفاعليّة ، فإنّه قد يُنَصب الفاعل عند أمْنِ اللَّبس . وأقول : الفراء إنّما رواه كسيبويه ، قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ الأغلالُ فى أعْنَاقِهِمْ والسَّلاسِلُ يُسحَبُون [١] ﴾ ، تَرفَعُ الأغلال والسلاسل ، ولو نصبت السلاسل تريد : يسحبون سلاسلَهم فى جهنَّم . وذكر الكلبى عن [أبى صالح عن [٢]] ابن عباس أنّه قال : وهُمْ فى السلاسل يُسحَبون ، فلا يجوز خفض السلاسل والخافض مضمر ، ولكن لو أنّ متوهِّماً قال : إنما المعنى إذْ أعناقهم فى الأغلال وفى السلاسل يسحبون ، جاز الخفض فى السلاسل على هذا المذهب . ومثله مما رُدّ إلى المعنى قولُ الشاعر :

قد سالم الحياتُ منه القدَما الأفعوان .... إلخ

فنصب الشجاعَ ، والحيّاتُ قبل ذلك مرفوعة ، لأنّ المعنى قد سالمت رجلُه الحيات وسالمتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعاً [على الحيّات [٣]] . انتهى كلامه .

وعزا ابن جنى (فى الخصائص) رواية نصب الحيّات إلى الكوفيِّين ، ونسبها بعضُهم إلى البغداديِّين . والله أعلم .

وقد رجّحه اللخمى (فى شرح أبيات الجمل) قال : ويروى بنصب الحيات ، فتكون القدم فاعلَه . وأراد القدمان ، فحذف النون ضرورة . ومما يدلُّ على أن القدمين قد حُذف نونه للضرورة قولُه بعد هذا :

هَمَمْن فى رجلَيهِ حتى هوَّما ثم اغتدَيْنَ واغتدى مُسلَّما

---

(١) الآية ٧١ من سورة غافر ، أو المؤمن . وانظر معانى الفراء ٣ : ١١ .

(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطى ومعانى الفراء .

(٣) التكملة من ش بخط الشنقيطى ومعانى الفراء . وكتب الشنقيطى مع هذا : « لأنه تمام كلام الفراء وانتهاؤه » .

فقوله : « همَمْن فى رجليه » دليلٌ على أنّ القَدَما تثنية . وقوله : « ثم اغتدين » إلخ دليلٌ على أنّ بعضها قد سالم بعضا . وقوله « واغتدى » إخبار عن صاحب القدمين لا عن القدم ، لأنّه إذا سلمتْ قدماه فهو مُسَلَّم . ومعنى هَمَمْنَ : دَبَبْنَ . هذا كلامه .

والأفعوان بالضَّمّ : الذكر من الأفاعى . والشُّجاع : الذكر من الحيّات . والشَّجعم : الجرىء ، وقيل الطويل مع عِظَم جسم ، والميم فيه زائدة .

وقوله : « وذاتَ قَرْنين » ، هى الأفعى القَرْناء ، وضربٌ من الأفاعى يكون له قرون من جلِده ، وليست كالقرونِ المعروفة . قال اللَّخميّ : ذات قرنين : حيّة لها قرنان ، وهما لحمتان فى رأسها مِن عَنْ يمينٍ وشِمال ، وقيل يعنى العقرب . والضَّروس : فعول من الضَّرْس ، وهو العضّ الشديد بالأضراس . وروى بدله : « الضموز » بالمعجمتين ، كصبور ، وهى الحيّة المطْرِقة التى لا تَصفِر لخُبْثها فإذا عَرَض لها إنسانٌ ساورته وثْبا . والضِّرزم ، بكسر المعجمتين بينهما راء مهملة ساكنة : الحيّة المسِنّة ، وهو أخبث لها وأكثر لسُمّها . وقيل : هى الشّديدة النَّهش . وصفه بغلظ القدمين وصلابتهما لطول الحفَى ، فذكر أنّه يَطَأ على الحيّات والعقارب فيقتلها ، فقد سالمت قدميه فما تُقدِم أن تدخلَ تحتها ، كما سالمت القدمان الحيّاتِ فاغتدين مسلَّماتٍ واغتدى الرجلُ سالمَ القدمين .

٥٧٣

وقوله : « يبتن عند عطفيه » ، أى تبيت الحيّات عند قدميه . وروى بدله :

همَمْن فى رجليه ثُمَّ هوّما ثم اغتدين .... إلخ

فى الصحاح : الهميم : الدبيب ، وقد هممت أهِمّ بالكسر ، هَمِيما . وهوّم الرجلُ ، إذا هزّ رأسه من النعاس .

وقوله : « يتبع منها » إلخ . رجع إلى ذكر الإبل . وضمير منها للإبل . ودُلّح : جمع دالحة بالحاء المهملة ، من دلح الرجل إذا مشى بحِمله غيرَ منبسطِ

الخَطْو [١] لثقله عليه . والرُّوَّم : جمع رائمة ، من رئمت الناقة ولدها رِئمانا ، إذا أحبَّته . والرِّزّ ، بكسر الراء المهملة وتشديد الزاى : الصوت . قال الجوهرىّ : تقول سمعت رِزّ الرَّعدِ وغيره .

وقد تحرَّفت هذه الكلمة على العينى فقال : الزَّرّ بفتح الزاى المعجمة وتشديد الراء ، وهو العضّ . انتهى . وهذا لا وجه له هنا .

صاحب الشاهد

وقد روى الحُلوانىّ (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمَّهاتهم) الأبيات الأخيرة ، من قوله :

* عَبْد كرام لم يكن مكرَّما *

إلى آخرها باختلافٍ فى بعض الألفاظ ، ونسب الشعرَ إلى ابن جُبَابة ، بضم الجيم وبعدها موحّدتان خفيفتان . وهو شاعرٌ جاهلىّ لص . قال : وهو من بنى سعد ، ثمَّ بنى عوف بن سعد بن جُبابة ، وهى أمُّه ، واسمُه المِغْوار بن الأعْنَق ، واسم الأعنق حَيدة بن كعب ، وكان لصًّا . انتهى .

ونسب ابن السِّيد واللخمى هذا الشعر إلى مُساورٍ العبسى ، ونسبه بعضُهم إلى العّجاج .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنَّف) : للعجَّاج قصيدةٌ يشبه أن تكون هذه الأبيات منها ، والرواية تختلف ، وأبيات العجاج فى صفة فحل من فحول الإبل . انتهى .

وقال العينى : قال ابن هشام : هو لأبى حيَّان الفقعسىّ . وقال السيرافى : قائله الدُّبيرى . وقال الصَّاغانى : قائله عبد بنى عبس . انتهى .

---

(١) ط : « غير متبسط المشى » .

مساور بن هند العبسىّ

ومساورٌ العبسىُّ هو مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جَذيمة العبسى ، شاعرٌ شريف فارس ، مخضرمٌ إسلامىّ ، ذكره ابن حجر (فى الإصابة ، فيمن أدرك النبى ﷺ ولم يجتمع به) ، وكان جدُّه قيس مشهوراً فى الجاهلّية ، وهو صاحب حَرب داحسٍ والغبراء . وروى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنّه قال : حدَّثنى من رأى مُساور بنَ هند أنّه ولد فى حرب داحسٍ قبل الإسلام بخمسين عاما . وذكره المرزبانى (فى معجم الشعراء) ، وذكر له قصّة مع عبد الملك ، وكان أعور . وهو من المتقدِّمين فى الإسلام ، وهو وأبوه وجده أشرافٌ شعراءُ فُرسان . انتهى ما ذكره ابن حجر .

وقال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء [1]) : مساور بن هند كنيته أبو الصَّمعاء ، وجدّه قيسٌ هو صاحب الحرب بين فزارة وعبس ، وهى حرب داحسٍ والغبراء . وكان المساور يهاجى المرَّار الفقعَسىَّ ، ويهجو بنى أسد ، قال :

ما سرَّنى أنّ أُمِّى من بنى أسدٍ   وأنّ ربِّىَ يُنجينى من النارِ
وأنّهمْ زوّجونى من بناتِهِم   وأنّ لى كلَّ يوم ألفَ دينارِ

٥٧٤

و [قال [2]] المرار يجيبه :

لسْتَ إلى الأمِّ من عَبْسٍ ومن أَسدٍ   وإنّما أنتَ دينارُ بنُ دينارِ
وإنْ تكن أنتَ من عبسٍ وأمِّهِمُ   فأمُّ عَبْسِكُم من جارةِ الجارِ

وفيه يقول الشاعر :

شَقِيتْ بنو أسد بشعر مساورٍ   إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبلٍ يُخنَق

وقال له الحجاج : لِم تَقولُ الشعرَ بعد الكِبَر ؟ قال : أُسقَى به الماءَ ، وأُرعى به الكلأ ، وتُقضَى لى به الحاجة ، فإنْ كفيتَنى ذلك تركتُه . انتهى .

---

(١) الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) التكملة من ش . والذى فى الشعراء : « فقال له المرار » .

وهو من المعمَّرين ، ولم يذكره أبو حاتم السجستانى (فى المعمرين)

ومن هجوه لبنى أسد قوله :

زعـــمتم أنّ إخوتَكـــم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلافُ [1]
أولـئك أُومِنُـوا جُوعـاً وخَوفـاً وقد جاءَتْ بنو أسد وخافوا

واستشهد بالبيت الأوّل لقراءة أبى جعفر : ﴿ لإلْفِ قريش ﴾ ، من ألِفَ يألفُ إلفا . والبيت قد جمع القراءتين [2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد التسعمائة [3] :

٩٥٠ (أرَيتَ إنْ جئتُ به أُملودا مُرجَّـلا ويلـبسُ البُـرودَا)
* أقائلُنَّ أحضِرِيِ الشُّهودا *

على أنَّ نون التوكيد قد تلحق اسم الفاعل ضرورة ، تشبيها له بالمضارع .

قال ابن جنى (فى باب الاستحسان من كتاب الخصائص) : الاستحسانُ علّتهُ ضعيفة غير مستحكِمة ، إلاّ أنَّ فيه ضربا من الاتِّساع والتصرُّف ، ومن ذلك :

* أريتَ إن جئتُ به أُمْلُودا * إلخ

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ٩٥ والحماسة بشرح المرزوقى ١٤٤٩ واللسان (ألف) وتفسير أبى حيان ٨ : ٥١٤ .

(٢) انظر كشاف الزمخشرى ٢ : ٤٤٤ وتفسير أبى حيان وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٤ .

(٣) المحتسب لابن جنى ١ : ١٩٣ والخصائص ١ : ١٣٦ والضرائر ٣١ والمغنى ٣٣٩ والعينى ١ : ١١٨ / ٣ : ٦٤٨ / ٤ : ٣٣٤ والتصريح ١ : ٤٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكرى ٦٥١ وملحقات ديوان رؤبة ١٤٣ واللسان .

فألحق نون التوكيد اسمَ الفاعل تشبيها له بالفعل المضارع ، فهذا استحسانٌ لا عن قوّة علّة ، ولا عن استمرار عادة . ألَاتراك لا تقول : أقائمنَّ يا زيدون ، ولا أمنطلقُنَّ يا رجال [١] ، إنمّا تقوله بحيث سمعته ، وتعتذر له ، وتَنْسُبه إلى أنّه استحسان مِنهم على ضعفٍ منه ، واحتمالٍ بالشّبهة له . انتهى .

وقال أيضا (فى سر الصناعة) : وشبَّه بعض العرب اسمَ الفاعل بالفعل ، فألحقه النونَ توكيداً ، فقال :

* أريتَ إن جئتُ به أُملودا *

إلى آخر الشعر . يريد : أقائلون ، فأجراه مجرى أتقولون . وقال الآخر :

ياليت شعرى عنكُمُ حنيفَا أشاهِرُنَّ بعدنَا السُّيوفا [٢] . انتهى

وهذا من رجز أورده السكّرى فى أشعار هذيلٍ لرجلٍ منهم بلفظ : « أقائلون » ، قال : وقال رجلٌ من هذيل :

أريتَ إن جاءت به أُملودا مُرجَّلا ويلبس البُرودا

– أى إن جاءت به مَلِكًا أُملودًا أملس –

* ولا ترَى مالاً له معدودا *

– أى لا يَعُدُّ مالَه من جوده –

أقائلون أعجِلِى الشهودا فظَلْتَ فى شرٍّ من اللَّذْ كِيدَا

* كاللَّذْ تزبَّى صائداً فصِيدَا *

ويروى : « فاصطيدا ».تزبَّى زُبيةً : حَفَر زُبْيةً . واللَّذْ ، يريد الذى ، يقول :

(١) ط : « أمنطلق يا رجال » ، صوابه فى ش والخصائص .

(٢) لرؤبة فى ملحقات ديوانه ١٧٩ وهو الشاهد التالى برقم ٩٥١ .

أرأيت إن ولدَتْ هذه المرأةَ رجلاً هذه صفتُه أيقال لها أقيمى البيِّـنةَ أنّك لم تأتِي [١] به من غيره . انتهى .

وكذا أورده ابن دريد (فى أماليه) بدون :

* ولا ترى مالاً له معدودا *

قال : أخبرنا أبو عثمان التَّوَّزىُّ عن أبى عُبيدة قال : أتى رجلٌ من العرب أمَةً له ، فلما حَبِلت جَحدها ، فانشأت تقول :

* أريتَ إن جاءت به [٢] * إلى آخره .

وعلى هذا فلم تلحق النون اسم الفاعل ، فلا ضرورة فيه . وعلى رواية النون فقوله أقائُلنّ جمع ، وأصلُه أقائلون ، كما ورد به الرواية ، وصرَّح به ابن جنى . ويلزم منه أنْ تكون لامه مضمومة ، فلمّا أُكِّد وصار أقائلونَنّ حذفت نون الجمع لتوالى الأمثال ، وحذفت الواو أيضاً لاجتماعها ساكنة مع نون التأكيد ، وبقيت الضمة دليلاً عليها . ولا يجوزُ أنْ يكون أصله : أقائلٌ إنّا ، لأنّه مقام الخطاب لا مقام التكلّم .

وبما نقلنا يُردُّ على الدمامينى قوله (فى الحاشية الهندية ، وفى شرح التسهيل) : ولقائل أن يقول : لا نسلم أنّ فى قوله أقائلُنّ توكيداً ، لاحتمال أن يكون أصله أقائلٌ إنّا فحُذفت الهمزة اعتباطاً ، ثم أدغم التنوين فى نون إنّا على حَدِّ : ﴿ لكنّا هو اللهُ ربِّى [٣] ﴾ كما قيل فيه . انتهى .

وهو فى هذا مسبوقٌ بقول المَراكشى : يمنع أنّه تأكيد بجعل الأصل أقائلٌ

---

(١) ط : « لم تأت به » ، صوابه فى ش وشرح السكرى ٦٥١ .
(٢) كذا فى النسختين ، والوجه : « إن جئتُ » .
(٣) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

إنّا ، ففُعِل كما فى قوله تعالى : ﴿ لكنّا هو الله رَبِّى ﴾ . ورُدّ عليه بأنّه لو كان كذلك لكان البيت أقائلونّا بألف بعد النون .

وقد ردّ الشيخ خالد (فى التصريح) على الدمامينى بما ذكرنا وبهذا ، فقال : وعليه اعتراضٌ من وجهين :

أحدهما : أنّه يعتبر فى المقيس أن يكون على وزان المقيس عليه ، وهنا ليس كذلك ، لأنّ الألف الثانيةَ فى المقيس عليه مذكورةٌ ، وفى المقيس محذوفة .

والثانى : أنّ هذا الاحتمال إنمّا يتمشى حيث كان المعنى أقائلٌ إنّا ، على التكلم ، إما إذا كان المعنى على الخطاب أى أنت قائل ، كما تعطيه السوابق واللواحق فلا . انتهى .

واعترض على هذا الشّنوانى بأنّ فى إعطاء ما ذكر نظراً ، لجواز أنّ المتكلم جَرّد من نفسه نفساً خاطبها . انتهى .

ولا يخفى أن التجريد لا مساغ له هنا كما يعلم ممّا نقلنا عن ابن دريد .

واعترض على الأوّل أيضا بوجهين :

الأوّل : أنّه يعتبر فى المقيس أن يكون على وزان المقيس عليه فى علّة الحكم لا فى غيرها .

الثانى : سلمنا ما ذكره ، لكن نقول إنّ الألف الثانية فى المقيس عليه محذوفة ، فى قراءة غير ابن عامر ؛ لأنّ ابن عامر قرأ بإثبات الألف وصلا ووَقفاً ، والباقون بحذفها وصلا وبإثباتها وقفا . وكفى ذلك فى كون المقيس على وزن المقيس عليه . انتهى .

وفى كلّ منهما نظر ، أمّا أوّلا فلأنّ الألف الثانية إذا حذفت لم يبق دليل على أنّ النون بقيّة أنا حتّى تقاس على غيرها فى الإدغام . وأمّا ثانيا فلأن من قرأ

بحذف الألف من لكنَّا وصلاً لا يحذفها خطًّا ، والخطّ يدل عليها . ولو وقف الدمامينيُّ على رواية الشعر وعلى كلام سرِّ الصناعة لم يقل ذاك ، ولا قولَه : سمعت شيوخنا ينشدونه بضم اللام من أقائلُنّ . ولم أقف عليه مضبوطا كذلك فى كتاب معتمد . انتهى .

فإنّ ضمَّ اللام مِن لازِم جمعِه بالواو والنوَن .

ثم قوله : « فإن ثبتت رواية الضم فيه عُلم أنّ العربىّ لا يبنيه عند إلحاق ٥٧٦ هذه النون المتّصلة به ، لكن يُسأل حينئذٍ : لم أُعرِبَ مع قيام الشَّبَه المقتضى للبناء » . انتهى .

يريد بالشبه شبَه اسم الفاعل المتّصلة به النون بفعل الأمر ، كما صرَّح به .

وهذا السؤال واهٍ جدًّا ناشئٌ عن غفلة ، فإنَّ مشابهة الاسم للفعل إنَّما تقتضى منعهُ من الصرف لا بناءَه . وتلك المشابهة إنّما تكون فى علّتين من العلل التِّسع ، لا فى مطلق المشابهة . والشَّبَه المقتضِى للبناء إنّما يكون لمشابهته للحروف . على أنّ النون غير متّصلة باللام للفصل بالواو (١) . والفعلُ المؤكّد بها مع فصل ضمير بارز لا يبنى على الصحيح ، فكيف الاسم ؟

وأغربُ من هذا قول الشيخ خالد بعد اعترافه بأنّ اللام مضمومة : يُسلَك بالوصف مع نون التوكيد مَسلكُ الفعل ، من البناء على الفتح مع المفرد ، وعلى الضم مع جماعة الذكور . ولم أقف على نصّ فى ذلك . انتهى . مع أنّ الدمامينى صرّح فى أنّه عند ضم اللام لا يكون مبنيًّا جَزْماً ، إلاّ أنّه غفل من عدم اتصال النون باللام . وغاية ما أجاب الشُّمُنّىُّ عن عدم البناء ، بأنّ النون إنَّما دخل

---

(١) ط : « للفصل بين الواو » ، صوابه فى ش .

الوصف لشبهه بالمضارع لفظاً ومعنىً ، والأصل فى الأسماء الإعراب ، فيبقى على أصله ، مع أنّه لا ضرورة فى بنائه ، بل فى لحاق النون به . هذا كلامه .

وقد اعترض الشنوانىُّ على الشيخ خالد بأنّ بناء الفعل المؤكّد بالنون على الضم مع واو الجماعة الذكور لم أقفْ على نصٍّ فى ذلك ، فإنّ الذى وقفنا عليه بناؤه مع نون التوكيد وإنْ لم تُباشره . وأما أنّ بناءَه [(١)] على الضم مع الواو وعلى الكسر مع الياء ، فلم نره فى شئ مما وقفنا عليه . فإن كان هو اطّلع على نقلٍ فى ذلك فسمعاً وطاعةً ، وإلاّ فهو محلّ توقُّف . انتهى .

وهذا نقدٌ جيِّد ، وعُلم معنى الشعر ممَّا نقلناه [(٢)] عن ابن دُريد ، وعن السكرى .

وقولُ الدمامينى فى معناه : « يقول [(٣)] : أخبِرنى إنْ جاءت هذه المرأة بشابّ يتزوّجها رَجِلِ الشعر ، حَسَنِ اللبّاس ، كالغصن الناعم ، أتأمر بإحضار الشهود لعقد نِكاحها عليه ؟!ينكر وقوعَ ذلك منه » . اهـ شرحٌ من عنده بالتخمين ، مخالفٌ للمنقول . وقد تبعه عليه الشيخ خالد ، وابن الملا (فى شرح المغنى) حتّى قال الزُّرقانى (فيما كتبه على التصريح) : قوله : ينكر وقوع ذلك منه ، أى ينكر وقوع إحضار الشهود ، وذلك لأنّ الاستفهام فى أقائلُنَّ إنكارىٌّ ، ووجه إنكار ذلك أنّ من كان على الصفة المذكورة كان من أهل الحَضَر ، وذلك لا يُصاهِرهم . قاله بعضُ شيوخنا . انتهى .

وقوله : (أريْت) أصله أرأيت ، بمعنى أخبِرْنى ، حذفت الهمزة تخفيفاً . قال الشارح (فى شرح الشافية) : تحذف الهمزة فى رأيت مع ألف الاستفهام ،

---

(١) ط : « بناؤه » ، صوابه فى ش .

(٢) ط : « ما نقلناه » ، صوابه فى ش .

(٣) ش : « تقول » .

فيقال أريت ، وهو قراءة الكسائى فى جميع ما أوّله همزة الاستفهام من رأى المتصل به التاء أو النون . وإنّما كثر ذلك فى رأيتَ وأخواته لكثرة الاستعمال . انتهى .

وقوله:(إن جئتُ) بالتكلّم عن لسان المرأة ، وهى رواية ابن جنى (فى سر الصناعة ، والخصائص ، والمحتسب) . هذا إذا كان القائل غيرَها ، فإن كانت هى القائلة فهو على مقتضى الظاهر . ورواه السكرى وابن دريد : « إنْ جاءت » فهو على رواية السكرى يكون على لسانها ، وعلى رواية ابن دريد يكون كلامَها ، نزّلت نفسها منزلة الغائب فأخبَرتْ عنها . والأُملود ، بالضم ، قال صاحب الصحاح : غصنٌ أُملودٌ أى ناعم ، ورجل أملود وامرأة أُملودةٌ ، عن يعقوب . وشابٌّ أملدُ وجاريةٌ مَلْداء بيِّنا المَلَد ، أى النُّعومة . و (المرجَّل) بفتح الجيم المشددة : اسم مفعول من رجَّل شعره ترجيلاً ، أى سرَّحه . وفى النهاية لابن الأثير : الترجُّل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه . وفى المصباح : ورَجَّلت الشعر ترجيلا : سرَّحته ، سواء كان شَعرك أو شعرَ غيرك . وترجَّلتُ ، إذا كان شَعَر نفسِك . وقال الدماميني : المرجَّل : الذى شعره بين الجُعودة والسُّبوطة . انتهى .

٥٧٧

ولا يخفى أن المستعمَل بهذا المعنى إنما هو رَجِل الشَّعْرُ رَجَلاً من تعب ، فهو رَجْلٌ بالكسر ، والسكونُ تخفيفٌ ، أى ليس شديد الجعودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما . كذا (فى العباب ، والنهاية ، والمصباح ، وغيرها) . وقال العينى : وضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وهو بُردٌ يصوَّر عليه الرِّحال . ويقال المرجَّل بالجيم : ثوبٌ فيه صُور الرجال ، والمرحَّل بالحاء : ثوب فيه صُورٌ تشبه الرِّحال . انتهى .

وتبعه السيوطى وغيره .

وهذا الضبط بالاختلاف إنما أورده عند قول امرئ القيس فى معلقته :

* أذيال مِرطٍ مرجّلِ [١] *

وأمّا ما هنا فليس فى شئ مما نقله . وسياقُه يوهم أنّ هذا الاختلاف هنا .

و (البرود) : جمع بُرد بالضم ، قال صاحب النهاية : البُرْدُ : نوعٌ من الثياب معروف ، والجمع أبراد ، وبُرود . والبُرْدة : الشَّمْلة المخطَّطة ، وقيل: كساء أسود مربّع فيه [خطوط [٢]] صُفرٌ تلبسه الأعراب ، وجمعها بُرَدٌ .

وقوله : « ولا ترى مالاً له معدودا » معناه عندى : لا يمكن عدُّ مالِه لكثرته ، وهذا كلُّه على سبيل التفاؤل .

وقوله : (أقائلُنّ) خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أفأنتم قائلُنّ . والجملة جواب الشرط ، والخطاب لسيِّدها ومَنْ يقول بقوله . وقوله : (أحضرى) خطاب للمرأة ، أمرٌ من أحضره إحضارا . ورواه العينى : « أحضِرُوا » بواو الجمع ، ولا وجهَ له ، كما لا وجه لنسبة الشعر إلى رؤبة بن العجاج . والله أعلم .

وشرحُ بقيَّة الشعر تقدَّم فى الشاهد الحادى والعشرين بعد الأربعمائة [٣] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد التسعمائة [٤] :

٩٥١ (يا ليتَ شِعْرِى عَنْكُمُ حَنِيفا　　أشاهِرُنَّ بَعْدَنا السُّيوفا)

---

(١) فى قول امرئ القيس فى معلقته :

خرجت بها أمشى تجر وراءنا　　على أثرينا ذيل مرط مرجل

(٢) هذه التكملة للشنقيطى بقلمه فى نسخته .

(٣) الخزانة ٦ : ٥ – ٦ .

(٤) العينى ١ : ١٢٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٢٩ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٩ .

لما تقدَّم قبله ، وأصله : أشاهرونَنَّ ، ففُعِل به مثلُ ما تقدَّم .

وهو من رجز أورده ابن دريد (فى الجمهرة) كذا :

(يا ليت شِعْرى عنكمُ حنيفا وقد جَدَعْنا منكُم الأُنوفا

أتحملون بعدنا السُّيوفا أم تَغزِلون الخُرفُعَ المندوفا)

قوله : (يا ليت شعرى) إلخ يا الداخلة على ليت حرف تنبيه ، قال الشارح المحقق : والتُزِم حذف الخبر فى ليت شعرى مردَفاً باستفهام ، وهذا الاستفهام مفعول شعرى ، أى ليت علمى بما يُسأل عنه بهذا الاستفهام حاصلٌ .

وعند ابن الحاجب : الاستفهام قائمٌ مقام الخبر . وردّه الشارح .

و (عنكم) متعلق بشعرى ، وعن بمعنى الباء ، لأنّه يقال شعرت به .
و (حنيفا) بلا تنوين : منادى مرخّم من حنيفة ، وحرف النداء محذوف ، والألف للأطلاق . وحنيفة : أبو قبيلة ، وهو حَنيفة بن لُجَيم ، بضم اللام وفتح الجيم ، ابن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل .

٥٧٨ وجملة « وقد جدعنا » إلخ ، حالٌ من شِعرى ، لأنّه مفعولٌ فى المعنى . وجَدَع أنفَه جَدْعاً بالجيم والدال المهملة ، من باب نفع ، أى قطعه . وكذا الأُذُن واليدُ والشَّفَة . والأنوف : جمع أنف . وجملة « أتحمِلون » إلخ فى موضع المفعول لشعرى . وكذا على رواية « أشاهِرُنَّ » بتقدير مبتدأ ، أى أأنتم شاهرُنَّ ، مِنْ شهرَ الرجلُ سيفَه ، من باب نفع ، أى سَلَّه وأبرزَه مُنِ غمده ، والخُرفُع ، بضم الخاء المعجة وسكون الراء المهملة بعدها فاء مضمومة وعين مهملة ، قال ابن دريد : هو قُطن البَرْدِىّ . وقال صاحب العُباب : هو القطن الذى يَفسُد فى براعيمه ، أى فى أكمامه ، قبل أن تنفتق . وقال أبو مِسْحَل : القطن يقال له الخِرفِع بالكسر كزبرج . وقد أورد العينى هنا ما يُتعجَّب منه ، قال : الحنيف هو المُسلِم ههنا ، وله معانٍ أُخَر . ويا فى مثل هذا الموضع تكون لمجرَّد التنبيه ، وقد يقال إنّها على

أصلها . والمنادى محذوف تقديره : يا قوم ليت شعرى ، أى ليتنى أشعر ، فأشعُر هو الخبر ، وناب شعرى عن أشعُر ، ونابت الياء عن اسم ليت . وأشعُر فعلٌ متعدٍّ معلّق عن العمل ، فيكون موضع الاستفهام وما بعدَه نصباً بالمصدر . وحنيفا نصْبٌ على أنّه مفعول المصدر المضاف إلى فاعله ، ومنكم فى محل النصب على أنّه صفة لحنيفا ، والتقدير : ليتنى أشعر حنيفا كائناً منكم . وشاهِرُنّ : اسم فاعل فى معنى المستقبل ، لأنّ تقدير الكلام ليتنى أشعُر حنيفاً مُسلِما منكم يَشْهَر بعدنا السُّيوفا .

هذا كلامُه ، وليته لم يسطِّره .

صاحب الشاهد

وهذا الرجز لم أقفْ على قائله ، ونسبه العينى إلى رؤبة بن العجاج . ولم أره فى ديوانه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلَنى إلاّ ابنُ حَمَّالِ)

وتقدَّم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لَيَعْلَمُ ربِّى أنَّ بيتىَ واسعٌ)

هو عجزٌ ، وصدره :

(لئن تَكُ قد ضَاقَتْ عليكمْ بُيوتُكُمْ)

---

(١) الخزانة ٤ : ٢٦٥ - ٢٦٩ .

على أنّ عدم توكيد لَيعلم بالنون شاذٌ عند البصريّين . وهذا يخالف ما ذكره في حروف القسم ، من أنّ المضارع إذا كان للحال يجب الاكتفاء باللام ، ولا تأتى بالنون . وأنشد هذا البيت هناك .

وأمّا الشُّذوذ ففى المضارع المستقبل إذا جاء باللام دون النون . فهذا الذى نقله عن البصريّين هناك . وتقدَّم شرح البيت فى الشاهد الرابع عشر بعد الثمانمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٩٥٢ (فإمّا ترَيْنِى ولى لِمَّةٌ فإنَّ الحوادثَ أودَى بِها)

على أنّ إن الشرطيَّة المقرونَة بما الزائدة ، يلزم توكيدُ شرطها بالنون عند الزَّجاج . وتركُ توكيده جيِّد عند غيره .

وهذا البيت يدلُّ لغير الزَّجّاج ، فإنّه لم يؤكِّدْ فعْلُ الشرط فيه .

قال ابن الناظم : وأمَّا الشرط بإمّا فتوكيده بالنون جائز ، قال تعالى : ﴿ فإمّا تثقفنَّهُمْ فى الحرب (٣) ﴾ ، و ﴿ إمَّا تَخافَنَّ مِن قومٍ خِيانة (٤) ﴾.وقد تخلو من التوكيد بها ، كما فى قوله :

---

(١) الخزانة ١٠ : ٦٨ – ٧١ .

(٢) فى كتابه ١ : ٢٣٩ . وانظر شرح أبياته للسيرافى ١ : ٤٧٧ والأصول ٢ : ٤٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٣٤٥ والإنصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٥ : ٩٥ / ٩ : ٦ ، ٤١ ورصف المبانى ١٠٣ ، ٣١٦ والعينى ٢ : ٤٦٦ / ٤ : ٣٢٧ والتصريح ١ : ٢٧٨ والأشمونى ٢ : ٥٤ / ٣ : ١٦ وديوان الأعشى ١٢٠ برواية : « ألوى بها » .

(٣) الآية ٥٧ من سورة الأنفال .

(٤) الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

* فإمّا ترَيْني ولى لمّةٌ * ... البيت .

وقولِ الآخر :

يا صاحِ إمّا تجدْنى غيرَ ذى جِدَةٍ فما التَّخلِّى عن الخُلاَّنِ من شِيمىَ [(١)]

انتهى .

٥٧٩ وقال ابن هشام (فى المغنى) : يقرُب التوكيد من الوجوب بعد إمّا . وذكر ابن جنّى أنّه قُرِئ [(٢)] : ﴿ فإمَّا تَرَيْنَ [(٣)] ﴾ بياءٍ ساكنة بعدها نون الرفع [(٤)] على حدِّ قوله :

* لم يُوفُونَ بالجار [(٥)] *

ففيها شذوذان : ترك نون التوكيد ، وإثبات نون الرفع مع الجازم . انتهى .

وقد استشهد به سيبويه على حذف التاء من أودَتْ ، فإنّ فاعله ضمير الحوادث ، وفى مثله يجب التأنيث ، فتركهُ الشاعرُ لضرورة الشعر . قال الأعلم : دعاهُ إلى حذفها أنّ القافية مُرْدَفة بالألف ، وسوَّغ له حذفَها أنّ تأنيث الحوادث غير حقيقّى ، وهى فى معنى الحِدْثان . وقال ابن خلف : ذكّر أودى وفيه ضمير الحوادث ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما أنْ يكون حمل الحوادث على معنى الحِدثان فذكّر ، أو على حذف مضاف ، كأنّه قال : فإنَّ مَرَّ الحوادثِ أودى

---

(١) العينى ٤ : ٣٣٩ والتصريح ٢ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ٢١٦ .

(٢) ط : « قرأ » صوابه فى ش والمغنى ٣٣٩ .

(٣) الآية ٢٦ من سورة مريم .

(٤) هى قراءة طلحة كما فى المحتسب لابن جنى ٢ : ٤٢ . وذكر أبو حيان فى تفسيره ٦ : ١٨٥ أنها قراءة طلحة ، وأبى جعفر ، وشيبة .

(٥) البيت من شواهد الخزانة ٩ : ٣ . وانظر معجم الشواهد . وهو بتمامه :

لولا فوارس من ذهل وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

بها . والوجه الأوّل أجود فى القياس . فإن قيل : فهلاً قال : أودت بها ؟ وما الضرورة إلى ذلك ؟ فالجواب أنَّ القوافَى مُرْدَفة بالألف ، فلو قال أودت لذهب الرِّدْف وهو الألف ، وذهبت القافية . ورُوى أيضا :

* فإنْ تنكرِى لامرِئٍ لمّةً *

وروى :

* فإمّا تَرَىْ لِمَّتي بُدِّلَتْ *

وروى أيضا :

* فإنْ تعهدِيني ولى لمّةٌ *

يريد أنّ القافية مؤسَّسة . والتأسيس هو الألف الواقعُ قبلَ حرف الروىّ وهو الباء هنا .

و (اللِّمّة) بالكسر : الشَّعر الذى يُلِمُّ بالمَنكِب . و (الحوادث) : جمع حادثة . و (أودى بها) : ذهب بها ، والمراد ذهب بمعظمها ، لأنّ قوله : « ولى لمّةٌ » حال من الياء ، ومحال أن تكون له لمّةٌ فى حالٍ قد ذهب الحوادثُ بجميعها . ومعنى (أودى بها) : ذهب ببهجتها وحُسنْها . ومعنى بُدِّلت : ذهب بعضُها بالصَّلَع وشاب بقيَّتُها ، فإنَّ حوادثَ الدهر أهلكَتْها . يعنى أنَّ مرور الدَّهرِ يغيِّر كلَّ شئ .

وقال العينى : لم يقل أودت لأنَّ تأنيث الحوادث مجازىّ لأنّه جمع ، واسم الجمع واسم الجنس كلُّها تأنيثها مجازىّ ، لأنّهنَّ فى معنى الجماعة ، والجماعة مؤنّث مجازىّ . ولأجل هذا جاز التأنيث فى قوله تعالى : ﴿ كذَّبَتْ قبلَهم قومُ نُوحٍ [١] ﴾ والتذكيرُ أيضاً ، نحو : ﴿ وكَذَّبَ به قَومُك [٢] ﴾ . هذا كلامه ، وكأنّه

(١) الآية ١٢ من سورة ص و ٥ من غافر و ١٢ من قٓ ، و ٩ من القمر .
(٢) الآية ٦٦ من سورة الأنعام .

لم يعرف الفرق بين الإسناد إلى مجازىّ التأنيث الظاهر ، وبين الإسناد إلى ضميره .
والرؤية هنا بصريَّة .

وقوله : و « ولى لمّة » أى لمّة مغيَّرة . وقوله : « فإنَّ الحوادث » إلخ هذا علّة الجواب المحذوف ، والتقدير : فلا عجبَ ، فإنّ الحوادثَ إلخ .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها أساقفةَ نَجْران ، وقبله :

(لِجَارتنا إذْ رأت لِمَّتـِي   تقول : لك الويلُ أنَّى بها [1]
بما قد تُرَى كجَناحِ الغُدا   فِ ترنو الكَعَاب لإعجابِها)

فإمَّا تريني . إلخ .

وجارة الرجل : زوجته . وقوله : « أنَّى بها » أى كيف صَنَعْتَ بها حتَّى تغيَّرتْ كذا .

وقوله : « بما قد تُرى » الخ الباء سببيّة متعلقة بترنو ، وهى مكفوفة بما ، وتُرَى بالبناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير اللِّمَّه . والغُداف بضم الغين المعجمةُ : الغُراب الأسود . وترنو : نديم النظر . والكَعاب ، بفتح الكاف : الجارية التى نهدَ ثديُها وارتفع ، ويقال الكاعب أيضا . والإعجاب : مصدر أعجبَهُ الشىءُ ، أى استحسنَه .

ومن أبياتها يخاطب ناقتَه :

(فكعبة نجرانَ حتمٌ عليـ   ـكِ حَتّى تُناخِى بأبوابها
تزورِى يزيدَ وعبدَ المسيح   وقيساً ، همُ خير أربابِها [2])

٥٨٠

---

(١) قبله فى الديوان ١٢٠ ، وهو مطلع القصيدة :

ألم تنه نفسَك عمَّـا بها   بلىَ عادَها بعضُ أطرابها

(٢) فى الأغانى ٦ : ٧٠ فى تفسير هذا البيت : « هؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقب والسيد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومى » .

وكَعبة نَجرانَ هى ذو الخَلَصة ، وهدمها جرير بن عبد الله ، بأمرِ رسولِ الله ﷺ : ويزيد هو ابن عبد المَدَان الحارثيّ . وقيس هو ابن مَعدِيكربَ الكِنْدى .

ومن أبياتها :

(وكأسٍ شربْتُ على لَذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بِها
لكى يعلَمَ الناس أنّى امرؤٌ أتيتُ المعيشَةَ من بابها)

وهو أوَّل من ابتكر هذا المعنى ، وأخذه قيس بن ذَرِيح فقال :

تداويتُ من ليلى بليلَى من الهوَى كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ

وأخذه أبو نواس أيضا فأحسَنَ وقال :

دعْ عنك لومى فإنّ اللّومَ إغراءُ وداوِنى بالتى كانت هى الداءُ (١)

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد التسعمائة (٣) :

٩٥٣ (إذا قال قَطْنِى قلتُ باللهِ حِلفةً لَتُغْنِنَّ عنّى ذا إنائِكَ أجمَعَا)

على أنّ الفراء نقل عن طيّئ أنّهم يحذفون الياء الذى هو لامٌ فى الواحد المذكّر بعد الكسر والفتح ، فى المعرب والمبنىّ .

---

(١) ديوان أبى نواس ٢٣٤ .

(٢) الخزانة ١ : ١٧٥ - ١٧١ .

(٣) مجالس ثعلب ٦٠٦ وابن يعيش ٣ : ٨ والمقرب ٢ : ٧٧ والمغنى ٢١٠ ، ٤٠٩ والعينى ١ : ٣٥٤/ ٣ : ٣٦٠ والهمع ٢ : ٤١ .

والمعرب هو المضارع ، وهو معربٌ قبل اتصال النون به . ويكون ما قبله الياء فيه مكسوراً ، نحو : ليَرْمِنَّ زيد ، وكقول الشاعر :

* لتغنِنَّ عنّى * ... البيت .

ومفتوحاً نحو : ليخشَنَّ زيد . والأصل وهو الكثير الاستعمال ليرمِيَنَّ ولتغنِيَنّ وليخشَيَنَّ ، فحذفوا الياء وبقيت الكسرة والفتحة على حالهما .

والمبنى هو الأمر ، وكذلك يكون ما قبل الياء فيه مكسوراً نحو : ارمِنَّ ، وكقول الشاعر :

وابْكِنَّ عيشاً تقَضَّى بعد جِدَّتِه طابتْ أصائلهُ فى ذلك البلَدِ [1]

ومفتوحاً نحو : اخشَنّ يا زيد ، والأصل ارمِيَنّ ، وابكِيَنَّ ، واخشَيَنَّ ، فحذفت الياء كذلك .

وغير طيىء يُبقون الياء أيضاً على حالها .

هذا تقرير كلامه . وأراد بفعل الواحد المذكّر أن لا يتّصل به ضمير مؤنّث ، فيدخل فيه : لتَخْشَنَّ الجماعة [2] وإن أُنّث بالتاء من أوله . ولم يستشهد لمفتوح الياء فيهما بشيء . وقد جاء فى الحديث وهو قوله ﷺ : « لتؤَدُّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة ، حتّى يقادُ للشّاة الجلحاء من الشّاة القرناء تنطحها » ، رواه أحمد فى مسنده ، والبخارى فى الأدب ، والتِّرمذى [3] .

قال التُّوربُشتى [4] : هو على بناء المفعول ، والحقوق مرفوع . هذه هى

---

(١) المغنى ٢١١ والهمع ٢ : ٧٩ والسبع الطوال ٣٨٣ .

(٢) ط : « لجماعة » ، صوابه فى ش .

(٣) هو من حديث أبى هريرة ، كما فى الجامع الصغير ٧٢٢٢ .

(٤) هو شهاب الدين أبو عبد الله ، فضل الله بن حسن التُّوربشتى الحنفى المتوفى سنة ٦٦١ . وكتابه هو « الميسّر » شرح مصابيح السنة للبغوى الشافعى حسين بن مسعود المتوفى سنة ٥١٦ . كشف الظنون فى رسم (مصابيح السنة) ، و (مطلب الناسك ، فى علم المناسك) ، و (المعتمد فى المعتقد) و (الميسر) . والكتب الثلاثة الأخيرة من تأليفه .

الرواية المعتدّ بها . ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوقِ ، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به . والصحيح الأوّل . قال الطِّيبىّ (١) : إن كان الردّ لأجل الرِّواية فلا مَقال ، وإن كان بحسب الدِّراية فإنّ باب التغليب واسعٌ ، فيكون قد غلَّب العقلاء على غيرهم ، وجعل حتَّى غايةً بحسب التغليب . انتهى .

وقد أنكر ابن مالك الرواية الأولى ، وقال : لا تصحُّ فى العربية ، وكان الواجب لتؤدَّينَّ الحقوق بإثبات الياء . وهو فى هذا معذور ، فإنّ لغة طيِّىء فى حذف الياء إذا كانت لام الفعل فى الواحد المذكَّر غير مشهورة ، ولم أر نقلَها عن الفرَّاء عنهم إلاّ من الشارح المحقق ، وهو ثقةٌ فيما ينقله . وإنَّما المشهور عن الفرَّاء عنهم حذف ياء الضمير بعد الفتحة . قال ابن مالك (فى التسهيل) : وحذف آخر الفعل إن كان ياءً لغةٌ فزاريَّة . ثم قال : وحذف ياء الضمير بعد الفتحة طائيّة .

٥٨١

قال شُرَّاحه فى الأول : المشهور فى لسان العرب فتح آخر الفعل صحيحاً كان أو معتلاًّ إلاّ فَزارة فإنّهم يحذفونها إذا تلَتْ كسرةً ، فإنَّهم يقولون : ارْمِنَّ وليرمِنّ زيد ، وغيرهم : ارمِيَنَّ وليرمِيَنَّ .

وقالوا فى الثانى : لغة العرب الياء بعد الفتحة تثبت متحرِّكة بالكسرِ ولا تحذف ، فيقولون : هل تخشَيِنَّ يا هند . ونقل الفراء عن طيِّىءٍ أنّهم يحذفونها فيقولون اخْشَنَّ يا هند .

---

(١) هو شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد ، أو الحسين بن محمد بن عبد الله كما سمى نفسه . وهو من أهل توربشت من عراق العجم . ويحتمل أن تكون نسبته إلى بيع الطيب ، أو إلى بلدة بين واسط وخوزستان تسمى الطيب . وكتابه هو « شرح مشكاة المصابيح » . و « مشكاة المصابيح » تكملة لمصابيح السنة للبغوى ، والتكملة لأبى عبد الله الخطيب . فرغ من جمعها فى رمضان سنة ٧٣٧ . الدرر الكامنة ٢ : ١٥٦ وكشف الظنون فى (مصابيح السنة) .

قال السمين (فى شرحه) : لم يتعرَّض المصنف لحركة ما قبلها حين حَذْفها هل تبقى الفتحة أو تكسر دلالةً على الياء ؟ وهذا الذى ينبغى . انتهى .

وما نسبه ابن مالك إلى فَزارة نسبَه ثعلب [١] إلى طيئ . قال ثعلب (فى الجزء الحادى عشر من أماليه) بعد ما روى البيت « لتُغنِىَ » : ويروى : لتُغْنِنَّ ، وهذا إنَّما يكون للمرأة ، إلاّ أنَّه فى لغة طيئ جائز ، وفى لغة غيرهم : لتُغْنِيَنَّ [٢] واللام لام الأمر أدخلَها فى المخاطبة ، والكلام : أغْنِنَّ عنّى . انتهى كلامه .

والرواية الأولى « لِتُغْنَى » بكسر اللام وآخره ياء مفتوحة . والثانية لَتُغنِنَّ بفتح اللام وكسر النون الأولى وتشديد الثانية . وقوله : وفى لغة غيرهم : لتُغْنِيَنَّ [٣] إلخ ، يعنى أنّ الياء لا تحذف فى غير لغة طيئ إلا إذا كان أمراً للأنثى ، وإذا كان أمراً لها فالفصيح أُغنِنّ عنّى ، بصيغة الأمر لا بلام الأمر ، وذلك بفتح الهمزة [٤] وكسر النون الأولى وبعدها نون التوكيد .

وقد نقل أبو على الفارسىُّ كلام ثعلب بُرّمته (فى المسائل البَصْرِيات) ، ونقله غيره أيضاً . وقد نقل أبو على (فى كتاب الشعر) أيضاً أنّ ثعلبا روى لَتُغنِنَّ بفتح اللام وكسر النون الأولى . وكذا روى العسكرىُّ (فى كتاب التصحيف) عن المعْمَرى عن ثعلب .

والبيت الثانى أيضاً خطابٌ لمذكّر ، بدليل ما قبله :

يا عَمْرُو أحسِنْ نَمَاكَ اللهُ بالرَّشَدِ واقرأْ سلاماً على الأنقاء والثَّمَدِ

---

(١) ط : « فنسبه » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لتغنّ » ، صوابه فى مجالس ثعلب ٦٠٧ .

(٣) فى النسختين : « لتغنن » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) فى النسختين : « بضم الهمزة » ، والوجه ما أثبت .

كذا أنشدهما ابنُ الأنبارى (فى شرح المفضليات) . وبه يردّ على الدَّمامينى (فى الحاشية الهندية) فى زعمه أنّ قوله وابكِنَّ خطاب لامرأة ، مع أنّ سياق كلام المغنى يأباه ، فإنّه بعد أن روى : لتُغِنَّن ، قال : وذلك على لغة فزارة فى حذف آخر الفعل لأجل النون ، إذا كان ياءً تلى كسرة . وأنشد البيت.فإنّه إذا كان الخطاب به مع امرأة كان المحذوف ضميراً ، لا آخرَ الفعل . فإنّك إذا قلت ابْكِى يا هند (١) ، كانت الياء ضمير المخاطبة ، وأما لام الكلمة فهو محذوف لالتقاء الساكنين وأصله تبكِيينَ على وزن تَفْعِلين تحرَّكت الياء الأولى وهى لام الفعل وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، وحذفت لالتقاء الساكنين (٢) .

وأما الرواية الأولى لثعلب ، وهى « لِتغنِىَ عَنّى » بكسر اللام وفتح الياء بدون توكيد ، فقد نسبها الجمهور إلى أبى الحسن الأخفش ، منهم أبو على (فى كتاب الشعر وغيره) . واختلُف فى لام كى ، فمنهم من أجاز أن يُتلقَّى بها القسم ، ومنهم من منع .

قال ابن عصفور (فى شرح الجمل) : زعم أبو الحسن أنّ جواب القسم قد يكون لام كى مع الفعل ، نحو : تالله ليقوم زيد . قال : فعلى هذا يكون الجواب من قبيل المفرد ، لأنَّ لام كى إنمّا تنصب بإضمار أنْ ، وأنْ وما بعدها يُتأوَّل بالمصدر ، فكأنّك قلت: تالله للقيام (٣) . إلاّ أنَّ العرب أجرَت ذلك مجرى الجملة ، لجريان الجُملة بالذكر بعد لام كى ، فوضعت لذلك لِتفعلَ موضع لتفعلنّ .

٥٨٢

(١) فى النسختين : « ابكين ياهند » ، تحريف .

(٢) كذا فى النسختين . وإنما يصح هذا التصريف إذا كانت الكلمة : بكَتْ ، وأصلها : بكَيَتْ . وأما تصريف تبكين فإنّ أصلها تبكِيين ، استثقلت الكسرة على الياء فحذفت الكسرة والتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى التى هى لام الفعل .

(٣) ش : « لللقيام » ، تحريف .

وقال (فى شرح الإيضاح) : زعم أبو الحسن أنّ العرب قد تتلقى القسم بلام كى ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يحلفون بالله لَكُمْ لِيُرضُوكم (١) ﴾ .

واستدل أبو على (فى العسكريَّات) على صحة ما ذهب إليه بقوله :

* لِتُغْنِى عَنّى ذا إنائك أجمعا *

قال أبو على : فإنْ قيل إنّ المقسم به إنمّا يكون جملة ، وليس هذا بجملة ، لأنّ أن والفعل فى تقدير اسمٍ مفرد . قيل : إنّ ذلك لا يمنع من وقوعه موقعَ الجملة التى يُقَسم عليها وإنْ كان مفردا ، وذلك أنَّ الفعل والفاعل اللذين جَرَيا فى الصلة يسُدَّان مَسدّ الجملة . لكن رجع أبو على عن ذلك (فى التذكرة ، والبَصْريّات) وقال : إنَّ ذلك لم يَرِدْ فى كلام العرب . وأما قوله تعالى : ﴿ يَحلِفُون بالله ﴾ الآية فاللام متعلِّقة بيحلفون ، وليس القسم بمرادٍ ، إنمّا المراد الإخبارُ عنهم بأنّهم يحلفون أنّهم ما فعلوا ذلك ليُرضوا بحَلِفهم المؤمنين . وكذا البيت يحتمل أنْ يكون لِتُغنِىَ متعلّقا بآليت على ما رواه أبو على (فى البَصْريات) ، ولم يُرِدِ القسَم ، إنَّما أراد أن يخبر مخاطَبَه أنّه قد آلى كى يشربَ جميع ما فى إنائه .

ورواه أبو على : « قلت بالله حَلفة » ، ولا حجة فيه أيضاً ، لاحتمال أنْ يكون بالله متعلقا بفعلٍ مضمر لا يراد به القسم ، بل الإخبار ، ويكون قوله لِتُغنِىَ عنّى ، متعلّقا به ، والتقدير : حلفت بالله حلفة كى تُغنىَ عنّى . ويجوز أيضاً أن يكون المقسَم عليه محذوفاً لدلالة الحال عليه ، تقديره : لَتشرَبَنَّ لِتُغنِىَ عنّى . وعلى هذا حمله أبو على (فى التذكرة) . انتهى كلام ابن عصفور .

وكأنّ ابن هشام لم يطّلع على كلام أبى على (فى التذكرة والبَصريّات) على رجوعه (٢) عن موافقة الأخفش ، فحكى عنه القول الأوّل (فى المغنى) وقال :

---

(١) الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٢) ش : « عن رجوعه » .

أجاز أبو الحسن أن يُتلقَّى القسم بلام كى ، وجعل منه : ﴿ يحلِفُون بالله لكم لِيُرضوكم ﴾ ، يقال : المعنى لَيُرضُنّكم . قال أبو على : وهذا عندى أولى من أن يكون متعلّقا بيحلفون والمقسم عليه محذوفا . انتهى .

وفى : « لتغْنِىَ عنّى » رواية أخرى ، وهى فتح اللام والياء على إرادة النون الخفيفة ، ونسبها ابن يعيش (فى شرح المفصَّل) إلى الأخفش ، ولم أر مَنْ نسبها إليه غيره ، والمنسوبة إليه هى الرواية بكسر اللام وفتح الياء على المشهور . قال ابن يعيش : أنشده أبو الحسن بفتح اللام للقسم ، وفتح آخر الفعل على إرادة نون التوكيد وحذفها ضرورة . انتهى .

وكذا قال بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصَّل) . وعلى هذه الرواية صدَّر كلامَه السِّيدُ (فى شرح المفتاح) ثم ذكر رواية كسر اللام .

وفى البيت شواهد أخر :

(أحدها) : قوله قَطْنى وفى روايةٍ « قدنى » ، وبه استشهد ابن الناظم بنون الوقاية لحفظ السكون عند البصريِّين ، ومعناها عندهم حَسْب ، أو لأنَّها اسم فعلٍ عند الكوفيِّين ومعناها يكفى .

(ثانيها) : أنّ ذا بمعنى صاحب ، وبه استشهد صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ إنّه عليمٌ بذات الصُّدور [1] ﴾ من سورة الملائكة على أنّ ذات مؤنث ذو ، وهو موضوع لمعنى الصُّحبة ، لأنّ اللَّبَن يصحب الإناء ، والمضمرات تصحب الصدور . قال : ذات الصدور : مضمراتها ، وهى تأنيث ٥٨٣

(١) الآية ٣٨ من سورة فاطر ، وهى التى تسمى أيضا « سورة الملائكة » كما سيأتى . وانظر الإتقان ١ : ١٥٧ . وانظر أيضا كشاف الزمخشرى حيث سماها « سورة الملائكة » ، واستشهد بقول أبى بكر وبالبيت الشاهد فى ٢ : ٢٤٥ .

ذو فى نحو قول أبى بكر رضى الله عنه : « ذو بطن [بنت [1]] خارجة جارية » ، وقوله :

* لتغنيَ عنى ذا إنائك أجمعا *

المعنى ما فى بطنها من الحبل ، وما فى إنائك من الشَّراب ؛ لأنّ الحَبَل والشَّراب يصَحبان البطنَ والإناء . ألا ترى إلى قولهم : مَعَها حَبَل . وكذلك المضمراتُ تصحب الصُّدور ، وهي معها . وذو موضوعٌ لمعنى الصحبة . انتهى .

(ثالثها) : إضافة إناء إلى ضمير المخاطب للملابسة ، قال الزمخشرى (فى المفصل) : ويضاف الشيء إلى غيره بأدنَى ملابسة بينهما . وأنشد البيت وغيره . قال ابن يعيش : الشاهد فيه أنّه اضاف الإناء إلى المخاطب لملابسته إيّاه وقتَ أكلِه منهُ ، أو شُرْبِه ما فيه من اللَّبن . وذو الإناء : ما فيه من لبنٍ أو مأكول . انتهى . وفيه تقصيرٌ حيث قصرَ الملابسة على إضافة الإناء مع أنَّها جارية فى إضافة ذا أيضا . وقد نبّه عليهما السيِّد (فى شرح المفتاح) قال : فيه استشهادان : أحدهما أنّ الإناء للمُضيف وقد أضافه إلى الضَّيف لملابسته إيّاه فى شربه منه ، وفى جعل هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص المِلْكّى مبالغةٌ فى إكرام الضيف واللَّطَف [2] . والثانى : أنّ ذا بمعنى صاحب [3] وأُريد به اللبن ، وأُضيف إلى الإناء لملابسته إيّاه لكونه فيه . فهذه أيضاً إضافةٌ لأدنَى ملابَسَة . انتهى .

---

(١) التكملة من العثمانية للجاحظ ٨٧ – ٨٨ والحيوان ٦ : ٥١ حيث خبر أبى بكر إذْ يقول : « إنه القىَ فى روُعى أن ذا بَطنِ بنت خارجة جارية » . وبنت خارجة هذه هى « حُبيبة » ، تزوجها أبو بكر فى الإسلام وتركها نَسْئاً ، أى حاملا ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت « أم كلثوم » . تاريخ الطبرى ٣ : ٤٢٦ والإصابة ٢٧١ من قسم النساء . وأبوها « خارجة بن زيد الأنصارى الخزرجى » ، شهد بدراً والعقبة ، وقتل يوم أحد ، ويقال إن النبى ﷺ آخى بينه وبين أبى بكر . الاشتقاق ٤٥٧ والإصابة .

(٢) ش : « ولطف » .

(٣) ش : « الصاحب » .

(رابعها) : التأكيدُ بأجمع ، مع أنّه لم يُسبَق بكّل ، وهو تأكيد لقوله : ذا إناء ، بمعنى اللبن .

وقوله : (إذا قال) فاعله ضمير الغلام القُلَيعىّ ، وهو الضَّيف فى بيت قبله كما يأتى . وقوله : (قلتُ) المتكلم هو الشاعر ، وهو المُضِيف [1] وأورده جماعةٌ : « إذا قال قَطْنى قال » ، منهم الزمخشرى (فى المفصل) ، وتبعه السيّد فقال : أى إذا قال الضيف حَسْبِى ما شربت قال المضيف . انتهى .

وهذا على أنّ الشاعر مخبرٌ حاكٍ عنْ شخصين ، فهو لا ضَيف ولا مُضيف . وأورد بعضٌ آخر : « إذا قلتُ قَطْنى » ، قال : فيكون الشاعر هو الضَّيف . والصَّواب ماشرحناه أوّلاً كما يظهر من سياق القصيدة .

وقوله : (لتغنىَ عَنّى) قال ابن يعيش : العرب تقول : أغنِ عنّى وَجْهَك ، أى اجعلْه بحيث يكون غنيًّا عنّى لا يحتاج إلى رؤيتى . يقول له الضيف : حسبى ما شربت ، فيقول له المضيف : اشربْ جميع ما فى الإناء ولا تردَّه علىَّ . وقال السِّيد : أى لَتُبعدنَّ ذا إنائك عَنىّ ، ولتجعَلْه فى غِنًى منّى ، كأنَّ الطعام محتاجٌ إلى مَن يطعَمه .

وقد نقل العينى فى شرح البيت جميع كلام ابن هشام من غير زيادةٍ عليه ، ولم يَعْزُه إليه .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدةٍ لحرُيث بن عَنّاب الطائى ، أوردها ثعلب (فى أماليه) ، وهى :

(عَوَى ثمّ نادى هل أحَسْتُمْ قلائصاً ... وُسِمْنَ على الأفخاد بالأمسِ أربعَا
غلامٌ قُلَيعىٌّ يَحُفُّ سِبالَه ... ولحيتُه طارت شَعاعاً مقزَّعا

---

(١) ط : « المضياف » .

غلامٌ أضلّتْهُ النُّبوحُ فلم يَجِدْ بما بين خَبْتٍ فالهَباءةِ أجمعا
أُناساً سوانا ، فاستَمَانا فلم يُرَى أخا دلجٍ أهدى بليلٍ وأسمَعا (١)
فقلتُ أجِرًّا ناقةَ الضَّيفِ إنّنى جديرٌ بأنْ تَلَقى إنائى مُتْرَعَا
فما برحَت سَحْواءَ حتَّى كأنما تغادر بالزِّيزاء بَرساً مقطّعا (٢)
كلا قادِمَيها يفضُلُ الكفَّ نِصفُه كجلد الحُبارى ريشُه قد تزلّعا
دفعت إليه رَسْلَ كوماءَ جَلدةٍ وأغضَيتُ عنه الطَّرفَ حتَّى تضلّعا
إذا قال قَطْنِى قلت آليتُ حَلفةً لِتُغْنِيَ عنّى ذا إنائك أجمَعا
يُدافِعُ حَيزومَيْهِ سُخْنُ صريحِها وحَلقاً تراه للثُّمالة مُقْنَعا
إذا عمّ خِرشاءُ الثُّمالةِ أنفَهُ تقاصَرَ منّا للصَّريح وأقمَعا)

٥٨٤

هذا آخر ما أورده ثعلب .

وقوله : « عوى ثم نادى » إلخ فاعل عوى هو غلامٌ فى أول البيت الذى بعده . يريد أنّ هذا الغلام شردَتْ له قلائصُ أربعٌ ، فخرجَ فى طلبها حتّى أظلم عليه اللَّيلُ فضلَّ عن الطريق ، فعوَى حتّى سمعت الكلابُ صوتَه فنبحَتْه ، فاستدلَّ بصوتها علينا ، فجاء فسأل عن قلائصه .

قال السيد المرتضى رحمه الله (فى أماليه (٣)) : إنّ العرب تزعم أنّ سارىَ اللَّيلِ إذا أظلم عليه فلم يستبْن محَجَّة ، ولم يدرأين الحِلّة ، أى القوم النزُّول ، وضع وجهَه مع الأرض وعوى عُواءَ الكلب ، لتسمع ذلك الصوتَ الكلابُ إن كان الحىُّ قريباً منه ، فتجيبه فيقصِد الأبيات . قال الفرزدق :

---

(١) مجالس ثعلب ٦٠٥ : « فلم نرى » بالنون .

(٢) سحواء ، كذا بالحاء المهملة فى النسختين ، وفيما يلى من الشرح حيث قيدّت بالحاء المهملة ، على حين قد وردت فى المجالس بالجيم وكذا فى اللسان (سجا ٩٢) حيث أنشد البيت . ولم أجد السحواء بالمهملة فى معجم .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ١١٤ – ١١٦ .

وداعٍ بلحنِ الكلبِ يدعو ودونه من اللَّيلِ سَجْفَا ظُلمةٍ وغيومُها (١)

دعا وهو يرجُو أن ينبِّه إذْ دعا فتًى كابن ليلى حين غارَتْ نجومُها

بَعثتُ له دهماءَ ليست بلِقْحةٍ تدرّ إذا ما هبَّ نحساً عقيُمها

ابن ليلى هو أبو الفرزدق . ومعنى بعثت له دهماء ، أى رفعتها على أثافيّها . ويعني بالدهماء القِدْر . واللِّقْحة : الناقة . أراد أن قدره تدرّ إذا هبت الريح عقيماً لا مطر فيها . وما أحسن قول ابن هَرْمة :

ومُستَنْبِحٍ يَستكْشِطُ الرِّيحُ ثوبَه ليَسقُطَ عنه وهو بالثَّوبِ مُعْصِمُ (٢)

عَوَى فى سواد الليل بعد اعتسافه لِيَنْبَحَ كلبٌ أو ليفزعَ نُوَّمُ

فجاوبَه مُستسمِعُ الصَّوتِ للقِرَىِ له معَ إتيان المُهِبِّين مَطعمُ

يكاد إذا ما أبصرَ الضَّيفَ مُقْبلاً يكلِّمه من حُبِّه وهو أعجمُ

يقال : فزعت لفلان ، إذا أغثته . والمُهِبُّون : الموقظون له ولأهله ، وهم الأضياف . وإنما كان له معهم مطعم لأنّهم ينحر لهم ما يُصيب منه . وأراد بقوله : « يكلِّمه من حُبِّه » إلخ بصبصتَه وتحريكَه ذنبه . ومثله قوله أيضا :

وإذا أتانا طارقٌ متنوِّر نبحَتْ فدلَّتهْ عليّ كلابى (٣)

وفرِحْن إذْ أبصرنه [فلقِينَهُ] يَضرِبنَه بشرَاشرِ الأذنابِ (٤)

يقال : شرشر الكلبُ ، إذا ضرب بذنبه وحرّكه للأُنس . وأمّا قول الأخطل :

---

(١) ديوان الفرزدق ٨٠٣ . والبيت فيه برواية مخالفة .

(٢) ديوان ابن هرمة ٢٠٨ – ٢٠٩ والحماسة بشرح المرزقى ٥٨٠ والتبريزى ٤ : ١٣٦ – ١٣٧ والحيوان ١ : ٣٧٧ والفاضل للمبرد ٣٧ – ٣٨ ، بدون عزو ، وسمط اللآلى ٥٠٠ وديوان المعانى ١ : ٣٣ والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ .

(٣) ملحقات ديوان ابن هرمة ٢٥٧ والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ والأغانى ٥ : ٤٧ والحيوان ١ : ٣٨٤ .

(٤) فلقينه ، ساقطة من ط وأثبتها الشنقيطى فى نسخته . وانظر أساس البلاغة (شرر) وبقية المراجع .

دعانى بصوتَىْ واحدٍ فأجابه مُنادٍ بلا صوتٍ وآخرُ صَيِّتُ (١)

فمعناه أنَّ ضيفاً عوى باللَّيل والصَّدَى من الجبل يُجيبه ، فذلك معنى قوله : « بصوتَىْ واحد (٢) » . وقوله : « فأجابه منادٍ بلا صوت » أى نارٌ رفَعَها له فرأى سَناهَا فقَصَدها . والآخر الصَّيِّت : الكلب ، لأنّه أجاب عواءه (٣) .

وقوله : « هل أحَسْتُم قلائص » قال ثعلب : يريد أحسَسْتم . انتهى . قال الجوهرى : وربَّما قالوا : ما أحَسْتُ منهم أحداً ، فألقَوْا أحد السِّينين استثقالا ، وهو من شواذّ التخفيف . انتهى . وهو مِنْ أحسّ الرجلُ الشئَ إحساساً : علم به ، يتعدَّى بنفسه مع الألف ، وربمَّا زيدت الباء فقيل : أَحَسَّ به ، على معنى شَعَر به . كذا فى المصباح .

٥٨٥

والقلائص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابّة . وجملة « وسِمنْ على الأفخاذ » صفة قلائص ، من الوَسْم ، وهو العلامة بكَىٍّ حديدةٍ مُحماة . وأربعاً : صفة ثانية لقلائص .

وقوله : « غلام قُلَيعىَ » الغلام يطلق على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه ، كما يقال للصَّغير شيخ مجازاً باسم ما يؤُول إليه . كذا فى المصباح . وقُلَيعىٌّ منسوب إلى قُلَيع بضم القاف وفتح اللام ، وهى قبيلة ، أو هو منسوب إلى القُلَيعة مصغر قَلعة ، وهى موضعٌ فى طرف الحجاز ، واسم مواضعَ أُخَر . وقوله : « يحفُّ سبالَه » بالحاء المهملة ، يقال حفّ الرجل شاربَه حَفًّا من باب قتل ، إذا أحفاه ، أى بالغ

---

(١) البيت لم يرد فى ديوان الأخطل ، ولا فى التكملة لشعر الأخطل . وفى أمالى المرتضى ٢ : ١١٥ : « دعانى بصوتٍ واحد » ، لكن تعليق المرتضى على الشعر يقتضى رواية : « بصوتَىْ واحدٍ » .

(٢) هذا هو الصواب ، لكن فى نص المرتضى : « بصوت واحد » ، وهذا تحريف .

(٣) فى أمالى المرتضى : « أجاب دعواه » . هذا . وقد فات البغدادى أن ينبه على أن هذا هو نهاية نقله عن الأمالى كعادته .

فى قصِّه . والسبّال ، بالكسر : الشارب . والشَّعاع ، بالفتح : المتفرّق ، يستوى فيه المذكّر والمؤنث . والمقزَّع ، بالقاف وفتح الزاى المشددة : المفتول . يعنى أنّ لحيته من الهواء والبرد تفرَّقت وصارت كالفتائل . وهو من القَزَعَ بفتحتين . قال الأزهرىّ : وكلُّ شئ يكون قطعاً متفرّقة فهو قَزَعٌ . ونُهِى عن القَزَع ، وهو حَلْق بعض الرأس دونَ بعض .

وقوله : « غلام أضلّتهُ النُّبوح » أى هو غلام . وأضلّته : أضاعتْه . والنُّبوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة : ضجَّة الحىّ وأصواتُ كلابهم : وخَبْت ، بفتح الخاء المعجمة وسكون الموحدة : اسمُ ماءٍ لكلب ، وقيل لكِنْدة ، وموضع آخر . والهباءة ، بفتح الهاء الموحدة وبالمدّ : موضعٌ فى أطراف الرِّبذة خارجَ المدينة المنوَّرة ، وكانت فيه حربٌ من حروبِ داحسٍ لعبس على ذبيان .

وقوله : « أناساً » هو مفعول قوله « فلم يَجدْ » ، وسوانا : صفته ، أى غيرنا . وقوله : « فاستمانا » قال ثعلب : أى تصيَّدَنا . والمُسْتَمِى : المتصيِّد . والمِسمَاة : جوربٌ يلبسه الصائد فى الحرِّ . انتهى . يريد أنّه ظفِر بنا كما يظفر بالصَّيد . وهذا تمثيلٌ لشدّة احتياجه مِن هَولِ ما قاساه فى اللَّيل من الظلام ، والبَرد والضَّلال ، فلمَّا وجَدَنَا فكأنمّا ظفر بخزائن قارون . وهو من السُّموّ ، وهو العلوُّ والرفعة . قال الصحاح : والسُّمَاة : الصيَّادون ، مثل الرُّماة . وقد سَمَوْا واستَمَوْا ، إذا خرجُوا للصيد . وقوله « فلم يُرَى » هذه الألف نشأت من إشباع فتحة الراء ، وهو بالبناء للمفعول بمعنى يُعَلم ، والضَّمير فيه للغلام . وأخا بمعنى صاحب مفعوله الثانى . والدَّلَج بفتحتين : اسم مصدرٍ من أدلج إدلاجا ، كأكرمَ إكراما ، أى سار اللَّيلَ كلَّه . فإنْ خرج آخرَ الليل فقد ادّلج بتشديد الدال . كذا فى المصباح . وأهدى : أفعل تفضيل من الاهتداء إلى الطريق . قال صاحب الصحاح : هديِ واهتدى بمعنىً . وكذا أسمع : أفعل تفضيل ، والمفضَّل عليه محذوف ، أى منه .

وقوله : « فقلت أجِرًّا » هذا خطابٌ لخَادَمَيه . وأجِرًّا بفتح الهمزة وكسر الجيم : أمرٌ من أجررته رَسَنَه ، إذا تركتَه يَصنع ما شاء . يعنى خذُوا رَسَنها ودَعُوها تأكل ما شاءت . وناقة الضَّيف : الناقة التى جاء راكباً عليها . وهذا من أخلاق الكرام ، فإنّ إكرامَ دابّة الضيف غايةُ الإكرام عند الضَّيف . وقوله : « إنّنى جدير » إلخ قال ثعلب : أى من عادتى هذا . انتهى . وفاعل تلقى ضمير ناقة الضيف ، و « إنائى » بالمدِّ والإضافة إلى الياء . والإناء : الوعاء . ومُتَرَّع من تَرّعت الإناء بالتشديد ، وأترعته ، أى ملأتُه . وهذا كنايةٌ عن الخصب والكثرة .

وقوله : « فما برِحَتْ » أى ناقة الضيف . وسَحْواء بالنصب خبر برح ، وسحواء بالمهملتين والمدّ ، قال ثعلب : أى ساكنةٌ عند الحلب [1] . وتُغادِر تترك . والزِّيزاء بكسر الزاى الأولى والمدّ : الموضع الصُّلب من الأرض . والبِرْس بكسر الموحدة [2] واهمال الراء والسين : القُطن ، شبَّه ما سقط من اللَّبن به . انتهى . يعنى ما زالت ناقةُ الضيف ترعَى وتأكل ما تشاء ، حتّى كثُر اللَّبن فى ضُروعها ، فصار ما تقاطر من لبنها فى الأراضى الصُّلبة التى لم تتشرَّب النَّداوة ، كالقُطن المندوف .

وقوله : « كلا قادِمَيْها يفضُل الكفّ » مفعول مقدّم ، نصفه فاعل مؤخّر . والقادمان والقادمتان : الخِلفان المتقدِّمان من أخلاف الناقة اللذان يَليان السُّرَّة . يعنى أنَّ خِلفًا من قادميها يفضُل الكف ولا يسعُه ، لحَفْله باللبن . وقوله : « كجلد الحُبارَى » بضم المهملة بعدها موحدة وبالقصر : طائرٌ على شكل الإوزّة ، برأسه وبطنه غُبرة ، ولون ظهره وجناحَيه كلون السُّمانَى غالباً . كذا فى المصباح . وقوله « تَزلّعا » بالزاى واللام ، قال ثعلب : تزلّع : تقلّع . انتهى .

---

(١) انظر ما أسلفت من القول على كلمة « سحواء » فى ص ٤٤٣ .

(٢) هو بكسر الباء ، وبضمها أيضا كما فى اللسان والقاموس .

وفى الصحاح : تزلَّعت يدُه : تشقَّقت . يريد أنَّ جلد ضروعها تشقَّق من حَفْل اللبن ، كجلد الحبارى إذا تساقَطَ ريشُه . وخَصّ الحُبارَى لأنَّ اللون يجمعهما . ٥٨٧

وقوله : « دفعْت إليه » إلخ أى إلى الغلام الضيف . ذكر إكرام ناقته أوّلاً ، ثم ذكر إكرامه . والرِّسْل ، بكسر الراء قال ثعلب : هو اللَّبن . انتهى . والكوماء ، بفتح الكاف والمد : الناقة العظيمة السَّنام . والجَلْدة ، بفتح الجيم وسكون اللام قال صاحب الصحاح : هى أدسم الإبل لبناً ، والجمع الجِلاد بالكسر . وقوله : « وأغضيت » يقال أغضى الرجل عينَه ، أى قارب بين جفنَيْها . يقول : أغَمضْتُ عينى عِند شربه لئلا يستحىَ أن يشرب رِيًّا . وهذا أيضاً من أخلاق الكرام . والطَّرْف : العين . ونضلَّع ، قال ثعلب : أى امتلأ ما بين أضلاعه .

وقوله : (إذا قال قَطنِى) إلخ قال ثعلب : قَطْنِى حسبى ، أى قلت قد حلفتُ أن تشربَ جميع ما فى إنائك . انتهى .

وقوله : « يدافع حَيْزُومَيْه » قال ثعلب : حَيزُوماهُ : ما اكتنف حُلقومه من جانَبِي الصَّدر . انتهى . والسُّخْن : الحارّ . والصريح : اللبن الذى ذهبَتْ رِغوته . والثمالة بضم المثلثة ، قال ثعلب : هى رغوة اللَّبن . يريد أنَّه يرفع حَلْقَه لاستيفاء اللبن . انتهى . ومُقْنَع : اسم مفعول من أقنعَ رأسَه ، إذا رفعه . كذا فى الصحاح .

وقوله : « إذا عَمّ خِرشاءَ » إلخ الخرشاء بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها شين معجمة . قال صاحب الصِّحاح : الخرشاء كالحِرباء : كلُّ شئ فيه انتفاخٌ وتفتُّق وخروق [١] . قال مزرِّد :

إذا مَسَّ خِرشاءُ الثُّمالِة أنفَه ثَنَى مِشفَرَيه للصَّريح فأقْنَعا [٢]

---

(١) نص الصحاح : « والخرشاء ، مثل الحرباء : جلد الحية ، وقشرة البيضة العليا بعد أن تكسر ويخرج ما فيها ، ثم يشبه به كل شئ فيه انتفاخ وتفتق وخروق » .

(٢) ديوان مزرد ٨٠ عن أمالى القالى ١ : ١٨ واللسان (ثمل) . قلت : وانظر أيضا اللسان (خرش) .

يعنى بها الرغوة . انتهى . وكذا فى العباب . فإنْ صحَّ أنّ هذا البيت لمزّرد يكون ابنُ عَنَّاب الطائى أخذه منه .

ولم يتعرّض له ابنُ برّىّ ولا الصَّفَدىُّ (فيما كتباه على الصحاح) بشىء . والله أعلم .

و « عَمَّ » بمعنى شَمِل . وخِرشاء فاعل ، وأنفه مفعول . و « تقاصَرَ منها للصَّريح » : أى تراجع من الثمالة إلى الصَّريح فشربَه كلَّه . يقال أقمعْتُ ما فى السِّقاء ، أى شربتُه كلَّه . كذا فى العباب عن الأموىّ .

وأقنعا فى بيت مزرّد بمعنى رفع رأسَه كما تقدَّم . والمِشفران : الشَّفتان . وثَنَى : عطف .

حُريث بن عنَّاب ٥٨٨

هذا وحُريث بن عَنَّاب بضم الحاء المهملة وآخره ثاء مثلثة . وعَنّاب بفتح العين المهملة وتشديد النون ، كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف [١]) عن المَعمْرىّ [٢] عن ثعلب ، والجوهرىّ (فى الصحاح) ، والصَّاغانىّ (فى العباب) . قال الأصفهانى فى الأغانى [٣] : هو حُرَيث بن عَنّاب النَّبْهانى ، وهو نَبْهان بن عمرو بن الغَوث بن طيِّىء ، وهو شاعر إسلامىٌّ من شعراء الدَّولة الأمويّة . وليس بمذكورٍ فى الشعراء ، لأنّه كان بدويًّا مقلاًّ غير متصدٍّ بشعرٍ للنّاس فى مدحٍ ولا هجاء ، ولا كان يعدو بشعرِه أمرَ ما لا يخصُّه . ثم أورَدَ له أشعاراً وحكايات .

* * *

(١) التصحيف للعسكرى ٤٠١ . وانظر أيضا ٣٨٦ .

(٢) الذى ذكروه فى تلاميذ ثعلب هو « المعبدى » ، لكن كذا ورد فى التصحيف فى هذا الموضع ، وكذا فى ص ٣٣٩ ، ٣٦٩ يقول فى جميعها : « أنشدنى المعمرى . ونجد أيضا رواية السكرى عنه فى أمالى القالى ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ . والمعبدى هذا هو أحمد بن عبد الله النحوى ، من ولد معبد بن عباس بن عبد المطلب . انظر ترجمته ومراجعها فى إنباه الرواة ١ : ٨٣ .

(٣) الأغانى ١٣ : ٩٨ — ١٠٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد التسعمائة (١)

٩٥٤ (لا تُهِينَ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ تركعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهْ)

على أنَّ نونَ التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين ، والأصل : لا تهينَنْ الفقير فحذفت النون وبقيت الفتحة دليلاً عليها ، لكونها مع المفرد المذكر (٢) . فإن لم تلاقِ النّونُ ساكناً فلا تَحذفُ إلاّ للضرورة .

ورواه الجاحظ (فى البيان) : « لا تحقرنَّ الفقير » ورواه غيره : « ولا تعادِ الفقير » ، فلا شاهد فِيه .

قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : وذلك نَحو ما أنشده أبو زيد (فى نوادره) :

اضربَ عنك الهمــومَ طارقَهـــا ضَـرْبَكَ بالسَّيف قونسَ الفرسِ (٣)

قال ابن خروف : إنَّما جاز ذلك على التقديم والتأخير ، فتوُهِّم اتّصال النون من اضربن بالساكن بعده . والصّحيح أنّه حذفها تخفيفاً لمَّا كان حذفُها لا يُخلُّ بالمعنى ، وكانت الفتحة التى فى الحرف قبلها دليلةً عليها . ويدل على صحَّة ذلك قولُ الشاعر ، أنشده الجاحظ (فى البيان له) :

---

(١) البيان ٣ : ٣٤١ والمعمرين ٨ والشعراء ٣٨٣ والأغانى ١٦ : ١٥٤ والقالى ١ : ١٠٨ وابن الشجرى ١ : ٣٨٥ وحماسته ١٣٧ والإنصاف ٢٢١ والحماسة البصرية ٢ : ٣ وابن يعيش ٩ : ٤٣ ، ٤٤ والمقرب ٢ : ١٨ والخزانة ٤ : ٥٨٨ وشرح شواهد الشافية ١٦٠ ورصف المبانى ٩٦٠ والمغنى ١٥٥ ، ٦٤٢ والعينى ٤ : ٣٣٤ والتصريح ٢ : ٢٠٨ والهمع ١ : ١٣٤ / ٢ : ٧٩ والأشمونى ٣ : ٢٢٥ وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٥١ .

(٢) الكلام بعده إلى « للضرورة » موضعه فى ط بعد عبارة « فلا شاهد فيه » . وهو خلل فى ترتيب الكلام ، صوابه فى ش .

(٣) نوادر أبى زيد ١٣ . والبيت لطرفة وليس فى ديوانه . وانظر تخريجه فى معجم الشواهد

خلافاً لقولى من فَيالةِ رأيه كما قيل قَبْلَ اليوم خالفَ تُذْكرا (١)

يريد : خالِفَنْ . وقول الآخر ، أنشده الفارسى :

إنّ ابن أحوصَ مغرورٌ فبلِّغَهُ فى ساعديه إذا رام العُلاَ قِصَرُ (٢)

يريد : فَبلِّغَنْه . وقول الآخر :

ياراكبـاً بلِّـغَ إخوانَنـا مَنْ كان من كندةَ أو وائلِ (٣)

يريد : بلِّغَنْ إخواننا . ألا ترى أنّ النون مِن خالفَنْ وبلّغَنْه وبَلِّغَنْ لا يمكن أن يقال إنّها حُذِفت على توهُّم اتِّصالها بساكن . ومثل ذلك ما أنشده أبو زيد (فى نوادره) : ٥٨٩

فى أىِّ يومَىَّ من الموتِ أَفِرّْ أيومَ لم يُقْدَرَ أم يَوْمَ قُدِرْ (٤)

يريد : لم يُقْدَرَنْ ، ودخلت النون على الفعل المنفى بلم كما دخلت عليه فى قول الآخر :

* يَحسَبه الجاهلُ ما لم يعلما (٥) *

---

(١) البيان ٣ : ١٨٧ والحيوان ٧ : ٨٤ والضرائر ١١١ والعينى ٤ : ٣٤٥ والأشمونى ٣ : ٢٢٧ ورواية « خالفَ تذكرا » هى رواية كتب النحو . وأما رواية الجاحظ فهى فى أصل الحيوان « خالف تذكر » بدون ألف بعد الراء . وفى البيان فى نسخة واحدة : « خالف لتذكرا » وفى سائر نسخه: « خالف فتذكرا » ، وهى الرواية التى أبقيت عليها فى البيان والحيوان . وانظر المثل : « خالف تذكر » عند الميدانى . والفيالة ، بالفتح : ضعف الرأى .

(٢) المحتسب ١ : ١٩٦ برواية : « معروفا فبلِّغُهُ » وقال : أراد فبلِّغْهُ ثم نقل الضمة من الهاء إلى الغين فصار بَلِّغُهْ ، ثم حرك الهاء بالضم وأقر ضمة الغين عليها بحالها فقال « فبلِّغُهُ » . وعلى هذا القول يكون الشاهد لأمر آخر .

(٣) لامرئ القيس فى ديوانه ٢٥٨ والضرائر ١١٢ .

(٤) لعلى بن أبى طالب فى ديوانه ٥٤ . وانظر نوادر أبى زيد ١٣ وحماسة البحترى ٨٥ والعقد ١ : ١٠٥ والخصائص ٣ : ٩٤ ، ٢٢١ والمحتسب ٢ : ٣٦٦ وسر الصناعة ١ : ٨٥ والضرائر ١١٢ .

(٥) هو الشاهد ٩٤٩ . وقد سبق فى ص ٤٠٩ .

ولا يجوز مثل هذا فى سَعة الكلام إلاّ شاذًا ، نحو قراءة أبى جعفر المنصور : ﴿ ألم نشرَحَ لك صَدْرَك ﴾ بفتح الحاء .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ للأضبَطِ بن قُرَيع السّعدِىّ ، أوردها القالى (فى أماليه) عن ابن دُريد عن ابن الأنبارى عن ثعلب . قال ثعلب : بلغنى أنّها قيلت قبلَ الإسلام بدهرٍ طويل [١] . وهى :

(لكلّ همٍّ من الهُمومِ سَعَهْ والمُسْىُ والصُّبحُ لا فلاحَ مَعَهْ
ما بالُ من سَرَّه مصابُك لو يَملِكُ شيئاً من أمرِه وزعَه [٢]
أذودُ عن حوضِه ويدفعُنى يا قومِ مَنْ عاذرِى من الخُدَعه [٣]
حتّى إذا ما انجلَتْ عَمَايتُه أقبلَ يلحَى ، وغَيُّه فَجَعَه
قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِه ويأكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جمعَه
فاقبَلْ من الدَّهر ما أتاكَ به مَنْ قَرَّ عيناً بعيشِه نفعَه
وصِلْ حبال البعيد إنْ وصل الـ ـحَبْلَ وأقصِ القريبَ إن قطعَه
ولا تُعادِ الفقير عَلّكَ أنْ تركَعَ يوما والدّهرُ قد رفعَه [٤]) انتهى

ورواها أيضا ابن الأعرابى ، والجاحظ ، وصاحب الحماسة البصرية ، والشريف (فى حماسته) ، وابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) ، وصاحب الأغانى وغيرُهم ، بتقديم بعضها على بعض وطرح أبياتٍ منها .

(١) فى مجالس ثعلب ٤٨٠ بعد إنشاد البيت الثالث والسابع من المقطوعة التالية : « هكذا سمعت هذا البيت . قال – يعنى الأصمعى – : وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة . قال : وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير » .

(٢) فى الأمالى : « لا يملك » .

(٣) الخدعة هنا : بطن من تميم ، كما سيأتى فى الشرح .

(٤) وكذا عند القالى وابن الشجرى . وفى الأغانى : « لا تحقرن الفقير » ، وفى الحماسة البصرية : « فلا تهين الكريم » ، وفى سائر المراجع : « ولا تهين الفقير » .

قال الجوهرى : المُسْى بضم الميم وكسرها وسكون السين : اسمٌ من الإمساء . والصُّبح : اسمٌ من الإصباح . وأنشد هذا البيت . والفَلاح : البقاء . وروى به أيضا (١) .

وقوله : « ما بالُ من سَرَّهُ مصابُك » إلخ المصاب بالضم : المصيبة . ورُوِىَ أيضا : « ما بال من غيُّه مُصيبُك » . والغَىّ : الخَيبةُ والحرمان . يقال غوَى من باب رمى . قال المرقّش :

فمن يلقَ خيراً يحمَد الناسُ أمرَهُ ومن يَغوِ لا يعدَمْ على الغىِّ لائما (٢) ٥٩٠

وجملة « لو يملك » من الشَّرط والجزاءِ حاليّة . ويروى « لا » موضع « لو » وهو غير صحيح . ووزعَهُ يَزَعُه وَزْعا : كفَّه ومنَعَه ، بالزاى المعجمة . يقول : ما بال من تتألم لخيبته وفقره ، فإذا وجد شيئاً من الخير كفَّه عنك .

وقوله : « أذود عن حوضه » هذا مثلٌ للحمايةِ ودفع المكروه عنه . والخُدَعة ، بضم الخاء المعجمة وفتح الدال : بطن من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهم قومُه . قاله صاحب الأغانى وغيره .

والعَماية ، بفتح العين المهملة : الشِّدَّة التى تلتبس منها الأمور . يقال عَمِىَ عليه الأمر ، إذا التبس . وأقبَلَ : شرَع . ويَلحَى : يلوم . وغيُّه : ضَلالُه . وفجَعه : أصابه بمكروه .

وقوله : « وصِلْ حبالَ البعيد » ، يعنى تقرَّبْ إلى البعيد من النَّسب إذا طلب قُربَك ، واهجر القريبَ مِن نَسَبِك إذا هجَرك . وما قاله تمثيلٌ لما قلنا .

(١) هى رواية الحماسة البصرية : « لا بقاء معه » .

(٢) من المفضلية ٥٦ للمرقش الأصغر ٢٤٧ .

وقوله : (لا تُهِينَ الفَقير) إلخ ، الإهانة الإيقاع فى الهُون بالضم ، والهَوَانِ بالفتح ، وهما بمعنى الذلّ والحقارة . و (عَلّ) بفتح اللام وكسرها : لغة فى لعَلّ ، وهى هنا بمعنى عسى . ومثله فى المعنى قولُ الآخر :

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتَه   من اليوم سُؤْلا أن يكونَ له غدُ[1]

واستُشهِد بهذا البيت فى التفسير عند قوله تعالى : ﴿ وارْكَعُوا مع الرَّاكِعِينَ [2] ﴾ على أنَّ الركوع هو الخضوع والانقياد ، كما فى البيت .

وجملة (والدهر قد رفعَه) حال من ضمير تركع . وقال العيْنىّ : الركوع : الانحناء والمْيل ، منِ ركعت النخلةُ إذا انحنَتْ ومالت . أراد به الانحطاط من المرتبة ، والسُّقوطَ من المنزلة . انتهى .

ونقل الشيخ خالد فى التصريح أنّ هذا الشعر قيل قبل الإسلام بخمسمائة عام [3] .

وكان سبب هذا الشعر على ما فى الأغانى عن أبى محلِّم ، أنّ أمَّ الأضبط كانت عجيبة [4] بنت دارِم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطَّموح [5] بنت دارم ، فحارب بنو الطَّموح [6] قوما من بنى سَعد ، فجعل الأضبط يدسُّ إليهم الخيلَ والسلاح ولا يصرِّح بنصرهم ، خوفاً من أن يتحزَّب قومُه حزبين معه وعليه ،

---

(١) وكذا ورد بدون نسبة فى الحماسة ١١٥١ بشرح المرزوقى .
(٢) الآية ٤٣ من سورة البقرة .
(٣) انظر ما سبق فى الحواشى ص ٤٥٢ .
(٤) كذا فى النسختين . وفى الأغانى ١٦ : ١٥٤ : « عجبة » .
(٥) فى الأغانى : « الطم » .
(٦) فى الأغانى : « بنو الطم » .

وكان يشِير عليهم بالرأى فإذا أبرمَه نَقضُوه [١] وخالفُوا عليه ، وأرَوْه مع ذلك أنّهم على رأيه ، فقال فى ذلك هذه الأبياتَ .

الأضبط بن قُريع ٥٩١

وهو الأضبط بن قريع بن عَوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مَناةَ بن تميم . وقُرَيع بضم القاف وفتح الراء ، هو أبو جَعفر ، الملقّب بأنف الناقة أيضا .

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : الأضبط بن قريع السعدىُّ هو من عوف بن كعب بن سعد رهطِ الزِّبرقان بن بدر ، ورهطِ بنى أنف الناقة . وكان قومه أساءوا مجاورته ، فانتقل منهم إلى غيرهم ، فأساءوُا مجاورتَه أيضاً ، فرجَعَ إلى قومه وقال : « بكلِّ وادٍ بنو سعد » . وهو جاهلىٌّ قديم . وكان أغار على بنى الحارث ابن كعب فقتَل منهم وأسَر وجَدَع وخَصَى ، ثم بنى أُطُماً ، وبَنَتِ الملوكُ حول ذلك الأطمِ مدينه صنعاء ، فهى اليوم قَصَبتُها . وهو القائل :

* يا قوم مَنْ عاذِرِى من الخُدَعَهْ *

وأوَّل الشعر :

* لكلِّ ضيق من الأمور سَعَه *

مع أربعةِ أبياتٍ أُخر . انتهى .

وزعم خضرٌ الموصلى أنّ أوّلَ هذا الشعر عند ابن قتيبة هو المصراع المتقدّم . وليس كذلك كما ترى .

قال صاحب الأغانى : كان الأضبط بن قريع مفرَّكا، بتشديد الراء المفتوحة ، وهو الذى تُبغضه زوجته . وكان فى الحرب يتقدَّم أمام الصَّفّ ويقول :

أنا الفتى تفرُكه حلائلهُ ألاَ فتىً معشّقٌ أنازلُه

---

(١) وكذا فى الأغانى . لكن فى ش : « وكان لما يشير عليهم بالرأى نقضوه » ، نقص وتحريف .

واجتمع نساؤه ليلةً يتسامَرْن ، فتعاقدن على أن يصدُقْنَ الخبر عن فَرْك الأضبط ، فأجمعْنَ أنّ ذلك لأنّه بارد الكمرَة ، فقالت لإحداهنّ خالتُها : أفتعجِزُ إحداكّن إذا كانت ليلتُها أنْ تسخِّن كمرته بشيءٍ من دُهن . فلمّا سمع قولَها صاح : يا آل عوفٍ ! فثار الناس وظنّوا أنّه قد أُتِىَ [1] فتسارعوا إليه ، فقالوا : ما بالُك ؟ فقال : أوصيكم أنْ تسخِّنوا الكَمَر ، فإنّه لا حُظوةَ لبارد الكمَرة . فانصرفوا ضاحكين ، وقالوا : تبًّا لك ، ألهذا دعوتَنا . انتهى .

ونقل السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) عن (الحماسة البصرية) أنّ الأضبط بن قُرِيعٍ السعدىَّ من شعراء الدولة الأمويَّة . ولم يتعقَّبْه بشيء . وهذا عجيبٌ منه .

والأضبط معناه فى اللغة : الذى يعمل بكِلتا يديه . والمرأة ضَبْطاء . يقال ضَبِط الرجُل بالكسر ، يَضْبَطُ بالفتح ضَبْطا بالسكون .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائىُّ وَهَّابُ المِئي)

٥٩٢ وتقدَّم شرحه فى الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة [2] وفى غيره أيضا .

---

(١) وكذا فى الأغانى . لكن فى ش : « أن قد أُتُوا » .

(٢) الخزانة ٧ : ٣٧٥ – ٣٧٩ .

هاء السكت

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد التسعمائة [١] :

٩٥٥ (يا مَرْحَباهُ بحمارِ عَفْراءْ)

على أنّ هاء السكت فيه قد روى بالوجهين بالضم والكسر .

وظاهر كلامه أنَّ تحريكها بما ذُكر فى إثباتها وصلاً بعد الألف لغة . وتقدَّم منه فى باب الندبة أنَّ ثبوتها فى الوصل مكسورةً أو مضمومةً ضرورةٌ عند البصريين ، وجائزٌ عند الكوفيِّين . وزاد هنا أنَّها بعد الواو أيضاً تكسر وتضمُّ ، وأنَّها بعد الألف تفتح أيضا .

وذكر فى باب العَلَم أنَّ جواز تحريكها بالضم والكسر فى السَّعة إنَّما هو فى : يا هناه وأخواته . فوجب أن يُحمَل ما هنا على ما تقدَّم من كلامَيْه ليوافق كلامُه فى جميع المواضع مذهبَ البصريِّين . وكان ينبغى أنْ يقدِّم الكسر على الضم فإنّه الأُصل فى التخلُّص من التقاء الساكنين ، وأمَّا التحريك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير فهو أَرْدَأ الوجهين . وتقدَّم فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [٢] توجيه تحريكها فى الوصل (من الخصائص لابن جِنّى) ، بأنَّه منزلة بين منزلتى الوَقِف والوصل .

وذهب ابن جنى فى بعض كتبه (وهو شرح ديوان المتنبى) [إلى [٣]] أنّ

---

(١) إصلاح المنطق ١٠٥ والمنصف ٣ : ١٤٢ ونظام الغريب ١٦٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ والضرائر ٥١ . وروايته فى نظام الغريب : « عفرا » ، « بما شا » ، « والما » بالقصر فى القوافى كلها .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٨٨ .

(٣) التكملة من ش .

تحريكهَا شاذٌ ضعيف عند البصريين ، لا يُثبتونه فى الرواية ، ولا يحفَظونه فى القياس ، من جهةِ أنّه لا يخلو من أنْ تجرىَ الكلمة على حدِّ الوقف أو على حدِّ الوصل . فإن أجراها على حدِّ الوصل فسبيله أنْ يحذف الهاء وصلاً لاستغنائه عنها . وإن كان على حدِّ الوقف فقد خالف ذلك بإثباته إيّاها متحرِّكة ، وهى فى الوقف بلا خلافٍ ساكنة ، ولا يعلم هنا منزلةٌ بين الوصل والوقف يُرجَع إليها ، وتُجرَى هذه الكلمة عليها . فلهذا كان إثبات الهاء متحرّكةً خطأً عندنا . انتهى .

وقد رجع عن هذا (فى الخصائص) كما نقلناه هناك .

٥٩٣ وقوله : « إثبات الهاء متحرّكة خطأً » ، تبعه فيه الزمخشرى (فى المفصَّل) ، قال : وتحريكها لحن .

وكذا قال صاحب اللُّباب . وهذا ممَّا لا ينْبغى ، فإنَّ العربَ معصومون عن الخطأ واللحنِ فى الألفاظ ، حتّى قيل : إنَّ البدويَّ لا يطاوعُه لسانه فى ذلك .

صاحب الشاهد والبيت الشاهد لعُروة بن حِزامٍ العُذْرىّ ، وهو من صميم العرب فى صدر الإسلام . ومن شعره أيضا قوله :

يارِبّ يا ربَّاهُ إيَّاكَ أسَلْ عَفراءَ يا ربَّاهُ من قبلِ الأجلَ (١)

وكذا قال المجنون قيسٌ العامرىّ ، وهو من اللِّسان بمكان :

فقلت أيا ربَّاهُ أوّلُ سؤلتى لنفِسىَ ليلَى ، ثم أَنتَ حسيبُها

ومثل هذا ممَّا يقع نظماً لا نثراً ضرورةٌ .

(١) معانى الفراء ٢ : ٤٢٢ وإصلاح المنطق ٩٣ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافية ٢٢٨ . وقد سبق الشاهد فى ٧ : ٢٧٠ – ٢٧٤ .

(٢) ديوان المجنون ٦٧٠ وهمع الهوامع ٢ : ١٥٧ .

وقوله :

* يا مرحباهُ بحمار عفراءْ *

بعده :

إذا أتى قرّبتُه لما شاءْ من الشَّعير والحشيشِ والماءْ

عَفراء هى محبوبةُ عروة بن حزامٍ العُذْرىّ . قال عيسى بن إبراهيم الرَّبَعى [١] (فى نظام الغريب [٢]) ، وهو تأليفٌ قديم فى اللغة : ولدُ الظبية ، سمِّى بذلك لأنَّ لونه لون العَفَر ، وهو التراب ، ولذلك قيل : ظبىٌ أعفرُ ، وظبيةٌ عفراء ، وبه سمِّيت المرأة عفراء . وأنشدَ هذه الأبياتَ الثلاثة .

وقال ابن يعيش : كان عُروة يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

* يا ربّ يا ربَّاهُ إيَّاكَ أسَلْ *

ثم خرج فلقىَ حماراً عليه امرأة فقيل له : هذا حمار عفراء . فقال :

* يا مرحباهُ بحمارِ عفراء * إلخ

فرحَّب بحمارها لمحبَّته لها ، وأعدَّله الشعير والحشيش والماء . ونظير معناه قول الآخر :

أُحِبُّ لحبِّها السُّودانَ حتَّى أحبُّ لحبِّها سودَ الكِلاب [٣] انتهى .

---

(١) أبو محمد عيسى بن إبراهيم الربعى لغوى كان عليه المعوّل فى اليمن . توفى سنة ٤٠٨ . بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٢) نشره المستشرق بولس برونله فى مطبعة هندية سنة ١٩١٣ . وانظر المستشرقون ٢ : ٨٠١ . والنص التالى فى نظام الغريب ١٦٢ .

(٣) جمل الزجاجى ١٩٥ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وعيون الأخبار ٤ : ٣٣ . وقد سبق فى ٧ : ٢٧٣ .

ولم أجدْ هذا الرجز فى ديوان عروة ، ولعلَّه ثابتٌ فيه من روايةٍ أخرى . وتقدَّمت ترجمته فى الشاهد السادس والتسعين بعد المائة [١] .

وقالوا فى هذه الأبيات : يجوز أن تروى بالمد والقصر ، فإذا مُدَّت كانت من الضرب الخامس من السريع المشطورِ المخبون الموقوف : فعولانْ أو مفاعيلْ . ومثله :

يمتسكون من حِذار الإلقاءْ   بتَلَعاتٍ كجذوع الصِّيصاءْ [٢]

واذا قُصِرت كانت من الضرب السادس من مشطور السريع المخبون .

وأمَّا قوله :

* يا ربّ يا ربّاه إيّاك أَسَلْ *

فقد تقدّم شرحه فى الشاهد الثانى والثلاثين بعد الخمسمائة [٣] . وأما قول الآخر :

يا مَرحباهُ بحمارِ ناجيَهْ   إذا دنا قرَّبته للسَّانيَه

فقد تقدَّم شرحه فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائة [٤] .

---

(١) الخزانة ٣ : ٢١٥ – ٢١٨ .

(٢) الرجز فى الخصائص ١ : ٢٨٠ والمنصف ٢ : ١٧١ والأشباه والنظائر ٣ : ١٦٨ .

(٣) الخزانة ٧ : ٢٧٠ – ٢٧٤ .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٨٧ – ٣٨٩ .

شين الكشكشة

أنشد فيه ، وهو ا لشاهد السادس والخمسون بعد التسعمائة [١] : ٥٩٤

٩٥٦ (تَضحَكُ منِّى أنْ رأتنى أَحترِشْ ولو حَرشْتِ لكشفتِ عن حِرِشْ)

على أنَّ ناساً من تميم ومن أسد يجعلون مكان الكاف المؤنث شيناً فى الوقف ، كما فى حِرِش ، وأصله حرِكْ .

قال المبرد (فى الكامل [٢]) : بنو عمرو بن تميم إذا ذكرَتْ كاف المؤنَّث فوقفت عليها أبدلَتْ منه شيناً ، لقرب الشين من الكاف فى المخرج ، فإنَّها مهموسةٌ مثلها ، فأرادوا البيان فى الوقف ، لأنَّ فى الشين تفشّيا ، فيقولون للمرأة : جعل الله البركَة فى دارِشْ . والتى يُدْرجونها يَدَعونها كافاً . انتهى .

وربمَّا فعلوا هذا فى الكاف الأصلية المكسورة ، أنشد ثعلبٌ (فى أماليه) عن ابن الأعرابىّ [٣] :

علىَّ فيما أبتَغِى أُبغيشِ بيضاءَ تُرضينى ولا تُرضيشِ
وتطلبى وُدّ بنى أبيشِ إذا دَنوتِ جعلَتْ تُنئيشِ
وإن نأيتِ جعلت تُدنيشِ وإن تكلَّمتِ حَثَتْ فى فيشِ
* حتّى تَنِقِّى كنقيق الدِّيشِ *

قال ثعلب : يجعلون مكان الكاف الشين ، وربمَّا جعلوا بعد الكاف

(١) شرح شواهد الشافية ٤١٩ وملحقات أمالى الزجاجى ٢٣٥ .
(٢) الكامل ٣٦٥ فى نص مسهب .
(٣) مجالس ثعلب ١٤١ . وانظر كذلك مجالس ثعلب ص ١٠٠ .

الشين والسين ، يقولون : إنّكشْ وإنّكس ، وهى الكاف المكسورة لا غير ، يفعلون هذا توكيداً لكسر الكاف بالشين والسين ، كما يقولون : ضربتِيه وضربتِه ، لقرب مخرجها منها . انتهى .

والشاهد فى قوله : « كنقيق الدِّيش » ، فإنّ أصله الدِّيك ، وكافه أصلية ، وفى جميع ما عداه الشين بدلٌ من كاف المخاطبة .

والبيت الشاهد أنشده ابنُ الأعرابىّ (فى نوادره) كما هنا .

وقوله : (أن رأتنى) إلخ بدلُ اشتمالٍ من الياء المجرورة بمَن . والاحتراش : صيد الضّبّ خاصة ، والعرب تأكله . قال صاحب العباب : احترش الضبَّ : اصطاده . وعن ثابت بن زيدٍ [1] الأنصارى ، أنّه أتى النبىَّ ﷺ رجلٌ بضِبابٍ قد احترشَها فقال : « أمّةٌ مُسِخَت من بنى إسرائيل دوابَّ » . فقال : « لا أدرى أىُّ الدوابِّ هى ؟ » ، فلم يأكلْها ولم ينهَ عنها . انتهى .

ويقال أيضا : حَرَشَ الضب يَحرِشه حرشاً ، من باب ضرب ، أى صاده ، فهو حارش الضِّباب . وهو أن يحرِّك يده على جُحر ليظنّه حَيَّة ، فيخرج ذنبَه ليضربَها ، فيأخذه .

وقال المفضل بن سَلَمة (فى كتاب الفاخر [2]) : الحرش أن يُؤتى إلى باب جحر الضبّ بأسود الحيات ، فيحرَّك عند فم الجُحر ، فإذا سمع الضبُّ حِسّ الأسود خرج إليه ليقاتله ، فيصاد . انتهى .

---

(١) هو ثابت بن زيد ، أو ابن يزيد ، بن وديعة . انظر الإصابة ٨٨٣ ، ٩١٢ . والحديث أخرجه أبو داود فى (الأطعمة) ، والنسائى وابن ماجه فى (الصيد) .

(٢) الفاخر للمفضل ٢٤٢ ، ٢٨٩ .

والمشهور الأوّل . ومما تَحكى العرب عن الضبّ من أكاذيبهم ، أنّه إذا وُلد للضبّ ولدٌ قال : يا بنيَّ اتَّقِ الحَرْش . قال : وما الحَرْش ؟ قال : إذا سمعتَ حركةً بباب الجُحر فلا تخرجْ . فسمِع يوماً صوتَ فأس يُحفَر به جُحرهُما ، فقال : يا أبتِ أهذا الحرش ؟ فقال : « هذا أجَلُّ من الحَرْش » ، فصار مثلاً يُضرَب لمن يخاف شيئاً فيقع فى أشدَّ منه .

٥٩٥

وإنَّما ضحكت منه استخفافاً به لمَّا رأته يصيد الضب ، لأنّه صيدُ العَجَزة والضُّعفاء .

ورواه الزجاجى (فى أماليه الوسطى) كذا :

* تعجَّبتْ لمّا رأتنى أحترِشْ *

وقوله : (ولو حرشتِ) التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . يعنى لو كنت تصيدين الضبَّ لأدخلتِه فى فرجك دون فمك إعجاباً به ، وإعظاماً للذّته . والحِرُ بالكسر للمهملة : فرج المرأة ، وأصله حِرْح بسكون الراء ، فحذفت الحاء الأخيرة منه ، واستُعمل استعمالَ يدٍ ودمٍ. ويدلُّ على أصله تصغيرُه وجمعُه ، فإنّه يقال حُريح وأحراح . وقد يعوَّض من المحذوف راء فيقال ، حِرّ بتشديد الراء .

ولم أقف على قائله ولا على تتمته . [والله أعلم [1]] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد التسعمائة ، وهو آخر الشواهد [2] :

---

(١) التكملة من ش .

(٢) الكامل ٥٠٩ والقالى ٣ : ٦٣ والخصائص ٢ : ٤٦٠ وسر الصناعة ١ : ٢١٦ ودرة الغواص ١١٠ وابن يعيش ٨ : ٩/٧٩ : ١٠/٤٨ : ٨ والمقرب ٢ : ١٨٢ والممتع ٤١١ وديوان المجنون ٢٠٧ .

٩٥٧ (فعيناشِ عيناها وجِيدُشِ جيدُها   سِوَى أنَّ عظمَ الساقِ مِنْشِ دَقيقُ)

على أنّه كان القياس فى هذه الشين المبدلة من كاف المخاطبة أن تحذف فى الدَّرْج ، لكنَّها أُجريت فى حالة الوصل مُجرى حالة الوقف .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) : ومن العرب من يبدل كافَ المؤنث فى الوقف شيناً ، حِرصاً على البيان ، لأنّ الكسرة الدالَّة على التأنيث فيها تَخْفى فى الوقف ، فاحتاطوا للبيان بأنْ أبدلوها شيناً فقالوا : عَلَيْشْ ، ومِنْشْ ، ومررت بشْ . وتحذف فى الوصل . ومنهم من يجرى الوصل مُجرى الوقف فيُبدِل فيه أيضا . وأنشدوا للمجنون :

* فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها *

.... البيت . انتهى .

قال الفالى[1] (فى شرح اللُّباب) : وإنمّا سمِّيت هذه اللغة أعنى إلحاق الشين بالكاف الكِشكِشةَ لاجتماع الكاف والشين فيها . وإنما كسرت الكافان فى لفظ الكِشْكِشة لحكاية الكسر ، لكون الكاف للمؤنَّث . ومنهم من يفتحُهما على حدِّ قولهم فى التعبير عن بسم الله بالبَسْملة . وكذلك الكَسكَسة بالوجهين .

قال المبرد (فى الكامل[2]) : حدَّثنى مَن لا أُحصِى من أصحابنا ، عن الأصمعىّ عن شُعبة عن قتادة قال : قال معاوية يوماً : من أفصحُ الناس ؟ فقام رجلٌ من السِّماط فقال : قومٌ تباعدوا عن فُراتِيَّة العراق ، وتيامَنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طُمطُمانية حِمير . فقال له معاوية : مَنْ أولئك ؟ فقال : قومُك يا أمير المؤمنين . فقال له معاوية : من أنت ؟ قال : رجلٌ من جَرْم . قال الأصمعى : وجرمٌ من فصحاء الناس . قوله : « تيامنوا عن كشكشة تميم » ، فإنَّ بنى

---

(١) فى النسختين : « القالى » بالقاف ، وهو تحريف نبهت عليه فى أكثر من موضع .

(٢) الكامل للمبرد ٣٦٤ – ٣٦٥ .

عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئا ، لقرب الشين من الكاف فى المخرج ، وأنّها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان فى الوقف ، لأنّ فى الشين تفشّياً . فيقولون للمرأة : جعلَ الله لكِ البركة فى دارِشْ ، وويحكِ مالَشْ . فالتى يدرجونها يَدَعونها كافاً ، والتى يقفون عليها يبدلونها شِيناً . وأمّا بكر فتختلف فى الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سِيناً كما فعل التميميون [1] فى الشين ، وهم أقلُّهم . وقومٌ يَبيِّنُونَ حركةَ كاف المؤنث فى الوقف بالشّين [2] فيزيدونها بعدها ، فيقولون : أعطيتكِشْ [3] . وأمّا الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره ، لأنّه صوتٌ لا يفهمُ تقطيعُ حروفه . والطّمطمة : أن يكون الكلام مُشبِهاً لكلام العجم . انتهى .

٥٩٦

وكذا أورده الزمخشرى (فى المفصل) .

والسِّماط بالكسر : الصفُّ من الناسِ ، والجانبُ .

قال ابن يعيش ، قال : جَرْمٌ بطنان من العرب : أحدُهما فى قضاعة ، وهى جَرْم بن زَبَّان . والآخر فى طيِّىء ، يوصفون بالفصاحة . والفراتيَّة : لغة أهل الفرات الذى هو نهر أهلِ الكوفة . والفراتان : الفرات ودُجيل . ويروى : « لخلخانيَّة العراق » واللَّخلخانيَّة : العُجمة فى المنطق ، يقال رجلٌ لخلخانىٌّ أذا كان لا يُفصح . والغمغمة : أن لا يتبيَّنَ الكلامُ ، وأصله أصوات الثِّيران عند الذُّعر ، وأصواتُ الأبطال عند القتال . وقُضاعة : أبو حيٍّ من اليمن ، وهو قضاعة ابن مالك بن سبأ . والطُّمطمانية بضم الطاءين : أنْ يكون الكلام مشبهاً لكلام

(١) الكامل : « كما يفعل التميميون » .

(٢) ش : « بالسين » صوابه فى ط والكامل وسر الصناعة ١ : ٢١٤ .

(٣) ش : « أعطيتكس » بالسين ، صوابه فى ط والكامل .

العجم [١] ، يقال رجل طِمطِمٌ بكسر الطاءين ، أى فى لسانه عُجمة لا يفصح . والطُّمطمانىُّ مثله . وحِمْير : أبو قبيلةٍ ، وهو حِمْير بن سبأ بن يشجُب بن يَعرُبَ بن قحطان . ومنهم كانت الملوكُ الأُوَل . وصف هذا الجرمىُّ قومَه بالفصاحة وعدم اللُّكنة ، والتباعدِ عن هذه اللغات المستهجنة . انتهى .

وأورد الحريرى (فى درة الغوَّاص) هذا الخبر عن الأصمعىّ كذا فقال : قومٌ تباعدوا عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بَكر ؛ ليس فيهم غمغمة قُضاعة إلخ .

قال : وأراد بعنعنة تميم أنَّ تميما يبدلون من الهمزة عينا ، كما قال ذو الرمة :

* أعَنْ تَرَسَّمت من خرقاء منزلةً [٢] *

يريد : أأنْ ترسَّمت . وأمَّا تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة فيقولون : أنت تِعْلَم . وحدّثنى أحدُ شيوخى أنّ ليلى الأخيليَّة ممَّن كانت تتكلم بهذه اللغة ، وأنّها استأذنت ذاتَ يوم على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشَّعبىُّ فقال له : أتأْذنُ لى يأميرَ المؤمنين فى أن أُضحِككَ منها [٣] ؟ قال : افعلْ . فلما استقرَّ بها المجلس قال لها الشعبى : يا ليلى ما بالُ قومِكِ لا يكتنون ؟ فقالت له : ويحك أما نِكْتَنى ؟ فقال : لا والله ، ولو فعلتُ لاغتسلتُ . فخجلتْ عند ذلك واستغرَبَ عبد الملك فى الضَّحك . انتهى المقصود منه .

ورأيت (فى أمالى ثعلب [٤]) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عنعنة

---

(١) ش : « بكلام العجم » .

(٢) تمامه كما فى ديوان ذى الرمة ٥٦٧ والخزانة ١٠ : ٢٩٢ :

* ماء الصبابة من عينيك مسجوم *

(٣) فى درة الغواص ١١٥ : « أن أضحك منها » .

(٤) مجالس ثعلب ١٠٠ .

تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجُّع قيس ، وعجرفيّة ضَبة . فأمّا عنعنة تميم فإنّ تميما تقول فى موضع أنّ : عنّ ، تقول : عَنَّ عبدَ الله قائم . وأما تلتلة بهراء فإنّها تقول : تِعلمون وتِفْعَلون وتِصنَعون بكسر أوائل الحروف . انتهى .

رجَعْنا إلى البيت الشاهد . قال المبرد (فى الكامل [١]) . عين الإنسان مشبَّهة بعين البقرة ، فى كلامهم المنثور ، وشعرهم المنظوم . قال المجنون :

٥٩٧

فعيناكِ عيناها وجِيدُكِ جيدُها ولكنَّ عظمَ السَّاقِ مِنْكِ دقيقُ [٢]

وقال الآخر [٣] :

فلم تر عَينى مِثلَ سِربٍ رأيته خَرجنَ علينا من زُقاق ابنِ واقِفِ

طَلَعن بأعناق الظباءِ وأعين الـ ـجآ ذِرِ وامتدَّت لهنّ الروادفُ [٤] انتهى .

فروىَ البيتَ على الأصل من غير إبدال ، وهو المشهور فى الرواية . وكذا القالى (فى ذيل أماليه) بسنده ، قال : كان مجنون بنى عامر فى بعض مجالسه ، وكان يُكثر الوَحدة والتوحُّش ، فمرَّ به أخوه وابنُ عمِّه قد قنصا ظبيةً فهى مَعَهُما ، فقال :

يا أخويَّ اللذين [اليَوْمَ] قد أخذا شِبْهًا لليلى بحبلٍ ثم غَلاَّها [٥]

---

(١) كامل المبرد ٥٠٩ – ٥١٠ .

(٢) ط : « رقيق » ، صوابه فى ش وسائر المراجع .

(٣) هو عمر بن أبى ربيعة كما فى الكامل ٩١ وملحقات ديوان عمر ٤٨٨ .

(٤) فى الكامل ٥١٠ : « بهن الروادف » . وفى البيت إقواء .

(٥) سقطت كلمة « اليوم » من النسختين فصار البيت غير مستقيم الوزن ، وتنبه لذلك محقق طبعة بولاق ، وكتب : « هذا الشطر غير مستقيم الوزن فليحرر » . وقد أثبت هذه الكلمة الشنقيطى غفر الله له فى حواشى نسخته ، وهى ثابتة أيضا فى ذيل الأمالى ٣ : ٦٣ . غَلاَّها : وضعا عليها الغل ، بالضم ، وهو القيد .

إنِّى أرى اليومَ فى أعطاف شاتِكما   مَشَابهاً أُشبهتْ ليلى فَحُلاَّها [١]

فامتنعا بها منه ، فهمَّ بهما ، وكان جَلْداً قبل ما أصيب به [٢] ، فخافاه فدفَعَاهَا إليه ، فأرسلها فولَّت تفِرّ ثم أقبلَتْ تنظر إليه ، فقال :

أيا شِبْه ليلى لا تُراعِى فإنّنى   لكِ اليومَ مِن وحشيّة لَصديقُ

تفرُّ وقد أطلقْتُها من وَثَاقِهـا   فأنتِ لليلَى إنْ شَكَرت طليقُ [٣]

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها   ولكن عظمَ الساقِ منك دقيق [٤] انتهى .

وقريبٌ منه قول ذى الرمة :

أرىَ فيك مِن خرقاءَ يا ظبيةَ اللِّوى   مَشَابهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائلِ [٥]

فعينـاكِ عيناهـا ولـونُك لونها   وجيدُكِ ، إلاّ أنّها غير عاطل [٦]

وتقدمت ترجمة المجنون فى الشاهد التسعين بعد المائتين [٧] .

* * *

وهذا آخر الكلام على شرح الشواهد ، الغزيرة الفوائد ، والناظم للنُّكت الفرائد ، والحاوى للطارف والتالد ، والجامع بين الشوارد والأوابد ، والحمدُ لله مِنَ البدء إلى الختام ، على توفيق هذا النظام ، والتيسير إلى الإتمام ، والبلوغ إلى المَرَام . وأفضلُ الصّلاة والسّلام ، على محمدٍ خيرِ الأنام ، وأفضلِ الرسل

---

(١) أى فكا عنها القيد ودَعاها طليقاً .

(٢) أى بالجنون والهيام . وفى الأمالى : « وكان نجداً قبل ما أصيب » .

(٣) فى الأمالى : « فأنت لليلى ما حييت عتيق » .

(٤) ط فقط : « رقيق » ، والوجه ما أثبت من ش وسائر المراجع .

(٥) ديوان ذى الرمة ٤٩٥ من قصيدته التى أولها :

خليلى عوجا من صدور الرواحل   بجمهور حُزْوَى فابكيا فى المنازل

(٦) العاطل : التى لا حلى عليها .

(٧) الخزانة ٤ : ٢٢٩ — ٢٣٣ .

الكرام ، وآلِه السادةِ الأعلام ، وصَحبِهِ قادةِ الإسلام على تعاقب الليالى والأيام ، وترادُف الشُّهور والأعوام .

وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة فى غُرّة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف ، وانتهاؤه فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين ، فيكون مدَّة التأليف ستَّ سنين مع [ما [(١)]] تخلَّل فى أثنائها من العُطْلة بالرِّحلة ؛ فإنِّى لمّا وصلتُ إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائة سافرت إلى قُسْطَنْطينية ، فى الثامن عشر من ذى القعدة من سنة سبع وسبعين ، ولم يتَّفق لى أن أشرح شيئاً إلى أنْ دخلت مصر المحروسة ، فى اليوم السابع من ربيع الأوّل من العام القابل ، ثم شرعت فى ربيع الآخِر وقد يسَّر الله التمام ، وحسنَ الختام .

٥٩٨

فله الحمد والمِنَّة ، وأسأله أن ينفع به ، وأن يختم عملى بكلِّ خير ، ويدْرأ عنِّى كلَّ ضَير ، وأن يفعل كذلك بجميع أحبّائى ، وسائر أوِدَّائى ، إنّه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

قاله بفمه ، وزبَرَه بقلمه ، مؤلِّفه الفقير إلى الله فى جميع أحواله :

عبدُ القادر بن عمر البغدادى ، لطفَ الله به

وبأسلافه ، وأولاده وأحبَّائه ،

وجميع المسلمين .

آمين

* * *

ويقول محقق الخزانة بعد سجوده شكراً لله وحمداً له على جزيل نعمائه :

---

(١) التكملة من ش . وهذه خاتمة التعليقات .

وكان الفراغ من تحقيقى للخِزانة ، وفَسْرِ غوامضها ، وربْطِ أطرافها ، وإلباسِها حُلّة هذا العصر ، فى تمام الساعة الثامنة من صباح الجمعة المباركة بمنزلى فى مصر الجديدة ، فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٤٠٢ وهو الثالث من سبتمبر سنة ١٩٨٢ .

كما كان البدء فى تحقيقها لأول مرة فى سنة ١٣٤٧ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٢٨ الميلاديّة قبيل التحاقى بدار العلوم . حيث أصدرت أربع مجلدات منها بتاريخ تخرجى فى الدار سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ .

أما هذه الطبعة الثانية لى فقد بدأْتُ بعد ذلك فى سنة ١٣٨٧ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٦٧ الميلادية . واستغرق إخراجها وطبعها نحو خمس عشرة سنة فى كفاح بالغ ، ومغالبةٍ لعَقَبات النشر ، التى عاوننى فى التغلب عليها ولدى البار المخلص السيد / محمد أمين الخانجى مدير مكتبة الخانجى ، كتب الله له التوفيق وألهمه دوام السداد .

والحمد لله كلَّ الحمد على ما أنعم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلّم .

عبد السلام محمد هارون

الفهـارس

(ا) فهـرس التراجم

(ب) فهـرس الشواهد

١ – فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

ب - فهرس الشواهد

الحروف العاطفة

حروف الإيجاب

حروف الزيادة

حرفا التفسير

حروف المصدر

حروف التحضيض

حرف التوقع

حرفا الاستفهام

حروف الشرط

التنوين

نون التوكيد

هاء السَّكت

شين الكشكشة